

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

اسكار الثاني ملك اسوج

الملك العالم الكاتب الشاعر وهو الابن الثالث من اولاد الملك اسكار الاول بن المرشال برنادوت الذي توج ملكاً على اسوج باسم كارلس الرابع عشر . ولد في ٢١ يناير سنة ١٨٢٩ ودرس في مدرسة ابسالا الجامعة فامتاز بالعلوم الرياضية ونظم الشعر البليغ وهو فتيّ وعينت اكادمية العلوم الاسوجيَّة جائزةً لمن ينظم ابلغ قصيدة فنظم قصيدة بعث بها اليها من غير امضاء ففضلتها على سائر القصائد التي قدمت اليها ومنحتها الجائزة وهي لا تعلم اسم ناظمها . وكان يكتب ويخطب ويباحث ويجادل وخطبهُ من الطبقة الاولى في الفصاحة وحسن البيان حتى تكاد ترتقي الى درجة الشعر وترجم كثيراً من الاشعار النفيسة الى اللغة الاسوجيَّة فزادت بها غنىً على غناها

وتوفي اخوهُ سنة ١٨٧٢ فآل الملك اليهِ وشغلهُ مهامهُ اولاً عن النظم والانشاء ولكنهُ عاد اليهما بعد حين . وقد كتبنا ترجمةً مفصلة في مقتطف سبتمبر سنة ١٩٠٥ وذكرنا فيها ترجمة شيءٍ من نثرهِ الشعري الذي نشر في مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٨٨٩ ولا بأس باعادتهِ الآن

" الفصل الخريف وقد بدت الغزالة فوق الافق كرة من الذهب الوهّاج . وقبل ان ترسل اشعتها وتبعث في الهواء حرارتها رأيت اشجاراً اصفرَّ ورقها وقارب الانتثار مضى نهارها ودنا ليلها نهار قصير لكنهُ بهيج تفعمهُ بالغبطة والحبور في ربوع الشمال

" لما اشرقت شمس الربيع واذابت الثلج والصقيع وانفك قيد الجداول وسمع خرير الماء

في المسايل وتغنت الطيور في افنانها وبدت البراعم من جفون اغصانها واكتست الادواح حللاً تباهي بالوانها وتجلّت الاهات الصيف بغدائر من النضار يمن بجمالهن عجباً و يتهن دلالاً و يتعانقن عناق العشاق ويبسطن ظلهن الظليل ليتفيأهُ كل عابر سبيل

« والصيف قصير الاقامة في بلاد الشمال فيرتحل ارتحال المسافر وتقف تلك الادواح لوداعهِ مطرقة الراس كاسفة البال تطرح تيجانها باياديها اسفاً وشجناً وكأن لسان حالها يدعو من يمرّ بها ليقف ويعتبر

« أخي – للانسان ايضاً ربيع وصيف وخريف . الربيع الصبا والصيف الشباب والخريف الشيخوخة لكن صيفهُ قد لا يخلو من آثار الخريف وخريفهُ لا يخلو من تباشير الربيع فان الحزن يصيّر الصباح مساء والربيع خريفاً . وشجرة الحياة التي عصفت بها العواصف يعسر عليها الانتصاب ولا تعود الى رونقها وروائها الاّ بعد كرور الايام . وقد لا تستردها ما لم يمرّ بها سامري ويمد اليها يد المعونة حتى النخل الباسق في القفار تلفحهُ ريح السموم وتطرحهُ على الثرى مهما رسخ في الارض اصلهُ وعلا الى السماء فرعهُ ولكن الخريف على ظلمتهِ لا يخلو من بهجة الربيع . انظر الى تلك الادواح فان ليل الشتاء يكاد يدركها لكنها راضية مطمئنة ترجو انهُ متى انقضى الشتاء بزمهريرهِ تعود الشمس فتكتنفها بالبهاء وتسمع حولها تغريد الطيور تدعوها الى حياة جديدة وافراح مجيدة وهذا شأنها دواماً . سلسلة متصلة حياة وموت وموت وحياة

« ونحن . نحن الذين نعلو شكوانا كلما جرت الرياح على غير ما نريد ونعارض الحق في قضائهِ ويحملنا الغرور على ان نودّ ان يكون العالم طبق مشتهانا ماذا يجب علينا ان نتذكر ونعتبر

« ألا نرى في ضمائرنا ما يدلّ على البعث والنشور على ربيع يأتي بعد خريف الحياة وموت الشتاء . اوَ ليس ذلك آكد واسمى من كل ما في الحياة . ألا نرى شيئاً من الحب والوئام في هذه الدار الفانية أوَ ليس ذلك افضل من كل الملاذ مهما غالى بها اخو الدنيا . فعلى مَ نقنط والربيع الذي يتلو شتاء الموت ابديٌّ دائم البقاء وهو امجد من كل ربيع نراهُ في هذه الدنيا شمسهُ الله ونحن فيهِ ملائكة

« والصداقة التي تمكّنت ربطها في هذه الدنيا ألا تتبعنا الى الاخرى . على مَ لا تزيد عراها وثوقاً واحكاماً

« الصداقة ربطت قلوب الناس في كل العصور وربطت قلوب الذين يرمون الى غرض

واحد ولو اختلفت سبلهم ومناحيهم . هذه الصداقة لا بد وان تتبعنا الى المرفإ الامين ترافقنا الى الربيع الابدي وتكون لنا خير ذكرى لحياةٍ دنيا قضيناها في خريف هذا العمر "

والّف وهو ولي العهد سيرة الملك كارلس الثاني عشر فعارض بها السيرة التي الّفها له اولته في بلاغة عبارتها ووفائها في البحث وصدق الرواية

ولما توّج ملكاً على اسوج ونروج خطب في قومهِ فقال في جملة ما قالهُ اني اقتداء باسلافي العظام اخترت شعارًا لنفسي واني عالم حق العلم ان التاج الذي آل اليَّ لم يأْل لكي اباهي بهِ وافتخر بل لكي اسعى جهدي في مصلحة المملكتين المتآخيتين فان هذا هو الغرض الذي صرت لاجلهِ ملكاً ولذلك ساجعل شعاري Brödrafolkens Val ! فعسى ان يعبر هذا الشعار عن حبي الصادق للامتين اللتين اتحدتا في عهد سلفي العظيم وسعادتهما غايتي العظمى في هذه الحياة الدنيا وعسى ان يدل على ما اقصده لهما بعون الله كملك لاسوج ونروج

ولقد بذل قصارى جهدهِ للتوفيق بين مصالح الامتين الامة الاسوجية والامة النروجية ومضى عليهِ ثلاث وثلاثون سنة وهو يجاهد في هذا السبيل لكنهُ عجز عن نيل ما عناهُ وسعى اليهِ جهدهُ لا لقصور منهُ ولا لقصور في الوسائل التي استخدمها بل لان الامتين متخالفتان في اللغة والمشارب والاميال ويستحيل التوفيق بين مصالحهما في كل شيءٍ فتفاقم الخلاف رويدًا رويدًا الى ان انفصمت عرى الاتفاق حديثًا . وقد قال في هذا الشأن ان الاتحاد الذي لا يرضى بهِ الفريقان كلاهما عن طيب نفس لا ينفع الفريق الواحد ولا الآخر

وكتب هو ومشيروهُ الى مجلس الامة النروجي يقول ان اسوج لا ترغب في اجبار نروج على البقاء معها لان هذا الاجبار لا يتم بغير حرب فتزول مزية الاتفاق الذي اساسهُ الاخاء والنفع العام ولذلك تفضل اسوج الانفصال على ان تضطر نروج على البقاء معها رغمًا عن ارادتها

وتمّ هذا الانفصال على سلام لكنهُ اثّر في نفسهِ تأثيرًا شديدًا ومرض منذ عهد قريب وقضى نحبهُ في الثامن من دسمبر ودفن في التاسع عشر منهُ

وكان طويل القامة مهيب الطلعة محبًّا للعلم والعلماء عارفًا بلغات كثيرة بليغ الانشاء بالانكليزية . اهتم بتاريخ العرب قبل الاسلام واقترح على الباحثين تأليف تاريخ لهم وعين جائزة لمن يفي كتابة بالمراد فلم ينل الجائزة احد

لورد كلفن

نعى البرق علامة عصرهِ لورد كلفن اكبر علماء الطبيعة . فقد اشتهر القرن الماضي بثلاثة من اعلام العلماء وهم باستور في فرنسا وهلمهلتز في المانيا وكلفن في انكلترا وكل منهم مشهور بمكتشفاتهِ العلمية الكثيرة والفوائد العملية التي نتجت منها اما الاولان فقضيا في اواخر القرن الماضي واما الاخير فبقي في صحتهِ العقلية الى ان قضى نحبهُ في اواخر هذا العام

ولد لورد كلفن سنة ١٨٢٤ وسمي وليم طمسن وكان ابوهُ استاذاً للعلوم الرياضية في مدرسة بلفست ثم عين استاذاً لها في مدرسة غلاسكو الكلية فجعل يحضر الدروس الرياضية وعمرهُ احدى عشرة سنة وكان يدهش التلامذة الكبار بسرعة حلهِ للمسائل العويصة فلما رأى ابوهُ منهُ هذا الميل الى العلوم الرياضية وهذه القريحة المتوقدة ارسلهُ الى مدرسة كمبردج فاحرز فيها قصب السبق على اترابهِ وشرع وهو هناك ينشئ المقالات في المواضيع الطبيعية كالحرارة والكهربائية وكان مغرماً بالالعاب الرياضية ايضاً واحرز الجائزة الاولى فيها ثم عين استاذاً للفلسفة الطبيعية في مدرسة غلاسكو ولكنهُ لم يقتصر على التدريس بل كان يبحث في نواميس الطبيعة فوجد المجال واسعاً لمداركهِ الواسعة وذكائهِ الفائق . وكان بعضهم ساعياً في مد السلك الكهربائي بين اوربا واميركا ولكنهُ خشي ان الكهربائية لا تجري عليهِ بالسرعة المطلوبة لما يتولد من المجاري الكهربائية المضادة لها في الماء المحيط بالسلك فعكف الاستاذ طمسن على البحث في هذا الموضوع . فاكتشف النواميس المتعلقة بهِ . وكان عند الشركة التي تريد مد السلك الكهربائي عالم كهربائي تعتمد عليهِ في هذه المسائل فحاول تخطئة الاستاذ طمسن ولكن الاستاذ طمسن ردَّ عليهِ بالدليل الرياضي فعزلتهُ الشركة واستعاضت عنهُ بالاستاذ طمسن . ولهُ الفضل الاول في مد الاسلاك الكهربائية بين اوربا واميركا وفي كل البحار لانهُ هو الذي سهل اكثر المصاعب التي كانت تحول دون ذلك . واستنبط حينئذٍ الآلة ذات المرآة التي تظهر فيها العلامات الكهربائية مهما كان مصدر الكهربائية ضعيفاً حتى اذا صُنعت بطرية لا يزيد حجمها على حجم الحمصة فعلامات الكهربائية المتولدة منها يمكن رؤيتها بهذه الآلة بعد ان تسير على السلك بين اوربا واميركا وهذا من اغرب ما ذُكر في الاعمال الكهربائية . واشتهر اسمهُ حينئذٍ شهرة فائقة فلما تمَّ مدُّ السلك الكهربائي بين اوربا واميركا أُعطي لقب سر فصار يلقَّب بالسر وليم طمسن وكان ذلك سنة ١٨٦٦ وبهِ عُرف عند قراء المقتطف . الأَّ ان الآلة ذات المرآة لا ترسم صور العلامات الكهربائية بل

لا بدَّ لها من رجل يرسم العلامات حالما يراها ولذلك اعمل فكرتهُ فاستنبط قلمًا يرسم هذه العلامات بالحبر حالما تظهر في المرآة . وغنيٌّ عن البيان ان هذين الاختراعين وغيرهما من الاختراعات التي اخترعها حينئذٍ هالت عليهِ ميازيب الثروة لما فيها من النفع العملي فجنى من علمهِ ما قلما يجنيهِ العلماءُ انفةً او اهمالاً

وامتاز باتقانهِ كل آلة وقعت في يدهِ ومن ذلك اتقانهُ الحك البحري فانهُ اخذ مرةً يكتب مقالة في الحك فلم يكد يتم الجزء الاول منها حتى رأى ان فيهِ خللاً كبيرًا يمكن تلافيهِ وهو شدَّة تأثرهِ بحديد السفينة التي هو فيها حتى ينحرف عن جهتهِ الحقيقية فنشر الجزء الاول من مقالتهِ سنة ١٨٨٤ ولم ينشر الجزء الثاني منها الاَّ بعد خمس سنوات لانهُ رأى الخلل كما تقدم واخذ في اصلاحهِ فاستنبط الحك الجديد الذي يعتمد عليهِ الآن ارباب السفن

وامتاز ايضًا بتعقيد عبارتهِ في الانشاء لان بداهتهُ قوية جدًّا فترى اعوص المعاني واكثرها تعقيدًا جلية واضحة ولذلك لا يهتم يبسطها . وقد حاولنا مرارًا مطالعة كتابهِ في الطبيعيات فكنا لا نطالع فصلاً منهُ حتى يعترينا الملل ونشعر كأن القوة العصبية قد نفدت من دماغنا . ومن عباراتهِ العويصة قولهُ في عنوان مقالة " هذه نظرية بسيطة للمجاورة الكهربائية المغنطيسيَّة في الحلقات الناقصة مع ما يترتب عليها من معادلات الحركة الكهربائيَّة في المادَّة الثابتة المتماثلة الاجزاء والمختلفتها " . وقد اضطررنا ان نبسط هذا العنوان بعض البسط في الترجمة تبعًا لقواعد اللغة العربية ولو ترجمناهُ كما هو لكان لغزًا من الالغاز

واشتهر بكثرة وضعهِ للكلمات العلمية فكلما بدا لهُ معنًى جديد وضع لهُ كلمة جديدة وارسلها بين العلماءِ فيشيع بعض هذه الكلمات ويثبت في كتب العلم ويهمل بعضها ويلغى وهذا مما يزيد مؤلفاتهِ عوصًا لان من لم يألف مصطلحاتهِ العلمية يضطر ان يعمل فكرتهُ كلما عثر بواحدة منها

وقد اثرنا عنهُ قبلاً مذهبًا جديدًا في حقيقة جواهر الاجسام . فان العلماءَ يقولون ان الاجسام مؤلفة من جواهر فردة لا تتجزأ ونسبتها الى الجسم الهيولي نسبة الخرفان الى قطيع الغنم مثلاً فالقطيع المؤلف من خمسة عشر خروفًا يمكن قسمتهُ الى ثلاثة اقسام متساوية والى خمسة اقسام متساوية والى خمسة عشر قسمًا متساويًا لكن لا يمكن قسمتهُ الى قسمين متساويين ولا الى غير ذلك من الاقسام المتساوية لان كل تقسيم منها يستدعي قسمة خروف منهُ والخروف لا يقسم ويبقى خروفًا . وكذا الاجسام تقسم (حينما يتركب بعضها مع بعض) على نسب مخصوصة تدل على ان جواهرها الفردة لا تتجزأ بل تنتقل من مركب الى آخر بكليتها. وذهب

جماعة منهم الى ان هذه الجواهر صلبة قاسية كروية الشكل ولكنهم لم يجمعوا على ذلك بل اختلفت آراؤهم لكثرة الاختلاف في خواص المادَّة ولان المذهب العلمي لا يصح فرضهُ ما لم تفسر بهِ هذه الخواص كلها او اكثرها

وذهب العالم هيس الى ان الجواهر قد تكون نوعاً من الحركة في الاثير وقال ملبرنش انها قد تكون اضطرابات صغيرة في مادَّة الاثير اي ان المادة او الهيولى هي الاثير نفسهُ ولكننا لا نشعر بهِ الاَّ اذا اضطرب فنشعر حينئذٍ بمراكز الاضطراب ومجموع هذه المراكز هو الجسم الهيولي الذي نراهُ ونلمسهُ

وكان الاستاذ تايت صديق السر وليم طمسن ورصيفهُ يبحث عن دوائر الدخان التي تظهر احياناً فوق المداخن في الآلات البخارية او تخرج من افواه مدخني التبغ فلما وقع نظر السر وليم طمسن عليها قال على مَ لا تكون جواهر الاجسام حلقات في الاثير كهذه الحلقات في الدخان فانها اذا كانت كذلك وتحركت حيث لا تجد مقاومة بقيت تتحرك ابد الدهر الى ان يشاء مبدعها ابطال حركتها . ثم جعل يبحث في هذا الموضوع وقال ان كل ما اكتشفهُ وحققهُ من المواد العلمية لا يُعدُّ شيئاً بالنسبة اليهِ وكان يجب عليهِ ان لا يشتغل بغيرهِ . وقد اشبعنا الكلام على هذه الحلقات وقتما شرع في البحث فيها وتعليل خواص الهيولى بها

ومن التحقيقات التي خالف بها العلماء وخالف ما ذهب اليهِ اولاً هو اثباتهُ جمود باطن الارض فان العلماء استنتجوا ان باطن الارض لم يزل مصهوراً سائلاً لشدَّة الحرارة المركزية فابان انهُ لو كان باطنها سائلاً لبطل دورانها كما يبطل دوران البيضة اذا أُديرت قبل ان تسلق

وهو القائل ان بزور الموجودات الحية وقعت على الارض مع النيازك او الرجم . قال اذا جرت الحمم المصهورة من جبال النار لم يمضِ عليها زمن طويل حتى يبرد سطحها وتنبت فيهِ النباتات وتدب عليهِ الحيوانات وهذه النباتات لم تتولد فيهِ من نفسها بل حملت الرياح بزورها من مكان آخر والقتها على الحمم حالما بردت فنمت عليها . والحيوانات لم تتولد من نفسها على الحمم بل انتقلت اليها من مكان آخر . وهذا شأن الجزائر البركانية التي تتكون حديثاً في قلب البحر فانها تكون في اول الامر خاوية خالية لا حيوان فيها ولا نبات ثم لا يمضي عليها زمن طويل حتى يغطيها النبات ويسرح فيها الحيوان وهما لم يتولدا فيها من نفسهما بل حملتهما اليها الرياح والامواج . وهذا شأن الارض كلها فانها كانت في اول امرها مصهورة لا نبات فيها ولا حيوان ثم برد سطحها وجمد وتغطى بالنبات والحيوان فقد وصلت بزورهما اليها من مكان آخر بقياس التمثيل .

ولم يكد يقول هذا القول حتى انبرى لهُ المعترضون من كل ناحية بعضهم عارضهُ عن علم مثبتاً ان الرجم تحمى حموًا شديدًا قبل بلوغها الارض فلا تبقى فيها البزورحية لو وجدت فيها . وهذا الاعتراض يثبت اذا ثبت ان الرجم تحمى دائمًا من ظاهرها وباطنها حموًا يميت كل الاحياء ويسقط اذا ثبت انها لا تحمى دائمًا هذا الحمو . والثاني هو الارجح لان حموَّ ظاهر الجسم لا يستلزم حمو باطنهِ ايضاً بل ان حمو الظاهر قد يبرّد الباطن كثيرًا حتى اذا استحال الظاهر بخارًا من شدَّة الحمو برد الباطن وصار جليدًا من شدَّة البرد . وبعضهم عارضهُ عن غرض ان لم نقل عن جهل زاعماً ان مذهبهُ هذا ينفي قدرة الخالق على خلق الاحياء . كأن قدرة الخالق وسلطانهُ محصوران في كرتنا هذه الصغيرة فاذا اتتها بزور الاحياء من كرة اخرى اكبر منها واعظم خرجت عن قدرة الخالق . ولم نرَ احدًا قاوم رأيًا علميًا عن غرض وتعصُّب الَّا رأيناهُ حاول التخلص من ورطة ليقع في شرّ منها

لكننا لا نري موجباً لمذهب السر وليم طمسن لانهُ اذا كانت بزور الاحياء قد وصلت الى الكرة الارضية من جرم آخر من اجرام السماء فالاحياء قد تكونت بادئ بدء في ذلك الجرم او في جرم آخر سابق لهُ . اي ان لها بداءة في جرم من الاجرام . وعليهِ فلا مانع يمنع ان تكون لها بداءة في جرمين او اكثر وان تكون لها بداءة في الكرة الارضية نفسها ايضاً اي تكون الاحياء الارضية خلقت في هذه الارض لا في غيرها

وغنيٌّ عن البيان ان الذين يوفقون الى خدمة بلادهم في الممالك الاوربية تعترف بلادهم لهم بالفضل وتظهر لهم ذلك بما لديها من الادلة فتوجه اليهم المدارس والجمعيات العلمية ما عندها من الرتب والحكومة ما عندها من النياشين والالقاب ولذلك حاز السر وليم طمسن اسمى هذه الرتب وجعلتهُ الحكومة الانكليزيَّة في عداد امرائها فصار يسمى لورد كلفن وهو اول رجل حاز رتبة الامارة بعلمهِ . وحقًّا اننا لا ندري كيف توجه لقلب الامارة الى مئات من رجال السياسة والادارة والحربيَّة والبحريَّة ولا توجههُ الَّا الى بضعة رجال من ارباب العلم لكن العلماء لا يعبأُون بذلك والَّا لكان كثيرون منهم في عداد الامراء لان الامارة لا تسعى الى الناس بل هم يسعون اليها غالباً . ومهما يكن من الامر فان ارتقاء السر وليم طمسن الى مراتب الامراء قد سرَّ رجال العلم قاطبةً وحسبوهُ اكرامًا موجهًا الى العلم نفسهِ

ولا جدال في انهُ من اعظم علماء الرياضيات ان لم يكن اعظمهم كلهم ولكنهُ كان يخطئُ في ابسط الاعمال الحسابية كالجمع والطرح وهو يحلُّ اعوص المسائل ويبيّن النواميس المتسلطة على الاجرام السموية والمواد الطبيعيَّة

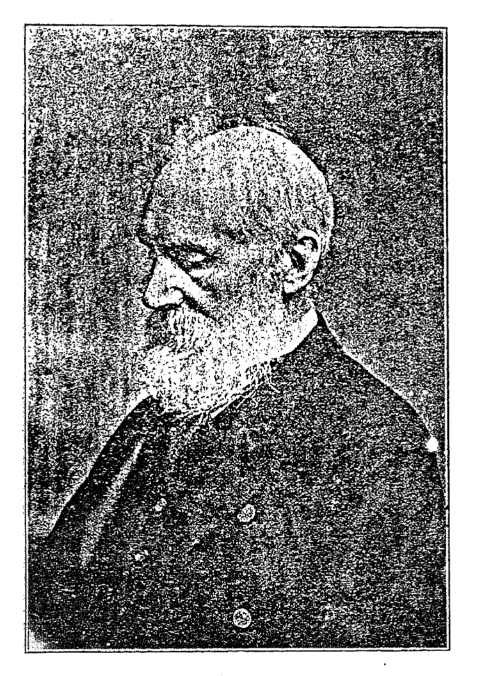
ولقد يأسف البعض لانهُ لم ينقطع للعلم وحدهُ بل قرن بهِ العمل وربح من ذلك اموالاً طائلة ولكنهُ سار في سبيل الفلسفة العملية واثبت ان نفع العالم والفيلسوف لا يتمان في هذه الدنيا ما لم يخدمها المال وشأنهُ في ذلك شأن الشعراء والمصورين الكبار الذين يبيعون منظوماتهم ومصنوعاتهم باغلى الاثمان ولا لوم عليهم ولا تثريب

وقد اشتهر بالاخلاص والبعد عن الدعوى والغرور فاذا خطأهُ احد في مذهب من مذاهبهِ او رأي من آرائهِ اعترف بخطإِهِ علانيةً ولم يستمسك بالباطل ولا ادَّعى العصمة وكان من ابعد الناس عن انتحال ما لغيرهِ او ادّعاء ما ليس لهُ وتراهُ يعزو الى مساعديهِ ما يكتشفونهُ ولو كانوا قد اكتشفوهُ بارشادهِ و يباهي بذلك اكثر مما لو كان هو المكتشف. اجتمع حولهُ تلامذة مدرسة غلاسكو سنة ١٨٩١ وهنأوهُ بانتخابهِ رئيساً للجمعية الملكية فقال لهم ان الهناء مشترك بيننا لانني انا تلميذ مثلكم في هذه المدرسة منذ خمس وخمسين سنة الى الآن وسأبقى تلميذاً فيها مدى الحياة . وكان قلبهُ متعلقاً بتلامذتهِ وعينهُ ترقبهم في كل مطالب الحياة مفتخراً بارتقائهم وهم ايضاً كانوا متعلقين بهِ يفتخرون بانهم من تلامذتهِ

ومما يوصف بهِ ايضاً انهُ كان وديعاً لين العريكة الى الدرجة القصوى ولكنهُ اذا رأى عيباً في احد تلامذتهِ او المشتغلين معهُ وبخهُ بصرامة ثم لا يلبث ان يتغلب عليهِ طبع الحلم والتؤدة فيبش في وجههِ و يتبسم كأنهُ ندم على ما فرط منهُ

وسنة ١٨٩٦ كان قد مضى عليهِ خمسون سنة منذ جعل استاذاً في مدرسة غلاسكو الجامعة فعيَّد لهُ ابناؤها وعلماء الارض عيداً جمع ضروب الابهة والاكرام وحضرهُ جمع غفير من اكبر علماء الارض من كل الممالك في اوربا واسيا واميركا واستراليا وارسل اليهِ ولي عهد انكلترا (الملك الحالي) رسالة يقول فيها اني مشارك لنوَّاب المدارس الجامعة والجمعيات العلميَّة في الممالك الانكليزية وسائر علماء الارض الذين اجتمعوا في مدرسة غلاسكو الجامعة التي ذاع صيتها باشغالك العلمية الفائقة الوصف والقيمة التي اشتغلتها فيها مدة الخمسين سنة الماضية " . وبعثت المرحومة ملكة الانكليز الى حاكم مدينة غلاسكو ان يبلغهُ تهنئاتها بمضي خمسين سنة منذ صار استاذاً في مدرسة غلاسكو

وبعد ثلاث سنوات استعفى من تدريس الفلسفة الطبيعيَّة لكنهُ بقي يبحث في المواضيع العلميَّة العويصة ويجادل ويناضل الى ان ادركتهُ الوفاة في السابع عشر من شهر دسمبر الماضي . وهو من اول العلماء الذين منحهم ملك الانكليز نشان الاستحقاق الجديد حالما وضعهُ ومعهُ نشان الاستحقاق من بروسيا ونشان لجون دونر من فرنسا ونشان الكنوز المقدس من اليابان



لورد کلفن

الشفاء الغريب

ايضاح الغامض

اطّلعت في هذه الايام على خطاب لرجل فرنساوي اسمهُ المسيو ماغنين "استاذ في مدرسة المغنتيزم" نقلهُ المقتطف عن "مجلة العلوم النفيسة" (الشفاء الغريب سبتمبر ١٩٠٧). وخلاصتهُ انهُ شفى بالمغنطيسيَّة فتاة كان قد حكم بعض الاطباء بانها مصابة بعلل مختلفة منها السل الرئوي واعوجاج العمود الفقري وشلل الطرفين السفليين . ثم بعد الشفاء فحصها اثنان من الاطباء المذكورين آنفاً واثبتا انهُ لم يبقَ فيها شيء من العلل التي سبق ذكرها . والظاهر ان هذا الاستاذ لم يقتصر في الشفاء على ما كان فيهِ من القوة بل استعان بما سمَّاهُ "بالذات الثانية" وهي فتاة كان يحبها من قبل وقد استحضرها من عالم الغيب . وعند نظري الى هذه "الحادثة" لم ارَ غريبة واحدة فقط بل غرائب كثيرة لا يمكن اثباتها والتصديق لها الَّا اذا كانت البينة عليها مما لا يشوبهُ ادنى ريب وهو غير ما رأيتهُ في ما قيل هنا

من المقرَّر عند الاطباء ان من العلل التي تصيب الانسان علتين تتخذان صوراً كثيرة بحيث قد يخدع الطبيب ويخطئ في تشخيصهِ وعلاجهِ وهما الهستيريا اكثرها في النساء وسوء الهضم اكثرهُ في الرجال . وقد جرى لي في خبرتي الطويلة حوادث شتى من هذا القبيل اذكر منها اثنتين تشهدان لما سبق وكان الشفاء فيهما غريباً في الظاهر ولا غرابة فيهِ في الحقيقة وربما كان فيهِ التفسير الطبيعي للحادثة التي ذكرها "الاستاذ" وقال انهُ شفاها بقوة المغنطيس الحيواني

الحادثة الاولى . دُعيت مرةً الى مداواة فتاة لم اكن اعرفها من قبل فرأيتها نحيفة البنية طريحة الفراش منذ ستة اشهر مفلوجة الطرفين السفليين لا قوة فيها على الحركة البتة . فسألت هل سبق ذلك سبب كمرض او لطمة على اسفل الظهر فقيل لي لا . ثم فحصت العمود الفقري فلم اجد شيئاً يدل على مرض في الفقرات القطنية او في الحبل الشوكي . ومن النظر العام الى الفتاة وسنها ومزاجها وعدم وجود سبب آلي اصلي او منعكس للاعراض الواقعة قلت في نفسي ليس هذا فالجاً حقيقيًّا بل هو من انواع الهستيريا التي تزيت بهذا الزي الغريب وعلى ذلك يجب ان يكون العلاج . ويكون بامرين احدهما بالدواء والثاني وهو

الافعل باقناع المريضة بحقيقة الحال وانهاض قوة الارادة فيها للغلبة على المرض . ولم يكن حينئذٍ في الغرفة الاَّ والدتها فطلبت منها ان تخرج وتتركنا وحدنا برهة قصيرة . ولما خرجت قلت للابنة ليس مرضك الفالج كما اوهموك وكما تظنين بل هو شيءٌ عصبي سهل الزوال واني اصف لك الدواء المفيد واضمن لك الشفاء التام بشرط ان تكوني واثقة بما قلتهُ لك وان تعيني الدواء بكل ما فيكِ من قوة الارادة لتحريك رجليك والنهوض من الفراش . قالت وكانت على جانب عظيم من الذكاء لقد وثقت بكلامك وسافعل كما امرتني . وبعد اسبوع عدتها فرأيتها تمشي في البيت ولم يبقَ اثر من ذلك الفالج الوهمي وقد مضى عشرون سنة منذ ذلك الزمان اشاهدها من حين الى آخر وهي لا تزال أيِّمًا وعرضةً لاعراض هستيرية خفيفة لا عبرة لها

الحادثة الثانية . طُلبت مرةً لمشورة طبيَّة ولما حضرت رأيت فتاة قويَّة البنية نائمة على فراشها لم تفتح عينيها ولم تتكلم ولم تأكل ولم تشرب ولم تنتبه الى شيءٍ منذ ثلاثة عشر يومًا وفي كل تلك المدة كانت متيبسة (التشنج الدائم) كأنها قطعة واحدة من الخشب الذي لا ينثني ولم تتحرك البتة . وبعد الفحص الطبيعي لم اجد علة في الدماغ او الحبل الشوكي فالتفت الى الطبيب وقلت هي علة هستيرية ولا ريب . قال نعم هكذا كان حكمي وهكذا كان علاجي الذي لم يأتِ بشيءٍ من الفائدة . ثم سألتهُ هل جرَّب سكب الماء البارد على الرأس بغزارة قال نعم قلت لا بأس باعادة العمل لاني لم أرَ حادثة قط قويت على هذه الوسيلة مدة النوبة الحادة . ثم جذبنا جسم الفتاة بجملتهِ الى جانب الفراش لانهُ لم يمكن تحريك رأسها وحدهُ وسكبنا على رأسها ماء غزيرًا مدة طويلة . وما كنت أراهُ دائمًا من شهقة طويلة يعقبها الصحو التام في مثل هذه الاحوال لم اره هذه المرة مع اننا افرغنا على رأسها جرارًا كثيرة من الماء البارد . ولما اقتنعت ان لا فائدة من اطالة سكب الماء قلت في نفسي ان هذه الابنة صاحية العقل شاعرة بكل ما حولها سامعة كل ما يقال لها ولو كانت لا تستطيع النطق وهو ما تتميز بهِ الهستيريا عن الصرع وغيرهِ من العلل الدماغية الشوكية فلم يبقَ لي حيلة الاَّ ان آمرها فتطيعني . فوضعت يدي تحت رأسها وقلت لها بصوت الآمر اجلسي . واعدت الكلام اكثر من مرة ولكن الحال لم تتغير وبقي عنقها متيبسًا لا تثنيهِ عشرة رجال الاَّ اذا خلعوا مفاصلهُ او كسروها . ثم قلت لها بصوت حادّ قاطع اجلسي حالاً وانا اساعدكِ وحاولت اجلاسها فطاوعتني هذه المرة وتلينت وجلست ولكن عينيها بقيتا مغمضتين فقلت لها افتحي الآن عينيكِ وانظري اليَّ ففعلت ونظرت الى وجهي وتبسمت وتكلمت وعادت الليونة

الطبيعيَّة الى جسدها وزالت الاعراض بالكلية. هذا وابوها وامها والطبيب ينظرون اليَّ حائرين كأني ساحر او مارد . وقد خرجت من ذلك المكان مندهشاً مما لم ارَ لهُ مثيلاً في شدتهِ وخضوع ارادة المريضة لكلام العقل والامر لا لشيء فيَّ او فيها او فينا معاً من قوة خارقة العادة

ومثل ذلك يقال في شفاء كثير من الامراض بفعل الثقة بالطبيب والدواء . وهو كمذهب فريق آخر من المشعوذين الذين يزعمون ان لا حقيقة للمرض في الخارج بل هو مجرد وهم في الداخل فاذا اقنعوا المريض بان لا مرض فيهِ نال الشفاء ولذلك يسمون مذهبهم "الشفاء بالايمان" وليس في كل ذلك الأَ عمل العقل بالجسد وهو كالقول الجاري "آمن بالحجر تبرأ" او كالفعل المسمى بالاستهواء . وكثيرًا ما يأتيني اناس يتوهمون ان بهم امراضاً مختلفة ولا ارى مرضاً فيهم فاقول لهم ليس بكم من علة اذهبوا وراعوا شروط الصحة في الطعام والشراب والنوم والرياضة ونقاوة الهواء وابعدوا عن كل سبب مضعف مضرّ وهذا كل ما تحتاجون اليهِ . ثم كثيرًا ما يعود اليَّ بعضهم ويقولون هل تتذكرنا اتيناك من بضع سنوات وصرفتنا بوصايا صحيَّة فقط ووثقنا بما قلتهُ لنا فزال منا الوهم او الانحراف الذي كنا نشكوهُ . ومن هذا القبيل قول اطباء العرب ان الطبيعة والمرض خصمان اذا غلبت الطبيعة برأ المريض واذا غلب المرض هلك العليل . وقول اطباء الافرنج ان للامراض الحادة سيرًا محدودًا وان في الطبيعة قوة لدفع المرض يسمونها "قوة الطبيعة المداوية" (Vis Mdicatrix Naturæ) وان اكثر ما يفعلهُ الطبيب انما هو مساعدة هذه القوة بقواعد الصحة والدواء وانهاض امل المريض خاصةً . ثم اذا كان هناك من الظواهر المبهمة ما هو مجهول السبب وصح احياناً قول شكسبير الراوي الشهير "ان في السماء والارض امورًا اكثر مما تحلم بهِ فلسفتنا" فالزمان يدركها ويعلِّلها ويفسرها بحسب السنن التي وضعها الله في الكون

يوحنا ورتبات

ترع المريخ والحياة فيهِ (١)

تمهيد

الاستاذ لول من اعظم علماء الفلك في اميركا وهو مدير مرصد باسمهِ وعضو في اكثر الجمعيات الفلكيَّة في اوربا واميركا وتقوم شهرتهُ برصدهِ للمرّيخ اكثر من ثماني عشرة سنة اكتشف في اثنائها اكثر ما هو معروف الآن من الخطوط والآثار التي تظهر على وجه ذلك السيار اعني جداولهُ او ترعهُ وواحاتها. وقبل ان اطرق الموضوع رأساً اوجه النظر الى خلاصة ارصادهِ التي جمعها في تسع وثلاثين مادة : —

(١) المرّيخ يدور على محورهِ في ٢٤ ساعة و ٣٩ دقيقة و ٣٥ ثانية وهذا هو يومهُ الشمسي فيكون اطول من يومنا بمقدار الكسر المذكور

(٢) ميل محورهِ على سطح فلكهِ ٢٣ درجة و ٥٩ دقيقة فيكون فصولهُ اشبه بفصول سنة الارض وعلى نفس ترتيبها ولكنها ضعفها تقريباً

(٣) سنتهُ تتألف من ٦٨٧ يوماً من ايامنا او ٦٦٩ من ايامهِ

(٤) عند قطبيهِ بقعتان تظهران جليًّا تتكونان في الشتاء وتذوبان في الصيف فتدلان على مادة تتجمع هناك بسبب البرد

(٥) حينما تذوب البقعة البيضاء يحيط بها منطقة زرقاء تتبعها وتتراجع معها حينما تتقلص وهذا ينفي إمكان تكونها من الحامض الكربونيك ويدل على انها ليست الاَّ ماء من كل المواد المعروفة

(٦) في منطقة القطب الجنوبي الزرقاء إنساعات او انفراجات وذلك حيثما تتكاثر البقع الخضراء الكبيرة الملاصقة لها

(٧) تقلص الثلج بسرعة يدل على ان كميتهُ قليلة ويشير الى قلة المياه على سطح السيار

(٨) الذوبان يحدث دائماً وابداً في ذات المكان وبنفس الطريقة سنة بعد سنة

(٩) الدليل على ذلك تكرار ظهور بعض الاودية والشقوق في المكان نفسهِ سنة بعد سنة

(١٠) زيادة ما يتراكم من الثلج في القطب الجنوبي وكون المساحة المغطاة بهِ اعظم مما هي في الشمال بالنسبة لمباينة فلكهِ وميل المحور يدلان على ان كثافتهُ قليلة

(١) من خطبة للاستاذ منصور حنا جرداق م٠ع٠ تليت في حلقة الادباء بمدينة بيروت في ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧

(١١) ماء الابحر القطبية المسببة عن الذوبان غذبة لكونها وقتية

(١٢) ذوبان البقع الثلجية وتكونها يثبتان وجود البخار المائي في جو المريخ

(١٣) يستدل من وجود البخار المائي على ان النيتروجين والاكسجين والحامض الكربونيك موجودة ايضاً

(١٤) النور الذي يحيط بحرف المريخ يدل على وجود جو محيط بهِ

(١٥) مقدار حجم نورهِ يدل على ان كثافة جوهِ اقل بكثير من كثافة جو الارض

(١٦) وجود الشفق يثبت ذلك

(١٧) تكرار ظهور علامات ثابتة على حرف القرص يثبت ان سطح المريخ ظاهر للعيان

(١٨) في سطح المريخ بقع محمرة برتقالية وبقع خضراء مائلة الى الزرقة والاولى منظرها كمنظر الصحاري على وجه الارض اذا نظرت من بعد

(١٩) وكما ان الصحاري لا يؤثر فيها اختلاف الفصول هكذا البقع البرتقالية في المريخ فانها ترى ثابتة لا يطرأ عليها ادنى تغير

(٢٠) ظن العلماء قبلاً ان البقع الخضراء بحار اما الآن فقد ثبت انها ليست كذلك لان لونها يتغير بتغير الفصول

(٢١) التغيرات التي تطرأ على القطب لا تؤثر في اتساع البقع الخضراء ولا تزيد امتدادها

(٢٢) وكذلك سطح هذه البقع تقطعهُ خطوط مستقيمة منتشرة في كل الجهات وهو مرصع بنقط اشد سواداً واخضراراً مما يحيط بها والخطوط والنقط ثابتة المركز والمكان وعليهِ لا يمكن وجود بحار اوغيرها من مجتمعات المياه الكبيرة

(٢٣) بما ان لونها ازرق واخضر فهي نبات يخضرّ ويزرق ثم ييبس ويصفرّ

(٢٤) وهذا التغيير يتبع الفصول دائماً وابداً ويطابق ما يصيب النبات

(٢٥) ويجري على نصف المريخ الشمالي والجنوبي بالتناوب

(٢٦) وتكرارهُ دليل ساطع على وجود جوّ يحيط بالمريخ

(٢٧) التغيرات التي تطرأ لا يعلل عنها الاّ بنموّ النبات واندثارهِ

(٢٨) وجود النبات يستدعي وجود الحامض الكربونيك والاكسجين والنيتروجين في جو المريخ

(٢٩) تغير لون البقع يعقب ذوبان الثلج الراسب على القطب ولا يتمّ قبلهُ

(٣٠) التغير لا يحدث فجأةً بل يقتضي وقتاً معيناً

(٣١) ومع ان البقع ليست الآن بحارًا لكن يظهر من رصدها انها منخفضة وربما كانت بحارًا في غابر الزمن

(٣٢) ولكون البقع هي اقسام المريخ التي ينبتُ فيها النبات الآن يستدل على انها كانت بحارًا اذ يرشح اليها الماء لانخفاضها وذلك ينطبق على ما هو معروف من ادوار حياة كل سيار وعلى ما هو مسلَّم بهِ من قوانين الغازات المتحركة

(٣٣) لا جبال عالية في المريخ ويظن من الارصاد ان سطحهُ مستوٍ تقريبًا

(٣٤) يسبح في جوهِ غيومٌ رقيقة تنعقد على اشكالٍ وهيئات متباينة والمظنون انها غبار في الغالب

(٣٥) في اقاليمهِ المعتدلة والحارة يظهر من وقت الى آخر بقع بيضاء يظنُّ انها صقيع تدوم عدة اسابيع وعليهِ يكون الهواء باردًا

(٣٦) وفي ذات الوقت تدل هذه البقع على ان معدل حرارة القسم الاكبر من سطح السيار تحت درجة الجليد

(٣٧) في فصل الشتاء تكون اكثر اقسام المناطق المعتدلة مغطاة بغطاء ابيض اللون وهو اما صقيع وهو الارجح او غيوم رقيقة

(٣٨) يحيط بالقطب الشمالي بخار لطيف عدة اسابيع مدة الربيع وذلك على اثر ذوبانها

(٣٩) عدا ما ذكر يكون جو المريخ صافيًا نقيًا جافًا كجوّ الصحراء

واكثر هذه الامور مشهود بصحتها وما كانت الارصاد مدة العشر السنوات الاخيرة الاَّ لتؤيد حقيقتها وتثبت صدقها مع ان الطرق التي استعملت كانت متنوعة متباينة. واذا دققنا النظر فيها نجد انها تثبت للمريخ وجود ايام وفصول كايامنا وفصولنا وانهُ محاط بجوّ يحمل البخار المائي والحامض الكربونيك والاكسجين وان مياههُ قليلة جدًا وحرارتهُ اقل من حرارة ارضنا لكنها فوق درجة الجليد الاَّ في ايام الشتاء وفي الاقاليم المتجمدة لقربها من القطب وان النبات موجود في بعض اقسام سطحهِ فالهواء من اهم ضروريات الحياة لانهُ يفصل المريخ عما يحيط بهِ من الفضاء ويحفظ حرارتهُ من الافلات بالاشعاع ويكوّن وسطًا لطيفًا فيهِ تجري وتتم عوامل النمو والاندثار. ثم يلي الهواء الماء وهذا موجود بالنسبة لما نعرفهُ عن طبيعة البقع القطبية التي يستحيل ان تكون شيئًا آخر لان الحامض الكربونيك لا يكون مخاطًا بمنطقة زرقاء. واذا سلمنا بوجود الهواء والماء لزم ان نسلم بوجود النبات اذا توفرت جميع المواد اللازمة لحياتهِ. والتغيرات التي تطرأ على البقع الزرقاء لا يمكن تعليلها الاَّ بوجودهِ.

الترع

واول رجل وُفّق الى رؤية خطوط غير طبيعية على سطح المريخ هو شيبارلي الفلكي الايطالي وحينما اظهر نتيجة ارصادهِ قامت عليهِ قيامة الفلكيين ونسبوا ذلك الى خلل في نظرهِ ونقص في معداتهِ ولكنَّ قومتهم عليهِ لم تثنِ عزمهُ بل تابع ارصادهُ واخذ غيرهُ يزاول الرصد وبعضهم بنى مراصد معدة لهذه الغاية فقط . فكانت النتيجة اثبات ما اعلنهُ ذلك الفلكي الايطالي الحاد البصر مع ان فريقاً من قادة الفلكيين حتى في الوقت الحاضر ينفون حقيقة هذه الترع وينسبون رؤيتها الى الوهم ولكن لا يغرب عن اذهاننا ان رؤيتها تتوقف على حالة الهواء وانسب مكان لرصدها حيث يكون الهواء نقياً صافياً ثابتاً لا تعبث بهِ المجاري العنيفة المسببة عن اختلاف الحرارة . ويشترط ان يكون الراصد حاد البصر متوقد الذهن زاول الرصد مدة طويلة

والذي تتوفر لديهِ الشروط المذكورة يرى خطوطاً دقيقة مستقيمة تخرج من البقع الزرقاء وتنتشر على سطح السيار كأنها شبكة عنكبوت ومما يستلفت النظر ان جهة امتدادها محكمة ولا يعقل ان تكون من قبل الطبيعة لان تسعين في المئة منها تماماً لا اعوجاج فيها محدودة الجوانب كأنها خطت بقلم وعرض الخط يبقى على نسق واحد من اولهِ الى آخرهِ وهذا العرض لا يمكن معرفتهُ بالتمام لتعذر وسائط القياس والطريقة الوحيدة لتقديرهِ تتم بمقابلة نتيجة الارصاد مع النتيجة التي تظهر بوضع شريط معروف الحجم على ابعادٍ مختلفة . ففي مرصد لول استطاعوا ان يروا شريطة قطرها ٠٫٢٣٦ من العقدة على بعد ١٨٠٠ قدم ومعدل قياس قطرها ٦٩ من الثانية . وبحكم الاستنتاج النظري قدروا انهُ يمكن ان يرى خط على سطح المريخ عرضهُ ثلاثة ارباع الميل ولكن تأثير المحيط وما يفقد من النور والتحديد الواضح في التلسكوب يزيد هذه الكمية الى ميلين فالخط الطويل يظهر وان يكن قليل العرض لان المؤثر الضعيف الذي لا تأثير لهُ بذاتهِ على قسم صغير من شبكية العين يُشعر بهِ اذا فعل على اجزاء عديدة منها متصلة ومرتبة في صف واحد وحينئذٍ ينطبق على المبدإِ العام وهو ان مجموع الحس ينبه الوجدان . وقد تبين من الامتحانات والتجارب المذكورة ان ٦٩ من الثانية اقل حد لرؤية الخط الحقيقي واذا نقص عن ذلك انتفى بالكلية . واذ ذاك يتعذر تعيين نوع المؤثر هل هو حقيقي او وهمي . اما قياس عرض الخطوط التي على سطح المريخ فاعظم من الحد المذكور واضيقها يختلف من الميلين الى الثلاثة واوسعها من الخمسة عشر الى العشرين ميلاً بين ان معدل طولها الف ميل . ومن غريب امرها ان اكثرها اذا لم نقل كلها

تكوّن اقواس دوائر عظيمة تصل بين نقطتين وعليهِ لا تكون طبيعية بل تدل على انهُ لا بد من وجود عقل احكم صنعها وتنظيمها

واذا دققنا النظر نرى ان هذه الترع ليست مستقلة بعضها عن بعض بل هناك روابط تربطها وتضمها الى نظام واحد فكل ترعة تتصل من كل من طرفيها ببحيرة او بترعة أُخرى وقد يلتقي ثلاث منها فاكثر او ست او سبع او اكثر الى اربع عشرة في نقطة واحدة مما يدل على ان فيها يدًا للصناعة الهندسية وانها مصنوعة لمقاصد دعت اليها احوال خاصة فاستقامتها تنفي انها انهر وكون عرض الترعة واحد من اولها الى آخرها ينفي انها شقوق . ولا يحتمل ان تكون مسببة عن انفجارات بركانية او غيرها او نتجت عن التقلص الذي يحدث في ادوار حياة كل سيار لان ذلك يحدث في اماكن دون غيرها ونتائجهُ خاصة بهِ تميزهُ عن سواهُ. وحقيقة انتظامها وانتشارها تدل على ان السبب الذي دعا لكيانها كان عامًّا على وجه السيار وذلك ينفي انهُ طبيعيٌّ لان الطبيعي يحصر ضمن المناطق . فالعوامل التي تؤَثر في المنطقة الحارة يبطل فعلها في المتجمدة والعكس بالعكس بين اننا نرى نظام الترع لا يقف عند حد بل يخترق كل حاجز طبيعي وينتشر على سطح السيّار

اما الجهات التي تنتشر فيها الترع فمتعددة . وبالنسبة للمساحة يظهر انها متوزعة بالتساوي وهذا ينطبق على المناطق ايضًا الَّا اذا قربت من القطبين فهناك يتكاثر عددها وعليهِ نستنتج انهُ لا بد من وجود علاقة متينة تربط الامرين وتجعل الواحد يتوقف على الاخر وهذا يؤيد ما استنتج سابقًا من ان الترع تخرج من خط الثلج القطبي ومن الخلجان التي في البقع الخضراء القاتمة وتقصد اهم نقط سطح السيار ويستدل ان الخطوط تصل بين اهم المراكز الطبيعية التي لسببٍ ما يجب ان تربطها بعضها ببعض وبما انها تختلف عنها بنوعها ولكنها تتوقف عليها تشير الى انها حدثت او انشئت بعد وجودها للحاجة اليها

ازدواج الترع

وهناك امرٌ اعجب وهو ان بعض الترع يظهر مزدوجًا اي تظهر الترعة الواحدة ترعتين متوازيتين يفرقهما بعد واحد تقريبًا على طولها. ففي سنة ١٨٧٩ بينما كان شيبارلي مشغولاً برصد الترع التي كان رآها سابقًا دُهش لرؤْية احداهن مزدوجةً وعهدهُ بها مفردة فنسب ذلك للوهم والخيال ولكن عاد فرآها سنة ١٨٨٢ وكانت اوضح من قبل وبعد قليل ظهر لهُ عدد ليس بالقليل من نوعها واذ شك بصحة ما رآهُ أَخذ يغير العدسيات ويركبها على اشكال مختلفة حتى لو كان الخلل في السبب لتغير المسبب ولكن بدون فائدة لان الترع المزدوجة

بقيت مزدوجة والمفردة مفردة . اما المزدوجة فترى بشكل خطين منفصلين في صورة واحدة لها حجم واحد وطول واحد وعرضهما والمسافة بينهما يكادان يكونان متماثلين ولا يظهر الازدواج الّا لمن تمت فيهم شروط المقدرة على رؤيته وتوفرت لديهم الاحوال المناسبة لرصده ولكن صعوبة اجتماع هذه الشروط وعدم توفرها لدى البعض قادتهم الى انكار هذا الازدواج . اما الاعتراضات التي قدمت لدحض دعوى الازدواج فكثيرة ولكنها فندت كلها[1]

قلت سابقاً ان الترع المزدوجة تتألف من خطين متوازيين بينهما فاصل وازيد الآن ان الفاصل من لون ارض السيار اي احمر برتقالي ومعدل عرضه خمس درجات او اكثر (وقياس الدرجة سبعة وثلاثين ميلاً) . اما رؤية الخطوط المزدوجة فاسهل من رؤية المفردة لان حجمها يزيدها وضوحاً . ومع انهُ ليس بالسهل قياس عرض خطوطها لان شعر الميكرومتر غليظ بالنسبة لدقة الخطوط ونحافتها لكنهم تمكنوا من قياس بعضها بعد العناء الشديد فوجدوا ان معدل طول احداهن ٢٢٥٠ ميلاً وعرض كل من خطيها عشرون ميلاً وبعدها ١٣٠ ميلاً

وعدد الترع التي اكتشفت حتى الوقت الحاضر اربع مائة احدى وخمسون منها مزدوجة والباقية مفردة . وكان الفلكيون يعتقدون سابقاً ان الترع المزدوجة تظهر اولاً مفردة ثم ترى مزدوجة ثم وجدوا ان الازدواج صفة ملازمة لها لا تنفك عنها ولكن لاسباب لا يظهر احد الخطين الّا بادق الآلات وربما لا يرى على الاطلاق . وقد وجد بالاختبار ان هذه الصفة (اي الازدواج) تتوقف على الفيضان الحاصل من ذوبان الثلوج القطبيّة فبعد ابتدائه بقليل يرى احد خطي الازدواج ثم يرى الثاني اذا تعاظم ولكن اذا كان نقص في الفيضان فلا يرى الازدواج على الاطلاق وحينئذٍ تظهر الترعة مفردة . والامر الغريب الذي انبه الخواطر اليه ان الخط الذي يظهر اولاً او في حالة الانفراد سنة بعد سنة يبقى هو هو ولا يظهر رفيقهُ ولذلك يدعونهُ الترعة الاصلية ورفيقهُ الثانوية

فالاصلية تمتاز بوضوحها وباهمية مكان خروجها والنقط التي تمر عليها وتنتهي فيها .

---

(١) في هذا الصباح بينما كنت اطالع التقارير المرسلة الى مرصدنا عثرت على خلاصة اعمال اللجنة الفلكية التي ارسلت الى اميركا الجنوبية لرصد المريخ تحت رئاسة العلّامة دافد تود استاذ الفلك والرياضيات في كلية امهرست وقد ذكر فيها انهم اخذوا سبعة آلاف (٧٠٠٠) رسم فوتوغرافي بحذق الآلات ودقتها وهذه الرسوم تتضمن صور الترع المفردة والمزدوجة والواحات وتنطبق تمام الانطباق على صور ورسوم الاستاذ لول الخطيرة

وعليهِ لا يبعد ان تكون الثانوية انشئت بعد الاصلية لمقاصد دعت اليها الحاجة . فكأَنما الازدواج تمَّ باضافة خط آخر يعين الاول ويتم القصد الذي انشئا من اجلهِ وليس من الضرورة ان يكونا متوازيين في عرف الهندسة لان بعض هذه الخطوط المزدوجة يزداد انفراجاً كلما طالت المسافة وبعدت عن المخرج

والخطوط المزدوجة تكثر في المنطقة التي هي ضمن اربعين درجة الى الشمال والجنوب من خط الاستواء والباقي ٧ في المئة منها تمتد الى حد ٦٣ بين ان المفردة تكثر قرب القطب فكأن المزدوجة تقوم مقامها في الاقاليم الاستوائية والمعتدلة · والترع المزدوجة لا تمر في البقع الزرقاء الخضراء بل تخرج بعض الاحيان منها اما الترع المفردة فتمر فيها وتتقاطع ايضاً ولا يكون ثمة ادنى تأثير على جهة سيرها

واغرب من منظر الترع المفردة والمزدوجة منظر النقط السوداء المستديرة التي دعاها الاستاذ لول واحات · اما تاخرا كتشافها فينسب الى صعوبة رؤيتها لما يحول من الموانع الجوية والنقص في دقة وتحكيم آلات الرصد · وقد بلغ عدد ما أكتشف منها حتى الوقت الحاضر ١٨٦ وقطر بعضها ٧٥ ميلاً الى ١٠٠ ميل واصغرها يختلف بين ١٥ ميلاً الى ٢٠ وكلها تنتشر بانتظام تام حيث تلتقي الخطوط ولكنها ليست نتيجة تقاطعها لان استدارة شكلها تنفي ذلك ولونها اشد سواداً من نقط التقاطع · وهذه النقط اوسع من عرض الخطوط ومعظم انتشارها في البقع السوداء

وقد استُنتج من المعاينة والمراقبة ان النقط الكبيرة تختص بالترع الكبيرة والمزدوجة والنقط الصغيرة تختص بالترع الصغيرة وعليهِ يكون حجم الفريق الواحد متوقفاً على حجم الآخر · ويظهر ان علاقة الترعة المزدوجة التي تنتهي بنقطة كبيرة غريبة جداً · وهي ان خطي الترعة يمسان النقطة ويحيطان بها وهذا من اكبر الادلة على ان الازدواج ليس نتيجة الوهم والخداع لانهُ لو كان ذلك صحيحاً لوجب ان نرى النقطة مزدوجة لا مفردة

ستأتي البقية

منصور حنا جرداق
نائب استاذ الرياضيات في المدرسة
الكلية الاميركية ببيروت

الرحلة الحديثة

(٨) يوم آخر في منشستر

يوم ليس كالايام رأيت فيهِ اعظم اعمال الانسان وادقها وانفعها. رأيت معمل ارمسترنج الذي يصنع فيهِ اكبر المدافع واثقل اسلحة البوارج . الخصمين المتباريين المدافع والبوارج الاولى تزيد طولاً لترسل مقذوفاتها الى ابعد مدى وقوة لتقوى على خرق اثخن الدروع واشدها صلابةً والثانية تزيد متانةً ومناعة حتى تحتمل رشق اكبر القنابل واسرعها وانفذها ولا تخرق ولا تنصدع . والعلوم الرياضية والهندسية والطبيعية والكيماوية مسخرة كلها لهذين الغرضين تقوية المدافع وتقوية البوارج لكي تستعزَّ الدول وتحمي متاجرها فيزيد الاغنياء غنىً والمترفون ترفاً . ولولا فضلاؤهم الذين ينفقون عن سعة في اصلاح شؤون العمَّال والعجزة لكانت نتائج هذه المباراة شرًّا محضاً على نوع الانسان

ورأيت في ذلك اليوم معمل شوابي الذي تطبع فيهِ منسوجات منشستر بالوانها البديعة واشكالها الدقيقة فتروج في مشارق الارض ومغاربها وتتباهى بلبسها غواني الهند والصين كما تتباهى غواني مصر والسودان

ورأيت ايضاً مكتبة ريلندس التي جمعت اقدم الكتب المطبوعة وانفس كتب الخط العربيَّة حتى يقال ان فيها نسخةً من اشعار هوميروس مترجمة الى العربيَّة منذ عهد طويل

وما اكثر ما يعيهِ الذهن اذا تفرَّغ المرء لمرادهِ ولم يشغلهُ عنهُ شاغل . وهانذا اصف بعض ما علق بذاكرتي وبقي فيها الى الآن من تلك المشاهد ولو مرَّت عليهِ الايام والشهور

معمل ارمسترنج

استاذن لي الصديق الكريم الخواجه يوسف غبريل اصحاب معمل ارمسترنج واصحاب معمل شوابي فاذنوا لنا في مشاهدة معمليهما بعد ان علموا ان غرضي علمي محض

فقصدنا المعمل الاول عند الضحى وكانت الشمس قد بدَّدت الغيوم من جو منشستر ومزَّقت دخان معاملها فصفا وجه السماء وسكنت مجاري الهواء وسارت بنا المركبة بين حراج غضاء تكتنف ما بني فيها من قصور الاغنياء الى ان لاحت لنا مداخن المعمل منتظمة متناسقة والدخان يصعد منها بعضهُ كثيف قاتم كالسحاب وبعضهُ لطيف دقيق كالضباب والمعمل بناء فسيح يشغل ثلاثين فداناً من الارض وفيهِ خمسة آلاف عامل . (ولارمسترنج معمل آخر في السويك في الجهة الشرقية من انكلترا اكبر من هذا كثيرًا يبلغ عدد عمالهِ احياناً اربعة وعشرين

الفاً فلا عائلة في اتساعهِ الأّ معمل كروب في المانيا وكلاهما فرسا رهان في المباراة بعمل المدافع)
فقابلنا مديرهُ الهمام المستر متيوس بالترحاب ومشى معنا ساعتين يرينا الاعمال كلها من اصغرها وادقها الى اكبرها وافخمها من الخطوط الدقيقة التي يكون منها الف خط في العقدة من صفحة الفولاذ الى المدافع الكبيرة التي طول المدفع منها ستون قدماً . ومن صفائح الفولاذ التي بولغ في صقلها حتى صارت تلتصق بعضها ببعض اذا وضعت احداها على الاخرى كأنها قطعة واحدة متصلة الدقائق الى صفائح البوارج التي ثقل الصفيحة منها اثنا عشر طنّاً فاكثر

ويمكنني ان اقسم هذا المعمل حسب انواع اعمالهِ الى اربعة اقسام

الاول قسم الامثلة والقوالب وفيهِ ترسم الآلات والادوات وتصنع لها امثلة من الخشب (ارانيك) حسب شكلها وتوضع في التراب الدقيق المجهَّز لهذه الغاية ثم تخرج منهُ فيبقى مكانها فارغاً ليصبَّ فيهِ ذوب الحديد او ذوب الفولاذ فيملأهُ ويجمد فيهِ ويخرج منهُ مسبوكاً حسب الشكل المراد ثم يخرط ويهذَّب كما سيجيء

وفي هذا القسم عدد عديد من المهندسين والرسَّامين والنجَّارين والخراطين وساحقي التراب وصانعي القوالب وكلٌّ منهم يعمل عملهُ الخاص بهِ فيجيءُ مكملاً لعمل غيرهِ كأنهُ عضوٌ من اعضاء جسم حي يعمل لحياة الجسم كلهِ

والثاني قسم الاتاتين حيث يصهر الحديد والفولاذ وتنصبُّ صهارتهما في المراجل الكبيرة انهاراً يخطف الابصار ضياؤُها وتشوي الابدان حرارتها . وقفت امامها عن كثب وسمعت زفيز نيرانها ورأيت تألق انوارها وقد بلغت حرارتها درجة البياض . وما اتون الفتيان ولا جحيم دانتي ولا بركان اتنا باشد هولاً من اتون تطرح فيهِ قناطير الحديد فتصهر صهراً ثم تتفجر انهاراً . وتصبُّ هذه الانهار في المراجل حتى اذا امتلأَت دارت بها روافع كالموازين وافرغتها في قوالبها الى ان تبرد وتجمد ثم تحمى ثانيةً وتطرَّق حتى تحتشك دقائقها حشكاً وتخرط بعد ذلك او تقشط وتصقل حسبما يراد ان يعمل منها

ولو اقتصرت هذه الاتاتين على حرق الفحم والحطب ما استطاعت ان تصهر هذه المقادير الكبيرة من الحديد بهذه السرعة ولكن في المعمل آلات بخارية قوية تدفع الهواء السخن وتزجهُ في الاتاتين فيزيد حرارة النار ويسهل عليها صهر الحديد

والثالث قسم المطارق والمحادل المائية التي اخترعها ارمسترنج وكانت سبب ثروتهِ وشهرتهِ. هناك رأينا العجب العجاب رأينا اعمدة من الحديد قطر العمود منها متر او اكثر وثقلهُ مئات من القناطير يحمى الى درجة البياض ويوضع على سندان وتنزل عليهِ مطرقة كبيرة

فتضغطهُ كأنهُ قرصة من العجين وكلما برد قليلاً أُعيد الى الاتون ثم ارجع الى تحت المطرقة. والآلة التي تتولى وضعهُ في الاتون واخراجهُ منهُ ووضعهُ تحت المطرقة وادارتهُ تحتها تفعل ذلك بالدقة التامة كأنها يد الحداد تدير قطعة من الحديد بلقط. ولا يزال يدار تحت المطرقة وهي تضغطهُ كذلك الى ان يدق ويندمج اندماجاً ويصير في الشكل المراد

والمحادل تعلو وتهبط وتدور يمنة ويسرة بالضغط المائي فتحمى الواح الحديد وتوضع تحتها فترقها رقاً. يكون طول اللوح منها مترين وعرضهُ مترين وسمكهُ نصف متر وثقلهُ عشرة اطنان او اثنا عشر طناً فترى اصابع من الحديد قطر الاصبع منها نحو نصف متر تعلو تحتهُ وترفعهُ وتنقلهُ من مكان الى آخر وتحركهُ من جهة الى اخرى كأنهُ قرص من الخبز تلعب بهِ باصابعك والمحادل الغليظة تنحدر اليهِ وتدور عليهِ حتى ترقهُ وتدمج دقائقهُ ويعاد الى الاتون فيحمى ثانية ويعاد رقهُ كذلك الى ان يصير في السماكة المطلوبة والاندماج المطلوب من غير ان تمد اليهِ يد عامل. ولو اجتمع كل عمال الارض ما استطاعوا ان يحركوا لوحاً من تلك الالواح ولا ان يلمسوهُ وهو كالنار المحتدمة. وغاية ما يفعلهُ العمال هناك انهم يحركون مفاتيح الآلات التي تحمي الالواح وتضغطها وترقها على ما تقدَّم

هذه هي الالواح التي تصفح بها البوارج فتقع عليها القنابل التي تمزق الصخور وتهدم الحصون فترتد عنها حاسرة لكن قنابل المدافع الحديثة قد تخرقها خرقاً كأنها من الخشب السخيف لا من الفولاذ الرزين

والمطارق والمحادل تتحرك بقوة الضغط المائي ولكن الماء لا يُدخل المضاغط باليد كما في المضاغط العادية بل بالكهربائية فان في المعمل الآت بخارية قوية جدًّا فتحوّل قوتها الى كهربائية وهي التي تحرك سائر الآلات وتديرها والعمال يساعدونها لا غير. والقوة البخارية آتية من حرارة الفحم الحجري ولولا مناجم الفحم ومناجم الحديد في البلاد الانكليزية ما تأصلت الصناعة فيها ولا نمت هذا النمو

والرابع قسم المخارط والمقاشط والمثاقب فترى المدفع الذي طولهُ ستون قدماً وثقلهُ ستون طناً مركباً في المخرطة يدور فيها ويخرط من طرف الى طرف كأنهُ قب الميزان يخرطهُ الخراط المصري او السوري بالقوس والوتر. ويثقب بالمثقب من فمهِ الى خزنتهِ كأنهُ ماسورة التدخين. وترى صفيحة الفولاذ التي ثقلها عشرات من الاطنان تجري تحت المقشطة او تجري المقشطة عليها فتفعل بها فعل الفارة بالخشب. ولا تسل عن الدقة في هذه الاعمال العظيمة فان الحديد يقشط ويجلى حتى يصير كالمرآة ويكون استواؤهُ تاماً حتى يلصق سطح

منهُ بسطح آخر ويتعذر فصلها ما لم يزلق احدهما عن الآخر

والمدافع الكبيرة التي تصنع هناك يلف عليها السلك الدقيق طاقاً فوق طاق ويدمج بعضهُ ببعض حتى تزيد متانتها ويصير انفجارها متعذراً . والاَّ فالقوة التي تدفع قنبلة ثقلها ٢٤ قنطاراً وتوصلها مسافة عشرين ميلاً لا يقوى على حفظها الحديد مهما كان صلباً ما لم يزنَّر باسلاك الصلب مراراً عديدة

ومديرو هذا المعمل يفتخرون بمتانة حديدهم فحالما دخلنا غرفة الاستقبال التفتوا الى قطعة كبيرة جداً من الحديد توضع في البواخر الكبيرة لتدير دفتها وقالوا لنا صنعنا هذه الركبة للباخرة الفلانية رديفاً منذ كذا وكذا من السنين حتى اذا انكسرت ركبتها كما يحدث عادةً اعطيناها هذه بدلاً منها وحتى الآن لم تتكسر ركبتها فبقيت هذه عندنا . وقبل ان خرجنا من المعمل ادخلونا الغرفة التي يمتحنون فيها صلابة الحديد وربطوا قضيباً غليظاً من الفولاذ من طرفيهِ ثم اداروا مضغطاً مائياً فجعل يشدُّ ذلك القضيب ويمطّهُ كما تمطّ "قضيب المعلل" الى ان انقطع فقاسوا بذلك متانتهُ الشديدة

وقد سألت المدير عن الممالك التي تناظرهم الآن في عمل مثل هذه المدافع والصنائع والآلات فقال ايطاليا واليابان وقد تمرَّن مديرو معاملها في معملنا وابتاعوا آلاتهم منَّا واعترف لليابانيين بالذكاء والمهارة

هذا ما وعتهُ الذاكرة . وقد ادهشتني سعة المعمل عن كتابة مذكرة بما كنت ارى فيهِ فلم احاول ان اصف للقارئ الكريم الاَّ ما بقي في ذهني من الاستغراب

معمل شوابي

عدنا من معمل ارمسترنج واسرعنا الى معمل شوابي خارج منشستر في بلد مجاور لها فرأينا مداخن المعامل تناطح السحاب كأن البلد كلهُ موقوف عليها لكثرة مياههِ وعن يسارنا غابة فسيحة لاهالي منشستر يخرجون اليها للنزهة والرياضة . ولقينا مدير المعمل فرحَّب بنا وسار من فورهِ يرينا اقسام معملهِ المختلفة وهو ابنية منفصلة كأنها بنيت في اوقات مختلفة حسب نمو العمل وتدار آلاتهُ بآلات بخارية كثيرة اكبرها آلة علو مدخنتها ٣٢٠ قدماً وهي اعلى مدخنة في تلك الجهات ولعلها من اعلى مداخن المعامل في الدنيا تقف امام قاعدتها فتظن نفسك امام برج عظيم ثم تلتفت الى رأسها فلا تكاد تراه كأن بناتها من نسل نمرود فبنوها برجاً يصلون بهِ الى السماء

ولقد كنت ارى المنسوجات المطبوعة بالوان مختلفة فاعجب بدقة رسمها وجمال الوانها

واعرف ان طبعها كذلك يقتضي تعباً كثيرًا لشدَّة ما يعانيهِ اصحاب المطابع في طبع الالوان المختلفة ولكن لم اكن انصوَّر مقدار التعب الذي يعانيهِ الرسَّامون والنقَّاشون في رسم تلك الاشكال على اساطين النحاس ونقشها عليها ولا الاساليب المختلفة التي استنبطوها لذلك · فالمتر الذي يباع بغرش او غرشين يشتغل في رسم رسومهِ ونقشها امهر الرسَّامين والنقاشين اياماً كثيرة · ولولا اتساع التجارة الانكليزيَّة وطبع الالوف والملايين من ذلك المتر لوجب ان يكون ثمنهُ جنيهات كثيرة · وان لمن الحماقة ان تحاول بلادٌ مباراة البلاد الانكليزيَّة في نسج المنسوجات وطبعها ما لم تكن لها تجارة واسعة مثلها

والاعمال هنا ثلاثة اقسام الرسم والحفر والطبع فالرسم يجري على اساليب مختلفة ترى البعض يرسمون الرسوم بايديهم على اساطين النحاس والبعض يرسمونها على الورق وينقلونها الى الاساطين والبعض يرسمونها على الاساطين بآلات تنقلها اليها نقلاً عن رسوم اخرى والبعض ينقلونها اليها بالفوتوغرافيا · والعبرة الكبرى ليست في الرسم بل في وضع جزء منهُ على هذه الاسطوانة وجزء على اسطوانة اخرى وجزء على ثالثة حسب الالوان التي يتركَّب منها الرسم · فاذا كان المراد طبع وردة حمراء غصنها اخضر واسديتها صفراء وشوك الغصن اسمر وكل من هذه الالوان الاربعة مؤلف من لونين مفتوح ومغلق فعلى الرسَّام ان يرسم اجزاء هذه الوردة على ثماني اساطين مختلفة ويحكم وضعها حتى اذا مرَّت تلك الاساطين على النسيج الواحدة بعد الاخرى وطبعت عليهِ ما عليها من الرسم باللون الخاص بها يكون من مجموع ذلك صورة الوردة من غير ان يقع لون منها على اللون الذي يحاذيهِ او يبعد عنهُ · وهل تدري المرأة التي تختار قماشاً رسومهُ نقط او خطوط اودوائر من لون واحد وتفضلهُ على قماش آخر رسومهُ عروق وازهار مختلفة الاشكال والالوان ان نفقات الرسوم الاولى لا تعد شيئاً مذكورًا بالنسبة الى نفقات الرسوم الثانية · ولكن النفقات الكثيرة لا تحسب شيئاً اذا كان المصنوع كثيرًا جدًّا. فاذا بلغت نفقات رسمٍ الف غرش وبيع منهُ مليونا متر اصاب المتر منها نصف مليم لاغير فلا شأن لهُ في ثمن ذلك المتر

هذا من حيث الرسم ودقتهُ اما الحفر فبعضهُ باقلام الفولاذ حسب الاسلوب القديم وبعضهُ بآلات دقيقة تحرك طبقاً لرسوم اخرى او لاشكال هندسيَّة وبعضهُ بالحوامض الكيماوية والاساطين من النحاس تسبك وتجلى في المعمل نفسهِ ومخازنهُ مملوءة بالقديم منها وهي مختلفة الاطوال والاقطار

والعملان المتقدمان اي الرسم والنقش تمهيد للعمل الثالث وهو طبع الالوان على

المنسوجات · ويتمّ في مطابع كبيرة تطبع بلون واحد او اثنين او ثلاثة او اربعة او اكثر حسب المراد · والمطابع كثيرة هناك تملأ غرفاً فسيحة فترى اساطينها تغوص في الاصباغ الملونة وتدور على النسيج فتطبع عليهِ ما هو مرسوم فيها من الاشكال · ومن مجموع ما على الاساطين كلها تتألف الاشكال والعروق والازهار التي ترى على المنسوجات القطنيَّة والصوفية والكتانية والحريريَّة من احمر وبرتقالي واصفر واخضر وازرق ونيلي وبنفسجي وفضي وذهبي · والفضي والذهبي لامعان كمعدنيهما اذا صقلا · ومن الاصباغ مواد كيماوية تجمد بتغيرها فتزيله او تغيره · والوان هذا المعمل من اثبت الالوان كلها وهذا سرُّ نجاحهِ

مكتبة ريلندس

ثم عدنا الى منشستر وانتقلنا من دار العمل الى دار العلم دخلنا مكتبة ريلندس فدهشت من فخامة البناء الذي بني لها وحسن انتساقهِ فانهُ مبني بالحجر الرملي الوردي اللون وقد اتُّبع فيهِ الاسلوب القوطي من اساليب البناء تتراءى بتجلى مثل افخر مباني العصور الوسطى في المدائن الاوربيَّة

وتمتاز هذه المكتبة على غيرها من المكاتب العمومية بكثرة ما فيها من الكتب التي طبعت قبل سنة ١٥٠١ فان فيها ٢٥٠٠ كتاب منها وتمتاز ايضاً بكثرة كتب الخط العربيَّة

اما الكتب المطبوعة فتبتدئ بما طبع عن صفائح منقوشة من الخشب قبل ان استعملت الحروف المقطوعة ويظهر منها كيف تدرَّجت الطباعة الى ان بلغت ما بلغتهُ الآن من الاتقان

والظاهر انهُ خطر لبعض الناس في القرون الوسطى ان يوزّعوا على الزوار والحجاج اوراقاً فيها صور وصلوات فاجتزوا عن نسخ نسخ كثيرة منها بنقشها على الخشب وطبع الورق بها بعد تحبيرها · والغريب ان اهالي اوربا لم يفعلوا ذلك قبل اوائل القرن الخامس عشر مع ان اهالي القطر المصري كانوا يطبعون على المنسوجات قبل ذلك بسنين كثيرة واهالي الصين كانوا يطبعون قبلهم بقرون · وكما تدرَّج الناس من الكتابة الصورية الى الكتابة بالحروف التي تدلُّ على الاصوات تدرجوا من الطبع بالصفائح الى الطبع بالحروف المقطعة · وفضل هذا الاستنباط تدَّعيهِ المانيا وفرنسا وهولندا لكن حجَّة المانيا اقوى من حجة غيرها · واول ما طبع بحروف مقطعة رسائل البابا نقولا الخامس طبعت سنة ١٤٥٤ ثم التوراة وقد بدئ بطبع اول نسخة منها سنة ١٤٥٨ وتمت سنة ١٤٦١ · واول كتاب ذكرت فيهِ سنة طبعهِ كتاب الزبور الذي طبع سنة ١٤٥٧ · والنسخ القديمة التي في هذه المكتبة كثيرة وثمينة جدًّا تباع النسخة منها بالوف من الجنيهات والذين صنعوا حروفها اتقنوها احسن اتقان وقد

طبعوا الكتب الدينية قبل غيرها ثم كتب الادب الشهيرة . وكانت الطباعة باللغة اللاتينية وبعد نحو مئة سنة صنعت الحروف العربية وطبع بها قانون ابن سينا برومية سنة ١٥٩٣ وهندسة اقليدس التي ترجمها نصير الدين الطوسي طبعت سنة ١٥٩٤ اي ان الاوربيين طبعوا كتب العلم العربية قبلنا بنحو ٢٥٠ سنة

اما المكتبة العربية فقد جمعها لورد كروفرد واضيفت الى هذه المكتبة وفيها عشرة الآف مجلد وبعضها من اندر كتب الخط العربية وهي لم تبوَّب حتى الآن ولا كان الدخول اليها مباحاً للجمهور لكن مديرها فتحها لي . واول كتاب وقعت يدي عليه نسخة من شرح المتنبي في مجلدين كبيرين بخط فارسي جميل . ولقد وددت ان اقيم هناك اياماً افتش عن الكنوز الثمينة المدفونة في تلك المكتبة ولكن كانت الشمس قد اذنت بالمغيب ولا ازال عاقداً النية على زيارتها في فرصة اخرى اذا فُسِح لي في الاجل

وفي هذه المكتبة اكثر من مئة الف مجلد ولها ريع واسع يكفي لنفقات حفظتها اوقفته ارملة المستر ريلندس تذكاراً لزوجها وفيها تماثيل كثيرين من المشاهير وفطاحل رجال العلم والادب من هوميروس الشاعر اليوناني الى دالتون الكيماوي الانكليزي

بين دجلة والفرات

بين أحناء دجلة والفرات	حيِّ البؤس فوق ارض موات
بعد ان كانت في القديم جناناً	باسقات الاشجار مشتبكات
ورياضاً انيقة وحياضاً	مترعات وانهراً جاريات
وبساتين فوقها الطير تشدو	بشجيّ الالحان والنغمات
ورياحين من جميع صنوف الـ	زهر تهدي روائحاً عطرات
فترى الناس ينسلون اليها	رتّعاً في مروجها الخضلات
فتحيي وجوههم نفحات الـ	طيب محمولة على النسمات
موقف للغرام في كل وجه	جامع للفتيان والفتيات
ولديه ملاعبٌ لظباء	حاليات كثيرة اللفتات
جنة عند جنة عند اخرى	هكذا يمتددنَ متصلات
تحتوي انواعاً من الزهر شتى	وتعي اصنافاً من الثمرات

ادخلوها يا اهلها بسلام وكلوا ما شئتم من الطيباتِ

...

غادرتها ايدي الزمان حجباً بعد تلك الرياض والجناتِ
من رأى الارض في العراق مواتا ذهبت ثمَّ نفسهُ حسراتِ
ان بين النهرين والارض تشقى لجنانًا تبدَّلت فلواتِ
حييت بالعمران دهرًا طويلاً ثمَّ ماتت من بعد تلك الحياة
كل كون فانهُ لفسادٍ كل جمع فانهُ لشتاتِ
اين انهارها التي كنَّ فيها جارياتٍ طلقًا على الجنباتِ
نهر عيسى وبيطرٍ ورُفيل ودجيلٍ وطابقٍ والصراةِ
ما رأينا كمثل دجلة سطرًا لو قرأنا صحائف الكائناتِ
لاولا كالفرات في الارض حاشا النيل نهرًا يفيض في ميقاتِ
دجلةٌ دجلةٌ فلم تتغير وكذاك الفرات عين الفراتِ
ما نضا الماء غير ان رجال العدل ماتوا في الاعصر الخالياتِ

...

قد سكنّا وليتنا ما سكنّا في بلادٍ كثيرة الازماتِ
في بلاد نُسام فيهنَّ خسفا ونطيل السكوت كالامواتِ
فكأن الاحرار فيها عبيد وكأن الاباة غير اباةِ
لهف نفسي على مبانٍ حسانٍ زارها الهادمون بعد البناةِ
ليت شعري حتّام نحن رقود في فراش النسيان والغفلاتِ
ارتقت سلّم التقدم ناسٌ ووقفنا في اسفل الدركاتِ
فخروا بالعلوم اذ رفعتهم وفخرنا بالاعظم النخراتِ
ركدت ريحكم ركودًا ثقيلاً فسكنتم والناس في الحركاتِ
كم الى كم شيوخكم في رقاد كم الى كم شبانكم في سباتِ
استعينوا كالغير بالعلم فيما نابكم فهو ينزع الكرباتِ
وهو كالماء يذهب الرجس عنا وهو كالنور يمحق الظلماتِ

...

ايها الجهل هل زمانك ماضٍ ايها العلم هل اوانك آتِ

قل لبغداد ما استطعت فتوحي واسعفيني بوابل العبرات
فسابكي قومي وابكي بلادي وقبور الآباء والامهات
ثم ابكي بحرقة ثم ابكي هكذا هكذا ليوم الممات

ابن العراق

ميزانية الحكومة المصرية

لسنة ١٩٠٨

جاء في المذكرة التي رفعتها اللجنة المالية الى مجلس النظار انها قدرت الايرادات لسنة ١٩٠٨ ١٥٠٣٠٠٠٠ جنيهاً مصرياً
والمصروفات ١٤٧٣٠٠٠٠ " "
فالزيادة في الايرادات ٠٠٣٠٠٠٠٠ " "

الايرادات

يزيد تقدير الايرادات سنة ١٩٠٨ عن تقديرها سنة ١٩٠٧ مبلغ ٢٩٠٠٠٠ جنيهاً مصرياً اكثرها من سكك الحديد والجمارك اي من زيادة الثروة العمومية . وينتظر حصول نقص في بعض انواع الايرادات يبلغ مجموعه ٦٢ الف جنيه مصري وهو خاص برسوم القيد وايرادات المحاكم الشرعية وايراد تشغيل النقود وغير ذلك كما انهُ حذف من تقدير ايرادات سنة ١٩٠٨ بابان من ابواب الايراد كانا مقدرين في ميزانية سنة ١٩٠٧ بمبلغ اجمالي قدرهُ ٢٧٥ الف جنيه مصري وهما بدل الخدمة العسكرية والايراد الناتج من بيع الاملاك الاميرية وبسبب هذا الحذف وذاك النقص يصبح صافي الزيادة في تقدير ايرادات سنة ٩٠٨ بالنسبة الى سنة ٩٠٧ مبلغ ٢٩٠ الف جنيه مصري فقط

اما ايراد بدل الخدمة العسكرية فسيقيد في حساب خصوصي ويستعمل لتحسين حالة الانفار المقترعين في الجيش والبوليس

اما الايراد الناتج من بيع الاملاك الاميرية فيضاف من الآن فصاعداً الى المال الاحتياطي العمومي

المصروفات

يتضح من مقارنة تقدير مصروفات سنة ٩٠٨ بتقدير مصروفات سنة ٩٠٧ ما يأتي

تقدير سنة ١٩٠٨	١٤٧٣٠٠٠٠ جنيه مصري
تقدير سنة ١٩٠٧	١٤٢٤٠٠٠٠ " "
زيادة في تقدير سنة ١٩٠٨	٠٤٩٠٠٠٠ " "

واهم الزيادات مبينة في ما يلي

نظارة المعارف العمومية

زيادة ٧٦٤٥٠ جنيهاً مصرياً وهي مخصصة لتوسيع نطاق التعليم في جميع فروعه وانشاء مدرسة القضاء الشرعي وتنظيم ادارة الزراعة والتعليم الصناعي وتحسين حالة الفقراء والعرفاء

نظارة الداخلية

(ديوان العموم والبوليس) زيادة ١٤٠٤٥ ج . م وهي ناشئة عن مصاريف البوستة وثمن الادوات المكتبية وعن تحسين حالة معاوني وضباط البوليس وجاوشية المدن وعن زيادة لاعتمادات المقررة للمصروفات المتنوعة بسبب ارتفاع اثمان الملبوسات واسعار الاغذية

(مصالح الصحة) زيادة ١٢٨٦٥ ج . م ومعظمها ناشيء عن ارتفاع اسعار الاغذية والتوريدات وعن مصاريف البوستة واتساع نطاق الاعمال في مصلحة الكنس والرش

(السجون) زيادة ٤٦٢١٠ ج . م منها مبلغ ٣٨٠٠٠ ج . م ناشيء عن ادراج الايرادات والمصروفات الخاصة باشغال المسجونين الصناعية في الميزانية العمومية والباقي من الزيادة ناشيء عن ارتفاع اسعار الاغذية

نظارة الحقانية

زيادة ٤٣٥٦٩ ج . م وهي ناشئة عن تحسين حالة القضاة الشرعيين وتجديد وظائف في المحاكم المختلطة وزيادة الاعتمادات المقررة للمصروفات المتنوعة وبنوع خاص اعتمادات المصاريف القضائية واجر النساخين

نظارة الاشغال العمومية

زيادة ٥٣٥٣٣ ج . م وهي ناشئة عن تنفيذ النظام الجديد لتعيين مرشحين مصريين في الوظائف العالية التنفيذية وعن اتساع الاعمال في ادارة الري والمدن والمباني وعن انشاء قومسيونات محلية وزيادة الاعانة الممنوحة لبعض القومسيونات الحالية

الخدمات المتنوعة

في مصروفات هذا الباب نقص يبلغ صافيهِ ١٣٧٤٦ ج٠م فقد حذف من ربط الخدمات المتنوعة الاعتماد الذي كان مقرراً للادوات المكتبية ووزع على مصالح الحكومة وانقص الاعتماد المخصص لتعديل الضرائب ومن جهة اخرى زيد مقدار الاعانة الممنوحة للجمعية الزراعية الخديوية ورتبت اعانة لجمعية الزهور التجارية وزيد الاعتماد المقرر لشراء القمح الخاص لفقراء مكة والمدينة وذلك بسبب ارتفاع اسعار هذا الصنف

الاقاليم والمحافظات

زيادة ٣٧٩٨٩ ج٠م وهي ناشئة عن مصاريف البوستة وثمن الادوات المكتبية المنقول اعتمادها من فصول اخرى بالميزانية وعن زيادة المبلغ الذي تدفعهُ الحكومة للخفراء وذلك لملاحظة الخطوط الحديدية وعن زيادة الماهيات في الدرجة الاخيرة من درجات المستخدمين

خفر السواحل

زيادة ١٣٣٣ ج٠م بسبب انشاء فرقة هجانة بمرسى مطروح وسيدي برافي وزيادة الاعتمادات المقررة للمصروفات المتنوعة وخصوصاً في ما يتعلق بمصاريف البوستة وثمن الادوات المكتبية

السكك الحديد والتلغرافات

زيادة ٢٦٤٠٩٥ ج٠م وهي ناشئة عن زيادة الايرادات فيتبعها زيادة مناسبة في المصروفات وعن ارتفاع اسعار الفحم وادراج نفقات نقل البضائع من المحطات بالميزانية وعن تقرير اعتماد في الميزانية للخطوط الفرعية في الوجه القبلي

البوستة

زيادة ٢٠٣٠٠ ج٠م وهي ناشئة عن اتساع نطاق الاعمال في هذه المصلحة

نظارة الحربية

زيادة ٤٨٨٠٢ ج٠م ومعظم هذه الزيادة ناشئ عن ارتفاع اسعار الاغذية والتوريدات والباقي ناشئ عن زيادة قوة العربان وعن تحسينات مختلفة الغرض منها سرعة تنقلات الجيش

تعديل درجات المستخدمين

اما الاعتماد البالغ قدرهُ ٧٢ الف جنيه المربوط في ميزانية سنة ٩٠٧ لتعديل درجات

المستخدمين ربط ايضاً في ميزانية سنة ٩٠٨ اجمالاً ولكن المنظور ان تنتهي مسألة تعديل الدرجات قريباً فيوزع هذا الاعتماد على مصالح الحكومة لتحسين حالة المستخدمين الداخلين في هيئة العمال

ابطال المعافاة من دفع رسوم البوستة

ان الاعتماد البالغ قدره ٣٥ الف جنيه المربوط في ميزانية سنة ١٩٠٧ تحت هذا العنوان قد وزع على مصالح الحكومة في ميزانية سنة ١٩٠٨

هذه خلاصة المذكرة التي رفعتها اللجنة المالية الى مجلس النظار فصادق عليها وخير ما فيها زيادة نفقات نظارة المعارف ٧٦٤٥٠ جنيهاً فان هذه الزيادة تساوي كل ما كان يربط لميزانية المعارف منذ بضع عشرة سنة وعليه زيدت وظيفة محرر اول في القلم الافرنكي راتبها ٤٨٠ جنيهاً ووظيفة مترجم راتبها ٣٣٦ جنيهاً ووظيفة مترجم اخرى راتبها من ١٩٢ الى ٢٤٠ جنيهاً ومترجمين راتب كل منهما من ١٤٤ الى ١٩٢ . وجعل روساء الاقلام ٧ بدلاً من ٨ ومساعدو تعليم الجماز ٢٤ بدلاً من ١٥

وانشئت وظيفة حكيمباشي بالقسم الطبي راتبها ٤٨٠ ج٠م والغيت وظيفة الحكيمباشي التي كانت مدرجة بين الموظفين الذين ليس لهم درجات براتب ٤٠٠ ج٠م واستبدلت بوظيفة حكيم راتبهُ ٢٠٠ ج٠م وزيد مفتشان في قسم التفتيش احدهما راتبهُ من ٦٠٠ الى ٨٠٠ ج٠م والثاني من ٤٢٠ الى ٥٤٠

وجعل راتب كل من نظار مدرسة الطب ومدرسة الحقوق ومدرسة المعلمين الناصرية ٩٠٠ ج٠م في العام وراتب كل من ناظر مدرسة المعلمين الخديوية ومدرسة القضاء الشرعي ٧٠٠ ج٠م في العام وزيد عدد المدرسين الذين راتبهم من ٦٠٠ الى ٨٠٠ ج٠م في قسم التعليم العالي من ١٠ الى ١٢ والذين راتبهم ٤٢٠ الى ٥٤٠ من ١٠ الى ١٣ والمساعدين الذين راتبهم من ٢٨٨ الى ٣٨٤ من ٩ الى ١٤ والذين راتبهم من ٩٢ الى ٢٤٠ من ١٠ الى ١٥

وجعل عدد المدرسين الذين راتبهم من ٤٢٠ الى ٥٤٠ في التعليم الثانوي ١١ بدلاً من ١٠ والذين راتبهم من ٢٨٨ الى ٣٨٤ ٩٠ بدلاً من ٨٣ والذين راتبهم من ١٩٢ الى ٢٤٠ ١١ بدلاً من ١٣

وزيد ناظر في التعليم الابتدائي راتبهُ من ٢٨٨ الى ٣٨٤ بدلاً من ناظر راتبهُ من ١٩٢ الى ٢٤٠

وجعل عدد المدرسين الذين راتبهم من ١٩٢ الى ٢٤٠ ١٨ بدلاً من ١٥ والذين راتبهم

من ١٤٤ الى ١٩٢ ٦٥ بدلاً من ٥٥ والذين راتبهم من ٧٢ الى ١٢٠ ١٨ بدلاً من ٣٠٨

وانشئت وظيفة وكيلة في قسم تعليم البنات راتبها ٣٣٦ ج ٠ م

وانشئت وظيفة ناظر للكتاتيب راتبها ٢١٦ ج ٠ م وجعل عدد المدرسين الذين راتبهم من ١٤٤ الى ١٩٢ ج ٠ م ٥ بدلاً من واحد

وأُلفت ادارة الزراعة والتعليم الصناعي العمومية من ناظر راتبهُ ١٧٥٠ ج ٠ م ومفتش راتبهُ ٥٠٠ ج ٠ م ومفتش آخر راتبهُ ٤٠٠ ج ٠ م

وجعل راتب ناظر مدرسة المهندسخانة ٩٠٠ ج ٠ م وناظر مدرسة الزراعة ٩٠٠ ج ٠ م

وأُنشئت ورشة صناعية لاسيوط وورشة للعاصمة وعين لها مديران راتب كل منهما ٦٠٠ ج ٠ م في العام و ١٠ رؤساء مجموع رواتبهم ٢٩٨٨ ج ٠ م ورسامان وضابطان ونحو ٦٠ معلماً للاشغال ٠ وزيدت مصروفات الرسالة المصرية باوربا من ٩٠٠ ج ٠ م الى ٤٩٧٧ ج ٠ م ومرتبات التلامذة من ٤٧٠٠ الى ٨١٠٠ ج ٠ م وثمن التعيينات من ٢٤٦٦٨ الى ٣٢١٠٠ ج ٠ م والمكافآت المتنوعة من ١٤٩٠ الى ٢٤٠٠ ج ٠ م وعين ٧٠٠ ج ٠ م للادوات العلمية الجديدة والتحصلات الكيماوية للمعامل و ٢٠٠ ج ٠ م للاشغال اليدوية

واهم ما في ذلك اولاً ان اساتذة المدارس يزاد عددهم خمسين استاذاً ومعلوم ان الخمسين يستطيعون ان يعلموا الف تلميذ الى الفين

ثانياً تأليف ادارة الزراعة والتعليم الصناعي وانشاء ورشة صناعيَّة لاسيوط وورشة للعاصمة يكون فيهما مديران و ١٠ رؤساء ونحو ستين معلماً

ثالثاً زيادة نفقات الرسالة المصرية من ٩٠٠ جنيه الى ٤٩٧٧ جنيهاً وزيادة المكافآت من ١٤٩٠ جنيهاً الى ٢٤٠٠ جنيه

ولذلك ينتظر ان يزيد نفع نظارة المعارف في العام المقبل زيادة كبيرة ٠ وعسى ان تتوالى زيادة ميزانيتها على هذه النسبة سنة فسنة وان يزيد عدد المدرسين والتلاميذ على نسبة اعظم جداً لكي تصل البلاد بعد عهد قريب الى درجة من انتشار التعليم العمومي تماثل ما وصلت اليهِ البلدان التي سبقتنا في هذا المضمار

ومها اهتمت الحكومة في نشر التعليم لا تبلغ الغاية المطلوبة ما لم تساعدها الامة وتبذل اقصى جهدها في تعليم ابنائها وبناتها

كيف تصير قويًّا

٢

لا مشاحة في ان افضل ما يحرزهُ المرء في معترك الحياة عضلات قوية تؤَهلهُ للقيام باعمالهِ وقضاء مهامهِ . ولقد توهَّم قوم ان الرياضة البدنية لا مزيَّة لها الاَّ انها تنمي العضلات فتتماسك وتقوى وفاتهم انها تصلح معايب في المرء لم يكن يحلم ان طبيباً يستطيع اصلاحها . فالذين يحمعون في مشيهم ويتهادون يساراً ويميناً لا يكون ذلك ناشئاً عن علة متأصلة في اجسامهم او نقص في اعضائهم وانما هو وهن في عضلاتهم لعدم تمرينها فتعجز عن القيام بوظائفها وتفقدهم الرشاقة والخفة والرونق في مشيهم ووقوفهم وقعودهم اذ الرياضة القانونية تصلح الاكتاف فتمنع هبوطها واستدارتها وتوسع الصدر فتبرزهُ وتقوّم الظهر فتعتدل القامة . ثم ان العيوب التي مرَّ ذكرها قد تكون ناشئة عن ان الاعضاء الداخلية مقصرة في اداء وظائفها مخلة في نظامها ولاسيما الرئتين فانهما لا تعالجان الاَّ بالرياضة فتقويان رغد العيش وطالت الحياة

ويخطئُ من يتوهم ان الرياضة القانونية لا تنفع الاَّ الاحداث فقد ظهر بالتجارب انها لا تنفع الاحداث فقط بل تنفع الذين تجاوزوا منتصف العمر حتى الشيوخ والسبب في ذلك انها تجعل عضلات الجسم قادرة على حفظ العظام في مراكزها فاذا ضعفت ارتخت وارتخت معها عدة اعضاء. يُعتبر ذلك بهبوط الاكتاف وانحنائها الى الامام مع ان وظيفة العضلات ان تحفظها في مراكزها راجعة الى الوراء واذا كانت اضلاع الصدر مرتخية ضغطت على الرئتين فضاق الصدر وصعب التنفس

على ان كل ما قلناهُ عن منافع الرياضة لا يعدُّ شيئاً مذكوراً في جانب ما تحدثهُ في الاعضاء الداخلية فانها تزيد القلب والرئتين حركة وعملاً فالعدو والتصعيد في الجبال مثلاً يضاعفان ضربان القلب ويسرعان التنفس اضعافاً ويدخلان الى الرئتين مقداراً كبيراً من الهواء فيسري الى شعب دقيقة فيهما لا يبلغها بالتنفس العادي . فهذا الضرب من الرياضة يوسع الشعب فتقوى الرئتان والقلب معاً . ومن القواعد المعروفة طبيًّا انهُ كلما زاد ضربان القلب زاد مقدار الدم الذي يوزَّع في الجسم فيتم بذلك النمو والتجدد الحيوي ويسهل افراز الفضلات ويزيد ايضاً مقدار الاكسجين او العنصر الذي ينقي الدم ويطهر خلايا

الجسم فتتجدد قوى الدماغ لانهُ ينقى من الفضلات والنفايات بما يسري اليهِ من الدم النقي وكذلك الكبد فانها تزيد في الافراز من الصفراء اللازمة للهضم وتفرز المعدة ايضاً عصاراتها فتزيد الشهية الى الطعام ويتناولهُ الآكل مريئاً

فيتضح مما تقدم ان كل جزء في الجسم تكسبهُ الرياضة قوة ونشاطاً فيقوم بالوظيفة التي خصَّ بها ولذلك اجمع الخبيرون على ان من يتعود الرياضة ويشعر بمنافعها يتعذر عليهِ تركها والعود الى ما كان عليهِ من الخمول والكسل

⁂

يتجلَّى لنا الآن امر خليقٌ بالاعتبار نظرًا الى العصر الذي نحن فيهِ عصر التباري والتنازع فان ضياع بضع ثوانٍ او دقائق يضيع المستقبل او يفقد الحياة اذا لم يكن الجسم قويًا خفيفاً . هنا رجل مشرف على الغرق وهناك قطار تريد اللحاق بهِ وهنالك رجل احدق بهِ الخطر من نار تكاد تمد عنقها اليهِ فاذا كنت متعوداً الرياضة القانونية استطعت تخليص الغريق وادراك القطار وتنجية الثالث من خطر النار

ولرب معترضٍ يقول ان من الناس مَن يقع ميتاً اذا اجهد نفسهُ بالجري فتكون الرياضة آفة على مستعملها والجواب ان موت هذا الرجل لم يكن الأ لضعفٍ في قلبهِ وسبب الضعف انهُ لم يعتدَ الرياضة فوهن قلبهُ ولم يعد يستطيع القيام بعمل شاق كالجري وكان الواجب ان يقوم قلبهُ بعملهِ كسائر اعضاء الجسم سواءٌ كان الجسم هادئاً او في اشد حركة فاذا رمت ان تعرف قوة قلب رجل لم يعتد الرياضة اوضعفهُ فجس نبضهُ وهو ساكن مستريح ودعهُ يصعد سلماً وينزل عليها مسرعاً مرة او مرتين وعدَّ بعد ذلك ضربات نبضهِ تجد انها زادت عن المعتاد من ثلاثين الى خمسين ضربة في الدقيقة ولكن الذي اعتاد الرياضة لا تزيد ضربات نبضهِ اكثر من عشرٍ او خمس عشرة ضربة في الدقيقة . فصعود السلم والنزول عليها طريق يتسنى بها لكل واحد ان يختبر قوة قلبهِ وان يرى الفرق العظيم في اثناء ترويض جسمهِ بنقص ضربات نبضهِ

ومن اشد ما اصيب بهِ رجال عصرنا عصر التنعم والترف ان الواحد منهم لا يبلغ منتصف عمرهِ حتى تراهُ غير قادر ان يعدو قيد ميلٍ واحد بغير ان يقع في خطر او يشعر بتعب شديد في رجليهِ وضيق في صدرهِ يوهمهُ ان الموت ادنى اليهِ من الحياة . مع ان الواجب عليهِ ان يعدو ميلين او ثلاثة اميال على معدل ثمانية اميال في الساعة ولا يشعر بتعب او اقل انزعاج

ومن العادات المتبعة استعمال اليد اليمنى دون اليسرى فتقوى تلك وتضعف هذه وكثيراً ما تكون الرجل اليمنى اكبر قليلاً من الرجل اليسرى لانها اكثر استعمالاً فينشأ عن ذلك ان الجانب الايمن يصير اقوى واشد احتمالاً من الجانب الايسر فتتقوس سلسلة الظهر الى جهة اليسار ويهبط الكتف اليمنى . ففي كل اربعة اشخاص لا يوجد الا واحد سليماً من هذا العيب ولكن الرياضة القانونية تصلحهُ وتجعل لليدين متناسبتي القوة في العمل فاذا فقد معتاد الرياضة يمناهُ لم يتعسر عليهِ العمل بيسراهُ واذا اصابت يمناهُ آفة او تعبت من العمل اراحها واستعمل يسراهُ بدلاً منها

***

كل عضوٍ يتحرك في الجسم انما يتحرك منقاداً لفاعلٍ في الدماغ يصل اليهِ بشعبة من الاعصاب فترويض العضلات ترويض للاعصاب والدماغ وبعبارة اخرى ان الاعصاب تشتد وتقوى والدماغ تتجدد قواهُ وينمو ويزيد اقتداراً على العمل وهذا هو السبب في كون الرياضة تجعل المرء ثابت الجأش ذا ارادة وتوازن عقلي وخاطر سريع متأهباً مستعداً لان يذلل الصعاب فتنقاد اليهِ صاغرة . فهي ولا خلاف في الاستدلال خير علاج لذوي الاشغال العقلية وسائر الذين تستدعي اعمالهم توارد الدم الى ادمغتهم فاستعمالها امر واجب وضربة لازب لطلبة العلم والمهندسين والكتاب . وما عجز الطلبة عن اتمام دروسهم او اصابتهم الامراض بعيد اتمامها الا لكونهم في الغالب قد اهملوا الرياضة البدنية . ومثل هذا يقال عن الذين يصابون بعجز فجائي من ذوي الاشغال العقلية كالمشترعين والاساتذة فقد كان في استطاعتهم درء الفواجىء لو راضوا ابدانهم

ولا يخفى ان الدماغ يتهيج اذا توارد الدم اليهِ عند الافراط بالاشغال العقلية فيصير صاحبهُ ميالاً الى اعطاء النفس هواها ولكن هنالك امراً يجب ان لا نتناساهُ وهو ان الرياضة تجعل المرء ينام مستريحاً ساكن البال هادئاً فراحتهُ هذه ترد اليهِ قوتهُ العقلية وتسلطهُ على ارادتهِ . اعتبر ذلك في القبائل الهمج الذين يعيشون على الصيد والقنص واكل الحشائش القليلة الغذاء فان اتباعهم لاهوائهم اقل كثيراً من الذين يعيشون مترفين متنعمين فلهذا يجدر بالوالدين والمعلمين ان يعوّدوا الصغار الرياضة البدنية ولا سيما في هذا العصر الذي زاد فيهِ الميل الى اتباع الاهواء وكان اتباعها والانصياع لها نقطة سوداء في صحيفة القرن العشرين الذي بلغ العلم فيهِ قمة مجدهِ واوج رفعتهِ . ويقول ربانو السفن انهُ اذا قلَّ العمل على البحّارة مالوا الى التمرُّد فلذلك لا يتركونهم بلا عمل ولو جلوا الادوات الحديدية

قوانين الرياضة

(١) الرياضة القانونية ذات المنفعة الحقيقية هي التي تتحرك بها كل عضلات الجسم حركات طبيعية معتدلة منتظمة

(٢) يشترط في الرياضة ان تكون مطردة ونعني بذلك مخالفة ما يتبعهُ اصحاب الاعمال فانهم يقضون اسبوعًا او اسبوعين في الصيد مرة في العام او يمشون مسافة طويلة مرة في الشهر وما شاكل ذلك مما يؤلم العضلات او ييبسها بدلاً من ان يقويها فيقل الميل الى الرياضة فالواجب استعمالها كل يوم لان العضلات تفتقر اليها افتقار الجسم الى التغذية ·ومن يحاول ترويض جسمه في يوم عطلة ما يغنيه عن ترويضهِ شهرًا مثلهُ مثل من يحاول اكل غذاء شهر في يوم واحد فلذلك يجب الترويض كل يوم والاحسن ان يكون في ساعة معينة

(٣) ان انفع الاوقات للرياضة الساعة العاشرة صباحًا والذين تمنعهم اشغالهم عن ذلك فليختاروا ساعة معينة من نهارهم فينالوا الفائدة المرومة . ولكن يشترط على ضعاف البنية ان لا يروضوا اجسامهم مدة طويلة قبل طعام الصباح · لان المصابين بسوء الهضم اذا مشوا مسافات شاسعة قبيل طعام الصباح قد يغمى عليهم او يشعرون بقلة القابلية للاكل وضعف في الهضم فيجب والحالة هذه قسمة وقت الرياضة بجعلهِ نصف ساعة قبل الفطور ونصف ساعة قبل النوم

(٤) من الحكمة والصواب في اعتياد الرياضة ان لا تكون عنيفة متعبة في بادىء الامر ولا سيما اذا مارسها ذوو العضلات الضعيفة فان كثيرًا من الناس يبدأون الرياضة بعنف فتضعف عزيمتهم وتثبط همتهم لما يصابون بهِ من الألم والتيبس في عضلاتهم فيتركونها وشأنها فالواجب اذًا استعمال الرياضة استعمالاً قانونيًا ونعني بذلك ان يتدرج بهِ تدرجًا كمن يصعد سلمًا فيجد الصعب في نهاية الامر سهلاً وسبب ذلك ان العضلات تحتاج الى زمن كافٍ لانمائها وتقويتها

حكي ان احد الرومانيين القدماء بدأ يحمل عجلاً على اكتافهِ ويطوف بهِ حول مرسح الالعاب وظل يحملهُ كل يوم وكان كلما كبر العجل وزاد وزنهُ قويت عضلات حاملهِ حتى اتت على الرجل ايام كان الناس ينظرون اليهِ معجبين بقوتهِ لانهم يرونهُ حاملاً ثورًا ضخمًا يطوف بهِ كأنهُ يحمل عجلاً صغيرًا

ستأتي البقية رحمه صروف

التاريخ امس واليوم

قلّب ما شئت من كتب التاريخ المكتوب قديماً من كل امةٍ تحت الشمس روت عن الماضي خبراً كاليونان ابناء الفلسفة والرومان اخوان الشرائع والعرب وارثي الحضارة فانك لا تكاد تجد من كتبهم في التاريخ ما يخلق بهِ ان يسمى تاريخاً لان كتّاب اولئك المؤلفات اليونانية والرومانية وفي صدرهم المنعوت ابا التاريخ لم يطمحوا انهم يدوّنون علماً ولكنهم كتبوا كأنهم يؤلفون كتباً يخلبون الالباب ببلاغتها ويزينون بها بعض الفضائل وينحون منحًى سياسياً فلما نبغ كتبة الاسلام لم يخرجوا عن مناهجهم وتابعهم فيهِ مؤرخو العصور الوسطى فالحديثة

ومعظم ما تهافتت عليهِ اقلامهم المبالغة في سرد الوقائع والغلو في الوصف والقصور عن الاحاطة بالاخبار فبعدت بذلك تواريخهم عن الحقيقة لانهم لم يتقصدوها وما زال هذا حال التاريخ لا يكاد يكون لهُ شأن مذكور بين العلوم والفنون الى القرن التاسع عشر حين نهض بعض الجهابذة فصيّروهُ علماً قائماً بذاتهِ تخرج عن كونهِ وقائع مسرودة خاليةً من الفائدة العمليَّة الى حقائق سياسيَّة واجتماعيَّة ذات علاقةٍ بالآداب والمؤثرات الاقتصاديَّة والمواقع الجغرافية وخصائص الامم

فاصبح التاريخ من العلوم التي يتلقاها الطلبة في المدارس ووضعت في اصولهِ الكتب الموثوقة ونهض للكتابة فيهِ رجال العلم فلم ينصرفوا الى تسطير الوقائع الحادثة في ايامهم فقط بل عادوا الى ما تداولتهُ الايدي من تواريخ الاقدمين وقرأُوها واتخذوا من وقائعها مصدراً جروا في اثباتهِ وتحقيقهِ على قواعد ابتدعوها فكان نتاج بحثهم تاريخاً جديداً للازمنة القديمة

واتفق جمهورهم على ان علم التاريخ انما هو سيرة البشر وان كتبهُ ضربان ضرب يسرد الحقائق الثابتة سرداً وضرب يبحث في تجريح تلك الحوادث لمطابقتها على طبيعة العمران فيستخرج منها احكاماً ادبية وفلسفية وسياسية. وهذا الضرب الثاني اهم كتب التاريخ لان تجريح الروايات اي فحصها وتمييز صحيحها من فاسدها على نسقٍ علمي واظهار اعمال الرجال المذكورين والتنويه بما في تلك الاعمال من الحسن والقبيح وبيان الذرائع التي توصلت بها الامم الى ذروة نجاحها او انحطت الى دركات تأخرها والبحث في السنن والشرائع وتأثيرها على المجتمع في كل طورٍ من اطوارهِ كل ذلك من المباحث المفيدة للناس والمثقفة للاذهان ومذ اعتمد الباحثون هذه الحقائق تقمصت كتب التاريخ من المنفعة واللذة ثوباً قشيباً

وغرض التخريج التاريخي بيان الحقائق مجرّدةً عما يلابسها من الاكاذيب والاوهام . واصوله علميّة تقتضي اطلاعاً واسعاً على كثيرٍ من العلوم والفنون اذ يتعذر على من لم يكن ضليعاً ان يصل ببحثهِ الى نتيجةٍ صحيحة ولذلك يعتاص تأليف التاريخ لهذا العهد على كثيرين من الكتّاب الذين لا يستعدون له استعداداً كافياً

وحسبك ان على المؤرخ ان يتمكن كل التمكن من علم المنطق وان يعتمد فيهِ على النسق الافرنجي الحديث لتحقيق قضايا التاريخ لاسيما الشهادة بضروبها فان سبرها يجب ان يكون دقيقاً . ويعتمد في ذلك على اساليب شتى منها مطابقة الروايات فانك اذا اشتبهت مثلاً بروايةٍ وردت في احد التواريخ تعيّن عليك ان تقرأ كتاباً آخر فان وجدتها واردةً فيهِ ولم يكن في راويها مظنة النقل عن الكتاب الاول فقد وقعت المطابقة . اعتبر ذلك بما ورد في التوراة من ان الكلدان من سلالة كوش اي انهم حاميون والحال ان بعضهم ارتاب في صحة هذه النسبة لظنهم ان الكلدان والاشوريين من اصلٍ واحد هو الساميّ فعاد المشككون الى قراءة التواريخ القديمة المأثورة عن بيروسوس و بوليهستور واوسيبيوس الارمني وديودورس الصقلي وغيرهم فوجدوا اقوالاً تؤيد حاميّة الاصل الكلداني بتفرقتهم بين الجنسين الكلداني والاشوري فرجحت عندهم صحة رواية التوراة

الأ ان هذه المطابقة قد يعتورها عند مقابلة الروايات شيء من الاختلاف في مؤداها فيعدل في اعتبارها الى التخريج واقتراب احد القولين من الممكن وقوع مثلهِ عادةً فيرجح . مثال ذلك ما استفدناهُ من الرواية المأثورة قبيل هذا عن حاميّة الكلدان فان المشككين انما اعتمدوا رواية هيرودوتس القائل ان نينوس مؤسس نينوى عاصمة الاشوريين هو ابن بعلوس جد الكلدان فكأنهُ جزم بوحدة الاصل في الامتين . لكن الثقات من المحققين رأوا روايات المؤرخين الاخرين لا تدل على تلك الوحدة بل تعتبر كلاًّ من الامتين منفصلةً عن الاخرى وان هيرودوتس المعتمد مصدراً للريب هو نفسهُ قال في موضعٍ اخر من تاريخهِ عند ذكرهِ جيش زركيس الفارسي والامم السائرة تحت لوائهِ انهُ يذكر الكلدان والاشوريين كلاًّ لوحدهِ . رأى المحققون ذلك فرجحوا القول بحامية الكلدان وسامية الاشوريين

ومن ضروب الشهادة التاريخية ايضاً التقليد وهو الحديث الشفاهي ترويهِ الالسنة شعراً او حكايةً وهو لا يعتمد كثيراً الاّ اذا بلغ حد التواتر ولم يكن مؤداهُ مخالفاً للمألوف . مثال ذلك ما عُرف من حديث امين بك المملوك المصري وكيف انهُ وثب بفرسهِ من قلعة مصر يوم قتل المماليك وانهُ قبل ان يصل الى الارض رمى بنفسهِ عن جوادهِ فسلم وفرّ

هارباً فهذه الرواية تداولها الناس في مصر وسوريا الاَّ ان بعض كتابنا لم يحفل بها لانها لم ترد في التواريخ المعاصرة والحال ان الحادث مستفيض بين الناس بحيث بلغ حد التواتر. فضلاً عن انهُ ورد في بعض النصوص الصحيحة ان امين بك اتجه بعد فرارهِ صوب دار السعادة ودخل في خدمة الدولة العثمانية ونال الولاية على طرابلس الشام سنة ١٨٢٢ مع رتبة المير ميران فهدانا هذا الى البحث والتحقيق وعثرنا على كتاب مخطوط في مكتبة المدرسة الكلية الانجيلية في بيروت لفاضل مشهور بين كتابنا هو المرحوم نوفل نوفل الطرابلسي الذي ذكر امين باشا في جملة من تولى طرابلس. فثبت لنا من ذلك صدق جزء من الرواية وبعثنا نبحث في طرابلس بين شيوخها ولدى سؤال المرحوم نقولا بك نوفل من افاضل اعيانها عن الرجل اجاب انهُ سمع من غير واحد من شيوخ عائلتهِ ان امين باشا كان يحدثهم بالواقعة وكيف وثب بحصانهِ من فوق جدار القلعة. وبالبحث في الموضع المشار اليهِ من ذلك الجدار يتبين ان العلو لم يكن شاهقاً. ونحن نعلم ان وثوب الرجل بجوادهِ من فوق الجدار ثم وثوبهُ من على ظهر الجواد قبل بلوغهِ الارض يجعل مسافة الوثوب كأَنها من الموضع الذي ترك فيهِ ظهر جوادهِ فان صح القول ببقاء الانسان مالكاً رشدهُ محافظاً على وعيهِ في ساعة الخطر لا يبقى من غبار على الرواية لانها ممكنة الوقوع ويرجح قبولها لبلوغها حد التواتر فضلاً عن ثبوت بعض اجزائها.

ثم ان في سبيل قبول الشهادة التاريخيَّة صعاباً اهمها الوثوق بحال الشاهد فرداً كان او جماعةً وهذا الوثوق يتناول السلامة من الغرض او الكذب او الجهل فان كلاًّ منها قد ينحرف بالقول عن جادة التصديق فالقاعدة العامة التي يجب الانتباه اليها في التاريخ هي التدقيق في موضع الرواة من الابتعاد عن الخلال الثلاث التي ذكرت. اعتبر ذلك في رواية امين بك نفسها فان تجريحها يدل على احد امرين اما ان الناس يومئذٍ استعظموا نجاتهُ من مجزرة القلعة فاخترع المعجبون بهِ الرواية واشاعوها في سوريا ومصر كذباً او غرضاً او جهلاً بالصحيح الواقعي منها او ان الرجل لما نجا اشاع ذلك بين ذويهِ ومريديهِ كذباً وتفاخراً.. هذا من حيث التقليد المأثور شفاهاً واما الروايات المكتتبة فالمثال منها نعود بهِ الى هيرودوتس فان من جملة ما آخذهُ بهِ المحققون في وحدة الاصل بين الكلدان والاشوريين انهُ لم يكن ضليعاً بمعرفة التاريخ القديم واستشهدوا على صحة قولهم بجهلهِ احوال امتهِ القديمة اذ يطلق على اهل البلوبنيس اسم الدوريين وذلك قبل ان اغار الدوريون على ذلك القطر واذ يقول عن اثينا في زمن وفد كراسوس انها كانت ثانية مدائن اليونان وهي لم تكن كذلك. وبهذين

المثلين اثبتوا لهُ جهل التاريخ القديم لان من يجهل ماضي تاريخ قومهِ لا يؤخذ بقولهِ في ماضي غيرهم

ثم ان من شبهات المؤرخين ان يكون واحدهم نقل خبراً فرواهُ غيرهُ عنهُ وتداولتهُ بعد ذلك الاقلام في عصورٍ متطاولة والخبر المأثور يكون في اصلهِ محتملاً للصدق والكذب فمثل هذا النقل المسلسل لا يعتبر عند النقدة صالحاً للتطبيق والتصديق

ومن الاصول المنطقية التي تعتمد في التاريخ الاستقراء والتمثيل والقياس فاما الاستقراء فهو استنتاج احكام عامة من مشاهدات خاصة واركانهُ اربعة الملاحظة والفرض والاستنتاج والامتحان ومثالهُ في التاريخ لو قرأنا في تاريخ مختصر ان اسكندر المكدوني مات في بابل ولم يذكر سبب موتهِ لحسبنا خبر الموت ملاحظةً وفرضنا انهُ مات في حرب او مسموماً او حتف انفهِ . ثم اذا انعمنا النظر في حالة ذلك الزمن فوجدنا ان بابل كانت في حوزتهِ وان اهليها كانوا خالدين الى طاعتهِ بحيث لم يقع فيها او في جوارها حرب او قتال لانتفى الظن بانهُ راح قتيلاً . واما موتهُ بالسم فنفرض لهُ فرضين الاول انهُ تجرعهُ من تلقاء ارادتهِ قصد الانتحار بهِ ولكننا نرى في شؤونهِ من العزة والصولة واستفحال الملك ونيل اماني النفس الكبيرة وعقدهِ العزيمة على اعمال اخرى مجيدة كل ذلك لا يبقي لظن الانتحار مجالاً فنعود الى الفرض الثاني وهو ان السم دُس لهُ خلسة بيد اثيمة تريد اغتيالهُ فنرى ان بطانة الاسكندر كانت تحبهُ حباً يقرب من العبادة اذ اغدق عليهم النعم وبهِ ظهرت مفاخرهم واليهِ تنتهي عزتهم واما الناقمون عليهِ منهم فلا يخال اقدامهم على الفظيعة لئلاً يتصل بهِ سر نجواهم فيعود سعيهم مردوداً عليهم بالنكال فينتفي هذا الفرض ايضاً ولا يبقى الا القول بموتهِ حتف انفهِ . هذا هو الاستقراء وميزانهُ الامتحان وبهِ يظهر صدق النتيجة

ولا يقتصر الاستقراء على اظهار النتائج الجزئية فقط بل يكشف ايضاً النواميس العامة التي تستولي على الكون فاذا قرأت مثلاً ان الماديين قبل اغارتهم على بابل كانوا في حال الفطرة الساذجة والخشونة وانهم بعد غلبهم على القوم وفتح عاصمتهم انغمسوا في نعيم العيش والترف فاثر ذلك في اخلاقهم وعاداتهم اذ انقلبوا من اقدام الفطري وجرأتهِ الى سكينة الحضري ودعتهِ فاضاعوا مزيتهم الحربية فصولتهم فالسيادة التي احرزوها بقوة سيوفهم — متى عرفنا ذلك حكمنا بالاستقراء باستنتاج ناموسٍ عام نرى لهُ في حوادث التاريخ اشباهاً وهو ان الترف مفسدة الاخلاق وطليعة الاضمحلال

اما التمثيل فمبنيٌّ على قاعدةٍ طبيعيةٍ هي ان الاسباب المتشابهة تنتج نتائج متشابهة فاذا

ورد في التاريخ ان امةً ضاقت بها ارضها فهاجرت ثم رأينا امةً اخرى بليت بارزاء تلك حكمنا بمهاجرة هذه الامة ايضاً

الأَّ ان السبيل لصحة التمثيل عسيرٌ لانهُ يقتضي لمن يعمل بهِ ان يكون واسع الاطلاع ليستطيع المقابلة التامة بين ظروف الحالين ليصح حكم التمثيل بينهما فان لم يكن المؤرخ مطلعاً جاء حكمهُ زائغاً لان الاختلاف القليل في احد الظروف ربما كان بذاتهِ كافياً لاحداث نتائج تخالف النتائج الاخرى فيفسد القياس

فالمثال التاريخي على وحدة الظروف الاَّ قليلاً ان الهكسوس المعروفين بملوك الرعاة اكتسحوا مصر وغلبوها على السيادة في معظم ارجائها وكانوا كثار الجند فدانت لهم البلاد لكنهم لم يملكوا عواطف المغلوبين بل ظلوا يحسبونهم غرباء عنهم في الدين والجنس واللغة مع ان الغالبين اصطبغوا بصبغتهم وتعلموا لغتهم وعلومهم وطال بهم عهد السيادة في وادي النيل ثم ناهضهم بعض الامراء المصريين وحاربوهم وظفروا بهم وطردوهم فرجعت مصر بعد فوز امرائها كأن لم تكن خاضعةً للاجنبي . هذا حال مصر . وبعد قرون وقع شبهٌ قريب مثلهُ في بريطانيا . فان اهليها كانوا مستقلين بزعامة امرائهم الوطنيين لكنهم كانوا في حال الجاهلية فجاءهم الرومان وغلبوهم على اطراف جزيرتهم وملكوا بعض ارجائها ومصَّروها على نهجهم الروماني وشرعوا يذودون عن حياض تملكهم بقوة حاميتهم وبقي الامراء الوطنيون على استقلالهم في الداخلية . فوجوه الشبه بين الحادثين ان المصريين والبريطانيين غُلبوا على بلادهم فملك الفاتح بعض اطرافها وظلَّ الوطنيون مستقلين في انحاء منها وان سيادة الغالبين قامت بحد السيف وحفظت طويلاً بقوة الحامية. فلما ضعفت القوة واستشعر القومان بوهن الغالبين ناهضوهم فغلبوهم وطردوهم وبهذا يظهر التمثيل تاماً حتى لو جهلت النتيجة المروية عن احدى الامتين لقيست على النتيجة الحاصلة للاخرى . اما وجوه الاختلاف في الجزئيات فهو ان الهكسوس قدموا مصر وهم في حال الجاهلية بينما كانت مصر راقيةً بخلاف حال الرومان فانهم كانوا قد بدأوا في حضارتهم وارتقى بهم تجتمعهم عن مجتمع البريطان ايام غزوهم لجزيرتهم فكانت النتيجة مختلفةً لان الرعاة استفادوا من رقيّ المجتمع المغلوب بينما ان الرومان لم يفيدوا المجتمع البريطاني كثيراً لانحصار حضارتهم في دائرةٍ ضيقة هي النطاق المغلوب على وطنيتهِ

اما القياس فهو عكس الاستقراء اي استنتاج احكام جزئية من امور عامة فاذا عرفت ناموساً عاماً استنتجت منهُ حكماً مخصوصاً مثال ذلك ان من السنن المعروفة ان الترف

اذا استحكم في امة ادى بافرادها الى الانحطاط فاذا رأيت قوماً وقد دب فيهم الترف وتهافت عليه كبراؤهم وتربت عليه ناشئتهم فاحكم عليهم بالانحطاط في افرادهم والخمول والوهن في لفيفهم

ولكن الكليات المنطقية لا تكفي وحدها بل يجب على المؤرخ الحاذق ان يستعين بالعلوم الاخرى واولها علم الآثار وهو يبحث في العاديات التي خلفها الاقدمون سواء كانت كتابية او صناعية فترى الامم القديمة قد تركت كثيراً من الكتابات على الصخر والحجر والاجر والبردي باقلامها الجمة ولغاتها الكثيرة من بائدة وحية وتجد من الاصنام والتماثيل والآنية والنقود المضروبة والبنايات وغيرها ما يظهر للباحث شيئاً من بقايا الدهور

غير ان استطلاع كنه هذه الآثار ليس بالمستطاع الاّ اذا تضلع الانسان وتمكن من علوم اخرى هي في اصلها فروع من علم الآثار فلا تجد في البلدان الراقية من ينصرف الى التاريخ الاّ وقد تمكن من معرفة اللغات القديمة والحديثة واهم الاولى اللغتان اليونانية واللاتينية لما فيهما من المؤلفات القديمة ولان تمدن الامتين اللتين تكلتا بهما شمل قسماً عظيماً من العالم المعروف في عصرها وخلف آثاراً مكتوبة بهما ويلي هاتين اللغتين اللغات العربية والعبرية والسريانية والقبطية فانهن مفتاح اللغات البائدة كالارامية والفينيقية والمصرية وليست معرفة هذه اللغات بذات فائدة للمؤرخين ما لم تكن مدعمة باصول علم اللغات المسمى Philologie لان بها تعرف قربى تلك اللغات الى بعضها من حيث كتابتها وصرفها ونحوها فالتمكن من هذه المعارف يسهل على المؤرخ فهم ما يقرأ من الكتابة القديمة الاّ ان قراءة تلك الكتابات تقضي بوجوب معرفة الاقلام التي كانت تكتب بها تلك اللغات كالمسمارية والهيروكليفية وغيرهما مما وضع له الفرنجة علماً يقال له علم قراءة الاقلام Calcographie . لكن المؤرخ لا يستطيع لهذا العهد الاحاطة بكل ما وجد من الآثار وقرئ من الاقلام ما لم يطلع على ما كتب العلماء والباحثون عنها وما قرأوا من اقلامها

ومن ثمّ يجب ان يكون عارفاً ايضاً باصول علم النقود المضروبة Numismatique لان الملوك والامراء يضربون النقود باسمائهم فاذا خفيت على المؤرخ حقيقة زمن احدهم فاحسن سبيل لتحقيق ذلك هو البحث في نقود ذلك الزمن فضلاً عن ان كثيراً من وقائع التاريخ ظهر ثبوتها بكلمة او كلمتين محفورتين على قطع النقود اعتبر ذلك بما ورد عن فتح الرومان لليهودية ومصر وغلبتهم على البرثيين وغير ذلك

ومن الفروع المهمة لعلم الآثار علم التوقيت Chronologie فان به تعرف الازمنة التي وقعت فيها الحوادث وهذه المعرفة قد لا تنال من النص التاريخي فيعدل الى استخراج

مجهولها بالمقابلة على معلوم يتصل بها او بالفرض المتّبع في الاستقراء او بدقة النظر في الصنعة ان كان ثمّت اثر صناعي والحسبان على اثرهِ من المصنوع لان مهرة العارفين بالصناعة القديمة متى رأَوا مصنوعاً عرفوا منشأهُ وزمنهُ وقلما يخطئون في احكامهم

ولنضربنّ مثلاً لاستخراج الزمن المجهول فانهُ ورد على اثرٍ لسنحاريب ملك اشور انهُ لما فتح بابل استرجع منها الاصنام التي كان مروداخ نادين اخي ملك بابل قد غنمها من تغلث فلاسر الاول ملك اشور قبل زمن سنحاريب باربع مئة وثماني عشرة سنة. والمعلوم من هذا المثل ان فتح بابل كان سنة ٦٨٨ ق.م والمجهول هو الزمن الذي غلب فيهِ تغلث فلاسر الاول لكن متى اضفت عدة السنين التي بقيت الاصنام فيها عند الغالبين اي ٤١٨ عرفنا ان الزمن المجهول هو سنة ١١٠٦ ق.م

ومن امثلة الفرض ان العلامة رولنسون اراد تحقيق قول هيرودوتس ان السلطنة الاشورية بدأَت حوالي سنة ١٣٠٠ ق.م ففرض ان تغلث فلاسر الاول كان على اريكة اشور سنة ١١٣٠ وقد سبقهُ عليها ستة ملوك والمستفاد من جدولين ظهرا بين الاثار يحتويان اسماء الملوك ومدة جلوس كلٍ منهم ان المعدل المتوسط لسني جلوس الواحد منهم نحو عشرين سنة فمدة الملوك الستة نحو ١٢٠ سنة قبل تغلث فلاسر وحدث في خلال هذه المدة فترة او فترات يبلغ مداها خمسين عاماً فالمجموع ١٣٠٠ سنة

ومما يذكر ان هذه العلوم المحسوبة من فروع علم الاثار متداخلة بعضها ببعض لا يستطيع الانسان ان يحيط بفرعٍ منها كل الاحاطة الا اذا كان لهُ المامٌ بالعلوم الاخرى ولذلك تجد علماء الآثار من الافرنج ضليعين في كل فرعٍ من علومها

ومع ان المشاركة في علوم الآثار كافية في اطلاع المؤرخ على حقائق كثيرة من شؤُون الزمن الماضي فانهُ يضطر ان يكون متمكناً من علم هندسة البناء لانهُ كثيراً ما يضطر الى ان يستخرج من شكل البناء الصابر على الدهر معرفة الامة التي عنت ببنائهِ والزمن الذي بني فيهِ . ولا خفاء ان علماء هذا الفن قد دوّنوا مشاهداتهم ورتبوا اشكال البنايات القديمة وبحثوا فيها فصارت كتاباتهم قياساً يُرجع اليهِ في الحكم على ما لم يرَ منها

اما الجغرافيا فمن العلوم الضرورية التي لا يستغنى عنها لان معرفة مواقع البلدان وتخومها وانهارها وجبالها وحاصلاتها مما لا بد من الاحاطة بهِ لئلا يخبط المؤرخون في ابحاثهم خبط عشواء حتى ان كثيرين من ثقات الباحثين لا يكتفون بما يقرأُون من كتب هذا العلم ومن رحلات السياح بل يرحلون بانفسهم الى البلاد التي يقصدون البحث في تاريخها

ويقصدون مواقع الحوادث ليكونوا على ثقة مما يكتبون

هذا اهمّ ما يضطر المؤرخ الى معرفته ولعلَّ بعض الناقدين يقول انَّى اذًا يتيسر لنا ان ينشأ بين كتابنا مؤرخ مدقق ونحن لا نجد بين علمائنا من برع في كل فرع من هذه العلوم فضلاً عن العلوم الاخرى التي تحسب مدرجةً لهذه قلت ان الاعتراض في محلهِ لا سيما وان الافرنج يتخرجون في المدارس العالية ثم يدخلون المدارس الاختصاصية فيبرعون في فرع او فرعين من العلوم ولا يكتفون بما حصلوا بل ينصرفون الى قراءة كتابات من سبقهم قراءةً دقيقة حتى يحيطوا بها علمًا ومتى اشتد ساعدهم لا يقدم احدهم على التأليف الّا اذا استعان بغيرهِ من المبرزين في الفروع التي لا يكون هو نائل القدح المعلّى فيها

على انا نحن لم نبلغ من التأليف خطة الابتداع وجهد النابغ منا ان يجيد الاتباع متحديًا الذي ينقل عنهُ من الافرنج وحسبنا ذلك الآن ان صحّ النقل ر · ن

اصل النبط في البتراء

بين البحر الميت (بحيرة لوط) وخليج ايلة (العقبة) منخفض من الارض يبلغ طولهُ نحوًا من مئة ميل · وهذا المنخفض يعرف بالغور وقد يطلق عليهِ وادي العربة بال او بدونها · وعرض هذا الوادي بين اربعة اميال واربعة عشر ميلاً · وهو قفر بلقع قليل النبات شديد الحرّ · والى شرقيهِ سلسلة جبال ادوم المعروفة قديمًا بجبل سعير وتعرَف اليوم بجبال الشراة وجبال الشوبك

في هذه الجبال في منتصف المسافة تقريبًا بين البحر الميت وبين خليج العقبة موقع مدينة بترا (البترا) وهي مدينة سالع القديمة عاصمة الادوميين قبل ايام نبوخذنصّر وتعرف خرائبها اليوم باسم وادي موسى

ان المسافر من الشام الى العربيَّة جنوبًا يصل الى هذه المدينة ولا يراها بل لا يرى الّا الجبال المحيطة بها · وفيما هو لا يرى الّا تلالاً تجيء وتلالاً تذهب يقع بينها — وكأنما بغتةً — على مطمئن من الارض اذا بلغ منتهاهُ غربًا وقع على سلعٍ او شقٍّ او شجٍّ بين هذه الجبال وهذا السلع تعلوهُ الصخور عن جانبيهِ كالجدار الى ما يبلغ نحوًا من ثلاثمئة قدم او يزيد احيانًا · وعرضهُ لا يتجاوز في كثيرٍ منهُ بضعة امتار · وطولهُ نحو من الني متر الى الفين وخمسمئة فاذا انتهى المسافر الى آخر هذا السلع انكشف امامهُ مطمئنٌ او قاع من الارض

تعلوهُ الجبال من جميع جهاتهِ . واتساع هذا القاع شرقاً بغرب ينحرف الى الشمال نحو من ثلثي ميل وشمالاً بجنوب ينحرف الى الغرب نحو من ميل ونصف الميل . في هذا القاع كانت سالع الادومية او بتراء النبطية مدينة الغنى والتجارة مئاتٍ من السنين

لمن كانت هذه المدينة اولاً

قلنا انَّ موقع المدينة في منبسط من جبال الشراة وهي الجبال المعروفة في التوراة بجبل سعير . وكان يسكنها قديماً قوم يعرفون بالحوريين . والظاهر ان سعير كان اميرًا على اولئك الاقوام وبهِ سمي الجبل جبل سعير . اما من كان هؤلاء الحوريون ومن اين جاؤوا فاري انهم من القبائل العربيَّة الجنوبيين اهل اليمن وحضرموت وقد جاؤوا البلاد غازين مع من جاء من القبائل العديدة التي غلبت على سوريا ومصر وكان منها الدولة المعروفة بدولة الرعاة او دولة الهكسوس في بلاد مصر . فان هذه القبائل تغلَّبت كما ارى على معظم سوريا لذلك الحين كما تغلبت على مصر واقتسمت البلاد فنزلت كل قبيلة منها في ناحيةٍ كان لها السيادة عليها على شاكلة ما كان في ايام الفتوحات العربية الاسلامية . واري ايضاً انَّ اصل الحوريين من حضرموت من قرية او مدينة من مدن تلك البلاد فنسبوا اليها تمييزًا لهم عن غيرهم من بقية قبائل اليمن وحضرموت

وبعد ان استوطن الحوريون البلاد والامارة فيهم لآل سعير ولبثوا فيها حتى سميت الجبال باسمهم وعرفت البلاد انها بلادهم جاءت القبيلة العبرانية الشهيرة اعني قبيلة ابرهيم الخليل ونزلت البلاد غربيَّ الاردن وكانت تتردَّد فيها من شكيم في الشمال الى بير سبع في الجنوب

ولما كانت هذه القبيلة العبرانية دخيلة على من سبقها الى البلاد من القبائل العربيَّة الجنوبية كان لا بدَّ لها بحكم الضرورة والعادة من ان تحالف من كانت تنزل في جوارهِ من الامراء والرؤساء وهكذا جاء النصُّ صريحاً في سفر التكوين ان ابرهيم الخليل حالف عانر واشكول وممرا في حبرون وابيمالك ملك الفلسطينيين في جرار على مقربة من بير سبع . وجاء ايضاً في السفر نفسهِ انهُ اي ابرهيم اعطى عشرًا من كل شيءٍ لملكي صادق ملك شاليم بعد ان رجع من محاربة كدرلعومر ملك عيلام . وبالاجمال كانت القبيلة في اول امرها كما يقول الكتاب غرباء ونزلاء لا يملكون في البلاد شبرًا من الارض ولعلَّ حقل المكفيلة في حبرون كان اول قطعة من الارض تملكوها بجوار المدن او القرى الكبيرة اشتراها ابرهيم من عفرون بن صوحر الحثيّ باربعمئة شاقل من الفضة مدفناً ليدفن فيهِ سارة زوجتهُ

الاَّ ان القبيلة لم تلبث كثيرًا في البلاد حتى انقسمت الى قسمين انحاز احدهما الى لوط

(ابن اخي ابرهيم) وبقي الآخر وهو اكبر القسمين في الراجح مع ابرهيم وتحت رئاسته فهدَّ ذلك من ابرهيم وفتَّ في ساعده حتى همَّ ان يعود الى مصر مخافة ان تتخطفهُ امراء البلاد الكثيرون ولم تطمئنَّ نفسهُ الاَّ بعد ان ظهر لهُ الله وطيَّب خاطرهُ بان وعدهُ ان يعطيهُ البلاد لهُ ولنسلهِ من بعدهِ · ومع ذلك ترك البلاد في جهات نابلس حيث كان وارتحل الى الجنوب واقام عند بلوطات ممرا وربما كان ذلك بعد ان استوثق من عانر واخويهِ اشكول وممرا وهم امراء الديرة في حبرون وجوارها بحلفٍ عقدهُ معهم · وارجح ان ابرهيم فضَّل الاقامة بين حبرون و بير سبع بعد انفصال ابن اخيهِ عنهُ لما آنس في نفسهِ من الضعف بعد ذلك الانقسام ولان البلاد في جهات نابلس كانت اكثر ساكنًا وامراء تخاف من ثمَّ كثرة التقاضي على المرعى والجوار لكثرة الامراء بخلاف البلاد بين حبرون و بير سبع فانها كانت اقلَّ ساكنًا وامراء فضلاً عن انها اقرب الى البريَّة حصن اهل الخيام الذي يدفع عنهم تعدّي اهل المدن واطماعهم ·

والظاهر من سفر التكوين(وهو في رأيي تاريخ لامراء هذه القبيلة ابرهيم واسحق ويعقوب قصدًا ومن كان لهُ علاقة بهم كلوط وعيسو عرَضًا كتبهُ يوسف بعد ان صار وزيرًا لفرعون ومسلَّطًا على كل ارض مصر) انَّ لوطًا لما لم يبقَ لهُ مطمع بالاستقلال مع الكنعانيين ورأى نفسهُ مكثورًا منهم مغلوبًا لعصبيتهم سواء سكن المدن او الخيام اخلد الى الحضارة ووطّن نفسهُ على مخالطة القوم والسكنى بينهم مقهورًا فسكن من ثمَّ في سدوم مستضعفًا لا يقوى على حماية ضيفهِ من تعدّي السفهاء ولا ان يدفع عنهم سفالة الغوغاء

واما ابرهيم فكان اشدَّ شكيمة من ابن اخيهِ واكثر مالاً وتابعًا منهُ فلم يرَ ما رآهُ ولا انكسر انكسارهُ ففضَّل من ثمَّ سكنى الخيام على سكنى المدينة وبقي يتنقل في البلاد تارةً ينزل في جهات حبرون واخرى في جهات بير سبع

وطالت غربتهُ في كنعان وامتدّت بهِ الايام ولم يتغيَّر عن عزمهِ الاول في ارادة الاستقلال عن اهل البلاد وترك مخالطتهم · ولعلَّ السبب في ذلك انهُ كان اعرق في البداوة من اولئك الكنعانيين فكان من ثمَّ لا تعجبهُ اطوارهم ويأنف من كثير من آدابهم وعوائدهم وفقًا لما نراهُ حتى الساعة من تجافي امراء البادية عن المدن وانفتهم من كثير مما فيها وفي اهليها. ولعلهُ فضلاً عن منصبهِ الديني كان يرى بيتهُ وان كان نزيلاً على الكنعانيين اكرم محتدًا واعلى شرفًا من بيوتاتهم · وما زال هذا الفكر شديدًا في نفسهِ الى ان ماتت سارة اميرة قومها وسيدة عقيلات القبيلة عن آخرهنَّ

فبعد موتها اغضى شيئاً عن انفتهِ السابقة وانكسرت حدّة ما كان يراهُ من التفاوت بينهُ وبين الكنعانيين بدليل انهُ مالَ الى مصاهرتهم واخذ قطورا احدى بناتهم زوجة لهُ. على انهُ وان يكن قد رضي ان يأخذ لنفسهِ زوجةً من بنات كنعان لم يرضَ ان يأخذ منهم لابنهِ اسحق لانهُ كان يراهُ الوارث الشرعي لامارة القبيلة وفيهِ عزّها وبقاءُ ميزتها لان سيادتها كانت تحيط بهِ من جانبيهِ دون بقيّة اخوتهِ ولذلك ارسل الى عشيرتهِ والى بيت ابيهِ فخطب لهُ من هناك اميرةً من بنات عمهِ رفقة ابنة بتوئيل بن ناحور اخي ابرهيم

وكبر بيت ابرهيم وكان لهُ غير اسمعيل واسحق اولاد كثيرون من قطورا ومن حجين او رعوة على قول بعض المؤرخين (انظر ابن خلدون جزء ٣ وجه ٣٨ و ٣٩) وحدث فيهِ من الفرقة ما يحدث عادةً في امثالهِ من بيوت رؤساء القبائل الشرقية فذهب اسمعيل في جهة ومعهُ قسم من القبيلة في المراعي وابناء قطورا في جهة اخرى ومعهم قسم آخر وكذلك ابناء رعوة او حجين . الاَّ انَّ معظم القبيلة بقي مع اسحق في جهات بير سبع فانهُ كان يفضّل الاقامة هناك في جوار الفلسطينيين كما كان ابوهُ يفضل حبرون وجوار بني حثّ . وعقد اسحق حلفاً مع ابيمالك ملك جرار وكان ابرهيم ابوهُ من قبلُ قد عقد حلفاً مع ابي ابيمالك هذا على الارجح

قلنا ان ابرهيم كان يرى في اسحق الوارث الشرعي لرئاسة قبيلتهِ وانهُ كان يربأ بنفسهِ عن مخالطة الكنعانيين ومصاهرتهم فارسل من ثمَّ عبدهُ الى بيت ابيهِ في ارام النهرين وخطب لهُ ابنة عمهِ رفقة فوُلد لهُ منها ولدان توأمان هما عيسو ويعقوب . ولما كبر الولدان وقعت المنافرة والمنافسة بينهما على رئاسة القبيلة . وكانت الرئاسة لعيسو لانهُ البكر وكان اسحق ابوهُ يحبهُ ايضاً ويفضلهُ على اخيهِ الاَّ ان رفقة كان هواها مع يعقوب فعملت معهُ على كيد عيسو وبحيلتها صرفت عنهُ بركة ابيهِ فحزَّ ذلك في نفسهِ واشتدَّ الخلاف بينهُ وبين اخيهِ . وكان عيسو على ما ارى محبَّباً الى القبيلة وهواها معهُ فلما عظم الخلاف بينهُ وبين اخيهِ كما اشرنا اليهِ وبلغ الامر غايتهُ تخوَّف يعقوب على نفسهِ وعلم انَّ لا بقاء لهُ مع اخيهِ ورأت رفقة امهُ ايضاً حرج حالتهِ فارسلتهُ الى فدّان ارام الى بيت خالهِ لابان

وبعد ان هرب يعقوب الى فدّان ارام انفرد عيسو برئاسة القبيلة وكانت بير سبع حيث يقيم هو وقبيلتهُ قريبة من جبل سعير (جبال الشراة) فتعرّف عيسو بامرائها من آل سعير وخطب منهم احدى بناتهم واسمها اهوليبامة فزوّجوهُ وحالفوهُ فترك بير سبع ونزل عليهم في ديارهم فاشتملوا عليهِ واختلطت القبيلتان ومع الايام كثر آلُ عيسو آلَ سعير وغلبوا

عليهم حتى تنوسي امر الحوريين واصبحت البلاد خالصةً للادوميين وتسمّت باسمهم ايضاً ولم يبقَ من اثر لامراء آل سعير الحوري الأ الجبل فانهُ ما زال يعرف باسم امرائهِ الاولين مئات من السنين بعد انقراضهم ولا يزال علماء الكتاب والتاريخ يعرفونهُ بهذا الاسم وهو اشهر عندهم من الشراة لحد هذه الساعة

ظهر لنا مما مرَّ ان البلاد كانت اولاً للعرب الجنوبيين المعروفين باسم الحوريين وانهم كانوا من جملة القبائل التي غزت سوريا ومصر في ايام دولة الرعاة المشهورة في مصر ثم غلبهم عليها الادوميون نحو ١٥٠٠ قبل المسيح والادوميون هم ابناء عم اليهود كالعرب الاسماعيليين الأ انهم اقرب اليهم من هؤلاء فانهم اخوتهم من اسحق ابن ابرهيم وسارة والاسماعيليون ابناء عمهم اسمعيل ابن ابرهيم من هاجر جارية سارة كما هو المتعارف والمشهور

كم من الزمان بقيت جبال سعير ومدينتها الحصينة سالع (البترا) في يد الادوميين

بعد ان خرج الاسرائيليون من مصر وبقوا المدة المشهورة في التيه جاؤوا اخيراً الى قادش فارسل موسى من هناك رسلاً الى ملك ادوم يقول فيها

" هكذا يقول اخوك اسرائيل قد عرفت كل المشقة التي اصابتنا . ان اباءنا انحدروا الى مصر واقمنا في مصر اياماً كثيرة واساء المصريون الينا والى ابائنا فصرخنا الى الرب فسمع صوتنا وارسل ملاكاً واخرجنا من مصر وها نحن في قادش مدينة في طرف تخومك دعنا نمرّ في ارضك " الخ

وظاهر جلياً من هذه الرسالة ان الادوميين كانوا لذلك الحين قد استولوا على البلاد ولم يبقَ معهم اسم للحوريين ولا ذكر لامرائهم من آل سعير واصبحت البتراء (سالع) قرية من قراهم او مدينة من مدنهم لكن لم يتمّ هذا الاستيلاء للادوميين الأ بعد ان جرت بينهم وبين اخوانهم حروب شديدة كانت الدائرة فيها اخيرًا على آل سعير فانجلوا عن البلاد وغادروها ملكاً لآل عيسو يتولاها ملك منهم يرجع اليهِ امر بقية الامراء والرؤساء ويدينون لهُ بالطاعة . كل ذلك تمَّ وابناء عمهم آل يعقوب كانوا لا يزالون في مصر (انظر سفر التثنية ص ٢ : ٢١ و٢٢)

وخرج الاسرائيليون من مصر وجاؤوا بلاد كنعان فحاربوا الاموريين وغيرهم من القبائل الكنعانية شرقي الاردن وغربيهُ ولم يتعرَّضوا اولاً لانسبائهم من القبائل العبرانية اعني الادوميين والموابيين والعمونيين وكانوا لذلك الحين قد رسخت قدمهم في البلاد واقتطعوا لهم نصيباً معيناً فيها

والذي اراهُ ان هذه القبائل التي ذكرناها كان ضلعها مع الاسرائيليين لما يعرفونهُ لهم من القرابة في النسب ولما كان بينهم وبين جيرانهم القبائل الكنعانيَّة من الحروب والعداوات (راجع تثنية ص ٢) . واستمرَّ الادوميون في بلادهم لا ينازعهم منازع في ارضهم ولا يطمع في اخضاعهم احد من جيرانهم الموابيين والاسرائيليين الى ايام شاول اول مَن ملك على بني اسرائيل . فلما ملك وانضوى اليهِ الاسباط الاثنا عشر — وكانوا من قبل قد تفرقت كلمتهم وانخضدت شوكتهم — ادَّى ذلك الى التحكك بالقبائل المجاورة ومن جملتهم الادوميون (انظر صموئيل الاول ص ١٤ : ٤٧) فجرت مناوشات بينهُ وبينهم ولا يبعد ان يكون سبب ذلك ان الادوميين انتصروا للعمالقة على شاول او انهم تمددوا على حدود الاسرائيليين الجنوبيَّة حيث تتماس تخوم سبطي يهوذا وشمعون بتخوم الادوميين ومهما يكن من سبب تلك المناوشات التي اجراها شاول فالمرجح انها كانت من قبيل الدفاع عن التخوم دفعاً لعادية الادوميين لا من قبيل الطمع في اخضاعهم فانقضى من ثم ملك شاول ولم يكن كبير امرٍ بين اسرائيل وادوم

فلما ملك داود واجتمعت اليهِ كلمة الاسباط الاثني عشر واخذ اورشليم عنوةً من اليبوسيين وجعلها داراً لملكهِ راع ذلك الامم المجاورة ولا سيما الفلسطينيين وتخوَّفوا عاقبتهُ عليهم فناصبوهُ العداوة وفتحوا عليهِ ابواب حربٍ شديدة الاَّ انها لم تغلق الاَّ بعد ان ذلوا وتركوا لهُ ما كانوا استولوا عليهِ من بلاد اسرائيل في ايام شاول وما قبلهُ ايضاً

وكان الادوميون من جملة الامم الذين حاربوا داود ولا نعلم ماذا كان سبب تلك الحرب الاَّ ان يكون المزاحمات التجارية والظاهر ان الادوميين ضايقوا داود اولاً بدليل ما ورد من الاشارات في منظوماتهِ ومن تلك الاشارات ما جاء في المزمور ١٠٨ فانهُ يقول فيهِ من يقودني الى المدينة المحصَّنة من يهديني الى ادوم اليس انت يا الله الذي رفضتنا ولا تخرج يا الله مع جيوشنا . اعطنا عوناً في الضيق فباطل هو خلاص الانسان . بالله نصنع بأس وهو يدوس اعداءنا "

ولا شك انهُ يشير بالمدينة المحصنة الى سالع (البتراء) وهي من احصن مدن البلاد وقلَّ ان تكون مدينة احصن منها — كما يتبين من اللمحة التي وصفنا بها موقعها في اول مقالتنا هذه — الاَّ ان الغلبة كانت اخيراً لداود فانهُ التقى بالادوميين في وادي الملح الى جنوبي بحيرة لوط وقد جمعوا لهُ قواتهم عن آخرها فسيَّر اليهم ابشاي بن صروية اختهِ وكان من نخبة قوادهِ ونشبت بينهُ وبينهم معركة من اعظم المعارك واشدّها هولاً فاسفرت عن ثمانية عشر الفاً قتلى

من الادوميين وهذه المعركة هي المعركة الوحيدة التي يقال في تاريخ داود انهُ نصب لها تذكارًا وكان من نتيجتها ان الادوميين ذلوا لداود واستعبدوا لهُ فوضع لهُ محافظين في ادوم كلها وضرب عليهم جزية ما زالوا يؤدّونها لهُ ولا عقابه الى ان قام يهورام ابن يهوشافاط فانهم عصوا يهوذا في ايام هذا الملك ورجع اليهم استقلالهم مدةً الى ان اخضعهم امصيا احد ملوك يهوذا الأ انهم عادوا الى استقلالهم وما زالوا على ذلك الى ايام نبوخذنصر ملك بابل الذي افتتح اورشليم وسبي معظم اهلها الى عاصمة بلاده في اوائل القرن السادس قبل المسيح

وخلاصة ما ذكرناهُ ان سالع (البتراء) بقيت في حوزة الادوميين مدةً تزيد عن الالف سنة قام في اثنائها ملوك كثيرون على ادوم وكثيرون من هؤلاء ملكوا في ادوم قبل ان يملك ملك على بني اسرائيل . وامتدَّ نفوذ الادوميين في اول امرها وفي آخره قبل غزوة نبوخذنصر الى يهوذا وفلسطين فبلغ الحجاز ونجدًا شرقيَّ المدينة (يثرب) وشماليها وكانت طريق القوافل تمرُّ عليها من العربية السعيدة جنوبًا وخليج فارس شرقًا فكثر بذلك غنى اهلها وعظم جاههم فاشتدت كبرياؤهم ولاسيما على اليهود جيرانهم وابناء عمهم في اورشليم واليهودية فخرَّ ذلك حتى في نفوذ الانبياء منهم وانذروهم بسوء المصير . قال ارميا النبي يخاطب الادوميين . قد غرَّك تخويفك كبرياء قلبك يا ساكن في محاجئ الصخر الماسك مرتفع الاكمة . وان رفعت كنسر عشك فمن هناك احدرك يقول الرب وتصير ادوم عجبًا كل مارٍ بها يتعجب ويصفر بسبب كل ضرباتها (ارميا ص ٤٩)

وقال حزقيال — هكذا قال السيد الرب من اجل ان ادوم قد عمل بالانتقام على بيت يهوذا وأساء اساءةً وانتقم منهُ لذلك هكذا قال السيد الرب وامدّ يدي على ادوم واقطع منها الانسان والحيوان واصيرها خرابًا من التيمن والى ددان يسقطون بالسيف (حزقيال ص ٢٥ : ١٢ و١٣)

وقال حزقيال ايضًا — هكذا قال السيد الرب هانذا عليك يا جبل سعير وامدُّ يدي عليك واجعلك خرابًا مقفرًا . اجعل مدنك خربةً وتكون انت مقفرًا وتعلم اني انا الرب لانهُ كانت لك بغضة ابدية ودفعت بني اسرائيل الى يد السيف في وقت مصيبتهم وقت اثم النهاية لذلك حيٌّ انا يقول السيد الرب اني اهيئك للدم والدم يتبعك . اذ لم تكره الدم فالدم يتبعك فاجعل جبل سعير خرابًا ومقفرًا واستأصل منهُ الذاهب والآئب (حزقيال ص ٣٥)

وفيما نقلتهُ شاهد لا يردُّ على ان الادوميين كانوا سكان جبل سعير الى ايام حزقيال وارميا وان ذلك الجبل كان فيهِ غير مدينة من جملتها سالع (البترا) وانَّ الادوميين

كانوا متبسطين فيها وراء جبل سعير وان البلاد من تيمان الى ددان كانت خاضعة لهم او على الاقل كانت تمرّ بها قوافلهم وتجاراتهم لا يعارضها اهل البلاد من العرب اما حلف كان لهم معهم او رهبة من سطوتهم وخيفة من انتقامهم

اما تيمان المشار اليها في حزقيال فواقعة الى الجنوبي الشرقي من البتراء ولعلها هي تيماء الحالية الى شمالي مدائن صالح. واما ددان فارجح انها دَدُ التي يشير اليها الشاعر العربي بقوله

كأنَّ حدوج المالكيَّة غدوةً ... خلايا سفينٍ بالنواصب من دَدِ

ودَد موضع بسيف كاظمة من ارض البحرين والالف والنون فيها مزيدتان للنسبة كما في عبّادان ومهلبان وجبيران ومحمدان وزيادان وعميران وخالدان وعبد الرحمانان نسبة الى عباد ومهلب وجبير ومحمد وزياد وعمير وخالد وعبد الرحمان على طريقة اهل البصرة

بقي علينا في مقالتنا الحاضرة سؤال نسألهُ ونجيب عليهِ تأسيساً لما يبنى عليهِ كلامنا في المقالة التالية التي نأتي فيها على ذكر الانباط واصلهم تتمة للبحث الذي نحن فيهِ والسؤال هو

من هي القبائل او الامم التي كانت تسكن سوريا وجبال الشراة في ايام نبوخذنصر • والجواب ما يأتي

(١) الاراميون في دمشق وتوابعها وفي أيلة على البحر الاحمر
(٢) اليهود اعني سبطي يهوذا وبنيامين ومن بقي في البلاد من بقايا الاسباط العشرة
(٣) السمرة في نابلس وجوارها
(٤) العمونيون
(٥) الموابيون
(٦) الادوميون
(٧) الفينيقيون اهل صور وصيداء والملحقات بهما
(٨) الفلسطينيون في غزة وعسقلان واشدود
(٩) العرب
(١٠) اخلاط من الكنعانيين على اختلاف قبائلهم

هذه هي الشعوب التي كانت في البلاد عندما غزا نبوخذنصر سوريا وارض كنعان وافتتح اورشليم • وسنرى في المقالة التالية اسم الانباط او النبطيين زيد على هذه الاسماء المارة وعُرف في ايام خلفاء الاسكندر ونذكر اذ ذاك ما يتعلق باصلهم والبلاد التي جاؤُوا منها . وموعدنا في كل ذلك العدد القادم من المقتطف ان شاء الله جبر ضومط

العيون والكتب

اوردنا في الجزء السابق سؤالاً لاديب قال فيهِ " لماذا لا تجعلون ورق مجلتكم احسن مما هو الآن وتزيدون بدل الاشتراك بما يقوم بفرق الثمن " . وترجح عندنا انهُ يريد بحسن الورق ان يكون الورق جيداً صقيلاً ناصع البياض فاجبناهُ ان ورق المقتطف من اجود انواع الورق واغلاها فلا يتغير لونهُ بمرور الزمن لانهُ خالٍ من الخشب وقد انتقيناهُ قليل البياض وغير صقيل لكي لا يتعب بصر القراء

وقد رأينا ان نزيد ذلك بياناً الآن لانهُ قد كثر عدد القراء في الامة وسيزيدون كثرة سنة فسنةً وقراءة الكتب والمجلات ولا سيما كتب التعليم تؤثر في عيون قرائها وقد تورثهم السآمة والضجر او تضعف عيونهم وتعرضها لآفات تدوم فيها مدى العمر . وكم من امرىءٍ لو علم ان قصر بصرهِ نتج من قراءة الكتب الدقيقة الحرف لودَّ لو لم يقرأ كتاباً في حياتهِ . فعلى الوالدين ومديري المدارس ان يعلموا اي نوع من الورق واي نوع من الحروف يريح البصر واي نوع يتعبهُ وعلى المرء ان لا يفرّط في استعمال عينيهِ اذا وجد الى ذلك سبيلاً لانهما ليستا بضاعة تباع في السوق او آلة يسهل اصلاحها بعد خللها

وقد اطلعنا في الصيف الماضي على مقالة في هذا الموضوع للباحث المحقق الاستاذ هيوي من اساتذة مدرسة بنسلفانيا الجامعة نشرها في مجلَّة العلم العام الاميركية وجمع فيها خلاصة ما وصل اليهِ بحث الباحثين في هذا الموضوع وما وجدوهُ اصلح من غيرهِ من جهة ثخن حروف الطباعة وطولها وطول السطور والبعد بينها ولون الورق وصقالهِ يؤخذ منها ان تعب البصر يزيد على نسبة صغر الحروف كما ظهر بالامتحان وتزيد السرعة في القراءة على نسبة كبر الحروف ووضوحها ومعلوم ان الامتحان كان في الحروف الافرنجية لا العربيَّة ولكن تطبيقهُ على الحروف العربيَّة ليس صعباً وحينئذٍ فحرف المقتطف المسمَّى بالجنس الثاني في اصطلاح مطابع سورية وبنط ١٨ في اصطلاح مطابع مصر من النوع الذي لا يتعب العين ما خلا الحروف القصيرة منهُ مثل الباء والنون المتوسطتين فان قصرها يجعلهما في الحد اللازم لوضوح الحروف واذا قصرتا عن ذلك تصيران تتعبان العين

وثخن الحرف يجب ان يكون ربع مليمتر على الاقل . وحرف الالف في حروف المقتطف

وهو ادقها لا يبلغ ثخنهُ سوى خمس مليمتر اذا كان جديداً فهو ادق قليلاً مما يلزم للوضوح التام ولكن طولهُ يشفع بهِ فانهُ ثلاثة مليمترات واذا كان علو الحرف مليمترين ونصف مليمتر كفى لراحة العين ومع هذا فاننا نفضل حروف المقتطف المستعملة قليلاً على الحروف الجديدة لان الاستعمال يزيد ثخنها فيصير ادقها بالقدر المطلوب. ولو وجدنا حرفاً طول حرف المقتطف واثخن منهُ قليلاً لفضلناهُ عليهِ وطبعنا المقتطف بهِ لاننا نتوخى دائماً ان يكون المقتطف نافعاً من كل وجه ولا يكون منهُ اقل ضرر

هذا من حيث طول الحروف وثخنها وقد بحث العلماء الاوربيون والاميركيون في طول الفسحة التي تجعل بين الحروف في الكلمة الواحدة لان حروفهم منفصلة كما لا يخفى. اما حروفنا فاكثرها متصل فلا سبيل للبحث فيها من هذا القبيل. وقد وجدوا ان الفاصل بين الحرفين يجب ان لا يقل عن ثلاثة اعشار المليمتر وهو ثلاثة اعشار المليمتر او اكثر في حروف المقتطف المنفصلة وفوق ذلك فالحروف العربية غير مستقيمة فيدنو بعضها من بعض من مكان ويبعد من مكان آخر فيبقى الفصل بينها كبيراً ولو كادت تتماس من بعض جهاتها فلا تتعب البصر من هذا القبيل

وهنا امر لم يشر اليهِ الاستاذ هيوي ولا الذين نقل عنهم وهو ان العين لا تتعب من قرب الحروف الا اذا كانت متوازية لان اقل خلل في تحكيم الصور فيها يلقي بعضها على بعض فتتشوش الصورة واما الحروف غير المتوازية فلا ضرر من قربها ولو اتصل بعضها ببعض كالحروف العربية المتصلة وحروف الخط الافرنجية. ويرى بعض الباحثين في هذا الموضوع ان البعد بين السطور يجب ان لا يقل عن مليمترين ونصف مليمتر ويرى غيرهم ان لا داعي لهذا البعد كلهِ بل يستعاض عنهُ بتكبير الحروف. والبعد بين سطور المقتطف يبلغ الحد المطلوب او يزيد عليهِ وقد تشذ بعض الحروف عن ذلك كما اذا وقعت الحاء الاخيرة في السطر الاعلى فوق الكاف او اللام في السطر الذي تحتهُ فلا يكون لها شأن في إتعاب البصر لانها قليلة اذ انها لا تقع مرةً في السطر او السطرين والحكم على مجمل السطر لا على بعض حروفهِ

وبحث كثيرون في طول السطور فوجدوا ان طول السطر يجب ان لا يزيد على تسعة سنتمترات الى عشرة لكي لا تتعب العين في تتبعهِ وانتقالها من سطر الى سطر ويجب ان يلزم هذا الحد في كتب التدريس ولا بأس بتخطيهِ قليلاً. وقد جعلنا طول سطر المقتطف احد عشر سنتمتراً ونصف سنتمتر لكي لا نسرف في كثرة البياض على غير جدوى ونود الآن

لو اقتصرنا على جعلهِ عشرة سنتمترات لان قراءة السطور القصيرة اسهل من قراءة السطور الطويلة

وقد وجد الدكتور ديربورن ان العين تقف في بداءة السطر وفي نهايتهِ كانها تتبصَّر في طولهِ وما يحويهِ في وقوفها في بداءتهِ وتتبصر في الانتقال الى السطر الذي يليهِ في نهايتهِ ولا يسهل عليها هذا التبصر الاَّ اذا كانت السطور قصيرة وحتم ان السطر في كتب التعليم يجب ان لا يزيد طولهُ على ستة سنتمترات الى ثمانية ويجب ان تكون حروفها كبيرة ثخينة لا تتعب العين في استيضاحها على الاطلاق ولاسيما الكتب التي يتعلَّم فيها الصغار

اما الورق فيجب ان يكون ابيض ويفضل الاستاذ جافال ان يكون في لونهِ صفرة قليلة وعلى كل حال يجب ان لا يكون صقيلاً لان الورق الصقيل يعكس نوراً كثيراً الى العين فيشوش رؤيتها ويتعبها ولاسيما اذا قرأ الانسان على نور قنديل . وما يقال في ورق الكتب يقال في ورق الخرائط ويطلق ايضاً على الالواح السوداء فانها كلها يجب ان لا تكون صقيلة لمَّاعة فتتعب العين بما ينعكس من النور عنها

وقد ظهر من امتحان كتب التعليم في المانيا وروسيا وغيرهما من ممالك اوربا ان خمسة وثمانين في المئة منها لا يصلح للتعليم من حيث صغر حروفهِ وسقامة طبعهِ وصقال ورقهِ . والكتب الاميركية اصلح من الكتب الاوربيَّة ولو قليلاً من هذا القبيل . والقواميس الدقيقة الحروف يجب ان تحرَق كلها او يمنع استعمالها على الاطلاق لان كثيرين ضعف بصرهم من استعمالها

وخلاصة ما تقدم ان ورق الكتب والمجلات يجب ان لا يكون صقيلاً ويحسن ان يكون ابيض ناصع البياض او يكون ضارباً الى الصفرة ويجب ان تكون الحروف غير دقيقة والسطور غير طويلة . ونزيد على ذلك ان الحبر يجب ان يكون اسود ليظهر جليًّا وان لا يكون الورق شفافًا ولو قليلاً لئلا تتشوش رؤية سطور الصفحة الواحدة بما يظهر ممَّا تحتها . وان يكون الفاصل بين الكلمات اكبر من الفاصل بين حروف الكلمة الواحدة

فعسى ان يلتفت رؤساء المدارس وطابعو الكتب عندنا الى هذه الحقائق ويحلوها محلها من النظر لئلاَّ تصير مطالعة الكتب والجرائد آفة على العيون

نساء المتوحشين

لقد اكثر علماء العمران من البحث عن حال النساء في المجتمع الانساني وخاضت مجلاتنا وجرائدنا عباب هذا البحث غير مرة الأ ان للفيلسوف سبنسر كلاماً يُستطاب اعتمادهُ في هذه المقالة لما فيهِ من الفوائد

ليس في الكون مظهرٌ ادلّ على تقدم النوع البشري من المقابلة بين حالة النساء عند المتوحشين وحالهنَّ عند المتمدنين فنرى من الجهة الواحدة انهنَّ يعاملنَ بمنتهى القسوة التي لا تطاق ومن الجهة الاخرى تراهنَّ في بعض الشؤون يتقدمن على الرجال

ومن الغني عن البيان ان النساء متى تعرضن لقسوة الرجال بالضرب واقلال التغذية واكثار العمل اصبحن لا يقدرن على تربية الاولاد تربيةً تزيد المجتمع عدداً وقوةً فلا يلبث ذلك المجتمع ان يضمحل لان تلك القسوة تعمل في اللفيف فتسلب من القبيلة قدرتها على حفظ مقامها ازاء قبيلة اخرى · ولا غروَ ان الام المعرضة للقسوة البالغة ولا تغذي اولادها البان القوة والنشاط فيكثر الموت فيهم رضعاناً وتعرو من ينجو منهم من مخالب المنية المخافة فينشأون ضعافاً خائري القوى لا يقوون على الاحتفاظ بمقام مجتمعهم

واكثر نساء المتوحشين يؤخذون سبياً من قبيلٍ مغلوب في الحرب او يكنَّ في جملة السلب وقد ينال المرأة من الغالب او السارق ضربةٌ يراد بها منعها عن الذود عن نفسها او الاستغاثة بقومها وهذه الضربة قد تكون داميةً او جارحةً لاحد اعضاء جسمها جرحاً يعطل ذلك العضو مدةً من الزمن . وقد يطعنها سابيها برمحهِ فيعطب جسمها ويأخذها الى مخيمهِ وهناك يلقي على عاتقها كل اعباء الاعمال الثقيلة

فاذا استولدها الاولاد اضطرت للاعتناء بهم والقيام على لوازمهم وهي في الوقت نفسهِ عاملة على خدمة زوجها بملء جهدها · اما اكلها فلا يكون الأ بقية ما يفضل عن زوجها

فمثل هذه المعاملة القبيحة متى جرت في قبيلةٍ يعسر تغييرها لان الاستمرار عليها يحدث انحطاطاً ادبياً وجسمياً ومتى وقع الانحطاط الجسمي انتفت العواطف والحاسيات حتى ان المعرضات لمثل تلك الاهانات يخسرنَ كثيراً من محاسنهنَّ فتجد النساء في الطبقات السفلى من البشر اقلّ جمالاً من رجالهنَّ فقد ورد عن قبيلة البوتواس ان الرجال ليسوا على شيء من الجمال ولكن النساء في منتهى الشناعة لانهنَّ يعملنَ اعمالاً شاقة ولا ياكلن طعاماً كافياً وقيل في اهل كوريا ان النساء في غاية الشناعة واما الرجال فانهم من احسن الاسياو بين

شكلاً وترى النساء يعاملن كالبهائم . ومما يزيد في الاثبات انا نرى بعض قبائل من اهل الفطرة يحسنون معاملة المرأة بعض الشيء كالقلمون والكرج فتجد نساءهم جميلات

الأ ان قسوة الرجال على النساء وخشونة معاملتهنَّ في قبيل لا تحول دون حصول بعض افراد النساء على شيء من السيادة والنفوذ حتى على الرجال فقد روى غير واحد من الباحثين انهُ رأى عند الفوجيين امرأةً طاعنةً في السن تسود على قومها وكذلك روى غيرهُ ان المعمرين والمعمرات عند الاستراليين لا يعدمون نفوذًا بين قومهم فضلاً عن ان بين كثير من قبائل المتوحشين المسرفين في ظلم نسائهم نرى الحاكمات والاميرات النافذات في القبيل كلهِ على ان قيام امرأة وبضع نساء بالامر عند قوم لا يدل على انهم يعترفون للمرأة بمعادلة الرجل ولو اذعنوا في الاحايين لواحدةٍ منهنَّ لان الاصل البعيد في تحكم الرجل بالمرأة يرجع الى قوتهِ وضعفها

وقد كثرت النقول الصحيحة الدالة على ان المتوحشين على اختلاف طبقات انحطاطهم في سلم الخلق يعتبرون المرأة مُلكاً للرجل يحق لهُ التصرف فيهِ على مطلق ارادتهِ

وقد نقل هيرن عن احد شيوخ قبيلةٍ تسمى شيبوايان قولهُ . خُلقت المرأة للعمل فالواحدة من النساء تحمل او ترفع ما يستطيعهُ رجلان وانهنَّ ينصبنَ لنا الخيام ويصنعن الثياب او يصلحنها ويسعين بتدفئتنا وبالحقيقة انهُ لا يستطاع السفر مسافةً في هذه البلاد ما لم يُستعن بالمرأة

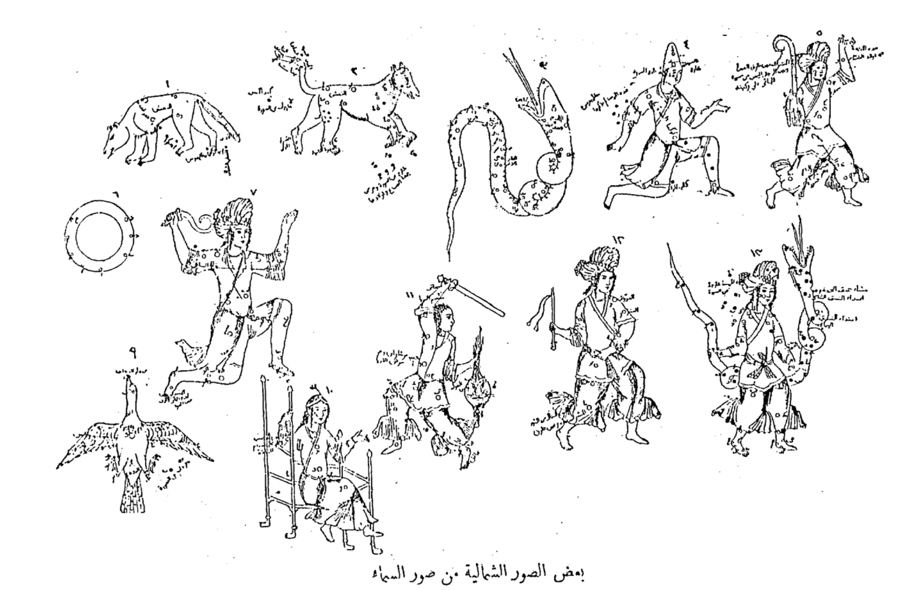
وهذا الظن بالمرأة وقدرتها على العمل لا ينحصر في مثل تلك القبيلة المنحطة بل تجدهُ يخطر ببال اقوام اكثر منهم ارتقاء في سلم الحضارة فان رجال قبيلة الكفرة في جنوبي افريقيةَ يحسبون المرأة ثور زوجها وما اشتراها الأ لتعمل لهُ

ونقل شوتر عن الكفرة ايضاً ان الواحد منهم اذا قتل امرأتهُ يدافع عن نفسهِ بقولهِ اشتريتها وكفى

واحراز الزوجة بالسبي او بالشراء يجرُّ الى مثل هذا الظن لان السبيةَ من قوم مغلوبين اذا اتى بها سابيها حيَّةً اصبحت لهُ ملكاً لا ينازعهُ في احرازها احد كأنهُ اشتراها بمالهِ

وشراء النساء بالمال هو السبب الفعال لاساءة معاملتهنَّ والحق ان المبادئَ الادبيةَ ومصالح المجتمع كليهما يشكوان من بيع النساء وشرائهنَّ . اعتبر ذلك بان ابا الابنة المبيعة لا يراعي ارادتها ولا يحرص على سعادتها وانما تكون الكلمة العليا لطمعهِ في ثمنها . فان كان ذلك حال الاب الطمَّاع وهو لم تعطفهُ اواصر الابوة فما القول في عاطفة رجل غريب يسعى

لشراء زوجة تكون في داره امةً تقوم على حاجياته غير عارفة لذاتها وجوداً ولا ارادةً
فالاب الطماع يطلب بالفتاة ثمناً فيسومهُ الزوج فيها حتى يتفقا فتخرج من دار ابيها لتكون امةً او بهيمةً في دار مالكها . فان كانت عقيماً ولم ترزق البنين حق لزوجها ان يبيعها كما اشتراها لتكون رقاً لغيره ذلك ان لم يعطف ابوها عليها فيرد لزوجها الثمن الذي اشتراها به
وفي بعض الانحاء الافريقية يطلب الاب من الخاطب ما يقدر على ادائه ثمناً لابنته من البقر والثياب والاساور . وللزوج حق بيع امرأته فهذا الانحطاط في شأن المرأة حتى يؤخذ بدلها من الثيران والبقر وغيرها من البهائم والمتاع يجعلها تعتبر معادلة لتلك البهم . وحالها هذا نتاج تسلط الرجل المطلق وقيام حب الذات فيه قياماً لا موضع معهُ للغيرية
واعظم مظاهر الجور والامتهان ما يشاهد عند قوم من ان الرجل اذا مات عن زوجة انتقلت بالارث لذوي قرباه . روى سمث عن المابوشه ان الارملة عندهم متى مات زوجها ملكت قياد نفسها ما لم يكن قد خلف اولاداً من غيرها فشبوا فانها حينئذٍ تصبح ملكاً لهم جميعاً لانها تحسب من جملة المتاع المتروك لهم ارثاً
فنتج من هذه الامثلة ان المرأة عند المتوحشين متى اشتراها رجلها او سرقها او سباها تصبح ملكاً لهُ يتصرف فيها على اهوائه غير مراعٍ ميلها وارادتها
وثمت سبب آخر وهو توزيع الاعمال بين الرجال والنساء ومجال المشاهدات فيه متسع يمتد من بين ادنى طبقات الناس الى من يعلوهم في سلم الحضارة بعض الدرجات ولذلك استدل الباحثون على كثير من اعمال المرأة في تلك المجتمعات المنحطة . فيناط بالمرأة كل عمل كبيراً كان او صغيراً ما لم يكن مما تقصر عنهُ قوتها البدنية او نشاطها وذكاؤها . اما الرجل فان عملهُ ينحصر في ما يحتاج الى القوة . فقد عرف ان نساء قبيلة القاسمان التي انقرضت لهذا العهد كن يتسلقن الاشجار ويحفرن الارض بحثاً عن بعض اصول النبات الذي يأكلونهُ ويخضنَ مياه الشواطئ فيلتقطن الاصداف والمحار ويصطدن الاسماك ويرجعن الى بيوتهنَّ ليعتنين باولادهنَّ اما رجالهنَّ فانهم يقنصون الحيوان لما في القنص من بذل القوة والجهد
ومتى كانت مآكل قوم من لحوم الحيوانات الكبيرة تصبح اعمال النساء قاصرةً على حمل ما يصطاد رجالهنَّ الى البيت حيث يؤكل اللحم وتعتني المرأة بمعالجة الجلود وتجفيفها للانتفاع بها . ومثل هذا تجد اولئك الرجال اذا غزوا وسلبوا حملوا غنائمهم الى بيوتهم فسلموها لنسائهم ليعتنينَ بها



بعض الصور الشمالية من صور السماء

واعظم من هذا ما يشاهد عند الاسكيمو فان النساء مطاليات ببناء البيوت حتى انهنَّ ليحملن على عواتقهنَّ الحجار الضخمة التي تكاد تدق رقابهنَّ كل هذا والرجال ناظرون اليهنَّ يكادون لا يحركون اصبعاً في معونتهنَّ

وفي كثير من القبائل ترى النساء مطالبات بنقل اثاث البيوت من موضع الى اخر والرجال جالسون لا يبالون ولا ينحصر هذا في القبائل الرحَّل والمجتمعات المنحطة فقط بل قد يتجاوزها الى مجتمعات اعلى منها كالقبائل ذات الانعام والتي تعرف الزراعة وتستغل الارض بعض الشيء فقد كتب ماركراف عن قبيلة التوبس انهم متى رحلوا يحمل الرجل سلاحهُ فقط ويسير واما المرأة فانها تحمَّل كما يحمل البغل

ولقد تمحَّل بعضهم اعذارًا لاولئك الرجال الذين يلقون اعباء العمل على نسائهم من غير ما مساعدة منهم قالوا ان الرجال يقضون ايامهم في الصيد والقنص تحصيلاً لرزقهم ورزق عيالهم وتشديدًا لعزائمهم فاذا رجعوا الى بيوتهم تكون اعمالهم قد انهكتهم تعباً فلا يقوون على مشاركة النساء في اعمالهنَّ التي يحسبونها اخف تعباً وانهم لا يحملون شيئاً في رحلاتهم غير سلاحهم ليكونوا على اهبة للقاء الاعداء ومقاتلتهم اذا دهموهم

ومتى تحضر المجتمع اختلف توزيع الاعمال فصار الرجل يقوم باعمال البناء ولكن لم ينتفِ وجود النساء بين البنائين ومثل ذلك قطع الاشجار واغرب من هذا ان معالجة الطعام واضرام النار وامثال ذلك تمسي من اعمال الرجل ولو كان زعيماً في قومهِ واما البيع والشراء بين المتوحشين والراقين عنهم قليلاً فهما ايضاً من خصائص الرجل ولكن بعض المجتمعات تمنح النساء حق الاتجار فتجد اسواق جاوى غاصةً بالنساء المتجرات

وكأن الرجال والنساء قد تبادلوا اعمالهم في بعض المواضع حيث ترى النساء يبعن ويشترين ويعملن كل اعمال الرجال بينما يكون رجالهنَّ جالسين في البيوت يغزلون او يحيكون او يعملون الاعمال النسائية الاخرى . والذي ارى ان هذا التبادل في العمل نتيجة انقلاب حال الرجل من الشدة والتمرُّن على السلاح الى الخمول والتخنث . وعقبي استمرار النساء على الاعمال العسيرة التي يضطررن اليها مرضاةً لرجالهنَّ وتنفيذًا لرغائبهم وجورهم فيهنَّ حتى صرن يعملن اعمالهم . وهذا التخنث بلغ في بعضهم حدًّا جعلهم يحسبون العار لاحقاً بالرجل الذي ينزل السوق للبيع والشراء

وكأنهم خلطوا بين الاعمال فاصبح الرجل يُهان اذا حمل قربة ماء او اذا خبز عجيناً ولكنهُ لا غبار عليهِ اذا غسل الثياب من غير ان تسعفهُ المرأة . وفي مجتمعات اخرى تعاف

النساء الخياطة جملةً فان مست الحاجة اليها قام بها الرجال

كل هذا الاجمال يدل ان انفة الرجل الفطري وشدة بأسهِ حملتاهُ على اختيار الحرب والصيد والاستئثار بهما عملاً وترك ما عداهما للمرأة . واذا اعتبرت حالة المجتمعات الاولى ترى هذين العملين اي الحرب والصيد من اشد الحاجيات لزوماً ليس فقط لقيام المجتمع بل لحفظ بقاء الفرد . ومتى اضطر المجتمع الى الذود عن حالهِ لا يجد من يعتمدهُ الاَّ الرجال لانهم اشداء واما النساء فالغالب فيهنَّ الضعف ولكنَّ ضعفهنَّ نسبي اي بمقابلة قوتهنَّ بقوة رجالهنَّ وانت تعلم ان الحمل والولادة والرضاع تجعل المرأة في حالةٍ لا يستطاع معها القيام باعمال الحرب والصيد ومع ذلك فقد وجد في بعض المجتمعات نساء شاركن الرجال في الحرب والقتال وحسبك شاهداً المحاربات المعروفات بالامازون

وفي بعض المجتمعات ترى الصيد والقنص ميسوراً يستطاع اخذهُ على هينةٍ ويستوي فيهِ الرجل العاجز والقويّ والمرأة والصبي ففي مثل ذلك المجتمع لا تجد حالة النساء منحطةً كحالة سائر النساء عند المتوحشين لانهنَّ ولئن كنَّ كغيرهنَّ يحسبن ملكَ الرجل وتحت مطلق تصرفهِ فلن لهنَّ رأياً وكلمةً في المجتمع . وفوق هذا فان النساء اللواتي ينهضن مع رجالهنَّ للحرب كما في الداهومي ترتفع منزلتهنَّ وحسبك ان الرجل في تلك القبيلة يجامل امرأتهُ ولكنها لا تنال تمام حقوقها بالنظر لجنف الرجل وجورهِ

ويستفاد من هذا ان فرق العمل بين الرجل والمرأة هو السبب الاهم في انحطاط النساء الا ترى ان الرجل الذي يقدم على الاعمال الكبرى كالحرب والصيد وهما للذود عن المجتمع وحفظ بقائهِ يحسب نفسهُ قد اتمَّ عملاً مهمًّا لا تقدر على عملهِ شريكة حياتهِ فلا ينظر اليها بعين الاعتبار. يؤيد هذا انهُ في المواضع التي زال بها السبي واستولى العمل او كاد يطل اثر الفرق بينهما وكادا يستويان واما الفارق الآخر الذي ذكرناهُ اولاً اي شراء المرأة او امتلاكها سبياً او اختطافاً فهو فاعلٌ ايضاً في حطتها عن مالكها يؤيد هذا ما عرفناهُ من ان بعض القبائل التي لا تبيع بناتها بيعاً بل توجب على خطابها ان يخدموا اباها فيكافئهم عن خدمهم باعطاء البنت فان حالة الفتاة تكون ارقى لان زوجها تدانى الى خدمة ابيها سعياً في الحصول عليها فلا يعقل ان تنال من زوجها غضاضةً لا سيما وانها مدى وجود خطيبها قائماً في خدمتها تقع بينهما المجاملة والملاطفة والاستئناس وربما دب الحب

وليس ما ذكرنا كل ما في الوطاب من شأن النساء في المجتمعات الجمة بل ثمت مواضيع شتى يحسن الالمام بها ولعلنا نعود الى هذا البحث في فرصة اخرى م . ن

صور السماء

وقع لنا منذ سبع عشرة سنة ونيف كتاب جليل في علم الفلك فاشرنا اليهِ في ما كتبناهُ عن صور السماء في المقتطف الصادر في شهر مايو سنة ١٨٩٠ حيث قلنا " وانا نكتب هذه السطور وامامنا نسخة من كتاب ابي الحسين الصوفي الذي الَّفهُ للسلطان الغ بك في اواسط القرن الرابع للهجرة وفيهِ رسوم ملونة للابراج وبقية الصور السماوية اجاد المصور رسمها وتزويقها وافرغ فيها دقيق الصنعة ورسم الكواكب فيها بالذهب ومثَّل بصور الرجال والنساء هيئات الفرس "

وقبل ان نراجع مسوَّدة ما كتبناهُ اخذ الكتاب صاحبهُ وباعهُ لمكتبة فرنسا الوطنية ثم لم نقف لهُ على اثر. ويظهر لنا الآن اننا اخطأْنا في قراءة مقدمة الكتاب فانهُ لم يؤَلف لألغ بك بل نسخ لهُ لان الصوفي كان في اواسط القرن الرابع للهجرة وأُلغ بك في اواسط القرن التاسع فبينهما نحو خمس مئة عام . وبلغنا حينئذٍ من مختار باشا الغازي ان هذا الكتاب طبع في روسيا وارانا كراريس منهُ وصورها مثل الصورة المقابلة ولكنها غير ملونة .والمعروف عن ابي الحسين الصوفي قليل جدًّا فلم نرَ لهُ ترجمة في ابن خلكان لكن ابا الفرج الملطي ذكرهُ فقال " ان عضد الدولة فناخسرو شاهنشاه بن بويه كان اذا افتخر بالعلم والمعلمين يقول معلمي في الكواكب الثابتة واماكنها عبد الرحمن الصوفي وفي حل الزيج الشريف ابن الاعلم وفي النحو ابو علي الفارسي . وكان عبد الرحمن بن عمر بن سهل ابو الحسين الصوفي الرازي فاضلاً نبيهاً نبيلاً ومن تصانيفهِ كتاب الصور الشمالية مصور والارجوزة وكتاب مطارح الشعاعات وتوفي سنة ٣٧٦ عن ٨٥ عاماً "

واشار اليهِ ابن الاثير في حوادث سنة ٣٧٦ حيث قال — وفي هذه السنة توفي ابو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي المنجم لعضد الدولة وكان مولدهُ بالري سنة احدى وتسعين ومائتين

وقال المستر الارد غور في مقالة نشرها حديثاً في مجلَّة المعرفة الانكليزية ان المسيو شيلرُب الفلكي الدنماركي نشر سنة ١٨٧٤ ترجمة فرنسوية لكتابين عربيين من كتب الصوفي احدهما في المكتبة الملكية بكوبنهاغن والثاني في المكتبة الامبراطورية ببطرس برج . والنسخة التي في مكتبة كوبنهاغن اشتراها نيبهر سنة ١٧٦٣ وهي حسنة الخط وقد نسخت سنة ١٦٠١ عن نسخة كتبت سنة ١٠١٣ عن نسخة الصوفي الاصلية وصورها ملونة حسنة الرسم

ولا يحتمل ان تكون النسخة التي رأيناها دون غيرها من النسخ لانها منسوخة لألغ بك الذي كان جامعاً بين عزة الملك والبراعة في علم الفلك وهي من كتب المرحوم عساف الزيات الذي توفي في هذه العاصمة منذ بضع عشرة سنة

وقال المستر غور ان الصوفي بنى كتابهُ على كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي ولكنهُ لم يكتفِ بمتابعتهِ بل رصد النجوم كلها نجماً نجماً وعيَّن اماكنها واقدارها بالتدقيق التام . اما اماكنها فاكتفى باصلاحها بالنسبة الى مبادرة الاعتدالين واما اقدارها فاعتمد فيها على رصدهِ وهو يذكر ايضاً قدر الكوكب حسب بطليموس اذا كان مخالفاً للقدر الذي ظهر لهُ ومن ثم فلكتابهِ فائدة كبيرة في الاستدلال على تفسير اقدار النجوم من عصر بطليموس او هبَّرخس الى عصر الصوفي ثم الى عصرنا هذا . ولم يكتفِ الصوفي بذلك بل قابل بين اقدار بعض الكواكب . واكثر اقدار الكواكب التي ذكرها الصوفي مثل اقدارها المعتمد عليها الآن في زيج ارجلندر وزيج هيس ولو خالفت اقدار المجسطي

ومما تمتاز بهِ ارصاد الصوفي انهُ لم يذكر لون الشعرى العبور مع ان هبَّرخس وبطليموس قالا ان لونها ضارب الى الحمرة فكأَن احمرارها كان قد زال في ايامهِ وصار كما هو الآن. وقد بيَّن الاستاذ سي الفلكي ان لون الشعرى كان احمر في الازمنة الغابرة وقد قال سنكا انها كانت اشد حمرةً من المريخ

وقال الصوفي ان لون الغول احمر وهو الآن ابيض ولذلك فلونهُ او لون تابعهِ قد تغيَّر من عصر الصوفي الى الآن. وذكر السديم الذي في المرأة المسلسلة ولم يذكرهُ أحد في اوربا قبل سنة ١٦١٢ حين ذكرهُ سمعان ماريوس اما الصوفي فيذكرهُ كشيء مشاهد في عصرهِ

وتكلَّم على مبادرة الاعتدالين فقال ان بطليموس واسلافهُ راقبوا حركة دائرة البروج فوجدوها درجة كل مئة سنة اما هو فوجدها درجة كل ٦٦ سنة . وهي الآن درجة كل نحو ٧١ سنة ونصف سنة . وعلَّل استخدام منجمي العرب لمنازل القمر باعتمادهم على الشهر القمري

وقال ان كثيرين يحسبون عدد النجوم الثابتة ١٠٢٥ والحقيقة ان عدد النجوم الظاهرة اكثر من ذلك والنجوم الخفيَّة اكثر من ان تحصى . وعدَّ ١٠٢٢ من النجوم ٣٦٠ منها في الصور الشمالية و ٣٤٦ في دائرة البروج و ٣١٦ في الصور الجنوبية

وقال المستر غور في ختام مقالتهِ ان كتاب الصوفي اصح من كتاب بطليموس وزيجهُ اصح زيج وصل الينا من كتب القدماء

هذا وقد وقع لنا رسالة عربية في صور السماء ونحن ندرس علم الفلك منذ نحو اربعين

سنة لا يذكر فيها اسم مؤلفها فنسخناها حينئذٍ وقد جُعل فيها عدد الكواكب في الصور الشمالية ٣٨٦ وفي الجنوبيَّة ٣١٠ وفي دائرة البروج ٣٤٩ والجملة ١٠٤٥ . والرسالة تقع في نحو ثماني عشرة صفحة من صفحات المقتطف وسننشرها في جزئين تاليين ونعلق عليها شرحاً وتمييزاً

اما الصور المرسومة امام هذه المقالة فمنقولة عن كتاب الصوفي وهي حسب اعدادها المرسومة معها

(١) الدب الاصغر (٢) الدب الأكبر (٣) التنين (٤) قيفاوس
(٥) العواء (٦) الفكة (٧) الجاثي (٩) الدجاجة (١٠) ذات الكرسي
(١١) برشاوش (١٢) ممسك الاعنة (١٣) الحواء

واسماء نجومها مكتوبة فيها بالعربيَّة ولو كان خطها دقيقاً لا يكاد يرى بالعين لدقتهِ وسنشبع الكلام عليها وعلى غيرها من صور السماء في الاجزاء التالية

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا (اي علم الانسان)

احتفل الانكليز في شهر اكتوبر الماضي ببلوغ الاستاذ تيلر ابي علم الانثروبولوجيا في بلاد الانكليز السنة الخامسة والسبعين من عمرهِ والّفوا كتاباً في المواضيع الانثروبولوجيَّة تذكاراً لذلك

وبحث علماء الانثروبولوجيا في زمن استعمال الحديد فاعترض الاستاذ ردجواي على قول القائلين ان الحديد استعمل في القطر المصري منذ عهد قديم جدًّا وقال ان اول ما استعمل كان في اواسط اوربا وذلك منذ عهد غير بعيد . وقال الاستاذ بتري ان اهالي مصر استعملوا الحديد على قلَّة قبلما شاع استعمالهُ باربعة آلاف سنة . وقال الاستاذ نافيل ان استعمال الحديد لم يشع في القطر المصري قبل عصر الرومانيين

وبحث الاستاذ نافيل في اصل المصريين الاقدمين وقال ان الشعب الذي اكتشف آثارهُ الاستاذ بتري وقال انهُ سابق لزمن التاريخ هو اصل سكان مصر ولعل للبرابرة منهُ ثم دخل مصر شعب آخر وامتزج بالسكان الاصليين فتولد الشعب المصري من هذا المزيج ولعل هذا الشعب الثاني جاءها من جنوبي بلاد العرب وهو حامي مثل سكانها الاصليين.

وقال الاستاذ بتري ان اقدم المدافن المصرية التي اكتشفها يمتد في تاريخهِ الى سبعة آلاف

سنة قبل المسيح وفيهِ صور اناس ابدانهم حمراء وشكلهم مثل البشمن او شكل الصور التي وجدت في بعض الكهوف الفرنسوية وهم اقدم سكان القطر المصري وجاء بعدهم شعب يشبه الاموريين سكان سورية ويظهر من الآثار ان هذين الشعبين سكنا القطر المصري معاً منذ زمن قديم جدًّا

البيولوجيا (اي علم الاحياء)

كثر البحث في داء النوم لاكتشاف علاج لهُ وقد اكد البعض ان الاتوكسيل (وهو مركب زرنيخي) يفيد في شفائهِ ولكن فائدتهُ غير مضطردة . وفي ٧ نوفمبر اعلن بلروطمسن ان طرطرات الصوديوم الانتيموني يفعل بميكروب هذا الداء فينقي الدم منهُ وان الجرذان التي عولجت بهِ شفيت ولم يعاودها الداء بعد مضي ٦٦ يوماً وقد عولجت بهِ حقناً وجرعتهُ اصغر من جرعة الاتوكسيل واشد منها فعلاً

ثم ظهر ان للتمساح علاقة بانتشار داء النوم واشار البعض باستئصال التماسيح فيستأصل الداء لان استئصال الذباب الذي ينقل عدواه ضرب من المحال

وثبت ان حمَّى مالطة تتولد من شرب لبن المعزى فمنعت حامية مالطة من شرب هذا اللبن

وتلا الاستاذ فارس خطبةً موضوعها الخلايا وقال ان الاهميَّة الكبرى للنواة التي في الخليَّة فاذا قسمت خلية قسمين وكانت النواة في احدهما نما وظهرت فيهِ كل خواص الخليَّة الحيَّة كيماويةً كانت او طبيعيَّةً واما القسم الاخر الخالي من النواة فلا يظهر فيهِ شيء من ذلك

الجغرافيا

كان اكثر هم الاوربيين والاميركيين مصروفاً الى اكتشاف الاصقاع القطبية في جهات القطب الشمالي وجهات القطب الجنوبي وحاول بعضهم الذهاب الى القطب الشمالي بالبلون وصنع بلوناً لهذا الغرض لكن الرياح عبثت بهِ فعدل عنهُ . وستذهب بعثة انكليزية الى جهات القطب الجنوبي في اوائل سنة ١٩٠٨ ثم تتبعها ثلاث بعثات اخرى . وقد تبرعت الحكومة الفرنسوية باربعة وعشرين الف جنيه لبعثة الدكتور شاركو وستعد لهُ سفينة خاصة وتوضع فيها مؤونة تكفي بعثتهُ سنتين

واكتشف سفن هدن سلسلة من البحيرات في نجود تبت غربي الصين وعبر شعاباً في الجبال تعلو بعضها ١٩٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وبلغ مصادر الكنج . واكتشف الدكتور

ستين مواقع المدن القديمة الى الشمال والى الجنوب من لب نور فوجد ان بعضها خرب منذ القرن الثالث للميلاد . وعثر على كثير من الكتابات القديمة بعضها بلغة هندية قديمة وبعضها بالصينية . وعبر صحراء شامعة حيث سار ماركو بولو ووجد هناك سلسلة من الحصون تمتد ١٤٠ ميلاً وتصل بسور الصين وقد بنيت في القرن الثاني قبل المسيح و بقيت الحامية فيها الى القرن الثاني بعد المسيح . وساح في جبال نان شان وارتفاع بعضها ٢١٠٠٠ قدم. ووصل المستر اندرصن الى بركان كيوشوي وقال انهُ اكبر البراكين كلها فان مساحة فوهته مئة ميل مربع وضرب كثيرون من السياح في بلاد الصين وبحثوا عن منابع انهارها

وقطع الكبتن ارنود صحراء افريقية من الجزائر الى الدهومي وساح الدكتور ولستون في بلاد ومفمبرو فوجد فيها تسعة براكين ارتفاع اعلاها ١٤٠٠٠ قدم وقرب اعلاهُ غابة كبيرة من القنا الهندي يقال ان سكانها من الاقزام . وقطع صديقنا المستر سفدج لندر افريقية من شرقيها الى غربيها بطريق لم يطرقهُ سائح اوربي قبلهُ وزرناهُ في لندن فارانا خريطة الطريق التي سار فيها وما جلبهُ من البلاد من المصنوعات والتحف وفي جملتها انياب افيال يبلغ طول بعضها نحو ثلاثة امتار وكان مشتغلاً بتأليف كتاب كبير عن رحلتهِ

وخطب لورد ابروزي في ابتداء العام امام الجمعية الجغرافية الملكية ووصف جبال رونتزوري (جبال القمر) وقال انها ستة جبال يبلغ ارتفاع اعلاها عن سطح البحر ١٦٨١٥ قدماً

ولا يزال البحث الجغرافي والجيولوجي جارياً في مصر والسودان بهمة رجال مصلحة المساحة الجيولوجية وهم يخططون البلاد ويبحثون في جيولوجيتها ويرسمون ذلك في خرائط ملونة تدل على شكل الارض وارتفاعها وبنائها الجيولوجي ومعادنها

الجيولوجيا

امتحن الاستاذ جولي الصخور المستخرجة من سرب سمبلون فوجد فيها شيئاً كثيراً من الراديوم والظاهر ان الراديوم كثير في جوف الارض ويظن العلماء الآن ان لهُ يداً في تكون جبال الارض

وخطب الاستاذ غريغوي في مجمع تقدم العلوم البريطاني عن اصل المعادن اي كيفية رسوب العناصر المعدنية في مناجمها وذهب ان مناجم الذهب في بلاد الترنسفال كانت ساحلاً بحرياً وان الذهب رسب بين حصاها من ماء البحر او جرفتهُ السيول اليها ثم انحسر البحر عنها وشخصت الارض فصارت كما هي الآن

التقليد

التقليد ميل فطري في الانسان يدفع بهِ الى محاكاة من اعتقد فيهِ التفوق عليهِ فيتحداهُ في معظم شؤونهِ واحوالهِ على حد قول القائل

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاحُ

على ان هذا التقليد لا يقف عند حد الانتفاع بالمتابعة ولا الاعتقاد بتفوق المقلَّد فقد يندفع الانسان في غالب الاحايين بميلهِ الفطري الى اقتفاء الاشياء وتحديها من غير تحكيم الروية ولا بعامل الاستحسان وانما بدافع طبيعي فيهِ

وترى الاطفال تتبع حركات الابوين والقائمين على تربيتهم وتمثلهم في اشياء كثيرة تقع من اهلهم موقع الاستغراب فينسبون صدورها الى قوةٍ كبيرة في مداركهم ويتفاءلون خيرًا وما هي في شيء مما يزعمون وانما تلك اعمال بعثها التقليد الفطري ولا يد للتعقل والارادة في اعمال الفطرة وكيف تصدر عن شيء لم يتكوَّن بعد ولا حان وقت ظهورهِ. على ان التقليد الفطري هو الاستاذ الاكبر للطفل الذي يلقنهُ التكلم ويعلمهُ المشي. وكثيرات من الامهات ذات الحنان الشديد تقضي عليهن قوة العواطف في ملازمة الطفل والاكثار من الحركات والتكلم معهُ لاسيما اذا كان وحيدًا فلا يطول الامر بهِ حتى يقوى على التكلم كما هو مشاهدٌ من حالات الابكار الذين يولدون وعاطفة حنان الابوين في ابَّان اشتدادها

وليس التقليد بأستاذ الكلام للطفل فقط وانما هو استاذ الانسان في وضعهِ الكثير من الفاظ اللغة فقد حلَّل اللغويون من علماء اوربا الفاظ اللغات القديمة الاصلية فوجدوها على قسمين قسم منها يعرف بالمحاكاة Onomatopee وهي الكلمات التي يحاكي التلفظ بها صوت الشيء الذي تعنيهِ والقسم الثاني التمثيلي Mimique وهو تمثيل الشيء باشارة تنبه الفكر الى المقصود من الافكار والعواطف. اعتبر ذلك بما تراهُ في الكثير من كلمات لغتنا العربية اذ انها ولابدع من اللغات السامية القديمة وهي ملأى بالالفاظ الموضوعة لمحاكاة صوت الشيء الذي تعنيهِ من مثل اذا تكلم الانسان وكان في خياشيمهِ خنة يقال خنخن واذا اخذ في الضحك الشديد يقال قهقه ولصوتهِ قهقهة واذا تحاكَّت الاشياء اليابسة واصاتت يقال لصوتها خشخشة واذا خرج صوت من الانسان لتوجع او غم يقال صاح واذا صات من حلقهِ وانفهِ يقال شخر ويقال لصوت الماء الجاري خرير ويقال لصوتهِ في الجرة او الكوز بقبقة ولصوتهِ اذا استخرج من الانية قرقرة واذا سال قليلاً قليلاً قيل بضَّ بضيضًا و يقال لصوت

البقر خوار وللسنور مواء ولصوت النائم الغطيط · والعواء والوعوعة للذيب والنقنقة للدجاجة والنقيق للضفدع وتجد من تلك الكلمات الشيء الكثير مدونًا في كتب اللغة ومعجماتها

كان التقليد استاذ الانسان الاول في وضع اللغة وفي الكثير من حاجاته الاولية التي قلد بها الحيوان من مثل انهُ اخذ عن الشمبانزي كسر الجوز بالحجر ورأى الطير يبني عشاشهُ فتحداهُ باصطناع الاكواخ من غصون الاشجار وشهد الحيوان يأوى الكهوف التجاء اليها من صبارة البرد فاقتفاهُ في حفر المغاور او حفرها على شواطىء الانهار والاودية وتعلم النسج من العنكبوت والسباحة من الحيوانات التي تعوم في مياه البحيرات والجداول الى غير ذلك من الصنائع التي كان التقليد سببًا لوجودها وليس هو بالغاية التي ترقى اليها الصنائع على ما يظن البعض

وليس التقليد من خصائص دور الطفولية وطور البداوة في الامم بل يتناول جميع ادوار الحياة وكل اطوار رقي الشعوب بين قلة فيها وكثرة و بين ابتغاء النفع و بين الرغبة في المتابعة غير مشروط فيها النفع والضرر الا انهُ في اطوار الرقي وادوار الرجولية يتوق المقلد لاتباع المتفوق عليهِ معنًى وحسًّا · قال العلاَّمة ابن خلدون في ذلك ما يأتي ان النفس ابدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليهِ اما لنظرهِ بالكمال بما وقر عندها من تعظيمهِ او لما تغالط بهِ من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادًا فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت بهِ اه

وحقيقة هذا القول ظاهرة لمن اطلع على سير الشعوب ووقف على ما فعل التقليد في الاخلاق والعادات والافكار وسائر الشؤون الانسانية وانهُ يتسلل الى الامم فيقلب احوالها و يكيف طبائعها ولا يقف في سبيلهِ ما يكون من البغضاء والنفور بين الطوائف وبين امة واخرى و يشترط في حصول التقليد الامتزاج والاختلاط سواء كان موصولاً بالحب او الكره والعبرة فيهِ للقرب بحيث تأخذ العين ما يقرها والعاطفة ما يثيرها

على ان الى جانب الميل التقليدي في الانسان ميلاً اخر يعاكسهُ وهو الميل الى الاستقلال · وعلى نسبة قوة هذه العاطفة في الامة او ضعفها يتوقف اعتلاؤها في سلم الحضارة والعمران ولسوء الحظ ان هذه العاطفة فينا ضعيفة جدًّا ان لم نقل ضعيفة منا وان التقليد تأصل في عروقنا وصار من طبيعة الشرقي والخاصة المميزة لنوعهِ

واذا اراد المطالع الوقوف على نتائج التقليد ومؤثراتهِ في الاعمال والاخلاق والعادات وسائر الشؤون فليقابل بين تلميذين الواحد منهما اوربي من اهل الاستقلال والثاني شرقي

من ذوي التقليد يراهما اذا تعلَّما معاً حرفة من الحرف كالتجارة والحدادة والبناء وغيرها او تلقنا العلم في احدى المدارس تفوَّق الشرقي في الاخذ والتعلم وفاز على الغربي وهذا مشاهد في ابناء بلادنا الذين يطلبون العلم في مدارس اوربا فان الواحد منهم على انهُ غريب اللغة والبلاد يسبق رفاقهُ من الاوربيين ويحوز التبريز عليهم الَّا انهُ متى خرج الاثنان من تعلم الحرف او تلقن العلم وبعبارة اخرى متى خرجا من دائرة التقليد الى عالم العمل والاستنباط وقف الشرقي عند حد التلقين وسار الغربي وخُلُق الاستقلال يدفعهُ الى الاختراع والاستزادة على ما تعلَّمهُ في صنعتهِ او ما تلقنهُ من علومهِ

ويظهر الفرق جليًّا بين الاستقلال والتقليد في ادارة الاعمال على انواعها من قضاء وتجارة وزراعة وعلم وغير ذلك. ترى الشرقي اذا اشتغل في احدى دوائر تلك الاعمال وكان العمل معيناً محدوداً من كتابةٍ او محاسبةٍ او شيء آخر ليس من نوع الادارة اتم عملهُ بكل سرعة واتقان وتعذر على الغربي مجاراتهُ في ذلك او التفوق عليهِ وان كان العمل من نوع الادارة التي تطلب الاستقلال في الفكر وتحتاج في الاحايين الى استنباط طرق او ايجاد وسائل لنجاح العمل كان السابق في هذه الحلبة الاوربي يؤيد ذلك غير واحد من المشاريع الوطنية التي تولَّى ادارتها رجال من الشرق فانها لم تقوَ على السير طويلاً واندرجت في خبر كان. واليك مثالاً آخر على استرسال الشرقي للتقليد الشعر العربي فان العرب قالوا الشعر زمن الجاهلية وبرعوا فيهِ كثيراً ولا غروَ فالعرب من الشعوب السامية التي استغرقت في عالم الخيال لا سيما وانها في الجاهلية وزمن الفتح اوائل الاسلام كان لها من الحرية والاستقلال ما اكسب شعرها قوة البلاغة واختراع المعاني والتفرد في ابتكار اساليبهِ مما هو ظاهر في اشعار الجاهلية والمخضرمين والمولدين. ثم توالت الايام وكرت الدهور على هؤلاء الشعراء النابغين وخلفهم الوف مؤلفة ممن انتحل صناعة الشعر فلم نرَ بينهم على كثرتهم من خرج عن دائرة التقليد ولا من خطَّ لنفسهِ منهاجاً جديداً بل جماعهم استفتح قصائد المدح بالغزل او التشبيب فتغنى بذكر الاباطح وبرقة تهمد وارام وجرة ووصف المحبوب بالمقلة النجلاء والشامة الخضراء والوجنة الحمراء وناداها بليلى ودعد وسلمى وهند وزينب وتخلص الى وصف ممدوحهِ بالاسد الرئبال والبحر الخضم والسحاب والجوهر الفرد وقس على هذا الباب كل ابواب القريض من رثاء وهجو وفخر وتهنئة وعتاب وزهد الى غير ذلك مما وضعهُ الاولون ولم يتعدهُ المتأخرون حتى ولا في الالفاظ المفردة

ويتفاخر اليوم اهل القطرين المصري والشامي بانهما في دور النهضة وما اخلق هذا

الدور بالتسمية بدور التقليد الجديد ذلك ان الحوادث السياسية في النصف الاخير من القرن الماضي دفعت بجماعة من الاوربيين والاميركيين الى استيطان القطرين والاقامة بيننا فاستهوانا جمال حضارتهم وتفوقهم بالعلم والمال . والنفس مفطورة على الاقتداء بمن تعتقد فيهم الكمال والتشبه بهم ولذلك هبت هم اهل القطرين هبةً قوية لتحدي الاوربيين وتتبع خطواتهم فلم يمضِ علينا الزمن الطويل حتى صار يعسر على اعاظم النقدة التمييز بين البعض منا وبينهم في الملبس والمسكن والمطعم وحتى ان نفرًا منا قلدوهم في الرطانة وركاكة التعبير

وحبذا لو دفعنا التقليد الى مجاراتهم في الشؤون النافعة من حيث الاخلاق والصدق والاستقلال في الفكر وحرية الضمير والقول والاجتهاد والاقتصاد ونكران الذات واشباه ذلك من الفضائل التي تخرج بنا من دور التقليد الاعمى الى دور الاستقلال والاختراع ي . ي

باب الزراعة

الخزانات وموسم القطن

وهو خطبة للسر وليم ولككس تلاها في الجمعية الجغرافية الخديوية في ٢١ دسمبر

اني مهتم باعداد طبعة ثالثة من كتابي " الري المصري " ولذلك رأيت ان اقضي الشتاء الماضي في البحث عن مياه النيل ومستقبل زراعة القطن لكي اضيف ذلك الى كتابي. وكنت ارجو ان اعود بعينات من التربة والقطن من كل جهات وادي النيل وقد جمعت ما جمعت منها ولكنني اضطررت اخيرًا ان اتركها راضيًا من الغنيمة بالاياب (ثم ذكر المرض الذي اصابهُ في اعالي السودان وشكر للذين اعتنوا بعلاجهِ وتمريضهِ وعاد الى موضوعهِ فقال)

ان من يصعد من سواحل البحر المتوسط الى البحيرات الاستوائية يرسخ في ذهنهِ ان نجاح البلاد وانتشار زراعة القطن فيها مرتبطان احدهما بالآخر كأنهما شيءٌ واحد وان وادي النيل من اصلح البلدان لزرع القطن

فالوجه البحري من العاصمة الى بحر الروم ومن بني سويف الى العاصمة يزرع فيهِ القطن

الجيد لان الهواء البحري يلطف حر صيفهِ · وقد قال المستر فودن ان بني سويف في الحد القبلي لاجود انواع القطن المصري · وبين بني سويف واسيوط يكون القطن جيدًا ايضًا لا يفوقهُ الاَّ قطن الوجه البحري واما جنوبي اسيوط فالصيف احر ولا بدَّ من الاعتناء في اختيار انواع القطن التي يصلح زرعها هناك · وقرب اصوان وجنوبيها تصير زراعة القطن صيفية او شتوية ولذا احسن اختيار التقاوي امكن الحصول على قطن جيد من الزراعة الصيفيَّة ومن رأْي المستر فوريف ان هذا القطن يجب ان يزرع في الاسابيع الثلاثة الاول من شهر يونيو · ويرد الشتاء شمالي الخرطوم يحول دون تفتيح لوز القطن فيهِ واما في جوار الخرطوم وفوقها جنوبًا لحر الصيف ليس اشد من حر البلاد التي شمالي الخرطوم ويرد الشتاء قليل فلا يعوق تفتيح القطن الجيد في الشتاء ولذلك يمكن جعل القطن هناك من مواسم الصيف او مواسم الخريف والشتاء وقد رأَيت الناس يجمعون قطنهم الجمعة الاولى في جوار الخرطوم في يناير سنةً وفي فبراير سنةً اخرى وكان الموسم جيدًا · ويصدق ذلك على كل جهات البحر الازرق · ورأيت لوز القطن مفتحًا في يناير على البحر الابيض وبعض الوطنيين يزرعون القطن هناك على شاطئ النيل بعد رجوع مياه الفيضان تمامًا

وقد شاهدت القطن مزروعًا للتجربة على البحر الابيض في كل مكان من نهر السبت الى غندكرو وكان قدحان قطنهُ في شهر يناير · ويختلف الاقليم بين الخرطوم وغندكرو فيناير ابرد الشهور في الخرطوم وهو احرها في غندكرو · ورأَيت لوز القطن مفتحًا جنوبي غندكرو الى مسندي في أُنيور ولكن الاراضي المزروعة قطنًا هناك قليلة جدًّا ولم ارَ انهُ يزرع بقصد بيعهِ الاَّ في مسندي واقمت يومين في منولا حيث يراد انشاء الخزان في اعالي النيل لاتفحص تلك الجهات فرأَيت القطن مزروعًا في حديقة هناك ولوزهُ مفتح والشجر كبير نضر وقطنهُ كثير · ولا ري جنوبي غندكرو فتعتمد المزروعات فيها على المطر فقط واخبرت ان شهر يناير اجف شهور السنة من حيث المطر ومن حيث الندى واصلح الشهور لجمع القطن · وسافرت شهر فبراير فلم ارَ مطرًا بين غندكرو واوغندا وكانت الاعشاب محروقة في كل مكان والبلاد كلها في اشد الجفاف الاَّ المستنقعات الآسنة ورأَيت حقولاً من القطن الجيد قرب مسندي علو اشجارهِ ست اقدام وهي مغطاة باللوز الابيض ولا احد يهتم بجمعهِ لان السكان لا يهتمون الاَّ بزروعاتهم من الموز والبطاطا الحلوة · واستغربت انهم لا يزرعون السمسم هناك مع انهُ يجود في ذلك الاقليم · ويظهر لي انهُ يمكن زرع القطن الجيد بين مينولى ومسندي اذا سكن تلك البلاد اناس دئبون على الزراعة فان اقتلاع الاعشاب من الارض

ليس امرًا كبير المشقة والتربة جيدة والاقليم مناسب ومدة القيظ تكفي لجمع القطن

ورأيت حقولاً خصيبة في اوغندا مملوءة بزراعة القطن وهو مغطًى بالجوز الابيض والوقت مناسب لجمعهِ لكن ذلك غير عادي فان الشتاء الذي كنت فيهِ هناك كان شديد القيظ على خلاف المعتاد وانا مرتاب في ان مدة القيظ تطول في الشتاء هناك عادةً حتى تكفي لجمع القطن . والظاهر ان الاوربيين المقيمين شمالي البحيرة يفضلون زراعة الصمغ المندي والذين الى جنوبيها يفضلون زراعة النباتات ذات الالياف . ولكن الوطنيين في كل مكان يفضلون زراعة الموز والبطاطا وقصب السكر

ولا فرق بين الفصول في اوغندا نفسها من حيث درجة الحرارة ولكن شهر يناير يكون اجف الشهور . وعندهم وقتان ينحبس فيهما المطر والندى الواحد في الصيف والآخر في الشتاء ولكن جمع القطن لا يكون الاَّ في الشتاء وقد كان كذلك حينما كنت هناك . وكل القوافل الآتية من اوغندا الى غندكرو تفضل السفر في شهر يناير لان العشب يكون قد احترق وجفت الارض وانحبس المطر والندى غالبًا

وقد التقيت بقوافل كثيرة من الحمالين سائرة شمالاً وبقطعان كثيرة من البقر مسوقة الى الشمال . واذا عمرت البلاد امكن تربية المواشي فيها من الغنم والبقر والمعزى في كل البلاد بين نيمولي واوغندا وفي اوغندا نفسها ويكون من تربيتها ربح وافر والسكان يميلون الى ذلك اكثر مما يميلون الى زرع القطن

وقد تختلف الآراء في مستقبل البلدان التي على اعالي النيل والمزروعات التي يناسب زرعها والصناعات التي يحسن تعاطيها هناك ولكن قلما يرتاب احد في انهُ لا يمكن ان توجد زراعة تناظر زراعة القطن في مصر والسودان من الآن الى سنين كثيرة . وقد تبقى زراعة القصب مفضلة على زراعة القطن جنوبي اسيوط ولكن هذا ليس من رأيي . وفي السودان قد تبقى زراعة القمح مفضلة على زراعة القطن ولكن اذا تسهلت الوسائل لري القطن صارت الافضلية لهُ هناك ايضًا . ولا بد من الري للقطن في مصر وفي السودان اما في السودان فمن ١٥ مايو الى ١٥ مارس واما في مصر فمن ١٥ مارس الى ١٥ اكتوبر ومياه الري ضرورية في المكانين بين ١٥ مايو و ١٥ يوليو حين يكون ماء النيل على اقلهِ وهذا يجعل خزن المياه ضروريًا جدًا لتوسيع زراعة القطن في القطرين

وفي الوجه البحري اكثر من مليون فدان من الاراضي التي يمكن ان تصير اخصب اراضي القطن في الدنيا وهي بور الآن لقلة المياه ولهذا السبب عينهِ افضل اطيان السودان باقٍ

مهملاً . و يسير المرء اياماً متوالية في سهول الوجه البحري فيراها براري قاحلة مستملحة لان ليس لها ماءٌ صيفي حتى تزرع سنةً ارزًا وسنةً قطنًا دواليك فتصير جنانًا نضرة بعد ان كانت براري قاحلة . ورجال الحكومة لا يسمحون بالري الصيفي في السودان الآ في اماكن مخصوصة ويمنعون اخذ الماء من النيل من اول فبراير الى ١٥ يوليو (اي في الوقت الذي يصلح فيهِ زرع القطن) . مثبت في شهر يناير الماضي في اطيان مزروعة قطنًا في جوار الخرطوم بعضهُ زرع في شهر يونيو اصلح الشهور لزرعهِ هناك وبعضهُ بعد ١٥ يوليو والاول كثير الخصب كثير اللوز كبيرهُ والثاني لوزهُ ظاهر في غير اوانهِ ويحتاج الى الري حتى شهر مارس ولكن سينقطع الماء عنهُ في آخر يناير . والذين يباح لهم رفع الماء من النيل في ١٥ يوليو لا يستطيعون زرع قطنهم كلهِ في ذلك اليوم بل بعد ذلك بمدة طويلة ولا يخفى ما في ذلك من الخسارة عليهم

قلت انهُ لا يباح الري الصيفي في السودان الآ في اماكن قليلة مخصوصة لقلة مياه النيل حينئذٍ وذلك بين آخر يناير ووسط يوليو مع ان القطن يحتاج الى الماء من نصف مايو فصاعدًا . تحرم من تشغيل طلبا قطرها ثماني بوصات في الخرطوم في ذلك الوقت وبين غندكرو والكنيسة على البحر الابيض يجري الماء الغزير من النيل في مجارٍ كثيرة تكفي لري كل القطن الذي يزرع في وادي النيل . وقد اشار رئيسنا السابق الدكتور شوينفرث منذ ثماني سنوات بسد هذه المجاري تمهيدًا للتحكم بماء النيل و يالها من مشورة حكيمة مثل كل مشوراتهِ

قلت ان زراعة القطن في السودان تحتاج الى الماء من ١٥ مايو الى ١٥ مارس وفي مصر من ١٥ مارس الى ١٥ اكتوبر . ويكون ماء النيل كافيًا من اول اغسطس الى ١٥ ابريل ولذلك يجب ان يزاد بطريقة ما من ١٥ ابريل الى اول اغسطس اي مدة ثلاثة اشهر ونصف . والحقيقة ان الماء غزير على مدار السنة وكافٍ لري وادي النيل كلهِ ريًّا صيفيًّا ولكنهُ غير موزع بالسواء على شهور السنة كلها فعلى مهندسي الري ان يأخذوا الزيادة من الاشهر التي يزيد فيها الماء عن الحاجة ويضيفوها الى الاشهر التي يقل فيها الماء عن الحاجة حتى يصير كافيًا على مدار السنة . وقد جاءت القناطر الخيرية وقناطر اسيوط وقناطر اسنا التي قاربت الكمال الآن مسهلة لرفع الماء حينما لا يكون الفيضان وافيًا وهذه القناطر كلها قد عززت القطر المصري من حيث ضمان الري

لما خطبت في هذه الجمعيَّة في يناير سنة ١٩٠٤ عن خزان اصوان و... مورس قلت ان مصر تحتاج الى خزانات تكفي لخزن اربعة آلاف مليون من الامتار ...بة حتى تضاف

الى ما يكون في النيل من الماء فيكفي الري الصيفي وبذلك يزيد موسم القطن من ستة ملايين ونصف مليون قنطار الى عشرة ملايين قنطار فتزيد ثروة القطر المصري الزراعية ما يساوي ٦٠ مليوناً من الجنيهات المصرية

وقلت حينئذٍ ان خزان اصوان يسع الف مليون من الامتار المكعبة ولكنني هندسته حتى يمكن ان يعلَّى ستة امتار اخرى فيصير يسع الفي مليون من الامتار المكعبة. ووادي الريان يسع الفي مليون اخرى فضلاً عن كونهِ يقي الوجه البحري من الغرق اذا زاد فيضان النيل عن الحد . وحضضت على انشاء خزان وادي الريان لكي يصير مخزناً لما يزيد من مياه الفيضان حالما تتم الاعمال التي يراد عملها في النيل الابيض لتزيد بها المياه الصيفية . واشرت ايضاً بعمل اعمال تحوُّطية على فرع رشيد من فرعي النيل وقاية للوجه البحري اذا زاد الفيضان في سنة من السنين . وختمت خطبتي بقولي " انهُ حينما تصير المياه الاضافية من اعالي البحر الابيض كافية حتى تغني عن وادي الريان يصير وادي الريان منفذاً لما يزيد من مياه الفيضان كما كانت بحيرة مورس في الزمن القديم فيضمن الري الصيفي لمصر وتأمن شر الغرق "

وانتقد السر وليم جارستن افوالي في كتابهِ النفيس عن "حوض النيل الاعلى" فاستحسن تعلية خزان اصوان وقال ان نفقات تعليتهِ لا تزيد على نصف مليون جنيه واستحسن ايضاً الاعمال التحوطية على فرع رشيد ولكنهُ لم يستحسن استخدام وادي الريان خزاناً . وحث ايضاً على اصلاح مجرى البحر الابيض حالاً وعلى الاخذ في مشروع من المشروعات التي ذكرها في كتابهِ

ولو شُرع في تعلية الخزان وحفر الترعة الى وادي الريان في الوقت الذي شُرع فيهِ بعمل الفرش امام الخزان لكان ذلك من خير الاعمال للقطر المصري فكنا نرى الخزان قد عُلي الآن الى الارتفاع الذي هُندس لهُ وفيهِ الفا مليون متر مكعب من الماء والترعة الموصلة الى وادي الريان قد تمت وذلك الوادي مثل بحيرة مورس في الزمن القديم منفذاً لما يزيد من مياه الفيضان في الزمن الذي يبلغ فيهِ الفيضان حد الغرق ويتضاعف الماء المخزون للري الصيفي ويؤمن خطر الغرق وتكون الاموال التي انفقت علي ذلك من خير ما انفقتهُ مصر منذ ايام الملك امنهوتب الذي انشأ بحيرة مورس ووقى بها القطر المصري من غائلة الغرق منذ اربعة الاف سنة

ولكن ذلك لم يقع ولا يزال خزان اصوان مقتصراً على خزن الف مليون متر من الماء

وقد شُرع في اعمال يقتضي اتمامها خمس سنوات او ست سنوات لتعلية الخزان سبعة امتار وتعريضهِ خمسة امتار حتى يزيد ما يسعهُ الآن الف وثلثمئة وثلاثين مليوناً من الامتار المكعبة بنفقة مليون ومئة الف جنيه . ولو علي ستة امتار فقط حسب هندستهِ الاولى لما احتاج الى التعريض ولتمّت تعليتهُ في ثلاث سنوات ولما زادت نفقات تعليتهِ على نصف مليون جنيه ولوسع الف مليون متر اخرى . فقد زيدت النفقات الآن ستمائة الف جنيه لكي يزيد ما يسعهُ ثلثمائة وثلاثين الف متر مكعب فقط وهذا الاسراف في الوقت والمال مما لا نرضى بهِ الحكومة في الوقت الحاضر . والزيادة في العرض البالغة خمسة امتار ستبنى على الفرش الذي امام الخزان لا على اساس معدّ بنوع خاص ليحتمل هذا الحائط الثقيل الذي يتغير الضغط عليهِ دواماً ولذلك يكون هذا الحائط مثل رقعة تضاف الى وجه الخزان وتربط بهِ بقضبان من الحديد فاذا استراح جانب من هذا الحائط كما يرجح مزق وجه الخزان لا سيما وان وجههُ ليس من نوع البناء الذي داخلهُ . والراسخ في ذهني ان بناء سدود الخزانات الكبيرة يجب ان يكون من نوع واحد لكي يقوى على احتمال ضغط الماء الذي يزيد وينقص دواماً . ثم ان سد الخزان في حالتهِ الحاضرة يقوى على تعليتهِ ستة امتار كما شهد كل مهندسي الري في هذه البلاد . وقد خفي عليَّ السبب الذي جعل السر بنيامين باكر المهندس المستشار للحكومة المصرية يشير بتعليتهِ سبعة امتار بعدما مانع في تعليتهِ ستة امتار . ولقد كان يجدر بهِ ان يشير بتعليتهِ خمسة امتار بدلاً من ستة لزيادة الامن . ولا ارى سبباً جعلهُ يشير بما اشار بهِ الاّ التخلص من الموقف الحرج الذي وقف فيهِ اولاً لما عارض السر وليم جارستن في تعليتهِ . وهاكم ما قالهُ السر وليم جارستن في انتقاد رأيي في الجريدة الرسمية قال

"بحثت في تقريري الحديث "عن حوض النيل" في آراء السر وليم ولككس ووافقتهُ على تعلية خزان اصوان ستة امتار فوق الحد الحالي الذي يمكن رفع الماء اليهِ الآن وقبلما وافقتهُ على ذلك اطلعت على حسابات المستر وب ومهندسيهِ ووثقت ان الخزان يحتمل هذه التعلية من غير اقل خطر بناء على كل النظريات المقبولة في بناء الخزانات"

والمرحوم السر بنيامين باكر كان رجلاً عظيماً ومعتاداً الاعمال العظيمة فاذا غلط فغلطتهُ عظيمة ايضاً وستضطر مصر ان تدفع ستمائة الف جنيه من اجل هذه الغلطة . ولكن البواطن لا تخفى والمهندسون المشتغلون في هذه البلاد الذين يعرفون تاريخ الخزان يهزأون بذلك

ستأتي البقية

اطيان شركة الغربية

دعا مديرو هذه الشركة جماعة من اصحاب الاطيان الواسعة وارباب الصحف الافرنجية والعربية لمشاهدة اطيانها وما عملتهُ من الاعمال الهندسية الزراعية. فلبى الدعوة نحو ثلاثين نفساً وساروا بقطار خاص الى رأس الخليج وكان النهار من اجمل ايام الخريف في هذا القطر نسيم لطيف وشمس تحجبها الغيوم الرقيقة تارة وتنقشع عنها اخرى حتى اذا وصلنا الى اطيان الشركة ركبنا مركبات تجرها البغال على قضبان الحديد ومررنا في الاطيان من اولها الى آخرها وكان مدير الشركة العام سعادة منصور شكور باشا ومفتشو اعمالها معنا يشرحون لنا ما نراهُ ويجيبوننا عما نسألهم عنهُ فاقمنا في الاطيان نحو خمس ساعات قضيناها في المشاهدة والبحث والاستقصاء. وهاك خلاصة ما وقفنا عليهِ

للشركة نحو ٨٦٩٣ فداناً اكثرها بور لا يزرع لكن ارضها منبسطة تمام الانبساط فيسهل تقصيبها بقليل من النفقة. وقد قصبت جانباً كبيراً منها على قرب عهدها بمشتراها. وتربتها طمي ضارب الى الصفرة ليس فيهِ من الاملاح سوى ملح الطعام السهل الذوبان فغسلها واصلاحها قريبان جدًّا. والواقع ان الارض تقصب وتزرع ارزًّا سنة واحدة واذا لم يتيسر زرع الرز فيها بعد تصليحها لضيق الوقت زرعت ذنيبة وتزرع رزًّا في السنة التالية ثم تزرع البرسيم بعد الرز فينبت فيها كلها ويجود وتصير صالحة لزرع القطن. وقد قيل لنا ان الاطيان التي زرعت قطناً هذا العام حاسب بعضها على سبعة قناطير وبعضها على اربعة او خمسة ورأينا شاباً واقفاً في غيطهِ وهو مزروع برسيماً وبرسيمهُ جيد فمشينا اليهِ وسألناهُ لمن هذا الغيط فقال لابي اشتراهُ من الشركة فقلنا لهُ بكم اشترى الفدان فقال بمئة جنيه فقلنا اذا كانت الارض زراعية من قبل فقال كلاَّ ولكنها قصبت وزرعت رزًّا مرة واحدة فاشتراها ابي ودفع ربع الثمن وسنزرعها قطناً بعد البرسيم. ثم تململ فقلنا لهُ ما لك فقال سنزرعها قطناً ولكنني لا اظن انها توفي المال. فقلنا وكم هذا المال لا نظن ان الضريبة كبيرة على هذه الاطيان. فقال كلاَّ ولكن مرادي القسط الذي يجب ان ندفعهُ للشركة. فقلنا لهُ انكم تزرعون ثلث الاطيان التي اشتريتموها قطناً فان كان محصولهُ يوفي قسط الاطيان كلها او اكثرهُ فتكونون قد اشتريتم ثروة ليس اربح منها فتبسم وقال ان شاء الله

وقد باعت الشركة حتى الآن نحو ٣٦١ فداناً من اطيانها بثمن اكثرهُ ١٧٠ جنيهاً الفدان واقلهُ مئة جنيه ومجموعه ٤٣٠٥٢ جنيهاً ومتوسطهُ اكثر من ١٢٠ جنيهاً الفدان وهو

ثمن جيد جدًّا ولكن جانبًا من الاطيان المبيعة كان يزرع قبلما اشترتهُ الشركة

قلنا ان الاطيان منبسطة ومعدنها جيد ولكن فيها علة لم يكن التغلب عليها سهلاً لغير شركة كبيرة وهي علة الصرف فان جانبًا صغيرًا من الاطيان يصرف بالراحة على ارتفاع من متر الى متر ونصف والجانب الاكبر لا يصرف بالراحة لانهُ لا يعلو الآن عن سطح المصرف العمومي سوى نصف متر فاضطرت الشركة ان تقيم وابورات كبيرة للصرف وقد حفرت للاطيان مصارف عميقة جدًّا وهي ترفع الماء منها بالآلات الرافعة وتصبها في المصرف العمومي والآلات من النوع الذي يوقد فيهِ فحم الانثراسيت فنفقاتها قليلة بالنسبة الى غيرها . وقد قيل لنا ان نفقات صرف الفدان الواحد لا تزيد في السنة على اربعين غرشًا وقد تكون ثلاثين غرشًا فقط فهي نفقة قليلة جدًّا بالنسبة الى فائدتها و بالنسبة الى ما ينفق عادة على ري الاطيان العالية · ثم ان الصرف بالآلات خاضع لارادة المالك وغير متوقف على عمق المصرف العمومي وتطهيرهِ وارادة رجال مصلحة الري وتعللاتهم الكثيرة · وحسبهُ فائدةً انهُ يصرف الاطيان على عمق مترين او اكثر فتغسل وتحلو في سنة او سنتين بينما ان الارض التي لا تصرف الاَّ على عمق متر قد لا تحلو في ثلاث سنوات او اربع

وهذه الاطيان قسمان كبيران يفصل بينهما ارض للحكومة مساحتها نحو اثني عشر الف فدان وهي منبسطة مثل اطيان الشركة ومن معدنها فاذا تيسر للشركة ان تشتريها من الحكومة بثمن معتدل كان ذلك صفقة رابحة جدًّا لان الاعمال الابتدائية التي عملت حتى الآن تغني عن كثير من الاعمال اللازمة لاطيان الحكومة · وقد بلغنا ان الشركة ساعية الى ذلك وحبذا لو تساهلت الحكومة معها لان احياء الارض الموات الواسعة النطاق لا يتيسر الاَّ باعمال عظيمة يعجز عنها الافراد ولا يقدر عليها الاَّ الشركات وقد اصبح إحياء الاراضي البور ضربة لازب ولو لم تزرع الاَّ زراعة شتوية لان الحبوب التي تستغل الآن من القطر المصري لم تعد تكفي سكانهُ وجانب كبير من ماء النيل يذهب في الشتاء هدرًا فلا تعذر الحكومة اذا بخلت بهذا الماء لري الارض البور وزرع المزروعات الشتوية

النيترو بكتيرين في الزراعة

وصفنا في الجزء الماضي الطريقة التي استنبطها الاستاذ بتملي لتطعيم التقاوي بنوع من الميكروبات فتجود حتى في الصحاري القاحلة لان هذه الميكروبات تأخذ لها غذاءها النيتروجيني من الهواء · وقد اتفق المستر ستد صاحب مجلة المجلاَّت الانكليزية مع الاستاذ بتملي على ان

يأخذ منهُ هذه المستنبتات الميكروبية ويبيعها بثمن بخس جدًّا لكل من يطلبها منهُ وهذا الثمن هو خمسة شلنات لكل جالون من المستنبت والجالون يكفي لتطعيم عشرة افدنة فتكون نفقة تطعيم الفدان غرشين ونصف غرش

وقال الاستاذ بتملي في كراسة نشرها في هذا الموضوع " ان في التراب عشرة عناصر لازمة لنمو النبات وخصبهِ سبعة منها توجد بكثرة في كل تربة وثلاثة قليلة في بعض الاراضي وهي النيتروجين والفصفور والبوتاسيوم والارض التي تكرّر زراعتهما تقلّ منها هذه العناصر جدًّا فتفتقر اليها · وقد حللت الارض الزراعية في اميركا فوجد في الفدان منها ٢٦٠٠ رطل من النيتروجين و ٤٨٠٠ رطل من الحامض الفصفوريك و ٣٤٠٠٠ رطل من البوتاسا فاذا زرع قمحًا وبلغت غلتهُ ٢٨ بشلاً او نحو ٥ ارادب اخذ القمح منهُ نحو ٥٩ رطلاً من النيتروجين و ١٩ رطلاً من الحامض الفصفوريك و ٢٧ رطلاً من البوتاسا

"ولا خوف من افتقار الارض الزراعية الى الفصفور والبوتاسا لسهولة الحصول على الاسمدة التي فيها فصفور و بوتاسا واما السماد النيتروجيني فقليل والموجود منهُ الآن وهو الغوانو (اي زرق الطيور البحرية) ونيترات الصودا يكادان ينفدان · ولكن ظهران النباتات التي من نوع القطاني كالفول والترمس تستمد النيتروجين من الهواء بواسطة بعض الميكروبات " وعلى هذا الاكتشاف المهم بني استخدام النيترو بكتيرين في الزراعة على ما ابناهُ في الجزء الماضي

موسم القطن المصري

اتضح الآن ان موسم هذه السنة ليس كبيرًا كما قدّر اولاً رغمًا عن اتساع زراعة القطن . فقد بلغت مساحة الاطيان المزروعة قطنًا ١٦٠٣٢٢٤ وكانت في الموسم السابق ١٥٠٦٢٩٠ فالزيادة في مساحة الارض نحو مئة الف فدان ولكن موسم القطن لا يزيد عن الموسم الماضي وقد يقلّ عنهُ · وقد كانت مساحة الاطيان التي زرعت قطنًا سنة ١٩٠٥ نحو ١٥٦٦٦٠٠ اي اقل من الاطيان التي زرعت قطنًا سنة ١٩٠٦ بنحو ستين الف فدان· ومن سنة ١٨٩٨ الى الآن زادت مساحة الارض المزروعة قطنًا اكثر من الثلث فانها كانت ١١٢١٣٦١ فدانًا فصارت نحو ١٦٠٠٠٠٠ فدان لكن كمية المحصول لم تزد سوى السدس كأن جانبًا كبيرًا من الارض التي زرعت قطنًا ارض جديدة لا يجود القطن فيها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

جورج سبيرو

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

غدوت ممنوناً لما جاء في مجلتكم الزاهرة في شهر دسمبر من تقريظ وانتقاد لكتابي المسمى بجورج سبيرو والذي قد عنيت بتعريبهِ غير انهُ اسمحوا ان اسرد على صفحات مقتطفكم الاغر هذه الكلمات الوجيزة ايضاحاً للحقيقة التي يجدُّ وراءها كل محب للعلم مثلكم فاقول :

ليس للفلكي كاميل فلاماريون كتاب يدعى بجورج سبيرو ولم اتصرف في تعريبهِ مختزلاً سالكاً طريقاً سار عليها للآن السواد الاعظم من كتبة لغتنا العربية خطة لم ترق لديكم ولم يستحسنها كل اديب غير ان ما ظننتموهُ كتاباً لم يكن بالحقيقة الاّ رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة من جملة اوضاع ذلك الفيلسوف

فعوضاً عن الاختصار قد اضفت على تلك الاسطر شروحاً وفصولاً كاملة كفصل الحياة في العوالم الاخرى وغيرهِ واقتطفت موضوعها من عدة مؤلفات لذلك العلامة متبعاً فيها اراءهُ حرفيًّا حتى غدت تلك الرسالة كتاباً

فالاقبال الذي نراهُ في الشرق على ابتياع الكتب ولا سيما العلمية منها .... وصعوبة الموضوع لتعلقهِ باهم المسائل كالبحث في المادة والقوة والروح والخلود والحياة في العوالم الاخرى كل ذلك حملني ان اجعل تلك الرواية في قالب عربي توخيت فيهِ تقريب اعتقادات فلاماريون للاذهان وهذا عذر يعذرني عليهِ حتى المؤلف نفسهُ الذي نحا هذا النحو في كتاباتهِ للجمهور وكنت على رأي له تاس الشاعر الايطالي كطبيب زخرف الكاس ليسهل تناول الدواء

زاكي نرفل

الحكومة الشوروية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت المقالة التي خطتها يراعة العالم النحرير السيد البكري وموضوعها الحكومة الشوروية فرأيتهُ قد جاهر فيها بما قالهُ الفلاسفة الاجتماعيون وهو ان الحكومة الشوروية ارقى انواع الحكومات الثلاث الاستبدادية والملكية المقيدة والشوروية وانها لا تكون الاَّ في الامة المرتقية التي استردَّت حقوقها كلها . وقد صرَّح في كلامهِ ان الامة التي حكومتها شوروية ارقى من الامة التي حكومتها ملكية مقيدة وهذه ارقى من الامة التي حكومتها استبدادية لان الامم على ثلاث حالات منحطة ومرتقية بعض الارتقاء ومرتقية كل الارتقاء

ثم ابان سماحتهُ ان حكومة الامم الاسلامية كانت من النوع الثالث اي شوروية في الصدر الاول زمن الخلفاء الراشدين . ولا شبهة انها الآن من النوع الاول في اكثر الممالك الاسلامية وان تحطتهُ فمن النوع الثاني الاَّ في بلاد الفرس حيث حاولت هذا العام ان تصير من النوع الثالث وقد كانت هناك الى الآن من النوع الاول اي الاستبدادي . ثم اذا راجعنا تاريخ الامم الاسلامية شرقاً وغرباً رأينا ان الحكومة الشوروية لم تدم نصف قرن ثم انقلبت الى حكومة استبدادية او ملكية مقيدة . والنتيجة التي لا مفرَّ منها حسب مقدماتهِ ان هذه الامم كانت مرتقية في الصدر الاول ثم انحطَّت حالاً وعادت الى حال " الطفولية والجهالة " كما قال سماحتهُ . فهل الامر كما قال او ان الحكومة التي كانت في الصدر الاول لم تكن حكومة شوروية حقيقية بل لم تكن حكومة بالمعنى الذي نفهمهُ الآن اي نتيجة حال الامة بل كانت حالةً طارئةً على الامة لاسباب خصوصية فحالما ضعف تأثير تلك الاسباب عادت الامة الى الحكومة التي تستحقها

ثم ان سماحتهُ قد خالف في اواخر مقالتهِ المبادئ التي قرَّرها في اوائلها فمفاد المبادئ التي قرَّرها في اوائل مقالتهِ ان الامة التي ترتقي تسترد حقوقها جميعها وتقيد حكومتها باستشارتها في كل عمل . ثم قال ان الاحتلال جاء فنزع الحكومة الشوروية من البلاد المصرية . اي ان الامة المصرية كانت قد ارتقت فاستحقَّت الحكومة الشوروية ونالتها ولم يكن الاَّ بضع سنوات حتى جاء الاحتلال ونزع منها ما نالتهُ باستحقاقها فلم تستطع ان تحتفظ بهِ وهو القائل قبيل ذلك ان " الامية غالبة الآن على الناس " وان " الجهالة هي ام

الاسباب في كل ما الم وبلم بهذه البلاد" ومع ذلك بكون الانكليز هم السبب في نزع الحكومة الشوروية . اليس الاقرب الى العقل ان تكون الحكومة الشوروية التي اعطيت للامة في اخريات ايام الخديوي اسمعيل باشا حكومة مستعارة لم تتصل الامة اليها بالارتقاء الطبيعي الذي ذكره في اول مقالته فلما زالت اسبابها زالت هي ايضاً. وقد اكون مخطئاً في ما ذكرت ولكن مقدماته ونتائجه لا ترتبط الاَّ بهذا الفرض اي انهُ قد تدعو الدواعي الى اعطاء امة حكومة شوروية وهي لم تستعد لها فلا تلبث تلك الحكومة حتى تزول وتعود الامة الى الحكومة التي تستحقها مصداقاً للحديث الشريف " كما تكونوا يولَّى عليكم " وقد وقع ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ووقع ايضاً في اواخر حكم اسمعيل باشا واوائل حكم توفيق باشا فارجو من سماحته ان يزيدنا بياناً في هذا الباب ولهُ الاجر والثواب

ولا يظنن سماحتهُ انني اقصد انتقاد كلامهِ او التعقب عليهِ . كلاَّ فان غرضي اظهار حقيقة جوهرية لانهُ ان كانت بلادنا قد اضاعت الحكومة الشوروية التي اعطيت لها في اواخر ايام اسمعيل باشا لانها كانت غير مستعدة لها فهي الآن ليست اكثر استعداداً مما كانت حينئذٍ ولا شعورها الوطني اكثر تنبهاً فتكون النتيجة اننا اذا أعطينا الحكومة الشوروية الآن نفعل بها ما فعلنا بتلك . وعلى كلٍ يحتاج الموضوع الى زيادة بحث وتحقيق

طالب حقيقة

الكنغرو

جناب الدكاترة اصحاب المقتطف

رأيت بمجلتكم في المجلد الثاني والثلاثين صفحة ١٠٢٩ في باب المسائل سؤالاً من حضرة مصطفى افندي عثمان عن حيوان رآهُ بالمركز المذكور ويريد معرفة اسمهِ فكان الجواب ان اسم هذا الحيوان (الكنغرو) ومن بعض اوصافهِ ان لهُ كيساً في بطنهِ تقيم فيهِ صغارهُ مع ان الحيوان المذكور الذي رئي في الناحية المذكورة ليس فيهِ هذا الكيس فارجوكم افادتي عن اسم هذا الحيوان احمد عزى

ملاحظ بوليس مركز ابو قرقاص

[المقتطف] يظهر ان الحيوان الذي رأيتموهُ ولم تروا فيهِ الكيس لحمل الاناث هو الذكر لا الانثى

باب التقريظ والانتقاد

الاحتفال بالمنار

يعرف قراء المقتطف كلهم او جلهم جريدة المنار التي تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران . ولقد رحب المقتطف بها حين صدورها منذ عشر سنوات ومرة نجاحها المستمر في خدمة الحرية الدينية ومحاربة البدع والاضاليل

وفي مصر فاضل يعلي شأن الاصلاح الديني وينوه به وهو اسمعيل بك عاصم فلما اتم المنار السنة العاشرة من انشائه أولم لمنشئه العالم المحقق السيد رشيد رضا وليمة فاخرة دعا اليها اصحاب المجلات العربية وخطب فيهم خطبة نفيسة وصف بها المجلات العلمية الادبية احسن وصف ووفى المنار حقه من المدح وذكر فقرات من العدد الاول منه حيث قال ان وظيفته "الحث على تربية البنات والبنين واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الامة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانًا وترك الاعمال المفيدة توكلاً ومعرفة الحقائق كفرًا والتسليم بالخرافات صلاحًا واختبال العقل ولاية والخنوع تواضعًا والتقليد الاعمى علمًا وايقانًا . واقناع ارباب النحل المتباينة بان الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر والاحسان وان المعارضة والمناصبة تفضي الى خراب الاوطان" وشكر الذين لبوا دعوته على ما افادوا به الوطن بمجلاتهم

فرد عليه حضرة صاحب المنار ردًا وجيزًا كله حكمة وتواضع وكأن شعوره بهذا الاكرام اضطره الى الايجاز وهو اللسن البليغ المعاني الفصيح المقال . واوحى الينا كرم المحتفل وفضل المحتفل به كلمات قلناها وقد حفظها حضرة المحتفل به واوردها في مناره باحسن مما اوردناها وهي نقلاً عن المنار

" عند ما قدم السيد رشيد رضا الى هذه الديار كتب اليَّ بعض اهل العلم (وذكر اسمه) كتابًا يقول فيه انه قد ظعن الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمه حر لا يخاف في ابداء ما يعتقد شيئًا . فلما اطلعت على العدد الاول والثاني من المنار جزمت برأي قلته وكتبته بعد ذلك غير مرة وهو ان اخواننا المسلمين سينظرون في المستقبل

الى صاحب المنار وكذا الى المفتي (يعني الاستاذ الامام) كنظر النصارى في اوربا الى لوثير وكلفن

"ذلك ايها السادة لان الدين لهُ اعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدنية قامت في العالم الا وكان اساسها الدين . اننا لا نبحث في اصول الاديان لاننا كلنا نعتقد انها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصدهم عن المدنية او يسوقهم اليها فقد كان اهل اوربا يفهمون الدين المسيحي فهماً حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعد ان قام فيهم لوثير وانصارهُ بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدأ لمدنيتهم الحاضرة . وقد كان العرب من قبل يفهمون الاسلام فهماً دفعهم الى المدنية والعلوم ثم انقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى اصلاح يجمع بين الدين والمدنية وان صاحب المنار هو الذي اخذ على نفسهِ القيام بهذا الاصلاح في مجلتهِ المنار التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقنا الخطيب الفاضل والمحامي الشهير اسماعيل بك عاصم . ان صاحب المنار يقاوم البدع والخرافات ويشرح الدين شرحاً يسهل سبيل المدنية ويهدم العقبات التي تعترض سالكيها ويبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبني في وقت واحد

"ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق ويعدونهُ خدمة عامة لا خاصة بالمسلمين لانهم يعلمون ان الشرق الادنى لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم العنصر الاكبر فيهِ . واثنى على المحتفل لاجلهِ واشار الى ما لقيهُ من المصاعب وصبرهِ عليها وعلى اسماعيل بك عاصم بما يليق بغيرتهِ على العلم وحبهِ لهُ واكرامهِ لآلهِ "

هذا وخير ما يقال في هذا الاحتفال ان الفضل يعرفهُ ذووهُ فنهنئ رصيفنا الفيلسوف الحكيم صاحب المنار بما نال من اكرام جلة القوم لهُ ولمجلتهِ في كل الاقطار التي تقرأ فيها اللغة العربية . راجين ان يرى الاصلاح الذي يسعى اليهِ مشيد البنيان موطد الاركان

القاهرة والقدس ودمشق

CAIRO, JERUSALEM and DAMASCUS.

هذا كتاب اشتهر في العربية مع انهُ موضوع بالانكليزية لان مدارهُ عربي والبحث فيهِ عن عواصم البلادين العربيتين مصر والشام . وضعهُ صديقنا الفاضل كتور مرغوليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة شارحاً فيهِ صوراً ملوّنة وغير صوّرها المصوران

ترهويت وبرَات وهي تمثل بعض المباني والآثار العربية في هذه العواصم الثلاث

وقد بحث المؤلف في تاريخ هذه العواصم بحث المؤرخ المحقق الذي لا يذكر القصص الموضوعة كأنها اخبار محققة ولا يورد المظنونات كأنها مرجحات ولا يلبس الامور المرجحة لباس الحقائق المقررة · اعتبر ذلك بما ذكرهُ عن تاريخ اورشليم عاصمة اليهود وقبلة المسيحيين حيث قال

" ان الزمن الذي كانت فيهِ هذه المدينة عاصمةً لبلاد اليهود كلها قصير جدًّا يشمل عصر داود وعصر سليمان · واذا اعتمدنا على نص التوراة ولم نوغل في تجريحها رأينا ان اولهما اخضع كثيرين من الشعوب المجاورة ووصل هذه المدينة بزمن التاريخ ولكن لا يعلم الزمن الذي كان فيهِ · والاعمال التي نسبت اليهِ لجعل هذه المدينة عاصمة لم تفصَّل تفصيلاً كافياً لا يفصاح ذلك · والظاهر ان اسمها اقدم من زمنهِ وانهُ وجدها كلها او بعضها في يد شعبٍ يسمى اليابوسيين وسميت بالاضافة اليهم · وقد ذُكر اسم البعض من رجال هذا الشعب بعد ما استولى على حصنهم · والمظنون ان هذا الحصن كان على تل ثم اضاف اليهِ تلالاً اخرى وسوَّر الجميع · والذين ساعدوهُ في فتح الحصن اخذوا المساكن التي وجدوها فيهِ وأُذن لغيرهم في بناء غيرها . والناس يسرعون للانضواء تحت لواء الغالب ولا بد من ان يكون سكان اورشليم قد كثروا قبل وفاة داود · ومن المؤكد على ما يظهر انهُ لم يبنِ هيكلاً لمعبود شعبهِ ولا بد من سبب لذلك فقال اليهود بعدئذٍ انهُ اسرف في سفك الدماء فَحُرِم من بناء الهيكل ولعل السبب الذي ذكرهُ الذين قبلهم كان غير ذلك "

نقول ولو ابقى ملوك اليهود في مدنهم آثارًا منقوشة ومكتوبة كما ابقى ملوك مصر وبابل واشور لكان الاستدلال على تاريخهم اسهل وادق نعم ان التوراة تذكر تاريخ اليهود واسلافهم بالتفصيل من الخليقة الى قرب زمن المسيح ولكن علماء التاريخ يفرضون انهم ليسوا يهودًا ولا نصارى ولا تابعين لملة اخرى وهم يبحثون في الاخبار التاريخية فيجرّحون تاريخ التوراة كما يجرحون تاريخ هيرودوتس ولا يقبلون منهما الأ ما تؤيدهُ الآثار وينطبق على العقل ولا يناقض العلم وشأنهم في ذلك شأن الطبيب والفلكي والكيماوي والطبيعي

هذا ولنعُدْ الى كتاب الاستاذ مرغوليوث فنقول انهُ جعل اكثر من نصفهِ للقاهرة وقسم الباقي بين القدس ودمشق فذكر خلاصة تاريخ هذه العواصم الثلاث من حين انشئت الى الآن وخلاصة الاخبار المتعلقة بها ووصف اشهر مبانيها

والكتاب كبير يقع في نحو ثلثمائة صفحة كبيرة وقد اعتمد مؤلفهُ على ثقات الباحثين

والمؤرخين وذكر من كتبهم ومقالاتهم التي اعتمد عليها الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك ورسائل البعثة الاركيولوجية الفرنسوية في القاهرة ومقالات هرتز بك وتاريخ مصر الحديث لصديقنا جرجي افندي زيدان ومنشورات جمعية النقب في فلسطين وكتاب حسر اللثام. وحبذا لو اعتمد ايضاً على تاريخ الجبرتي ورسائل المستر باركر فانهما من اصح التواريخ الحديثة عما حدث في عصرها كما اتضح لنا من مقارنتهما بغيرهما ونحن نكتب تاريخ محمد علي وابرهيم باشا في المقتطف. وقد ساعدتهُ زوجتهُ الفاضلة في كتابة الفصول المتعلقة بوصف المباني وقال انهُ لم يقرأ كتاب المستر لاين بول عن القاهرة لان كل من يطالع ذلك الكتاب النفيس تحدثهُ نفسهُ بالانتحال منهُ

وقد اهدى المؤلف كتابهُ الى دولة الاميرة الجليلة منشطة العلم والعلماء البرنسس نازلي هانم. وهو مطبوع طبعاً متقناً وصورهُ الملونة وغير الملونة من ادق ما رأيناهُ منشوراً في الكتب. وحبذا لو أُتحفت العربية بكتاب مثل هذا الكتاب

شلال اصوان

رسالة مسهبة للدكتور جون بول من ادارة المساحة الجيولوجية وصف فيها شلال اصوان والارض المجاورة لهُ وصفاً طوبوغرافياً وجيولوجياً وقدَّم لذلك مقدمة تاريخية واوضحها بالخرائط الملونة والرسوم الكثيرة. قال في التمهيد التاريخي ان هناك مدافن الدولة السادسة التي كانت قبل المسيح بثلاثة آلاف وخمس مئة سنة وهناك ايضاً آثار من ازمنة كل الدول المصرية التالية حتى البطالسة والرومانيين هذا فضلاً عن ان الحجارة التي نقشت فيها حوادث تاريخ مصر مجلوبة من هناك. ثم وصف الطريقة التي جرى عليها اراتستنس لمعرفة محيط الكرة الارضية من قياس المسافة بين اصوان والاسكندرية ومعرفة الفرق بينهما في العرض وذلك قبل المسيح بمئتين وثلاثين سنة. واراتستنس هذا ولد في كيرين سنة ٢٧٦ قبل المسيح واتى الاسكندرية بدعوة من بطليموس اورجيتس وجُعل حافظاً لمكتبتها ولهُ كتاب كبير في الجغرافيا وهو من الكتب المفقودة ولكن توجد منهُ اقتباسات في كتب غيره مثل كليوميدس وسترابون وبلينيوس

اما من حيث الصخور حول الشلال فاكثرها من الغرانيت اي من الصخور النارية والمتحولة ويغلب فيها الغرانيت الاحمر الذي منهُ اكثر المسلاَّت والتماثيل المصرية وبعض المباني القديمة كالهيكل الذي قرب اهرام الجيزة. وتمتد هذه الصخور جنوباً مسافة ٢٣ كيلو

متراً ومع صخور الغرانيت صخور اخرى نارية وغير نارية وقد عُرضت كلها الحركات ارضية عظيمة فاختلطت بعضها ببعض واستحالت من نوع الى آخر . وفوق الصخور النارية التي على الضفتين صخور رسوبية رملية وطفالية تكوَّنت فوقها في الازمنة الغابرة بعد ان خمدت الافعال النارية

ورسوم هذه الرسالة جميلة جدًّا ولاسيما رسوم الحجارة بالوانها المختلفة حتى كأنها رخام صقيل

حياتنا الادبية

هو فصول في الفلسفة الادبية ألَّفهُ حضرة السري الاديب صالح بك حمدي حماد وتابع فيهِ القائلين ان اصول الآداب مودعة في الانسان فهي في نفسهِ وعقلهِ وان فكرة الخير عامة مطَّردة في البشر وهي لازمة بالضرورة وغير ممكن ان تنفك عن النفوس البتة. ولا يخفى ان الباحثين في هذا الموضوع غير مجمعين على ذلك بل بعضهم يقول كما قال ابو الطيب

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلَّة لا يظلمُ

او كما قال بولس الرسول ان اردتُ ان افعل الخير ارى الشر حاضرًا عندي . كنا نراقب في هذه الاثناء ولدين صغيرين صبيًّا وبنتًا عمر الصبي نحو سنتين وعمر البنت نحو اربع سنوات فرأيناهما يكذبان ويخدعان ويحتالان ولو رآهما علماء الفلسفة الادبيَّة الذين يقولون ان اصول الآداب مودعة في نفس الانسان ولا تنفك عنها البتة لغيروا اعتقادهم ولكننا نرجح ان اخلاق هذين الطفلين تتهذَّب متى كبرا في السن اي تظهر فيهما الاخلاق الفاضلة التي اكتسبها اسلافهما بالاختبار كما ظهرت فيهما الصفات الطبيعية التي ورثاها من اسلافهما

وفصول الكتاب سبعة عشر ومن مواضيعها المسؤولية الادبية والحرية الادبية وواجبات الانسان نحو ذاتهِ وواجبات الزوجين وواجبات القرابة والصداقة وآداب الرؤساء والمرؤوسين والعدالة والاحسان والوطن والهيئة الاجتماعيَّة ووظيفة الحكومة وادب الحقوق الدولية الخ. وقد طبَّق المؤلف كل فصل منها على حالتنا الاجتماعيَّة فانتقد لو حث او نصح حسب ما رآهُ لازمًا . من ذلك انهُ صوَّب الانتظام في الجندية ولام المصريين لانهم ينفرون منها مع ان جمهورًا من فلاسفة العصر وتولستوي الفيلسوف الروسي في مقدمتهم يقولون ان الجندية من اكبر الويلات على نوع الانسان ويغرون اتباعهم بالامتناع عن الخدمة العسكرية ويعيبون الحكومات لانها تنفق اموال الامة في سبيل تمرين رجالها على قتل غيرهم . قال المؤلف " والذي يشاهد فرح الشبان المقترعين في البلدان الاوربيَّة وعائلاتهم عند الانخراط في

سلك الجندية ليأسف على تلك الاحوال الشائنة المزرية التي تشاهد لدينا من مناحات العائلات وتكدر نفوس الشبان الذين يؤخذون لهذه الخدمة الوطنية الشريفة بل المدرسة التهذيبيَّة الجليلة " . وقد اصاب في انهُ لا يليق باحد ان ينوح ويندب على اخذ ابنهِ للعسكرية ولا يليق بشاب يؤخذ لهذه الخدمة ان يظهر الجبن والاسف الشديد . ولكن الحق يقال اننا لم نرَ الاوربيين يسرون باخذهم للعسكرية بل يسلمون بذلك كواجب لا بدَّ لهم من قضائهِ فيذهبون الى الخدمة العسكرية كما يذهب العامل في الصباح الى العمل حيث يتعب ويكدح لعيالهِ . وبعضهم يفتدون انفسهم بالبدل . والانكليز الذين الخدمة العسكرية عندهم غير اجبارية يحتالون على الشبان احتيالاً بالمشروبات والرشى حتى يكتبوا اسماءهم في الجندية وكثيرون من هؤلاء يندمون على ما فعلوا ولكنهم لا يعودون يستطيعون التخلص مما ارتبطوا بهِ . ولا شبهة ان الجنديَّة مكروهة بنوع عام وهي من الشرور التي لا بدَّ من ازالتها حالما تكسر شوكة المتنفعين منها وتتعلَّم الممالك ان تحكّم العدول في فصل خصوماتها كما يحكّم الناس القضاة في فصل خصوماتهم . وسيحتقرنا ابناء العصور التالية على تقريرنا نظام الجندية اكثر مما نحتقر الفراعنة الذين سخروا رعاياهم لبناء الاهرام

والكتاب يقع في مئتي صفحة وهو كثير الفوائد فنثني على همة مؤلفهِ الفاضل

كتاب صحة الانسان

في وقاية الاسنان

وضع هذا الكتاب طبيب الاسنان خليل افندي حداد الحائز على الشهادة القانونية من المكتب الطبي السلطاني . وقال انهُ اقتطفهُ من كتب اشهر الاطباء الذين كتبوا في هذا الفن واضاف اليهِ ما عرفهُ بالتجارب العديدة التي مرَّت بهِ اثناء معاطاتهِ طب الاسنان

والقسم الاول من الكتاب في وصف الاسنان وتشريحها وكيفيَّة نموها وهو علمي والثاني في امراضها والوقاية منها وهو عملي مفيد لجمهور القراء . ومن الوصايا التي ذكرها المؤلف لحفظ الاسنان وسلامتها من الامراض

(١) اجتناب المأكولات والمشروبات البالغة من السخونة درجة زائدة

(٢) اجتناب المشروبات البالغة من البرودة حدًّا زائدًا

(٣) عدم استعمال المآكل والمشروبات السخنة والباردة بالتعاقب

(٤) تقليل شرب التبغ والامتناع عنهُ اذا امكن ولاسيما وقت الجوع

(٥) اجتناب كل المواد الشديدة الحموضة وغسل الفم بعد اكل الحوامض

(٦) اجتناب المآكل الحلوة الى درجة زائدة لان لها تأثيرًا مضرًا في الاسنان

(٧) نزع بقايا الاكل عن الاسنان بواسطة الريش المعروف ويجتنب استعمال الدبابيس خوفًا من الجرح والتهاب اللثة

(٨) يجتنب تكسير الاشياء الصلبة بالاسنان او رفع شيءٍ ثقيل بها لانهُ يحصل من ذلك رضة في السن تؤثر في عصبهِ تأثيرًا لا تحمد عقباهُ

(٩) يجب على كل احد ان يحضر الى طبيب الاسنان مرةً على الاقل كل ثلاثة اشهر ليفحص اسنانهُ جيدًا ويعطيهُ الدواء اللازم لها حتى اذا وجد نقدًا يسرع في حشوهِ قبلما يتسع ويتصل الى العصب وهي الواسطة الوحيدة لحفظ الاسنان

والوصية السادسة وهي اجتناب اكل المآكل الحلوة اشار بها البعض وقالوا ان الامم التي تكثر من اكل السكر يكثر النقد في اسنانها · ولكننا لا نرى ما هي العلاقة بين اكل الحلويات وآفات الاسنان ولا نظن ان الاستقراء يؤيد هذا القول

والوصية التاسعة تفيد اطباء الاسنان اكثر مما تفيد غيرهم . وخير منها ان يوصى الناس لكي يستعملوا اسنانهم استعمالاً يقيهم من مشاهدة طبيب الاسنان ولو مرةً في العمر فان الفلاحين في مصر والعرب في البادية والزنوج في افريقية يشبون ويشيخون واسنانهم بيضاء كاللؤلؤ وصلبة كالصوان لانهم يعتدلون في طعامهم وسهرهم واستعمال قواهم العصبية

وفي الكتاب فوائد اخرى كثيرة وهو يطلب من المكتبة الكلية في بيروت لصاحبها سليم افندي ميداني

خزانة الادب

في قواعد لغة العرب

هذا الكتاب من اوسع كتب النحو واحسنها وضعًا واسهلها مأخذًا اذا دخل ابوابهُ الطالب بعد ان يدرس كتابًا ابتدائيًا في الصرف والنحو كالاجرومية وشرحها حتى يعرف مصطلحات الفن وجد فيهِ كل ما يحتاج اليهِ طالب علم النحو من قواعد وامثلة وتمارين ويخرج منهُ وقد عرف قواعد الاعراب ومرن على الانشاء البليغ · لكنهُ لا يخلو من شيءٍ من التساهل او الخطإ ولا سيما في اوائلهِ كقولهِ في تعريف الاسم في الصفحة الثالثة " انهُ ما وضع للدلالة على الذات " فان هذا التعريف لا يشمل المصادر

واسماء المعاني كالضرب والقتل والمحبة والفضيلة · وكقولهِ في تعريف الفعل انهُ " ما وضع للدلالة على الحدث" فان هذا يصلح ان يكون تعريفاً للمصدر لا للفعل · وكقولهِ في تعريف الاسم ثانيةً في الصفحة التاسعة انهُ " ما افاد معنىً في نفسهِ خالياً بحسب وضعهِ من الزمان" فقولهُ خالياً خالف فيهِ التعريف المشهور بل خالف الشرح الذي علقهُ على هذا التعريف وهو ما يدلُّ على مجرَّد الزمان لا على معنىً مقترن بهِ فكلمة مقترن اوغيرمقترن اصلح كلمة لهذا الغرض · ومن هذا القبيل ذكرهُ عبارات صحيحة وطلبهُ من التلميذ ان يصلح ما فيها من الخطاءِ كقولهِ ماذا اظهر الينا ام عناداً · وكقولهِ لن تبلغ ما تأمل الاَّ بصبرك على ما تكره · وحبذا لو خلا الكتاب من هذه الهفوات وان كانت قليلة يسهل اصلاحها في الطبعة الثانية . فلمؤلفهِ الفاضل الاستاذ قلتي ايادير الشكر الوافر على ما بذلهُ من العناية في تأليفهِ وتقريب قطوفهِ



(١) فيضان النيل

رأس التين · محمد افندي رمضان الفولي · ذكر كثيرون من افاضل المؤرخين ومنهم لبسيوس وصاحب العقد الثمين ان الآثار التي أُقيمت في جهتي قمنه وسمنه بوادي حلفا من ايام العائلة الثانية عشرة تدل دلالة واضحة على ان فيضان النيل كان يبلغ في ذلك العصر زيادة عما يبلغهُ الآن بنحو ثمانية امتار وكسور واليكم ما قالهُ العلاَّمة لبسيوس المذكور " كان فيضان النيل في عهد العائلة الثانية عشرة يزيد اكثر من فيضانهِ الآن في جهة سمنة وقمنه ٨ امتار و ١٧ سنتيمترًا وان زيادتهُ المتوسطة في عهد امنمحت الثالث تزيد على فيضانهِ الحالي سبعة امتار وقد وجد من الآثار ما يؤيد ذلك في ايام العائلة الثانية عشرة · فهل من سبب يعرف لتلك الزيادة العظيمة

ج المظنون ان مجري النيل كان مسدوداً هناك بسد طبيعي او صناعي فكان الماء يعلو فوقهُ كما يعلو في خزان اصوان الآن · ثم انهُ اذا ارتفعت مياه الفيضان هناك ثمانية امتار فوق الحد العادي لا يستلزم ان ترتفع ثمانية امتار في سائر مجري النيل لضيق مجراهُ هناك · ومن المحتمل ان الارض شخصت عند شلال سمنة بعد كتابة ذلك الفيضان فارتفعت لكن النيل عاد فعمَّق مجراهُ وبقي مكان الكتابة مرتفعاً · ولو ارتفع الفيضان كلهُ ثمانية امتار عن اعلى حد يصل اليهِ الآن لغمر

القطر المصري كلهُ وغرّق كل سكانهِ وخرَّب كل مبانيهِ

(٢) الشعوذة والسحر

هفانا بكوبا . الخواجه شكري نصر . قرأت المقالة المدرجة في الجزء التاسع والعاشر عن اسابيا بلادينو والتعليل عن القوة الفاعلة في امور مثل هذه . وقد رأيت اعمالاً تشبه اعمالها من رجل اميركي اسمهُ ديموند منها انهُ اتى بخزانة تسع اثنين ودعا ثمانية رجال من الحضور ليفحصوها وبعد ان فحصوها فحصاً مدققاً اتى بكيس من الكاوتشوك وادخل فيهِ امرأتهُ بعد ان ربط يديها الى الوراء بزنجير حديد مقفل وربط الحضور الكيس من الخارج وبصموهُ بالشمع الاحمر ثم ادخلوهُ الخزانة واقفلوها وربطوها من الخارج بحبال متينة وادخلوها داخل ستارة ودخل زوج المرأة معها ايضاً ثم عدَّ ثلاثاً فرأينا الرجل ضمن الكيس في الخزانة والمرأة خارجها . ومنها انهُ رُبط بزناجير حديد مقفلة في رقبتهِ و يديهِ ورجليهِ ووسطهِ وأُدخل ضمن خيمة صغيرة وبعد برهة وجيزة خرج محلولاً من الجميع الآ من الزنجيرين اللذين برقبتهِ فانهُ عجز عن حلهما حينئذٍ ولم يتمكن من حلهما الآ بعد نصف الليل . وقد قال البعض ان هذه الاعمال شيطانية والبعض قالوا انها سحر اما انا فلا احسبها الآ من قبيل التحيل والخداع ولكنني لا اعرف تعليلها فارجو ان تعللوها لنا وتخبرونا ما هو السحر

ج ان الكيس الذي رُبط وضع فيهِ خابور كبير في فوهتهِ لما زمت وربطت . وبسهولة ينزع الخابور منهُ فينزع الرباط عنهُ ثم يعاد اليهِ و يوضع الخابور في مكانهِ فيظهر كانهُ لم يفتح . وعلى هذه الصورة فتح الرجل الكيس وخرجت امرأتهُ منهُ ودخل هو بدلاً منها واعادت هي ربط الكيس والخابور . ولاحد جوانب الخزانة صائر يدور عليهِ كالباب وذلك الجانب ممكن من طرفهِ المقابل بزنبلك غير ظاهر فاذا ضغطت عليهِ انفتح بسهولة ثم يعاد الى مكانهِ فينقفل الزنبلك ويظهر ان الخزانة لم تفتح . والزناجير التي تقفل يكون فيها حلقات تنفتح وتنطبق بزنبلكات فيها وما الاقفال سوى طرق للغش . والرجل الذي حاول فك الزنجير من عنقهِ فعل ذلك على سبيل الخداع ليظهر للمشاهدين انهُ فك بقية الزناجير بقوتهِ ومهارتهِ . اما السحر فحيل واخاديع تجوز على عقول السذج ولا تفوق في غرابتها اعمال مهرة المشعوذين

(٣) مصدر النيازك

نوفو هورزنت . الخواجه خليل اسطفان . لي صديق لا يصدّق انهُ يهبط شيء من السماء على الارض بل يقول ان النيازك هي من مقذوفات البراكين فما رأيكم في ذلك

ج ان ما يقولهُ صديقكم قال بهِ بعض علماء الطبيعة ايضاً ولا يبعد ان يكون بعض

الحجارة النيزكية من مقذوفات البراكين كالغبار البركاني الذي تقذفهُ البراكين في ثورانها ويقع في امكنة بعيدة عنها ولكن اكثر علماء الطبيعة على ان اصل النيازك من نجوم متكسرة او من مواد منتشرة في الفضاء ولبعضها مدارات معلومة بالحساب فيعلم وقت اقتراب الارض منها وجذبها لها

(٤) شفاء الحول

ومنهُ نسمع ان العين الحولاء يمكن ارجاعها الى اصلها وذلك بعملية جراحيَّة فهل هذا صحيح وهل يقدر على ذلك اي طبيب كان

ج ان الجراح الماهر او الطبيب الذي اعتاد الاعمال الجراحيَّة يستطيع ان يزيل الحول بعمليَّة جراحيَّة ولكن ليس كل انواع الحول يصلح بعملية جراحيَّة او يقتضي عمليَّة جراحيَّة

(٥) اللغة الاكثر انتشارًا

ومنهُ اي لغة عدد المتكلمين بها اكثر من المتكلمين باية لغة اخرى

ج الانكليزيَّة فان عدد المتكلمين بها الآن نحو ١٣٠ مليونًا . والعربيَّة تقرأ في كل البلدان الاسلاميَّة ولكن الذين يتكلمونها اقل من الذين يتكلمون الانكليزيَّة او الالمانية

(٦) تنبيه للمقتطف

مصر . احد المشتركين . المقتطف بحر زاخر جامع لعلوم الاوائل والاواخر فهو كنز للعلوم والمعارف ويجمع للتليد منها والطارف بل هو تاريخ للعلوم في جميع الايام وسيرها وتقدمها على مر السنين والاعوام ... واني اتجاسر واقدم لكم الملاحظات الآتية لكي تلحظوها بعين الالتفات وهي

اولاً تبتدئون في بعض الاوقات في نشر فصول في علم من العلوم ثم تغفلونها بالكلية وذلك مثل ما نشرتم بعض الفصول الاولية في علمي الجغرافيا والميكروبات ثم تركتموها بالمرة مع اننا ننتظر دائمًا هذه المباحث الطلية حتى نستفيد منها ويكون لنا منها اخيرًا كتاب تام في كلٍّ من هذه العلوم

ثانيًا وعدتم بنشر جملة رسائل متتابعة في علم الفلك ولم تفوا بوعدكم

ثالثًا قليلاً ما تنشرون من الخطب والمباحث التي تلقى في الجمعيات العلمية المصرية مثل المجمع العلمي والجمعية الجغرافية الخديوية فكثيرًا ما يلقى فيهما خطب مفيدة جدًّا عن مصر والسودان فتغفلونها او تذهلون عنها قليلاً مع انهُ يجب ان تنشر هذه الخطب برمتها وفائدتها عظيمة للقراء ولا تخفى على حضرتكم كما اننا ننتظر ان تنشروا في المقتطف المقالات الآتية التي أُلقيت حديثًا وهي (١) مقالة السر وليم ولككس عن الخزانات والقطن في مصر (٢) مقالة عمر بك لطفي عن البنوك والمصارف وتاريخها (٣) مقالة احمد بك كمال عن مصر (٤) مقالة

احمد بك زكي عن تخيل العرب اكتشاف اميركا · ولا يخفى عليكم ان هذه المقالات نشرت في الجرائد اليومية لكن نشرها في المقتطف اعم وابقى

رابعاً لم نطالع في شهر دسمبر الحالي التاريخ السنوي الذي تعودتم نشرهُ في كل سنة وهو يحتوي سلسلة الحوادث العلمية والادبية والسياسية التي حصلت شهراً شهراً في العالم أجمع ولعلكم تنشرون هذا الفصل في عدد يناير المقبل واهميتهُ لا تقدَّر فهي تاريخ للعلوم والمعارف يمتاز المقتطف بنشرهِ وفي الختام ارجو ان تقبلوا مني فائق الاحترام واكم الرأي في نشر هذا في المقتطف لاني لا اقصد المدح ولا الانتقاد وانما اقصد الفائدة الحقيقية لي وللمشتركين

ج انا نشكر حضرة السائل على ما تفضل بهِ من مدح المقتطف وعلى ما نبهنا اليهِ من العيوب وهو اهم في نظرنا من المدح ونستميحهُ في ابداء عذرنا واحتجاجنا عن الامور الاربعة التي ذكرها واحداً واحداً

اولاً انا لا نتذكر اننا ابتدأنا ننشر فصولاً في علم من العلوم قاصدين ان نتمها حتى يصير من كلٍ منها كتاب ثم اغفلناها. نعم اننا ننشر فصولاً ابتدائية في العلم الواحد ويكون قصدنا منها ايقاف القراء على المبادئ الاولية في ذلك العلم حتى يسهل عليهم فهم ما ننشر بعد ذلك فيهِ من الفصول او المقالات الأ اننا وعدنا غير مرة بالعودة الى موضوع من المواضيع في الجزء التالي ثم لم نعد اليهِ وذلك من قبيل السهو لا غير وقد نعد بالعود اليهِ في جزء تالٍ ثم لا نعود اليهِ الأ بعد زمن طويل لكثرة ما لدينا من المواد او لتفضيلنا الاهم على المهم او لاننا لا نجد فيهِ متسعاً للكلام · وما دام الغرض ملء المقتطف بالمباحث المفيدة فلا فرق بين ان تكون في هذا الموضوع او ذاك ما دمنا نتخير اكثرها فائدةً واقربها مأخذاً

وجوابنا عن الامر الثاني مثل جوابنا عن الامر الاول

اما الامر الثالث وهو اهم مطالبكم فجوابنا عنهُ ان العادة المتبعة ان اصحاب الخطب والمقالات العلمية يرسلون نسخاً منها الى المجلات فتنشرها كلها او تلخصها وقد فعل السر وليم ولككس كذلك فبعث الينا بنسخة من خطبتهِ الاخيرة فترجمنا جانباً منها ونشرناهُ في هذا الجزء من المقتطف في باب الزراعة وسنتمها في الجزء التالي . اما الخطب الاخرى التي تشيرون اليها فلم يتكرَّم اصحابها علينا بنسخ منها . ثم انهُ يتعذَّر علينا ترجمة المقالات العلمية التي تكتب باللغة الفرنسوية ولا نستطيع ان نعتمد على ترجمة غيرنا لها. ولو كان المقتطف اضعاف ما هو لوجدنا من المباحث ما يملأهُ اما وهو نحو مئة صفحة فقط فنجتهد لكي نختار لها ما يستفيد القراء من قراءتهِ ولا يملونهُ

واما الامر الرابع وهو التاريخ السنوي فيكلفنا جمعهُ تعباً كثيراً وسنجتهد لكي نعود الى نشرهِ . ونكرر تقديم الشكر لحضرتكم لاجل غيرتكم على المقتطف واهتمامكم بكثير فوائدهِ



مياه القاهرة

لما كثرت الشكوى من مياه الشرب في القاهرة انتدبت الحكومة ثلاثة من الخبراء الاوربيين ليمتحنوها ففعلوا ذلك ورفعوا تقريرهم الى مجلس النظار في ٢٤ دسمبر فقرر تشكيل لجنة برئاسة المستر وب وعضوية كل من اللورد ادورد سسل والمستر جرام ومحمد انيس باشا والدكتور ابرهيم حسن باشا وبوغص نوبار باشا لفحص التقرير المذكور وابداء رأيهم عن افضل الوسائل التي يلزم اتخاذها لاصلاح الماء

وخلاصة التقرير . اولاً ان مياه روض الفرج مرشحة جيداً في طبقات الارض التي تمرُّ فيها . ثانياً ان فيها قليلاً من الحديد والمنغنيس وبعض الطحالب ولكن ليس فيها ميكروبات مرضية ولا سبيل لوصول الميكروبات المرضية اليها من مجاريها الاصلية . وقساوتها (اي عدم رغي الصابون فيها) لا تضرُّ بالصحة . ثالثاً ان فيها حامضاً كربونيكاً فتؤَثر بانابيب الرصاص . رابعاً ان الآبار التي تستخرج منها غير موفية الوقاية التامة من وقوع الشوائب فيها . خامساً ان الانابيب التي تجري فيها دقيقة في الغالب وتنظيفها غير سهل والضغط عليها ليس كافياً لرفع المياه الى اعالي المنازل فيضطر اصحاب المنازل العالية ان يرفعوا المياه بطلمبات ويجمعوها في خزانات على السطوح فتتعرض لوقوع الشوائب فيها ولتولد البعوض

ولهذه الاسباب اشاروا بوقاية الآبار من ان تتطرق اليها الشوائب وبان يزاد ضغط الماء وتوسع الانابيب وتقلل انابيب الرصاص وتجدد انابيب الحديد القديمة ويحسن وصلها بعضها ببعض وبانابيب الرصاص

اما ماء النيل المرشح الوارد الى الجيزة والعباسية فيكتسب في بعض فصول السنة رائحة وطعماً غير مقبولين ناشئين عن وجود مواد عضوية وعن نمو وتحلل بعض انواع الاعشاب المائية وعدا ما ذكر لا يوجد في تركيبهِ الكيماوي او صفاتهِ الطبيعية ما يعترض عليهِ

ولكنهُ معرَّض للتلوث ببراز المصابين بالحمى التيفويدية والكوليرا وهو من اكبر بواعث العدوى بهذين المرضين فيجب ان يطهر من كل شائبة بالطرق الطبيعية والصناعية وتطهيرهُ الآن غير كافٍ ولذلك فماء روض الفرج اسلم عاقبة من مياه النيل المرشح صناعيًّا اذا نظرنا اليهِ من الوجهة الوبائية

ويظهر لنا من مطالعة هذا التقرير انهُ اذا رشح ماء النيل الترشيح الكافي فهو افضل من ماء روض الفرج لانهُ خالٍ من ثلاثة عيوب موجودة في مياه روض الفرج الاول صحي وهو اذابتهُ الرصاص من انابيب الرصاص ولحام الانابيب . والثاني والثالث اقتصاديان وهما تدبيغ الثياب وقت غسلها بما فيهِ من الحديد والمنغنيس وقلة اذابتهِ للصابون وقت الغسل بهِ وللاطعمة وقت طبخها . ولكن اذا تعذر جرُّ ماء النيل من اماكن يؤْمن تلوثهُ فيها بالمبرزات وتعذَّر ترشيحهُ ترشيحًا ينقيهِ من الميكروبات المرضية فماء روض الفرج اسلم منهُ عاقبةً وسنعود الى هذا الموضوع

جنازة لورد كلفن

نشرنا ترجمة لورد كلفن وصورتهُ في صدر هذا الجزء . وقد اراد الانكليز ان يكرموهُ ميتًا كما اكرموهُ حيًّا فدفنوهُ في وستمنستر مدفن ملوكهم وعظمائهم الى جانب نيوتن وهرشل ولَيَل وسبتسود وداروِن الذين خلدوا اسماءهم في صفحات التاريخ بمكتشفاتهم العلمية . وسار في جنازتهِ كبار العلماء ونوَّاب المدارس والجمعيات العلميَّة من كل الاقطار وحضر الصلاة عليهِ دوق ارجيل نائبًا عن الملك والكولونل بغ نائبًا عن ولي العهد والماجور غرين والكنصن نائبًا عن دوق كنوت اخي الملك ومحافظ لندن بحلتهِ الرسمية وكان ذلك في الثالث والعشرين من دسمبر

الدكتور جانسن

يوم كان علماء الانكليز يحتفلون بجنازة فقيدهم لورد كلفن توفي عالم كبير من علماء فرنسا وهو الدكتور جانسن الفلكي المشهور عن ثلاث وثمانين سنة . ولد بباريس سنة ١٨٢٤ ودرس الرياضيات والطبيعيات في مدرسة العلوم وجعل استاذًا للطبيعيات ورصد كسوف الشمس في تراني سنة ١٨٦٧ واشترك مع سان كلودفيل في بعض المباحث البصرية وفي رصد كسوف سنة ١٨٦٨ ووصل الى نتائج اشتهر بها في البحث عن طبيعة الشمس وهو اول من استعمل السبكتروسكوب في رصد الاكليل واثبت وجود الغاز الملتهب فيهِ وبيَّن كيف ترى الشاعل حول قرص الشمس ولو لم تكن مكسوفة . وهذا الاكتشاف اكتشفهُ السر نورمن لُكيَر في ذلك الحين وكلٌّ يجهل ما اكتشفهُ الآخر . وبين

ايضاً كيفية تصوير الشمس بواسطة نور واحد من انوار الطيف . ورصد عبور الزهرة في اليابان سنة ١٨٧٤ ورصد عبورها في اوران سنة ١٨٨٢ . ثم جُعل مديرًا لمرصد مدون وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة. وكان اكثر بحثهِ في الشمس وفي هل تحتوي اكسجيناً واضطر ان يبني مرصداً لذلك على قنة جبل بلانك حيث سمك الثلج ثلاثون قدماً او اكثر وصعد الى هذا المرصد وعمرهُ سبعون سنة واقام فيهِ اربعة ايام يبحث عن وجود الاكسجين في الشمس

الاستاذ اصاف هول

هذا عالم آخر من مشاهير علماء الفلك قضى في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر الماضي وهو مشهور باكتشافهِ قمري المريخ . ولد سنة ١٨٢٩ ودرس في مدرسة مشيغان الجامعة باميركا وساعد الاستاذ بوند في مرصد مدرسة هارفرد ثم جعل استاذاً للرياضيات في المدرسة البحرية ثم استاذاً للفلك في مدرسة هارفرد الجامعة ولهُ مكتشفات علمية كثيرة غير قمري المريخ . وشارك في رصد الكسوفات والبحث عن طبيعة الشمس ورصد النجوم المزدوجة وفي البحث عن مواقع النجوم في القنوان وقد اعترفت المدارس والجمعيات العلمية بفضلهِ ومنحتهُ القاباً كثيرة

زراعة القطن في مصر

جاء في مربوط الميزانية المصرية لسنة ١٩٠٨ ان مساحة الاطيان التي زرعت قطناً في العشر السنوات الماضية كانت على ما في هذا الجدول

سنة	افدنة
١٨٩٨	١١٢١٢٦١
١٨٩٩	١١٥٣٣٠٥
١٩٠٠	١٢٣٠٣٢٠
١٩٠١	١٢٤٩٨٨٤
١٩٠٢	١٢٧٥٦٨٠
١٩٠٣	١٣٣٢٥١٠
١٩٠٤	١٤٣٦٧٠٨
١٩٠٥	١٥٦٦٦٠١
١٩٠٦	١٥٠٦٢٩٠
١٩٠٧	١٦٠٣٢٢٤

ويظهر من ذلك ان مساحة الارض التي تزرع قطناً تزيد او تنقص من سنة الى اخرى مئة الف فدان وقد ابنا في مكان آخر ان موسم سنة ١٩٠٧ لا يزيد على موسم سنة ١٩٠٦ مع ان مساحة الارض المزروعة قطناً زادت مئة الف فدان وهذا ينفي ما يقال من ان الاهتمام بزرع القطن في بعض الجهات الافريقية يؤثر تأثيرًا يشعر بهِ في سعر القطن المصري لان كل ما زرع حتى الآن وما يمكن ان يزرع بعد عهد قريب لا يبلغ مئة الف فدان

الآن تقدير الحكومة لمساحة الارض المزروعة قطناً تقريبي فقط لان اصحاب الاطيان انفسهم لا يعرفون مساحة ما يزرع قطناً من اطيانهم وتقديرهم لهُ يحتمل الزيادة والنقصان الى حد عشرة في المئة والغالب انهم يهملون الاطيان التي يرون قطنها ضعيفاً جدًّا فلا يحسبونها

النقود الواردة والصادرة

بلغت قيمة النقود الواردة الى القطر المصري وقيمة النقود الصادرة منهُ في السنوات الست الماضية ما في هذا الجدول وذلك بالجنيه المصري

السنة	الواردة	الصادرة
١٩٠٢	٤٧٧٩٢٦٦	١٨٣٤٤٥٧
١٩٠٣	٦٤٣١٥٦٩	١٧٨٥٩٢٣
١٩٠٤	٧٦٠٦٨٦٤	٢٧٣٠٨٩٠
١٩٠٥	٤٧٨٢٢١٥	٣٨٦٩٩٣٩
١٩٠٦	٩٠٧٧٤٠٣	٢٠٦٧٧٠٦
١٩٠٧	٧٣٥٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠٠
والمجموع	٤٠٠٢٧٣١٦	١٧٢٨٨٩٢٥

والوارد والصادر سنة ١٩٠٧ ذكر بالتقريب لان تقرير الجارك عن العام الماضي لم يصدر حتى الآن . ومجموع الوارد يساوي اربعين مليوناً من الجنيهات ومجموع الصادر يساوي نحو ١٧ مليوناً فالفرق بينهما وهو ٢٣ مليوناً من الجنيهات لا يزال في القطر المصري

ومعلوم ان النقود الواردة اكثرها ليرات انكليزيَّة وقليل منها ليرات عثمانية وفرنسوية ونقود فضية . وقد يسأل سائل اين الذهب الباقي في هذا القطر . ولا شبهة ان جانباً كبيرًا منهُ في البنوك ولعلَّ الموجود فيها الآن لا يقل عن اربعة ملايين من الجنيهات والباقي اكثرهُ صنع حليّ تحلَّت بهِ النساء فان في القطر نحو اربعة ملايين من النساء والبنات ولا يقلُّ متوسط حلى كلّ منهنَّ عن اربعة جنيهات فعندهنَّ من الحلى ما يساوي ١٦ مليوناً من الجنيهات

تحويل النحاس

يظهر من تجارب السروليم رمسي ان اشعة الراديوم تؤثر في النحاس فتحول بعضهُ الى عنصر ترابي وهو عنصر الليثيوم فاذا ثبت ذلك باعادة الامتحان ثبتت استحالة العناصر الكيماوية بعضها الى بعض

الجنون والوراثة

ظهر من بحث مستفيض في بيمارستانات المجانين ببلاد الانكليز انهُ اذا كان والدو المجانين سليمي العقل فعدد المجانين من اولادهم ٢١ في المئة فقط واذا كان احد الوالدين مجنوناً والآخر سليم العقل فعدد المجانين من اولادهما ٢٤ في المئة واذا كان الوالدون مجانين كلهم فعدد المجانين من اولادهم ٥٠ في المئة . وهذا دليل قاطع على ان الوراثة

تقوي الاستعداد للجنون اي ان اولاد المجانين يكونون معرضين للجنون اكثر من غيرهم

ميزانية الحكومة المصرية

قدرت ايرادات الحكومة المصرية سنة ١٩٠٨ بمبلغ ١٥٠٠٣٠٠٠ جنيه مصري وهاك اهم ابوابها

جنيه مصري	
٥٠٦٣٠٠٠	اموال الاطيان
٠٢٠٤٠٠٠	عوائد الاملاك
١٨٨٠٠٠٠	الجمارك
١٥١٠٠٠٠	الدخان والتنباك
٠٢٥٠٠٠٠	رسوم الليمانات (الموانئ)
٩٠٠٠٠	" الفنارات
٤٣٠٠٠	" مصايد الاسماك
٩٠٠٠٠	" التسجيل
٣٥٢٥٠٠٠	دخل سكك الحديد
٠١٢٥٠٠	التلغرافات
٢٨٠٠٠٠	البوسطة

وقدرت المصروفات بمبلغ ١٤٧٢٠٠٠٠ جنيه مصري وهاك اهم ابوابها

١٠٠٠٠٠	مخصصات الحضرة الخديوية
٩٦٧٧٢	مرتبات العائلة الخديوية
٨٠٨٦٠	كابينه الحضرة الخديوية
١٠٢١٦	مجلس شورى القوانين
١١٦٩٨	نظارة الخارجية
٢١٠٠٣٩	نظارة المالية
٤٥٠٤٥٠	نظارة المعارف
٢٣٩٥٣٥	البوليس
٢٧٨٢٤٤	المصالح الصحية
١٧٣٠٣٤	السجون
٢٤٠١٩٠	المحاكم المختلطة
٣٠٤٩٤٣	المحاكم الاهلية
٦٤٩٦٠	المحاكم الشرعية
١٣١١٦٥٢	نظارة الاشغال
٠٤٩٠٣٨٤	ادارة الاقاليم وماليتها
٠١٢٥٣٥٠	الجمارك
٠١٤٢٨٣٩	خفر السواحل
٠١٠٦٨٦٠	الموانئ والفنارات
٢١١٣٦٥٨	السكك الحديد
٠١١٢٥٦٩	التلغرافات
٠٢٥٩٧٩٨	البوسطة
٠٦٧٠٨٣١	نظارة الحربية
٠١٤٦٢٥٠	جيش الاحتلال
٠٦٦٥٠٤١	ويركو مصر
٠٣٠٧١٢٥	فائدة الدين المضمون
١٠٦٢٢٣٥	" " الممتاز
٢١٨٢٩٠٦	" " الواحد
٠١٥٠٠٠٠	قسط المقابلة
٠١٥٣٢٩٥	" الخزانات
٠٣٧٩٧٦٣	مصروفات السودان

هذا وقد ذكرنا في فصل آخر في هذا الجزء مقدار الزيادة التي زيدت في كل باب من هذه الابواب على ميزانية السنة الماضية

عدم نجاح البلون

يظهر ان البلون لا يستطيع ان يقاوم الرياح مهما اتقن صنعهُ فتبقى تعبث بهِ اكثر مما تعبث بالسفن الشراعية . فان البلون الفرنسوي لابتري الذي تغنت الجرائد بمدحهِ وانتظام سيرهِ في الهواء افلت في آخر نوفمبر الماضي من ايادي مئتي نفس كانوا ممسكين بهِ وهم يصلحونهُ وطار وحدهُ والرياح تعبث بهِ حتى بلغ بلاد الانكليز ولذلك ضعفت الآمال بالاعتماد على البلون في مواقع القتال

مخدر جديد

يظهر ان المخدر الجديد الذي اسمهُ ستوفايين Stovaine يحقن بهِ تحت الجلد فيشل العضو الذي يحقن بهِ ويبقى الانسان في وعيهِ حتى يسهل قطع يدهِ او رجلهِ وهو صاحٍ ولكنهُ لا يشعر بالالم . ثم اذا زال فعل الستوفايين لا يشعر الألم لكن رضت يدهُ او رجلهُ المقطوعة . وكلمة ستوفايين مأخوذة من ستوف الانكليزية اي فرن وهي ترجمة اسم المكتشف بالفرنسوية فان اسمهُ المسيو فورنو

مدارس المانيا الجامعة

قالت مجلة ناتشر ان الحكومة الانكليزية تهتم بما تبنيهِ المانيا من البوارج الحربية ولا تهتم بالاموال التي تنفقها على مدارسها الجامعة ثم قابلت بين ما كانت تدفعهُ المانيا لمدارسها الجامعة سنة ١٨٩١ وما تدفعهُ لها الآن وهو كما ترى في هذا الجدول بالجنيهات الانكليزية

	١٨٩١	١٩٠٦
مدرسة برلين	١٠٧٠٥٧	١٦١٥٣٩
مدرسة بون	٠٤٥٨٠٦	٠٥٩١٩٢
مدرسة برسلو	٠٤٤٧٤٩	٠٦٦٣٧٥
مدرسة غوتنجن	٠٢٠٨٧٧	٠٣٥٣ ٣

وهلمَّ جرًّا . ثم ذكرت غنى المدارس الاميركية الجامعة ودخلها من اوقافها وقالت انهُ آخذ في الازدياد على الدوام فقد كان دخل مدرسة نيويورك ٧٠٥٧٠٠ جنيه سنة ١٩٠٠ فبلغ ٩٨١٣٠٠ جنيه سنة ١٩٠٥ وكان دخل مدرسة بنسلفانيا ٣٩٠١٠٠ سنة ١٩٠٠ فبلغ ٥٣٤٤٠٠ سنة ١٩٠٥ و [illegible]ة من ريع الاموال التي وقفت عليها

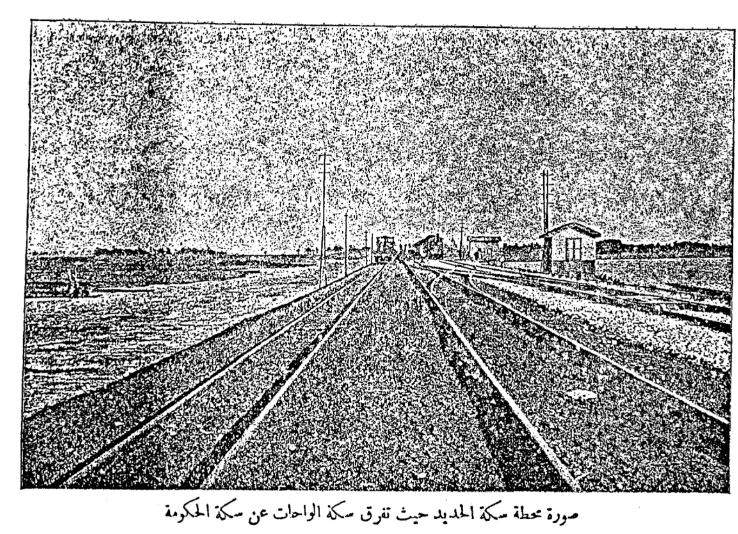
الطائر المنير

وصف السر دغبي بنوث طائرًا يرى ليلاً منيرًا كالحباحب وظنَّ انهُ من جنس البوم

كسوفات سنة ١٩٠٨

تكسف الشمس كسوفًا تامًّا في ٣ يناير يرى في القسم الاستوائي من الاوقيانوس الباسيفيكي . وتكسف كسوفًا حلقيًّا في ٢٨ يونيو يرى كذلك في بلاد المكسيك وفلوريدا وتكسف كسوفًا آخر حلقيًّا في ٢٢ دسمبر يرى في الاوقيانوس الجنوبي وجنوبي اميركا وافريقية

فهرس الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين



صورة محطة سكة الحديد حيث تفرق سكة الواحات عن سكة الحكومة

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٥

الجيش العثماني

ذكرنا منذ شهرين ما وقفنا عليهِ من تعداد الجيش العثماني اجابة لسائل ثم وقفنا على رسالة بعث بها مكاتب التيمس الحربي الى جريدتهِ فصّل فيها احوال الجيش العثماني ونظامهُ ومقدرتهُ ومدارسهُ الحربية في الاستانة وسائر ما يتعلق بتاريخهِ منذ اكثر من نصف قرن . فرأينا ان ننقل خلاصتها للقراء قال

"عُرِف الجيش العثماني انهُ جيش عظيم يلقي الرعب والهلع في النفوس وكان فيما مضى ولا يزال الآن ممتازًا بقوتهِ وتدربهِ وطاعتهِ واستعدادهِ الحربي ومقدرتهِ على احتمال الكوارث والرزايا . ولقد جرى الاتراك على النظام الحربي سنة ١٨٤٣ قبلما وضعت المانيا نظامها الحربي الحاضر بزمان طويل فادخلوا قانون القرعة العسكرية والجنود الاحتياطية وجعلوا الجيش مؤلفًا من فيالق وكتائب وفرق وطوابير . ولما انتهت حرب القريم وضعوا لهُ نظامًا جديدًا بمعاونة ضباط فرنسويين وفي سنة ١٨٦٩ كان من مقتضى النظام الجديد جعل الخدمة العسكرية ١٨ عامًا منها ستة نظامية وستة للرديف او الخدمة الاحتياطية وستة للمستحفظ . ولما نشبت الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ كان الجيش العثماني ١٤٠ الف جندي في زمان السلم وفي الوسع جعلهُ ٣٣٧ الفًا في زمان الحرب وفقًا للنظام المذكور آنفًا على ان هذا العدد لم يملأ عيون العثمانيين بل وجدوهُ قاصرًا عن المطلوب فانصرفوا الى زيادتهِ مراعاة لاحكام الضرورة فاصبح الجيش العثماني لا يقل عددهُ عن ٧٥٠ الفًا

ولقد ترأس دولة مختار باشا الغازي اللجنة التي الفت سنة ١٨٨٠ لوضع نظام جديد للجيش . وبعد ذلك بسنتين وصل الى الاستانة الكولونل كوهلر احد اركان الحرب في الجيش

الالماني الامبراطوري وكان معهُ ثلاثة ضباط فشرعوا في تنظيم الجيش باهتمام عظيم وسنة ١٨٨٣ توفي هذا الكولونل فخلفهُ الجنرال غولتز الالماني وهو من ابرع ضباط الالمان واوسعهم حذقًا في الاصول العسكريَّة وما كاد يتولى شؤون التنظيم والتدريب في الجيش العثماني حتى ادخل فيهِ اصلاحات خطيرة ووضع لهُ قوانين مضبوطة . ثم عين نائب اركان حرب فتمكن بهذا المنصب مع ما كان منوطًا بهِ من التفتيش العام للتمرين العسكري من تذليل العقبات التي تعترضهُ حيث يجد المصلح من المشاكل ما يكاد يذهب بنشاطهِ وعزمهِ

اما جلالة السلطان فهو رئيس الجيش الاعلى وتقسيم الجيش وسائر ما يتعلق بتدريبهِ وحركاتهِ منوطان بديوانهِ الحربي وتحت رئاستهِ تتألف لجنة التفتيش العام من ثلاثين ضابطًا لدرس المشروعات المتعلقة بالنظام العسكري اما نظارة الحربية فتمتاز عن غيرها من النظارات الحربية في العالم بان لها نفوذًا مزدوجًا لانها مقسومة الى ادارتين مستقلتين كل واحدة منها منفصلة عن الاخرى وهما ادارة ناظر الحربية وادارة السرعسكرية وبناط بها امر الحصون والمواد الحربية وتتولى شؤون المدفعية والمهندسين واحوال الجيش كلهِ

اما التعليم العسكري في تركيا فتام من جميع وجوهِ لان فيها ٢٢ مدرسة حربيَّة ابتدائيَّة لا يقل طلابها كلها عن ٤٠٠٠ يتلقون الدراسة فيها اربع سنوات . وفيها ايضًا ثماني كليات حربية يتراوح عدد الطلبة في كل منها بين ٨٠ و ٢٥٠ طالبًا ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وفي بنكلدي (احدى ضواحي الاستانة) مدرسة اخرى للمشاة والفرسان لا يقلُّ عدد طلابها عن ٥٠٠ يتعلمون ثلاث سنوات أيضًا وهناك مدرسة اخرى للمدفعية والمهندسين وكلية كبيرة لاركان الحرب تزيد مدة الدراسة فيها سنة عما هي في كلية كبرلي على ان نفقة التعليم في هذه المدارس لا تراعى فيها شروط الاقتصاد لان في مدرسة بنكلدي وحدها ٩٧ ضابطًا و ٤٤ استاذًا و ٤٥ معاون استاذ لتعليم طلابها وهم ٥٠٠ طالب فقط كما تقدم

وتؤخذ الجنود من الولايات الشاهانية كلها الاَّ اليمن والحجاز وطرابلس الغرب . اما شروط الخدمة فقد صدرت بها ارادة سنيَّة سنة ١٩٠٣ واصبح اجلها عشرين سنة بدلاً من ١٨ اي تسعًا نظامية وتسعًا رديفًا واثنتين استحفاظًا و يبلغ عدد الجنود التي يستطيع جلالة السلطان ان يحشدها ١٠٤٠٠٠٠ جندي بين رديف ونظامي ومستحفظ وفي الولايات الشاهانية سبع مراكز للفيالق وهي الاستانة وادرنه وسالونيك وارزنجان ودمشق وبغداد وصنعاء وفي كل منها فيلق او عرضي تختلف درجتهُ عن درجة غيرهِ على حسب اختلاف المراكز في الاهمية

الواحات المصرية

الواحات منخفضات في صحراء افريقية فيها اراضٍ زراعية مسكونة. والواحات المصرية سلسلة من هذه المنخفضات ممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي موازية لوادي النيل ومنها واحة سوى والواحة البحرية والداخلة والخارجة الاولى غربي الفيوم والاخيرتان غربي لقصر

وتاريخ الواحات غامض جداً غير ان ذكرها في الكتابات الهيروغليفية القديمة يدل على ان الناس اكتشفوها وسكنوها منذ زمان طويل فقد قرأ بروكش في كتابة قديمة وجدت في لقصر ينتهي تاريخها الى السنة الخامسة والعشرين من ملك بينتم الاول (سنة ١٠٣٣ قبل المسيح) ان الواحات كانت منفىً للمجرمين فقد جاء في تلك الكتابة ان بينتم سمح لبقية حزب رعمسيس (وكانوا قد نفوا اليها) بالرجوع منها. وسكان الواحات الاصليون كانوا غرباء عن مصر ولكنهم كانوا يؤدون الجزية الى ملوكها منذ ايام تحتمس الثالث (١٦٠٠ قبل المسيح).

واشار هيرودوتس الى الواحة الخارجة في كلامه على التجريدة التي ارسلها كمبيس ملك الفرس الى واحة سوى وهلك منها خمسون الفاً فقال "ان عساكر كمبيس وصلت بعد مسيرة سبعة ايام في الرمال من طيبة الى مدينة الواحة التي يقال لها جزيرة المطوبين"

وفي الواحات آثار كثيرة يونانية ورومانية يستدل منها ان الواحة الخارجة كانت تحت امر حاكم عسكري تابع لولاية طيبة وانها كانت محطة عسكرية على الطريق بين مصر والولايات الرومانية في شمالي افريقية .

وورد ذكر الواحات في كتب جغرافيي العرب كابي الفداء واليعقوبي والمقريزي ويستدل من كلامهم انها كانت قد فقدت في ايامهم كثيراً من شأنها السالف .

وخصب الواحات ناتج عن المياه التي في طبقات ارضها السفلى فحيثما وجدت منفذاً طبيعياً او حيثما حفر الناس آباراً ارتوازية رفعها الضغط المتصل بها الى وجه الارض .

وصناعة حفر الآبار في الواحتين الداخلة والخارجة قديمة جداً من ايام الرومانيين ثم فقدت مدة طويلة ولم تعد الا في القرن الماضي والفضل في ذلك لرجل فرنسوي اسمه ايمه فانه استحضر آلة لحفرها واستأذن محمد علي باشا في نقلها الى الواحات واقام اولاً في الخارجة وانشأ معملاً للنيلة ولاستخراج الشب

وفي الخارجة قرى كثيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نفس وفيها نحو مئتين الف نخلة ومثلها بئر وحيواناتها الاليفة الخيل والبقر والغنم والمعزى وفيها من الطيور الداجنة الحمام

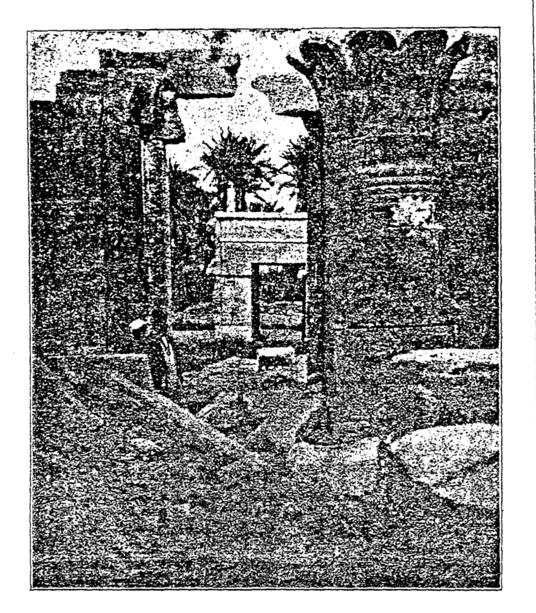
والدجاج والديوك الرومية ومن حيواناتها البرية الضبع والذئب والثعلب . والكرم قليل فيها الآن بعد ان اشتهرت في الزمن القديم بجودة خمرها . وقد اكلت من عنب الكرم الذي زرعتهُ الشركة حديثًا فاذا هو طيب الطعم كاجود انواع العنب . ويكثر فيها السنط والدوم ويصدر من حاصلاتها التمر ويبتدئ موسم التمر عندهم في اغسطس وينتهي في يناير وعليهِ اعتمادهم

وقد رأى بعضهم ان استثمار هذه الواحات يجب ان يكون اسهل على ابناء هذا العصر منهُ على ابناء العصور الغابرة فسحوها اولاً وطلبوا من الحكومة المصرية ان تجيز لهم انشاء سكة حديدية اليها وان تملكهم ما يحيونهُ من الاطيان فيها فاجابتهم الى طلبهم وأُلفت لذلك شركة مصر الغربية فانشأت سكة الحديد اليها واحتفلت بافتتاحها رسميًّا في اواسط الشهر الماضي احتفالاً حضرهُ عطوفتلو فخري باشا ناظر الاشغال العمومية وجمهور غفير من وجهاء النزلاء وارباب الاموال ومكاتبي الجرائد وكنت في جملتهم نائبًا عن المقطم فوصلنا في ١٧ يناير الساعة السابعة صباحًا الى مفرق الخارجة حيث يفترق الخط الذي مدتهُ الشركة المذكورة عن سكة حديد الحكومة شمالي فرشوط باربعة كيلومترات فتناولنا الفطور هناك ثم انتقلنا من القطر الذي كنا سائرين فيهِ الى قطر الشركة

ولما وصلنا الى قرة حيث المحطة الاولى لسكة حديد الشركة وجدناها مزدانة بالرايات والاعلام المصرية فنزلنا للاحتفال رسميًّا فتناول عطوفة فخري باشا مفتاحًا من الفضة وفتح بهِ باب المركبة المحفوظة لاكابر المدعوين ثم قلدتهُ قرينة سعادة جنسن باشا مدالية ذهبية نقش على وجه منها اسم الشركة وعلى الوجه الآخر قاطرة سائرة في الصحراء واسم سكة الحديد وتاريخ فتحها وفاه المستر مانثيل رئيس الشركة بكلام قليل موافق للمقام ولما وصلنا الى الكيلومتر ١٠٠ تناولنا الغداء في خيمة مضروبة وسط الصحراء وبعد الغداء شاهدنا رقص الراقصات من اهل قنا ثم استأنفنا السير فوصلنا الى الخارجة نحو الساعة الرابعة بعد الظهر وقصد كل منا المحل المعد لهُ ثم تناولنا العشاء فاكلنا اكل من اشتد بهِ الجوع من تأثير الصحراء

وبات بعضنا في محطة المكنات حيث يقيم مستخدمو الشركة والبعض الآخر في خيام قرب الخارجة . واستيقظنا صباحًا نستنشق الهواء المنعش وخرجنا فاذا نحن في منحدر تحيط بهِ غابات النخل من جهة والتلال من جهة اخرى تعلوها الهياكل وآثار المباني القديمة وامامها سهول خضراء فيها الشعير والبرسيم من المزروعات فمشينا نحو ربع ساعة في غابات النخل ورأينا المياه تتدفق من العيون او الآبار الارتوازية ثم وصلنا الى هيكل عظيم على قمة تلة مبني بحجارة رملية ضخمة عليها نقوش وصور كثيرة وكتابات هيروغليفية من الداخل

والخارج · والصور ملونة بالوان بديعة جدًّا ولم تزل الوانها على بهائها مع ما مرَّ عليها من السنين كأنها صنعت بالامس · وداخل الهيكل اعمدة كبيرة منقوشة نقشاً بديعاً ويقال له



هيكل هيبس

هيكل هيبس نسبة الى مدينة هيبس او هبت وقد بني في زمن داريوس الاول وداريوس الثاني حينما كان الفرس متسلطين على القطر المصري

وشاهدنا على قمة اكمة اخرى بقايا كنيسة قديمة بناها الاسقف نسطوريوس حين نفي الى هناك سنة ٤٣٥ لليلاد وعلى جدارنها كتابات كثيرة عربيَّة نقشها عليها الزوار الذين

زاروها من جهات القطر المصري وبلاد السودان والحبشة منذ مئات من السنين

ورجعنا من هناك الساعة الواحدة بعد الظهر فوجدنا خيمة رحبة مضروبة وفيها مائدة كبيرة حولها مئة وعشرون كرسيًا للمدعوين ورجال الشركة وعليها افخر أنواع الطعام والمدام فجلس عطوفة نخري باشا في صدر المائدة وجلس المستر ارمسترنج عن يمينهِ والمستر مانثيل رئيس الشركة عن يسارهِ ثم سعادة عبد الخالق باشا ثروت مدير اسيوط ثم سعادة جنصن باشا مدير اشغال الشركة فسائر المدعوين. وبعد الطعام نهض المستر مانثيل وطلب من الحضور ان يشربوا معهُ نخب الجناب العالي فوقف الجميع اكرامًا وشربوا نخب سموهِ ثم نهض عطوفتلو نخري باشا وفاه بخطبة فرنسوية قال فيها ان الجناب العالي تنازل وانتدبني لانوب عن سموهِ في حفلة افتتاح سكة حديد الواحات التي تصل هذه الواحات بوادي النيل بعد ان كانت منفصلة عنهُ وعن سككهِ الحديدية الكثيرة وعن جميع الطرق التجارية محاطة بالصحراء الغربية القاحلة واننا لنرجو ان هذا المشروع الذي نحتفل اليوم بافتتاحهِ رسميًا يؤول الى نجاح هذه الجهات بجعل طرق النقل منها واليها مثل اسرع واوفر طرق النقل والانتقال الحديثة. ولذلك ارجو لهذه الشركة تمام النجاح في كل اعمالها ومشروعاتها ولا اشك ان الاتصال سيتم قريبًا بين القطر المصري وبين سائر الواحات كما تم بينهُ وبين واحة الخارجة لان هذا من جملة الاعمال التي تقصدها هذه الشركة ولذلك اعلن ان سكة حديد الخارجة قد فتحت من الآن للتجارة رسميًا واني بالنيابة عن المدعوين كلهم اقدم لرجال هذه الشركة مزيد الشكر على حسن ضيافتهم لنا وسيبقى لذلك احسن تذكار في نفوسنا

ولما اتم عطوفة نخري باشا كلامهُ نهض المستر ارمسترنج وقال ما ترجمتهُ

لقد تكرم الجناب الخديوي وحكومتهُ ومنحوني الامتياز الذي قامت بهِ هذه الشركة ولذلك اقول كلمتين بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن المؤسسين لهذه الشركة اما من جهتي فاني مسرور جدًّا بقيامي هنا الآن حيث نحتفل بعمل مهم جدًّا في تاريخ مصر الحديثة فان القائمين بهذا العمل قد اعدوا الاموال اللازمة لهُ وقاموا بكل ما اشترطتهُ الحكومة عليهم. والوعد الذي وعد بهِ جنصن باشا سكان هذه الواحة منذ بضع سنوات قد تم الآن ورُدَّت الى مصر بلاد من اخصب بلدانها بعد ان انفصلت عنها زمنًا طويلاً . ولم يكن عملنا سهلاً فان كثيرين ضحكوا علينا واستهزأُوا بنا حينما قلنا اننا عازمون على انشاء سكة حديد الى الواحات لانهم قالوا اننا لا نعلم اين تبتدئ هذه السكة ولا اين تنتهي والآن اقف في وسط ارض لا تقل مساحتها عن الف ميل مربع اكثرها اطيان صالحة للزراعة وافتخر بقولي اننا انشأنا

هذه السكة وقمنا بهذا العمل العمومي العظيم واثبتنا لكم وللعالم اجمع وجود اطيان وسيعة يمكن زرعها ووجود الماء الغزير لريها والعمال الكافين للعمل فيها . ويمكننا الآن ان ننسى ما مضى ونصفح عن الذين اساؤوا الينا . وان ما اظهرتموهُ عطوفتكم من السرور والرضى يكفيني جزاءً حسناً فاشكر عطوفتكم على ذلك واطلب من الله ان يوفق اعمالنا لتأول الى نفع هذه البلاد ولتبقى مثالاً للاعمال العمومية النافعة . هذا ولا اخفي عليكم انني اكبر مساهم في هذه الشركة على ما اظن ولي فيها خمسون الف سهم اكثر مما لاي شخص آخر واسهمي الآن اكثر مما كانت قبلاً وانا عازم ان ابقى متصلاً بها ما دمت في صحتي وما دمت قادراً على خدمتها بجسمي وعقلي

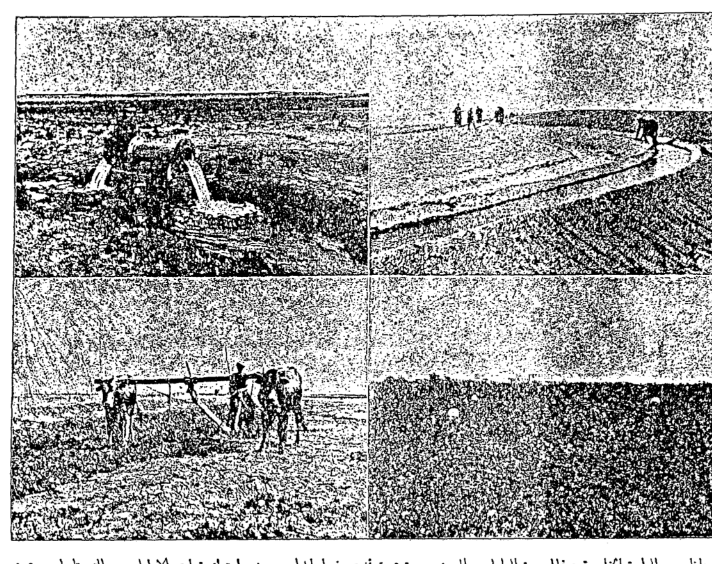
ثم تلاهُ المستر مانفيل رئيس الشركة وقال ما ترجمتهُ انني بالنيابة عن الشركة ارحب بحضراتكم جميعاً وابثُّ لكم شكري وشكر سائر اعضاء الشركة على ما تجشمتموهُ من المشاق في مجيئكم الى هذا المكان لمشاهدة الاحتفال باتمام الجزء الاول من مشروعنا الذي يحقُّ لي ان ادعوهُ عظيماً فعطوفة فخري باشا موفد من قبل الجناب الخديوي لكي يعلن افتتاح القسم الاول من سكتنا الحديدية ونحن شاكرون لسموهِ مبتهجون لانهُ رأى لعملنا من الاهمية ما يستحق اعتناءهُ كما نحن شاكرون لعطوفة فخري باشا على الاقوال التي فاه بها وبيَّن فيها انهُ يقدر عملنا قدرهُ وعندنا ان عمل شركتنا كبير الاهمية للقطر المصري فان اطيان الوجه القبلي والوجه البحري مساحتها محدودة وان كانت اخصب اراضي المسكونة وقد وفقنا نحن الى ان نزيدها ارضاً واسعة جداً صالحة للزراعة . واسم الشركة التي لي الشرف ان ارأسها الآن شركة مصر الغربية ولا اظن انهُ يمكن ان يوجد لها اسم اصلح من هذا الاسم لان غرضها ان تضيف بلاداً واسعة الى القطر المصري يصحُّ ان يطلق عليها اسم مديرية مصر الغربية . ولقد خصّت الطبيعة القطر المصري بفيضان النيل الذي يرويهِ ويجلب لهُ الخصب ونحن هنا محرومون من ماء النيل ولكن الطبيعة اعطتنا ما يقوم بري ارضنا وخصبها فقد شاهدتم المياه العذبة تندفق من الآبار الارتوازية وتجري على الارض وترويها من غير آلات رافعة وعندنا ههنا مقادير كبيرة من السماد الطبيعي من الفصفات والنيترات وهي من اصلح الاسمدة للارض والتجارب التي جربناها حتى الآن تدل على نجاح الزراعة التام وعلى ان الذين يبتاعون الاطيان منا ويزرعونها يفلحون في عملهم فالقطن الذي زرعناهُ وجنيناهُ يدل على انهُ ينتج من هنا اجود انواع القطن وان محصول الفدان منهُ قد لا يقل عن متوسط محصول الفدان في وادي النيل . ويمكننا ان نقول من الآن انهُ لا تمضي سنون كثيرة حتى نرى اطياناً وسيعة

في هذه الواحة مزروعة احسن زراعة وسيزيد عدد السكان من الآن فصاعداً لان مهاجرتهم ستقل ولا يبعد ان يعود بعض الذين هاجروا قبلاً . وسكة الحديد التي شاهدنا افتتاحها ستنقل حاصلات هذه البلاد الى حيث تباع باغلى الاثمان . والاهمية الكبرى في وادي النيل للحاصلات الزراعية لا لسواها اما هنا فعندنا مواد تصلح للصناعة لعمل اجود انواع السمنت ولعمل الخزف والقرميد . وعندنا ايضاً انواع مختلفة من الحجر الجيد الصالح للبناء وقد اخذنا مقاولة من الحكومة لتوريد الحجارة اللازمة لها في اعمال الري . وعندنا فوق ذلك مواد كثيرة ثمينة من المغرة والشب وسنستخرجها مع الزمن ولا بد من تسهيل الوصول الى الواحة الداخلة باسرع ما يمكن وقد ظهر لنا بالبحث ان هناك من المواد ما هو اثمن مما يوجد هنا فضلاً عن أن السكان هناك اكثر كثيراً والاراضي الزراعية اوسع

وقمنا بعد الغداء وركبنا القطار فسار بنا الى حيث توجد الاطيان التي زرعتها الشركة ومساحتها نحو الفي فدان فرأينا المياه تتدفق من الآبار الارتوازية من نفسها والبئر منها تكفي لزراعة مئتين وخمسين فداناً والزراعة التي رأيناها في الارض هي الشعير والبرسيم و بقايا القطن وكان جانب كبير منها قد زرع فولاً سودانياً وسمسماً ورأينا في المخازن كميات كبيرة من محصولها . والتربة طين اصفر دسم جداً والارض لا تحتاج الى التقضيب وقد انشأت الشركة فيها بستاناً زرعت فيه البرتقال والعنب والموز وغيرها من الاشجار ورأينا عند عمدة البلد جنينة فيها كثير من اشجار البرتقال وثمرهُ كبير طيب الطعم ولكن قشرتهُ صفراء اللون

وبلد الخارجة فيها نحو ستة آلاف من السكان وبيوتهم اكواخ صغيرة من الطين واسواقها مسقوفة تعلوها البيوت من الجانبين ولها ابواب كانوا يقفلونها خوفاً من غارات الاعداء وهم صغار الاجسام نحاف الابدان صفر الالوان . وقد سمعت من كل الخبيرين بالزراعة من الذين كانوا معنا ان تربة الارض في غاية الجودة وان الماء كاف لريها بسهولة وهي لا تحتاج الى نفقة كبيرة لتمهيدها وزرعها . ومما هو جدير بالذكر ان المقاولين الذين انشأوا سكة الحديد وهم الخواجات جوسمان ودينامارو تغلبوا على اشد المصاعب في انشاء سكة طولها نحو مئتي كيلومتر وفيها انخفاض مقدارهُ نحو ٣٦٠ متراً في ما طولهُ ٢٩ كيلو متراً فاضطروا ان يردموهُ كلهُ لا سيما وان ليس في السكة ماء مطلقاً فكانوا يضطرون ان يجلبوا ماءهم من النيل يومياً وكان عندهم من العمال ثلاثة الاف نفس ومع ذلك اتموا العمل كلهُ في سبعة عشر شهراً فنكرر الشكر لهذه الشركة على ما بذلتهُ من العناية لراحة المدعوين وندعو لها بالنجاح التام

نجيب صروف



مناظر من الواحة الخارجة · فالصورة العليا من اليمين صورة ترعة تجري فيها المياه من بئر ارتوازية لري الاطيان · والتي تليها صورة بئر ارتوازية والماء يتدفق من انبوب كبير موضوع فيها · والتي تحتها صورة اناس واقفين في ارض مزروعة قطناً وتليها صورة فلاح يحرث ارضه

علم ما في الزمان المستقبل

بسم البديع المنطقِ اللسانِ في منهج البيانِ والمعاني
والحمدُ للهادي الى الحقِّ الجلي في ما مضى والحال والمستقبلِ
حمدًا عِدادَ الزُهرِ في الزرقاء ما أشرقت والزُهرِ في الغبراء
وبعد فالمستقبلُ المجهولُ موضوع افكاري وما اقولُ
والغاية العظمى اكتشاف ما استتر فيهِ لجذب النفع او دفع الضرر
وهو الزمان المقبل الذي اتّصل بالحال ممتدًّا الى ما لم يزل
دهرٌ خفيٌّ ما رآهُ من بشر وما بدت شمس بهِ ولا قمر
ظرفٌ لهولٍ وامانٍ ورضا وغضبٍ احرَّ من نارِ الغضا
يخشاهُ قلبُ الجاهلِ الجبانِ والهمُّ منهُ مالئُ الجنانِ
وكلّما اهتمَّ بهِ يزيدُ احوالهُ ولا يعي الرعديدُ
فاشجُعْ ولا تهتمَّ جهدًا بالغدِ ذاك اهتمامٌ بالذي لم يوجدِ
ولستُ ابغي طرحك العنايه بكل آتٍ ذاك غير الغايه
فكلُّ ذي لبٍّ يريدُ العدَّه دفعًا لما يأتي زمان الشدَّه
لكنهُ يهتمُّ باعتدالِ بكلِّ ذي شأن في الاستقبالِ
كم خاف مثرٍ عيشةَ الفقيرِ فعاش شرَّ العيش بالتقتيرِ
يا ويلهُ ما فرَّ منهُ قد وقع فيهِ وهذا حظُّ ارباب الطمع
كم صابرٍ على بلاءٍ مزهقِ وجازعٍ من نكبةٍ لم تخلقِ
يا ايها المستقبل المحجَّبُ في كشف ما حجَّبتَ كلٌّ يرغبُ
وبعض ما واريتَ بالحجابِ صرفُ النهى عنهُ من الصوابِ
لو علم الله بجلى امرهِ للناس خيرًا ما قضى بسترهِ
في كشف كل السرِّ آفات الوجل وخيبة المسعى وإبطال العمل
هذا على ان الذي يعلمُ ما في الغيب بالنافع منهُ أعلما
اعلنهُ لحاضرٍ وبادِ بيِّناتِ الحيِّ والجمادِ
باحت بهِ ألسنة الشريعه في صفحات الوحي والطبيعه

سلاسلُ العلة والمعلولِ تبدي لك الاسرارَ بالدليلِ
فمثلُ ما كان الذي يكونُ اما ابانت ذلك القرونُ
تماثلُ الاسباب منهُ يعلمُ تماثلُ المسببات المحكمُ
وكلُّ ما دار من الحوادثِ مفتاح علم الغيب عند الباحثِ
من ذلك الخسوف والكسوفُ كلاهما في وقتهِ معروفُ
والقبّةُ الخضراء ذاتُ الحبكِ وكلُّ نجمٍ سابحٍ في فلكِ
والمدُّ ثم الجزرُ والانواء والغيثُ حيثُ اشتدَّتِ الرمضاء
والكاففُ الشمسيُّ والفصولُ ومثل هذا سردهُ يطولُ
وكلُّ ما في عالم الانظارِ يجري بلا ريبٍ على الادوارِ
والدهرُ دولابٌ عظيمٌ دائره احداثهُ في ضمن تلك الدائره
فان تزد علمًا تزد كشفًا لما في غابر الازمانِ عنا كتما
فكلُّ ذي معرفةٍ جزئيه عليهِ اسرارُ القضا خفيه
اما انا فلستُ عنكم اكتمُ اني علمتُ انني لا اعلمُ
وانَّ ما في دفتر المقدَّرِ غير الذي سطَّرتهُ في دفتري
لكنني اسري على نور العلم مصدّقًا ما خطَّ في اللوح القلم
فكل إثمٍ بعدهُ عقابُ وكل برٍّ بعدهُ ثوابُ
وكل ما في عالم الباري نزلْ جارٍ بلا جورٍ على شرع الازلِ
شرعٌ قديمٌ محكمٌ لا ينسخُ اسبابهُ معقودة لا تفسخُ
من ذاك يدري العالم النحريرُ ما كنَّ في المستقبل الديجورُ
مثال ذا ان الكسالى تفتقرْ بعد الغنى فليعتبر من يذَّكر
وكلّ سكيرٍ على العيالِ يجني بنقد صحةٍ ومالِ
وربما جنَّ وربما عمي فلم يميز مغنمًا من مغرمِ
وربما مال الى سفك الدِما من غير جرمٍ واستحلَّ الحرُما
وكل صعلوك نشيط في نعم يمسي ولو كان ابن من يرعى النعم
وربما صار الى اعلى الرُتب فليس كلُّ المجد عن امٍّ وابٍ
وجملة المقصود ان الآتي يدرَى من الاعمال والصفاتِ

ابرهيم الحوراني

ترع المرّيخ والحياة فيهِ

الترع في حال حركاتها

ذكرت سابقًا صفات الخطوط والنقط حسبما تظهر في اي وقت رُصدت والآن اذكر التغيرات التي تطرأُ عليها وتجعل مجال البحث فسيحًا لديدًا · وهذه التغيرات هي تأثير السيل والفيضان · ففي بادئ الامر تكون الترع غير واضحة لا تكاد ترى ولكن بعد مضي وقت تسهل رؤيتها لازدياد وضوحها واول ما يتبادر الى الذهن ان ذلك يتوقف على بعد السيار وقربهِ ولكن تأثير المسافة قليل فقد تكون الترع على معظم وضوحها حين يكون السيار في وقت الاقتران وتكاد لا ترى في الاستقبال حين تكون الشروط اللازمة للرصد على اتمها وفي غاية المناسبة والموافقة كأن يكون الهواء قليل الاضطراب تموجاتهُ خفيفة لا تعيق نقل صور الاشباح الدقيقة · واذ لم يكن شيءٌ يحجبها عن العيان استنتجوا ان التغير جوهري واسبابهُ داخلية فيحدث في اوقات معينة اي لابتدائهِ وقت ولانتهائهِ وقت وفقًا لاختلاف الفصول

وهذه الحقيقة توصل اليها الاستاذ لول بعد ان رصد ارصادًا متتابعة مدة سنين عديدة فيها تمكن من تعيين مقدار درجة الوضوح اثناء تعاقب الفصول ودرس طبائع التغيرات وكيفية اختلافها من وقت الى آخر وتحديد اوقات النمو والتأخر والانحطاط واخيرًا ثبت عندهُ ان العامل فيها جميعًا واحد وهو ذوبان الثلج ولكن اوقات الزيادة والنقص لا تكون واحدة ومتساوية بل تختلف بعض الاختلاف فنها تكون آخذة في الابتداء بين ان بعضها يكون قد بلغ معظم الزيادة · والنمو يبتدئ اولاً قرب القطب ثم يتدرج متجهًا نحو خط الاستواء ويتعداهُ الى حد ٣٥ درجة في الجهة الثانية منهُ وبعد ان تقل الحرارة ويبرد الهواء يبتدئ التقهقر والانحطاط ويوافق ذلك وقت رسوب الثلج طبقًا لما يصيب النبات على ارضنا على اثر هبوط درجة الحرارة في اواخر الخريف فتذبل الاوراق وتصفرُّ وتيبس فتختفي عن النظر · وكما ان النمو يبتدئ قرب القطب ويتدرج الى جهة خط الاستواء هكذا يحدث في حال التأخر والاندثار

وقد وجد ان بعض الترع ينمو بسبب الفيضان الحاصل من القطب الآخر اي ان مياه القطب الشمالي مثلاً تصل الى بعض ترع المنطقة المعتدلة الجنوبية وربما تخطاها · وما قيل عن القطب الشمالي يصدق على القطب الجنوبي ولكن يبقى امر آخر وهو ان بعض الترع التي تظهر كل سنة في اوقاتها المعينة تختفي عن البصر عدة من السنين دون ان يعرض شيءٌ

يمنع رؤيتها · ويظهر من مقابلة ارصاد شياباريلي وارصاد لول ان بعض الترع المتجاورة تظهر بالتناوب وذلك يدل على ان السبب ليس تغير الفصول وذوبان الثلج

اما الشقوق التي تظهر في بقع القطبين فليست الاَّ ترعاً تتصل بغيرها فاليابسة هناك تتألف من اقسام قاحلة لانبات عليها كالصحراء ومن اراضٍ مخصبة مملوءة بالنبات ومعلوم ان الثلج الذي يسقط على النبات يذوب قبل غيرهِ لان النبات يتضمن حياةً فيكون اكثر حرارة مما يحيط بهِ من الجماد

والتغيرات التي تطرأ على الترع تطرأُ على الواحات وفي ذات الوقت ومع ان العرض وفصول السنة هي التي تحدد اوقات النمو وتعينها لكن وجد ان بعضها لا يتأَثر على الاطلاق قبل ان تصل مياه احد القطبين ولو لم يكن ذلك في الفصل المناسب · والنمو في جميعها يبتدئُ في الوسط ويمتد الى الخارج ثم يعقبهُ الانحطاط والاندثار

التعليل والايضاح

العلم لا يقف عند ذكر الحوادث المجردة بل يبحث عن الاسباب التي تفعل فيها والقوانين والشرائع التي تفصلها عن غيرها وتجعلها نظاماً قائماً بذاتهِ واول الصفات الخاصة التي يتجه اليها الذهن فتهديهِ الى طبيعة الخطوط وماهيتها هي تغير لونها بتغير الوقت وهذا لا يمكن التعليل عنهُ بقرب المسافة وبعدها ولا بشيءٍ آخر يحول دون النظر فهو اذاً ليس بعارضٍ بل جوهري وحقيقي وفي اثناء البحث لا بد من ان يتنبه الذهن الى تغيرات اخرى تحدث كل سنة وتقريباً في ذات الوقت على سطح السيار اعني ذوبان البقع الثلجية المتراكمة قرب القطبين وهذا يدل على وجود علاقة تربط تغير لون الترع بذوبان الثلج لان الاول يعقب الآخر ·

فحينما يذوب الثلج يسود لون الترع القريبة ثم يعقبها ما هو ابعد منها وهكذا بالتتابع حتى يمتد الاسوداد الى ما وراء خط الاستواء · اما سبب الاسوداد فليس الماء الذي يجري في الترع وذلك لامرين الاول ان الماء لا يسبب لوناً اسود والثاني سير امتداد اللون متأَخر كثيراً عن سير الماء الجاري ولكن هذين الامرين يدلان على ان السبب ليس الاَّ النبات الذي ينمو على ضفتي الترعة بوجود الماء

فاذا ذاب ثلج القطب تحول الى ماءٍ يجري في الترع ثم يعقبهُ نمو النبات على ضفافها مبتدئاً من القطب سائراً نحو خط الاستواء وذلك عكس ما يحدث في ارضنا فالنمو هنا يتبع سير الشمس مبتدئاً من خط الاستواء متجهاً نحو القطب الشمالي في الصيف والجنوبي في الشتاء ومعلوم ان نمو النبات يتوقف على امرين وهما وجود المواد التي تنمو والعوامل التي تسبب فيها النماء

فالاول يتألف من الاكسجين والنيتروجين والماء وبعض الاملاح والثاني الشمس وحرارتها فاذا فقد احدهما امتنع قيام حياة النبات ولكن اذا اجتمعا معاً تظهر الحياة ويبتدئ النمو. ففي ارضنا كل افراد العامل الاول متوفرة وعليهِ فحياة النبات تتوقف على مركز الشمس ومقدار حرارتها بين ان الحالة في المريخ على عكس ما ذكر فهناك البحار وغيرها من مجتمعات المياه نضبت مياهها او غارت ولم يبقَ منها الاَّ ما يذوب من ثلوج القطبين فينمو النبات اذاً بعد ان يصلهُ الماء الذائب وهذا النمو يبتدئ بالطبع من القطب ويتدرج نحو خط الاستواء ويتعداهُ الى آخر الترع التي تجري فيها مياه ذلك القطب

الحياة

ومما مرَّ يترجح وجود النبات لانهُ اكمل وانسب شيء يعلل بهِ عن التغيرات التي نراها سنوياً واذا صح هذا الزعم تمكنا من استنتاج وجود حياة اسمى من حياة النبات — حياة الحيوان لان وجود الواحد يتطلب وجود الآخر كما هو معروف عندنا وذلك ظاهر لكل من تفقد هذا الكون الارضي برَّهُ وبحرهُ وارضهُ وهواءهُ فانهُ يجد الحياة عامة منتشرة في كل ناحية من نواحيهِ من خط الاستواء الذي يتقلب السنة كلها تحت اشعة الشمس العمودية الى القطب الذي لا ترتفع الشمس فوق افقهِ زيادة على ٢٣° ويستمر في الظلام والزمهرير مدة ستة اشهر. ومن قمم الجبال الشاهقة التي يبلغ علوها خمسة اميال ونصف ميل الى درك البحار الغائض نحو ستة اميال وتختلف من حجم الفيل والارز الى حجم البعوض والطحلب الى الجسيمات الحية المنتشرة بين دقائق السائلات وذرات الهباء والمتخللة حتى في نسيج العضل وبين كريات الدماء كلها تعيش معاً وفقاً لنواميس الطبيعة. نمو الواحد وتكاثرهُ يتوقف على نمو الآخر وتكاثرهِ فحيثما يوجد النبات يوجد الحيوان الذي يلائمهُ والمحيط الذي يقضي على الواحد يلاشي الآخر

والآن اوجه انظاركم الى العلاقة التي بين حياة الحيوان وحياة النبات. من المقرر ان الحيوان يغتذي على النبات او ما يتولد منهُ وهذا بحكم الاضطرار إذ يستحيل عليهِ ان يغتذي راساً من المواد غير الآلية فلو تلاشى النبات لتلاشى الحيوان لان بلازم (Plasm) جسدهِ تحصل من بلازم (Plasm) النبات او غيرهِ من الحيوان الذي يغتذي على النبات وما عدا النبات لا يوجد الاَّ نوع من الحيوان يدعى (Nitro Bacteria) يغتذي على المواد غير الآلية او الكيماوية ولكن عكس هذه القضية صادق وصحيح اي ان حياة النبات تتوقف على حياة الحيوان فالدود الذي ينخر التربة بعزقهِ لها يجعلها صالحة لنمو النبات ولولاه

لتلبدت وجفت واصبحت كالصخر لا ينمو فيها شيء· ولولا وجود بعض الحشرات والهوام على اختلاف حجمها وانواعها لا نقرض قسم كبير من النبات اذ بواسطتها تنتقل انواعهُ وتنتشر على وجه البسيطة و يتم لقاحها · وكلنا نعلم ان الحيوان يخرج الحامض الكربونيك فيمتصهُ النبات وبعد ان يأخذ الكربون الذي هو قوام حياتهِ يفرز الاكسجين الذي هو عماد حياة الحيوان·

وهذا الارتباط الكائن الآن لا بد انهُ وجد قبلاً لانهُ لو تراجعنا من الحاضر الى الماضي او ما يقابلهُ اي لو هبطنا في بحثنا الى اسفل درجات سلَّم الحياة في الحيوان لوجدنا حسب رأي النشوء والارتقاء انهُ حالما تحولت المركبات الغير الآلية الى آلية كانت صفاتها عامة الى درجة حتى ان ما بقي منها الى الوقت الحاضر يتعذر تعيين نوعه هل هو مختص بالمملكة النباتية او الحيوانية فان الكروماشيا (Chromacea) تشبه بعض انواع البكتيريا كل الشبه ولا شيء يفرقها عنها سوى نوع غذائها الذي يجعلها نباتاً ويعتقد العالم هيكل (Haeckel) ان ذلك ليس من الفوارق الجوهرية لان النيترو بكتيريا Nitro Bacteria تغتذي من المركبات غير الالية مع انها من المملكة الحيوانية و يظهر ان اصل هذين النوعين واحد اي بعد ان طرأ على المواد غير الآلية فواعل مختلفة تولد فيها احياء اولية بسيطة جدًّا لا نبات هي ولا حيوان ثم ارتقت هذه الاحياء بفعل العوامل من البسيط الى المركب وما زالت ترتقي حتى تفرع النبات والحيوان في ابسط مظاهرهما وعليهِ اذا صح ان اسلاف اصول المملكتين النباتية والحيوانية نشأوا معاً في ارضنا وجب ان ينشأوا معاً في غير الكرة الارضية حيثما تتوفر الاحوال المناسبة ويكون وجود الواحد دليلاً على وجود الآخر

اما امكانية الحياة فتتوقف على الظروف والمحيط واخصها حجم السيار ومادتهُ فالسيارات الكبيرة تتولد عليها الحياة في مر الزمان لان فيها تتوفر الشروط التي يتم بها ظهورها بين ان الصغيرة الحجم تبقى عقيمة الى آخر الدهر وسببهُ ان بدء النشوء يتطلب حرارة عظيمة اصلية وداخلية لان حرارة الشمس ليست كافية وكذلك لا بد من جوّ يحيط بالسيار فيحفظ حرارتهُ وحرارة الشمس ويكون وسطاً لطيفاً فيهِ تجري العوامل اللازمة ويتمّ فعلها فاذا كان الحجم كبيرًا والجذب عظيمًا بقي الجوّ او الهواء والاَّ افلت· وما ذكر عن الجوّ يصدق على الماء الذي هو اهم مجهزات الحياة للاجسام الحية في باديء امرها وبما ان المادة التي تتالف منها السيارات هي واحدة ومن اصل واحد فبحثنا يكون مقتصرًا على ظروفها وحالاتها وليس على طبيعتها فاذا كانت الكتلة التي تتجاذب اجزاؤها لتكوّن السيار كافية لتسبب ظهور شروط المواد غير الآلية المناسبة وجب ظهور المواد الآلية لان الآلية تتولد من

غير الآلية كما هي الحالة في ارضنا وليس ذلك فقط بل اذا اندثرت تحل الى غير الآلية ويؤيد هذا القول القانون القائل ان كمية المادة والقوة ثابتة لا تتغير فلا تزيد ولا تنقص كذلك اذا قابلنا احط الاجسام الحية "الآلية" مع ارقى الاجسام غير الآلية نجد الفرق زهيدًا للغاية ولا يقرب من الفرق الموجود بين اسمى الاجسام الحية واحطها فكأن تحول الغير الآلي الى الآلي او الى جسم حيّ "تم" او "يتم" اثناء هبوط حرارة السيار .

والحياة تظهر بعد ان يتحول البخار المائي الى ماء واول ما يظهر فيهِ الكروماشيا (Chromacea) والكونفرڤي (Confervae) واذا هبطت قليلاً ظهرت الاعشاب البحرية Rhizopods ثم النبات البري والحيوانات الفقارية

وخلاصة البحث ان الحياة على سيار ما تتوقف على جرمهِ اما انواعها وصفاتها فتتوقف على عمرهِ ولكن العمر يتوقف على الجرم لانهُ كلما صغر برد بسرعة وتقدم في العمر . والآن ظواهر سطح المريخ تدل على ان الشروط المذكورة قد تمت لحجمهُ يكفي لان يكون قد نبت عليهِ النبات وان يكون قد تقدم وشاخ وكما نعلمهُ عن احوالهِ الطبيعيَّة يشير الى امكانية وجود النبات والحيوان فيهِ في اسمى درجات الارتقاء وليس ثمة ما يعارض هذا الرأي . وكما ان الحياة ابتدأت على ارضنا في البحار حسب اعتقاد الفريق الاكبر من العلماء وبما ان آثار البحار موجودة على سطح المريخ فلا يبعد انها ابتدأت هناك في البحار ايضاً

وبما انهُ يستحيل رؤية الحيوانات على سطح ذلك السيار لبعد المسافة يتجه بحثنا الى جهة أُخرى لاقامة الدليل على وجودها فلو تصورنا بشرًا مثلنا يقطنون عالمًا بُعدهُ عن ارضنا الى حدّ لا يمكنهم من رؤية اكبر الحيوانات لكنهم يستطيعون ان يبصروا الغابات الكثيفة والمروج الفسيحة والصحاري الواسعة والابحر وما شاكلها من مجتمعات المياه فهم والحالة هذه لا يدرون بوجود مخلوقات حية ما لم تكن تلك المخلوقات قد احدثت ما غيَّر طبيعة وجه الارض في بعض اقسامها كبناء المدن الكبيرة وحفر الترع وغيرها من الاعمال التي هي دليل التمدن وعنوان التقدم لانهُ كلما تقدم الانسان في الحضارة زاد تأثيرهُ في ما يحيط بهِ فيغير وجه الارض بانشاء الطرق وسكك الحديد وقطر الكهربائية واقامة المعامل والمصانع وفقًا لناموس النشوء والارتقاء الذي يتطلب حفظ النوع وتكاثرهُ وانتشارهُ وبقدر ما يغير من وجه البسيطة ويحول من الحالة الطبيعيَّة الى الصناعيَّة . وبسمو الاتقان والدقة ومقدار الفخامة والعظمة التي تتصف بها اعمالهُ يقاس تقدمهُ وارتقاؤهُ . هذه هي حالتنا مع المريخ فالآثار الصناعية التي نرى سطحهُ مرصعاً بها اكبر دليل واقوى برهان على وجود مخلوقات حية

وعقول راقية احكمت تنظيمها بطرق تسمو على ادراكنا

اما كون الترع صناعية لا طبيعية فهي حقيقة تتجلى لكل عاقل منصف وسبب انشائها قلة المياه على سطح السيار وانحصارها في ثلوج القطبين ولذلك اضطر السكان لقيام حياتهم الى جرها والاحتفاظ بها والانتفاع منها اذ بدونها لا يعيش مخلوق وهذه الترع كما ذكرت سابقاً اقواس دوائر كبيرة لانها اقصر خط يصل نقطتين على سطح الكرة والنقط او الواحات مستديرة الشكل لان محيط الدائرة اقصر خط يحيط بمساحة معينة وكل مظاهر الترع والواحات تدل على انها وجدت لمقاصد خاصة دعت اليها الحاجة وما تلك الحاجة الّا جرّ مياه الثلج الذائب الى البقع المأهولة بالسكان لسقيهم وري ارضهم. ومما يثبت انها صناعية كون الماء يأتي في جميعها الى خط الاستواء ويتعداهُ الى الجهة الثانية وذلك عكس القوانين الطبيعية

الخاتمة

يظهر من جميع ما ذكر ومما يمكن الاستدلال عليهِ بقياس التمثيل ان المريخ مأهول بخلائق حية تنمو فيهِ وتتوالد على حد ما في الارض لان عناصر الحياة ومعداتها متوفرة. واهم اعتراض على هذا الرأي ان ذلك السيار ابرد من الارض وجوهُ خفيف ورقيق وكمية الحرارة الواصلة اليهِ من الشمس قليلة لا تكفي لقيام الحياة ولكن اكثر القواعد التي بنوا احكامهم عليها قد افسدها العلم الصحيح وخلاصة نتيجة الابحاث الطبيعية في الوقت الحاضر تشير الى ان حرارتهُ في الغالب اعلى من درجة الصفر قليلاً لكثرة بخار الماء المنتشر في جوّهِ وما فيهِ من القوة على ادخار الحرارة فضلاً عن المبدإ الذي عرف حديثاً وهو ان حياة النبات والحيوان تتوقف على معظم الحرارة وليس على اقلها

واذا صح وثبت ان الترع هي من اعمال الصناعة فلا شك ان هنالك مخلوقات عاقلة ارقى من الانسان عقلاً واكمل ادراكاً لما نعلمهُ عن الدقة والاتقان التي تتصف بها تلك الترع وتنظيم انتشارها بحيث انها تمر في اهم نقط سطح السيار وتتوزع الى كل جهاتهِ على السواء اما القوة التي صرفت لحفرها فما يعجز عنهُ البشر وما هي سوى دليل اتحادهم للنفع والخير العام وتعاونهم كفرد واحد لدرء المصايب ومقاومة الطبيعة التي كادت تقضي عليهم ولو لا ذلك الاتحاد لبادوا منذ قرون عديدة حين نضبت وغارت مياههم ولكن يظهر انهم استطاعوا ان يكيفوا ذواتهم للظروف والاحوال فسلموا طبقاً لناموس الارتقاء الذي يكون مع تقادم الزمن كما هو معروف عندنا. وبما ان المريخ اقدم من الارض بالوف السنين وباعتبار صغر حجمهِ كان ولا بد اسرع برداً منها فلا غرو ان يكون سكانهُ ارقى من سكان الارض واقرب الى الكمال

هذا ما استطعت ان آتيكم بهِ هذه الليلة مما عرف عن ذلك السيار العجيب الغريب وقد تحريت في جميع ما قلتهُ ذكر آراء الاستاذ لول ومن لفَّ لفهُ غير متعرض لآراء الفريق الآخر ولكن ذلك لا يعني اني اعتقد بصدقها بل اقتطفتها وتلوتها على مسامعكم لما فيها من اللذة والتفكهة ولانها خير ما يعلل بهِ عن الرسوم الغريبة الشكل التي يراها الراصدون واقرب مثال تمشي عليهِ ارضنا في المستقبل البعيد

منصور حنا جرداق
نائب استاذ الرياضيات
في المدرسة الكلية ببيروت

دير مار مارون

ذكرت في مقالتي الماضية خلاصة ما يعلم عن مدينة الرستن القديمة وآثارها وقد رأيت الآن ان اذكر ما وقفت عليهِ عن دير مار مارون الذي كان في هذه المدينة او في ما يجاورها خلافاً لما يدَّعيهِ البعض فاقول

يغلب على الظن ان دير مار مارون القديم كان في الرستن . قال السيد بولس مسعد بطريرك الموارنة في كتابهِ الدر المنظوم وجه ١٣١ " فدير القديس مارون الذي كان هؤلاء الرهبان تلامذتهُ منفردين فيهِ هو بين حمص واباميا (حماه) ... وذلك بموجب اقرار برجر نفسهِ وحذاء نهر العاصي في موقع مدينة الرستان التي هي الآن خراب " . وقال المؤلف المذكور في الكتاب نفسهِ صفحة ١٣١ : " لان هذا الدير الذي كان يحوي ثمانمائة راهب ويسمَّى دير البلور لجمال بنائهِ ودير سورية ايضاً لان لهُ الرئاسة على اديرة بلاد سورية الثانية باسرها . وهو غير الدير الواقع بالقرب من مخرج العاصي الذي يسميهِ ابو الفداء مغارة الراهب "

ويشهد على شهرة هذا الدير كلام المسعودي حيث قال : " ودير مارون بنيان عظيم حولهُ اكثر من ثلاثمائة صومعة فيها رهبان . وكان فيهِ من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم . فخرب هذا الدير وما حولهُ من الصوامع بتواتر الفتن "

وجاء في تاريخ سعيد بن بطريق اي كتابهِ نظم الجوهر (طبعة اكسفرد سنة ١٦٥٨) وجه ٢٣٨ ما يأتي

" وفي تسع سنين من ملك هرقل وهي السنة التاسعة من الهجرة خرج هرقل من

القسطنطينية يريد بيت المقدس لينظر ما اخربت الفرس فيها . فلما وافى حمص لم يقبلهُ اهلها وخرج اليهِ الرهبان الذين في دير مارون فاستقبلوهُ وكان هرقل مارونيًّا فاعطاهم مالاً كثيرًا واعطى للدير ضياعًا وقرًى . ثم خرج الى دمشق[١] "

فيستدل من ذلك ان الملك هرقل لم يدخل حمص بل عاد الى الرستن التي هي في جوارها فاستقبلهُ رهبان دير مارون ورحبوا بهِ واكرموهُ . ونزيد على شهادة سعيد بن بطريق ما قرأناهُ في مخطوط قديم وجدناهُ في مكتبة احد الاديرة في جبل لبنان لابن العميد المؤرخ الشهير الذي اعتمد عليهِ كثير من مؤرخي الافرنج المدققين ويعرف عندهم باسم المكين[٢] قال :

" وفي السنة التاسعة من ملك هرقل خرج من القسطنطينية ليجمع الاموال من سائر المملكة ويتفقد احوالها . فلما وصل الى حماه طلع الى دير مارون وصلى فيهِ لانهُ كان مارونيًّا واعطاهم مالاً عظيمًا لاجل عمارة الدير وارتحل . فلما وصل الى دمشق احضر النائب عليها وهو منصور بن سرجون الدمشقي وطالبهُ بالاموال فذكر انهُ كان يحملها الى كسرى فعاقبهُ الى ان استخلص منهُ ثلاثة آلاف دينار واستمر على عملهِ وارتحل الى بيت المقدس "

---

(١) انما اتينا بهذه الشهادة لمطابقتها رأي السيد بولس مسعد في موقع دير القديس مارون اتقدم

(٢) ان هذا الكتاب مخطوط بالكرشوني قطع ربع ٢٥ × ١٨ ويقرأ في المقدمة ما يأتي

(بسم الله الرحمن الرحيم : نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ نكتب كتاب مجموع مبارك جمعهُ واختصرهُ الشيخ الفاضل جرجس ابن ابي اليس ابن ابي المكارم ابن ابي الطيب عرف بابن العمرا (والاصح ابن العميد والغلط من الناسخ) نفع الله تعالى نفسهُ آمين)

ويذكر في مقدمتهِ انهُ يتضمن (من اخبار العالم وتاريخ الدنيا ومائها (هكذا) وانهارها ومدائنها وحل مكان الاقاليم وما كان في كل اقليم من النافع والضار الخ)

وتواريخ هذا الكتاب متصلة الى ملك هرقل – ومعلوم ان الكتاب المطبوع لابن العميد يبتدئ من هرقل فصاعدًا . فيكون هذا الكتاب هو الجزء الاول من تاريخهِ وهو غير معروف الى الآن

ثم قرأنا اسم الناسخ في آخرهِ هكذا : (وكان الفراغ من هذا الكتاب نهار الاربعاء تاسع عشر يوم من شهر آب المبارك سنة ١٩٢٦ يونانية بيد احقر الناس واردعهم (هكذا) نعمه باسم قسيس ابن قس يشوع المارولي)

ثم حاشية ثانية بالكرشوني هكذا : تجدد وتلد هذا كتاب التواريخ في قرية خراع من يد الحقير قس حنا الكعولي في سنة اثنين وستة وسبعين يونانية ... الخ ثم في آخر الكتاب حاشية كتبت بالحرف العربي

الخط يبقى زمانًا بعد كاتبهِ وكاتب الخط تحت الارض مدفونُ

حرر في ١٦ كانون سنة ١٨١١ وأكيم الخازن

وقد ذكر السائح بوكوك الانكليزي في كتابهِ الجزء الثاني وجه ٢٠٨ من النسخة المترجمة الى الالمانية المطبوعة سنة ١٧٥٤ انهُ بمروره في قرية الرستن شرقي العاصي رأى في جوارها اخربة دير عظيم جدًّا وعمدًا وقواعد عُمد شتى

فهذه شهادات جلية قاطعة على ان دير مار مارون كان على ضفة العاصي بالقرب من حماة ويؤيد ذلك ما جاء في كتاب توما الكفرطابي الذي كان عائشاً في القرن الحادي عشر . قال في الصفحة ١٤٦ من كتاب مجادلة الموارنة مع الملكية في المصحف الواتيكاني السرياني عدد ١٤٦ ما نصهُ

"وكان في ذلك العصر ماسك كرسي المملكة مرقيان واخوهُ ... ثم امرهم (مكسيماس) ان يكتبوا مناشير الى بلاد الشام كي انهم يعتقدوا مقالة المشيئتين التي قالها مكسيماس . فلما انتهت كتبهم الى سورية والشام وبلد حلب ودمشق وجبل لبنان وحمص وحماه الى جميع السريان ... حينئذٍ قال اهل الشام نحن راجعون الى حكم دير ماران دير السريان الذي تأويلهُ دير الرب . لان هذا الدير كان على شط العاصي خارج مدينة حماة . وكانت جملة رهبانهِ ثمانمائة راهب قديسين اه [1]

وبما انهُ لا يوجد دير تكلم عنهُ اهل الجغرافية في جوار حمص وحماة سوى في الرستن فيستنتج من كل ما ذكرناهُ ان موقع هذا الدير الشهير كان في هذه المدينة او في جوارها والله اعلم

يوسف اليان سركيس

[المقتطف] نشرنا هذه المقالة عن دير مار مارون والتي قبلها عن الرستن لان بحثهما جغرافي تاريخي ولا شأن لنا ولا للكاتب في التعرض للمسألة الدينية المذهبية . وعسى ان تهتمَّ الحكومة العثمانية او بعض اهل البحث بنقب هذين الاثرين لاكتشاف ما في انقاضهما من الدلائل التاريخية لان تاريخ مدائن الشام بين زمن الفتح والزمن الحاضر يحتاج الى بحث كثير وتنقيب دقيق

---

(١) من كتاب جامع الحجج الراهنة للطران يوسف داود في الفصل الثالث من الباب الثاني

الاسماء

اطلقت الاسماء في كل امةٍ بلغتها على الاشياء والاشخاص تعريفاً لاعيانها وتفرقةً بين الشيء الواحد والآخر فترام سموا الشجرة باسمها ليميزوها عما سموهُ نهراً . وعلى هذا المنهاج جعلوا يسمون الاشخاص باسماء ينفرد كل فردٍ منهم باسمهِ فيمتاز بهِ عن سواهُ

وفي المجتمعات الاولى كان عدد الافراد قليلاً فيخالُ ان الاسماء الموضوعة لافرادها من الذكور والاناث كانت يومئذٍ كافيةً لهم ولكنهم لما تناسلوا فازدادوا عدداً لم يبقَ لكل فردٍ اسم يستقل بهِ فيعرف متى ذكر اسمهُ فاضطروا ان يزيدوا الاشخاص تعريفاً بنسبة الفرد الى اسم ابيهِ . ففي الحالة الاولى يكتفى لمعرفة زيد بمجرد ذكر اسمهِ لان المجتمع صغير وليس فيهِ زيدٌ آخر بخلاف الحالة الثانية حين قصرت الاسماء عن الاشخاص فنشأ زيدٌ ثانٍ وربما ثالث ورابع فصاروا يعرّفون زيداً بنسبتهِ الى ابيهِ عبيد والآخر الى ابيهِ خالد وهلمَّ جرًّا

لكن المجتمعات متى كثر افرادها واتسعت واضطرت الى استكثار المنافع والمرافق تختار التجزؤ وتنفصل منها عيال وافخاذ وتبتعد عن مواطنها الاولى الى مواطن اخرى . فيبقى منهاج التسمية جارياً ولكن قد تبقى الصلة بين المنفصلين ويضطر كل فريق الى اتخاذ الاسماء المألوفة فتتعدد ولا يؤمن وقوع اللبس بين الاشخاص المتشابهين اسماً ولو اختلفوا داراً الاّ بما يميزهم ولذلك صاروا يزيدونهم تعريفاً بنسبتهم الى مواطنهم

الاّ ان هذه القواعد التي يخال ان الناس جروا عليها في بدء امرهم لم تكن تخلو من الشواذ كأن يكون الشخص معرّفاً بصفاتهِ واعمالهِ فاذا ذكر اسمهُ مجرّداً عُرِف

كل هذا لم يذكر في نص تاريخي او كتابةٍ اثرية ولكنا نظنهُ واقعياً بحكم التمثيل . الا ترى ان العائلة الواحدة عند بدء نشأتها وقلة افرادها يمتاز آحادها باسمائهم ولكنها متى كثر عديدها وتشعبت فروعها يضطر الآباء الى تسمية صغارهم بالاسماء المألوفة في اسرتهم ولمزيد التعريف يعرف المسمي باضافتهِ الى اسم ابيهِ . فاذا كان هذا حال ابناء العيال في يومنا هذا ونحن مقتدرون على استعارة اسماء جمة من لغاتٍ شتى فما القول بابناء المجتمعات الاولى المقتصرين على الاسماء التي يعرفونها

واما نسبة الافراد لاوطانهم فلعلها تستنتج ايضاً من التمثيل اذ نرى في بعض القرى والمزارع حتى في المدن الحافلة كثيرين ينسبون الى اوطانهم

ولا نعدم دليلاً تاريخياً على بعض ما خمنا الاّ في بدء انتظام المجتمعات لان النصوص

والآثار قاصرة على الكلام في الامم ذات الشأن ولا شأن لغير الراقين . وانَّا لنرى الكتابات الاثرية تروي عن المجتمعات الراقية ما يدل على ان الاسماء كانت تعرَّف اما بالنسبة الى الاب او ببيان آخر . فقد اتصل بنا من آثار الاسرة السادسة المصرية (في القرن الثامن والثلاثين قبل المسيح على رأي مريت) كتابة لرجلٍ من عظماء المصريين اسمهُ اوني لم يذكر فيها اسم ابيهِ ولكن ذكرت وظائفهُ وحظواهُ لدى الملك اوناس . ومثل هذا نرى كتابة سينهويت احد عظماء مصر في زمن الدولة الثانية عشرة (في اواسط القرن التاسع والعشرين ق . م) تذكر اسم صاحبها ووظائفهُ من غير ذكر ابيهِ مع انها نوَّهت بانهُ من انسباء مزيني الملك

فذكر اسمي هذين العظيمين مجردين عن النسبة لا يطعن في ما ضمناهُ من المنهج القديم لانهُ قد يمكن ان يكون اسماها من الشهرة الواسعة بحيث يستغني بذكرهِ عن الانتساب او ان ذكر وظائفهما السامية كفاها في التعريف مؤنة المزيد

ويظهر من الآثار الكتابية التي وجدت في تلوّح من بين النهرين ويحسب زمانها واقعاً بين عصريّ الدولتين السادسة والحادية عشرة من الدول المصرية ان الاسماء تذكر فيها تارةً منسوبةً وطوراً مجرّدة اعتبر ذلك بما ورد في صدر احداها المفتتحة باسم " نيناور ملك شيربورلا ابن نيني غال جين " وفي صدر الاخرى " اوروكاجينا ملك شيربورلا "

ويغلب في هذه الكتابات المكتشفة في تلوُّح ذكر الملوك والاحبار من غير انتساب بل يكتفى بمناصبهم ومثل ذلك في المراسلات التي دارت بين فراعنة مصر وعمالهم في فلسطين قبل زمن خروج بني اسرائيل مما يعرف بمكتشفات تل العمارنة ان اصحاب تلك الرسائل يذكرون اسماءهم المجرّدة حتى انهم بمخاطبة الملوك لا يسمونهم وانما تجدهم في بعض رسائلهم يقولون هكذا : الى الملك سيدي آلهتي (بالجمع) الهي الشمس الخ . وفي غيرها الى سيدي الملك . ويكتفون بذلك الّا ان في بعض الرسائل تخصيصاً اذ يقولون الى ملك مصر سيدي

فكأن مقام الملك وشهرتهُ تغنيان مراسليهِ عن الافصاح في تسميتهِ وعلى هذا الطرز يستغنون عن مزيد التعريف في مخاطبة العظماء فترى بين رسائل تل العمارنة رسالة من عزرو الى ابيهِ دودو من كبراء موظفي مصر يقول فيها الى دودو سيدي وابي اتكلم انا عزرو ابنك وعبدك الخ

واذا عرض في تلك الرسائل ذكر ثالث فاما انهُ يذكر اسمهُ مجرداً كعبد طوب وملك عربل وغيرهما واما يُنسب الى ابيهِ كملكي ابن ماراثيم او يعرف بوظيفتهِ كملكوني البواب

واما عند العرب فمعلوم ما كانوا عليهِ في الجاهلية من سكنى البادية قبائل واتخاذاً . وقد

اتصل بنا من اخبار مجتمعاتهم نزر قليل يدل على ان الاسماء التي كان يعرف بها الاشخاص قليلة العدد وانها كانت منتشرة بين كل القبائل يتسم بكل اسم منها جماعة ولكن الميزة بين المعرّفين بالاسم الواحد لم تكن ميسورة الاَّ بنسبة كل منهم الى ابيهِ وجدهِ بل قد تطول بواحدهم سلسلة الانتساب الى ثلاثة او اربعة من الجدود ثم تنتهي بالانتساب الى القبيلة . ومما ذكر ابو حاتم السجستاني في كتاب المعمرين ان قس بن ساعدة كان اول من كتب الى فلان بن فلان . الاَّ ان هذه الرواية لا تحملنا على الظن بان العرب كانوا يكتفون قبل زمنهِ بالاسم المجرّد لان زمن قيس بن ساعدة حديث وكانوا ينتسبون قبلهُ

ثم ان العرب في جاهليتهم كانوا يعرفون بالانتساب الى قبائلهم كأَن يُقال قس بن ساعدة الايادي وامية ابن ابي الصلت الثقفي وامثالهما . فلما جاء الاسلام ظلت النسبة للقبيل جاريةً في صدرهِ ثم تقلص ظلها تدريجاً بما طرأ على الناس من الاستبعاد عن خصائص البداوة وانتهاج مناهج الاعاجم الذين خالطوهم ولم يبقَ محافظاً على النسبة العربية الاَّ بعض الافراد من الاشراف الذين يفتخرون بالانتساب لقريش او لبعض القبائل المشهورة او الاماكن المقدسة . الاَّ ان الاحتفاظ بالانساب على طولها كان تاماً في التدوين والكتابة بخلاف الحال في المعاملات اليوميَّة

ومما يعرف بهِ العرب ورجالهم الكنية وهي أن يقال فلان ابو فلان ومثل ذلك ان يقال ابن فلان وقد امتدَّ بهم زمن هذا الانتساب اجلاً طويلاً من عصر الجاهلية حتى تجزؤ الممالك الاسلامية واختلاط اهاليها بالترك والبربر والافرنج . ومن امثلة الكنية ابو الطيب وابو العتاهية ومن امثلة الانتساب للاباء ابن خلدون وابن زيدون

ولقد بحث بعض كتبة العصر في الاسماء فرأوا انهُ يغلب فيها ان تكون منذ اصلها قد وضعت للدلالة على معانٍ تؤديها الفاظها . وان الاسماء القديمة التي اتصلت بنا ويظهر انها مرتجلة لا معنى لها ربما كان اكثرها بقية لغات بائدة او هي محرّفة عن الفاظ اخرى تحريفاً ابعدها عن المفهوم من اصلها . والاسماء المعروفة لهذا العهد من بقايا القدم تجدها عبرانية وتؤدي معاني مخصوصة . والاسفار المقدسة تظهر النسق العبراني في التسمية شبيهاً بنسق معظم القدماء من حيث الانتساب للاباء

وكأن الناس جروا على ذلك الطرز زمناً طويلاً حتى وقع لبعض الافراد ما ميزهم عن سواهم بما وسموا بهِ من وصفٍ او نعتٍ في معرض مدح او ذم او بيان عمل او غير ذلك مما يعرض للانسان . فلحقهم ذلك الوسم وصار علامة فارقة لصاحبهِ يمتاز بهِ عن اقرانهِ . مثال

ذلك اصحاب الحرف والصناعات ورجال الحرب والقلم وخدمة الدين فانهم كلهم يمتازون بوصفهم من بين جمهور الناس و يوصف واحدهم بهذا الوصف و يعرف باللقب

واللقب على ما حدَّدهُ العرب واحدٌ من ثلاثة تشريف وتعريف وتسخيف فاما التشريف فهو ما يتصف بهِ الانسان مدحاً لشرفهِ او شجاعتهِ اوكرمهِ اوغير ذلك من الصفات الآيلة لمجدهِ . والتعريف ما يعرف بهِ اصحاب الصناعات كالحداد والنحّاس والسيَّاف وغيرهم . والتسخيف كالاعرج والالثغ وامثالها وهذا الثالث منهيٌّ عنهُ في شرع المسلمين الاَّ اذا ارتضاهُ المتصف بهِ . ويقول النحويون ان الاول يفيد رفعة والاخير ضعةً واما عند الافرنج فاللقب يتناول اسم الوطن ايضاً اذا لحق باسم الفرد كأن يقال زيد المصريّ فكلمة مصري تعتبر لقباً لزيدٍ

وهذه الالقاب نشأَت لتعريف بعض الافراد ولكنها في كثيرٍ من الاحوال لحقت باعقابهم من بعدهم لانها بتعريفها الآباء صارت لهم علماً فعرفوا بها هم انفسهم . الاَّ انها لم تكن في باديء الامر مما جرى عند كثيرٍ من الامم على ما ظهر لنا من تواريخهم وآثارهم . بخلاف العرب فانهم ولئن كانوا على منهاج غيرهم فقد جرى عندهم اللقب شوطاً بعيداً واتسم بهِ كثيرون منهم في جاهليتهم وصدر الاسلام ولكنهُ على الاكثر لم يتعدَّ اصحابهُ ليلحق باعقابهم

اما اليونان فالظاهر من شعر هوميروس انهم كانوا يعرّفون الفرد بنسبتهِ الى ابيهِ وقد ينوهون باسم امهِ اذا كان ذلك من مفاخرهِ . ومنهاجهم هذا جرى معهم في كل مواطنهم حتى في ايطاليا مع ان بعض ارجائها التي لم تخضع لهم بل ظل الامر فيها للاتروسكان كان هؤلاء يعرّفون باسماء عيالهم . وهذه العيال اتسمت من قبل ذكرها في التاريخ باسماء جعلتها اعلاماً وهي في اصلها اما اسماء افرادٍ جعلت بمرور الايام اعلاماً للعيال واما القاب او نعوت صارت كذلك

ولما استفحل امر الرومان تابعوا الاتروسكان في منهاجهم واخذوا عنهم بعض القاب العيال كهوراتيوس وليفيوس ومرقص وسيفروس وامثالها . ولما انتظمت الشؤون الرومانية اصبحوا يقسمون سكان مدينتهم العاصمة الى اتخاذ جمة يسمونها بلغتهم gentes وكل تخذ منها يقسمونهُ الى عيال فكنت تراهم اذا ارادوا تعريف فردٍ منهم ذكروا لهُ ثلاثة اسماء اسمهُ الشخصيّ واسم عائلتهِ واسم التخذ المنسوبة اليهِ . كقولهم بوبليوس كورنيليوس شيبيو فبوبليوس اسم الرجل وكورنيليوس اسم تخذهِ وشيبيو اسم عائلتهِ ومعنى شيبيو العصا وقد

سمي بها جده كناية عن ان اباه كان اعمى وهو يبرّ بهِ ويقوده وانما جعلوا له هذه التسمية لقب تشريف

والتلقيب كان على اتمهِ عند الرومان فان قادة الجيوش الذين يستبسلون في القتال ويبلون في الاعداء بلاء حسنًا كانوا ينالون انعامًا من الندوة العليا ان يضيفوا الى اسمهم المثلث لقبًا agnomen يكون في الغالب احسن ذكرى لظفرهم كما ترى في القاب كوريليانوس وافريكانوس وجرمانيكوس

الأَّ ان سواد الامة الرومانية كان لا يخل على بعض الناس بالقاب مصوغة من العيوب والصفات التي يرونها فيهم فتصبح الالقاب تعريفًا لحامليها يميزون بها كقولهم نيجر ومعناها الاسود وباولوس وتعريبها الصغير وكالثوس ويراد بها الاصلع الى غير ذلك

اما اوربا فانها لما تنصرت اضطر سكانها ان يغيروا الاسماء القديمة ليخلعوا باطراحها كل اثر وثني وشرعوا ينتحلون الاسماء الواردة في التوراة والانجيل . ولم تكن تلك الاسماء كافية لجماهير المتنصرين وكان القسوس يختصرون حفلات العماد (التنصير) ويعمدون الناس شراذم شراذم وتجنبًا لتسمية كل معمد باسم مخصوص كانوا يطلقون اسم يوحنا او بطرس او بولس على كل شرذمة عمدوها في وقت واحد فيلحق الاسم الجديد بكل فرد من افرادها . ولكن شيوع الاسم الواحد بين كثيرين يخرجه من بين الاعلام المميزة فاحتاجوا ان يعدلوا في التعريف الى القاب مستحدثة اتخذوها من حرفهم وصناعاتهم واعمالهم وغير ذلك . وقد شاعت عندهم هذه الالقاب والنعوت وقامت مقام الاعلام عصورًا متطاولة حتى امتد المجتمع الاوربي باصولهِ وفروعهِ وكثرت افراده فاتخذوا الاسم العائلي فارقًا وصارت الافراد تنسب اليهِ

واختلف الباحثون في شيوع الالقاب بين الانكليز فذهب فريق الى انها لم تكن معروفة قبل الفتح النورمندي وقال آخرون انها كانت تتخذ على قلةٍ لان النسق السكسوني كان على الاكثر بنسبة الابن الى ابيهِ بحيث كانوا يقولون مثلاً اكبرت ادكارين فالياء والنون في آخر ادكارين يعبر عنها بالسكسونية بالحروف ing وهي بمعنى ابن وتجدها في بعض الاسماء الحاضرة اثرًا لتلك التسمية كما تجد للصفات اثرًا في الالقاب بعد استعمالها . وثبوت هذه الالقاب واتصالها بالاعقاب ارثًا لم يجرِ الاَّ منذ القرن الحادي عشر . وكأَنهُ امتد سريعًا وتأصل في الطبقات العليا حتى حدث في منتصف القرن الثاني عشر ان الملك هنري الاول اراد ان يزوج ولدًا غير شرعيٍّ من بنيهِ فابت عروسة التزوج بهِ لانهُ لم يكن لهُ لقب

فانعم عليهِ ابوهُ بلقب Fitz-Roy اي ابن الملك وصار هذا اللقب يمنح لابناء الملوك غير الشرعيين

وانما بحثت في اسماء الاوربيين هذا العهد تجدها تدل على شيء مما قدمنا

ومما يستلفت الانظار عند الاوربيين انهم يسمون الاسم الشخصي باسم العماد او الاسم المسيحي وهذا التخصيص يدل على اصل وضعهِ حينما تنصَّر الاوربيون افواجاً فضلاً عن ان الطفل المسيحي يطلق عليهِ اسمهُ حين عمادهِ ولذلك سموا الاسم كما رأيت

بقي ان نلمح الى ما هو شائع عندهم من التسمية بالاضافة الى اسماء المدن والقرى والمزارع . وعلامة الاضافة عندهم of بالانكليزية و De بالفرنساوية و Von بالالمانية فحسبهم بعض الباحثين من نائلي درجات النبالة وخالفهم غيرهم بان علامة الاضافة لا تدل على النبالة بل على كونهم من اهل المواضع المنسوبين اليها

واما شأن النبلاء فان نسبتهم لبعض المواقع تظهر بعلامة الاضافة وهذه تشير الى ان تلك المواضع خاضعة لسيادة النبيل اسماً كما كانت من قبل اقطاعةً يسودها غيرهُ من النبلاء ومن زمن نظام الاقطاعات جرت عادة انتساب البلدان الى اصحابها او اشتهار النبلاء بسيادتهم فيها

وجرى المسلمون في التسمية على ما اخذوا عن العرب ثم اتصلوا بالاعاجم من فرس ويونان وروماني وقبط وارمن وغيرهم فاخذوا عنهم شيئاً . ولكن ظل المنهاج القديم غالباً فيهم وقتاً طويلاً ثم جاروا غيرهم بالانتساب الى العيال والقبائل والبلاد على غير اطرادٍ

واما الاتراك العثمانيون فان تغلُّب اسماء الافراد مع نسبتهم تارةً لابائهم شاع استعمالهُ فيهم طويلاً ولكنهُ كاد يدرج الآن لان منهاجهم الحديث كاد يطمس على اسماء الآباء فضلاً عن العيال التي لم تبقَ النسبة اليها محفوظة الاَّ في صدور ابنائها . وانما يتخذ الاتراك اسمين اولهما من اسماء الانبياء او الصحابة والثاني يسمونهُ مخلصاً يتخذونهُ فارقاً ولكنهُ ليس بفارق واسم العائلة مكتوم فلا يعرف الانسان الاَّ باسم وظيفتهِ ومحل وجودهِ او ان كان ابوهُ من العظماء تميز بالنسبة اليهِ فتقول مثلاً عمر زاده حسن افندي . ومن الغريب ان بعض المصريين والسوريين رغبوا في متابعتهم وساروا على نهجهم حتى انك لتجد اربعة اخوة احدهم يسمَّى محمد توفيق والثاني اسمعيل فتحي والثالث ابرهيم قدري والرابع علي فهمي وقد ضاع اسم العائلة الذي يجمعهم . الاَّ انهم قد اخذوا يعدلون عن ذلك الآن ويعودون الى اسماء عائلاتهم

ر . ن

الفلسفة عند اليهود

ان حكماء الامة الاسرائيلية انصرفوا خلال عصورها الاولى الى الانذار والتعليم بمعرفة الله تعالى والقول بوحدانيته وخلقهِ الكائنات كلها ولم يذهبوا الى ما وراء ذلك من البحث في صفات الخالق وحقيقة النفس وما اشبه من النظريات التي ملأَت كتب الهند واليونان وكل امة كان لها من الفلسفة نصيب وافر اي انهم وقفوا عند حد الايمان المطلق غير مسندٍ الى الابحاث العلمية ولا متبع طريقة فلسفية

الأَ انهم في الاحايين كانوا يحومون حول المباحث النظرية ولكنهم لم يكونوا ليدخلوها من ابوابها سالكين اليها طريق الدليل والبرهان بل كانوا يقولون بالرأي و يدعمونهُ عوض البرهان بالاسناد الى الوحي . مثال ذلك مسألة الخير والشر فانهم قالوا ان الله تعالى خير مطلق ولا يصدر عنهُ الأَ الخير واستدلوا على ذلك بما ورد في الكتاب من ان الله كان اذا خلق شيئًا رآهُ حسنًا . واذ اشكل عليهم حل مسألة الشر وخافوا ان يقودهم الكلام فيهِ الى الوقوع في الخطإِ قالوا ان الشر من صنعة البشر يتولد من انتصار المبدإِ المادي على المبدإِ العقلي ولما كان الانسان حرًّا في اعمالهِ وارادتهِ صار من الواجب عليهِ ان يجعل اعمالهُ منطبقةً على مبدإِ الخير السامي لئلاَّ تغلبهُ المادة فيصير عبدًا للشر . وهذا القول يرتبط ارتباطًا قويًّا بالمبدإِ القائل بحرية الارادة الذي هو من المبادىء الاساسية في العقائد الموسوية على ما يؤْخذ من سفر التثنية حيث قيل انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر

وسار حكماء اليهود على سبل الكثير من حكماء الشرق في تمثيل الحكمة في الشكل الشعري او بما يقرب من نوعهِ من الامثال والاحاجي لاسيما وانهم كانوا اذا اقتربوا من النظريات الفلسفية المحضة ارجعوها الى دائرة الدين وجعلوا الحكم فيها فوق مدارك العقل اعتبر بما ورد في سفر ايوب من اجتماع الحكماء و بحثهم في مسألة العناية الالهية والقدر كيف ظهر الله في عاصفةٍ لايوب واظهر لهُ قصر المدارك البشرية عن اكتناه اسرار الطبيعة ووجوب خضوع الانسان لله والتسليم لارادتهِ الى غير ذلك مما يذهب بالقضايا الفلسفية الى الوجهة الدينية . على ان الجلاء البابلي ادَّى الى اختلاط اليهود بغالبيهم والاطلاع على حكمتهم وحكمة الفرس مجاوريهم ولا بدَّ لهذا الاختلاط من ان ينقل شيئًا من تمدن الكلدان والفرس الى عقائد اليهود وعاداتهم لما يحدث المحيط الكبير عادةً في الفئة الصغرى من التغيير والتكييف في اخلاقها وعاداتها وعقائدها وسائر شؤُونها الاجتماعية لاسيا وان اليهود لم يروا في معتقدات

غالبيهم ما يدعو الى النفرة والاشمئزاز فالفرس على ما علمناهُ من كتابهم الديني الزندافستا قالوا بالوحدانية وان لم تكن مطلقة وشابهوا اليهود من حيث الكراهة للوثنية فحدت بهم تلك المشابهة الى التقرُّب والامتزاج

الَّا ان الفرس انفسهم لم يبلغوا الشأوَ العظيم من الفلسفة بحيث يتصل من فيضها باليهود ما يكفي لادخال الابحاث النظرية في كتاباتهم · يؤيد ذلك خلو الاسفار المكتوبة بعد الجلاء من روح الحكمة والكلام فيما وراء الطبيعة ونقاؤها من هذه الوجهة على ما كانت عليهِ قبل الجلاء · ولما تسوَّد اليونان سوريا وانتشرت فيها معارفهم وآدابهم الفلسفية ثارت في اليهود الرغبة في طلب العلم وارتياد الفلسفة اعلاء لقدرهم في عيون الفاتحين الذين كانوا يزدرون بعوائدهم ويمتهنون آدابهم لذلك عدل اليهود الى الكتب المقدسة فشرحوها واسهبوا في تفسير غوامضها مدخلين اليها شيئًا من الآراء الفلسفية اليونانية التي كانت لذلك العهد زاهرة في الاسكندرية

وقد ذكر لنا التاريخ اسماء كثيرين من علماء اليهود الذين اشتهروا في الفلسفة وساروا فيها شوطًا بعيدًا وفسروا النصوص الكتابية بالاراء الفلسفية اليونانية تفسيرًا دلَّ على تضلعهم من آراء افلاطون وفيثاغورس وغيرهما من الحكماء التابعين . ومما يذكر ان الذين تفوقوا في دراسة الفلسفة المنتخبة Eclectique من اليهود غالوا في التفاخر بعقائدهم والقول بانها مصدر الفلسفة في العالم وان فيثاغورس وافلاطون وارسطوطاليس وغيرهم من اقطاب العلم مروا في تطوافهم على بلاد اسرائيل واخذوا عن حكمائها الاقدمين العلم والحكمة

واما يهود فلسطين فظلوا على طاعة البطالسة ملوك مصر حوالي مئة سنة اقتبسوا في خلالها شيئًا كثيرًا من الفنون والمعارف اليونانية حتى اذا استحوذ السلوقيون ملوك سوريا على فلسطين كان معظم اليهود قد اخذوا التمدن اليوناني واقتبسوا من ارائهِ ما كاد يضر بالديانة الاسرائيلية لولا النهضة التي حدثت على عهد المكابيين ومع ذلك ظلَّ المنطق اليوناني الغاية التي يرمي اليها عقلاء اليهود والحلبة التي تتجارى في مضمارها سوابق هممهم

يومئذٍ نبغ في فلسطين فرقتان الفريسية والصدوقية فاحداها الفريسية كانت تقبل كل العقائد والمبادىء والطقوس التي كرَّ عليها الدهر وصارت مقدسة بحكم الزمن وشرعت تدعي القدامة والمصدر الالهي وان ما اتصل بها كان تقليدًا شفاهيًا من الاباء والجدود· ويذهب البعض ان تعاليم هذه الفرقة مأخوذ معظمها عن تعاليم الكلدان والفرس · وكيف كان الامر فان لشرعتها في التفسير يدًا في احياء اللغة والاداب العبرانية وفي انهاض العقول النيرة

الى خوض المباحث اللاهوتية والنظريات الفلسفية

اما الفرقة الثانية وهي الصدوقية فلم تقل بالتقليد الشفاهي وبكل مبدإ لم يكن مدوناً في اسفار موسى فجردوا بذلك العقائد الموسوية عما يمكن ان يضاف اليها من الزوائد وتوسعوا في الاحتفاظ حتى انكروا خلود النفس ومداخلة العناية الالهية في اعمال البشر زاعمين ان هذه المداخلة تنافي القول بان الانسان فاعل مختار

وقد نبغ من الفريسيين قوم يصح تسميتهم بالحكماء العاملين وكان مذهبهم القول بالمبادىء والرسوم والاداب الفريسية ولم يقفوا وقوف الفريسيين عند حد القول وانما قرنوهُ بالعمل بالزهد والعفة والتقشف حتى علق بهم عامة الناس واحلوهم المكان الرفيع من التجلة والاكرام. ولا غروَ فالعامة تأخذهم الظواهر في كل زمان ومكان

وعرف رجال هذه الفئة بالاسينيين تسمية ربما كانت مشتقة من الكلمة السريانية اسايا بمنى أساة اي اطباء وقد ذهب البعض ان الاسينيين فرع من الجمعية اليهودية المصرية المسماة بالثرابيون على ان الذين بحثوا في سنن هذه الفرقة لم يروا بينها وبين الاسينية مشابهة كبرى تجعل الصلة قوية وان المصرية كانت تختار العزلة والعفاف والتأملات والاسينية لم ترتضِ الانفراد بل حسبت اتباع الفضيلة والعمل بها بين الناس اجزل فائدة للمجتمع لاسيما وان فيلون هو المرجع فيما يقال عن هاتين الفرقتين وقد كتب عنهما مطولاً ومع ذلك لم يذكر من امر اتصالهما شيئاً

وقد قيل ان الاسينية كانت تمتاز عن سواها من الفرق اليهودية بحب اعضائها بعضهم لبعض حبًّا شديدًا وانها كانت تستنكف الملاذ وتحسب امتلاك هوى النفس وغلبة الشهوات فضيلة كبرى وتأبى الزواج ولكنها تختار النجباء من صغار اولاد الآخرين وتقدم على تربيتهم وانشائهم على منهاجها ومع هذا لا ينكرون على الناس فائدة الزواج بايلاد البنين حفظاً للنسل وانما يحترسون من مسالك النساء لاعتقادهم انهنَّ لا يحفظن الامانة للرجل. وكانوا يحتقرون الغنى ويعيشون بالاشتراك فلا تجد واحداً منهم يملك اكثر مما يملك الآخر واذا اراد واحد من الناس الدخول في مصافهم فكان عليهِ ان يجعل كل ما ملكت يداهُ مشتركاً بين الجماعة وبهذا لا تجد بينهم ظاهر الفقر المدقع او الغنى الطائل بل كانت قنية كل واحدٍ منهم كأنها قنية الجميع ولم قيمون على مصالحهم العامة ولا يسوغ لواحد منهم ان ينظر في مصلحتهِ الخاصة وانما ينظر في ما يعود نفعهُ على مصلحة الجمهور الى غير ذلك من ضروب العيشة الاشتراكية التي يضيق بنا المقام عن اشباع الكلام فيها

وغاية ما يقال عن الفلسفة اليهودية انها جمعت بين الافكار الشرقية والغربية وبعبارة اوضح انها كانت الحلقة المتوسطة التي بها اتصلت الابحاث النظرية الشرقية بالفلسفة الغربية. وقد قام اليهود بهذا العمل الاتصالي غير مرةٍ في ازمنة مختلفة من التاريخ

وفي العصور الاولى من الزمن المسيحي اسرف نواب قياصرة الروم في ظلم اليهود واعناتهم حتى لجأوا الى العصيان وكانت الحرب بينهم هائلة دوَّخ الرومان في غضونها بلاد فلسطين وحصروا اورشليم سنة ٧٠ م. ثم دخلوها عنوةً ومثَّلوا باهلها تمثيلاً شنيعاً ولم يطل الامر حتى خرج اليهود عن طاعة الرومان ثانيةً ايام ادريانوس سنة ١٣٥ م فاعمل بهم السيف وفرَّق شملهم فتشتتوا في انحاء الارض. يومئذٍ علم اليهود انهُ يستحيل عليهم اتخاذ اورشليم عاصمة دينية لذلك اتجهت خواطرهم الى جمع كلمتهم تحت لواء الدين وتعزيز الوحدة الدينية باحياء وتدوين التعاليم السماعية ضمن كتاب فوضع البقية الباقية من علماء كهانهم في اورشليم كتاباً سموهُ المشنه وهو متن التلمود فكان ضميمة على اسفارهم القديمة ثم توالى على مدارسهم القرنان الرابع والخامس وفي تضاعيفهما من حملات التعصب الذميم ما ادى باليهودية الى الخراب وادى الى توسيع مجموعة المشنه فوضعوا الجمارة وهي شرح المشنه ثم توسعوا في الجمارة فالفوا التلمود واودعوهُ مجموع تعاليمهم من مفاد منقول المعتقد ومنزل الاسفار فكان خاتمة كتبهم الدينية وخزانة شرائعهم وعلومهم

ولقد مرَّت القرون الاولى من التاريخ المسيحي على اليهود وهم بعيدون عن المباحث الفلسفية والاشتغال بالعلم يؤيد هذا القول خلو المشنه والتلمود من الابحاث النظرية والكلام فيما وراء الطبيعة الَّا ان قوماً منهم انفوا البقاء تحت النير الروماني يقاسون جور التعصب واعتساف دعاتهِ فجاءوا بلاد العرب قبل الاسلام واستوطنوها وتوفرت بينهم وبين الاهلين اسبابُ الائتلاف لما بينهم من التشابه في اللغة والتقارب في الجنس وعدم وجود دولة في العرب جامعة تفرق بين الاصيل والدخيل

ولما جاء الاسلام وامتدت فتوحاتهُ الى شرق الارض وغربها لم تكن وطأتهُ ثقيلة على اليهود الذين كانوا ناقمين من جور الرومان والفرس فرحبوا بالفاتحين وانتعشت ارواحهم وتجددت قواهم وانصرفت جماعة منهم للاشتغال بالعلم والادب. ومما زادهم رغبةً في ذلك اقبال بعض الخلفاء عليهم كما اقبلوا على علماء النصارى فنبغ منهم عدد من العلماء والاطباء وازداد عدد نابغيهم في الدولة العباسية واشتهر منهم كثيرون كسعديا بن يوسف المصري المعروف عند العرب بسعيد بن يعقوب الفيومي وشموئيل بن حفني وغيرهم كثير من رجال العلم والادب

وفي سنة ٧٦٥ م ايام الخليفة العباسي جعفر ابي منصور ظهرت فرقة جديدة في بابل انشأها عانان بن داود وتعرف بالقرائين كانت غايتها التخلص من تسود الربابنة وتحرير اليهود من نير التقليد واتباع احكام العقل والعمل بالامتحان لا بالاسناد الى فلان او فلان وبما ورد في النصوص المقدسة لا بالسنن الموضوعة في المشنة ومع هذا لم يحذُ زعيم القرائين عانان بن داود حذو الصدوقيين القدماء الذين قالوا بوجوب نبذ كل تفسير وتقليد وانما قال بوجوب تطبيق كل التفاسير والتقاليد على احكام العقل وما كان منها لا ينطبق على احكامهِ انطباقاً تاماً لا يعمل بهِ ولا يعوَّل عليهِ وكأنهُ اراد بذلك الخروج من دائرة الايمان وهو التسليم المطلق الى دار الفلسفة حيث الدليل والبرهان

على ان الربابنة واصحاب التلمود الذين لم يرضوا عن اعمال فرقة القرائين نسجوا على منوالهم واتبعوا سبلهم في ادعام العقائد الدينية بالادلة المستقاة من فلسفة تلك الايام وحسبك ان كبير علمائهم الذائع الصيت سعيد بن يعقوب الفيومي رئيس مدرسة سورا (بلدة قريبة من بغداد) محط رحال الربابنة ومصدر قوتهم وضع كتاباً باللغة العربية في العقائد والافكار قال فيهِ بوجوب اتباع احكام العقل في العقائد وانهُ يحق للانسان فحص القضايا الدينية بل ان ذلك مطلوب منهُ وواجب عليهِ وان العقل الصحيح يرشد الانسان الى الحقائق التي يعلمها الوحي ولكن الوحي وجد وكان وجودهُ ضرورياً لكي يوصل الانسان بسرعة الى ادراك اعلى الحقائق التي لو تركت للعقل لاقتضى لهُ حتى يصل الى ادراكها عناء عظيم وزمن طويل

وحدث بعد موت سعدية بقليل ان ازدهرت الفلسفة العربية في الاندلس واتصلت شعلتها بيهود تلك البلاد فخرجوا عن السلطة الدينية سلطة مدرسة سورا وارادوا ان يستبدلوها بمدرسة جديدة يشيدونها بمدينة قرطبة ويعهدون بادارتها الى خيرة رجال العلم منهم حيث تلقن فيها انواع العلوم والفلسفة والفنون الادبية التي اهملها يهود المشرق

قامت هذه المدرسة في قرطبة وامها طلاب العلم من كل فج سحيق وكان يومئذ من علماء اليهود طبيب بارع مقرب من الخليفة عبد الرحمن الثالث فسعى الى نفع المدرسة وتعظيم شأنها ولم يمض عليها الزمن الطويل حتى ذاعت شهرتها وعرف رجالها بالتفوق في العلم والادب ونبغ منها جماعة من اكابر اهل العلم انصرفوا الى درس الفلسفة المشائية ووضعوا فيها الكتب النفيسة التي لم تزل منها بقية في مكاتب اوربا شاهدة بما وصلوا اليهِ من العلم والحكمة

على ان منتهى فلاحهم وازدهائهم كان في ايام الدولة الاموية بالاندلس وفي بعض المحال المجاورة لها في اطراف اسبانيا من الممالك المسيحية واشهر فلاسفتهم فيها موسى بن ميمون

الذي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ م ولما شب اخذ في درس اللاهوت وسائر العلوم المعروفة يومئذ عند اليهود وكان يحضر ايضاً بعد ذلك على اساتذة العرب ويكب على الدرس والتحصيل حتى بلغ من الحكمة شأواً بعيداً وصيتاً ذائعاً فلقبوه بموسى الثاني وافلاطون اليهود وكان كل اجتهاده ان يوفق بين الفلسفة المشائية والاسفار المقدسة وان يحمل الطلبة على اخضاع ابحاثهم لاحكام العقل. وفي ايامه كان انقراض الدولة الاموية بالاندلس وعلى اثر انقراضها اصابت الشدة اليهود ففرَّ الى مصر واتصل بصلاح الدين وصار طبيبهُ

وفي اواخر القرن الخامس عشر سنة ١٤٩٤ م طرد اليهود من بلاد اسبانيا فاضمحلت بطردهم الفلسفة اليهودية على ان اليهود كامة او كجمعية دينية لم تشغل في تاريخ الفلسفة المكان الاول وانما كان لها المحل الثاني ومع ذلك فقد شارك اليهود العرب بالفخر اذ حفظا معاً العلم والفلسفة في عصر كانت اوربا فيهِ تائهة في ظلمات الغباوة م . ن

الارادة

" لو ارتتقت السموات والارض على رجل تحركت ارادتهُ لفتقهما ووجد من بينهما مخرجاً "

ما من طائفة اختل امرها وضل سعيها حتى اخذتها الرجفة وركبها الهول واصبحت خاوية كأن لم تغن بالامس الاَّ وقد خبت من قبل زناد اختيارها وتراخت عزيمتها

وما من امة تقوض مجدها وثل عرشها ومادت سكانها وانتزعت اركانها واصبحت لا ترى الاَّ مساكنها الاَّ وقد خمدت همتها وماتت ارادتها فتقاعدت عن المهمات وتربصت الصدفات وقالت انَّا ههنا قاعدون حتى يأْتي الله بفتح من عندهِ

تلك حقائق راهنة في المدنية لا تتغير ومبادئ ثابتة في العمران لا تتبدل وسنَّة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً

وكأَني بالقارئ يسأل عن ماهية الارادة لا يعرف لها معنىً ولا يدرك لها كنهاً لما رسخ في ذهنهِ وطبع على قلبهِ من ان " الانسان مسيَّر لا اختيار لهُ يمضي على حكم القضا ومجاري القدر " . نعم ان الانسان يجري على احكام القضاء الاَّ ان الله هداهُ النجدين العقل والهدى واودع فيهِ قوة تشرك العقل في امرها ألا وهي الارادة مجمر الهمة والعزم ومعهد الحرية ومقيل النخوة والمروَّة وموطن الغيرة والحمية ومبيت الانفة والاباء ومقام الاقدام والشهامة

فالارادة ايها القارئ الكريم خلة ثالثة للروح تحدو بالمرء الى مطالب العقل وقد يعرض

لما هوى النفس ان انكسرت شوكتها وضعفت قوتها فيغفلتها عما تمليهِ لها الحكمة والواجب . وثمت الطامة الكبرى والبلية العظمى . وهي غريزية في الانسان تبقى خامدة جامدة اذا لم يسعَ وراء تهذيبها واكتسابية تزداد قوةً ورقياً كما تعاهدها المرءُ بالعمل . فاجهد اذاً ايها الرجل في ترقية الارادة حتى لا تدع عليك للهوى سبيلاً فتكون القابض على زمام امركَ ويكون السلطان لك عليك وعلى نفسك وجسمك وعواطفك وافكارك واعمالك وخيالك فتحيا حرًّا سعيدًا تحت زعامة العقل والحكمة والواجب والوجدان. وليس مطلب اعلى كعباً واشرف شأواً من هذا للانسان ألاَ وان الحياة بالعمل ان خيرًا فخير وان شرًّا فشر وليس للانسان الاَّ ما سعى

ورقي الارادة بالمران والمعالجة وهذان مثالان نذكرهما في معرض الحديث : اذا اتيت مائدة الطعام واتيت على ما اتيت من المآكل حتى كفيت وبلغت حد التخمة ثم جيءَ بالحلواء فدعاك باعث اللذة واشتغل العقل وحكم بضررها فاصرف حينئذٍ عنك النفس ورغبتها واللذة وعواملها . واذا قضيت نهارك في متاعب الاشغال حتى كلَّت اعصابك ثم علمت ان ستمثل « دمعة الباكي » مساءً فدعاك داعي الشوق اليها فاضرب عنها صفحًا واطوِ كشحاً وخلِّ السبيل لراحة جسمك ولراحة عقلك . هاتان مزاولتان للارادة في صغير الامور تعتاد بهما على عمل الارادة في عظيم المهام وكبير الاعمال كأن يؤتي اليك بالذهب وانت عامل على الحدود لتمكن العدو من الاستيلاء عليها فيجيش فيك عاملان عامل الهوى للذهب وعامل العقل للواجب فان استقرت فيك الارادة تبعت الواجب وعارضت الذهب ونجحت ونجح الوطن .

واعلم ان صرف النفس عن اللذات صعب تناولهُ حرج تداركهُ لان مطالبها جاذبة عذبة لطيفة طيبة الاَّ على الذين اضاءت عقولهم وكبرت هممهم ونفخت فيهم الأَنفة حتى نشطت اراداتهم وتوقدت عزيمتهم فاولئك قوامون على انفسهم واولئك هم المفلحون

واعني بالارادة تلك العزيمة التي ان قرت بعد هدى من الحكمة والعقل لا تزعزعها عواصف الشهوات ولا تزيلها اهواء الملذات. والارادة ان تغلبت النفس على جانب منها استحكم فيها التردد ومَن اعتورهُ التردد اظلمت عليهِ حالهُ وساء مآلهُ . وقد قيل "وان فساد الرأي ان تترددا". واعلم ان التردد موقفة في العمل مجلبة للفشل ان ركز عليهِ الفرد بطلت ارادتهُ واضمحلت عزيمتهُ واصبح في معترك الحياة

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقرُّ على حال من القلقِ

او كسفينة فقدت دفتها في بحر هاجت مياههُ تسير ولا تدري اين يسار بها تسير على حكم

الرياح حتى تأذن الامواج بابتلاعها . والويل كل الويل ان اصاب التردد رجال الادارة فتقلع اوتاد الملك بعد ان تمكن لها في الارض وتتبدل الارض غير الارض لان الارادة والعزيمة صفتان ضروريتان لمن عهد اليهِ قيادة جيش او ادارة ولاية او تسيير امة . وقد قال سنكا الفيلسوف الروماني " لا سيادة ان لم تسد الارادة "

ويظهر لك شأن الارادة ان القيت ببصرك على الرجال العظام كسقراط وزينون وده كارت وقنط وابي حنيفة وابن ادريس وابن تيمية وصلاح الدين ومونتسكيو ونابوليون وسبنسر وروسو وبسمارك ومن شابههم فتعلم انهم لم يكبروا ولم يطاولوا السماء الأ بارادتهم

قال دومر رأس مجلس الامة في فرنسا البارحة واحد اعضائهِ اليوم ان كل رجال السيادة والقيادة كانوا من ذوي الارادة . ولقد اصاب في قولهِ فهذا ابو بكر وعمر وخالد بن الوليد ونابوليون وغلادستون وبسمارك وروزفلت تمثال الارادة ورجال العزيمة مع ان نابوليون قد رجع القهقرى حتى غلبت عليهِ ارادة بلوخر وولنكتون . ولو طبعت ارادة هذين الرجلين على اقل وطأة من ارادة نابوليون لكان الغلب لهُ يوم وترلو . وليس هذا بالحدس او الوهم ولكنهُ الحق الصراح فان جنود الانكليز كادت تقع في قبضة الاسر لولم تستفز ولنكتون ارادتهُ فثبت بجيشهِ حتى المساء وكذلك جنود الالمان فانها كادت تنهزم شر هزيمة امام نابوليون

الآ ان بلوخر اراد ان تكون الغلبة لهُ فسعى كما اراد وقصد الى وترلو فاجتمع الجمعان فضعفت ارادة نابوليون امام تينك الارادتين اللتين لا مطمع فيهما . وفي التاريخ دلائل اعظم من هذه برهاناً يرجع اليها من خامرتهُ الريبة في شأن الارادة

واعلم ان الامم التي يهوى عرشها في عهدنا لم تفقد رجال العقل والذكاء بل انما تفقد اولئك الرجال رجال الارادة فان العقل والذكاء يكادان ان يكونا بمثابة واحدة في كل جيل وقبيل بخلاف الارادة فانها تختلف باختلاف الطبائع فيختلف معها النجاح في الحياة الدنيا ان هي سقطت من الامة سقط النجاح وان نهضت فيها نهضت حتى انها تحسن للفرد باكثر مما تحسن لهُ الثروة والغنى . نضرب لك مثلاً رجلين احدهما ذو يسار والآخر ذو ارادة فعمل كلاهما في امر الأ ان الثاني كان رجلاً همًّا يتتبع الوسائط ويريد النجاح والاول يعتمد على وفرة مالهِ ولا يعمل العزيمة فيخسأ الاول لا محالة ويفوز الثاني فوزًا مبينًا فالارادة اذًا اس النجاح قال حكيم عربي " كم من حياة سببها التعرض للموت " وأخذهُ اديب امحق وقال " رب حياة تكون في طلب الموت "

هذا اثر الارادة في المدنية واما اثرها في الاخلاق فهي الامارة بكل طبع حميد والدافعة لكل خلق مجيد حتى اذا رسخت في المرء وكانت لهُ ملكة رسخ فيهِ الثبات والاقدام وحب الواجب وحب الخير وعاطفة الشرف والمروءة والحمية والآباء وكل ما كرم من الاخلاق ونبل. فهي ام الفضائل وينبوع المحامد ومطلع الاسعاد ومشرق الحياة الطيبة تنبذ عن المرءَ كل خلة ذميمة وان تأصلت وكل سيئة وان تمكنت وكل خبيثة وان تملكت حتى يخلص من النوائب والمعايب فيحيا غيورًا انوفًا شهمًا مقدامًا لا تقيدهُ العواطف ولا تقودهُ الاميال حاكمًا على امرهِ لا تزلق بهِ قدمهُ حيث تدعوهُ نفسهُ ويجاذبهُ قلبهُ كالصخرة لا يزعزعها تيار الهواء ولا تدفعها من مكانها مجاري الماء الاَّ اذا اضطرب امرها ولم تستقر حالها على شيء فتنقلب ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر حتى يودى بها

وكيف يحاز الحمد والجسم وادعٌ وكيف ينال المجد والعزم فاترُ

فلا رقي اذًا للمرء قبل ان تترقى فيهِ الارادة فتصفو حياتهُ وتروق اوقاتهُ. وقد حقق ذلك الفاضل فردريك بامي فقال في بحث لهُ بالمجلة الافرنسية " ان صلحت الارادة ذهب البؤس بأمهِ " وهذا حق لما قدمنا من ان الارادة تنفي كل دنيء وسفيهٍ وتبعث الى كل عظيم وكريم . وغير خافٍ ان الدناءة والسفاهة متى تجافت عن المرء وقامت مكانهما النخوة والعفة فقد ذهب عنهُ البؤس ولحقتهُ السعادة

وكما ان للارادة اثرًا في الاخلاق فلها الاثر الذي لا اعفاء معهُ على الامراض لان الارادة كما اشرنا وطن الهمة والهمة شعلة من شعل الحياة تحرق كل جرثومة دأبها الاذى وتميت كل نسمة طبعها البلاء حتى تنقاد صاغرة في دوران الدم والعكس بالعكس ان تراخت شكيمة الارادة فيضعف الثبات والاقدام . ومتى ضعف الاقدام مدت يدها الاوهام ومتى استحكمت هذه تمكنت الامراض من الجسم ونادت عليهِ بالفناء والاضمحلال . الا وان المصيبة لتصيب من خاف منها . وعلى السنة العوام امثلة من ذلك مضحكات لكنها جديرة بالاعتبار منها قولهم " لا تأتي الضربة الاَّ على رأس الاقرع " والذين طبعوا على الارادة انَّي حرزًا بين وحصن حصين يؤيد ذلك ما روي عن غيتي الشاعر الالماني يوم دهمتهُ الحمى فتغلب عليها بارادتهِ حتى نجا من فعلتها وقد قال " للارادة اثر عظيم على الامراض تنتشر في الجسم وتنفخ فيهِ نشاطًا يصرف عنهُ ضرر المعديات " يحاكي هذا قول بوسويه الذي اشتهرت مراثيهِ ولا شهرة مراثي الخنساء " الارادة سلطان قوي على الجسم ترمي بهِ الى عظيم الصالحات " ويثبت البرهان جليًّا مما نشاهدهُ من سلامة الممرضات والاطباء الذين يلازمون

المستشفيات ويكادون يقضون حياتهم بين ظهراني جراثيم الامراض ولا تمسهم ادنى بلية كل ذلك بفعل الارادة التي لولاها لاختطفتهم نسم العلل وكانوا في عداد الاموات

تبين لنا ان الارادة تدرأ الامراض عن الجسم فهل لها اثر في الشفاء ? نعم ذلك لا ريب فيهِ وقد علمت هذا الاطباء حتى انها تتسربداواة من رسخت ارادتهُ وتوقدت عزيمتهُ كأنها تقول من قصد وجد ومن سعى سعد . وكيف لا تشفي الارادة وهي قوة من قوى الانسان الحاكمة على جسمهِ فكم من المقعدين غشيهم الخوف في فرشهم فارادوا النجاة وخنوا الى الركض سالمين من القعاد وكم من الكسيحين في بيوت لعبت بها النار فاستحوذ عليهم الرعب من هول الموت فطلبوا السلامة ونهضوا من فرشهم راكضين . وقد قيل ان بعض الزمنى ذهب يوم الاحد الى حيث يقيم صلاتهُ فسمع ضجيج الخوف بين الناس فتساءل القوم فقيل فرَّ اسد من مجمع الحيوان واتى الجوار فتسارعوا وازدحموا للهرب وبقي المصاب وحيداً ترجف فرائصهُ حتى اضطرمت ارادتهُ واحترکت عزيمتهُ فاشتدَّ عصبهُ وذهب مرضهُ وطلب النجاة كما طلبوا فلما ذهب الروع واطمأن الناس على انفسهم رجعوا فوجدوا الزمين قد تسلق مكاناً علياً في نافذة من النوافذ لا يدرون كيف بلغهُ فراموا انزالهُ فعز عليهم حتى انزلوهُ بعد جهد جهيد

وقيل ان رجلاً ضعفت اعصاب لسانهِ حتى تعذر عليهِ الافصاح فعمد طبيبهُ الى اختراع آلة تشفيهِ فاشرأبت نفس المريض اليها وايقن ان بها الدواء حتى لم يكد يستطيع صبرًا فلما اعدها الطبيب طار لبهُ مسرة لرغبتهِ في الشفاء فاخذ الطبيب في العمل ووضع ميزان الحرارة في فم الرجل ليعلم درجة الحرارة فيهِ فظن المريض ان الميزان هو الآلة المقصودة بالذات فاشتد فرحهُ واجتمعت قوى ارادتهِ في الشفاء حتى صرخ فصيحاً شفيتُ فشكرًا ايها الطبيب فبهت الذين سمعوهُ

هذا ولا تكادتنتهي اعاجيب الارادة بحيث لا نبالغ ان قلنا المستحيل مستحيل ولا شططَ في كلمات بدأت بها هذه السطور وهي

"لو ارتتقت السموات والارض على رجل تحرَّكت ارادتهُ لفتقها ووجد من بينهما مخرجاً"

بيروت عبد الغني العريسي

اصل النبط في البتراء

تابع ما قبلهُ

قامت الدولة الاشورية الثانية وغلبت على البلاد البابلية كما غلبت عليها الدولة الاولى من قبل فصارت بابل مدينة ولاية لا عاصمة مملكة. وحاولت غير مرةٍ ان تسترد استقلالها فلم تفلح . وقسا عليها ملوك اشور سرجون وسنحاريب واشور بانيبال ولا سيما سنحاريب فانهُ دكَّ اسوارها الى اساساتها وهدم قلاعها واحرق المدينة بالنار لم يشفق على شيء ولا رعى حرمة شيء وان كان مقدساً بل حرق وهدم حتى المعابد والهيا كل فلم يبقِ ولم يذر . ومع ذلك أُعيد بناؤُها في ايامهِ فعادت الى العظمة التي كانت لها بعد زمن قصير . ثم اخذت الدولة الاشورية تضعف واسباب ضعفها معلومة فانها الظلم والعنف ولهو الامراء والكبراء وانهماكهم في المعاصي والشهوات ودوسهم الشرائع وكل ما هو مقدس تحت اقدامهم . فبشر الظالمين العتاة الباغين ان استدراجهم لا يدوم ولا بدَّ ان يبلغ الكتاب اجلهُ

كان نبو بلاسر والياً على بابل من قبل ملوك نينوى ورأى ما صاروا اليهِ من الانهماك في المعاصي والشهوات كما رأى ذلك امراءُ مادي وفارس فعقد معهم حلفاً على اكتساح الممالك الاشورية فشقوا عصا الطاعة وزحفت جنود البلادين على نينوى وما زالوا على حصارها حتى افتتحوها عنوةً وعادوا عنها وقد فلحوها وزرعوها ملحاً واقتسموا ملحقاتها فوقعت البلاد غربي الفرات للبابليين

الاَّ ان شعوب سوريا وفلسطين كانت تطمع في عود استقلالها اليها او شيءٍ منهُ وكانت مصر ايضاً قد انتبهت من خمولها وقام عليها ملوك فيهم همة ولهم مطامع ومنهم فرعون نخو فطمع هذا في استرداد ما كان للفراعنة من النفوذ في بلاد الشام واقتطاع قسم كركميش على الفرات . والظاهر ان شعوب سوريا وفلسطين من ادوميين وموابيين وعمونيين واراميين انحازوا اليهِ الاَّ يوشيا ملك يهوذا فانهُ بقي على ولائهِ للاشوريين فتصدَّى لمعارضة نخو الاَّ انهُ قتل في مجدو في جهات الجليل . وعاد نخو من ربلة في ارض حماه فمرَّ على اورشليم وعزل يهواحاز الذي كان قد ملك مكان ابيهِ وارسل بهِ اسيراً الى مصر فمات هناك وملَّك اخاهُ يهوياقيم بدلاً منهُ وغرَّم الارض مئة وزنة من الفضة ووزنة من الذهب

ولما رأى نبو بلاسر ما رأى من تحالف ممالك الشام وانحيازهم الى جانب الفراعنة عقد

اللواء لابنهِ نبوخذنصر وجعلهُ قائداً اكبر للجنود البابلية فسار نبوخذنصر حتى جاء الى كركميش حيث كانت جنود المصريين فانتشبت بينهُ وبينهم معركة هائلة فاز فيها نبوخذنصر فوزاً مبيناً وارتدَّ نخو منهزماً لا يلوي على شيء فوضع نبوخذنصر يدهُ على كركميش وجعل فيها حامية من قبلهِ ثم تعقب المنهزمين الى سوريا وفلسطين

والظاهر ان اغلب شعوب هاتين البلادين انخلعت قلوبهم بعد واقعة كركميش فاذعنوا بالطاعة لنبوخذنصر لم يبدوا كبير مقاومة الأصور لشدة ما كان بينها يومئذٍ وبين المصريين من استحكام علائق المودة والمصافاة . فان فرعون نخو هذا على ما يذكرون قرَّب الصور بين اليهِ وجعل منهم رؤساء لمارقٍ لهُ طافوا فيها حوالي افريقيا فمرُّوا برأس الرجاء الصالح ثم داروا من هناك شمالاً حتى وصلوا بوغاز جبل طارق ومنهُ الى السويس · وفوق ذلك كان هذا الملك وصل بترعةٍ بين السويس والبحر المتوسط وحوَّل الى السويس تجارة الهند واليمن وشواطئ افريقيا على البحر الاحمر وكل شواطي الزنج من باب المندب الى الموزبيق فماتت بهذا التحويل تجارة ايلة وعاش السويس فانحصرت من ثمَّ ارباح هذه التجارة الواسعة بين المصريين والصوريين ولذلك يهمهم ان تكون الغلبة لمصر او اقلهُ يبقون على استقلالهم وتبقى علائقهم مع المصريين على ما كانت عليهِ

وجاءت جنود نبوخذنصر اول مرةٍ الى اورشليم فتلقاهم اليهود بالطاعة والاذعان ونبذوا عنهم ولاء المصريين الاَّ انهم بعد ارتداد الجيوش الكلدانية الى بابل واشتغال نبوخذنصر عن الشام باطفاء بعض الثورات الداخلية عادوا الى ولاء مصر وطمعوا بنصرتها فانتقضوا على نبوخذنصر فبعث هذا عليهم غزاةً من الكلدانيين انضاف اليهم غزاة من الموابيين والعمونيين والادوميين والاراميين فضايقوا اليهود . ومات في تلك الاثناء ملكهم يهوياقيم وملك ابنهُ يهوياكين مكانهُ فلم يلبث الاَّ ثلاثة اشهر ثمَّ استسلم هو وامهُ وعبيدهُ ورؤساؤهُ وخصيانهُ لنبوخذنصر · وسبى نبوخذنصر كل اورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس وجميع الصناع والاقيان لم يبقَ الاَّ مساكين شعب الارض وملَّك عليهم صدقيا عم يهوياكين

وعاد نخو في ايام صدقيا الى مراسلة اليهود واغرائهم بالعصيان وان يكونوا يداً واحدة على ملك بابل ومال الى جانب المصريين اكثر الامم المجاورة اليهود ايضاً · وكان في اليهودية حزبان احدهما لنبوخذنصر واشهر رجالهِ ارميا النبي وحزب آخر للمصريين كان فيهِ اكثر العظماء والرؤساء فغلبوا على الملك صدقيا فلم يقوَ على مخالفتهم فيما لو اراد واشتدت الفتنة في السنة التاسعة لملكهِ وجهروا بالعصيان فعاود نبوخذنصر الكرة عليهم ونزلت جيوشهُ على اورشليم

وشددوا عليها الحصار . وكان الملك وحزبهُ ينتظرون من حين الى آخر قدوم المصريين لمساعدتهم نخابت آمالهم وعضهم ناب الجوع والفشل فلم تبقَ فيهم قوة للمدافعة واخذ كثيرون يتسللون الى الكلدانيين

وعلى ما يظهر لي من مراجعة سفر ارميا ص ٣٨ و ٣٩ ومن مراجعة خبر حصار اورشليم وافتتاحها في سفر الملوك الثاني ان حزب ارميا النبي قوي في آخر مدة الحصار حتى ان صدقيا الملك كان يحدث نفسهُ بالانضمام اليهم ولكنهُ كان ضعيف الهمة متردداً لا عزيمة لهُ وما زال يسوّف الامر حتى خرج من يدهِ وغلب حزب ارميا وفتحوا المدينة للكلدانيين فلم يشعر صدقيا الاَّ ورؤساء ملك بابل في المدينة في الباب الاوسط فلما رآهم صدقيا هو وكل رجال الحرب هربوا وخرجوا ليلاً من المدينة في طريق جنة الملك من الباب بين السورين وخرج هو في طريق العربة ولكنهُ أُدرك في عربات اريحا وأُخذ من هناك الى ربلة في ارض حماة حيث كان نبوخذنصر فحاكوهُ امامهُ وحكموا عليهِ ان يُقتل بنوهُ على مرأى منهُ ثم تفقأ عيناهُ ويُقيَّد بسلاسل ويرسل الى بابل

والظاهر ان حزب ارميا كان يطمع بنجاة المدينة اذا هم سلَّموها للكلدانيين فتسلم من الحريق والتخريب اقلهُ بيوتهم واموالهم ولكن بدا لنبوخذنصر فامر بدك اسوار المدينة وهدم هيكلها وما فيها من القصور والبيوت وتحريقها بالنار وارسل من قبلهِ نبوزرادان رئيس الشرط لينفذ فيها امرهُ فجاء هذا الى اورشليم في الشهر الخامس في سابع الشهر — وكانت المدينة أُخذت في الشهر الرابع في تاسع الشهر — فاحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء احرقها بالنار وجميع اسوار المدينة مستديراً هدمها كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرط وبقيَّة الشعب الذين بقوا في المدينة والهاربون الذين هربوا الى ملك بابل وبقيَّة الجمهور سباهم نبوزرادان رئيس الشرط ولكنهُ ابقى من مساكين الارض كرَّامين وفلاحين (انظر الملوك الثاني ص ٢٥)

واوصى نبوخذنصر ملك بابل على ارميا نبوزرادان رئيس الشرط قائلاً خذهُ وضع عينيك عليهِ ولا تفعل بهِ شيئاً رديئاً بل كما يكلمك هكذا افعل معهُ . فارسل نبوزرادان رئيس الشرط ونبوشزبان رئيس الخصيان ونرجل شراصر رئيس المجوس وكل رؤساء ملك بابل ارسلوا فاخذوا ارميا من دار السجن واسلموهُ لجدليا بن اخيقام بن شافان فسكن بين الشعب (انظر ارميا ص ٣٩)

وعدَّ رؤساء الجيش الذين كانوا من حزب ارميا ممن سلموا المدينة ان ما فعلهُ نبوخذنصر

من احراق المدينة وبيوتهم في جملتها غدرًا واخلافًا فضعفت ثقتهم بارميا وبالكلدانيين ولذلك لما قام بعضهم وهو اسمعيل بن نثنيا من النسل الملوكي وقتل جدليا بن اخيقام الذي ولاهُ نبوخذنصر على بقيَّة الشعب لثلاثة اشهر من ولايتهِ تنكَّر الباقون وتخوَّفوا ان يتهموا بمالأة اسمعيل على قتلهِ ويؤخذوا بتبعة فعلهِ فحوَّلوا وجوههم وجهة مصر ولكنهم ارادوا ظاهرًا ان يستشيروا ارميا قبل ان يمضوا لما قصدوا اليهِ واليك ما جاء في سفرهِ في شأن هذه الاستشارة قال :

فتقدم كل رؤساء الجيوش ويوحانان بن قاريح ويزنيا بن هوشعيا وكل الشعب من الصغير الى الكبير وقالوا لارميا ليت تضرُّعنا يقع امامك فتصلِّي لاجلنا الى الرب الهك لاجل كل هذه البقيَّة — فيخبرنا الرب الهك عن الطريق الذي نسير فيهِ والامر الذي نفعلهُ — وقالوا لارميا ليكن الرب بيننا شاهدًا صادقًا وامينًا اننا نفعل حسب كل امرٍ يرسلك بهِ الرب الهك الينا — وكان بعد عشرة ايام ان كلمة الرب صارت الى ارميا فدعا يوحانان بن قاريح وكل رؤساء الجيوش الذين معهُ وكل الشعب من الصغير الى الكبير وقال لهم : — ما خلاصتهُ البقاء في البلاد على ولاء الكلدان

ولما فرغ ارميا من خطابهِ لجميع الشعب — قال عزريا بن هوشعيا ويوحانان بن قاريح وجميع الرجال العتاة لارميا انك متكلم بالكذب والرب الهنا لم يرسلك قائلاً لا تنطلقوا الى مصر لتتغربوا هناك بل باروخ بن نيريا مهيجك علينا لتدفعنا ليد الكلدانيين ليقتلونا وليسبونا الى بابل الخ (انظر ارميا ص ٤٣)

وظاهر من جوابهم هذا حقدهم على الكلدانيين وتخوفهم من غدرهم وظاهر ايضًا ان ثقتهم بارميا وصلت الى منتهى الضعف حتى اتهموهُ بالكذب في وجههِ وانهُ آلة في يد باروخ ابن نيريا . ولعلهم في تلك الاثناء وصلتهم رسائل من مصر او من احلافهم في صور فردَّتهم الى رأيهم القديم من المحازبة والولاء للمصريين ومن ثمَّ قاموا وذهبوا الى مصر واخذوا ارميا معهم بالرغم عنهُ ولم يسمعوا لصوتهِ . وفي التقاليد اليهوديَّة انهم قتلوهُ في مصر . ولعلهم لمَّا اكثر هناك من ملامتهم وقرنهم بمعاصيهم وما كانت تأتيهِ نساؤُهم من النذور والتقتير وسكب السكائب لملكة السماء اجترأُوا عليهِ فانكروا نبوَّتهُ واستخفوا بكهنوتهِ واتَّهموهُ كما اتَّهمهُ شمعيًا النحلامي من قبل انهُ مجنون متنبيءٌ وداعي فتنةٍ وسجس فشكوهُ الى فرعون او احد عمَّالهِ بالخيانة والتحزُّب للبابليين فامرهم بهِ فقتلوهُ

انَّا لا نعلم تفاصيل اخبار نبوخذنصر واعظم ما حفظ لنا منها انما هو المذكور في سفر ارميا

وفيهِ يظهر ان الرسل كانت تتردَّد بين صدقيا ملك يهوذا وبين الملوك المجاورين اعني الادوميين والموآبيين والعمونيين وملك صور وملك صيدا وكذلك كانت تتردَّد الرسل والمراسلات بين الذين كانوا سبوا الى بابل مع يهوياكين وبين الذين بقوا في اورشليم وغاية كل هذا التراسل انما هو الفتنة وحمل اليهود على العصيان · والظاهر من رسائل ارميا الى المسبيّين أن كان انبياؤهم يمنّونهم بقرب العودة من السبي · واليك صورة رسالة منهُ الى المسبيين ارسلها قال فيها : هكذا قال ربُّ الجنود اله اسرائيل لكل السبي الذي سبيتهُ من اورشليم الى بابل ابنوا بيوتاً واسكنوها واغرسوا جنات وكلوا ثمرها خذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدنَ بنين وبنات واكثروا ولا تقلوا واطلبوا سلامة المدينة التي سبيتكم اليها وصلوا لاجلها الى الرب لانهُ بسلامها يكون لكم سلام لانهُ هكذا قال ربُّ الجنود الهُ اسرائيل لا تغشكم انبياؤكم الذين في وسطكم وعرَّافوكم ولا تسمعوا لاحلامكم التي تحلمونها لانهم انما يتنبأون لكم باسمي بالكذب انا لم ارسلهم يقول الرب (ارميا ص ٢٩)

واعجب من ذلك ان حننيا بن عزور النبي (او المتنبي) يكلم ارميا في بيت الرب امام الكهنة وكل الشعب بما يأتي — هكذا تكلم ربّ الجنود الهُ اسرائيل قائلاً قد كسرت نير ملك بابل في سنتين من الزمان اردّ الي هذا الموضع كل انية بيت الرب التي اخذها نبوخذ نصر ملك بابل من هذا الموضع وذهب بها الى بابل واردّ الى هذا الموضع يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا الى بابل يقول الرب لاني اكسر نير ملك بابل — وقال ارميا النبي امين هكذا ليصنع الربّ · ارميا ص ٢٨

والذي اراهُ من تكرار عصيان اليهود ان اقوال هؤلاء الانبياء المشار اليهم والامانيّ التي كانوا يمنون بها الشعب لم تكن عن مجرَّد هوس وتكهنٍ لاسند لهُ بل لا بدَّ لذلك من سبب ولعلَّ السبب كان اشتباك نبوخذنصر بحروب العيلاميين والعرب وتغلغلهِ في صحراء العربية القليلة المياه وجبالها العسرة المسالك فكانوا يظنون ان الدائرة ستدور عليهِ هناك فيتغير الملك وتتغير السياسة بتغيرهِ · وفيما جاء في آخر سفر ارميا وآخر سفر الملوك الثاني ما يستدلُّ بهِ على ان كان موالاة وتحالف بين اويل مرودخ بكر نبوخذنصر وبين يهوياكين ملك يهوذا فان اويل هذا — وكان قد سجن في ايام ابيهِ حيث كان يهوياكين مسجوناً — لمَّا تولَّى منصَّة الملك بعد ابيهِ رفع راس يهوياكين واخرجهُ من السجن وجعل كرسيَّهُ فوق كراسي الملوك الذين معهُ في بابل وكان دائماً يأكل الخبز امامهُ كل ايام حياتهِ · فلا يبعد

ان تكون هذه المؤلاة هي الاس الذي بنى عليهِ حننيا بن عزور نبوتهُ التي نقلناها آنفاً

دعنا نسأل هنا لماذا سجن اويل مرودخ وهو بكر نبوخذنصر انهُ لا يعلل عن سبب سجنه تعليلاً اقرب الى القبول و ينطبق على ما صنعهُ ليهوياكين حال تسنمهِ اريكة الملك وفي الوقت نفسهِ يوافق ايضاً آمال اليهود المشار اليها في سفر ارميا الاَّ ان اويل مرودخ (وكان سفيهاً غرّاً على ما نقل من اخبارهِ) أُغري بخلع ابيهِ والاستيلاء على عرش المملكة دونهُ اثناء غيابهِ في غزواتهِ وان يهوياكين وامراء يهوذا المسبيين كانوا ممن دخل معهُ في هذه المؤامرة ان لم يكونوا هم الذين حملوهُ عليها وحسنوها لهُ ومنوهُ بانحياز امتهم واحلافها الى جانبهِ فوعدهم انهُ اذا تمَّ لهُ الامر يردهُّم الى بلادهم و يكونون من جملة اوليائهِ واعوانهِ في غربي الفرات . واتصل طنين هذا الوعد بهؤلاء المتنبئين فهتفوا بهِ الى اخوانهم في اليهودية وحرَّكوهم الى الفتنة والعصيان ووافق ذلك غرض المصريين واشياعهم من ملوك صور وصيداء وادوم ومواب و بني عمون فتغلب حزب الفتنة على حزب ارميا حزب السلام والخضوع للبابليين

ولا يبعد ان حزب نبوخذنصر كتبوا اليهِ بحركة الافكار هذه واطلعوهُ على ما يدور من التراسل بين المسبيين واخوانهم في اليهودية وبين هؤلاء و بين المصريين واحزابهم ايضاً وان نبوخذنصَّر بحث فوجد مجالاً للظن في ابنهِ فسجنهُ وما زال في السجن الى ان توفي ابوهُ ثم وجَّه نبوخذنصر باسهُ على اليهوديَّة ومدن فينيقيَّة اما اورشليم فاستمرت سنتين تحت الحصار واما صور العظيمة فقالوا انها لم تؤخذ الاَّ بعد حصار ثلاث عشرة سنة وبسقوطها دانت لهُ البلاد غربي الفرات من كركميش الى العريش واصبحت كلها ولايات كلدانية ليس فيها لا لأمةٍ ولا لمدينة استقلال ما اصلاً ولا شبه استقلال

ويهمني في مقالتي هذا ان اسأل لماذا يا ترى تشدَّد نبوخذنصر كل هذا التشدُّد على صور حتى بقي على حصارها ثلاث عشرة سنة أَلِمجرّد الطمع بما كان فيها من الغنى والنفائس ما اظنُّ . فان نبوخذنصر كان يعلم ما بين صور وقرطاجنة من اواصر القربى والعلائق الخاصة وكان يعلم ان الصوريين لا يسلمون اليهِ مدينتهم قبل ان تنقل مراكبهم كل ما فيها من اموالهم ونفائسهم الى قرطاجنة حيث لا تصل يدهُ الى شيء منها . وكانوا مع ذلك لا يترددون ان يفتدوا منهُ مدينتهم بالاموال الطائلة فيما لو اراد بشرط ان يتركهم على ما كانوا عليهِ من استقلالهم في مدينتهم وتجاراتهم فتشدُّدهُ في الحصار وتشددهم في الدفاع كان اذن لغير مجرّد النهب والسلب على ما قد يزعم وان كان يصح ان يكون من جملة الاسباب ايضاً

والسبب الرئيسي على ما ارى هو ان نبوخذنصر كان ملك مدينة تجارية وشعب اشتهروا

بالتجارة من قديم الزمان وزاحموا فيها غيرهم من الامم فلذلك لم يرضَ من الصوريين ان يفتدوا منهُ مدينتهم بالمال والجزية السنوية وتبقى مدينتهم سيدة التجارة تفتح ابوابها لمن تشاء وتغلقها في وجه من تشاء على عادتها بل اراد ان تكون بابل هي سيدة التجارة ومركزها وان تكون صور ميناء لها لا تعارض تجارتها ولا تجارها على ما هي عليهِ كانتون والاسكندرية وغيرهما من مدن التجارة في الشرق بالنظر الى مدن اوربا التجارية في الوقت الحاضر وهذا ما كان يأباهُ الصوريون ويرونهُ موتاً لتجارتهم الواسعة وبالتالي موتاً لعظمتهم وغناهم ولذلك اشتدَّ دفاعهم وطالت مدتهُ كما المعنا واشتدَّ صبرُ نبوخذنصر وعزيمتهُ حتى كان لهُ الفوز اخيراً . فتمَّ لهُ ما اراد واصبحت صور فرضةً لبابل وتجار بابل يحملون اليها ومنها تجاراتهم غيرمعارضين

عند متقارب نهري الفرات والدجلة على بضع ساعاتٍ الى الجنوب من مدينة بغداد الحالية على عدوة الفرات كان موقع مدينة بابل عاصمة شنعار او بلاد الكلدان . وهي بلاد جيدة الهواء والماء والتربة وتكاد تكون من اخصب بقاع الدنيا فان غلة المدّ المزروع من الحنطة لا تنقص عن مئة ضعف وقد تبلغ الاربعماية . ومساحتها لا تقل عن اربعين الف ميل مربع كان الفرات والدجلة يسقيان كل شبر من الارض فيها . والى الشمال الغربي من شنعار ارض الجزيرة وهي اكبر منها مساحةً وفيها بقاع لا تقل عنها خصباً والى شرقيها مملكة ايران الحالية والى غربيها صحراء السماوة حتى تبلغ سوريا وشطوط المتوسط

والناظر الى الخارطة يرى الفرات والدجلة اكبر طريقين واسهلهما للتجارة يصلانها اي بابل بالبلدان المجاورة الى مسافة مئات من الاميال شمالاً وشمالاً غربيًّا واما الى الجنوب فيصلانها بخليج فارس فخليج عمان فبحر الهند والعرب ثم بباب المندب والبحر الاحمر . والمتأمل ايضاً يرى كل طرق البلاد الى الشرق والغرب والشمال والجنوب تنصبُّ اليها او تتفرَّع منها . وبالاجمال يقال ان موقعها كان في قلب الممالك القديمة ونقطتها من احسن النقط التجارية في ذلك الحين . وقيل ان الذين اسسوها انما اسسوها ابتداء للتجارة فلم تلبث ان صارت اعظم مدن الكلدان ومركزًا للدين والادب ايضاً شأن كل المراكز التجارية المهمة في الاعصر الخالية . ومضى على تأسيسها نحو من ثلاثة آلاف سنة وهي مركز دين وادب وتجارة لا يضاهيها في ذلك مدينة من جميع مدن آسيا من المتوسط الى اطراف خراسان وبلاد السند غرباً وشرقاً ومن البحر الاسود الى سواحل حضرموت شمالاً وجنوباً. وقد اشتهر اهلها بالصناعة والتجارة شهرة لا تقل عن شهرة الصوريين والصيدونيين وغيرهم من الامم الفينيقية المعروفة والمشهورة

لما قام نبوخذنصر الكبير وكن يعلم ما لمدينتهِ من حسن الموقع التجاري ويعلم ايضاً ما للتجارة من الدخل في عظمة الملوك والممالك توجهت خواطرهُ لجعلها مركز تجارة العالم . وكان فرعون نخو معاصرهُ قد حوَّل طريق تجارة الهند والبلاد العربيَّة من ايلة الى السويس فاراد هو ان يصرف هذا الطريق الى بابل . ولما رأى ان ذلك لا يتم لهُ على ما يريد الاَّ باخضاع العربيَّة واقامة المستعمرات التجارية الكلدانية فيها وجه غزواتهِ الى ارض البحرين وعمان فاخضعها لسلطتهِ واقام فيهما المستعمرات التجارية لقومهِ وهم المعروفون بالنبط فغصت البلادان باهل سواد العراق وما زالوا هم الغالبون على ارض البحرين ومعظم اهلهِ منهم الى بدء التاريخ المسيحي

ووجَّه ايضاً غاراتهِ الى نجد والحجاز وممالك حاصور فاخضع جميع البلاد لسطوتهِ من الابلَّة شرقاً الى ايلة غرباً ومن ايلة شمالاً الى المهجم جنوباً والمهجم مدينة على وادي سرْدُد غربي صنعاء عاصمة اليمن واحتلَّ النقط التجارية على البحر الاحمر ما بين هاتين المدينتين اعني ايلة والمهجم فتوارد اليها تجار بلادهِ الانباط وانتشروا في البلاد وسكنوا هناك واختلطوا بتجار العرب وبقي لهم بينهم النفوذ الاول الى ما قبل ايام بمبيوس القائد الروماني الشهير بعقد او بعض عقودٍ من السنين

ولنرجع الآن الى الادوميين فانهم كانوا في اول ما غزا نبوخذنصر اليهوديَّة يملكون طريق التجارة من ايلة الى الخليج الفارسي فلما غزا ابناء عمهم وافتتح عاصمتهم وخرَّب بلادهم وسبي عظماءهم وقتل مقاتلتهم ولم يترك في البلاد الاَّ المستضعفين والمساكين من اهل الفلاحة والزراعة شمتوا بمصيبتهم وحدَّثوا انفسهم بضمّ اليهوديَّة الى املاكهم ولم يعلموا ما كانت الايام وتدابير نبوخذنصر تعدهُ لهم . وفيما هم في شماتتهم واحلامهم بضم بلاد اليهودية الى بلادهم اذا بجنود الكلدان واعلامهم تزحف على العربية جنوباً وغرباً فدوَّخوا نجد والحجاز واستلحموا بني عدنان حتى كادوا يفنونهم فتهاربوا منهم في جميع الجهات الي حضوراء وتهامة وجنوبي اليمن واتبعهم الكلدانيون وغطَّت خيولهم ورجالهم البلاد من الابلة الى ايلة . فاين ذهب الادوميون ؟ لاشك انهم تهاربوا من امام الكلدانيين الى جهات عاصمتهم سالع او البتراء فلما نزلت جنود الكلدان عليها اصابهم ما اصاب اليهود اي هرب اهل القرى والمزارع وكثيرون من اللاجئين من الاطراف الى الامم المجاورة وبقي من بقي في المدينة تحت الحصار وصبروا على شدَّتهِ مدةً ثم لما لم يروا بدًّا من التسليم سلموا للمنتصر فقتل من قتل وسبى من سبي وابقى من ابقى اما المدينة فلم يفعل بها ما فعلهُ باورشليم من الهدم والتحريق بل ابقى عليها

وجعلها محطة لقوافل عاصمتهِ فانتقل اليها كثير من التجار ان لم يكن هو نقلهم وجعل على المدينة واليًا من قبلهِ فصارت مدينة بابليَّة اي النفوذ والسيادة فيها للانباط وان كان اهلها خليطًا من الفريقين اعني الادوميين والبابليين وما زالت كذلك كل ايام بنوخذنصر وايام خلفائهِ من ملوك بابل الى ان قامت الدولة الفارسيَّة وورثت ممالك الكلدان ومدن تجارتهم فكان من جملتها مدينة سالع ولم يتعرض الفرس لهم بشيء وتركوهم على لغتهم وتجارتهم واكتفوا منهم بالخضوع والجزية . ولضعف المدنانيين وممالك حاصور بما قتل منهم نبوخذنصر اصبحت البلاد المجاورة لسالع تبعًا لها وما زالت تتقوَّى سنة بعد سنة بما لها من المنعة الطبيعيَّة وبما كان يتدفق اليها من غنى التجارة كل ايام دولة الفرس الى ان قامت دولة اليونان فاذا بها مدينة قوية غنيَّة ذات نفوذ في الحجاز ونجد الى خليج فارس ومن ايلة الى جنوبي جدة على ساحل البحر الاحمر وبعبارة آخرى اذا بها مدينة نبطية يلتفُّ حولها كل النقط التجارية في الحجاز وتهامة ونجد البلاد التي كان دوخها نبوخذنصر تأمينًا للتجارة بين عاصمتهِ وبين شواطىء البحر المتوسط والبحر الاحمر عن طريق شمالي العربيَّة . فهذا هو اصل النبطيين في البتراء وايلة الذين ذكرهم لنا التاريخ عند اول قيام الدولة اليونانيَّة . وقد اعتمدت على الاختصار والاجمال في حروب نبوخذنصر مع العرب لان الكلام طال عن حروبهِ في اليهوديَّة ولعلّي ارجع الى تفصيل ما اجملت في عدد آخر من اعداد المقتطف ان شاء الله

جبر ضومط

العلم في العام الماضي

علم الحيوان

عقد مؤتمر علم الحيوان الدولي في مدينة بوستن باميركا وتليت فيهِ مقالات كبيرة الفائدة وكذلك تليت مقالات مفيدة في قسم علم الحيوان في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني ومن المباحث التي دار الكلام عليها الوراثة واصولها الطبيعيَّة اي ردها الى اسباب طبيعيَّة في الحويصلات الاصلية وتأييد ذلك بالامتحان . وبيَّن المستر لدكر ان اذن الفيل الافريقي تميزهُ عن غيرهِ من الافيال والمستر تشلمرس متشل ان الفيل الافريقي الصغير الجسم الذي وجد في الكنجو الفرنسوية صنف قائم برأسهِ وهو مثل الافيال التي كانت موجودة في بعض الجزائر في غابر الزمن كما في كريت . وقرأت مس دروثي بايت مقالة عن آثار الفيل في كريت

وجرى البحث في الوراثة والوان العيون وفي كثير من آثار الحيوانات المنقرضة مما تقتصر فائدتهُ على الباحثين في هذا العلم

الطبيعيات

المواضيع الطبيعيَّة لا تحصى وقد خاض العلماء عبابها في كل الاقطار . ومما بحثوا فيهِ بناء الجوهر الفرد فقال الاستاذ ميتشلس في مجمع ترقية العلوم البريطاني ان الطبيعيين لم يرضهم قط تعريف الكيماويين للجوهر الفرد بانهُ كرة صغيرة صلبة لا تتجزأ وقد وافقوا على ان العناصر مؤلفة من الجواهر ولكنهم لم يبحثوا عن بناء الجوهر وما يوجد في باطنهِ . وقد طُلب منهم الآن الاعتقاد بان الجوهر الفرد مجموع من الكترونات غير مادية . وكأنهُ غير ميال الى الاعتقاد بذلك لكن النتائج التي وصل اليها السر وليم رمسي في الراديوم تؤيد مذهب الالكترونات . وحسب السر اوليفر لدج كثافة الاثير بناء على مذهب الالكترونات فوجدها تساوي كثافة جسم على كل سنتيمتر مكعب منهُ ما يساوي مليون طن من الضغط ففي كل سنتيمتر مكعب من الاثير قوة تساوي مليون طن وفي كل مليمتر مكعب منهُ قوة تساوي الف طن

وابان الاستاذ لوف ان شكل الارض كمثري ولذلك تجمعت الاوقيانوسات عند وسطها وهي تحاول ان تعدّل نفسها هناك وعندهُ ان هذا سبب ما يحدث فيها من الزلازل وسبب شيوع الزلازل في اماكن مخصوصة

وقد كثرت الزلازل في العام الماضي فحدثت في جاميكا (١٤ يناير) وفي المكسيك (١٥ ابريل) وتركستان (٣١ اكتوبر) وكلبريا (٢٧ اكتوبر)

الفلك

كان المظنون ان دور كلف الشمس بلغ حدهُ سنة ١٩٠٦ ولكن ظهرت كلف كبيرة جدًّا في العام الماضي ومن الغريب انهُ ظهرت كلف كبيرة جدًّا في فبراير سنة ١٠٩٢ وفي فبراير سنة ١٨٩٤ وفي فبراير سنة ١٠٩٥ وفي فبراير سنة ١٩٠٧ . واربع من الكلف التي كانت على وجه الشمس في ١٠ و ١١ فبراير كانت ترى بالعين لكبرها . وقلت الكلف في شهر مارس ثم عادت في ١٣ يونيو وظهر منها ثلاث كبيرة جدًّا وكثيرات من الكلف الصغيرة حتى بلغت مساحتها كلها الفي مليون ميل مربع ووصل هذا المجموع من الكلف الى حد قرص الشمس الغربي في ٢٥ يونيو ثم عاد في يوليو ومساحتهُ اضيق مما كانت قبلاً ومع ذلك بلغت ثمانمئة مليون ميل ثم ظهر مجموع آخر من الكلف طولهُ تسعون الف ميل

ومساحتهُ الف مليون ميل مربع · وظهرت مجاميع اخرى كبيرة في اغسطس وسبتمبر . والذي ظهر في اواخر سبتمبر بلغ طولهُ ١٨٥ الف ميل ومساحتهُ ١٨٠٠ مليون ميل مربع وانقضت السنة والكلف كثيرة على وجه الشمس وبعضها يرى بالعين لكبرها ولذلك فالسنة الماضية من اكثر السنين كلفًا

وظهر من صور السيار اروس الفوتوغرافية التي صورت في مرصد غرينتش ان زاوية اختلاف الشمس ٨ ثوانٍ و٨٠٥ من الف من الثانية · وكشف كثير من النجيمات وخمس من المذنبات احدها مذنب ملش نسبة الى مستر ملش التي اكتشفتهُ والمذنب الذي كشف سنة ١٩٠٦ قرُب سنة ١٩٠٧ حتى صار يرى في اغسطس مثل نجم من القدر الثاني وبلغ طول ذنبهِ سبع درجات وهو مؤلف من ١٥ الى ٢٠ ريشة وهو المذنب التاسع والخمسون من المذنبات المنظورة بالعين التي ظهرت منذ سنة ١٨٥٠ الى الآن

وعبر عطارد على وجه الشمس في ١٤ نوفمبر · واثبت الاستاذ لول وجود الترع في المريخ بالصور الفوتوغرافية وكسفت الشمس في ١٤ يناير

وظهر من بحث مستر موندر ان للارض تأثيرًا في كلف الشمس ومن بحث الاب كورتي ان حرارة الكلف اقل من حرارة فوتوسفير الشمس · ومن عدم وجود اثر لسيَّار داخل منطقة عطارد في الصور الفوتوغرافية التي صورت وقت الكسوف الاخير ان ما يظهر من الاضطراب في السيارات الذي لم يعلل الى الآن يمكن تعليلهُ بوجود الحجارة النيزكية والغبار النيزكي في النظام الشمسي ولا داعي لفرض وجود سيار داخل منطقة عطارد

الكيمياء

استمرَّ البحث في الراديوم وبيَّن السر وليم رمسي انهُ اذا وضعت المواد التي تنبعث من الراديوم في اناء وحدها او مع الهيدروجين تكوَّن منها عنصر الهاليوم واذا وضعت مع الماء تكوَّن منها عنصر النيون بدل الهاليوم مع قليل من الهاليوم · واذا وضعت في مذوب كبريتات النحاس بدل الماء لم يتكوَّن منها هاليوم بل ارغون ويبقى في الاناء بعد نزع النحاس منهُ صوديوم وكلسيوم وقليل من الليثيوم وقد استنتج من ذلك ان بعض النحاس استحال الى ليثيوم والليثيوم من صف النحاس في ترتيب العناصر ولكنهُ في آخر الصف

علم الميكروبات (البكتيريولوجيا)

ثبت الآن ان براغيث الجرذان (Pulex cheopis) هي التي تحمل ميكروب الطاعون

وجرى البحث عن كيفيَّة ظهور الحمّى التيفويدية من غير سبب ظاهر لما فثبت ان بعض الذين يصابون بها و يشفون منها وتمضي عليهم السنون بعد ان يشفوا يبقى ميكروب التيفويد فيهم وينتقل منهم الى الاصحاء فقد ثبت ان ميكروب التيفويد يبقى سليمًا في المرارة عشر سنوات بعد ان يشفى المرء منها ولذلك يتعذر عزل الناس الذين يشفون من التيفويد ويبقى ميكروبها في ابدانهم واشار لوفر بطريقة لاستخراج ميكروب التيفويد من المواد المشتبه فيها. وكانت نتيجة بحث مؤتمر السل مخالفة للنتيجة التي استنتجها كوخ عن عدوى سل البقر

فكرة الخير والشر

قال الشاعر العربي

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لا يظلمُ

وقال المقتطف : " كنا نراقب في هذه الاثناء ولدين صغيرين صبيًّا وبنتًا عمر الصبي نحو سنتين وعمر البنت نحو اربع سنوات فرأيناهما يكذبان ويخدعان ويحتالان . ولو رآهما علماء الفلسفة الادبيَّة الذين يقولون ان اصول الآداب مودعة في نفس الانسان ولا تنفك عنها البتة لغيروا اعتقادهم " . .

وذهب فريق الى ضد ذلك فقالوا ان اصول الآداب مودعة في الانسان فهي في نفسهِ وعقلهِ وان فكرة الخير عامة مطردة في البشر وهي لازمة ضرورية وغير ممكن ان تنفك عن القوى البتة . ومنهم صاحب حياتنا الادبيَّة

قرأت ذلك في المقتطف وتذكرت المثل : " النفس امَّارة بالسوء " وقلت في نفسي : لماذا هذا الاختلاف العظيم بين جمهور المفكّرين فلا بد ان يكون هناك اسباب جعلت كلاًّ من الفريقين يرى رأيًا مضادًّا للآخر . فما هي هذه الاسباب

كل انسان علت مداركهُ او انحطت تراهُ اثنين في آنٍ واحد يحدّث فيأمر بالمعروف ويعظ فيحث على الفضيلة ويكتب فينهى عن المنكر ثم يفعل فتجيء افعالهُ في الغالب مناقضة لاقوالهِ . ويشتدُّ هذا التناقض اكثر عند النظر الى هذا المعروف الذي يأمر بهِ والمنكر الذي ينهى عنهُ بحسب الوجهة التي ينظر اليها منها . فلا بدَّ لذلك من سبب جوهري يغفلهُ الباحثون في هذا الموضوع

اكثر الباحثين في افعال البشر ينظرون اليها كأنها افعال مجردة وقلما ينظرون الى

العلاقة التي بينها واذا نظروا اليها من اطرافها البعيدة وهي شديدة الاختلاط كثيرة التضاعيف كالحلقات المتسلسلة يحار العقل فيها ان لم يردها الى بسائطها

افعال الانسان قائمة على مبدإٍ مشترك بين سائر الكائنات فناموس الالفة في الجماد وحب الذات في الانسان من مدار واحد وغايتهما واحدة اي حفظ كيان كل واحد منهما وافعالها البسيطة اي المجرَّدة عن كل روية واحدة ايضاً في دفع الاذى وجلب المنفعة وتسمى طبيعيةً في الجماد وبديهة في الحيوان والانسان وهي كائنة ايضاً في النبات ولا عبرة بالاسم وانما العبرة في ان كلاًّ من العوالم الثلاثة من جماد ونبات وحيوان خاضع لنفس هذا الناموس في حفظ كيانهِ فاذا نظرنا الى هذه الافعال والغاية المترتبة عليها وهي حفظ الذات لا يسعنا الاَّ ان نقول ان الغاية الاولى منها ليست الشر بل الخير . وخير المحبة ما ابتدأ بالذات كما في المثل المعروف

ولا ينكر ان هذه الافعال يترتب عليها حدوث الشر ايضاً فان الجماد الذي ينلك ائتلاف سواهُ لخيرهِ الذاتي انما يضرُّ بذاك السوى اذا اعتبرنا مثل هذا الحل اضراراً وكذلك النبات الذي تنطبق اوراقهُ على الذباب الواقع عليهِ حتى يموت . والحيوان الذي يفتك بسواهُ لمصلحة نفسهِ . فان مثل هذا الفعل المترتب عليهِ الخير الذاتي لم يقع بدون إضرار . فان كان القصد من البحث في هذا الموضوع معرفة الفكرة الاولى المرتبة عليها هذه الافعال فلا يسعنا الاَّ ان نقول انها الخير لان الشرَّ حدث معها عرضاً ضرورةً لتعذُّر وقوع ذلك الخير بدونهِ . واما اذا كان القصد الخير مجرَّداً والشرَّ مجرَّداً فالبحث حينئذٍ يستنفد قوانا ولا يأتي بطائل لان الخير والشرَّ مجرَّدين ليسا في هذا العالم

وفي افعال الانسان تختلط الامور كثيراً جدًّا لاشتراك الروية فيها وتختلف ايضاً لاختلاف هذه الروية وما استفادتهُ من الاختبار ولكنها لا تختلف في الغاية التي تصبو اليها وهي حفظ الذات حتى ولو انكر الانسان نفسهُ واتى افعالاً تخالف هذا المبدأ في الظاهر فلا ينكرها من جهة الاَّ حبًّا بها من اخرى خوفاً من عقاب او طمعاً بثواب

ومهما اختلفت الروية فمحورها واحد . هنا اثنان كلٌّ منهما ينظر الى مصلحة نفسهِ فهذا تدلُّهُ مداركهُ على ان مصلحتهُ لا تتأتى لهُ مع مصلحة سواهُ فيستأثر بالمنفعة او ما يظنهُ كذلك ويتعمَّد الاضرار بسواهُ ويتقدم عليهِ مطمئن الضمير معتقداً انهُ يفعل خيراً كما في منازعات الاديان والاوطان مثلاً . وهذا يرى باختيارهِ ان مصلحتهُ لا تقوم الاَّ بمصلحة سواهُ فلا يخطئها وهو عالم كما في مسائل العمران عموماً

واما الاستشهاد بالطفلين وكذبهما واحتيالهما وخداعهما فليس بالدليل القاطع فالكذب ليس من طبيعة الطفل ولا من موجب لهُ لديهِ فالطفل يصدق حتى يعلم ان صدقهُ قد يجني عليهِ فيعمد الى الكذب دفعاً للضرر . فالكذب عارضٌ على الطفل من جنس تربيتنا لهُ . خذ طفلاً ارتكب ما نعدهُ نحن ذنباً ولم يعرض لهُ في نفسهِ ولا شاهد في سواهُ ما يحملهُ على التروّي قبل الاقرار واسألهُ من عمل هذا ؟ فلا شك انهُ يجيبك على الفور بقولهِ انا فاذا عاقبناهُ عليهِ كما هو الغالب افتستغرب بعد ذلك اذا لم يصدقك لذا اتى امراً غير جائز في عرفنا نحن لا في عرفهِ هو لان الطفل لا يعرف الجائز من غير الجائز في اول الامر ولا يعرفهُ الاّ منا وكيف يعرفهُ منا الاّ بالعقاب ولا يرى نجاتهُ حينئذٍ الاّ بالكذب فيكذب ويكذب حتى في ذنبٍ ارتكبهُ على مرأى منك وهذا ما حملني على القول في بعض مباحثي " نحن الذين علّمنا الانسان ان يكذب لأنا عاقبناهُ على الصدق " وانا لا اظن ان هذه القاعدة تخلُّ اذا احسنّا المراقبة جيداً وعلى فرض انها اخلّت فلا يكون ذلك حجة على هذا المبدإِ بل تأييد لناموس آخر هو ناموس الوراثة اذ لا يخفى ان الصفات الادبية حسنة كانت او ردية تنتقل بسهولة في النسل . ومن الجاني حينئذٍ على هؤلاء الاطفال الابرياء أَلسنا نحن الذين نعاقبهم على ذنب تطرّق اليهم منا

وياليت الامر اقتصر على ذلك بل نحن في كل اعمالنا امامهم مثال رديء وهم اطوع من ظلنا في تقليدنا واشد طواعية من السمع في انطباع افعالنا فيهم نكذب امامهم ونكذب عليهم ونعلّمهم ان يكذبوا عنا ونروّعهم ونمنيهم بكل ما يتبين لهم كذبهُ بعد قليل فماذا تنتظر من طفل ينشأُ في مثل هذا الوسط . على ان الكذب على ما يظهر قد صار شرّاً لازماً في هيئتنا الاجتماعية كما هي فهو عدة التاجر الماهر والسياسي المحنك والامام الهادي والقاضي العادل والمحامي الفاضل والطبيب النطاسي والصحافي الصادق والوطني الغيور وقد حلق الشاعر فوقهم بقولهِ

الصدق ان الفاك تحت العطبِ   لا خير فيهِ فاعتصم بالكذبِ

الدكتور

شبلي شميل

[المقتطف] لما قرّظنا كتاب " حياتنا الادبيَّة " في الجزء الماضي من المقتطف اشرنا استطراداً الى الرأيين الشائعين من آراء الفلاسفة الرأي القائل ان الآداب فطرية في نوع الانسان لم تنفك عنهُ من حين وجد على وجه البسيطة والرأي القائل انها مكتسبة

بالارتقاء الطبيعي والطفل يولد الآن وفيهِ جراثيم اميال كثيرة بعضها مما يمدح وبعضها مما يذم كأنها خلاصة تاريخ ما جرى عليهِ نوع الانسان في ارتقائهِ. وقد جاءنا صديقنا الفاضل الدكتور شميل الآن بمسألة فرعية فقال ان الغاية الاولى المترتبة على افعال الانسان والحيوان والنبات هي حفظ الذات فهي ليست الشر بل الخير ولو اعتدى على غيرهِ. وتفصيل الدكتور حسن جدًّا ولكنهُ لا ينفي ما قدمنا كما يظهر مما يلي :— انظر الى ثلاثة من الاخوة معهم ثلاث من اخواتهنَّ كل اخ مع اختهِ واعطِ كلاًّ من الاخوة رغيفاً من الخبز ليأكل نصفهُ ويعطي النصف الآخر لاختهِ فاذا رأيت الاول اكل الرغيف كلهُ ولم يعطِ اختهُ شيئاً منهُ وهي تبكي جائعةً والثاني اكل نصف الرغيف واطعم اختهُ النصف الآخر والثالث حرم نفسهُ من الاكل وصبر على الجوع واعطى الرغيف كلهُ لاختهِ فانك تقول للحال ان الاخ الاول جائر لانهُ فضَّل نفسهُ على اختهِ ولو دعاهُ " حفظ الذات " الى ذلك والاخ الثاني عادل لانهُ لم يفضّل نفسهُ على اختهِ ولا اثرها على نفسهِ والثالث فاضل لانهُ فضل اختهُ على نفسهِ. والظاهر ان خُلق الولد الاول هو الخلق الشائع في النبات والحيوان فالنباتات والحيوانات تعنى بحفظ ذاتها ونسلها ولكنها قلما تهتم بحفظ غيرها ولو من نوعها. انظر حبة الحنطة تزرع في الارض فتمتص كل ما تستطيع امتصاصهُ من الغذاء ولو ماتت كل حبوب الحنطة التي تزرع حولها من قلة الغذاء ولا يخطر لها ان المصلحة مشتركة بينها وبين اخواتها. وانظر الى اشبال الاسود في بستان الحيوانات والحارس يرمي لها اللحم فكلٌّ منها يختطف كل ما يستطيع اختطافهُ وحالما يلتهمهُ يعتدي على اخيهِ ويحاول اختطاف ما معهُ ولا يخطر ببالهِ ان حال الاثنين تكون اصلح اذا اكتفى كلٌّ منهما بما قُسم لهُ

واذا كانت الموجودات الارضية صاعدة في سلم الارتقاء كما هو مذهب اكثر الحكماء الطبيعيين وكان العدل وتفضيل المصلحة العموميَّة على المصلحة الخصوصية ارقى من الجور وتفضيل المصلحة الخصوصيَّة على المصلحة العموميَّة واذا كانت الاخلاق والاميال تنتقل بالوراثة كما هو معلوم وتظهر آثار اقدمها اولاً ثم آثار ما تلاهُ في سلّم الارتقاء صح ما قلناهُ عن الطفلين اللذين اشرنا اليهما في تقريظنا لذلك الكتاب وهو ان اخلاقهما تتهذب متى كبرا في السن اي تظهر فيهما الاخلاق الفاضلة التي اكتسبها اسلافهما بالاختبار. وهذا كلهُ لا ينقض شيئاً مما قالهُ الدكتور الفاضل عن مسؤُلية الوالدين وشرور الهيئة الاجتماعيَّة الحاضرة ولكننا نرجو ان يبقى الارتقاء مستمرًّا فلا يمكث في الارض الاَّ ما ينفع الناس

النوموجرافيا

وكتاب الاستاذ دوكاني

ظهر في هذه الاثناء كتاب رياضي كبير النفع للاستاذ موريس دوكاني الرياضي الفرنسوي المشهور يشتمل على طرق حديثة يستعين بها ارباب الصنائع والفنون من المهندسين وغيرهم على الاعمال الحسابيَّة من غير عمليات طويلة · وقد كتب العالم الرياضي المصري احمد بك كمال وكيل مدرسة المهندسخانة الخديوية سابقاً مقالة عن هذا الكتاب تليت في جمعية المهندسين المصرية التي عقدت في نادي متخرجي المدارس العليا في ١٦ يناير تلاها المهندس البارع فريد افندي بولاد وقال فيها ما خلاصتهُ

ان المسيو دوكاني هو واضع علم النوموجرافيا اي الحل الرسمي بالنظر وقد الَّف هذا الكتاب ودرَّسهُ في جامعة السربون بباريس في فصل الربيع الماضي وهو جزء من مجموعة الرياضيات التطبيقيَّة من دائرة المعارف الجديدة التي تطبع الآن بادارة العالم الرياضي الشهير الدكتور طولوز · ويشتمل هذا الكتاب على ٣٩٢ صفحة فيها ١٤٦ شكلاً وفيهِ طرق حسابيَّة متنوعة على غاية الدقة والسهولة وهو جزءان الاول يتعلق بالحساب بالطرق الرسميَّة وهو عمليات متنوعة تعمل برسوم مكوَّنة من اجزاء هندسيَّة تدل على كميات عددية معلومة ومن هذه الاجزاء يستنتج بالحساب الرسمي مقادير الحاصيل المرتبطة مع هذه الكميات المعلومة بواسطة قوانين او معاملات مخصوصة · ويمكن ان تحل بها المعادلات التي من الدرجة الاولى مهما كان عدد مجاهيلها والمعادلات ذات المجهول الواحد مهما كانت درجتها وعمليات الادخال الرسميَّة (اي تكميل السلسلة) · وتحل بهِ ايضاً عمليات التكامل الرسميَّة بدرجات متتالية لدالة واحدة او جملة دوال (عوامل) و يوجد بهِ تكامل المعادلات التفاضلية بدرجة اولى

والجزء الثاني يتعلق بالنوموجرافيا ويشتغل فيهِ بنظرية اللوح الرسميَّة الرقية · وفي هذا اللوح المعادلات والقوانين التي يُطلب حلها و يستنتج منهُ مقدار المجهول بقراءة بسيطة · وفي هذا الجزء ثلاثة ابواب الاول بيان نوموجرافي بخطوط متلاقية والثاني بيان بنقط على استقامة واحدة والثالث بيان بنقط مجتمعة على صور مختلفة · وينتهي هذا الجزء بنظرية عمومية تمكَّن بها المسيو دوكاني من حصر الانواع المختلفة في البيان النوموجرافي بتحويلها الى

قوانين بسيطة ذات دوال متعددة · وقد شرح المؤلف البيان النوموجرافي بواسطة النقط التي على استقامة واحدة ووضع فيها كثيرًا من المسائل الجديدة

وعلم النوموجرافيا هذا وضعهُ المسيو دوكاني سنة ١٨٩١ وجُعل الآن من دروس كثير من مدارس اوربا والفضل في انتشارهِ لسهولتهِ ولاسيما لسهولة طريقة النقط التي على استقامة واحدة ولما بذلهُ المسيو دوكاني من الهمة في الاستعانة بالرياضيين ليساعدوهُ في نشر طريقتهِ · وقد شاعت هذه الطريقة الآن وكثر العمل بها حيث تدعو الضرورة الى سرعة الاعمال الحسابيَّة كما في تعديل سير السفن وفي تعيين معالم ضرب النار في الفنون الحربيَّة وما اشبه من الاعمال· مثالهُ ان الطريق الكبير الذي يصل بين تاناناريف وموراَمنجا في جزيرة مدغسكر يحتوي على ٢٧٥ الف متر مكعب من الحفر والردم و ٤٥ الف متر مكعب من المباني فاستطاع اثنان فقط من المهندسين الحربيين ان يعملا التصميم الابتدائي اللازم لهُ في يومين فقط وذلك باستعمال طريقة النوموجرافيا

وسنة ١٨٩٩ الَّف المسيو دوكاني كتابًا مطوَّلاً في علم النوموجرافيا وشرح فيهِ كثيرًا من التطبيقات العمليَّة · ونشر في العام الماضي مقالة في المجلة العلميَّة العمومية عنوانها تقدُّم الطريقة النوموجرافية بالنقط التي على استقامة واحدة وذكر لها تطبيقات كثيرة

ومنذ عهد قريب نشر المسيو موريس ليڤي رسالة في المجلة العلميَّة العمومية مدح فيها مؤلف المسيو دوكاني احسن مدح وقال فيها ان المسيو دوكاني اشتغل بهذا العلم منذ نحو عشرين سنة فنجح نجاحًا تامًّا وتمكَّن من وضع علم جديد سماهُ علم النوموجرافيا ولم يكتفِ بوضع النظريات العمومية لهذا العلم بل اشتغل بتطبيقها على الاعمال الحسابيَّة التي يلاقيها المهندس في اعمالهِ الاعتيادية وتوصَّل اخيرًا الى وضع كتابهِ المشهور الذي نشرهُ سنة ١٨٩٩ فمنحتهُ الجمعيَّة العلمية جائزة بونسليه اعترافًا بفضلهِ

والمسيو موريس ليڤي هذا هو مفتش عموم القناطر والجسور بباريس واحد اعضاء الاكادمي الفرنسوية واستاذ في كلية فرنسا

والخلاصة انهُ سيكون لهذا الكتاب ولهذا العلم شأن كبير في تسهيل الاعمال الحسابيَّة

وختم حضرة احمد بك كمال مقالتهُ ناصحًا المهندسين والمقاولين ولاسيما مَن يشتغل منهم بالاعمال الفنيَّة ليكون عند كلٍّ منهم نسخة من هذا الكتاب ويعمل رسومهُ بنفسهِ اوبتباعها من حيث تباع · وقد بلغنا ان مكتبة ديمر في مصر جلبت نسخًا من هذا الكتاب النفيس فعسى ان ينتفع بهِ المهندسون على اختلاف اعمالهم

العام الماضي

وحالة القطر المالية فيهِ

ابتدأ العام الماضي والاعمال رائجة والاموال كثيرة في القطر وظواهر الامور تدل على ان العام سيكون من اكثر الاعوام يسرًا ولكن الناس توغلوا في المضاربة فحسبوا كل ضواحي العاصمة ارضًا صالحة للبناء فاشتروا الصحاري والاطيان الزراعيَّة وقسموها قطعًا وباعوا المتر منها بجنيه او اكثر وبلغ ثمنهُ في بعضها بضعة جنيهات والذين باعوا والذين اشتروا حسبوا انهم ربحوا ربحًا طائلًا والحقيقة انهُ لم يربح منهم الأ الذي باع وقبض ثمن ما باعهُ واما الباقون فربحهم وهمي تحوَّل اخيرًا الى خسارة لانهم زادوا نفقاتهم على حسب ما قدَّروهُ من الربح فخسروا ثم لم يربحوا شيئًا

وما جرى من المضاربة في اراضي البناء جرى ايضًا في اسهم اكثر الشركات فما يساوي منها مئة جنيه وليس لهُ ربع او ريعهُ لا يزيد على ثلاثة او اربعة في المئة رفعوا ثمنهُ الى مئتي جنيه او ثلثمئة جنيه او اكثر فظن اصحاب هذه الاسهم والذين اشتروها بثمن معتدل انهم رُبحوا ربحًا طائلًا وهم لم يربحوا شيئًا

ولا شبهة ان اللوم الاكثر في ذلك كلهِ على السماسرة الذين رغَّبوا الناس في المشترى وزيَّنوا لهم المحال · وعلى الذين كانوا ينادون ان العاصمة ستتسع في القريب العاجل حتى تصل من حلوان جنوبًا الى المرج شمالًا ومن المقطم شرقًا الى الاهرام غربًا وان ما يباع ضمن هذه المنطقة بجنيه يصير ثمنهُ جنيهين او ثلاثة بعد ايام معدودة

لكن الربح والخسارة من هذين العملين اي من المضاربة بالاسهم وباراضي البناء لم يؤثرا في ثروة القطر الحقيقية ولا نظن انهُ خرج بسببها مال كثير من القطر بل غاية ما نتج عنهما ان النقود خرجت من يد زيد الى يد عمرو من سكان القطر وزاد الاسراف في مشترى بعض الكماليات الواردة من اوربا · واذا استثنينا هذا فثروة القطر زادت في العام الماضي زيادة كبيرة بسبب غلاء القطن واليك ايضاح ذلك

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري في العام الماضي اكثر من ثمانية وعشرين مليونًا من الجنيهات المصرية وعند التدقيق ٢٨١٣١٨٥ جنيهًا هذا حسب تقدير الجمارك المصرية وهي تقول انها تقدِّر الصادرات اقل من قيمتها الحقيقية بعشرة في المئة ولكن يظهر لدى امعان النظر انها تقدرها اقل من قيمتها بخمسة عشر في المئة او اكثر فقد صدر من القطن

في العام الماضي ٦٨٥٩٢٣٣ قنطارًا قدّرت متوسط ثمن القنطار منها نحو ٣٤٤ غرشًا مع انهُ لم يبع للخارج باقل من ٣٨٠ غرشًا الى ٤٠٠ غرش ولذلك لا نبالغ اذا قلنا ان تقدير الجمارك ينقص عن الثمن الحقيقي ١٥ في المئة فتكون قيمة الصادرات الحقيقيَّة اكثر من ٣٢ مليونًا من الجنيهات

اما الواردات .فبلغ ثمنها ٢٦ مليونًا من الجنيهات وعند التدقيق ٢٦١٢٠٧٧٧ جنيهًا وادارة الجمارك تدقق جدًّا في تثمينها وتراجع دفاتر التجار اذا ارتابت في ثمنها ولذلك فقيمة الصادرات زادت على قيمة الواردات ستة ملايين من الجنيهات . وهذه الستة الملايين تكفي لايفاء فائدة ديون الحكومة وديون الاهالي لاوربا فيكون القطر المصري قد خرج من سنة ١٩٠٧ وليس لهُ شيء ولا عليهِ شيء هذا اذا قصرنا نظرنا على قيمة الصادر والوارد وفوائد ديون الحكومة والاهالي المطلوبة منا لاوربا لان ثمن الصادر كفى لايفاء ثمن الوارد وفوائد الديون

بقي امران حريان بالنظر الاول ان عندنا ابوابًا اخرى للايراد غير ثمن الصادرات وهو كل ما ينفقهُ السياح في القطر المصري وكل ما تأخذهُ مصلحة الموانئ والفنارات وفوائد الاوراق المالية التي عند الحكومة وعند الاهالي ويطرح من ذلك ما ينفقهُ اهالي القطر حينما يسافرون الى اوربا او غيرها . ولعل الباقي للقطر المصري من ذلك كلهِ اكثر من مليون جنيه في السنة فهو ربح صافٍ لهُ

والامر الثاني ان جانبًا كبيرًا من الواردات التي وردت في العام الماضي ليس بضاعة مستهلكة بل هو مواد ثابتة او رأس مال ذو ريع . ويدخل في ذلك خشب البناء وثمنهُ نحو مليون وثلث والآلات المعدنية كوابورات الري والحرث ووابورات سكك الحديد ومركباتها وثمن ذلك نحو اربعة ملايين من الجنيهات فهذه خمسة ملايين وثلث من الجنيهات دفعناها في العام الماضي ثمن مواد ثابتة اضيفت الى ثروة القطر وبعضها رأس مال لهُ ريع سنوي كبير

ولذلك يحق لنا ان نقول ان القطر المصري خرج من سنة ١٩٠٧ وايراداتهُ تزيد على مصروفاتهِ ستة ملايين من الجنيهات اضيفت الى ثروتهِ العمومية هذا فضلاً عما زاد في ثمن الاراضي التي اصلحت وثمن الاراضي التي عملت فيها الاعمال المستجدة

وهنا يسأل سائل قائلاً اذا كان الامر كذلك فلماذا هذه الضيقة المالية التي نراها في القطر المصري الآن . والجواب ان الضيقة المالية ليست ناتجة من فقر القطر المصري بل من

قلة النقود فيهِ فان الرجل الذي يملك اطياناً تساوي مئة الف جنيه قد يحتاج الى مئة جنيه ويشعر بضيقة شديدة اذا لم يجدها اما سبب قلة النقود فواضح من تقرير الجمارك الذي صدر في اواخر يناير ففي سنة ١٩٠٦ دخل القطر المصري نحو ٩ ملايين من الجنيهات وخرج منهُ نحو مليونين من الجنيهات فبقي فيهِ سبعة ملايين من الجنيهات . واما في السنة الماضية فدخل القطر المصري ٧ ملايين و٧٦٨ الف جنيه وخرج منهُ ٤ ملايين و٧٣٦ الف جنيه فبقي فيهِ ثلاثة ملايين جنيه فقط اي اقل مما بقي فيهِ سنة ١٩٠٦ باربعة ملايين جنيه . وقد قلَّ ورود الذهب على القطر المصري وزاد خروجهُ منهُ لسبب غلائهِ في اوربا واميركا فان البنوك تتاجر بالذهب كما يتاجر التجار بالقمح والفول وهذا هو السبب في قلة ورود الذهب على القطر المصري وكثرة صدورهِ منهُ في العام الماضي

اما قلة ورودهِ فلا حيلة لنا فيها واما كثرة صدورهِ من القطر فكان الواجب على الحكومة ان تهتم بمنعهِ كما تمنع خروج القمح من القطر اذا خافت ان يحدث فيهِ مجاعة ولكنها لم تهتم بهذا الامر ولعلها لم تنتبه لهُ ايضاً فقد أُرسل الى الهند في العام الماضي مليون و٧٣٦ الف جنيه ويقال ان البنك الاهلي هو الذي ارسلها فان كان الامر كذلك وكان للحكومة سلطة عليهِ فتكون قد قصَّرت في ما يجب عليها نحو بلادها لانها لم تمنعهُ عن اصدار الذهب الى بلاد الهند . وعسى ان تنتبه لذلك في المستقبل

ورب قائل يقول ان كان الذهب الوارد في العام الماضي قد زاد على الذهب الصادر ثلاثة ملايين من الجنيهات فاين هذه الثلاثة الملايين واين الذهب الذي فضل معنا في العام الذي قبلهُ والذي قبلهُ . والجواب ان بعضهُ لم يزل محفوظاً في البنوك او مذخوراً عند الاغنياء وغيرهم وبعضهُ صنع حلى تحلت بهِ النساء والبنات كما ابنا في الجزء الماضي

والخلاصة ان القطر في يسر وقد زادت ثروتهُ ستة ملايين من الجنيهات في العام الماضي فضلاً عما زاد في ثمن ما أُصلح من اطيانهِ ولو استطاعت الحكومة ان تقلل اصدار الذهب منهُ لما اشتد علينا العسر المالي الذي يشكو الناس منهُ الآن

اما وقد وقع العسر فصار على الحكومة ان تداويهُ بالتي هي احسن وقد فعلت شيئاً من ذلك فجعلت البنك الاهلي يقرض البنك الزراعي مليون جنيه لتدينهُ لصغار الفلاحين ولكن الضيقة المالية اصابت البعض من كبار ارباب الاطيان وهؤلاء لا تنفرج كربتهم بالمبالغ التي يدينها البنك الزراعي لانهُ لا يدين الواحد اكثر من الف جنيه . وقد اشار بعض الماليين عليها ان تسلم البنك العقاري بعض الاوراق المالية التي في خزائنها فيستدين عليها

نقوداً من اوربا ويعدُّ بها القطر على جاري عادتهِ ويدفع للحكومة ثمن هذه الاوراق وفوائدها في بضع سنوات. والذين ارتأوا هذا الرأي يخشون من هبوط ثمن الاطيان ان لم تفعل الحكومة ذلك. ولكننا لا نظن ان ثمن الاطيان يهبط لانهُ لم يزد حتى الآن عما يجب ان يكون عليهِ فان الاطيان التي تزرع كلها تباع بالنسبة الى ريعها حتى يكون الريع اربعة او خمسة في المئة من الثمن والاطيان البور او التي لا تزرع كلها تباع بالنسبة الى ما تصير اليهِ بعد اصلاحها فالفدان الذي يصير صافي ايجارهِ خمسة جنيهات في السنة اذا أُنفق عليها عشرون جنيهاً لا يكون غالياً اذا بيع بستين او سبعين جنيهاً وهو يباع حتى الآن باقل من ذلك. واذا اضطرَّ افراد قلائل الى بيع اطيانهم بثمن بخس لحاجتهم الى النقود لم يكن ذلك داعياً لرخص سائر الاطيان لان هذا المبدأ لا يصدق الأ على البضائع التي تعرَض كلها للبيع واما الممتلكات التي تنتقل بالارث وتتوقف عليها معيشة السكان فقلما تعرض للبيع لاسيا وان الاطيان رأس مال الفلاح والآلة التي يعمل بها ليعيش منها ولذلك تراهُ يشتريها مهما كان ثمنها اذا تيسر معهُ هذا الثمن كلهُ او بعضهُ. ولكن الضرر الذي يرجح وقوعهُ هو التوقف في اصلاح الاطيان وبناء الاراضي ومن ذلك ضرر كبير يجب منعهُ فان كثيرين اشتروا اراضي بائرة قصد اصلاحها وكانت العادة ان يستلفوا من البنوك الاموال اللازمة للاصلاح ويقسطوها الى سنين كثيرة ثم يستغلُّوا منها ما يوفون بهِ الاقساط فاذا ضنَّت البنوك عليهم بالمال اللازم لذلك ضاع عليهم ريع الثمن الذي دفعوهُ. ولا يخفى ما في ذلك من الخسارة الكبيرة على القطر لا سيما وان نمو سكانهِ يستلزم ان تزيد مساحة اطيانهِ الزراعية مئة الف فدان كل سنة ولا تقلُّ نفقات اصلاح الفدان عن خمسة عشر جنيهاً فالمئة الف الفدان تستلزم مليوناً ونصف مليون من الجنيهات

وما يقال عن الاراضي الزراعية يقال عن اراضي البناء فان اكثر الذين بنوا المباني الكبيرة في التوفيقيَّة والاسمعيليَّة وشارع الظاهر كانوا يبتاعون الارض ويستدينون النقود من البنك الزراعي ويبنونها بها. وقد اشترى كثيرون اراضي من هذا القبيل في العام الماضي حاسبين انهم يستطيعون ان يستدينوا النقود ويبنوها فاذا لم يوفَّقوا الى ذلك فالثمن الذي دفعوهُ يخسرون ريعهُ ويضطرون اخيراً ان يبيعوا الارض بخسارة والضرر من ذلك كبير ولو كان دون الضرر من التوقف عن اصلاح الاراضي الزراعية. اما الذين ضاربوا وخسروا بالمضاربة فلا سبيل لرد خسارتهم وما لومهم الأ على انفسهم لانهم طمعوا او صدَّقوا الذين خدعوهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

كيف تصير قوياً

٣

ادلة محسوسة على منافع الرياضة

يقولون " الصحة تاج على رأس الاصحاء " ولكن الرياضة اليومية القانونية هي التي تعد تلك الصحة وتهيئها فتزيد الاصحاء همة ونشاطاً على مزاولة الاعمال وتقوي مداركهم وتطيل اعمارهم وتشفي امراضاً في السقماء الاعلاء وتشدد عزائمهم وتقوي ابدانهم مهما كانت اعمارهم ولكن الاصغر سناً يستفيد منها اكثر ممن هو اكبر منهُ

فمن منافعها ما عايناهُ وسمعنا بهِ عن مشاهير الرجال الذين طبقت شهرتهم الآفاق لسعة مداركهم وثاقب افكارهم واصالة آرائهم وجودة قرائحهم وقوة ابدانهم واليك امثلة تنطبق هذه الاوصاف عليها ان لم يكن كلها فجلها

فغلادستون عميد السياسة وابن بجدة الخطابة كان مولعاً بتشقيق الحطب وتهذيب الشجر فكانت مهارتهُ فيهما تضارع شهرتهُ في ضروب السياسة ومآخذها . وهذه الرياضة البدنية جعلتهُ يربي على الثمانين وهو كالشبان عافية وهمة وادراكاً وليست خطبةُ الرنانة التي كان يلقيها في مجلس النواب وهو في ذلك السن بعيدة العهد لننساها فلم تكن تبدو عليهِ وهو يلقيها امارات ضعف في وقوفهِ وحركاتهِ او فتور في قواهُ العقلية . قيل انهُ كان اذا سئم الاشتغال بالسياسة او ملَّ البقاء في لندن مضى الى قصرهِ في هاردن حيث يقيم بضعة ايام يقلع اشجار السنديان في حراجهِ

ودكنس الروائي الشهير كان شديد الشغف بالمشي فيسير تسعة اميال او عشرة قبلما يتناول طعام الصباح . وكثيراً ما كان يمشي خمسة وعشرين ميلاً مشياً حثيثاً ولكنهُ كان نهماً في الاكل ولولا شراهتهُ هذه لطال عمرهُ ولم يمت في سنٍ يغلب فيهِ ان يكون ارباب القلم في زهوة اشتغالهم بالعلم والأدب

وقال مكلرن الاستاذ المشهور بتعليم الرياضة في كتابهِ عنها انهُ انتدب لتدريب اثني عشر صف ضابط تتفاوت اعمارهم بين التاسعة عشرة والتاسعة والعشرين فقبل شروعهِ قاس عرض صدورهم وسعة اكتافهم ومحيط اذرعهم وغيرها وكان يعيد القياس حيناً بعد حين فوجد من نماء الاذرع وكبر الاكتاف واتساع الصدور ما يقضي بالعجب . فانهُ بعد اربعة اشهر فقط ضاقت ملابس معظمهم وما عاد في استطاعتهم تبكيل ازرارها ولم يمضِ عليهم الشهر الخامس حتى اضطر ان يوصي لهم بصنع ملابس جديدة . وانهُ ليأخذ القارئ العجب متى علم ان صدور بعضهم زاد اتساعها خمس عقد . وان زيادة كهذه عظيمة الفائدة وتنفعها للقلب والرئتين لا يثمن . ثم ان سائر اعضاء اجسامهم قويت ونمت نموًّا متناسباً . ولم يقتصر على المقاس في بدء تدريبهم بل صوَّرهم وعاد فصورهم بعد خمسة اشهر فكان الفرق بين الرسمين عظيماً ولا سيما في اصغرهم سنًّا . على ان هذا النمو لا يعد شيئاً مذكورًا في جانب ما دبَّ فيهم من الهمة والذكاء والصبر على احتمال المشاق

وذكر هذا الاستاذ ايضاً انهم جاؤُوهُ بشاب وقف نموهُ زمناً لعلة اصابتهُ فكان طولهُ خمس اقدام وعقدتين فجعل يدربهُ على الرياضة فما بلغ الحادية والعشرين حتى صار طولهُ خمس اقدام وست عقد واتوهُ بغلام تأخر نموهُ بسبب سقوطهِ من مكان مرتفع فما راض جسمهُ تسعة اشهر فقط حتى نما تسع عقد

ومن الادلة ايضاً ان الشاعر المشهور وليم كلن برينت مات في الرابعة والثمانين ووعيهُ لم يغب عنهُ وقوتهُ الجسدية لم تفارقهُ لمزاولتهِ الرياضة . واليك ما بعث بهِ الى صديق لهُ قبل موتهِ قال : —

سيدي العزيز

وعدتك ان اذكر لك بعض عاداتي ولا سيما ما يتعلق بالاكل والرياضة والعمل ولكنني غير واثق انها تنفعك كما نفعتني فاني مارستها عدة سنين شددت عزائمي واناتني امنيتي . فقد طعنت في السن وانا لا اشعر بعجز عن العمل ولا ضعف في البدن وكلاهما يستوليان عادة على المعمرين . فقوتي لم يعترها وهن وهمتي لم تخر واعضاء جسمي ولاسيما الداخلية منها قائمة بوظائفها كانني لا ازال حدثاً وهاك الخطة التي سرت عليها اعواماً عديدة . انهض من فراشي دفعة واحدة نحو الساعة الخامسة ونصف فابدل ملابسي وارتاض مستعملاً في الغالب ما يوسع الصدر . والادوات التي اروض بها كرات حديدية ومخل وعصاً من الحديد مركزة انفياً على ارتفاع من الارض وكرسي خفيف اديرهُ بذراعيَّ حول رأسي فارتاض نحو ساعة

ثم استحم واذا كنت في الريف تروضت نصف ساعة وعملت في الحقل نصف ساعة ثم استحم واتناول طعامي . وكثيرًا ما كنت امشي نحو ثلاثة اميال الى حيث عملي فاشتغل ثلاث ساعات واعود ماشيًا غير مبالٍ بمطر او حرٍّ واذا سئمت التاليف والتصنيف اندفعت بكليتي الى العراء استنشاقًا لنقي الهواء او قصدت حديقتي حيث اقلّم اشجار الفاكهة ثم اعود الى عملي العقلي ولا اركب المركبات الّا نادرًا لانني افضل المشي المروض للجسم على ركوبها

وارسل صديق لهذا الشاعر كتابًا عنهُ الى احدى الصحف قال فيهِ : — عرفت المستر برينّت منذ اربعين سنة ولا اتذكر ان مرضًا اعتراهُ في اثنائها او انهُ لزم فراشهُ يومًا الّا في مرضهِ الاخير الذي قضى فيهِ . ولم يكن يسير الى مكان عملهِ الّا ماشيًا حتى في آخر سنة من عمرهِ وكان يتروض يوميًا ولم تكن قريحتهُ تجود نظمًا ونثرًا الّا بعد الارتياض

...

فاي فتًى او فتاة يطّلع على هذه الحقائق ولا يودّ ان يخص ساعة او ساعتين من يومهِ بترويض جسمهِ ترويضًا ينيلهُ صحة وعافية فتصير قدماهُ ثابتتين ورجلاهُ قويتين وعضلاتهُ متماسكة متناسبة ومشيهُ رشيقًا وهضمهُ جيدًا وهمتهُ عالية وعزمهُ شديدًا وخاطرهُ سريعًا . ولرب قائل يقول الا يأتي العمل الجسماني العادي بالمنافع التي تنشأ عن الرياضة البدنية . والجواب ان ضروبًا كثيرة من الاعمال التي تقضي بتمرين الجسم تزيد الشهية الى الطعام وتقوي الهضم وتحدث منافع اخرى . ولكن الذين يعملون اعمالاً بدنية لا يسلم احدهم من عيب فقد يكون الجسم فاقد الهندام غير متناسب الاعضاء وربما بلغ هذا العيب مبلغًا يقبح القامة فالفلاح او العامل الذي يقضي عليهِ بالانحناء الى الامام لركس الارض او تمهيدها او الحفر فيها وما شاكل ذلك تستدير اكتافهُ وتنمو عضلات ظهرهِ نموًّا غريبًا فيتقوس ويحدودب لان عضلات صدرهِ لا تنمو الّا نموًّا قليلاً ولذلك ترى الذين تجاوزوا منتصف العمر من امثالهِ مستديري الاكتاف منخفضي الصدور محدبين . والحداد تقوى ذراعهُ اليمنى والجانب الايمن من صدرهِ فتفقد قامتهُ رونقها واعتدالها . والنوتية يزاولون التقذيف فتنمو عضلات ظهورهم وسواعدهم وتبقى العضلات العليا من اذرعهم وصدورهم ضعيفة فتنجذب اكتافهم الى الامام وتعوج اصابعهم وتنعقد او تيبس لانها تداوم القبض على المقذاف . ومعظم العمال الذين يعملون اعمالاً بدنية يفقدون الظرف في مشيهم وحركاتهم فيجب عليهم ان يروضوا اجسامهم رياضة قانونية حتى يجيء نمو اعضائهم متناسبًا فالرياضة واجبة للعامل وجوبها للعالم والكاتب

معدات العاب الرياضة

يتوهم الاكثرون ان من يروض بدنهُ مضطر الى شراء آلات وادوات غالية الثمن والى تخصيص مكان لها وهذا ما ثبَّط عزائمهم واقعدهم عن استعمال الرياضة فنفياً لهذا الوهم نقول ان اعظم ادواتها نفعاً ابخسها ثمناً . فلنذكر بعض تلك الادوات او المعدات ولكن يجب ان تكون الرياضة في حديقة او حجرة صحية طلقة الهواء

علق بكرتين كبيرتين من الحديد او الخشب على ارتفاع مترين او اكثر وامرر على كل منهما حبلاً واربط بالطرف الواحد من كل منهما اثقالاً واربط مقبضين من الخشب بالطرفين الاخرين وامسك المقبضين بكلتا يديك واسحب الحبلين وارخهما كمن يدق جرساً وافعل غير ذلك مما يخطر على بالك وترى فيهِ نفعاً

اشترِ عيارات مختلفة من الحديد تكون زنتها من رطل الى عشرة ارطال وشلها بها بيمناك ثم بيسراك مراراً كثيرة ويمكن الاستعاضة عنها بالحجارة او باكياس من الرمل

الدمبلس كرتان من الحديد بينهما مقبض حديدي ووزن كل منهما يختلف على طول مدة التمرين من خمسة ارطال الى اثني عشر رطلاً تشال باليد مراراً متوالية وذلك من انفع انواع الرياضة لتقوية الذراعين وتوسيع الصدر وسنشرح طرق استعمالها

وهنالك ادوات اخرى يستنبطها من يتعود الرياضة من تلقاء نفسهِ ستأتي البقية

رحمة صروف

الشب الابيض لمنع العث

كتب بعضهم الى السينتفك اميركان يقول : قال هولند في كتابهِ الذي وضعهُ حديثاً عن العث ان ما يتلفهُ العث من الثياب سنويّاً في الولايات المتحدة يكفي ثمنهُ لايفاء ديون الحكومة الاميركية

ولا يخفى ان فراش العث يبيض في الفراء والبسط والثياب الصوفية والحريرية وينقف بيضهُ عن دود يلحس البسط والثياب والفراء ويتلفها . ولما كنت ساكناً في بلاد الصين رأيت العث كثيرًا في بيتي فجربت مواد كثيرة ظننتها تقي الثياب منهُ فوجدت ان الشب الابيض يفي بالمطلوب فاذبتهُ في الماء وبللت بهِ خيطان الصوف الغليظة وعلقت بها الصور الثقيلة وتركتها ثلاث سنوات فلم يضربها العث . وبللت بهِ خيوطاً صوفية مختلفة الالوان مما كنت استعملهُ لامتحان عيون الصينيين في رؤية الالوان وكنت انقع كل لون منها على

حدة ثم نشفتها وتركتها حيث يكثر العث سنتين فلم يصل اليها. وبلات بهِ منسوجات صوفية مختلفة وتركتها مدة طويلة فوقاها كلها من العث

ومعلوم ان الشب الابيض لا يتبخر فيبقى على المواد الصوفية ولو كان مقدارهُ قليلاً جدًا. والرطل من الشب يذاب في ثمانية ارطال من الماء. ولو اتفق تاجر المنسوجات الصوفية وصانعو البسط على معالجتها بالشب الابيض لوقايتها من العث لاستطاعوا ان يزيدوا في ثمنها اكثر مما انفقوا على معالجتها ونجا الناس من آفة تتلف ثيابهم وبسطهم وانفس ما يتنافسون بهِ

البيض وحفظهُ

بلغ عدد البيض الصادر من القطر المصري في العام الماضي ٦٦ مليونًا ٣٣٢ الف بيضة وبلغ ثمنها التي ثمنت بهِ في الجمارك المصرية ٩٩٤٩٩ جنيهًا اي كل نحو ست بيضات بقرش. ويباع البيض المصري في بلاد الانكليز المئة وعشرون بيضة باربعة شلينات ونصف الى خمسة شلينات كأَن كل خمس بيضات بغرش فهو ليس اغلى هناك مما يباع في القطر المصري بالمفرّق مع ما يضاف اليهِ من اجرة الشحن. وربح التجار والخسارة بما يكسر منهُ ويتلف في الطريق ولو عدل بائعوهُ ومشتروهُ لوجب ان لا يزيد ثمن العشر بيضات منهُ على غرش لصغرهِ المفرط ولكن اسعار المأكولات لا ترتبط بقاعدة غير قاعدة الموجود والمطلوب فاذا كثر الموجود منها وقلَّ المطلوب رخصت واذا قلَّ الموجود وكثر المطلوب غلت. ولو اهتمَّ الناس بالاكثار من تربية الدجاج واهتمت الحكومة باستئصال شأفة الداء الذي فتك بها حديثًا لكثر البيض ورخص وكانت منهُ تجارة رابحة فان الانكليز وحدهم يستوردون في السنة من البيض ما ثمنهُ ستة ملايين ونصف من الجنيهات اكثرها من روسيا فاذا استطعنا ان نرسل اليهم سدس ما يستوردونهُ بلغ ثمنهُ مليون جنيه في السنة. والبيض المصري ليس جيدًا كالبيض الاوربي الكبير الجرم الطيب الطعم ولكن الكثير منهُ يستعمل في الصناعة كما في عمل كفوف الجلد

اذا سلق البيض وجد فيهِ جزء فارغ ويكون هذا الجزء صغيرًا جدًا في البيض الجديد او لا يكون موجودًا بل تكون البيضة مالئة قشرتها واما في البيض القديم فيكون الجزء الفارغ كبيرًا وكلما زادت البيضة قدمًا زاد هذا الجزء الفارغ كبرًا الَّا اذا دُهنت بمادة تسدُّ مسام قشرتها وهي جديدة حتى لا يعود الهواء يدخل اليها ويحللها ويفسدها ولذلك يعرف هل البيضة جديدة او قديمة من اتساع هذا المكان الفارغ. وقد يعرف ذلك قبل ان تسلق بالقبض عليها في راحة اليد ومخايلتها امام الشمس او امام قنديل ساطع النور فيرى المكان

الفارغ فيها وهل هو كبير او صغير · واذا كان البيض قد بقي مدة تحت دجاجة فاخذ الفرخ يتكوَّن فيهِ ظهرت في محهِ نقطة سوداء

والبيضة الجديدة تكون شفافة وتبقى كذلك ثلاثة ايام ثم ينحرف محها الى جانب اذا كانت موضوعة على جنبها وتقلُّ شفافيتها رويدًا رويدًا واذا تعذَّر امتحان البيضة امام القنديل او امام الشمس فامتحنها بالهز في يدك فاذا لم تشعر بحركة داخلية فيها فهي جديدة او ليس عمرها اكثر من اسبوع واذا كانت قديمة شعرت بحركة ما فيها ووقوعهِ من جهة الى اخرى كأن جانبًا منها فارغ وزلالها وصفارها يتحركان بالهز · ويستطيع البعض ان يميزوا بين البيض الجديد والقديم من رؤيتهِ فان البيضة الجديدة يكون ظاهرها مشرقًا وهذا الاشراق يزول في البيض القديم

ثم ان البيض المحفوظ في الظلام في مكان بارد نقي الهواء يبقى سليمًا ثلاثة اسابيع او اكثر ويكون اسلم من البيض الذي يعرض في الشمس او في النور الساطع ولو بضعة ايام

ويحفظ البيض زمانًا طويلاً اذا دهن بالسائل المعروف بالزجاج المائي فانهُ يبقى كما كان لما وُضع فيهِ تقريبًا فاذا كان جديدًا بقي جديدًا ولم يتغير الاَّ قليلاً جدًّا حتى لو بقي ستة اشهر في الزجاج المائي لم تجد فرقًا بينهُ وبين البيض الجديد

والبيض غير الملقح اسهل حفظًا من البيض الملقح فاذا كان المراد من البيض ان يباع ويؤْكل فلا داعي لوجود الديوك مع الدجاج فانها مكلفة متعبة ومتى كانت موجودة صار البيض اسهل فسادًا

والزجاج المائي سائل شفاف كالشراب يمزج عشرة دراهم منهُ بتسعين درهمًا من الماء وقد يكفي ان يمزج ثلاثة دراهم منهُ بسبعة وتسعين درهمًا من الماء اي ان يكون من ثلاثة الى عشرة في المئة بالنسبة الى الماء · ويكون عند خزنة البيض حياض من السمنت يسع الحوض منها ٤٠٠٠ بيضة · ويمكن ان تقوم البراميل مقامها اذا نظفت جيدًا بنقعها في الملح والصودا ويوضع البرميل على حجرين يرفعانهِ عن الارض حتى يجري الهواء تحتهُ ولا يبلى · وينقع البيض في مذوب الزجاج المائي في الحوض او البرميل والبعض يفضلون ماء الجير (ماء الكلس) على الزجاج المائي لان البيض يبقى فيهِ نظيفًا ويخرج منهُ بشكل كالمصفاة

وقشر البيض الذي حفظ في الزجاج المائي يكون صقيلاً واما الذي حفظ في ماء الجير فيصير رقيقًا خشنًا . ثم اذا سلق البيض المحفوظ في ماء الجير او الزجاج المائي انشقَّ من نفسهِ لان مسامهُ تكون مسدودة ويمنع انشقاقهُ بثقبهِ قبل سلقهِ بابرة او دبوس حتى لا ينشق



الخزانات وموسم القطن

تابع ما قبله

واذا علي الخزان على ما تقدم (اي ستة امتار فقط) لم تضطر الحكومة الى انفاق ٢٥٠٠٠٠ جنيه على الهويس بل تركته لانه عمل لا ريع له . وقد اشرت في تقريري الاول عن الخزان الذي نشرته سنة ١٨٩١ الى ان وجود هذا الهويس يتوقف على انشاء سكة الحديد بين سواكن والخرطوم وقد تمت هذه السكة الآن فلم تبقَ فائدة من الهويس فيتوفر من الاقتصار على تعلية الخزان ستة امتار ٦٠٠٠٠٠ جنيه ومن ترك الهويس ٢٥٠٠٠٠ جنيه والجملة ٨٥٠٠٠٠ جنيه تكفي لا كثر من نصف النفقات اللازمة لانشاء خزان على البحر الابيض يخزن فيهِ ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة فتسد بها حاجة القطر المصري الى المليارين وحاجة القطر السوداني الى نصف المليار من الامتار المكعبة . وها كم تفصيل ذلك

يتألف النيل عند الخرطوم من اقتران البحر الازرق بالابيض اما البحر الازرق فله اسم واحد من مصادره في بحيرة صانا في بلاد الحبشة الى نهايتهِ في الخرطوم اما البحر الابيض فله اسماء كثيرة ومنها اسم بحر الجبل حيث يقطع البطائح التي فيها السد اما انا فقد اطلقت عليهِ اسم البحر الابيض فقط في هذه الخطبة من مصدرهِ في بحيرة فكتوريا الى نهايتهِ عند الخرطوم

ومصادر البحر الابيض الحقيقيَّة هي بحيرة فكتوريا وبحيرة شوغا وبحيرة ادورد وبحيرة البرت نينزا وكلها مجموع من الخزانات . وحينما يخرج البحر الابيض من بحيرة البرت يكون غالباً على اوطاءِهِ في شهر ابريل ثم يزيد رويداً رويداً حتى يبلغ اعلاه في نوفمبر والفرق قليل بين اعلاه واوطاءِهِ هناك لان البحيرات الاستوائية تعدله وقلما يجري فيهِ اقل من ٦٠٠ متر مكعب او اكثر من ١٠٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان

ويجري من بحيرة البرت الى نيمولا مسافة ٢٢٠ كيلومترًا في مسيل واسع جدًا ويكون

ماؤُهُ صافياً بطيء السير وطريقهُ كثير الجزائر وغابات البردي وحينما يقرب من نيمولا يضيق مسيلهُ وينعكف على زاوية قائمة ويدخل مضيقاً صخرياً طولهُ ١٥٠ كيلومتراً وهذا ما دعا الذين شاهدوهُ اولاً من العرب الى تسميتهِ ببحر الجبل. والصخر هناك من الغرانيت وهو يصلح لان يبنى عليهِ سد والعمل قليل النفقة لانهُ لا يلزم ان ينصبَّ منهُ اكثر من ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية وقد وقفت هناك ساعات انظر الى ذلك المشهد وارى بعين الخيال ما سيعمل فيهِ من الاعمال في المستقبل

وبعد خروج البحر الابيض من نيمولا تصبُّ فيهِ غدران كثيرة تزيد ماءهُ كثيراً في زمن الفيضان ولكنها لا تزيدهُ كثيراً في غير زمن الفيضان ونصل بعد ذلك الى غندكرو حيث يجري فيهِ ٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية زمن الفيضان ولا يجري فيهِ اقل من ٦٠٠ متر مكعب في الثانية زمن التحاريق ولذلك يمكننا ان نعتمد على ٦٠٠ متر مكعب في الثانية عند غندكرو وكأننا لم نخسر شيئاً من المياه التي ترد من البحيرات الاستوائية اما بعد غندكرو فتتغير الحال فان البحر يسرع في جريانهِ من هناك الى بور مسافة مئتي كيلو متر ومجراهُ في وادٍ واسع وقلما يفقد شيئاً في زمن التحاريق ولكن تخرج منهُ مجارٍ جانبيةٌ تصبُّ في البحيرات والمنخفضات التي على جانبيهِ اذا زاد ماؤُهُ ويمكننا ان نقول انهُ يجري فيهِ دائماً لا اقل من ٥٥٠ متراً مكعباً في الثانية اي انهُ يخسر قليلاً من مائهِ وذلك الوادي مملوء بالاعشاب الكبيرة والصغيرة حيث الارض جافة او الماء قليل وبالبردي حيث الماء عميق

ومن بور الى قرب غمبا شمبا ٢٠٠ كيلومتر يخرج البحر الابيض من الاراضي العالية ويجري في مجراهُ ضمن ضفتين مكونتين من الرمل المغطى بالاعشاب ولا يتعداها الا في زمن الفيضان وفيهِ هناك كثير من المجاري الجانبية يجري الماء فيها الى المنخفضات حيث يخزن فلا يضيع كلهُ ولكن جريانهُ في هذه المجاري زمن التحاريق خسارة كبيرة وما دمنا نرى الاعشاب فالماء يجري على ارض ويمكن التحكم في مجراهُ

ومن شبا شمبا الى بحيرة نو مسافة ٤٠٠ كيلو متر البلاد بلاد السد وتجد البردي نامياً في كل جهة منها وهو ينمو ولو كان عمق الماء خمس اقدام ويعلو خمس اقدام اخرى فوق وجههِ ونراهُ دائماً قادراً على سد مجرى الماء فسقياً للبحيرات الكبيرة التي تستطيع ان تخزن من الماء ما يكفي البحر الابيض زمن التحاريق ويبقى مجراهُ مفتوحاً مع وجود هذا البردي فيهِ. ولا يقيم الانسان في تلك الجهات طويلاً حتى يصير يكره نبات البردي كرهاً شديداً بعد ان يكون قد سرَّ بمرآهُ حينما وقع نظرهُ عليهِ اولاً . ومن الغرائب التي تشاهد في هذا المكان الغريب

ان النار تضطرم في غابات الاعشاب الخضراء اميالاً بعد اميال كأنها القش اليابس . ويغيب عنا هنا منظر الارض ووجهها المكسو بالنبات الاخضر

ولكننا نرى فيها احياناً شجيرات واعشاباً دمثة فيبتهج النظر برؤيتها . وتنتشر المياه في تلك البطائح صيفاً وشتاء بين غابات البردي . اما البحر الابيض نفسهُ فيبقى في مجرى سعته من خمسين متراً الى مئة متر وعمقهُ خمسة امتار ويسير شمالاً في طريق متمعج تضيق منهُ النفس حتى يودُّ المرءُ لو وجدت هناك كراكة تقطع تلك المنحنيات وتخط للماء طريقاً مستقيماً فيقيم عليها ولو اكلهُ الناموس . والغالب ان يربي في منعطف كل منحنىً بحيرة ولا يعلم المرءُ هل تضر تلك البحيرات بتعريضها الماء للتبخر او تنفع بخزنها اياهُ الى حين حاجة النيل اليهِ حينما يقلُّ ماؤُهُ . فالماء الذي في هذا المجرى غير قليل ولو كثرت تعاريجهُ ولذلك اوافق السر وليم جارستن في ما كتبهُ اولاً عن البحر الابيض حيث اشار باصلاح مجراهُ والاحتفاظ بهِ لان اهمالهُ وتركهُ قد يفضيان الى مصاعب لا يمكن التخلص منها فقد قيل ان نحساً تعرفهُ خير من جيد تتعرف بهِ

الى هنا كان البحر الابيض يجري من الجنوب الى الشمال . وعند بحيرة نو يلتقي بهِ بحر الغزال فيتجه من هناك شرقاً والماء الذي يجري ببحر الغزال الى البحر الابيض قليل ولكن ماءهُ وماء نواصره يملآن المنخفضات والمستنقعات التي هناك ولولا ذلك لجفَّ ماء البحر الابيض احياناً ولم يصل منهُ شيءٌ الى الخرطوم . وما البحر الابيض كلهُ سوى خزان لخزن الماء يخزنهُ في بعض الاماكن ويريقهُ في غيرها

ويجري البحر الابيض شرقاً مسافة ١٣٠ كيلو متراً بعد تركهِ بحيرة نو ويكون عرضهُ اولاً ١٠٠ متر فيتسع رويداً رويداً حتى يصير عرضهُ ٤٠٠ متر ويفارقهُ البردي هنا وضفتاهُ واطئتان ولكنهما تظهران حينما يكون ماؤُهُ قليلاً ويمكن التحكم بهِ وقتما يقل الماء حتى لا يذهب شيءٌ منهُ ضياعاً

والماء الصيفي الذي قلما يقل عند غندكرو عن ٦٠٠ متر مكعب في الثانية ويبلغ احياناً ٩٠٠ متر مكعب في الثانية يقل هنا حتى يبلغ ٣٠٠ متر مكعب في الثانية في سني الشح و٤٥٠ متراً مكعباً في الثانية في سني غزارة الفيضان اي ان نصف الماء الجاري من البحيرات الاستوائية يضيع بين غندكرو ونهر السبت . فيجب ان تفعل الكراكات العجائب في تلك الجهات . والماء الجاري في النهر يصير قادراً على تعميق مجراهُ وتوسيعهِ وقد قال السر وليم جارستن ان الماء نفسهُ يوسع مجراهُ حالما يزول السدُّ من طريقهِ

ويلتقي البحر الابيض بنهر السبت بعد ان يجري في مسيل عرضهُ ٤٠٠ متر وعمقهُ ٣ امتار بانحدار قليل وضفتين واطئتين يسهل على الماء ان يطغى عليهما ثم ينحرف شمالاً . ويكون لون مائهِ ضارباً الى السمرة على مدار السنة قبل التقائهِ بنهر السبت . وماء السبت لا يحمل كثيرًا من المواد في زمن الفيضان لانهُ يترك اكثر المواد التي يحملها في المستنقعات التي يمرُّ فيها ولكنهُ يحمل اكثر مما يحملهُ البحر الابيض . والمستنقعات التي يمر فيها كالخزانات فتخزن ماءهُ وتعيق جريانهُ فلا يبلغ ماؤُهُ الغزير الى مصبهِ في البحر الابيض الاَّ في شهر نوفمبر اي بعد ان يفيض باشهر

ويكون ماء البحر الابيض على اقلهِ قبل التقائهِ بنهر السبت في ابريل ومايو وكذلك نهر السبت ويبتدئ الفيضان في النهرين في وقت واحد ويحدث هناك ابدع ما يحدث في وادي النيل اذا استثنينا ما يحدث عند الخرطوم فان مسيل البحر الابيض تحت اتصالهِ بنهر السبت لا يسع فيضان النهرين ولذلك يرتفع ماؤُهُ عند محل الاتصال ويفيض على الاراضي الواطئة واما ماء نهر السبت فيبقى جارياً في مجرى البحر الابيض ويزداد رويدًا رويدًا من مئة متر مكعب في الثانية الى الف متر مكعب في اكتوبر ونوفمبر . واما البحر الابيض فيقل الماء الجاري منهُ شمالاً ويزيد المنصب منهُ في الارض التي حولهُ فتصير بحيرة وقتية يخزن الماء فيها ثم يعود منها الى مجرى النيل في دسمبر ويناير وفبراير حينما يقل الماء الجاري من السبت . فهناك خزان طبيعي آخر لخزن ماء البحر الابيض الى حين الحاجة اليهِ

وطول البحر الابيض من مصب السبت الى الخرطوم ٨٤٠ كيلو مترًا وانحدارهُ قليل في القسم الاعلى منهُ ومتى قرب من الخرطوم يصير سطحهُ مستوياً في زمن الفيضان كأنهُ بحيرة طويلة عرضها نحو كيلو متر ويبلغ عرضهُ كيلو مترات كثيرة حيث تكثر فيهِ الجزائر والمستنقعات والماء الذي يفيض على هذه المستنقعات في زمن الفيضان يعود الى البحر الابيض في زمن التحاريق إما سيحاً على وجه الارض او تحلباً فيها . ولهذا التحلب اي وصول المياه الى النيل من الينابيع التي على جانبيهِ من ملتقى نهر السبت بهِ الى ان يصل الى بحر الروم شأن كبير في زمن التحاريق وكلما امعنا نظرنا في هذا الامر زاد احترامنا لمبرديني اكبر مهندسي القرن الماضي المائيين الذي انبأ بذلك بدقة فائقة

ويجري ماء البحر الابيض الى الخرطوم جرياناً بطيئاً واقل ما يجري فيهِ هناك نحو ٤٥٠ مترًا مكعباً في الثانية وذلك في شهر مايو ويكون ماؤُهُ خالياً من الرواسب الاَّ حينما يمتزج بهِ ماء البحر الازرق العكر

ويلتقي البحران عند الخرطوم وهما على تمام الاختلاف . فالبحر الازرق هو بحر الجبل الحقيقي لانهُ يجري من النصف الجنوبي من بلاد الحبشة الذي تقع فيهِ الامطار الغزيرة وعليهِ الاعتماد في فيضان النيل ومجراهُ سريع وماؤُهُ عكر ويعلو بسرعة في الخرطوم فيملأُ النيل ويمنع ماء البحر الابيض من الجريان فيكوّن منهُ بحيرة طولها ٥٠٠ كيلو متر

ويكون ماء البحر الازرق على اقلهِ في شهر مايو وقد يجف تماماً في بعض السنين صيفاً ويبلغ ماؤُهُ في اعلى فيضانهِ في اوائل سبتمبر نحو ١٢٠٠٠ الى ١٤٠٠٠ متراً مكعباً في الثانية من الزمان وهذا المقدار من الماء لم نرَ مثلهُ قبلاً واذا قصرنا النظر على ماء الفيضان فاصبح البحر الازرق اغلظ من متن البحر الابيض

واقول هنا استطراداً انهُ اذا علا ماء الفيضان بعد الآن كما علا سنة ١٨٧٤ و ١٨٧٨ وبقيت جسور الخرطوم منخفضة كما رأيتها في شهر يناير الماضي فالمرجح ان البحر الازرق يطغى عليها ويغمرها بمتر من الماء

ولا يشرع البحر الازرق في الهبوط السريع المستمر الاَّ بعد ١٥ سبتمبر ويبتدئ انصباب الماء من البحر الابيض ويبلغ متوسطهُ الاعلى وهو ٢٠٠٠ متر مكعب في الثانية في اكتوبر حين تجري فيهِ المياه التي دفعت الى ما فوق ملتقى البحرين والمياه الآتية من الجنوب . ويكون البحر الابيض فوق الخرطوم بحيرة ثالثة تخزن مياههِ ولذلك يحق لنا ان نقول ان البحر الابيض بخزاناتهِ الطبيعيةّ هو نيل مصر الحديثة التي الاعتماد فيها على الري الصيفي كما ان البحر الازرق هو نيل مصر القديمة التي كان الاعتماد فيها على ري الحياض

ان ما تقدم مأخوذ من كتابي النيل سنة ١٩٠٤ الذي فيهِ خلاصة كتاب السر وليم جارستن "حوض النيل الاعلى" فقد مسكت ذلك الكتاب بيدي وطبقتهُ على البلاد التي وصفها ويسرني ان اشهد بصحة ما جاء فيهِ الاَّ في القليل النادر . وقد ارتأيت في كتابي المشار اليهِ انشاء سدين الواحد عند مصب نهر السبت والثاني في الخرطوم بانياً رأيي على كتاب السر وليم جارستن ثم ايدتهُ بما رأيتهُ بنفسي وانا مديون للمستر دبوي وللدكتور بلفور وللمستر بيم على ما علمتهُ من الاستعلامات الحديثة لان الذين يريدون ان يفهموا المسائل العلمية المتعلقة بحوض النيل كلهِ ارضهِ ومائهِ وحاصلاتهِ يجب عليهم ان يقصدوا حرم العلم في الجناح الشرقي من مدرسة غوردون الذي يرأسهُ الدكتور بلفور فان من هناك تنشر اليادة النيل السنوية اي تقرير معامل ولكوم وخلاصة ابحاث اولئك العلماء الذين يبحثون في العلم لذاتهِ لا لتمجيد انفسم

لقد ابنا ان البحر الابيض سلسلة من الخزانات الطبيعيَّة تخزن المياه فيها من نفسها وان فيهِ ثلاثة اماكن يحسن ان تنشأ السدود فيها لتصير خزانات صناعية الاول في نيمولا قرب بحيرة البرت والثاني عند مصب نهر السبت والثالث في الخرطوم. وكل ما يُحتاج اليهِ انما هو التحكم بهذه الخزانات الطبيعيَّة حتى يجري الماء منها حينما نحتاج اليهِ لا حينما يجري من نفسهِ. والكراكات تبقي المجرى مفتوحًا بين هذه الخزانات فانها توسعهُ وتعمقهُ حيثما يدعو الامر الى ذلك وتزيل التعاريج وتسد البنايات. وسيشرع رجال الري في هذا العمل لانهم اوصوا على الكراكات و بقي الشروع في استخدام خزان او اكثر من هذه الخزانات لكي يصير في السودان ما يكفيهِ من ماء الري من ١٥ مايو الى ١٥ يوليو وفي مصر ما يكفيها من ١٥ ابريل الى ١٥ يوليو

والخزان الذي يحسن الشروع فيهِ اولاً هو خزان الخرطوم فاذا اقيم هناك سدان من التراب مصانان بالحجارة البعد بينهما ٥ كيلومترات[1] يقطعان مجرى النيل ويجعل في كل منهما هويس و٢٠ عينًا وخزن بينهما ما ارتفاعهُ ٨ امتار من الماء فلا تزيد اكلافهما على ١٢٥٠٠٠٠ ويكون من ذلك خزان يسع مليارين ونصف الى ثلاثة مليارات ونصف من الامتار المكعبة. والمزية من انشاء اول خزان عند آخر البحر الابيض هي ان مياههُ تصل حالاً الى النيل وتجري الى القطر المصري. واجراء هذا الماء في اوائل الصيف وابقاء خزان اصوان مملوءًا الى اطول ما يمكن يجعل التبخر على اقلهِ ورجوع المياه الى النيل من التحلّب الارضي عن جانبيهِ على اكثرهِ وهذا الماء يقوم مقام اكثر الماء الذي يصعد بالتبخر ويحسن ان تقام طلمبات على البحر الازرق على ١٥ كيلومترًا فوق الخرطوم تروى بها الارض في آخر مثلث الجزيرة تعويضًا للناس عما يخسرون من الارض التي ينشأ فيها هذا الخزان فان الربح يقوم باكلاف العمل ونفقاتهِ. وما ينفق على عشرة الاف فدان مع ما يلزم لها من آلات الري والحرث لا يزيد على ٢٥٠٠٠٠ جنيه. واذا اضفنا ٢٥٠٠٠٠ جنيه الى ما قدر لعمل هذا الخزان بلغت النفقات كلها ١٥٠٠٠٠٠ لثلاثة مليارات من الامتار المكعبة مقابل ٦٠٠٠٠٠ جنيه لثلث مليار من الامتار المكعبة تحصل من تعلية خزان اصوان

واذا صار حول الخرطوم عشرة آلاف فدان تزرع زراعة صيفيَّة فذلك من النعم الكبيرة

(١) (المقتطف) هذا على ما في الاصل الانكليزي والفرنسوي الذي عندنا والظاهر ان ذلك خطأ في الطبع والصواب ٥٠٠ كيلو متر. وقد قصدنا السر وليم ولككس حين كتابة هذه السطور لنسأله في ذلك فوجدنا انهُ سافر الى قبرص

واذا صار الماء ميسورًا على مدار السنة فالشركة المصرية الجديدة تصير قادرة على زرع ٢٠٠٠٠ فدان شمالي الحلفايا والخرطوم وتصير الخرطوم في جنة ارضيَّة ولا يعود اهلها يرون الحبوب الَّا اذا ابعدوا عنها و يصير السودان معدن ذهب لمصر اذ يعطيها ما يكفيها من الماء للزراعة الصيفية ولا يبقى عالةً عليها كما هو الآن .

والخزان الذي يقام عند نهر السبت يلزم لهُ اعمال شبيهة بالاعمال اللازمة لخزان الخرطوم وهي اضيق نطاقًا منها ولكن نفقاتها قد لا تقل عن نفقات سد الخرطوم والماء الذي يحجز بسد السبت يضطرُّ ان يجري ٨٤٠ كيلو مترًا حتى يصل الى الخرطوم فينقص في سيرهِ كثيرًا ولذلك يكون سد الخرطوم انفع منهُ

وسد نيمولا لا بدَّ من تأخيرهِ الى ان تنشأ سكة حديد تصل ما فوق الممر الصخري بما تحتهُ جنوبي غندكرو والى ان تطهر الكراكات جهات السد حتى يسع مسيل النهر كل الماء الذي يجري فيهِ . وهذا العمل سهل حتى في البلاد التي حول بحيرة البرت ونفقاتهُ اقل من مليون جنيه وهو مهم الآن من وجهتهِ النظرية فقط

وسد الخرطوم يتم بسهولة في ثلاث سنوات وهو كافٍ لكل المياه التي يحتاج اليها القطران المصري والسوداني من الآن الى سنين كثيرة . و يسهل وجود الاموال اللازمة لهُ ولوادي الريان (وهذا الاخير اهم من الخزانين الآخرين) وذلك ببيع جانب من المليون فدان البور التي تمتلكها الحكومة في الوجه البحري وليس لهذه الاطيان قيمة تذكر الآن ولكن يصير لها قيمة كبيرة جدًّا حالما تعطى المياه الكافية للري الصيفي

وقد عرفنا الآن سبب اخضرار ماء النيل والفضل في ذلك للعلماء مثل شوينفورت وكفمن وعرفنا ايضًا كيف نمنعهُ فان الماء الاخضر الكريه الطعم والرائحة سبب اخضرارهُ عن نمو نباتات بزورها موجودة في الماء و يزيد نموها حينما يصير جريان الماء بطيئًا فقد كان المستر غالوى سلفي في ادارة شركة مياه العاصمة يشكي من اخضرار المياه حينما يطول خزنها فوق القناطر الخيرية و يصير سيرها بطيئًا وقد قيل لهُ ان اخضرارها آتٍ من جهات السد ولكن ذلك خطأ واخضرارها ناتج عن طول بقائها فوق القناطر الخيريَّة وقد تزيد المواد الخضراء فيها حتى يتعذَّر ترشيحها بطبقات الرمل ولو عرفت ذلك حينئذٍ كما اعرفهُ الآن لرفعت المياه مترين فوق المرشحات وجعلتها تنصب على شبكة فتعلق بها المواد النباتية وينزل الماء الى مرشحات الرمل نقيًا فيغنينا ذلك عن ماء الآبار الارتوازية الذي يكرههُ الوطنيون والنزلاء . و يظن البعض ان هذا الماء المستخرج من طبقات الارض السفلى متصل بالمياه المتحلبة من

اسراب القاهرة التي تغور في الارض وتصل الى المياه في طبقاتها السفلى ولا علاج لذلك الاَّ اذا نزحت اسراب القاهرة على اسلوب المستر كاركيت جمس واهملت آبارها

في شهر يونيو سنة ١٩٠٠ سادت المياه الخضراء جدًّا وقلَّ الاكسجين فيها حتى ان الواقف على كبري قصر النيل كان يرى السمك مغطياً سطح الماء لانهُ لم يعد يستطيع ان يعيش الاَّ قرب سطحهِ . ومات الالوف منهُ في جهات كلبشه . وزاد اخضرار النيل فوق خزان اصوان في شهر يونيو سنة ١٩٠٣ ولكنهُ لما انصبَّ من العيون واستحال الى رشاش تطهَّر وتنقى حتى عسر عليَّ ان اصدق ان الماء الذي رأيتهُ عند جزيرة اصوان هو من نفس الماء الذي رأيتهُ فوق الشلال

ولذلك يجب ان الماء المخزون في خزان البحر الابيض عند الخرطوم ينصب على شبكة او مصبٍّ حتى يتجزأ فيتنقى . والمرجح ان ماء النيل يصير حينئذٍ انقى مما يمكن ان يكون الآن حينما يكون البحر الابيض على اوطاه

فها قد بسطت لكم ما استفدتهُ من سياحتي الى منابع النيل ووصفت ما رأيتهُ من الخزانات الطبيعيَّة في مجرى البحر الابيض وكيف يمكن ان تستخدم لنفع مصر والسودان ويزيد نفع هذه الخزانات بكل ما يبنى على النيل من القناطر التي تجعل الترع المتصلة بها بمأمن من قلة الفيضان فالقناطر الخيرية وقناطر اسيوط وقناطر اسنا التي تبنى الآن هذه القناطر كلها تساعد على خزن الماء للري الصيفي وهي حلقات من سلسلة كبيرة وخزن الماء ميسور لمصر ولا يقتضي الاَّ التحكم بماء البحر الابيض كما تحكم القدماء بماء البحر الازرق لكي يعم الري الصيفي تكثيراً لموسم القطن الذي لا مثيل لهُ وهذا الري خير خلف لري الحياض الذي شهر مصر قديماً كاعظم بلاد لزرع الحنطة

(انتهت خطبة السر وليم ولككس الاولى وقد ترجمناها بتصرف قليل)

ديون الفلاح المصري

يقدّر المقدرون قيمة اطيان القطر المصري الآن بنحو ٤٠٠ مليون من الجنيهات والديون التي عليها بنحو اربعين مليوناً من الجنيهات فيكون الدين نحو عشرة في المئة فقط من ثمن الاطيان ويقابلون ذلك بما على الاراضي الزراعية من الدين في الممالك الاوربيَّة ويقولون ان الدين لا يزال خفيفاً جدًّا في القطر المصري واطيانهُ تحتمل مضاعف ما عليها . ويقول غيرهم ان دين الحكومة المصرية البالغ مئة مليون من الجنيهات هو على الاطيان والاطيان تدفع فائدتهُ وهي

مرهونة لاصحابهِ وعليهِ فالدين الذي على الاطيان يبلغ مئة واربعين مليوناً من الجنيهات فهو ٣٥ في المئة من ثمن الاطيان وهي لا تحتمل اكثر من ذلك واذا زاد الدين عليها فلا بدَّ من ان تظهر نتيجتهُ عاجلاً او آجلاً بعجز الفلاحين عن ايفاء الاقساط المطلوبة منهم. ويستثنى من ذلك المال الذي يستدان لاصلاح الاراضي البور فان الفدان البور الذي يشترى الآن بثلاثين او اربعين جنيهاً ينفق عليهِ عشرة جنيهات او خمسة عشر جنيهاً فيصير يساوي سبعين او ثمانين جنيهاً

ويمكن التوفيق بين هذين القولين بان جانباً من دين الحكومة يحسب على الاطيان والجانب الآخر على سكك الحديد ونحوها من المصالح ذات الايراد. وسكك الحديد تساوي نحو اربعين مليوناً من الجنيهات او ان صافي ريعها يساوي فائدة اربعين مليوناً من دين الحكومة فكأَن الباقي من دين الحكومة على الاطيان نحو ستين مليوناً من الجنيهات وهي والدين الذي على الاطيان مباشرة ١٠٠ مليون من الجنيهات او نحو ٢٥ في المئة من ثمن الاطيان فان كانت الاطيان تحتمل اكثر من ذلك فما تحتملهُ قليل لا يزيد على خمسة في المئة من ثمنها

ويظهر كون اطيان القطر حاملة دين الحكومة من ارتفاع الضريبة فان متوسط ضريبة الفدان في القطر مئة غرش وهي لا تزيد على غروش قليلة في سائر البلدان فاذا فرضنا ان مثين مليوناً من دين الحكومة خاصة بالاطيان ففائدتها مليونان من الجنيهات وهي مأخوذة من مال الاطيان فيصيب الفدان منها اربعون غرشاً والباقي وهو ستون غرشاً من المال نصفهُ مقابل نفقات الري والنصف الآخر للحكومة مقابل حفظ الامن والادارة العامة

واذا فرضنا ان اطيان القطر تحتمل ايضاً من الدين ما يساوي خمسة في المئة من ثمنها فذلك يساوي عشرين مليوناً من الجنيهات اي انهُ اذا زادت ديون الاطيان عشرين مليوناً اخرى فلا ضرر منها بشرط ان تنفق بالحكمة لخدمة الاطيان وان لا تكون فائدتها اكثر مما يأخذهُ البنك العقاري المصري عادة اي نحو ٦ في المئة سنوياً

البنك الزراعي وديون الفلاح

لما اشتدت الضيقة المالية في القطر المصري في الشهر الماضي طلب جماعة من الحكومة ان تقرض البنك العقاري المصري نحو مليوني جنيه من الاوراق المالية التي عندها وهو يرد قيمتها لها في بضع سنوات مع فائدة معتدلة اكثر من الفائدة التي تنالها الحكومة الآن ويجلب

بها نقوداً من فرنسا يدينها للفلاحين على جاري عادتهِ . فلم تجبهُ الحكومة الى طلبهِ ولكنها اوعزت الى البنك الاهلي ليقرض البنك الزراعي نحو مليون جنيه اخرى واجازت للبنك الزراعي ان يزيد اكبر مبلغ يدينهُ لشخص واحد من ٥٠٠ جنيه الى الف جنيه وشاع في اواخر الشهر ان رأس مال البنك الزراعي سيزاد اربعة ملايين من الجنيهات وانهُ يباح لهُ حينئذٍ ان يحمل اكبر مبلغ يدينهُ لشخص واحد خمسة الآف من الجنيهات

ولكن هب انهُ تمَّ ذلك كلهُ فالفائدة منهُ لا توازي الفائدة من البنك العقاري لاصحاب الاطيان واصحاب اراضي البناء فاولاً ان البنك العقاري يكتفي بفائدة ستة في المئة الى ستة ونصف والبنك الزراعي يأخذ فائدة ثمانية في المئة وهذه الاثنان في المئة تجعل فرقاً يساوي عشرين الف جنيه في كل مليون جنيه يخسرها الفلاح ويكسبها ارباب الاموال

وثانياً ان البنك الزراعي لا يتمهل في استيفاء اقساطهِ ابداً فيضطر الفلاح ان يستدين القسط من تاجر بربا فاحش الى ان يبيع محصولاتهِ والمرجح ان المئة التي يستدينها الفلاح من البنك الزراعي بثمانية في المئة تكلفهُ عشرة او اثني عشر في المئة وهذا غبن فاحش على الفلاح

وثالثاً ان البنك العقاري يسلف اصحاب الاملاك لبناء المنازل فيها ولولاهُ ما عمرت احياء كثيرة في مصر والاسكندرية وكثير من المدن فاذا عجز الآن عن تسليف النقود لاصحاب الاراضي عجزوا هم عن بنائها واستثمار الاموال التي دفعوها ثمنها فتكون الخسارة كبيرة على القطر المصري من جراء ذلك ويبطؤ عمرانهُ ولذلك اسف الجمهور لان الحكومة لم تجد لها سبيلاً لمساعد البنك العقاري ويودون ان تجد سبيلاً آخر بهِ يسهل امداد اصحاب الاطيان واصحاب الاراضي بالاموال التي يحتاجون اليها لاصلاح اطيانهم وبناء اراضيهم بفائدة معتدلة لا تزيد على ستة في المئة

مستقبل زراعة القطن

ان مساحة الاراضي الزراعية في القطر المصري تبلغ ٦٣٨٧١٠٠ فدان منها ٥٥٣٩٦٣٨ تزرع الآن والباقي وهو ١٠٤٧٤٦٢ يقبل الزراعة لو وجدت المياه الكافية لريهِ وهذه الاطيان موزعة في الوجهين البحري والقبلي كما ترى في هذا الجدول

	الوجه البحري	الوجه القبلي	المجموع
الاطيان المزروعة	٣١٣٢٥٣٩	٢٢٠٧٠٩٩	٥٥٣٩٦٣٨
الاطيان القابلة الزراعة	٠٩٣٣٩٨٥	٠١١٥٤٧٧	١٠٤٧٤٦٢
المجموع	٤٠٦٦٥٢٤	٢٣٢٠٥٧٦	٦٣٨٧١٠٠

والاطيان التي زرعت قطناً في العام الماضي نحو ١٦٠٠٠٠٠ فدان وهي نحو ٤٠ في المئة من اطيان الوجه البحري الزراعية ونحو ١٤ في المئة من اطيان الوجه القبلي الزراعية والمجموع نحو ٣٠ في المئة من اطيان القطر. وتقدر مساحة الاطيان التي تزرع الآن قطناً والصالحة لزراعة القطن كلها ٥٦٠٠٠٠٠ فدان فاذا زرع ٤٠ في المئة منها قطناً سنوياً بلغت مساحة زراعة القطن السنوية ٢٢٤٠٠٠٠ فدان واذا بلغ متوسط محصول الفدان اربعة قناطير ونصف قنطار كما في العام الماضي بلغ المحصول كلهُ عشرة ملايين قنطار ولكننا نرجح ان ارباب الزراعة سيجدون انهُ لا يحسن بهم ان يزرعوا القطن في اكثر من ثلث الاطيان الصالحة لزراعتهِ فلا تزيد مساحة زراعة القطن السنوية على مليون ونحو ٩٠٠ الف فدان ويبقى المحصول ثمانية ملايين ونصف الى تسعة ولكن تكون المقطوعية قد زادت كثيراً جدًّا قبلما يبلغ محصول القطن هذا المبلغ



تراجم عظماء المشرق

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الاغر

لا اخفي عنكم عجبي من خطتكم في الاغضاء عن نشر تراجم مشاهير ونوابغ الشرق بالاخص الذين ظهروا في مصر وسوريا. مع ان مقتطفكم سيكون كتاريخ يرجع اليهِ في الاجيال المقبلة لمعرفة ما كنا عليهِ من العلم والمعرفة والشهرة

نشرتم في الماضي سير كثيرين من فلاسفة الغرب وعلمائهِ الذين افادوا العالم والانسانية ثم جعلتم تترجمون بعض من اشتهر من رجال اوربا واميركا تحت عنوان (رجال المال والاعمال) وليس في نشر تاريخ هؤلاء (اي رجال المال والاعمال) فائدة للشرق سوى تشبه ابنائهِ بهم ليقتفوا آثارهم في الكد والعمل

ولكن لا يخفى على حضرتكم ان نقل العدوى من القريب اهون بكثير من الاتيان بها من البعيد. ولا شك ان روح الغيرة تدب في قلب الانسان من اخيهِ وجارهِ بهيئة افعل مما لو جاءتهُ من الغريب البعيد

ونحن والحمد لله لم نحرم رجالاً افاضل حازوا شهرة عالية وافادوا بلادنا فائدة لا يمكن انكارها . واليهم كان يشار بالبنان في كل مكان . وهم اعظم مثال للجد والاجتهاد . وعلى ما افتكر ان سيرهم اولى بالتدوين خصوصاً في بطون التاريخ الشرقي الذي يمثلهُ الآن مقتطفكم الاغر متتبعاً الحوادث وجارياً معها جنباً لجنب

بهذا تنصفونهم وتتممون الغاية التي ترمون اليها من بث روح الجد والاجتهاد . فضلاً عن انهُ يحتم علينا درس ومعرفة سير هؤلاء الافاضل الذين لهم الفضل الاكبر علينا والذين بهم نفتخر

كم وكم من الذين لهم اليد الطولى في نهضتنا العلمية والادبية الاخيرة قد ذهبوا الآن لينالوا اكليل المجد جزاء اعمالهم منهم الصحافي والمحامي والمؤرخ والمصنف والمؤلف والمترجم واللغوي والعالم . وآخرون هم مثال الجد والاجتهاد ولدوا وبعضهم لا يملكون سوى الفقر وماتوا وعندهم الالوف ليس من طريق استبداد او احتكار اومضاربة . بل من طريق الاستقامة والجهاد ولم تجعلوا لهم ذكرًا في مقتطفكم

فهل من العدل ان تبخسوهم حقهم ولا تدونوا تاريخ حياتهم ليكون مثالاً لنا ولابنائنا من بعدنا . ولكي توفوا التاريخ حقهُ . خصوصاً لانكم انتم اولى بهذا العمل من ابناء الجيل القادم لانهم كانوا معاصريكم ومعاشريكم ومشاركيكم سواء كان في العلم او في السياسة وخدمة البلاد ومؤلفاتهم وتصانيفهم وتعبهم وجميع اعمالهم بين ايديكم . فاذا كتبتم عنهم شيئاً يكون لهُ المقام الاول لانكم انما تكتبون ما رأيتموهُ رأي العين او اخذتم عمن رأى

فنرجو ان نرى في الاعداد القادمة ما يسد هذه الثلمة في بناء تاريخ الشرق وبهذا تكون خدمتكم للوطن وبنيهِ اجل واعم

لم اقصد من هذا سوى الفات نظر حضرتكم الى ما اعتقد ان بهِ فائدة عظيمة لنا . فان اصبت المرمى فهذا مشتهاي والاَّ فاني اكون قد كاشفتكم بما في ضميري ودمتم

ابرهيم نقولا يارد

[المقتطف] ان ما ننشرهُ بقلمنا نكتب فيهِ ما نعرفهُ او ما ننقلهُ عن الذين يعرفونهُ . وما ننشرهُ باقلام غيرنا نتوخى ان يكون مما يعلمونهُ هم او مما ينقلونهُ عن العالمين بهِ . فقد ترجمنا الدكتور ڤان ديك والدكتور بلس والدكتور ورتبات والشيخ محمد عبده لاننا كنا من اعرف الناس بهم وبمؤلفاتهم ونشرنا ترجمة المعلم بطرس البستاني والسيد محمد بيرم لان اعرف الناس بهما كتبهما لنا . والقاعدة التي جرينا عليها حتى الآن هي اننا لا نترجم الاَّ الاموات او الاحياء الذين شاخوا وثبتت شهرتهم ولا يخشى ان تنتقض . ثم ان الذين توفوا

ولم تذكر ترجماتهم في المقتطف مع انهم يستحقون ان تذكر فيهِ كان السبب الوحيد لعدم ذكرها اننا نحن لا نعرف من امورهم ما يكفي لترجمتهم والذين يعرفون من امورهم ما يكفي بخلوا علينا بكتابة ترجماتهم وذووهم لم يهتموا بذلك

وكل ما ننشرهُ من ترجمات الاوربيين والاميركيين منقول عن كتب ومجلات موثوق بها بقي الذين لا نعرفهم ولا طالعنا مؤلفاتهم سواءٌ كانوا من ابناء هذا القطر او القطر السوري فهؤلاء لا يجوز لنا ان نترجمهم ونكتب عنهم اموراً قد تكون صحيحة وقد تكون كاذبة لئلا يكون ذلك تضليلاً للافهام. وفوق هذا فان العلم عامٌّ لا شرقي ولا غربي واذا ترجمنا خمسين رجلاً من علماء الغرب قبل ان نترجم رجلاً واحداً من علماء الشرق لا نكون قد بخسنا الشرقيين المعاصرين حقهم لانهُ ليس فينا عالم واحد مقابل خمسين عالماً من علماء الغرب وقس على العلماء رجال السياسة ورجال المال والاعمال. ولا يجوز في شرع العلم ان نستسمن ذا ورم ونموّهُ على انفسنا وعلى الناس

ثم اننا اذا لم نترجم واحداً من الذين يستحقون ان يترجموا لا نكون قد ظلمناهُ لان ليس بيننا وبينهُ عهد اننا نذكر ترجمتهُ حيًّا وميتاً ولا تعهدنا لهُ ولا لغيرهِ اننا نترجم كل مَن يستحق ان تذكر ترجمتهُ في المقتطف حتى نكون قد حدنا عن "العدل" في عدم ذكرنا اياها. وكل ما نحن مرتبطون بهِ للجمهور هو ان نملأ المقتطف بما نحسبهُ نحن مفيداً لهم. ويستحيل علينا ان نجمع فيهِ كل ما هو مفيد ولو كان حجمهُ عشرة اضعاف ما هو. ويستحيل علينا ايضاً ان نجري على رأي كل واحد من القراء. وهل تستطيعون ان تذكروا لنا اسم عشرين رجلاً "من الذين لهم اليد الطولى في نهضتنا العلمية والادبية الاخيرة ومنهم الصحافي والحاني والمؤرخ والمصنف والمؤلف والمترجم واللغوي والعالم ومن الذين ولدوا لا يملكون سوى الفقر وماتوا وعندهم الالوف ليس من طريق استبداد او احتكار او مضاربة بل من طريق الاستقامة والجهاد" ولم نجعل "لهم ذكراً في المقتطف" كما تقولون

ان مَن يقرأ تعدادكم لاوصاف العلماء والفضلاء يحسب اننا فقنا المانيا في عدد علمائنا واميركا في عدد اغنيائنا والظاهر ان مقياس العلم عندكم اوطأ جدًّا مما هو عندنا والاَّ ما كنا نحن وكثيرون غيرنا نشكو دائماً من تأخرنا العلمي ومن انهُ لم يقم منا في العصر الحاضر عالم واحد يقاس بعلماء اوربا واميركا ولا قام منا رجل جمع ثروة بطريق الحلال تقابل بثروة اغنياء اوربا واميركا - اين العالم الطبيعي الذي اكتشف ناموساً من نواميس الطبيعة او حقيقةً واحدةً من حقائقها. اين العالم الفلكي الذي اكتشف نجماً واحداً جديداً او علم امراً

واحداً لم يكن معلوماً · اين اللغوي الذي استنبط حقيقة واحدة جديدة في علم اللغات ووافقهُ علماء اللغات عليها

جاءنا جماعة منذ سنوات برجل برّاد بيدهِ بندقية مثل بنادق رمنتون وقالوا لنا انظروا عدم اعتناء حكومتنا بصنّاع بلادها فان هذا البرّاد صنع بندقية مثل بنادق رمنتون تماماً فلو كان في اوربا فماذا كان جزاؤُهُ من حكومتهِ · قلنا السجن او الغرامة · فبهتوا من ذلك فابنّا لهم ان هذا الرجل منتحل او مختلس فلو صنع هذه البندقية قبل ان صنع غيرهُ مثلها لعدّ مخترعاً اما وقد قلّد تقليداً فهو معتدٍ على حقوق المخترع قبل ان تنتهي مدة امتيازهِ · ولعلّ هذا القول يصدق على كثيرين من الذين تحسبونهم من العلماء المؤلفين

ملك اسوج وتاريخ العرب

حضرة منشئي المقتطف

بعد التحية — قلتم في الجزء الاول من مجلد هذا العام في تأبينكم جلالة ملك اسوج انهُ اهتم بتاريخ العرب قبل الاسلام واقترح على الباحثين تأليف تاريخ لهم وعين جائزة لمن بني كتابهُ بالمراد فلم ينل الجائزة احد

فاخبر حضرتكم ان من الكتب التي قدمت لهذا الغرض كتاب (بلوغ الأرب في احوال العرب) لمؤلفهِ الفاضل السيد محمود افندي شكري الالوسي البغدادي وقد قال بعضهم ان هذا الكتاب نال الجائزة وذكر هذا ايضاً ملتزم طبعهِ في مقدمتهِ فقال

(ولما عرض مع غيرهِ على انظار الامتحان ظهر رجحانهُ وبان واستحق الجائزة والتقريظ ونال بين أُولي الفضل الجاه العريض . الخ)

فهل هذا الكتاب نال الجائزة والتقريظ كما قيل او انهُ لم ينل غير ما جاء فيهِ من التقاريظ الأمل افادتنا ولجنابكم الفضل

عبد الرحيم

اسيوط البيسري

[المقتطف] ان الذي ذكرناهُ هو الصحيح فانهُ لم ينل الجائزة احد ولكن الكتاب الذي تشيرون اليهِ وُجد افضل من غيرهِ فاستحق مؤلفهُ الشكر وأُمر الكونت لندبرج الذي كان قنصلاً جنرالاً لاسوج في مصر ان يكتب اليهِ كتاب شكر ففعل . ونكرر الآن ما قلناهُ مراراً وهو ان تاريخ العرب قبل الاسلام غامض سقيم جداً ولا نرى سبيلاً لمعرفتهِ الاَّ باستخدام جمهور من علماء العاديات ليبحثوا وينقبوا في آثار بلاد العرب لعلهم يكتشفوا ما ينجلي بهِ الغامض كما فعلوا في تاريخ المصريين القدماء وتاريخ الاشوريين والبابليين

باب المسائل

(١) اللوبياء والسوس

كورو بفنزويلا . ضومط اخوان . هل من طريقة سهلة لحفظ اللوبياء من السوس فانها كثيرة في هذه الجهات ولكن ينخرها السوس بعد جمعها بشهر او شهرين

ج ان السوس يكون فراشاً صغيراً يبيض على ظاهر اللوبياء ويتولد السوس من بيضهِ فينخر اللوبياء . فالطريقة لمنع السوس ان توضع اللوبياء في مخازن جافة خالية من فراش السوس ومن الشقوق والثقوب التي يقيم فيها هذا الفراش . ونرجح ان بخار كربتيد الكربون يميت فراش سوس اللوبياء وبيوضهُ كما يميت فراش سوس القمح وبيوضهُ فيحسن ان يجرَّب ذلك بارشاد صيدلاني ماهر

(٢) ماركس ريغوليوس

ود مدني . محمد افندي عارف . قرأت في تاريخ رومية لكرينون ان ماركس ريغوليوس Macus Regulus الذي زحف لفتح افريقية وعاد الى قرطاجنة بعد ان انهزمت مراكب القرطاجنيين التي أُرسلت لعرقلة مساعيهِ في الفتح أُسر عند انهزام جيشهِ في محاولتهِ النزول بقرطاجنة وسجن ثم أُرسل الى رومية لمهمة ارسلهُ اليها القرطاجنيون من جهة ابدال الاسرى ولما لم يفلح رجع الى حيث كان ومات في السجن

وفي تاريخ ميّر Mier العمومي رأيت انهُ رجع وعوضاً عن طلبهِ ما أُرسل من اجلهِ طلب من قومهِ شن الغارة على قرطاجنة واظهر لهم خللها الداخلي ثم رجع واميت شر ميتة سنة ٢٥٦ فاي القولين اصح

ج ان الرواية الثانية صحيحة على اختصارها لكنها لا تنقض الرواية الاولى ولو خالفتها فان ماركس ريغوليوس لم يفلح في ما ارسل لاجلهِ وعاد الى قرطاجنة وسجن ومات . اما تعليل عدم فلاحهِ وشرح كيفية موتهِ معذباً على ما ورد في الرواية الثانية فمنقولان عن وصف شعري

(٣) علامة الظفر

ومنهُ . كان الرومان يثبتون مزراقين في الارض ويضعون مزراقاً ثالثاً فوقهما معترضاً ليمر من تحتهُ الجيش المنهزم علامة الانهزام فهل يوجد عند العرب ما يشابه ذلك

ج لا نعلم ان هذه العادة كانت عند العرب ايضاً ولكن يظهر من عادة اللاعبين بالسيف والترس ان الغالب كان يشهر سيفهُ

فيجر المغلوب من تحته ويدعى عتيق السيف. وكان المغلوب المعفي عنهُ عند العرب يجثو امام الغالب ويلمس طرف ثوبهِ ويقول لهُ ملكت فاسجح اي ظفرت فاحسن العفو

(٤) الاشربة الروحية

مصر · احد المشتركين اتخذ المتفرنجون من المصريين الاشربة الروحية في حفلاتهم وافراحهم كأنها من الضروريات فهل هذه العادة ضمن ما حملهُ الينا المصريون من الغرب وهل هي هناك كما هي عندنا

ج الظاهر انكم لم تسمعوا وصف الخمر الذي يصفها بهِ الشعراء وهو "معتقة من عهد نوح" فاهالي مصر واهالي الشام كانوا يعصرون الخمر ويصنعون الاشربة الروحية على انواعها لما كان اهالي اوربا يأوون الكهوف والحراج ويعيشون بالصيد والقنص ولا خمر عندهم ولا شيءَ من الاشربة الروحية · وترى الصور المصرية القديمة التي نقشت على الحجارة من عهد الفراعنة القدماء منذ اربعة آلاف سنة او خمسة آلاف سنة والناس جلوس فيها حول موائد الطعام رجالاً ونساءٌ والسقاة يديرون عليهم كؤُوس الراح فان كانت امة اقتبست من امة شرب المسكرات فاهالي اوربا اقتبسوا ذلك من اهالي اسيا وافريقية وهذا لا ينفي ان تكون عادة صبّ نوعين او ثلاثة من المسكرات في اكواب على المائدة مقتبسة الآن من الاوربيين لانها شائعة في ولائمهم

(٥) ايمان لورد كلفن

حمص · الخواجه حنا خباز · تكرمتم على قرَّاء المقتطف بترجمة لورد كلفن العالم الانكليزي فهل تجودون علينا بشيءٍ مما تعلمونهُ عن مبادئهِ الروحيَّة اي هل كان يؤْمن وبماذا

ج لما التأَمت جمعيَّة ادنبرج العلميَّة الملكية في ٦ يناير هذا العام قرأ الاستاذ كروم برون تأبيناً للورد كلفن قال فيهِ "انهُ كان شديد الاهتمام بالعلوم المحضة ولكنهُ لم يقصر اهتمامهُ عليها بل اهتمَّ ايضاً بكل المسائل التي تؤَثر في احوال الامم كالتعليم والسياسة والديانة وكان لهُ آراءٌ صريحة في كل موضوع من المواضيع التي يبحث فيها بحثاً دقيقاً وكان يدافع عما يحسبهُ حقًّا اشد الدفاع ولكنهُ كان يحترم آراء خصومهِ ويجامل جميع الناس"

ومعلوم ان لورد كلفن عاش ومات من اعضاء الكنيسة الانجيلية فلا بدَّ من انهُ كان يعتقد اعتقادها او اعتقاد المتنورين من ابنائها لكننا لم نقف حتى الآن على اقوال صريحة لهُ تظهر منها عقائدهُ الدينيَّة

(٦) العلم والدين

ومنهُ · هل يصحُّ ما يصرّح بهِ البعض من ان التعمُّق في العلوم الطبيعيَّة ينافي الايمان

ج كلاَّ لانهُ مهما اتسع علم العالم يبقى يجهل اموراً كثيرة ويبقى مضطرًّا ان يؤْمن بامور يفرضها فرضاً او تدعو الحال الى

وجودها لزوماً ولو كانت غير واقعة تحت الحس

(٧) ازلية المادة

ومنهُ . ايُّ اعقل أنسبة الازلية للمادة ونواميسها ام اسناد وجود المادة الى قوة عاقلة ازلية سنت نواميسها وهي متسلطة عليها

ج انا لا نستطيع ان نتصوَّر الازلية للمادة ولا لغيرها ولا ندري كيف يستطيع الناس ان يتصوَّروها . ولكن اذا فرض فرضان الاول ان المادة وُجدت منذ الازل هي ونواميسها فليس لها موجد والثاني ان الخالق وُجد منذ الازل وهو الذي اوجد المادة ونواميسها . وطُلب منا تصوُّر هذين الفرضين رأينا ان تصوُّر الجزء الثاني من الفرض الثاني اسهل من تصوُّر الفرض الاول كلهِ والجزء الاول من الفرض الثاني . ولعلَّ غيرنا يستسهل تصوُّر الفرض الاول او تصوُّر الفرضين على حدٍّ سوى . ولا ندري لماذا يبحث الناس في امور يصعب عليهم ادراكها وهم يجهلون اموراً كثيرة يسهل فهمها ويهملون اموراً كثيرة يجب عليهم العمل بها

(٨) البابية

توڤو هورزونت باميركا . خليل افندي اسطفان . سمعنا ان بمدينة عكاء فئة دينية تدعى باسم البابيين فهل لكم ان تخبرونا عن تاريخ ظهورها وخلاصة تاريخها

ج قد نشرنا كلاماً وافياً عنها في المجلد العشرين من المقتطف فعليكم بمراجعتهِ

(٩) مخترع المغزل

ومنهُ . من هو مخترع اول مغزل ومن اي عهد

ج ان ذلك مجهول لتوغلهِ في القدم ولا يمكن تحقيق شيء من تواريخ القدماء الاَّ ما كان مكتوباً منها كتابةً فكل ما استنبطوهُ قبلما وضعوا الكتابة لا يعلم تاريخ استنباطهم لهُ والغزل والنسج عرفا قبلما عُرفت الكتابة فلم يحفظ تاريخها ولا عبرة بما نقلهُ القدماء بالتواتر لانهم مزجوهُ بالخرافات ولأن الانسان ميال الى وضع الاقاصيص عمَّا لا يعلمهُ ولو على سبيل التعليل

(١٠) ضرر السعوط

ومنهُ . هل السعوط اخف ضرراً من التبغ

ج نعم

(١١) مرض الدماغ والسكر

طنطا . الخواجا يوسف حديده . انسان اصيب بمرض في دماغهِ بسبب شرب الخمر ثم عالج المرض وشفي تمام الشفاء ولم يشرب الخمر بعد ذلك وهو يستعمل الآن الرياضة البدنية القانونية والغذاء المفيد فهل يبقى معرَّضاً للداء

ج لم تذكروا لنا اسم الداء ولا وصفهُ ولكن ان كان قد شفي منهُ تماماً فهو لم يكن مزمناً بل حادٌّ اي انهُ لم يكن مصاباً من جراهُ بعلة في كبدهِ او قلبهِ او اعصابهِ ولذلك لا

خوف من رجوع الداء اليهِ اذا لم يعد الى شرب المسكرات ثم ان الداء الذي يحدث من المسكرات لا يحدث من غيرها

(١٢) العدد الذهبي

مصر. م. افندي فهمي. ما هو العدد الذهبي في حساب التقويم

ج ان بدر عيد الفصح يختلف وقوعهُ من سنة الى اخرى في مدة ١٩ سنة والعدد الذهبي هو العدد الدال على عدد السنين من هذه المدة وذلك لان كل ١٩ سنة من السنين الشمسية تساوي ١٩ سنة من السنين القمرية وسبعة اشهر فوقها فاذا اضيف سبعة اشهر الى سبع سنوات قمرية في مدة ١٩ سنة قمرية عادت السنة الشمسية والقمرية الى الاتفاق. وقد جعل المسيحيون عيد الفصح في اقرب احد من البدر الواقع بعد الاعتدال الربيعي فما يحدث هذه السنة يحدث مثلهُ بعد تسع عشرة سنة فتكون التسع عشرة سنة دوراً كاملاً والعدد الذهبي يدل على السنة من هذا الدور والعدد الذهبي في سنتنا هذه ٩ اي انهُ مضى ٩ سنوات من هذا الدور

(١٣) السيارات السبعة

ومنهُ. قال القدماء ان السيارات سبعة وقد جمعها بعضهم بقولهِ

تلك الدراري زُحل فالمشتري
وبعدها مرّيخها في الاثرِ
شمس فزهرة عطارد قمرْ
وكلها سائرة على أثرْ

فهل يوافق علماء الفلك المتأخرون على ذلك

ج كلاً فان القدماء الذين قال الشاعر قولهم حسبوا ان الارض ثابتة والشمس والقمر وعطارد والزهرة والمشتري وزحل نجوم سيَّارة تدور حولها. اما المتأخرون فوجدوا ان الشمس ثابتة بالنسبة الى سيارتها وان الارض من جملة السيارات التي تدور حولها والقمر تابع للارض يدور حولها. واكتشفوا سيارين كبيرين وراء زحل وهما اورانوس ونبتون وسياراً صغيراً بين الارض والمريخ وهو اروس. فصارت هذه السيارات تسعةً وهذا ترتيبها من الاقرب الى الابعد

عطارد فالزهرة فالارض فاروس فالمريخ فالمشتري فزحل فاورانوس فنبتون. واكتشفوا ايضاً عدداً كبيراً من السيارات الصغيرة جدًّا تدور حول الشمس وهم يظنون انها من سيار تكسَّر فبقيت كسرهُ تدور حولها

(١٤) اكبر السيارات

ومنهُ. اي السيارات اكبر من غيرها

ج المشتري اكبر السيارات كلها فان قطرهُ ٨٦٥٠٠ ميل ويتلوهُ زحل فنبتون فاورانوس وهاك جدولاً باسمائها واقطارها

المشتري	قطره	٨٦٥٠٠ ميل
زحل	"	٧٣٠٠٠ .
نبتون	"	٣٤٨٠٠ "
اورانوس	"	٣١٩٠٠ "
الارض	.	٠٧٩٢٨ ميلاً
الزهرة	.	٠٧٧ . ميل
المريخ	.	٠٤٢٣٠ ميلاً
عطارد	"	٠٣٠٣٠ "
اروس	"	٠٠٠٢٠ .

فاربعة من هذه السيارات اكبر من الارض واربعة منها اصغر من الارض ثم ان اثنين منها فقط اقرب الى الشمس من الارض وستة ابعد منها عن الشمس

(١٥) اسماء صور السماء

ومنهُ . ذكرتم في الجزء الماضي اسماء بعض صور السماء وبعضها عربي كالدب الاكبر والدب الاصغر وبعضها غير عربي كقيفاوس وبرشاوس وظاهر لفظهِ انهُ يوناني فكيف سمَّى العرب النجوم باسماء يونانية

ج ان العرب لم يسموا النجوم اسماء يونانيَّة ولكن الذين ترجموا كتاب المجسطي من اليونانية الى العربيَّة ترجموا بعض الاسماء وعرَّبوا البعض الآخر فترجموا الدب الاكبر وهو ترجمة حرفية وابقوا على كلمة قيفاوس لانها لا تترجم. والظاهر ان عرب البادية لم يكونوا يقسمون النجوم الى مجاميع كما قسمها المصريون واليونانيون وغيرهم بل كانوا يسمون الكبيرة منها كالسماك الرامح والسماك الاعزل والعيوق والدبران والمجاميع الصغيرة كبنات نعش الكبرى و بنات نعش الصغرى والثريا واولاد الضباع

(١٦) ختوم الخلفاء

مرسين . الخواجا وديع نجار. هل كان الختم مستعملاً في ايام الخلفاء الراشدين وهل كان لابي بكر الصديق ختم وماذا كان مكوباً عليهِ

ج جاء في مقالة نشرناها في شهر فبراير سنة ١٩٠٣ موضوعها خواتم الخلفاء ان خاتم ابي بكر كان (نعم القادر الله) وخاتم عمر (كفى بالموت واعظاً) وقيل (امنت بالله مخلصاً) وخاتم عثمان (لتصبرنَّ او لتندمنَّ) وقيل (امنت بالذي خلق فسوَّى) وخاتم علي (الملك لله) وقيل (ربي الله مخلصاً) وقيل (نعم القادر الله) وزادها السيوطي (تعالى) . وقد جمع ذلك حضرة الباحث المحقق حكمت افندي شريف . ولا نرى في اختلاف الروايات ما يضعفها لان صناعة نقش الخواتم من اقدم الصناعات وقد وجدت خواتم كثيرة عند المصريين والاشوريين منقوشة قبل الهجرة بالوف من السنين ولانهُ يحتمل ان يستعمل الخليفة الواحد خواتم مختلفة في اوقات مختلفة



اليهود في مصر

ظهر من قراءة دروج البردي التي وجدت في جزيرة اصوان انهُ كان لليهود هناك هيكل كبير من عهد الفراعنة وان كمبيسس ملك الفرس ابقى عليهِ لما دوَّخ القطر المصري ولكن الكهنة المصريين خربوهُ قبل المسيح باربعمائة وعشر سنوات فاستمان يهود مصر بكهنة اورشليم ورفعوا الامر الى بجوهي والي اليهودية من قبَل الفرس ليأذن لهم في بنائهِ ثانية . وقد ثبت من ذلك ان اليهود كانوا يبنون الهياكل ويقدمون الذبائح في غير اورشليم

الكسوف الكلي

رُصد الكسوف الكلي الذي حدث في ٢ يناير الماضي في جزيرة الصوان بالباسيفيكي الجنوبي وكانت السماء تمطر عند اول الكسوف ثم انقطع المطر حينما بلغ الكسوف تمامهُ وصُور الاكليل اربع صور والذين رصدوا الكسوف في جزيرة ساموى تمكنوا من قياس الحرارة بالبولمتر مرارًا كثيرة

تجارة اليابان

يظهر النمو العجيب في تجارة اليابان من تقرير مصلحة الاحصاء المصرية عن السفن التي مرت في ترعة السويس في التسعة الاشهر الاولى من العام الماضي فقد كانت السفن اليابانية منها ٤٢ سفينة محمولها ٣٣٤٠١٩ طنًا وهي تضاهي السفن الروسية التجارية لان محمول هذه ٣٣٤٤٣٦ طنًا وتزيد على محمول السفن الايطالية ولكنها لا تزال دون السفن الالمانية والفرنسوية والهولندية والنمسوية

غريبة جبرية

$$16 - 36 = 25 - 45$$

اضف $\frac{81}{4}$ الى الجانبين فتصير

$$16 - 36 + \frac{81}{4} = 25 - 45 + \frac{81}{4}$$

وكل طرف مربع كمية ثنائية سلبية فاذًا

$$(4 - \frac{9}{2})^2 = (5 - \frac{9}{2})^2$$

اي ان $4 = 5$

فهل من رياضي لبيب يبين سبب ذلك او يصحح ما في هذه المعادلات من الخطإ

الاستاذ ينغ

توفي الاستاذ تشارلس ينغ الفلكي الاميركي الذائع الصيت استاذ الفلك في مدرسة برنستن الجامعة في الثالثة والسبعين من عمرهِ وهو ابن الاستاذ ارا ينغ الذي كان استاذ

الفلسفة الطبيعيَّة والفلك في مدرسة دارتموث . الكلية . ولد في ١٥ دسمبر سنة ١٨٣٤ واتمَّ دروسهُ وجُعل استاذًا للفلسفة الطبيعيَّة والفلك بدلًا ابيهِ سنة ١٨٦٦ وانتقل الى مدرسة برنستن الجامعة سنة ١٨٧٧ استاذًا للفلك وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٩٠٥ حين استعفى منهُ وقُدّم لهُ حينئذٍ كاس بديعة نقش عليها باليونانيَّة ما ترجمتهُ " اعلمُ اني مائت وابن يوم ولكنني حينما ابحث في افلاك الكواكب ومداراتها اشعر اني ارتفعت عن الارض وجلست مع زفس نفسهِ واستنشقت نَفَس السماء "

وكان اكثر اشتغالهِ بالمباحث المتعلقة بالشمس فرصد الكسوف الذي حدث في ٧ اغسطس سنة ١٨٦٩ وحقق امورًا مهمة ثم رصد الكسوف الذي حدث في دسمبر سنة ١٨٧٠ في اسبانيا واكتشف فيهِ انقلاب الخطوط المظلمة في طيف الشمس فمنحتهُ الاكادمية الفرنسوية نشان جانسن سنة ١٨٩١ ورصد عبور الزهرة في بلاد الصين سنة ١٨٧٤ وعبورها سنة ١٨٨٢ ولهُ مكتشفات شتى تتعلق بالبحث الطبيعي عن الشمس ومؤلفات كثيرة مشهورة منها كتابهُ عن الشمس وكتابهُ مبادئ علم الفلك ودروس في علم الفلك وعلم الفلك العام ونحو ذلك وقد منح القابًا علمية كثيرة وكان عضوًا في جمعيات علمية عديدة وكانت وفاتهُ في الرابع من يناير

مناجم الذهب

قال المستر ودجنن في مجلة العلم العام ان الذهب الذي استخرج من الارض سنة ١٩٠٦ بلغ ما قيمتهُ ٤٠٧٣٧٩٨٩٣ ريالاً وهي مستخرجة من مناجم الذهب في المسكونة على ما في هذا الجدول

افريقية الجنوبية	١٣٣٦٣٤٥٠٦
الولايات المتحدة والاسكا	٠٩٦١٠١٤٠٠
استراليا وتسمانيا وزيلندا الجديدة	٠٨٢٢٣٧٢٢٨
روسيا وسيبيريا	٠٢٢٤٦٩٤٣٣
المكسيك	٠١٦٦٣٩٣٥٠
كندا ونيوفوندلند	٠١٢١١٦٤٣٢
الهند	٠١١٩٣٥٧١١
اميركا الجنوبيَّة والمتوسطة	٠١٠٩٧٠١٨٧
اليابان وكوريا	٠٠٧٠٠٠٠٠٠
اوربا ما عدا روسيا	٠٠٥٦١٦٠٣٩
الصين	٠٠٤٥٠٠٠٠٠
بقيَّة البلدان	٠٠٤١٦٩٦٠٨
والجملة	٤٠٧٣٧٩٨٩٣

او نحو ٨١ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات المصرية او اكثر من ٨٢ مليونًا من الجنيهات الانكليزية . وذكر هزل في كتابهِ السنوي مقدار الذهب الذي استخرج من مناجم الارض منذ عشرين سنة الى الآن فكان اولاً يساوي نحو ٢٧ مليونًا من الجنيهات ثم هبط الى ٢١ مليونًا سنة ١٨٨٥ وزاد بعد ذلك

رويداً رويداً فبلغ نحو ٣٠ مليوناً سنة ١٨٩٢ ونحو ٤٢ مليوناً سنة ١٨٩٦ ونحو ٦٠ مليوناً سنة ١٩٠٠ ثم هبط في السنة التالية الى نحو ٥٤ مليوناً وعاد الى الزيادة فبلغ ٦١ مليوناً سنة ١٩٠٢ و ٦٧ مليوناً سنة ١٩٠٣ و ٧١ مليوناً سنة ١٩٠٤ و ٧٧ مليوناً سنة ١٩٠٥

طيارة فارمن

صنع المستر هنري فارمن آلة طار بها في ١٣ يناير طيراناً وفى بالشروط الموضوعة لمن ينال جائزة دتش ارتشدبكن فمرَّ بها بين عمودين منصوبين لهذه الغاية ووصل الى الغرض ودار حولهُ وعاد الى المكان الذي طار منهُ وقطع اكثر من كيلومتر في دقيقة و٢٨ ثانية . وآلتهُ مؤلفة من اربعة سطوح متوازية السطحان المقدمان منها طول كل منهما ١٢ متراً وعرضهُ متران والبعد بينهما متران والسطحان المؤخران طول كل منهما ستة امتار وبينهما دفة عمودية وامام السطحين المتقدمين دفة افقية والمحرك الذي يحرك هذه الآلة واناء البترول في صندوق مغزلي في مقدَّم الآلة وقوة المحرك ٤٠ الى ٥٠ حصاناً متريًّا والآلة قائمة على اربع عجلات وطولها كلها عشرة امتار وثقلها ٥٠٠ كيلو غرام ومساحة سطوحها ٥٢ متراً مربعاً وهو يركبها ويجري بها اولاً على الارض كما يجري الطائر الكبير قبل ان يطير حتى اذا ضغطت الهواء بسيرها هذا ارتفعت فيهِ والراكب فيها يديرها كما يشاء

عمل الماس

ادَّعى مهندس كهربائي فرنسوي اسمهُ لموان انهُ اكتشف طريقة لعمل الماس واقنع رجلاً انكليزيًّا اسمهُ السر يوليوس ورنهر بصحة دعواهُ واخذ منهُ اكثر من ستين الف جنيه وكتب طريقة عملهِ في ورقة وضعت في بنك من بنوك لندن . ثم حدث خلاف بينهما وقُبض على المسيو لموان بحجة انهُ خدع السر يوليوس ورنهر . والمسيو لموان يدَّعي ان طريقتهُ صحيحة وانهُ صنع بها كثيراً من الماس ولكنهُ ابى ان يكشف سرَّ عملهِ . وقد شهد كثيرون انهم رأوا المسيو لموان يصنع الماس وفي جملتهم لورد ارمسترنغ فقد قال لمكاتب الدبلي كرونكل ان المسيو لموان اعطاني مسحوقاً فركتهُ باناملي جيداً فلم اجد فيهِ شيئاً ووضعتهُ انا بنفسي في بوتقة فارغة وسددتها ووضعتها في الاتون الكهربائي وكان المسيو لموان واقفاً بعيداً عني ثم اخرجت البوتقة من الاتون حالما اشار اليَّ لاخرجها فوجدت فيها جسماً صلباً مجتمعاً تركتهُ حتى برد امام عينيَّ ثم كسرتهُ فوجدت فيهِ حجارة ماس بعضها تام وبعضها غير تام

ويقال ان المسيو لموان يصنع الماس من

نوع من السكر فان الماس كربون صرف متبلور والسكر مركب كيماوياً من الكربون والماء فاذا امكن ان يذاب بالحرارة ويخرج الماء منهُ ويتبلور ثانية فلا يستحيل ان يصير ماساً ومع ذلك يحتمل ان يكون المسيو لاموان خادعاً وان يكون قد صنع بوائق مبطنة بمادة سهلة الصهر ووضع حجارة ماس تحت البطانة فلما اشتدت الحرارة عليها ذابت البطانة وامتزجت بحجارة الماس

كنز من كنوز ارخميدس

ارخميدس من اشهر علماء الرياضيات عند اليونان وقد كُشف كتاب من كتبهِ في الاستانة سنة ١٨٩٩ على رق عليهِ كتابة اخرى فمضى الاستاذان شوين وهيبرج الى الاستانة واطلعا عليهِ فوجداهُ اربعة اجزاء بعضها معروف من قبل والجزء الرابع منها في تربيع الشكل الشلجمي وفي معرفة الاجرام ومراكز الثقل للكرات والشبيهات بالاهليلجي والشبيهات بالشلجمي والشبيهات بالهذلولي . والطريقة التي جرى عليها في حل هذه المسائل وهي طريقة التناهي سبق بها المتأخرين . ومما يستحق الذكر ان ذلك الفيلسوف اعتمد على قواعد الثقل في موازنة مواد الاجسام المتحركة ولقد رأينا استاذنا المرحوم اسعد الشدودي يجري على قواعد الثقل في معرفة موازنة الاجسام المتحركة ولا ندري هل استنبط ذلك استنباطاً او عثر على نسخة من كتاب ارخميدس هذا

الصور بالتلغراف .

طريقة بلين

شرحنا في العام الماضي طريقة الاستاذ كورن لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف ورسمنا الاجزاء الجوهرية من آلتهِ الا ان طريقتهُ لا ينقل بها غير صور الوجوه الواضحة واما صور الملابس والبلدان والمناظر الطبيعية فلا تظهر بها لقلَّة وضوحها . وقد استنبط رجل فرنسوي اسمهُ ادوار بلين طريقة مثل طريقتهِ ولكنها ادق منها واوفى بنقل الصور المطبوعة وهي مؤلفة من اسطوانة كبيرة تلف عليها الصورة التي يراد نقلها بالتلغراف ويكفي ان تكون مطبوعة على ورقة سميكة والاسطوانة تدور على محورها وتتقدم قليلاً في دورانها كما تتقدم اسطوانة الفونوغراف وامامها قضيب فيهِ قلم لهُ رأس دقيق جدًّا من حجر الصفير فتؤَثر دقائق الصورة في القلم وفي العمود المتصل بهِ تأثيراً يحملهُ المجرى الكهربائي . والتأثير حاصل من ان الاجزاء السوداء في الصورة يكون الحبر سميكاً عليها فتكون اعلى من الاجزاء التي هي اقل منها سواداً . والمجرى الكهربائي او التأثير الكهربائي يصل الى مرآة صغيرة بين لفتين

كهربائيتين لاظهار الاهتزاز وعلى هذه المرآة يجتمع النور الساطع من عدسيَّة كبيرة كما في آلة الاستاذ كورن ثم ينعكس عنها متأثرًا بالمجرى الكهربائي ويمر في لوح من الزجاج مصبوغ بصباغ يتدرَّج من الاسود الى الرمادي فالابيض ثم يمرُّ في عدسيَّة تجمعهُ في نقطة دقيقة جدًّا ومحل اجتماعهِ ثقب ضيق في لوح تماسهُ اسطوانة عليها ورق حساس موضوعة في غرفة مظلمة فيصل النور الى الورق الحساس متكيفًا بفعل المجرى الكهربائي الذي قطعت بهِ الصورة فيؤثر في الورق الحساس حسب الصورة الملفوفة على الاسطوانة الاولى حتى اذا كانت الاسطوانة الاولى في القاهرة والثانية في الاسكندرية ارتسمت الصورة في الاسكندرية على الورق بكل تفاصيلها . والاسطوانة الثانية تدور كما تدور الاسطوانة الاولى تمامًا ولكن يصلح ان تكون قدر الاسطوانة الاولى او اكبر او اصغر ويمكن جعل الصورة الثانية اوضح من الاولى او مثلها او اقل منها وضوحًا حسب لون الجزء الذي يمرُّ النور فيهِ من اللوح المعترض سيرهُ . وقد امتحنت هذه الآلة في دار الجمعيَّة الفوتوغرافية الفرنسوية وكان بين جزئيها لفات من السلك طولها ٧٥٠ ميلاً فكأن البعد بين الجزئين ٧٥٠ ميلاً . ونشرت السينتفك اميركان صورة المسيو بلين بهذه الالة وهي دقيقة واضحة جدًّا وقد ظهر فيها رأسهُ ولحيتهُ وبدنهُ وثيابهُ الى تحت وسطهِ

ترى في الرسم السابق من الاسفل ج الاسطوانة التي توضع عليها الصورة ا وعند د قلم يمرُّ على الصورة و ب المحل المتصل بالقلم و ف بطرية كهربائية و ل ل سلكان كهربائيان و م مرآة و س المصباح الساطع النور و ع اللوح الملون وبعدهُ العدسيَّة التي تجمع النور على الاسطوانة العليا وعليها اللوح الحساس

معرض الخرائط المصرية

عرضت ادارة المساحة المصرية ماصنعتهُ من الخرائط البسيطة والملونة والآلات التي تستعملها في رسمها وطبعها . وكان في المعرض مئات من الرسوم والخرائط والصور الملونة بعضها كبير جدًّا يقاس طولهُ وعرضهُ بالامتار وبعضها صغير دقيق وكلها في منتهى الانقان ولو قوبلت بالخرائط المصنوعة في اوربا

والخرائط على انواع بعضها لحدود الاراضي لا غير وما فيها من العزب والترع والمصارف وبعضها لشكلها الظاهر فيرى ما فيها من الجبال والآكام والمرتفعات والمنخفضات وبعضها لبنائها الجيولوجي فترى فيهِ انواع صخورها وبعضها لما هو مزروع فيها من القطن والفول والقمح والشعير والبرسيم وهذه جديدة وتجدَّد كل سنة . والصور كثيرة الاشكال واكثرها مختص بالمواضيع العلميَّة التي يبحث فيها في هذا القطر كانواع الصخور واشكال الحشرات والامراض التي تعتري النبات

وتمتاز هذه الخرائط بان اسماءها مكتوبة بالعربيَّة بخط جميل فهي غاية ما يحتاج اليهِ وقد شرف الجناب الخديوي افتتاح هذا المعرض وتردَّد عليهِ الزوار كل مدة افتتاحهِ وسروا بما شاهدوهُ فيهِ وهو يعود بالفخر على جناب الكبتن ليونس والرجال الذين يساعدونهُ في هذا العمل المفيد

نور القمر

قاس العالمان متبنس وبرون نور القمر بيطريات من معدن السلينيوم فوجدوا ان نور البدر يساوي نحو ٢٣ في المئة من نور الشمعة وهو تسعة اضعاف نور القمر ابن سبعة ايام وان نورهُ يكون بين الربع الاول والبدر اسطع منهُ بين البدر والربع الاخير

البومة المنيرة

ذكرنا في الجزء الماضي ان السر دغبي بغوت رأى طائرًا يرى ليلاً منيرًا كالحباحب وظن انهُ من جنس من البوم . ثم ثبت انهُ من بوم الاهراء وقال كثيرون انهم شاهدوهُ ينير ليلاً وقد عللت احدى السيدات ذلك بان هذا البوم يجثم على الخشب البالي وفي هذا الخشب مادة فصفورية تنير ليلاً فيتصل بهِ ريش البوم ويتلوث بالمادة الفصفورية فيصير منيرًا

جوائز نوبل

اعطيت جوائز نوبل في الطبيعيات للاستاذ متشلصن من اساتذة مدرسة شيكاغو الجامعة وفي الكيمياء للاستاذ ادورد بختر من اساتذة مدرسة الزراعة ببرلين وفي الطب للمسيو لافران الفرنسوي وفي الانشاء للمستر رديرد كبلنغ الروائي وفي توطيد السلم للمسيو رنول والمسيو مونتا

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

رواية

فتاة الفيوم

الفصل الاول

شركة قارون

وصلت الفيوم نحو الساعة التاسعة مساء ودخلت اكبر نزل فيها مع رفيق لي ولم اكن قد دخلته من قبل فوصلت غرفة المائدة اولاً . كأن سلطان الجوع قادني اليها على غير قصد مني وهي دار كبيرة في الطبقة العليا جانبان منها جداران من جدران النزل وجانبان مجوف متصلة العرى وسقفها مسنم تغطيه مجوف قلدت بها الخيام البلدية وما هي منها في شيء . وعلى الجدارين صور وكتابات تشبه الصور والكتابات المصرية القديمة ولكن نسبة هذه الحديثة الى تلك القديمة كنسبة التراب الى الذهب . فوقفت انظر اليها مدهوشاً ولا اصدق ان ذوق الناس ينحط الى هذا الحد او ان راسم هذه الصور وكاتب هذه الخطوط من نسل صنّاع الفراعنة والبطالسة . وكأن الارتقاء الذي يقول به العلماء ظل منتقل ينبسط على قوم ثم يزول عنهم فيتولاهم الحرض والانحطاط . ولم يكد هذا الخاطر يخطر ببالي حتى نازعه خاطر آخر اذ تمثل لي الفرق الكبير بين هندام الخيام البلدية وانتظام اشكالها والوانها وما تقتضيه من المهارة في قطع رقعها ولفقها وبين هذه الشقق التي ابتيعت كما نسجها النساجون ومدت على السقف والجدارين . فان امراء البلاد واعيانها اكثروا من استخدام الخيام البلدية في حفلاتهم واعيادهم فنشط صنّاعها الى اتقانها وجروا في ذلك شوطاً بعيداً وهذا كان شأن الفراعنة والبطالسة في تشييد الهياكل والمدافن وزخرفتها بالرسوم والنقوش فنشأ عندهم الصنّاع او وفدوا عليهم من البلدان القاصية وارتقت صناعة الرسم والنقش رويداً رويداً حتى بلغت اوج مجدها وكانت ترتقي بارتقاء الدول المصرية وتنحط بانحطاطها . فالاقبال على الشيء والتنافس فيه يزيدان في اتقانه حتى اذا استمرا زمناً صار صناعة وطنية وهكذا ارتقت

الصناعات على انواعها. ولو اهتمّ امراؤُنا واغنياؤُنا بارتقاء صناعاتنا لوجدتها كلها في اوج مجدها. جالت هذه الخواطر في بالي والخادم يبسط السماط على المائدة ويضع عليها الصحاف والاكواب فوضع صحافًا لثلاثة لي ولرفيقي ولثالث فسألتهُ من هذا الثالث فقال مهندس انكليزي . وبعد قليل اجتمعنا على المائدة فتعارفنا حالاً وكان المهندس اولنا كلامًا على غير المعتاد لان المشهور عن الانكليز انهم من ابعد الناس عن المجاملة . فسألني من اين والى اين فقلت من القاهرة الى جهات سنهور فقال وانا ذاهب الى هناك ايضًا لاحقق بعض النقط في مساحة الارض التي اشترتها شركتنا

فقلت اي شركة

قال شركة قارون الم يبلغك خبرها

قلت بلغني الخبر ولكن هل عقدتم الشركة وصدر الامر بها

فقال نعم عقدناها شركة انكليزية مع ان اكثرنا من الوطنيين لكي يكون فيها اسهم تأسيس بعد قرار الحكومة المصرية الاخير وهو منع اسهم التأسيس وانا مستغرب عدم اطلاعك على ذلك

فقلت لقد كثرت الشركات حتى صارت اكثر من الهم على القلب وصار يتعذَّر على المرء ان يطّلع على بياناتها كلها او ان يحفظ اسماءها و يعلم اغراضها فما هو غرض شركتكم لانني نسيت ما هو

فقال انا اشترينا عشرة آلاف فدان على بحيرة قارون اشتريناها من الحكومة المصرية بثمن بخس اوقل بثمن اسمي الفدان بجنيه واحد واخذنا معها التزام صيد السمك من البحيرة ولا يخفى عليك ان بحيرة قارون كانت تغلُّ للخزينة في زمن البطالسة ما يساوي وزنة من الفضة كل يوم او نحو مئة الف جنيه في السنة وكان فيها اكثر من عشرين نوعًا من السمك على ما قالهُ المؤرخون الثقات . هذا كان دخل الخزينة من سمكها في تلك العصور الخالية ونحن الآن في عصر العلم والعرفان وقد اكتشفنا طرق تربية السمك وتفريخهِ حتى من البيض الجاف وجلب بيض الانواع الفاخرة منهُ من اقاصي البحار والانهار وتوليدها وتربيتها حيث نشاءُ فلا يتعذَّر علينا ان نستغلَّ من هذه البحيرة ما يساوي مئتي الف جنيه في السنة سمكًا نبيعهُ في القطر كلهِ ونملأُ بهِ اسواق القاهرة فيكثر الناس من اكلهِ وتزيد كمية الفصفور في ادمغتهم فتقوى عقولهم وتشتد عزائمهم ولا تعود امة تفوقهم في ميدان الحضارة . فنحن عاملون عملاً عظيمًا يعود بالثروة على شركتنا و بالخير الاعظم على البلاد كلها

فقلت هذا من قبيل البحيرة ولكن ما حاجتكم الى العشرة آلاف فدان هل هي ارض زراعية او مرادكم ان تصلحوها للزراعة

فقال كلاَّ هي ارض بور لا تزرع واكثرها عالٍ عن الاراضي الزراعية التي حولها ومرادنا ان نبني فيها مدينة

فقلت مدينةٌ ! مَن يأتي ويسكن هنا منقطعاً عن مراكز التجارة والصناعة

فقال اما من جهة الصناعة فعندنا هنا تربية السمك في البحيرة وصيده منها وتصدير بعضهِ الى العاصمة والى سائر جهات القطر وتمليح البعض الآخر وتقديده ووضعهُ في العلب والبراميل وهذه صناعة واسعة تحتاج الى مئات بل الوف من العمال . وعندنا ايضاً قوة مائية كبيرة فان سطح البحيرة منخفض عن الاراضي الزراعية التي قرب سنهور اكثر من خمسين مترًا ومرادنا ان نبني اقنية كبيرة لماء الصرف ونجرهُ فيها حتى اذا صار على شاطئ البحيرة انزلناهُ في آلات التربين ونأمل ان نولّد قوةً تساوي اربعة آلاف حصان على الاقل وليس في القطر المصري قوة طبيعية غيرها على مقربة من عاصمتهِ فنستطيع ان نعمل بها الوفاً من الاعمال الميكانيكية ولذلك لا تستغرب ان تنشأ صناعات كثيرة في هذه المدينة التي عزمنا ان نسميها مدينة قارون حيث تكون القوة رخيصة او بلا ثمن . ولماذا لا تصير معامل هذه المدينة مثل معامل لنكشير في غزل القطن ونسجهِ وطبعهِ او مثل معامل اليابانيين الذين ظهروا بالامس وهم يناظرون اوربا الآن في اسواق المشرق والمغرب . ثم ما يمنع زرع انواع الفاكهة في اراضي الفيوم الخصيبة حول هذه المدينة والفاكهة كثيرة فيها الآن . وما يزيد منها عن حاجة القطر يقدّد او يسكَّر ويوضع في علب ويباع في هذا القطر ويصدَّر الى سائر الاقطار . فان كنا نحن الانكليز نجلب الفواكه من اسبانيا ونصنع منها المربيات ونتاجر بها فكيف لا يستطيع الناس ان يفعلوا ذلك في القطر المصري والفاكهة حولهم ولا تكاد تنقطع على مدار السنة وبذلك تكون الفائدة من شركتنا صناعية وزراعية وتجارية . وهناك فائدة اخرى لا اظنك تجهلها وهي ان الارض حول البحيرة اخفض من سطح البحر المتوسط بنحو اربعة واربعين مترًا فالهواء هناك كثير الاكسجين فيكون الاكسجين في ما يسعهُ الصدر من الهواء على شاطئ بحيرة قارون اكثر كثيرًا من الاكسجين في ما يسعهُ الصدر من الهواء في العاصمة او في الاسكندرية او غيرها من بلدان هذا القطر او غيرهِ من الاقطار . والاكسجين عنصر الحياة وقوامها وهو الذي يقوي الضعاف ويشفي المرضى ولذلك تصير مدينتنا ملجأً للاغنياء من كل الاقطار يلجأون اليها لتجود صحتهم ويتمتعوا بنعيم الحياة لان نعيمها الحقيقي في جودة الصحة

فضلاً عن ان الهواء هنا معتدل صيفاً وشتاء فلا البرد شديد ولا الحر شديد ولا الغيوم كثيفة تحجب اشعة الشمس وستكون مدينة قارون فردوساً ارضياً ولذلك مرادنا ان نبني فيها لوكندة تكون من اكبر لوكندات الدنيا وقد خصصنا لها مئة فدان من الارض ننشئ فيها الجنائن الغناء والرياض الفيحاء ونخصص منها جانباً للصيد والقنص ونبيح لنازليها ان يصطادوا الطير والسمك و يقيموا في الزوارق ما شاؤوا

فتبسمت وقلت ان آراءك سديدة من وجهتها العلية ولكن العمل قد لا ينطبق على العلم وما غرضك من الذهاب الى هناك الآن

فقال اننا ارسلنا المساحين لمسح الارض ورسم خريطتها وتقسيمها وتخطيط شوارعها حتى ننشر خريطة مصغرة مع لائحة الشركة يوم عرضها للاكتتاب ومرادي ان اشرف على اعمالهم واحثهم على انجازها باسرع ما يمكن

فقلت له كم جعلتم رأس مال الشركة

فقال مليون جنيه مقسمة الى مئة الف سهم قيمة السهم منها عشرة جنيهات وجعلنا لها عشرة الآف سهم من اسهم التأسيس ولم نعطِ اصحاب الامتياز شيئاً من المال سوى النفقات التي انفقوها ثمن الارض و بعض المصاريف الاخرى وقد بلغت كلها ثلاثين الف جنيه واعطيناهم ايضاً نصف اسهم التأسيس ومرادنا ان نستخدم رأس المال كلهُ في تخطيط الارض وعمل الارصفة على البحيرة وانشاء الاماكن لتربية السمك وبناء الفندق الكبير في المدينة وبعض المنازل فيها واصلاح الارض حولها. ونقدّر انهُ بعد سنتين او ثلاث يكون لنا ربح سنوي يساوي عشرين او ثلاثين في المئة من مبيع الاراضي والاطيان والسمك والقوة المائية نوزع منهُ ستة في المئة فائدة للاسهم العادية وما بقي يقسم مناصفة بين الاسهم العادية واسهم التأسيس. ولم نعرض الاسهم للاكتتاب العمومي حتى الآن ولكن الناس يشترون الآن السهم من الاسهم العادية باثني عشر جنيهاً ومن اسهم التأسيس بخمسين جنيهاً واني استغرب كيف انك لم تقف على هذه التفاصيل كلها قبل الآن . اما انا فلست من مؤسسي الشركة ولكن اخي الاكبر لورد مكنزي من مؤسسيها واكبر المساهمين فيها

فعرفت انهُ من ابناء الاعيان ولم استغرب كونهُ مهندساً لان من عادات الانكليز الحيدة ان اعيانهم يعطون املاكهم للبكر من ابنائهم ويتركون بقية الابناء ليسعوا لانفسهم فلا تتوزع ثروتهم وتضمحل

وفرغنا من الطعام حينئذٍ وكنت حين قيامي من العاصمة مصاباً بزكام شديد فرأيت ان

تغيير الهواء قد شفاني منهُ . وكان البرد شديدًا في غرفة المائدة لا احتمل مثلهُ في العاصمة اما هناك فلم أكثرث لهُ فقلت في نفسي قد يكون هذا الرجل مصيبًا في كل ما شرح وتصير هذه المدينة التي عزمت شركتهُ على بنائها ملجأ لكل مَن انحرفت صحتهُ . وعزمت ان ارافقهُ وارى موقع المدينة وامتحن جودة هوائها بالبحث عن الاوزون فيهِ . ونمت تلك الليلة وانا احلم بمدينة قارون وقصورها الشاهقة وفنادقها الفسيح ومصايد الاسماك وبساتين الفاكهة ومزارع البقول ومعامل الغزل والنسج والزوارق والذهبيات تمخر في البحيرة وعليها اهل الغنى والقصوف يغنون و يطربون واذا بهيكل انتصب في وسطها وارتفع منهُ برج شاهق الى السماء وتجلت عليهِ روح رعمسيس الثاني فكتبت على الظلام بحروف من نور سطرًا قرأهُ العارفون بالقلم المصري " العدل يعمر البلاد والظلم يخربها " . ثم استيقظت فاذا الساعة السادسة صباحًا واطللت من شباك غرفتي على ساحة كبيرة يجري نهر يوسف عن يمينها فيسكب النضار في مزارع الفيوم وعليهِ السواقي تئن انين العاشق الولهان وتدور بمائها كما يدور باهلهِ الزمان

الفصل الثاني

على البحيرة

في بيت كبير من بيوت الفيوم القائمة على بحر يوسف رجل واسع الثروة عريض الجاه يملك الوفًا من الافدنة و يديرها بنفسهِ وكان وحيدًا لابيهِ فورث ثروتهُ كلها وزاد عليها بضعة الوف من الافدنة اشتراها من الدائرة السنية واسمهُ ابرهيم بك لبيب ولهُ ثلاثة ابناء يوسف بكرهُ وقد علمهُ صناعة الطب في القصر العيني ثم في مدرسة كمبردج ببلاد الانكليز وامين الثاني وقد علمهُ علم الحقوق في المدرسة الخديوية وارسلهُ الى اكسفرد ليتعلم علم السياسة ورياض الثالث وهو يتعلم الزراعة في المدرسة الزراعيَّة . وقد جرى في ذلك على رغبتهم وحسب اميالهم . وابنة تعلمت عند المرسلين الاميركيين في مدرستهم بالقاهرة ثم اتمت دروسها في البلاد الانكليزية وعادت منها بفتاة انكليزية لتكون رفيقةً لها ومسلية وكان ذلك برأي ابيها ومشورتهِ لان امها ماتت منذ بضع سنوات فخاف ابوها ان تسأم الاقامة في البيت اذا لم يكن لها رفيقة تسليها

وكان امين قد اتمَّ درسهُ واشتهر بخطبهِ الحماسيَّة ضد المحتلين في بلادهم وعاد الى مصر ليسعى الى تعزيز الحزب الوطني واتفق الاولاد الثلاثة واختهم على الخروج الى جهات بحيرة قارون وقضاء يومين او ثلاثة هناك فوافقهم ابوهم على ذلك فارسلوا اليها الخيام مع الخدم

فقاموا في الصباح فامتطوا صهوات الجياد وركب ابوهم مركبة سارت بهِ الى سنهور ثم ركب حماراً حصاوياً الى ان وصلوا الى جانب البحيرة الجنوبي فنزلوا فيهِ وكان الخدم قد نصبوا الخيام واخذوا يعدون الطعام

واتفق وصولنا الى تلك الجهات حين وصولهم اليها وكنت اعرف يوسف وامينا فلما رأياني رحبا بي وعرّفاني بابيهما واختهما ورفيقتها وعرّفتهم برفيقي وبالمستر مكنزي المهندس واخبرتهم انهُ اخو لورد مكنزي مدير شركة قارون فرحبوا بهِ واجلّوا قدرهُ. وكان ابرهيم بك قد سمع عن هذه الشركة واهتمّ بامرها لان اطيانهُ تجاور الاراضي التي اشترتها من الحكومة وكاد يأخذها منها بالشفعة ولكنهُ تنازل عن شفعتهِ لمَّا علم غرضها وانها ساعية الى احياء الارض وانشاء مدينة فيها. فدعونا للغداء معهم فاعتذرنا وكنا عازمين على تناول الغداء في نزل قارون المقام هناك ولكنهم لجُّوا علينا كثيراً فقبلنا دعوتهم واخذت السيدة نزهة ابنة ابرهيم بك تعتذر الينا لانهم لم يحضروا معهم من ادوات الاكل الاَّ الضروري والتفتت الى المستر مكنزي وكلمتهُ بالانكليزية قائلة ان المهندس في هذه البلاد مضطر ان يختبر عيشة البدو فنحن نريك اياها ونطلب منك ان تمارسها معنا وعسى ان لا تستصعبها. فاحمرَّ وجههُ وتلعثم لسانهُ وحصر عن الجواب اولاً ثم قال لا تتعجبي يا سيدتي اذا دهشت وحصرت عن الكلام لان كل ما اراهُ امامي عجيب مدهش ولقد كنت اناجي نفسي قائلاً ترى هل استطيع ان اكلمك وانا لا اعرف كلمة من اللغة العربية فاذا انتِ تتكلمين الانكليزية احسن مما اتكلمها انا ويظهر انكم كلكم تتكلمونها. فقالت نعم حتى ابي

فقال يحق لنا ان نفتخر لان كل اعضاء هذه العائلة الكريمة يتكلمون لغتنا

ثم التفت اليَّ وقال لقد وجدتُ الذين يتكلمون الانكليزيَّة اكثر مما كنت اظن

فقلت نعم ولكن لم يكن الامر كذلك منذ بضع عشرة سنة واتذكر ان احد وجالكم تبرَّع حينئذٍ بجائزة لمن يفوق غيرهُ في اللغة الانكليزيَّة من تلامذة نظارة المعارف فترددت النظارة في قبول الجائزة وعرضها لئلاَّ يقال انها تنشّط تعليم اللغة الانكليزيَّة اما الآن فصار اكثر التلامذة يتعلمونها ويفضلونها على الفرنسوية

فقال امين هم مضطرون لا مختارون فقال لهُ اخوهُ يوسف ولماذا هم مضطرون وهل يفضلون تعلُّم اللغة الفرنسوية لو خُيِّروا ولماذا يفضلونها واللغتان غريبتان عنا واشغالنا التجارية مع انكلترا اكثر مما هي مع فرنسا وقد كانت كذلك قبل الاحتلال. ثم التفت الى المستر مكنزي وقال لهُ ان اخي خصم لكم ولسياستكم في بلادنا وهو من الحزب الوطني. فضحك هذا

وقال اذاً هو صديقي لاني انا من الاحرار ثم صافحهُ وسرنا كلنا الى الخيمة التي فيها المائدة تتقدمنا السيدة نزهة ورفيقتها وجلست امام ابيها على صدر المائدة وجلس المستر مكنزي الى يمينها وانا الى شمالها وتجاذبنا اطراف الحديث وكان باب الخيمة مفتوحاً تجاه البحيرة وهي مبسوطة امامنا كصفيحة من الزبرجد وقد قامت الجبال والآكام على حدها الشمالي كالحراس ونفذت سهام الشمس في الهواء فلطفتهُ وابعدت عنهُ بخار الماء فبانت حدود الصخور والتخاريب. وظهرت الوانهما الصفراء والزرقاء وتشعبت شؤُون الحديث وكان اكثرها دائراً على شركة قارون والمدينة التي يراد انشاؤُها فقال ابرهيم بك ان في اختيار هذا الاسم لها تفاؤُلاً حسناً لان قارون في العربيَّة هو الملك كريسوس عند الافرنج المشهور بغناه . ولم ارَ من المستر مكنزي طلاقة في الحديث كما رأَيت منهُ في الفيوم بل كنت كلما نظرت اليهِ اجدهُ يختلس النظر الى مس برون رفيقة السيدة نزهة وهي مطرقة لا تنظر اليهِ وقد صبغ الحياء وجهها وقلما شاركتنا في الحديث وكأَن ذلك كان على خلاف عادتها لاني كنت ارى ابرهيم بك واولادهُ يوجهون الحديث اليها احياناً كثيرة فتجيب بعبارات وجيزة ولذلك افاضت السيدة نزهة في الحديث. وكان كثيرون من الفلاحين قد اجتمعوا امام باب الخيمة ولاحظت هيئتهم الرومانية وألفتت المستر ماكنزي اليها فان الوانهم بيضاء في الغالب وانفهم اقنى دقيق وشفاههم رقيقة فقالت ولماذا لا يكونون كذلك وكلنا من نسل القواد الرومانيين الذين أُقطعوا الفيوم فسكنوها وتناسلوا فيها. فقلت لها اذاً انت تدرسين تاريخ مصر القديم فقال لي اخوها يوسف انها تدرس التاريخ القديم والتاريخ الحديث وتفتش عن الآثار القديمة وحالما ظهر كتاب الماجور برون عن الفيوم تناولتهُ وطالعتهُ وذهبنا نفتش عن آثار البناء القديم المعروف بالتيه الذي وصفهُ هيرودوتس ابو التاريخ

فقالت نعم ولماذا لا نفتش عن آثار بلادنا السنا احق بذلك من الاوربيين الذين يحثون وينقبون وينفقون الاموال الطائلة . ثم التفتت الى المستر مكنزي وقالت لهُ ان صحَّ ما حققهُ الباحثون في الآثار القديمة فبحيرة الفيوم كانت في عهد الفراعنة عشرة اضعاف ما هي الآن ولم يكن ظاهراً من كل مديرية الفيوم سوى قطعة صغيرة من العدوة الى بهمو فسنهور وابو كساه وسنرو اي الارض العالية وما بقي كان مغموراً بماء البحيرة فلا تنتظروا الآن ان تصيدوا من السمك قدر ما كان يصاد حينئذٍ . قالت ذلك وتبسمت كانها ذكرتهُ بما نشر عن بيان شركتهم على سبيل المزاح

فبهت من كلامها وتلعثم لسانهُ اولاً ثم قال اصبتِ ولذلك ساطلب من الشركة ان

لا تضع مسألة السمك في بيانها. فضحكنا كلنا واتضح لي ان السيدة نزهة مطلعة على ما كتب عن هذه المديرية فارتفع شأنها في عينيَّ وقلت في نفسي ما اقل البنات اللواتي يدرسن درسها ومَن منهنَّ لا تفضل كتب الروايات على كل الكتب التاريخية والادبيَّة وصرت اوجه الكلام اليها كما اوجهه الى احد العلماء

وخرجنا بعد الغداء نتمشَّى حول البحيرة وارانا المستر مكنزي المكان الذي يقصدون ان يبنوا فيهِ المدينة وهو مرتفع ويلي الى الجهة الشرقية فيهِ بعض الحجارة والشقف القديمة. والتفت المستر مكنزي الى السيدة نزهة وقال لها ان وجود هذه الآثار هنا ينقض ما ذهب اليهِ السر همبري برون والاستاذ بتري لان الآثار رومانية وهذا يدل على ان حد البحيرة كان هينا في زمن الرومانيين

فقالت انا كنت اتكلم عن زمن هيرودوتس وهو قبل زمن الرومانيين بقرون كثيرة ثم ما لدرانا ان هذه الحجارة والشقف لم يؤتَ بها من الضفة الشمالية حيث توجد آثار الديماي والارض مرتفعة هناك كما هي مرتفعة في مدينة الفيوم فلم تكن البحيرة تغمرها ولا في زمن الفراعنة

فرأى المستر مكنزي انهُ يكلم فتاة ابرع منهُ في علم التاريخ وعلم الآثار فاعتذر اليها وبقي يحاول الانفراد بمس برون وهي تتجنبهُ الى ان التقى بها وحدها وقال لها ول ول مس برون ما هذا الاسم الم تجدي اسمًا اقل شيوعًا منهُ . فقالت لهُ اسكت والزم الصمت

فقال هاتي اخبريني ماذا جرى وكيف وصلتِ الى هذا المكان فان السر هنري قد اقلق انكلترا وملأ جرائدها بالسؤال عنكِ

فقالت القصة طويلة ولا وقت لي الآن لاقصها عليك ولكن ما لنا ولها ارجو من شهامتك ان تكتم خبري عن كل احد عدني بذلك الآن

فقال اظن ان اباكِ آتٍ الى مصر هو واخي لورد مكنزي فاذا سألني ابوكِ عنكِ فماذا اقول لهُ

فقالت ايصعب عليكم انتم الرجال ان تجدوا الف حيلة للتخلص من الجواب

فقال مهما كان جوابي لا يسالك على السر هنري وانا نفسي اريد ان اعرف سبب اختفائك ومجيئك الى هنا . فقالت عدني الآن انك لا تخبر احدًا بامري اما قصتي فساخبرك بها في وقت آخر

ووصلنا حينئذٍ اليهما وكان لي شغل لا بدَّ من قضائهِ فودعت ابرهيم بك وعائلتهُ ولكنهم لم يسمحوا بذهابي الاَّ بعد ان وعدتهم بان اعود اليهم في المساء واتعشى معهم

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٨ محرم سنة ١٣٢٦

البرتغال وملكها

دعا اغنيال ملك البرتغال وولي عهده الى البحث في بعض المسائل التي تبحث فيها المجلات العلميَّة عادةً مثل تاريخ بلاد البرتغال وحالها من العمران ومذاهب الاشتراكيين والفوضويين عموماً

وتاريخ البلاد يعنينا بنوع خاص لأن الذين مصَّروها اولاً هم اسلافنا الفينيقيون والذين نشروا لواء الحضارة فيها هم اسلافنا العرب ولذلك رأينا ان نقتطف هذه الخلاصة التاريخيَّة قبل الكلام على حال البلاد الحاضرة

بلاد البرتغال في الطرف الجنوبي الغربي من قارة اوربا ومن بلاد اسبانيا المعروفة بشبه جزيرة ايبريا . نزلها الفينيقيون اولاً وعمروها وتغلب عليها ابناؤهم اهالي قرطاجنة ثم اجتاحها برابرة الشمال المعروفون بالفندال الذين نزلوا على المملكة الرومانية في القرن الخامس وتبعهم القوط الغربيون وتلاهم العرب في القرن الثامن للميلاد وبقيت في حوزتهم قرنين ثم لما ضعف شأن بني اميَّة في اواخر القرن العاشر للميلاد او القرن الثالث للهجرة قوي شأن امراء النصارى من القوط الغربيين وسنة ٩٩٧ مسيحيَّة الموافقة لسنة ٣٨٧ هجريَّة استردَّ برمودو الثاني ملك غليسيا المعروفة عند العرب باسم غرسية اول قسم من بلاد البرتغال . وانقضى امر بني اميَّة في اوائل القرن الحادي عشر للميلاد وخلفهم ملوك الطوائف فنهض فردينند الكبير ملك كستيل (قشتالة) وغليسيا (غرسية) واجتاح بيرا (بربة) سنة ١٠٥٥ والميجو وفسيو سنة ١٠٥٧ . ولما آل الملك الى ابنهِ الثاني الفونسو السادس قوي امرهُ اولاً الى ان لقي السلطان يوسف بن تاشفين بالزلاقة فكانت الدائرة عليهِ فاستعان بامراء برغندي فانجدهُ الكونت

ريموند والكونت هنري . وزوَّج الكونت هنري بابنتهِ تريزا والكونت ريموند بابنتهِ الثانية وكان الكونت هنري من ابطال العصر فخلف حميهُ في الاستيلاء على البرتغال ومات سنة ١١١٢ وترك الملك لزوجتهِ ما دام ابنهُ قاصرًا . وشبَّ ابنهُ بطلاً شجاعاً وكانت البرتغال ولاية من غليسيا فجعلها مملكة مستقلة بعد حروب طالت ستين سنة وهو المسمى افنسو هنريكوس ولُقب ملك البرتغال . وبقيت الحرب سجالاً بينهُ وبين المرابطين الى ان انقضى امرهم على يد الموحدين وحاربهُ الخليفة يوسف ابو يعقوب من الموحدين وتغلب عليهِ

ثم ضعف شأن الموحدين بسبب نزاع وقع بينهم فقوي شأن افنسو ثانية واشرك ابنهُ سنكو في الملك وتوفي سنة ١١٨٥ . وصالح سنكو الموحدين واعتنى باصلاح بلادهِ فعمَّر المدن وعزَّز الزراعة وسنَّ القوانين العادلة . وتوالى الملوك من آل برغندي ٤٤٠ سنة وبعضهم من افضل ملوك البرتغال فالفنسو الاول جعلها من الدول البحرية وسنكو بنى مدنها وابنهُ الفنسو الثاني جمع اول مجلس للشورى فيها والفنسو الثالث وسع حدودها الجنوبية واوصلها الى ما هي عليهِ الآن وابنهُ دنس جعلها بلاداً تجارية بحرية وانشأ مدرسة لسبون (لشبونه) الجامعة وخلفهُ ابنهُ الفنسو الرابع الملقب بالشجاع سنة ١٣٢٥ وفي ايامهِ ابتدأت الروابط التجارية بين انكلترا والبرتغال . وانقطعت سلالة آل برغندي الشرعية بحفيدهِ فرديننند الاول فخلفهُ اخوهُ يوحنا سنة ١٣٨٥ وهو ابن غير شرعي لابيهِ واشتهر ملكهُ باصلاح بلادهِ وبالمكتشفات الجغرافية والمشروعات التجارية التي جعلت مملكة البرتغال في مقدمة ممالك اوربا البحرية التجارية . وابنهُ هنري الملقب بالبحار الذي توفي سنة ١٤٦٠ بعث البعوث لاكتشاف البلدان القاصية فضم الى بلادهِ جزائر ازور ومداريا والراس الاخضر وغيرها. وفي ايام خلفهِ يوحنا الثاني طاف برثولوميو دياز حول ظرف افريقية الجنوبي (رأس الرجاء الصالح) وفي ايام منوئيل خلفهِ وصل فسكو ده غاما الى بلاد الهند بحرًا

ثم زادت ثروة البرتغال باكتشاف البرازيل وباستعمار ساحل الهند الغربي فصارت اقوى ممالك اوربا كلها واضحت مدينة لسبون مركز تجارة الشرق في الغرب لكن لم تطل ايام عزها فانها طردت اليهود من بلادها وكانت الاشغال المالية في يدهم وهاجر منها كثيرون من سكانها الى مستعمراتها ثم دخلها ديوان التفتيش وتوالت عليها البلايا وأُسر ملكها سبستيان في افريقية وقتل سنة ١٥٧٨ وخلفهُ عمهُ وبهِ انقرضت سلالة برغندي سنة ١٥٨٠ فتغلب عليها فيليب الثاني ملك اسبانيا وحملت مصائب اسبانيا في حروبها مع انكلترا والمانيا فانتزع الانكليز والهولنديون اكثر املاكها في الهند واميركا الجنوبية .

وبعد ستين سنة تحررت من اسبانيا وملكت عليها دوق برغنزا باسم يوحنا الرابع لكنها كانت قد اضاعت مجدها السالف وخسرت اكثر مستعمراتها ولم يبق لها مستعمرة تستحق الذكر الأ برازيل وبقي الضعف مستولياً عليها الى ان قوي شان نابوليون بونابرت وعزم على استئصال دولتها فهرب ملكها من وجههِ ونقل كرسيهُ الى عاصمة برازيل فضمها نبوليون الى فرنسا ونشأت عن ذلك الحرب بين انكلترا وبينهُ وانتهت بخروج الجنود الفرنسوية من البرتغال وبقي ملكها في برازيل الى ان نشبت الثورة في البرتغال ونودي فيها بحكومة دستورية تشبه الحكومة الجمهورية فاسرع اليها ووقَّع الدستور واعترف باستقلال برازيل وسمي ابنهُ امبراطوراً عليها . وتوالت الحوادث على البرتغال الى ان جلس كارلس الاول على سرير الملك في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٩ وهو في السادسة والعشرين من عمرهِ

ومساحة البرتغال ٣٥٤٩٠ ميلاً مربعاً وكان عدد سكانها منذ ثماني سنوات نحو خمسة ملايين ونصف من النفوس اي اقل من نصف سكان القطر المصري الآن واكثرهم اهل زراعة وصناعة ودخل الحكومة السنوي يبلغ نحو ١٥ مليوناً من الجنيهات ونفقاتها كذلك وقيمة صادراتها نحو سبعة ملايين وقيمة وارداتها نحو ١٣ مليوناً وعليها دين يبلغ ١٨٨ مليوناً من الجنيهات فالبلاد افقر من القطر المصري ودينها اكثر من دينهِ لكن لها مستعمرات واسعة جداً فلها بلاد انغولا في الجنوب الغربي من افريقية مساحتها نحو ٥١٧ الف ميل مربع وعدد سكانها نحو خمسة ملايين من النفوس وهي بلاد غنية يصدر منها البن واللستك والسكر والزيت والعاج

وجزائر الراس الاخضر ومساحتها ١٤٨٠ ميلاً مربعاً وسكانها ١٤٧٤٢٤ نفساً

وبلاد لورنزو مركيز وموزمبيق في شرقي افريقية ومساحتها كلها نحو ٣٠٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين من النفوس وصادراتها السكر والستك والعاج والشمع والحجارة المعدنية

وبلاد غينيا في غربي افريقية ومساحتها ٤٤٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٨٢٠٠٠ وصادراتها الستك والشمع والزيت والعاج

والجزائر التي في خليج غينيا ومساحتها ٤٥٤ ميلاً وعدد سكانها ٤٢ الفاً وقد بلغت قيمة صادراتها منذ سنتين نحو مليون ونصف من الجنيهات

وغوى في بلاد الهند بين مدراس وبمباي ودماو وديو . ومساحة كل ما بقي للبرتغال من بلاد الهند ١٦٣٨ ميلاً وعدد سكانهِ ٥٣١٨٠٠ نفساً

وجزيرة مكاو في بلاد الصين وعدد سكانها ٨٠ الفاً وجزيرة تيمور في ملقا وعدد سكانها ٣٠٠٠٠٠

وجملة السكان في املاكها ومستعمراتها خارج اوربا نحو عشرة ملايين من النفوس فعدد سكانها وسكان املاكها ومستعمراتها خمسة عشر مليوناً

والحكومة دستورية وفيها مجلس اعيان ومجلس نواب وعدد الاعضاء في مجلس الاعيان ٩٠ وفي مجلس النواب ١٥٥ ويحق للملك ان ينقض ما يقرُّ عليهِ المجلسان. وعدد جنودها وقت السلم ٦٢٤٢٧ ووقت الحرب مئة الف واذا دعت الضرورة استطاعت ان تجند ٢٦٠ الفاً وعندها طراد مدرَّع محمولهُ ٣٠٣٠ طنًّا وخمس طرادات محمية وعشرون قارباً من قوارب المدافع محمول الواحد منها من ١٠٠ الى ٨٠٠ طن وقوارب أُخرى من قوارب الطربيد وسفن للنقل والتعليم

والتعليم الابتدائي اجباري في بلاد البرتغال ولكن عدد المتعلمين قليل جداً فقد كانوا نحو ٢١ في المئة من اهلها سنة ١٩٠٠ وفيها من المدارس الابتدائية ٤٥٠٠ مدرسة للحكومة و ١٠٠٠ مدرسة للاهالي ومن المدارس العالية ٤٨ ومدرسة حربيَّة فيها ٢٤٨ تلميذاً ومدارس كثيرة صناعية وتجارية ومدرستان للطب في لسبون واوبرتو ومدرستان للتصوير فيها ومدرسة للزراعة في لسبون ومدرسة للموسيقى ومدرسة جامعة في كومبرا فيها اكثر من الف تلميذ نصفهم لدرس الحقوق والباقون بعضهم يدرس الطب وبعضهم الفلسفة وبعضهم اللاهوت وبعضهم الرياضيات. وميزانية المعارف نحو ٣٦٠ الف جنيه

اما الملك كارلس الذي قتل غيلة هو وولي عهدهِ في ٢ فبراير فولد في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٣ وخلف اباهُ الملك لويس الاول في اكتوبر سنة ١٨٨٩ وكان مشهوراً بقوتهِ العضلية وحبهِ للفنون ومهارتهِ في التصوير والنحت والموسيقى ومعرفتهِ للغات كثيرة فانهُ كان يتكلم سبع لغات وقد ترجم كثيراً من روايات شكسبير الى اللغة البرتغالية . وزوجتهُ الملكة املي معروفة في هذا القطر ومشهورة بجمالها وحبها للاعمال الخيريَّة ولاسيما المستشفيات وهي تنفق من مالها على مستشفى للاولاد الفقراء وعلى مستوصف عمومي ولا تكتفي بالانفاق من مالها بل تمرّض الاولاد بنفسها . لكن الحركة الفوضوية المنتشرة الآن في اوربا لا تنظر الى الملوك من حيث اشخاصهم بل الى نظام الملكية نفسهِ وغرضها محق هذا النظام ولو باغتيال ملكة وديعة مثل امبراطورة النمسا حتى يكره الملوك سرير الملك ويتجنبوهُ. ومهما كان غرض الفوضويين فانهُ لا يبرر اعمالهم الاثيمة

ماذا تأكل وماذا تشرب

قال المستر ستد في مجلة المجلات الانكليزية ان المسيو فينو صاحب مجلة باريس سأل جماعة من مشاهير الفرنسويين عن رأيهم في شرب الخمر وغيرها من المسكرات او المنبهات ونشر اجوبتهم في مجلته في شهر ينابر الماضي . والظاهر انها قديمة لان بعض الرجال المذكورين فيها توفوا منذ مدة وقد لخصها المستر ستد ثم سأل جماعة كبيرة من مشاهير الانكليز من غير رجال السياسة عما يأكلونهُ ويشربونهُ وعما يعدونهُ مقوياً لصحتهم منعشاً لعقولهم ونشر اجوبتهم في الجزء الاخير من مجلته فاقتطفنا منها خلاصة اجوبة اولئك المشاهير من الفرنسويين والانكليز

اجوبة الفرنسويين

❊ رجال العلم ❊ كتب الاستاذ برتلو انهُ يشرب قليلاً من الخمر الممزوجة بالماء الربع خمر والثلاثة الارباع ماء . ولا يكثر من شرب الشاي ولا من شرب القهوة ولا من تدخين التبغ لانهُ لا يحتاج الى المنبهات ولا هو واثق انها تنبه . ويظن ان المسكرات تضرُّ كل احد الاَّ في احوال نادرة

وقال فلامريون انهُ لا يشرب الماء ولا يشرب الاَّ خمر برغندي وقد كان جدهُ من صانعي الخمر وعمَّر نحو تسعين سنة . وهو اي المسيو فلامريون يشتغل من الساعة الثامنة صباحاً الى الظهر ويأكل بيضتين في الصباح ولا يشرب شيئاً

❊ رجال الادب ❊ كتب جول كلارتي ان احسن شغلهِ وهو صائم وان الالكحول لا يذكي القريحة وان اذكاها فالى مدة وجيزة يعقبها الخمول . وقال زولا انهُ لا يشرب الاَّ الماء وان احسن شغلهِ في الصباح وهو صائم . وقال في مكان آخر انهُ لا يدخن التبغ . وارنست اربر سار في خطة زولا فبلغ التسعين من العمر . وجان رشبن لم يشرب المسكرات مطلقاً ولا يشرب الاَّ الماء ممزوجاً بقليل من عصير الليمون . وهو يظن ان الالكحول سيرد الامم الى التوحش ويحط الانسان عن المقام الذي بلغهُ فوق المخلوقات . وقال هنري لافدان ان الالكحول سم زعاف وخير شراب يشربهُ الانسان لانعاشهِ هو الماء . وقال فكتورين ساردو ان الالكحول سم وهو يشرب بدلاً منهُ فنجاناً من القهوة ثلاثاً في النهار . وقال فردرك مسترال انهُ يشرب قليلاً جداً من الخمر على الطعام وهو الآن في السابعة والسبعين من عمرهِ وعندهُ ان الالكحول يضعف القريحة وقد عاش ابوهُ ثمانين سنة ولم يشرب الاَّ قليلاً من الخمر ممزوجةً بكثير من الماء وعاشت امهُ اكثر من ثمانين سنة ولم تشرب الاَّ

الماء . وقال بول بورجه ان الاشربة الروحية تعيق تشغيل العقل مهما كانت كميتها قليلة .
وقال جول له ماتر انهُ لا يرى فرقاً في اشغالهِ العقليَّة التي اشتغلها وهو يشرب قليلاً من الخمر
والتي اشتغلها بعد ان ترك الخمر واقتصر على شرب الماء . وقال ملشيور ده فوجه انهُ يشرب
الماء والخمر ولكنهُ اشار على الكتَّاب الشبان ان لا يشربوا الاَّ الماء اذا كان بهم ضعف هضم
او ضعف عصبي واشار عليهم ايضاً ان ينقطعوا عن الاشغال العقليَّة اذا كانوا كذلك ولكن
اذا كان الشاب سليماً من كل آفة معتدل المزاج فليشرب ما شاء

وقال بول مرغريت ان الالكحول لا يزيد المقدرة على الاشغال العقلية . وقال اخوهُ
فكتور انهُ لا يشرب الاَّ الماء لانهُ يعتقد ان الالكحول من اشد البلايا على نوع الانسان
لكنهُ لا يحرّم شرب القليل من الخمر في بعض الاحيان فان الخمر تنعش ولكن الالكحول
يميت. وقال بيرلوتي انهُ يكاد يكون مسلماً فانهُ لم يشرب الخمر ولا البيرة ولا شيئاً من الاشربة
الروحية . وقال موريس باره انهُ يشرب الخمر ممزوجة بالماء وقلما يشرب البيرة ولكنهُ لم
يشرب الالكحول قط . وان المنبهات على انواعها غير لازمة لمن يشتغل اشغالاً عقلية .

❖ المصورون والنقاشون ❖ كارولس دوران لا يشرب الاَّ الماء . وبوغرو بقي مقتصراً على
شرب الماء الى ان صار عمرهُ ٢٥ سنة ثم مضى عليهِ خمسون سنة وهو يشرب قليلاً من الخمر وعاد
بعد ذلك الى الاقتصار على الماء . ومدح اوغسط رودين شرب الخمر وقال ان الامتناع
عنها ناتج عن انها ليست نقية . وجول برتون يشرب كل يوم كأساً من الخمر ونصف لتر من
البيرة . وقال جيروم ان المصورين لا يستطيعون شرب المسكرات لانها تحط قوام العقلية .
وقال بنيامين كونستان انهُ يفضل الشاي كثيره وهو يشربهُ سخناً ولو في فصل الحر . وقال
دغنان بوفر انهُ يشرب الماء والخمر والبيرة ولا يعلم هل تنفعهُ او تضرهُ . وقال اوجين كاريز
ان الالكحول ضار جداً

❖ الموسيقيون ❖ قال سان سين انهُ يخاف من الالكحول ولكنهُ يشرب القهوة احياناً
ويفضل الماء القراح على كل شراب آخر . ومسان لا يشرب الاشربة الروحية . وشارل لكوك
يشرب قليلاً من البيرة والخمر ولكنهُ قال ان المنبهات تضر الموسيقيين .

هذا من قبيل الفرنسويين اما مشاهير الانكليز الذين سألهم المستر ستد فقد نشر
اجوبتهم ووصف كلاً منهم وصفاً موجزاً قبل ان ذكر جوابهُ وهاك خلاصة ما ذكرهُ

السر ثيودر مارتن

ولد سنة ١٨١٦ ولا يزال متمتعاً بالصحة التامة وهو مؤرخ وشاعر وفيلسوف وهو الذي

اختير لكتابة سيرة ابي ملك الانكليز وقد قال في جوابهِ للمستر ستد انهُ يأكل السمك والطير واللحم وطعامهُ قليل وهو حريص على ان يكون مطبوخاً جيداً ويتجنب التوابل لانهُ يكرهها ولا توافقهُ فيقتصر على الطعام البسيط وعلى الاعتدال فيهِ ويشرب قليلاً من الخمر الممزوجة بالماء وقد قلَّ شربهُ لها رويداً رويداً بعد ان اكتهل . ومنذ عشرين سنة الى الآن صار يكتفي بكاس من الخمر (بورت) ممزوجة بكثير من الماء . وقد وجد ان فنجان القهوة احسن منعش يرد القوة بعد الاشتغال العقلي الشاق . وهو يكره التبغ ولا يحتمل رائحتهُ . ولقد اشتغل اشغالاً عقلية شاقة ولم يرَ نفسهُ محتاجاً الى شيء من المنبهات . وبقيت قوتهُ العقلية على مضائها لانهُ صحيح البنية محبٌّ للشغل معتدل في المعيشة

الدكتور الفرد رسل ولس

هو اكبر علماء الطبيعة لانهُ الآن في السادسة والثمانين من عمرهِ وهو قسيم داروِن في مذهب النشوء ومن الاحرار المتطرفين ويكاد يكون من الاشتراكيين ولا يزال من ابلغ الكتَّاب على ما بلغهُ من الشيخوخة . وقد قال في جوابهِ انهُ كان يأكل من كل طعام يقدم اليهِ في السبعين السنة الاولى من عمرهِ ويحب الفطائر والمعاجين ثم اضطرَّ ان يترك الاطعمة النشوية ويقتصر على وجبة واحدة في النهار من اللحم المطبوخ جيداً فشفي من الربو المزمن وكان يشرب الخمر والبيرة بالاعتدال الى ان صار عمرهُ ٢٥ سنة فانقطع عنهما تماماً . ولم يدخن التبغ قط ولكنهُ يشرب الشاي والقهوة ويرى انهُ يشتغل احسن في الصباح والمساء بعد فنجان من الشاي

السر وليم هجنس

هو اكبر علماء الفلك لانهُ الآن في الرابعة والثمانين من عمرهِ . قال انهُ يأكل قليلاً من اللحم مرةً في النهار وكثيراً من الخبز الجيد والاطعمة النشوية ويشرب رطلاً من اللبن ويأكل الفواكه في ابانها والخضر الطريئة ويشرب القهوة واللبن في فطورهِ والشاي الصيني بعد الظهر وقلما يشرب غير الماء ولا يدخن التبغ مطلقاً

المستر وليم روستي

هو شاعر ومصور ولد سنة ١٨٢٩ فيكاد يبلغ الثمانين قال انهُ يأكل الى حد الشبع واكلهُ معتدل ولا يعاف شيئاً فيأكل اللحم والسمك والخضر ويحب الكعك والحلوى . وقد اصيب بالنقرس منذ سنة ١٨٧٨ فاضطرَّ ان يحتمي مدة سنتين ثم ترك الحمية لانهُ رأى النقرس قد زال او توقف . وكان يشرب رطلاً من البيرة كل يوم الى سنة ١٨٧٩ فتركها حينئذٍ

بسبب النقرس ولم يعد اليها فلا يشرب الآن الاَّ الماء ويشرب ايضاً الشاي والقهوة واذا دعت الضرورة الى شرب كاس من الخمر شربها · ويكثر من تدخين التبغ من الصباح الى المساء ولا يظن ان التدخين اضرَّ بهِ اقل ضرر الاَّ في عدم انتظام هضمهِ

السر وليم كروكس

هو من اشهر علماء الكيمياء والطبيعة وهو الآن في السادسة والسبعين وقد اجاب انهُ يأكل ما يريد من غير حساب ولكنهُ معتدل في اكلهِ ويشرب الخمر ويدخن التبغ وصحتهُ جيدة دائماً

لورد روبرتس

هو اشهر قواد الانكليز الآن ولد في بلاد الهند منذ ست وسبعين سنة وانتظم في الجندية وعمرهُ ١٩ سنة وامتاز في كل المعارك التي حضرها وهو يرى وجوب الاعتدال في الاكل والشرب والامتناع عن التدخين او الاقلال منهُ

السر هنري رسكو

هو ايضاً من اشهر علماء الكيمياء ولد سنة ١٨٣٣ ويرى وجوب الاعتدال في الاكل وقال انهُ ممنوع عن شرب الخمور لانهُ مصاب بالنقرس وعندهُ ان الاشربة الروحية تضرُّ من يشتغل اشغالاً عقلية وان اليونان اصابوا في قولهم ان الماء افضل كل شراب · وهو يدخن التبغ باعتدال ومن رأيهِ انهُ يجب منع الصغار عن التدخين

لورد افبري

وهو المعروف ايضاً عند قراء المقتطف باسم السر جون لبك العالم الطبيعي صاحب كتاب مسرات الحياة · وقد اجاب انهُ يأكل الطعام البسيط ولا يكثر منهُ ويشرب قليلاً من الخمر او البيرة ولا يدخن

السر جون غورست

هو والد السر ألدن غورست ومن رجال السياسة المشهورين ولد سنة ١٨٣٥ · قال انهُ لما بلغ الستين من عمرهِ استشار السر وليم جنر الطبيب المشهور عما يجب ان يفعلهُ لحفظ صحتهِ فقال لهُ نم كل يوم ثماني ساعات كاملة ولا تنهض من فراشك قبل ان تتمها الاَّ اذا احترق بيتك · وليس المراد ان تبقى نائماً كل هذه المدة بل ان تبقى في فراشك ولو كنت مستيقظاً تقرأ كتبك وجرائدك · فعمل حسب قولهِ وانتفع بهِ جداً واشار بالاعتدال في الطعام وتقليل اللحم كلما تقدم الانسان في السن وبالاقتصار على شرب الماء وبالامتناع عن التدخين

اصل النبط في البتراء

تابع ما قبله

كنت أُقدّر أني انهي هذه المقالة في العدد الماضي من المقتطف ولكنَّ الكلام تغلغل بي الى اكثر ما قصدت اولاً فاستهوتني حروب نبوخذنصر في اليهوديَّة الى ذكر مسائل كثيرة رأيتها تُستنتج من كتابات ارميا النبي التي راجعتها في اثناء كتابتي القطعة المارة · وقد راجعتها لا لانها كتابات مقدسة فقط بل لانها ايضاً كتابات رجل معاصر فينبغي الاعتماد عليها والوقوف بها كما يعتمد على الآثار المخطوطة في الاجر البابلي بل هي من بعض الوجوه احرى بالوثوق من كتابات الاجر التي سطرها ملك بابل عن نفسهِ او سطرها لهُ قوم من مؤرخيهِ لان هولاء كانوا يتزلفون الى مرضاتهِ باعظام شأنهِ والاطراء لهُ على ما أتى بهِ سواء كان ما اتى بهِ يستحق الاطراء او لا يستحقهُ على حين ان النبي ارميا لم يدفعهُ الى كتابة ما كتبهُ من اخبار الملك شيءٌ من هذا ولذلك هي كما قلنا احرى بالوثوق من كتابات المعاصرين من اهل بابل ايٍّ كانوا ومهما كانت صفتهم

كانت بابل في ايام عظمتها الاولى متقدمة على نينوى فلما تقدمتها نينوى عظم عليها ذلك وحاول ملوكها او ولاتها او اهلها مراراً ان يرجعوا بها الى سابق عهدها من العظمة والسودد فلم يفلحوا الى ان قام نبوبلاسر فاستغنم فرصة انحطاط الاشوريين وحالف الماديين عليهم على ان يكون هو وارث عن اشور وولاياتها في الجزيرة العراقية وجميع البلاد غربي الفرات بل في مصر وبلاد العرب ايضاً فترجع بذلك بابل الى عزها ومكانتها الاولى قبل ان بلغت نينوى ما بلغتهُ في ايام ملوكها العظام الذين كانوا من كبار قادة العصور الخالية

فلما كانت موقعة كركميش وانتصر نبوخذنصر ذلك الانتصار العظيم على فرعون نخو وجيوشهِ رأى في انتصارهِ ما يحقق لهُ تلك الاماني التي كانت تجول في خاطر ابيهِ فشمَّر لتحقيقها وما زال يحارب حتى رأى عاصمتهُ مدينة العلم والغنى والدين والسلطة وبعبارة اخرى اعظم مدينة في تلك الايام فانهُ اخضع لسطوتها الجزيرة العراقية والديار الشاميَّة من كركميش الى غزة بما فيهِ بادية الشام من الابلة الى ايلة وجعلها كلها ولايات بابليَّة تدين بطاعتهِ وتؤدي اليهِ الجزية

وحارب العرب ايضاً في بلادهم فوطئ نجداً والحجاز واستلحم اهلها من العرب العدنانيين ودوّخ تهامة واليمن وجعلها من ولاياتهِ واسكن قومهُ من تجار البابليين والكلدان في قلب اليمن في مخلاف جيران وحقل قتاب وفي اكثر الفرض البحرية من المنجم الى ايلة فضلاً عن

انهُ اخضع عمان وارض البحرين · وكانت آخر بلاد حاربها مصر فتغلب على اهلها واذلهم لسطوتهِ ورجع من هناك بالاسلاب والغنائم الكثيرة

ومما هو محقق لا يرتاب فيهِ انهُ حارب الادوميين وخرَّب جبلهم سعير · وقد مرَّ بنا اشارة النبيين ارميا وحزقيال الى الادوميين وما توعداهم بهِ من الخراب والدمار عن يد نبوخذنصر . فتم هذا الوعيد وكانت جبال عيسو خراباً وميراثهُ لذئاب البرية في ايام ملاخي (انظر هذا السفر الاصحاح الاول)

لم تطل ايام نبوخذنصر بعد ان دوَّخ مصر حتى مضى في سبيلهِ ولكن لم يقم بعدهُ مثلهُ على بابل وربما لم يقم قبلهُ من هو اعظم منهُ الَّا ان يكون الملك حمورابي

وكذلك لم تطل مدة الدولة البابليَّة بعد وفاتهِ الَّا نحوًا من ثلاثين سنة .غزا الفرس بعدها بابل تحت قيادة كورش فافتتحوا المدينة وافتتحوا بافتتاحها كل الولايات البابليَّة التي كانت لنبوخذنصر لان هذه جميعها خضعت للفرس من غير ان يُرى عليهم سهم واحد في كل عَبر النهر حتى الصوريون كانوا يأتون بخشب الارز من لبنان حسب اذن كورش ملك فارس لهم (انظر سفر عزرا الاصحاح الثالث)

وبقيت لغة الدواوين في الدولة الفارسيَّة على عهدها في ايام نبوخذنصر اي اللغة الارامية فكانت القيود والسجلات والمعاريض تُكتب فيها وتترجم اليها ايضاً· وقد ذكرنا ما ذكرناهُ توطئةً للقول ان هيئة البلاد في فلسطين وشمالي العربيَّة لم تتغير في ايام الدولة الفارسيَّة عما كانت عليهِ في ايام نبوخذنصر بل بقيت على حالها نسخة واحدة الى ان قامت دولة اليونان

ولما قام الاسكندر الكبير وغزا مملكة فارس خضعت لهُ امم سوريا وفلسطين التي كانت خاضعة للفرس لم تقم امةٌ منها في وجههِ الَّا الصوريون ثم مات الاسكندر واقتسم قوادهُ البلاد · وكان من جملتهم انتيغونوس وابنهُ ديمتريوس وعلى عهد هذين نحو ٣١٦ ق·م ذُكرت مدينة البتراء وكانت حينئذٍ مدينة قوية ذات غنى وتجارة تتجاسر دون غيرها من المدن على مقاومة ديمتريوس بن انتيغونوس وكان اهلوها يعرفون بالنبطيين وكانوا متميزين عمَّن سواهم من بقية الامم اعني الادوميين والموابيين والعمونيين والعرب واليهود· وواضح مما ذكرناهُ سابقاً انهم اي النبطيين لم يكونوا في البلاد ايام الفتح البابلي ولا استجدُّوا فيها على عهد الدولة الفارسيَّة فلم يبقَ لنا الَّا القول انهم نزلوا البتراء في ايام نبوخذنصر وانهم جاءوا من بابل وجوارها لان لغتهم كانت اللغة الارامية

والنظر الآن فيما يؤيد هذا المدَّعى ولا بدَّ في تأييدهِ من الاستناد على سندٍ تاريخي

وهذا السند لا نعدمهُ في اسفار المكابيين فان السفر الاول من هذه الاسفار يذكر لنا الانباط في ايام يهوذا المكابي واليك ما جاء لصاحب هذا السفر

قال في الاصحاح الخامس والعدد ٢٤ و٢٥ ما نصهُ

واما يهوذا المكابي ويوناتان اخوهُ فعبرا الاردن وسارا مسيرة ثلاثة ايام في البرية فصادفا النبطيين (النباطيين) فتلقوهما بسلام وقصوا عليهما كل ما اصاب اخوتهما في ارض جلعاد وان كثيرين منهم قد حُصروا في بصرة وباصر وعليم وكسفور ومكيد وقرنايم وكلها مدن حصينة عظيمة وانهم ايضاً محصورون في سائر مدن ارض جلعاد والقوم مستعدون لمحاصرتهم غداً في الحصون والقبض عليهم وابادتهم جميعاً في يوم واحد — الى ان يقول — فارسل يهوذا رجالاً يكشفون امر الجيش فاخبروهُ قائلين ان جميع الامم التي حولنا قد انضمت اليهم وهم جيش عظيم جدًّا وقد استأجروا العرب يظاهرونهم ونزلوا في عبر الوادي

وجاء ايضاً في الاصحاح ٩ والعدد ٣٣ — ٣٥ وبلغ ذلك يوناتان وسمعان اخاهُ وجميع من معهُ فهربوا الى برية تقوع ونزلوا على ماء جب أسفار وارسل يوناتان يوحنا اخاهُ بجماعة تحت قيادته يسأل النبطيين اولياءهُ ان يعيروهم عدتهم الوافرة

والذي يظهر من الاعداد التي ذكرناها . اولاً ان النبطيين كانوا اولياء ليهوذا المكابي واخوته . ثانياً انهم امة غير العرب وغير الموابيين والعمونيين والادوميين . ثالثاً ان مركزهم كان يبعد ثلاثة ايام في البريَّة شرقي الاردن من حيث عبر المكابي بقرب اريحا . رابعاً ان قد كان عندهم عدة وافرة يمكنهم الاستغناء عنها واعارتها . وكل ذلك يشير الى انهم كانوا في البتراء قرب بصرة او باصر لان هذه المسافة اي ثلاثة ايام لا تنطبق على مدينة غير البتراء ويشير ايضاً الى انهم كانوا تجارًا لان عندهم كثيرًا من الاسلحة يستطيعون ان يعيروها

ومن يراجع سفر المكابيين في الاصحاح الخامس يرى ان اول مدينة وصلها يهوذا واخوهُ بعد ان تركها اصحابهم النبطيون كانت مدينة باصر او بصرة ثم انصرفا من هناك الى المصفاة وهذا لا يدع مجالاً للشك ان النبطيين كانوا في البتراء لان باصر او بصرة اقرب مدينة اليها اذا توجه اليها جهة البريَّة

ثم يظهر لنا من مراجعة تاريخ يوسيفوس انهُ كان يعتمد على سفر المكابيين وقد تابعهُ حرفاً بحرف ومآل هذه المتابعة انهُ كان يعرف النبطيين المشار اليهم وانهم قوم متميزون عن الادوميين والعرب والعمونيين وكتاباتهُ صريحة ان البتراء كانت مدينتهم وانهم ما زالوا على استقلالهم عن العرب الى ايام اسكندر جانيوس بن ارستوبولوس بن يوحنا هركانوس ابن

سمعان اخي يوناتان ويهوذا المكابي فانهُ بعد وفاة هذا الملك اليهودي ورد اول ذكرٍ يفهم منهُ ان الانباط او النبطيين في البتراء خضعوا للعرب وكان لارتياس ملكهم قصر فيها اي في البتراء . ومن ذلك الحين فما بعدهُ اخذ ملوك العرب الارتياسيون (اي الذين اسماء ملوكهم اغلبها ارتياس او حارثة) يُلقبون ملوك النبط ويُطلق عليهم تارة لقب ملك العرب واخرى ملك النبط ومع ذلك كان ظاهرًا جليًا ان الجنسيَّة مختلفة بين العرب والنبط وإن كان الملك واحدًا . وما زال الامر كذلك الى ان انقرض ملك هولاء من البتراء وجُعلت ولاية رومانية سنة ١٠٥ بعد المسيح

ماذا يعرف مؤرخو العرب عن النبط

يعرف العرب ومؤرخو العرب ان النبط غير العرب وانهم كانوا يسكنون ارض البحرين وسواد العراق وأن كان منهم قوم يعرفون بانباط الشام وانهم كانوا في عمان ايضًا وفي قلب البلاد اليمنيَّة في حقل قتاب واعالي جهران اما في عمان فاستعربوا واما في ارض البحرين فمع ان العرب ازالوهم من هناك وسكنوا مكانهم في هجر البحرين وذلك في بدء التاريخ المسيحي او قبله بمدةٍ غير معروفة الاَّ انها ليست طويلة عاد الانباط فكثروا في ارض البحرين حتى غلبت نبطيتهم على عروبية العرب وعليهِ المثل المشهور المتواتر عند العرب اهل عمان نبط استعربوا واهل البحرين عرب استنبطوا . وفي اول الفتوحات الاسلامية كانوا يسمون الموالي ايضًا وكانوا في سواد العراق من البصرة الى الكوفة

وكان اكثر اصحاب الصنائع وارباب التجارة هناك منهم واشتهر بعضهم بالبخل وقرض الاموال بالربا لروساء القبائل العربيَّة واشتغل بعضهم بالعلم والفقه وكان منهم كثيرون من علماء النحو واللغة واستقضي منهم جماعة منهم نوح بن درّاج . وكانوا يعيَّرون بجهل انسابهم وعليهِ يروى الحديث عن الامام عمر بن الخطاب لا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن نسبهِ قال انا من بلد كذا . وبالاجمال نقول ان العرب يعرفون الانباط معرفة تامة لا اشتباه فيها منذ اوائل التاريخ المسيحي الى اليوم وليس منهم من يشتبهُ عليهِ الفرق بينهم وبين العرب . لكن ليس من ينكر ايضًا ان الانباط هم والعرب من الفصيلة الساميَّة فان العرب يرجعون الى سام عن طريق يقطان بن عابر بن شالح بن ارفكشاد والنبط يرجعون اليهِ رأسًا فانهم اولاد ارام بن سام وقد اختلط هؤلاء الاراميون من عهد بعيد جدًّا بالعرب وامتزجوا بهم في الديار البابلية فانقلب العرب هناك انباطًا وانقلب النبط في شبه جزيرة العرب عربًا . قيل ويرجح هذا القول ان الكلدان في عهد نبوخذنصر كانوا عربًا سكنوا بلاد

بابل ويظنّ البعض انّ لفظ الكلدان محرّف عن بني خالد قبيلة لا تزال عرباً الى حدّ هذه الساعة في تلك الجهات قرب الخفير وما يجاوره

عود على بدء

قام نبوخذنصر على عرش بابل نحو سنة ٦٠٧ قبل المسيح فوجّه غزواته الى الحجاز ونجد واستلحم العدنانيين هناك حتى كادوا يفنون وضرب الادوميين وخرّب جبلهم سعير واخذ منهم مراكزهم التجارية التي كانوا اقاموها بين ايلة وخليج فارس وكان قبل ذلك حارب ابناء عمهم في اليهودية واجلا قسماً كبيراً منهم الى بلاد بابل وهرب كثيرون ممن بقي الى ارض مصر فقلّ الساكن في بلادهم وكانت اخصب بالطبع من اكثر اراضي ادوم فانتقل كثيرون من الادوميين وسكنوا في جنوبي يهوذا الى مدينة حبرون المعروفة اليوم بالخليل ولما اشتدّ عليهم نبوخذنصر واخذ مدينتهم سالع (البتراء) وما سواها من المراكز التجارية في تيماء والحجر تهارب كثيرون من وجهه وسكنوا في اليهودية ايضاً وخلت بلادهم من كثيرين منهم . وقد المحنا ان نبوخذنصر كان تاجراً وملك قوم تجار وانهُ قصد ان يحوّل وحوّل طريق التجارة عن ايلة والسويس الى عاصمة بلاده . فمن المستحيل اذن ان يخرب المراكز التجارية بين خليج فارس وشواطئ المتوسط فلا بدّ اذن من ان يكون بعد حروبه في شمالي العربيَّة قد اسكن هذه المراكز اقواماً لا يخاف عاديتهم ومن غير العرب الذين حاربهم ايضاً وكاد يفنيهم وليس من يقوم بهذه المهمة قياماً احسن من قومه التجار من بابل وجوارها فجاءوا واستوطنوا تلك الجهات ومن جملتها الحجر وتيماء والبتراء وغير هذه من المراكز التجارية البرية وعلى سواحل البحر الاحمر وخالطهم في جميع هذه المراكز ضعفاء الادوميين اصحابها الاولين وبعض العرب ولعلّ الادوميين كانوا اكثر عدداً او يماثلون النبط الاّ ان العزّ والصولة كانا للنبط لانّ الدولة منهم والتجارة في ايديهم . وما زالوا كذلك كل ايام نبوخذنصر وايام خلفائه الى ان قامت الدولة الفارسية فلم تتعرّض لهم وتركتهم وشأنهم وحكمهم حكم غيرهم من الامم الخاضعة لهم . بل كان الفرس من جهة خيراً لهؤلاء المستعمرة من النبط من نفس دولتهم البابلية لان الفرس لم يكونوا تجاراً فلم يزاحموهم على تجارتهم وضعفت تجارة بابل بما كان من انتقال دار الملك عنها فقلّت مزاحمة اهلها لهم واصبح قسم عظيم من التجارة ينقل رأساً الى محطاتهم التجارية من غير ان يمرّ على بابل اي رأساً من خليج فارس فكثر غناهم مع الايام وعلى نسبة ذلك زاد من قوتهم واصبح العرب حملة تجارتهم ومصرّفين بامرهم . وانتقل اليهم عزّ الادوميين وسلطتهم واصبح كثير من

قبائل العرب ينفرون على صراخهم اذا استصرخوهم وبقوا على ذلك نحواً من ٢٠٠ سنة ولما احتك بهم القائد اليوناني انتيغونوس وابنهُ ديمتريوس بعد موت الاسكندر وجدهم على ما وجدهم عليهِ من القوة ووجد الوفاً من قبائل العرب حواليهم ينفرون معهم اذا استنفروهم وبقوا على عزمهم هذا حقبةً من الدهر الاَّ انَّ الايام لا تدوم على حالة واحدة فان البطالسة قاموا في مصر واصبحت تراثاً لهم فوجهوا عنايتهم الى البلاد فازدادت سكاناً وازدادت علماً وصناعة وتجارة فاصبح كثير من موانئ البحر الاحمر في ايديهم وغيروا خطة التجارة شيئاً عما كانت عليهِ فتحوَّل قسم كبير من التجارة عن البتراء وكذلك اضطربت الاحوال في بابل والجزيرة وخليج فارس وكثرت الحروب والمخاصمات هناك وقامت سلوقية تزاحم بابل على التجارة فضعف شأنها نوعاً عما كان عليهِ قبلاً . وفوق ذلك انشأ ملوك سوريا في انطاكية خطاً تجارياً من العراق الى مدينتهم فقلَّل هذا شيئاً من اهمية البتراء وقلَّ غناها على نسبة ذلك فقلَّت قوتها. وعادت العرب فكثرت في البلاد حولها في بلاد مواب وبني عمون وما بين غزة وجبال الشراة والظاهر ان كثيرين من عرب اليمن وحضرموت من قبائل قضاعة هاجروا في بداية المئة الاخيرة قبل المسيح الى جهات فلسطين وسوريا فاصبح لهم شأن وشوكة واجتمعت حولهم كلمة العرب لما اعتادهُ العدنانيون من الانقياد اليهم فاضعف ذلك من سطوة البتراء ونفوذ تجارها ورؤسائها وخالط رؤساء العرب هؤلاء اهل البتراء لانهم اهل حضارة مثلهم وعمَّروا قصورهم في مدينتهم فكانوا يقوون سنة بعد سنة ويكثرون واولئك باقون على ما كانوا عليهِ ان لم نقل انهم كانوا يضعفون وما زالوا كذلك حتى كثر العربُ النبط واصبحوا ذوي السؤدد والرئاسة دونهم وانتقل اليهم الامر فاصبحوا ملوكاً عرفوا بملوك النبطيين في البتراء ولا يبعد انهم كان لهم ملك خاص لهُ قبل ان استولوا على البتراء وجعلوها عاصمةً لهم في ايام ارتياس معاصر بمبيوس القائد الروماني المشهور بل لا يبعد انهم استولوا على هذه المدينة قبل زمن بمبيوس فكان لهم رئاسة وسؤدد فيها ولكن لم يكن لهم ملك على شاكلة ما كان لهم في ايام ارتياس هذا ومن جاء بعدهُ الى ان انقرض ملكهم في سنة ١٠٥ قبل المسيح كما المعنا

وخلاصة ما نختم بهِ بحثنا هذا ان الانباط خليط من الادوميين وتجار من الكلدانيين والبابليين الذين جاءوا الى البتراء في ايام نبوخذنصر وانضم اليهم من حين الى آخر من تحضَّر حواليهم من العرب العدنانيين اولاد اسماعيل ثم انضاف الى هؤلاء كثيرون من مشايخ ورؤساء القحطانيين من بني قضاعة الذين هاجروا من اليمن وحضرموت في اول المئة الاولى قبل المسيح او ما قبل ذلك بمدة قصيرة . ولا يبعد ان يكون انضم اليهم ايضاً كثيرون من

اليهود كانوا يسقطون اليهم من حين الى آخر للتجارة تارةً وللاحتماء بهم تارةً اخرى فان الذين سكنوا المدينة وجهات خيبر وكثروا هناك لا يستبعد عليهم ان يسكنوا في البتراء ايضًا فامتزجت كل هذه القبائل معًا في مدينة البتراء وعُرفوا بالنبط الاَّ اني ارجح مما مرَّ ان الدم الغالب فيهم هو دم العشيرة الاراميَّة عشيرة ابرهيم الخليل· ومن البتراء انتقلوا الى مكة والطائف ومنهم نشأت بيوت من اعظم بيوتات العالم كما سنبين ذلك في المستقبل ان شاء الله

جبر ضومط

سوانح وبوارح

بكيتُ حتى هوى من انملي القلمُ ... وكدتُ اجري ويجري والدموعُ دمُ
ابكي على الظعن لا رسم ولا طللٌ ... واندب الركب لا ربعٌ ولا خيمُ
ان الربوع ربوع القوم من مضرٍ ... تضاءلت بعدها الاطلال والرسمُ
رسم محيلٌ وآثارٌ مصردةٌ ... اقوى بها الاقويان الدهر والقدمُ
اخنى عليها الذي اخنى على لبَدٍ ... حتى استوت عندها الاجراع والاكمُ
اهبتُ فيها اناغي الشيرف مضطربًا ... والقلب مصطهرٌ والجسم مضطرمُ
استنزف الحم الدكناء من كبدي ... فتستحيل دمًا في اعيني الحممُ
تغلي مراجل اضلاعي فاقذفها ... هذا البخار وذاك الباخر الرذمُ

استنشد الكتب لا سفح ولا كثبٌ ... وانشد العلم لابان ولا علمٌ
يا شرق شرق العلى رُحماك هل بليت ... تلك المدارك او ابلى بها الهرمُ
تلك المدارك كان الدهر دائرةً ... وهن اطلسها الدوّار لا القممُ
تلك المدارك كان الشرق ضاحيةً ... وهن ديمتها الوطفاء لا الديمُ
هذي المعاهد فاستنطق هيا كلها ... تجيك "حالاً" ولكن نطقها بكمُ
لهفي على الشرق او لهفي على امم ... كانت تدين لها الاجيال والامم

تقسم الدين فيما بينهم قسمًا ... واي دين به الابناء تنقسمُ
لو كان ما صوّروهُ اليوم دينهمُ ... لم يتبع الدين فيما قد مضى نسمُ

(اغاية الدين ان تقلوا مخالفكم (يا امة ضحكت من جهلها الامم)
ام غاية الدين ان يزري بدينكم (من دينهُ الدهر والتعطيل والقدم)
قد كان ذاك ولا عتبى ولا حرج شوهتموهُ فشاهت فيكم النقم
فجردوا الدين عن دنيا يذال بها (كيما تزول شكوك الناس والتهم) —

عفواً بناة العلى في عقر داركم عقرتم المجد لا عهد ولا ذمم
اين العقول التي كانت اذا اعتقلت تضوى بها البيض او تجلى بها الظلم
ملكتم المرهفين السيف منصلتاً ما استل الا ومنهُ المجد مستلم
واقتدتم القلم السيال منبرياً ما سال الا وساد القسط والسلم
شجوا على السيف او شجوا على قلم اصبحتم اليوم لا سيف ولا قلم
عداكم الخسف لا عير ولا وتد اين الاباة واين العز والشمم
لم يبق غير رنين الثاكلات لكم فاين قيثارة الالحان والنغم

مهلاً بني الغرب لا خوف ولا جزع لم يبق للشرق الا النوح والالم
فلا ترعكم بهذا الشرق جامعة فالجمع مفترق والحبل منفصم
ولا يهولنكم ما في جرائده فتلك تاجرة والسلعة الكلم
كم مرعد فيه بالاقوال مبترم لكنهُ ان دعي الرعديد والبرم
ومرتد بردة الاخلاص مسهمة لكنها السهم فيه السم لا الدسم
هل الشجاعة يا شرقي في نفر ام صين للطرس منك البأس والكرم
تجود بالقصف ما يرمي بقاصفة وانت في الجود ذاك الاقصف الجلم
تخرص بنهوض دون سدته خلابة الحلم غرار بها الحلم
ايطمح الشرق ان يرقى وموقفهُ (شهب البزاة سواء فيه والرخم)
او يستوي فوق عرش المجد مجتمع (اذا استوت عندهُ الانوار والظلم)
وهل يسود اناس اصبحوا شذراً وجاههم ما لهُ هم ولا سدم
هذي نواميس هذا الكون شاهدة لنا الوجود يزكي والنهى حكم

متعت للشرق في الآراد شيقة يسامر الزهر فيها وهي تضطرم
سيارة الافق ما ذنبي اليك وما جنيت يا فلكاً دارت بهِ الامم

ويا ثوابت ما للزهر مطلعها بالغرب لألأة والغرب يبتسمُ
وانت يا قطب قل لي كيف نتركها فوضى تدور ولا حكم ولا حكمُ

فشيمت من بنات الافق ناصعة ونورها ينضوي طوراً وتبتسمُ
كنتم وكانت ديار الشرق تنشدكم (قف بالديار التي لم يعفها القدمُ)
فاصبحت والبلى عفّى معالمها (بلى وغيّرها الارواح والديمُ)
وصاح منها صدًى يدوي بشرقكم لكن بنو الشرق في آذانهم صممُ
يقول شرق انتدْ لا نقضِ من جزع الشرق شرق ولكن غيرها الامُ

بيروت م — خ

الحنين الى لبنان

هاج اشواقي الى الدمنِ طائر غنى على فننِ
ايه يا قمريُّ ان بنا فوق ما يبكيك من شجنِ
ولوَ انَّ الدمع منطلق لهمى كالعارض المتهنِ
انما بالرغم احبسهُ خشية اللوام واللسنِ
حبذا المصطاف في جبلٍ ينطح الجوزاء بالقننِ
موئل الاحرار من قدمٍ وأُباة الضيم من زمنِ
ليس لبنان لمكتسح بضعيف العزم ممتهنِ
سل ملوك الروم كيف غدا عرشهم مستوهن الركنِ
علّم الاهلون جيشهم فنَّ نظم النحر بالمدنِ
فبنو لبنان اسد وغىً أُطلقت فيهم يد الفتنِ
واختلاف الدين اورثهم علل الاحقاد والإحنِ
ليت ذا عزم يضمهم ضمة الاعضاء في البدنِ
فيعيدوا الماضيات من المجد والعلياء للوطنِ
يا بني أُمي اذا حضرت ساعتي والطبُّ اسلمني
اجعلوا في الارز مقبرتي وخذوا من ثلجه كفني

داود عمون

الصناعة السورية زمن الحرب الصليبية

بلغت الصناعة السورية زمن الحروب الصليبية شأوًا بعيدًا من الاتقان والاحكام بحيث كان يستبضعها تجار الافرنج ويحملونها الى بلادهم فيتهافت الامراء والاغنياء على احرازها وتحسب من اعظم مظاهر الترف والفخر ما يتنافس به الكبراء

وتفوّق تلك الصناعة على غيرها كان ولا ريب من العوامل الكبرى على اتساع تجارة البلاد وانماء ثروتها وحسبنا بما دوّنهُ عنها مؤرخو الافرنج والعرب وما تضمُّ عواصم العالم المتمدن من باقيات تلك الصناعات الشاهدة على ما بلغتهُ من التبريز في الظرف والاحكام

ومن المصنوعات السورية الخزف وقد وجد العربُ معاملهُ في وادي الفرات في القرن الثامن فنقلوهُ الى سائر ممالكهم وكانت هذه الصناعة قد اوشكت تزول ويعتورها الانحطاط في اخريات ايام الدولة الرومانية فاحياها العرب وعملوا على تحسينها واتقانها حتى تفوقوا بها واصبحت لا تماثل في بهاء الوانها واحكام نقشها

انبأنا الادريسي عن الآنية الخزفية التي كانت تصنع في يافا وبيروت وصور ودمشق وما انتهت اليهِ من جمال الصنعة بما كانوا يجمّلونها بهِ من المينا ونقل الينا غيرهُ من المؤرخين عما حصلت عليهِ من الشهرة والصيت البعيد بحيث كانت فرنسا تستورد من المجمَّل منها بالميناء اقدارًا كبيرة وقد ورد ذكرها في العهدة التي ابرمت سنة ١٢٤٣ بين جان ابلين وجمهورية جنوى

وكانت المدائن السورية ملأى بالمعامل التي تصطنع تلك الآنية الخزفية المجمّلة بالمينا من مثل السرج والصحاف والقوارير والاباريق والطاسات والطسوت وغير ذلك وقد ذكر المؤرخ راي ان المسيو بيو وجد سنة ١٨٧٢ في دمشق بالقرب من مدفن اللاتين انقاض احد المعامل التي كانت تصنع هذه الآنية فاخذ منها عددًا وافرًا يشهد لدمشق بتفوقها القديم في هذه الصناعة

والظاهر ان هذه الصناعة ظلّت مدة دولة المماليك من اخر الصناعات يتبارى الصناع في اتقانها الى ان اكتسح المغول سوريا تحت امرة تيمورلنك واسرفوا في الجور والعسف وصحبوا معهم الى سمرقند ابرع صناعها ليقيموا هنالك فكان ذلك آخر العهد بصناعة الخزف في سورية

وصناعة البناء العربي ليست من اوضاع الامة العربية ولا نشأة رجالها وشأنهم معها شأن الرومان في صنائعهم. ولما سكنوا المدائن وتربعوا دست الحضارة والتمدن دعتهم ضرورة العمران الى اشادة القصور واقامة المساجد فشرعوا لاول امرهم ينتهجون في البناء تارةً النهج الفارسي وطورًا النهج البزنطي الآ انهُ ما طال الامر بهم حتى مزجوا الاسلوبين معًا فنجم عن

ذلك اسلوب جديد هو البناء العربي

واخر المباني العربية واكثرها جمالاً المساجد والقصور وقد نظروا في تشييد القصور الى حالة البلاد من الحر فجعلوها اماكن نزهةٍ ذات قاعات كبيرة تطل عرصاتٍ فسيحة مغروسة بالاشجار ترطب هواءها احواض الماء على انهم لم يتقنوا صناعة عمل الصور والتماثيل لان الاسلام ينهى عن رسم الاشكال البشرية فاستعاضوا عن التماثيل والصور بما كانوا يطلون بهِ الجدران من الالوان الزاهية وبما يخطون عليها من الابيات والآيات

وكانت المدن السورية حافلة بالمعامل التي تحيك الانسجة الحريريَّة على انواعها وقد اشتهرت دمشق بدياجها المعروف عند الافرنج بدماسكو نسبةً اليها ونقل الينا الادريسي ان هذا المنسوج لجودة حوكهِ كانت تستبضعهُ البلاد البعيدة وانهُ ليفضل في الظرف على ما ينسج في بلاد الروم ولا يقلُّ جمالاً عما تحوكهُ معامل اصبهان وجنديسابور

ولم تكن المدائن الاخرى من سوريا كصور وطرابلس وانطاكية دون دمشق شهرةً في اصطناع الانسجة وبراعةً في حوكها وقد شهد الادريسي لصور بالنوع المعروف بالسندل وتفوقها بهِ على كل ما يصنع منهُ في سوريا . وامتازت طرابلس باصطناع الديباج والاطلس واتخذت منهما شمامسة الكنائس حللها . وفي سنة ١٢٨٣ زار هذه المدينة الرحالة بيركارت من مونت سيون فوجد فيها زهاء اربعة آلاف نول لحوك الحرير والصوف

وظل اهل انطاكية على احتراف الصناعة اليونانية السورية زمناً طويلاً حتى بعد الفتح الاسلامي واشتهروا في اصطناع اليشب والانسجة الحريرية الموشاة بالخيوط الذهبيَّة والفضية وكان الافرنج يستبضعون منها اقداراً كبيرة وتتخذ منها حلل الكنائس يؤيد ذلك انهُ جاء في سجلات كنيسة القديس بولس في لوندرا سنة ١٢٩٥ وصفٌ لقفارة من الديباج الانطاكي الاسود الموشىَّ بالخيوط الذهبية وجاءت تلك السجلات ايضاً على وصف ثياب القسوس من ديباج انطاكية وطرسوس

ومن مصنوعات سوريا الشملة وهي ضرب من القطيفة اشتهرت في اصطناعهِ طرابلس وطرطوس وهو على اربعة انواع النوع الاول يحاك من صوف الجمال والثاني من شعر الماعز والثالث من صوف الغنم والرابع من مشاقة الحرير . وقد روى لنا مؤرخو الافرنج عن رغبة الاوربيين الشديدة في هذا المنسوج وتسابق تجارهم لاستبضاعهِ من سوريا يبيعونهُ لاهل بلادهم فيربحون الاموال الطائلة لاقبال الناس على ابتياعهِ وتنافسهم في اقتنائهِ حتى ان ملك فرنسا لويس التاسع طلب الى وزيرهِ جوانفيل يوم اتى لزيارة كنيسة السيدة في طرطوس ان يبتاع

لهُ من شملات تلك المدينة عددًا وافرًا ليهديها الى رهبان الاديرة لاسيما رهبان مار فرنسيس

وكان اهل سوريا من الوطنيين والافرنج معًا زمن الحرب الصليبية يتخذون الطنافس في منازلهم ودورهم. ذكر وليم الصوري انهم كانوا يأتون بها من بغداد وبلاد فارس واسيا الوسطى ويؤخذ من هذه الرواية ومما ذهب اليهِ دفرمري Defremery ان اسم الطنافس مأخوذ من اسم القرية التي تصطنعهُ حوالي بغداد وهذه الصناعة ليست من مستحدثات سوريا وانما نقلت الى شماليها فبرع الاهلون فيها وما برحت حتى عهدنا هذا في جهات طرطوس وبلاد الحصن

ولم يكن استخراج السكر معروفًا عند الاوروبيين بدليل ان الصليبيين يوم فتحوا طرابلس ووجدوا فيها قصب السكر استمرأوا طعمهُ واعجبوا بما يستخرجهُ السوريون منهُ ونقلوا فسائلهُ الى صقلية وايطاليا ولقد كان السوريون يجيدون عمل السكر وامتازت صور في اصطناعهِ على سائر المدن السورية

وكان استعمال الصابون شائعًا بين السوريين والافرنج في القرن الثالث عشر ومصانعهُ كثيرة في انطاكية وطرطوس وعكاء ونابلس وطرابلس وللصليبيين اهتمام كبير بهذه الصناعة يضارع اهتمامهم بالمدابغ والمصابغ على ان احتراف الصباغة كان من خصائص اليهود في جميع المدن السورية

وكانت بلاد الجليل تحوك الحصر على ان افضل انواعهِ ما كان يصطنع في طبرية ويحوكونهُ هناك من نبات لهُ سوق طويلة ذات عقد تمتد على وجه الارض وينبت في بلاد ساسان وبالقرب من طبريا

ويؤخذ من روايات المؤرخين ان التعدين في سوريا كان مقتصرًا على الحديد وكانت جبال لبنان التي حوالي بيروت غنية بمناجمهِ وكان الاهلون منذ القرن الثاني عشر يعدنونهُ و يصدرون منهُ على رواية ابن بطوطة اقدارًا كبيرة من ميناء بيروت. وذكر الادريسي ان حديد لبنان كان في القرن الثاني عشر كثير الاستعمال تستوردهُ مصانع دمشق الشهيرة لاصطناع الاسلحة

واخبر وليم الصوري ان صور وانطاكية وحبرون وطرابلس ودمشق وعكاء هن اشهر مدائن سوريا في اصطناع الزجاج. وبلغت هذه الصناعة في العصور الوسطى شأوًا بعيدًا في الظرف والاحكام ومن معامل هذه المدن خرجت تلك الكؤوس والصحاف والقوارير والمصابيح المجملة بالميناء والتي تزدان بها متاحف اوربا اليوم وهي تشهد للسوريين بالتبريز في هذه الصناعة. على ان اقدم المصابيح الزجاجية ما صنع في القرن الحادي عشر وكان زخرفها ثمينًا وغاية في الظرف وظاهرها مقسمًا بخطوط افقية يتخللها حروف مرسومة بالالوان الوردية وموشاة بالميناء ذات الالوان الجميلة

وكانوا احياناً يرسمون الحروف على صحن الميناء الزرقاء ويجعلونها كبيرة بيضاء وكثيراً ما كانوا يزخرفون الانية الزجاجية برسوم بعض الحيوانات كالنسر والاسد وشعار أمراء تلك الايام

ومن اجمل الكؤوس الزجاجية التي وجدت حديثاً كاس للامير بدر الدين الظاهري الذي كان امير الجيوش السورية في النصف الاخير من القرن الثالث عشر ايام سلطنة الملك بيبرس

وكانت اوربا خلال العصور الوسطى تستبضع الآنية الزجاجية من جميع معامل المدن السورية وكانت تعرف عندها باسم الزجاج الدمشقي ويتخذها الاغنياء من مظاهر الابهة ٠ ومما رواهُ ثقات المؤرخين ان عملة الزجاج من اهل البندقية ظلوا امدًا طويلاً يستجلبون الزجاج الخام من سوريا ليسبكوا منهُ الآنية في معاملهم وانهم كانوا يأتون بالعملة السوريين بغية ان يأخذ العملة الايطاليون عنهم طرق الاجادة فيحاكوهم في صناعتهم

على ان افخر المصنوعات السورية وادقها صنعةً وابعدها شهرة ما اصطنع من المعادن كالسيوف الدمشقية التي عرفها الاوربيون في الحرب الصليبية واعجبوا بها جدًا وقس عليها سائر الآنية المصنوعة من النحاس والشبهان المنقوش عليها شعار الامراء والمحفورة بكتابةٍ تعلن اسم صانعها والذي صنعت لهُ وهي المعروفة بالصناعة الظاهرية

وكانوا يرصعون المصنوعات المعدنية من مثل الطسوت والاباريق والطاسات والشماعدين والمصابيح والطباق وغيرها من الادوات بالذهب او الفضة او بمعدن آخر ثمين وذلك بان يحفروا في طرف الاناء ثلماً عميقاً يحشونهُ بخيوط من الذهب او الفضة وعندهم ايضاً ضرب آخر من الترصيع عادي وهو ان يحمى المعدن بالنار شديدًا ثم يحفر فيهِ بسكين خطوطاً صغيرة ويرسم الشكل بالة حادة تعرف بقلم الحفر ثم يمدّ خيط ذهبي او فضي وينزل في الثلم باعتناء بالةٍ نحاسية

وفي متاحف اوربا اليوم عدد وافر من الآنية التي اصطنعت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وقد حفر عليها اسماء الامراء من العرب والافرنج وانفس تلك الآنية ما اصطنع في القرن الثالث عشر في دولة المماليك زمن الملكين العظيمين نور الدين وصلاح الدين

وقد اشتهرت بلاد الموصل في اصطناعها قبل اشتهار سوريا ثم نزح نفر من اهل هذه الحرفة عن الموصل واقاموا في سوريا ومصر على احترافها بدليل ان عددًا وافرًا من الآنية النحاسية الموجودة في المتاحف الاوروبية منقوش عليها اسم صانعها مع ذكر بلدهِ من ذلك طست كبير في متحف باريز منقوش عليهِ ما يأتي : نقش علي بن حسين الموصلي بالقاهرة سنة اربع وثمانين وستمائة : وابريق اخر للملك الناصر نقش عليهِ هكذا : نقش حسن بن محمد الموصلي في دمشق سنة ٦٦٩ هـ

ولا خلاف في ان الموصل بلغت شأْوًا بعيدًا من الشهرة في اصطناع النحاس العربي المرصع وفي حفر الرسوم البشرية او الحيوانية بين ان صناع مصر والشام ظلوا الزمن الطويل لا يتجاوزون حدود الدين ولا يحفرون الرسوم البشرية مقتصرين في تجميل الآنية على النقوش البسيطة وحفر بعض الكلمات. وفي اواسط القرن الثالث عشر طفقوا يحفرون على ظاهر مصنوعاتهم رسوم بعض الحيوانات المتخذة شعارًا من مثل الاسد والنسر الَّا ان مصنوعات السوريين للافرنج من الصليبيين حفر عليها الرسوم البشرية وشيء من الرموز المختصة بالدين المسيحي وقد قال المؤرخ راي ان اجمل آناء رآهُ من هذا النوع شمعدان بديع الصنعة عمل لاحدى الكنائس وقد حفر عند قاعدتهِ رسم عماد السيد المسيح . والمرجح ان الحافرين لمثل هذه الصور والرموز من النصارى السوريين

اما الصياغة فلم يوفها رجال العلم حقها من البحث ولم يبقِ لهم الدهر من بقاياها ما يفسح المجال للمتكلمين عنها ولكن لم يعدم العلماء من سجلات كنيسة القديس بطرس في انطاكية ومن الآثار القليلة التي انتهت اليهم ما يصل بهم الى معرفة شيء مما بلغتهُ في سوريا زمن الحرب الصليبية

ولقد كان في القدس شارع خاص للصياغة ولم يحق احتراف هذه المهنة الَّا لنفرٍ من الناس يتعاطونها باجازةٍ من الملك وقد اشتهر هؤُلاء الصاغة بالنقش على الحجر الصلد واستخدموا لذلك الماس على ما روى الادريسي وهذا الضرب من النقش وتزيين فصوص الخواتم برسوم الحيوانات المتخذة شعارًا هو من اوضاع السوريين على ما يذهب اليهِ بعض مؤرخي الافرنج

وجملة القول ان السوريين برعوا في الصياغة شأْنهم في سائر الصنائع حتى كان امراء الافرنج يقصدونهم لصوغ حلاهم. وقد اورد المؤرخ راي عن سجلات ذخائر كنيسة انطاكية جدولاً يحتوي على اسماء ما صاغهُ لها السوريون من الآنية الفاخرة مما يرجع تاريخهُ الى سنة ١٢٠٩ ومن تلك المصوغات صليب كبير من الذهب المرصع بالجواهر والحجارة الكريمة وانجيلان مصفحان بالذهب المرصع وكتابا الرسائل مصفحان بالفضة وغير ذلك شيءٌ كثير بالغ منتهى الاحكام في الصنعة

ولا يتيح لنا المقام تعداد كل ما اصطنع السوريون وما وصلت اليهِ مصنوعاتهم من الظرف والاحكام فنكتفي بالقول ان سوريا كانت استاذة اوروبا في الصناعات كما كانت استاذتها في العلم والزراعة والتجارة ولكن

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبار قبيحُ

ص ٠ ي

المتنبي والبهاء زهير (١)

اديبان مشهوران قد حكمت لهما قصائدهما الغراء ان يكرَّما بشرف الانتساب الى الشعر وخليقتان ان يحملا اعلامهُ ويتصدَّرا في مجالسهِ . غير ان الاول وهو من اهل القرن الرابع للهجرة يشبه كريماً يجود بعقود الجمان وقلائد المرجان ولكن بوجه مقطب عبوس . فكأنما اعتمد ان لا ينعم بجواهر افكارهِ الاَّ على من يحتمل تعبُّس عبارتهِ اي على من يفهم لسانهُ ويزيح بجوف الغموض عن تلك الوجوه الحسان . ولذلك اقبل العلماء على شرحهِ ليكشفوا للناس ما فيهِ من كنوز المعاني وكفى بهِ برهاناً على ان في شعرهِ غموضاً ولا سيما على من عم من اطفال الادب او احداثهِ . فلا اكتمنك اني كنت واياهُ اول ما اخذت اقرأهُ كالمختلفين لغةً على ان كلاً منهما تعلم من لغة الآخر فكنت كمن يجالس رجلاً ليستفيد منهُ ولكن الرجل قلَّ ما يقبل عليهِ بوجههِ ولا يكلمهُ غالباً الاَّ موجزاً فضقت صدراً حتى اضطررت ان استخدم ترجماناً بيني وبينهُ لكي افهم المقصود من كثيرٍ من ابياتهِ وذلك الترجمان هو شرح الواحدي فصاحب هذا الشرح كان بارعاً في معرفة الغريب وخبيراً بمذاهب الشعراء . ولعلك تقول ما الذي دعا ابا الطيب الى جعل شعرهِ عالياً على ضعفاء الادباء والمتأدبين وما الذي حملهُ على الاغراب فاقول ان المتنبي اظن لكثرة ما حفظ من الفاظ اللغة وخزن في ذاكرتهِ من القصائد التي هي منازل لغريب اللغة لم يعد يشعر انها غريبة على الناس او انهُ كان لا يلتفت الى حال من يقرأ ويسمع ولا يراعي اختلاف الطبقات في الفهم . وربما كانت نفسهُ تميل الى استعمال الغريب والعويص وتعدهُ من مفاخر الشعر ولكن رجلاً لهُ مثل هذه المعاني يجل عن الانحطاط الى حالة من كل رأس مالهِ استعمال كلمات ندر دورانها على الالسنة وقلَّ تداولها بين الكتاب ولم يبقَ لعين القارىء ولا لاذن السامع انس بها وهي كما لا يخفى على احد لا تكلف من يستخدمها الاَّ ان يفتح كتاباً من كتب اللغة فيخرجها من سجنها وهو امر سهل على كل من ارادهُ

هذا ولنا ان نعلل ذلك بان كثيراً مما هو غريب على ضعفاء الادباء من اهل زماننا كان متداولاً بين ادباء زمانهِ . ولا شك ان لاختلاف الزمان تأثيراً في الكتابة لفظاً ومعنى

---

(١) للكاتبة الادبية المرحومة انيسه كريمة الاستاذ الفاضل سعيد الخوري الشرتوني وقرينة الشاب المهذب الخواجه ميخائيل الشرتوني المتوفاة في بيروت في ١٨ آب سنة ١٩٠٦ عن ٢٣ عاماً

كما ان لاختلاف الطباع والمقاصد ضرباً من التأثير في الكتابة فكثير ممن تقدموا المتنبي تجد في كلامهم اغراباً اكثر مما تجد في شعر المتنبي ما خلا عنترة ومن نحا نحوهُ

والمتنبي يظهر بهاء شعرهِ لاهل الأدب وارباب القريض فعيونهم هي التي ترى بدائعهُ ولطائفهُ . واما طبقة الضعفاء فانما يرون بعضهُ بعيون ضعيفة النظر . ولكن بعد ان يفسر الترجمان اي الشارح ما لم يفهم القارئ من الفاظهِ او كناياتهِ يكون (القارئ) مثل صغير وعدهُ ابوهُ شيئاً نفيساً وشرط عليهِ شرطاً فلما قام بالشرط جاءهُ ابوهُ بالموعود فابتهج نفساً. واما انا ففراراً من عناء التأمل والتفتيش وتخلصاً من جميل الترجمان اقتصرت من قصائدهِ على ما هو واضح اللفظ والمعنى من نحو قولهِ

اني لأعلم واللبيب خبيرُ ان الحياة وان حرصت غرورُ

ومن نحو الحزن يقلق والتجمل يردعُ والدمع بينهما عصيٌّ طيعُ

على ان هذا الشاعر العظيم متى اراد ان يكلم الناس بلا ترجمان رأيت في كلامهِ من الحلاوة واللطف ما يستعذب على اطيب شراب وذلك كقولهِ في العتاب

أأنطق فيك هجواً بعد علمي بأنك خير من تحت السماء

واكرهُ من ذباب السيف طعماً وامضى في الامور من القضاء

وما اربتْ على العشرين سني فكيف مللتُ من طول البقاء

وهبني قلت هذا الصبحُ ليلٌ أيعمى العالمون عن الضياء

وقد لاحظت انهُ متى همهُ ان يفصح عما في نفسهِ وحرص على ان يفهم معناهُ ويقبل احتجاجهُ ويرسخ برهانهُ عدل عن الاغراب وسلك اقرب طرق الافهام كما رأيت في الابيات المذكورة وكما ترى في قولهِ

كم قد قُتلتُ وكم قد متُّ عندكمُ ثم انتفضت فزال القبرُ والكفنُ

وفي قولهِ ان كان يجمعنا حبٌّ لغرتهِ فليت انَّا بقدر الحبّ نقتسمُ

واما الثاني وهو البهاء زهير الذي وُلد في اواخر القرن السادس للهجرة ومات بعد منتصف القرن السابع بثماني سنين فديوانهُ الروضة الناضرة الزاهرة او الوجوه الجميلة الضاحكة فقصائدهُ كتفاح دمشق او عنب داريا فكأنما يلقاك بثياب فاخرة نظيفة وهيئة مشرقة ظريفة فتكاد تأكلهُ بضميرك وتشربهُ

ثم ان شعر المتنبي مثل رجل عميق الغور لا يشرح لك ما في صدرهِ ولا يطالعك بما في طويتهِ الا بعد ان يثق بودّك

واما البهاء زهير فيكشف لك دخيلة امره وسريرة نفسهِ لا وَّل مقابلة ولا يخشى اعراضاً ولا زهداً ولا يخاف زوال كرامة

وقصارى القول ان الذوق يطلب ان الكلام يصل معناهُ الى العقول على اثر وصوله الى الآذان وان من يأتي بما لا يدرك مقصدهُ منهُ الاَّ من باب حلّ اللغز كان كالمزور الذي يشيح بوجههِ عن زائريهِ فينفرون منهُ ولا يحبون ان يطأوا له عتبة بعدها

واعلم اني كتبت هذا الفصل بمنزلة عرض حال ارفعهُ الى جماعة المنشئين لابين بهِ حالة من هو مثلي عند قراءة ما فيهِ تعقيد او اغراب حتى تدركهم الرأفة بضعفة الادباء وجماعة العوام. افلا ترى ان اهل العلم الواسع لا يشعرون بما نشعر بهِ ضعيفة في العلم من نظائري عند مطالعة ما وضع تحت استار من الاستعارات الغريبة والكنايات البعيدة او ما جاء كالمتنكر بزيّ غير مألوف وهو ما وقع اضطراب في تركيب العبارة عنهُ او أُورد بكلم لم يستعملهُ الاَّ مثل الحريري في مقاماته

واذا اعتبرت ما ذكرتهُ كما املاهُ عليّ شعوري فاحبّ ان اذكر لك من شعر البهاء زهير ما تعلق بهِ الروح ويلتذّ بهِ السمع وكلهُ من نمط ما يأتي حلاوةً وطلاوةً ووضوحاً قال

من مثل قلبيَ او من مثل ساكنهِ الله يحفظ قلبي والذي فيهِ
يا احسنَ الناس يا من لا ابوح بهِ يا من تجنّى وما احلى تجنّيهِ
قد اتعس الله عيناً صرتَ توحشها واسعد الله قلباً صرتَ تأويهِ
فمن اذاعَ حديثاً كنت اكتمهُ حتى وجدتُ نسيم الروض يرويهِ
اذا سألت فسل من فيهِ مكرمة لا تطلب الماء الاَّ من مجاريهِ

وقال

رقّ في الجوّ النسيمُ فتفضَّلْ يا نديمُ
ما ترى كيف انمحت من حلة الليل رقومُ
وكأن الفجر نهرٌ غرقت فيهِ النجومُ

وقال

تقدَّم ذكر الجود قبلك في الورى واصبح من ذكراك مسكاً ختامهُ
امنتُ بلقياك الزمانَ وصرفهُ فغيريَ من يخشى عليهِ اهتضامهُ

وقال في مدح صلاح الدين الايوبي

عرف الحبيبُ مقامهُ فتدلَّلا وقنعتُ منهُ بموعدٍ فتعلَّلا

الى ان قال

اهوى التذلل في الغرام وانما يأبى صلاح الدين ان اتذلَّلا

مهدتُ بالغزل الرقيق لمدحهِ واردت قبل الفرض ان اتنفّلا
ملكٌ شمخت على الملوك بقربهِ ولبست ثوبَ العزّ فيهِ مسبلا

الى ان قال

قهر الزمانَ وقد عراني صرفهُ حتى مشى في خدمتي مترجلا
ثم التفتُّ وجدت حولي انعماً ما كان اسرعها اليَّ واعجلا

فيا ليت شعري هل يدخل على قلب القارىء من الانس والابتهاج عند قراءة قول المتنبي

وفاؤُكما كالربع اشجاهُ طاسمهُ بأن تسعدا والدمع اشفاهُ ساجمهْ

مثل ما يدخل عليهِ منهما عند قراءة ما رويت من شعر البهاء فلا ريب انك تقول كلاَّ فهو كالبواب الذي يتلقاك بوجه عابس وكلام يابس

والخلاصة ان من صرف همتهُ الى استعمال المأنوس وتعمد ان يختار الاساليب المستلطفة كما فعل البهاء زهير كان كالمورد العذب فتقبل على شعرهِ الخاصة والعامة · ومن استطاع ان يجتذب اليهِ الناس تخليق بهِ ان لا يبعدهم عنهُ ومن اراد انْ يبثّ افكارهُ وينشر مقاصدهُ فلا يناسبهُ الاَّ الكلام السهل لانهُ جامع بين الصحة والسهولة فهو مفهوم عند العوام ومقبول عند الخواص وان عدل الى التعقيد صرف الناس عنهُ فأين من قول المتنبي

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

قولهُ هو نفسهُ

أُحاد ام سداس في أُحاد لويلتنا المنوطة بالتنادي

فالاول واضح كالصبح والثاني مغلق كأنهُ الليل البهيم فقد تكلف الشارح ان يكتب عدة سطور ليرفع الستار عن هذا المعنى ولو كان كلامهُ في لغة اعجميةٍ لكانت ترجمتهُ ايسر من شرح كلام وصل من التعقيد الى ان اعتاص ادراك معناهُ على العلماء

واين من قول المتنبي وضوحاً وطلاوةً

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يمرُّ بهِ الوحولُ

قولهُ هو نفسهُ

فتىً الفُ جزءٍ رأيهُ في زمانهِ اقلُّ جزيءٍ بعضهُ الرأي اجمعُ

ولكن سبحان من لا يقال في اعمالهِ لو او لولا فان الفرزدق على علو طبقتهِ صار قولهُ

وما مثلهُ في الناس الاَّ مملكاً ابو أُمهِ حيٌّ أَبوهُ يقاربه

مثلاً في مخالفة الفصاحة بما فيهِ من التعقيد

الملاحة عند القدماء

نحن في زمنٍ امتلأت فيهِ البحار من السفن تشق العباب لا ترهب الامواج تلطمها ولا تخشى الرياح الهوج تعصف بها . فيقف واحدنا على شاطىء البحر حائرًا مدهوشًا مما يرى . قلاعًا تسير فوق الماء مدججة بالسلاح الضخم اهبة للقتال وارهابًا للعدو . واهراء واسعة الجوف تزدحم فيها ما انتجت الارض او صناعة الانسان تجري بها من سوق الى سوق

نقف ونرى ثم نقول في انفسنا كيف نشأت هاتيك البوارج الحربية وهذه السفن التجارية بل كيف فتق للانسان عقلهُ تسخير البحر العجاج واتخاذهُ مسرحًا لسفائنهِ وسبيلاً يجري فيهِ الى غرضهِ . تلك مباحث لا يشفي الغليل منها الاَّ بنبذةٍ نلخصها عن علم الملاحة فنقول

الملاحة في العربيَّة صنعة الملاَّح وهي تؤدي معنى الكلمة الافرنجية Navigation ويرادفها بالعربية ايضًا كلمة الابحار بمعنى سفر البحر وفي الاصطلاح علم يراد بهِ تسيير السفن في البحار

ولقد نشأ هذا العلم ضعيفًا وتدرَّج في الارتقاء حتى ادرك لهذا العهد موضعهُ السامي من الاتقان ولم يبنَ على الحدس والتخمين بل على الحقائق التي ادَّى اليها الامتحان والتجارب المتكررة مرة بعد اخرى . ومن غريب امرهِ ان الذين جرَّبوا وحُفظت نتائج اعمالهم المصيبة وصارت قواعد الفن لم يكن معظمهم من الفلاسفة او العلماء ولا من القارئين الكاتبين بل من الاميين الذين لما اهتدوا الى ركوب متن الماء صاروا يعملون بما تفتق لهم عقولهم من الاساليب التي يظنونها تبلغ بهم الغرض فكانوا اذا وجدوا من موضوعاتهم سديدًا عملوا بهِ واتبعوهُ وخلفوهُ لمن يجيء بعدهم من ارباب فنهم وان وجدوا ما استعملوهُ قاصرًا عن غرضهم نبذوهُ واتخذوا عنهُ بديلاً فمجموع هذه التجارب هو اصل علم الملاحة قبل ان اخذتهُ العقول وشحذتهُ العلوم . وبهِ يصح القول ان قواعدهُ بنات الفلسفة والجهل المطبق وهذا من الغرابة بمكان

اما مشاركة الفلاسفة فلم تكن الاَّ لاحكام الفن وجعل قواعدهِ قائمة على اسس الحقائق العلمية واهم القائمين بهِ شأنًا اولئك الذين كانوا على علم باحوال البحر ولهم مشاركة في علم الفلك والآلات

ويبتدئ تاريخ الملاحة منذ اقدم العصور واكثرها ايغالاً في عصر الظلمات ايام كان الناس في مجتمعاتهم الاولى وليس لاخبارهم ديوان يرجع اليهِ ولكنا نتابع سائر الباحثين في احوال الفطريين بان نضرب مثلهم في اودية الخيال مستعينين بالتمثيل . فنرى القوم الذين يعترضهم في رحلاتهم او بجاورهم في منازلهم نهر لا يستطيعون اجتيازهُ سباحةً يضطرون الى التحيل في ركوبهِ بوضع اخشاب فيهِ تطفو عليهِ فيركبونها ارماثاً واذا كانت المسافة بين العدوتين طويلة تذرعوا الى نيل غرضهم بقطع الاشجار وحفر سوقها الضخمة بالادوات التي يستعملونها او بالحرق كما يشاهد حتى الآن بين الفطريين في افريقيا . ولعلهم قبل اهتدائهم الى هذا كانوا قد رأوا شجرةً نخرة فاستعملوها ووفت لهم بمطلوبهم . الاّ ان صناعتهم الفطرية لم تكن لتعدَّ لهم من مثل هذا الطرز قوارب تسع اكثر من رجل او رجلين . ثم ان النازلين سواحل البحر يضطرون الى ركوبهِ ومنهم على الاكثر نشأت المعارف الاولى التي اعتمدها الملاّحون لان البحر على سعتهِ يسهل السبل ومتى اعتادهُ المسافرون يرونهُ مقرّباً للمسافات معيناً على الصلة التجارية . فلا غروَ ان يغري سكان سواحلهِ باقتحامهِ وقد عوّضهم عما تحملوهُ من المشاق فيهِ كثيراً من الخير بما فتح لهم من ابواب التجارة وما اعان على اتصال الناس وتبادلهم المنافع والفوائد . حتى ان القارئ يستطيع ان يعرف مقام كل عصرٍ من العصور الماضية من النظر في حال ملاحتهِ

وليس في التاريخ نبأ صريح عن الزمن الذي بدأت فيهِ الملاحة ولا عن الامة الاولى التي تسنى لها هذا الفخر غير ان بعض المؤرخين يزعمون ان فينيقيةَ احرزت قصب السبق في هذا المضمار بحيث ان السفينة الاولى التي مخرت العباب كانت منها الاّ انا نخشى ان تكون هذه الرواية يونانية المصدر وقد اوردها رواتها اثر تأثرهم لعظمة فينيقية في البحر

ولا نعلم كيف بدأ الفينيقيون ببناء سفنهم بمعنى انا لسنا على بينةٍ من حقيقة حالهم ايام عُرفوا باسمهم و بقوتهم البحرية . ولكنهم على رأي جلة الباحثين لم يكونوا فطريين حين نزلوا الثغور الشامية وان صحّ القول بمجيئهم اليها من سواحل البحر الهندي فالمرجح انهم كانوا على علمٍ ضئيل بالملاحة وكيف كان الحال فان فينيقيةَ كانت مظهراً لبراعتهم في هذا الفن ومضماراً لتسابق هممهم في ترقيتهِ والانتفاع بهِ وللظهور الاول في مشهد العالم المتمدن كقوةٍ بحرية ذات عمل مذكور

وقد اتصل بنا من ابحاث العلماء ان اقتراب الثغور الفينيقيةَ بعضها من بعض بحراً ووعورة بعض الطرق برًّا اضطرتاهم الى ركوب البحر

على انهم ما عتموا ان اشتد ساعدهم وصاروا يسافرون الى قبرص ومصر وكيليكية ويبادلون اهلها التجارة ولم يمضِ عليهم الزمن الطويل حتى استطرقوا الى كل سواحل البحر المتوسط بل تجاوزوهُ الى البحر الاسود وما وراء اعمدة هرقل وبلغوا على قولٍ الجزر البريطانية وتلك السفن المكشوفة التي ذوت الامواج فغلبتها اتصل بنا رسمها على النقود الفينيقية القديمة وهي في شكلها اشبه شيء بالسمك الكبير

وقد نقل العلامة رولنسون في كتابهِ الحديث عن تاريخ فينيقية ان هذه السفن كانت تبنى من خشب الشربين او الارز فيشدون الواحها الى بعضها شدًّا غير محكم ويطلونها من الداخل بالقار واقدم ما اتصل الينا رسمهُ منها يدل على ان تسييرها كان اما تجذيفاً او بالشراع . ويغلب في عدد المجذفين في السفن القديمة ان يكون عشرة او اثني عشر ولكنهم ازدادوا بكرور الايام وتحسين صناعة السفن حتى صاروا من الثلاثين الى الخمسين رجلاً وكانوا يجلسون في اول امرهم صفين متقابلين كما يجلس بحارة القوارب لهذا العهد ويحركون المجاذيف وهي مشدودة الى جانب السفينة ويجعلون وجوههم ازاء مؤخرها فان هبت ريح موافقة رفعوا شراعاً على سارية مرتفعة من وسط السفينة مشدودة بالحبال وكان الشراع يدار على حسب رغبة الربان

ومما ينسب الى الفينيقيين اختراعهم ضرباً من السفن يكثر فيهِ عدد المجذفين ويقال لهُ بيرام Birames اي مزدوج التجذيف وقد رسم شكل هذه السفن على الآثار الاشورية منذ عصر سنحاريب في اوائل القرن الثامن قبل المسيح والمرجح ان استعمالها كان شائعاً قبل ذلك العهد بازمنة طوال . والظاهر من شكلها المرسوم انها كانت في اول امرها قليلة الارتفاع ثم زيد عليها بناء ظهرٍ لها فاصبحت ذات جوف يجلس فيهِ المجذفون على مرتفعين احدهما اعلى من الآخر ويعملون في التجذيف من ثقوب تبرز المجاذيف منها الى البحر صفًّا فصفًّا

ومن العجيب ان تلك السفن الضعيفة الحول كانت تقاوي الانواء والعواصف وتغالب الامواج وتصل الى ميناء قصدها سالمة لا سيما وان الملاحة يومئذٍ كانت بقية النشأة الاولى ايام كان البحارة لا يبعدون عن البر كثيراً . وهذا النسق يعتبر في الابحار محفوفاً بالاخطار لان البحار البارع لا يخشى من الامواج اذا هي اقبلت كالجبال ولا من الرياح الهوج اذا هي عصفت كهزيم الرعد اذا كان مركبهُ في ظهر البحر الواسع يتصرف بادارتهِ وتحويلهِ من نقطة الى اخرى بملء حريتهِ ولكنهُ يخشى الاقتراب من البر والتضييق على مركبهِ في مجال الحراك خوفاً من نشوبهِ على الصخر او الرمل . ألا ترى سفن القرس كيف تحطمت منها المئات

عند جبل اثوس ومغنيسيا واوبيا لانها كانت تقترب من البر ومثلها لقيت بوارج فينيقية وهي قد خرجت من مرساها مشحونة بالكماة ومدججة بالسلاح فلم يبقَ منها الاَّ القليل

ولقد مرَّ على الاقلام حين من الدهر كانت فيهِ تسخر لتدوين اساطير الاولين فتحار فيها الباب قرائها اذ يرونها من الترهات التي لا تعار جانب الثقة وهي مع ذلك واردة في معرض الامر الواقعي من ذلك انهم كانوا يحكون عن غزوة الارغنوط و يبالغ رواتهم في تدوينها وكلها يراها نقدة العصر من الاساطير الموضوعة الاَّ ان من الحكايات ما كان صادراً عن حقيقة موهت عليها الخرافة ونسجتها على منوالها فكادت تذهب الحقيقة الضئيلة ضياعاً بين هاتيك الترهات المحوكة

فالابحاث الحديثة كشفت القناع عن حقيقة غزوة الارغنوط بانها اشارة لما كان يلاقيهِ بحارة اليونان لاول عهدهم من الجهد والعناء في التوصل الى شواطىء البحر الاسود ولكن ما عتم ان انقضى زمن الخرافة عندهم وجاء الدور التاريخي لملاحتهم ثم برزت سفنهم تناظر اساتذتهم الفينيقيين في اعمالهم واسفارهم حتى غلبوهم في ما جاورهم بحيث اضطر الفينيقيون ان يتركوا لهم البحار التي تجاورهم وان يضربوا في عرض البحر توصلاً لمواضع اخرى ثم عزَّت بعد ذلك ملاحة المصريين على قلة ثم ملاحة قرطاجنة والاتروسكان

اما المصريون فان النيل كان احسن مدرسة لتعليمهم فن الملاحة فيهِ ولكنهم لم يقتصروا على تسيير سفنهم في مائهِ بل سيروا بعضها في مياه البحر المتوسط وفي عباب البحر الاحمر حتى خليج العرب

وبلغ من همتهم ان احد فراعنتهم فتح ترعة من النيل الى السويس كانت السفن تسير فيها لاستبضاع النحاس من القطر العربي

ونالت البحارة المصرية مقاماً لكنها لم تدانِ الفينيقية ولا اليونانية على ان الدول المصرية كانت على اتم وفاق مع الفينيقيين تسمح لهم بالقيام في بلادها للتجارة وبالتردد عليها لحمل نتاج ارضها الى البلاد البعيدة التي تنتابها فادى ذلك الاتفاق الى مواثقة اخرى ذهب بها الاسطولان الفينيقي والمصري في اسفار شاسعة اهمها الطواف بحراً حول افريقيا والفضل في هذا الطواف يعود على الملاحة الفينيقية اكثر منهُ على المصرية لان الفرعون نيخو استخدم البحارة من الفينيقيين فسارت السفن من احدى مرافىء البحر الاحمر محاذية للبر عند باب المندب ثم حذاء السواحل الشرقية من افريقيا مخترقة عباب البحر الهندي متجهة جنوباً حتى اجتازت بلاد الصومال فزنجبار فوزامبيك فبلاد الزولو ومنها طرقت رأس الرجاء واذ بلغت

اقصى الطرف الجنوبي عادت على محاذاة البر الغربي مارة بما هنالك من الاقطار حتى استدارت افريقيا وبلغت بوغاز طارق ومنهُ دخلت البحر المتوسط وجعلت تدنو يوماً فيوماً من المرافئ المصرية فبلغتها بالامن والسلام وكانت مدة غيابها في السفر نحوًا من ثلاث سنوات قضاها البحارة راكبين متن البحر وكلما اعوزهم الزاد كانوا ينزلون البر ويعالجون فيهِ قطعة من الارض بالحرث والزرع فيقيمون ثمَّ حتى ينمو زرعهم وينضج فيحصدونهُ ويجمعونهُ في اهراء سفنهم زادًا لهم

وكأني بهم لم يكونوا يقصدون اتمام طوافهم سراعاً وانما تمهلوا فيهِ ليأتوا على اخرهِ آمنين فكانوا يسيرون حذاء الساحل ما طابت لهم الريح وصفا الجو وسكن البحر فاذا لم يجدوا من الاحداث الجوية عونًا او لقوها واقفةً لهم موقف العدو لجأوا الى البر حتى تكسر حدتها ويؤمن جانبها على انهم لم يكونوا يخشون من الاهلين ضرًّا ولو كانوا من اشد البرابرة توحشاً لان مجيئهم الى جوارهم لم يكن الا للاكتشاف ومعهم اشياء من السلع التجارية يقايضون عليها

ولا خفاء ان هذه الرواية نقلها المؤرخ هيرودوتس وقال فيها لكن التجار يقولون انهم بعد سفرهم حول افريقيا بزمنٍ قصير صارت الشمس تطلع عليهم من يسارهم ثم صرَّح بانهُ نقل الخبر عن قائليهِ وهو لا يصدّق مياسرة الشمس لهم

ومن العجب ان بعض النقدة حسبوا خبر الطواف مكذوباً ولم ينتبهوا الى ما انتبه اليهِ المؤرخون المدققون وفي صدرهم كروت وررولنسون من ان خبر طلوع الشمس عن يسارهم لهو الدليل الصادع الذي يؤيد خبرهم لان اليونان في عصر نيخو ومثلهم المصريون والفينيقيون لم يكونوا يعرفون عن الشمس حقائق حالها من الشروق والاظلال والغروب واذا كان من نوابغ القوم من يعرف حقيقة من هذه الحقائق فان عامة الناس لم يكونوا يعرفون شيئاً غير ما يشاهدونهُ وهذا يدل على ان البحارة لم يضعوا الخبر من عند انفسهم بل حكوا ما وقع لهم

وكما ان الفينيقيين كانوا في طليعة بحارة العالم ولهم السبق على معاصريهم ومنهم اخذ اليونان فن الملاحة وبهم استعان المصريون في بناء سفنهم وتسييرها وتدبيرها هكذا لما جاء الدور الروماني اخذت تلك الدولة نصيبها من الملاحة عن الاتروسكان بعد اذ اضطرت الى تعزيز تجارتها لمناوأة قرطاجنة بنت فينيقية ذات القوة الضخمة في البر والبحر ولم تكن مناوأة رومية لقرطاجنة الا مغالبةً لها على امتلاك ناصية التجارة البحرية التي ادرّت على نظيرتها اخلاف الثروة كما ادرتها من قبل على امها فينيقية

ولم تكن معدات الملاحة حتى يومئذٍ قد ارتقت عن الحالة الاولى الا قليلاً فصارت السفن

من ذوات الثلاث طبقات واصبحت البوارج المعدة منها للحرب تنقل الجند وسلاحهم واذا وقع التلاحم بقي الجذفون على عملهم واشتغل الكماة بالقتال والربان يدير السفينة بمعرفته

ومن السفن التي كانت تنتاب البحار يومئذٍ سفن القرصان اي لصوص البحر وكانت تجهز بمثل جهاز السفن التجارية حتى لا تفرق عنها وقد يغرُّ بها كثيرون من ربانية السفن الاخرى ولذلك صارت السفن كلما دنت من بعضها تتساءل عن شؤونها فان كانت تجارية سار كل منها في طريقهِ وان كانت قرصانية حمل بعضها على بعض واشتبك القتال والغنيمة للظافر

ومرَّت العصور فكانت اوربا في العصور المسيحيَّة الاولى ممالك صغيرة بعضها في جاهليتها والبعض في زمن الانقلاب فلما وهنت العزة الرومانية لم يكن من ممالك الاسلام الاولى ميل لركوب البحر الاَّ قليلاً في المياه المجاورة لممالكهم واما سكان شمالي اوربا كالنورمان والدنمركيين فكانوا يركبون سفنهم ويشنون بها الغارات على السواحل القريبة فيسلبون وينهبون . ولذلك لم يكن لاختبار اولئك البحَّارة يد في اصلاح فن الملاحة الاَّ ان بعض الايطاليين من اهل جنوى والبندقية كان لهم منذ عهدٍ بعيد قدم راسخة في التجارة البحرية وساعد شديد في الحرب بحيث كانوا لا يفترون عن اتقان بناء سفنهم واعدادها لاتمام مقاصدهم فتسنى لهم بذلك ادخال اصلاحات جمة في تحكيم الشراع وضبطهِ وكأَنهم بما توفقوا لايجادهِ من الاصلاح قد مهَّدوا السبيل لنبوغ جماعةٍ منهم يدهشون العالم باعمالهم البحرية وبنتاج ملاحتهم الغريب

ومما يذكر ان البحَّارة الاقدمين واهمهم الفينيقيون لم يكونوا يعرفون من فن الملاحة الاَّ نزرًا قليلاً يتمكنون بهِ من السفر من ثغرٍ الى آخر على محاذاة البر على انهم ما عتموا ان صاروا يبعدون عن البر ويستسلمون لحكم الامواج فيغالبونها في مضمارها ولكن على مسافات غير بعيدة المدى كما هي الحال في بعد جزائر المتوسط عن البر وعن بعضها . فهذا الابتعاد عن البر لا يتم التحكم فيهِ الاَّ بضبط تلك الابعاد ولذلك ظن بعض الباحثين ان الفينيقيين كانوا على علم باصول الحساب وكأَنهم اعتمدوا رواية سترابو القائل ان الصيدونيين خصوصاً كانوا يعرفون علمي الفلك وساك الابحر لانهما ضروريان لمعرفة سير السفن وعلى الخصوص ليلاً ويرى غيره ان البحارة كانوا يومئذٍ يسرون ليلاً مستهدين بنجم القطب وانهم كانوا قد رسموا لانفسهم ضربًا من الخرائط وفيها المواضع وابعادها على معدَّل وضعوهُ لانفسهم والاَّ خفت اسفارهم بالمخاطر

الاَّ ان البحارة الاولين الذين كانوا يقصرون اسفارهم على الثغور القريبة من سواحل

المتوسط ربما كانوا اجهل من ان يراعوا قواعد الفلك والحساب او يستشيروا خريطةً او رسماً ولا غرابة في ذلك ونحن نرى كثيرين من بحارة السور بين يضارعونهم جهلاً واقتداراً على تسيير قواربهم بين الثغور الغربية على قواعد تلقنوها من اسلافهم او تعلموها بالمزاولة

اما الذين تعدّوا حدود المتوسط فانهم لقوا ما لم يعرفوا في مياههِ اذ تعرفوا بالمدّ والجزر وعلاقتهما بالشمس والقمر ولم يكونوا يخطئون الأَّ في ظنهم ان مدّ الربيع يكون على اشدّهِ في الانقلاب الصيفي مع انهُ يكون كذلك في شهر ديسمبر حيث تكون الشمس اقرب الى الارض منها في الفصول الاخرى

وكان بحارة العصور القديمة يتوارثون طرائقهم ويأخذون بعضهم عن بعضهم وكلهم حتى العصور الوسطى لم يتفق لهم الخروج بفن الملاحة عن البسيط الساذج . مع انهُ قيل ان الصينيين كانوا منذ اقدم العصور يستخدمون الحك في سفنهم فنقلهُ فلافيو جيوجا النابولي الى بلادهِ سنة ١٣٠٢ وقال الدكتور جلبرت ان الذي نقل الحك من الصين الى اوربا هو الرحالة المشهور ماركو باولو سنة ١٢٦٠ . وآثر بعضهم عن همبولدت قولهُ انهُ ورد في كتاب صيني من مؤلفات النصف الاول من القرن الثاني انهُ قبل ذلك بتسعمئة سنة اتى الصين سفراء من قبل تونكين وكوشين تشين فلما ارادوا الانصراف اركبوهم على عجلات ممغنطة لتسيرهم الى بلادهم من غير ان يضلوا الطريق وان بعد ذلك الوقت بنحو قرن استعمل الصينيون في سفنهم المغنطيس متجهين بهِ نحو الجنوب استهداء بهِ في اسفارهم البحرية

الّا ان بعض النقدة لم يجزموا بمعرفة البلاد التي توفقت لايجاد الحك . وآخرون ينسبون اصلهُ للصينيين وانهم كانوا يضعون قطعة من الحديد الممغنط على قطعة من الفلين فكأن فلافيو جيوجا رأى ذلك فاعمل الفكرة واخترع الابرة المغنطيسيَّة ولذلك اثبت لهُ بعض المؤرخين فضل اختراعها لا نقلها عن الصينيين . غير ان هذا القول مردود بما آثر الاسقف جاك ده فتري مطران عكاء من وجود الحك في سوريا سنة ١٢٠٤ الى سنة ١٢١٥ وكأن الصليبيين نقلوهُ منها الى فرنسا لانهُ وجد فيها سنة ١٢٥٠ وفي نروج قبل سنة ١٢٦٦

— وايٌّ كان مخترع الحك فلهُ الفضل على الملاحة لان باستعمالهِ اتضحت سبل السفن وتساوى في سيرها الليل والنهار قرب البر او ابعد وبهِ استعان كبار الملاحين على ارتياد البحار المجهولة واكتشاف ما وراءها وبهِ بدء زمن الملاحة الحديثة الذي غيّر اوضاع الفن القديم ونقلهُ من كونهِ فن تجربةٍ وامتحان الى علمٍ باصول وقواعد

واستخدام الحك في السفن الاوربية جاء في زمن كان قريباً من عصر الانقلاب الذي

بهِ تغيرت الشؤُون وانطلقت العقول من عقالها وفتح للاجتهاد باب الكسب . فكان نجاح الملاحة سلسلة اول حلقاتها استعمال الحك فاندفاع التجارة لارتياد البحار المجهولة فاكتشاف البلدان من العالم الجديد فتردد المتجرين والمهاجرين اليهِ فاتساع دائرة الملاحة وانتباه النوابغ الى تحسينها عملاً وعلماً كل هذا رقي بها درجةً فدرجة حتى ان تلك القوارب المكشوفة التي يكاد لا يقوى نوتيها على مفارقة البر الأ خطوات معدودة صارت امهات هذه البوارج المدرعات والطرارادات الهائلات والبواخر على تنوع اشكالها ج . ي

تعريب الاسماء الاعجمية (١)

ايها السادة

ينبئنا التاريخ ان اللغة العربية كانت لآخر القرن الثاني عشر الهجري قد وصلت الى منتهى الضعة وكادت تصبح اثرًا دارسًا ولولا رجلان فكرا في احيائها ووجدا من خيرة الاعوان من كان شعارهم الاخلاص والجد لكنا اليوم على ما كان عليهِ سلفنا في اواخر ذلك العهد

اما اولهما فمحمد علي باشا مؤسس الاسرة الخديوية زادها الله تشريفاً وتكريماً فانهُ وجد المرحوم رفاعة بك وتلاميذهُ بعد ان زجَّ بهم في مضمار الحياة فساروا شوطاً بعيدًا ووضعوا الحجر الاول في نهضة اللغة . كتبوا وترجموا شيئاً كثيرًا ابقتهُ لنا الايام دليلاً على اخلاصهم ثم على مقدرتهم واستعدادهم لم يتركوا فنًّا من الفنون التي كنا مستضعفين فيها الأ كتبوا فيهِ ترجمةً او من عند انفسهم . واما الثاني فهو صاحب الدولة المخلص في خدمة بلادهِ مصطفى رياض باشا فانهُ وجد الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وتلاميذهُ ورجال العزيمة من نابغي السوريين فقاموا بالنهضة الثانية . وعهد الى الاستاذ المرحوم اصلاح الوقائع المصرية والاشراف على ما يكتبهُ ارباب الدواوين في محاوراتهم فكان ذلك منبهاً لهم ان يعتنوا باصلاح ما يكتبون وتعلُّم ما يجهلون . ومن اكبر مساعد لتلك النهضة الجرائد العربية على اختلاف مذاهبها ومشاربها فهي التي رفعت من قدرها وساعدت على رقيها بما كان يبذلهُ اصحابها من الهمة في اختيار اللفظ والاسلوب سواء في ذلك فاضلهم ومفضولهم

اذا دبت الحياة في جسم فانها لا تقف عند غاية فان صاحبها دائماً يرجو الكمال وهو ابدًا بعيد من الانظار كذلك نحن الآن فانا في بدء نهضة ثالثة يأخذ بيدها ويشد ازرها

(١) خطبة تليت في نادي دار العلوم بالقاهرة في ٣٠ يناير

ذو السعادة الوزير المخلص سعد باشا زغلول ناظر المعارف العمومية في عهد مولانا وسيدنا امير مصر عباس باشا حلمي الثاني فهو مؤيد النهضة الثالثة كما كان جده مؤيداً النهضة الاولى

تلك النهضة ان تكون اللغة العربية لغة تعليم وتعلم وكتابة وتكلم ينبت فيها الصغير ولا يخل بوزنها الكبير والاعوان اليوم اكثر منهم بالامس فان البذور التي غرست قد اثمرت في كثير من الانفس الطيبة فصارت من انفسها تطلب الغايات وترقب الكمال. والمعونة من مثل هؤلاء اعظم

هذا المطلوب ايها السادة عزيز المنال وعر المسالك فلا بدَّ للوصول اليهِ من عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتهيئة الطريق حتى لا تلتوي علينا المقاصد فنظن انفسنا سائرين للامام ونحن للخلف راجعون ننظر امامنا فنجد عقبات كثيرة لا بدَّ ان نقدرها قدرها حتى يمكننا تذليلها عقبات كثيرة لست في معرض احصائها الآن لاني اقتصر على عقبة واحدة جعلت مجال البحث بين ايديكم

بيننا محدثات كثيرة تصل بلادنا على ايدي المخترعين الذين قدروا بجدهم ان ينتفعوا من كل ما خلقهُ الله سبحانهُ للانسان ولم يكن آباؤنا قد عرفوها حتى يعدوا لها العدة من الاسماء المبينة لمسماها. فنقف امامها مبهوتين لا ندري كيف نعبر عنها فاذا كتبنا وقف بنا القلم عندها حائراً فمنا من يكتب اللفظ الذي وضعهُ المخترع ويحيطهُ بقوسين علامة على انهُ ليس من لغتنا او بعبارة اوضح علامة على نقص اللغة وقصورها من كل جديد . ومنا من يحتال لذلك فيؤدي المعنى بكلمة وضعها العرب بازاء مسمى آخر . وما يجدهُ الكاتب يجد مثلهُ المتكلم لا يتفق الناس على شيء يتبعونهُ وهذا نقص عظيم يجب ان نتلافاهُ وان نتفق على ما نستعملهُ لذلك وضعنا موضع البحث هذا السؤال

ما هي الطريقة المثلى للدلالة على المحدثات أتعريب الفاظها التي يضعها لها محدثوها وصقلها حتى تكون موافقة للهجات العرب ام التوسع في بعض الالفاظ العربية ووضعهُ بازائها

وقبل الافصاح برأيي في هذه المسألة أُبين لحضراتكم كيف كان العرب المتقدمون يفعلون اذا عرض عليهم شيء محدث من طريق غيرهم

ولا أُريد ان اتوسع في البحث الى ما وراء اسماء الاجناس فان اللغة العربية عندها من الثروة في الاسماء الدالة على المعاني ما لا تحتاج معهُ الى استعارة من غيرها اما اسماء الاجناس فانها بالضرورة تتجدد بحدوث مسمياتها والعرب كما تعلمون كانوا فقراء جداً في هذه المواد فانهم اهل بادية وحاجات المتبدي قليلة اذ ليس امامهُ الا سماؤُهُ وارضهُ وبهمهُ

وسلاحهُ ووجدانهُ فمن المعقول ان يتفنن في وضع ما يدل على اجزاء ذلك من الاسماء اما ادوات الحياة مما تخرجهُ الصنعة وتبدعهُ الفكرة فهو منها بعيد وقلما يتلقى بادبهم شيئاً منها عن بلاد أُخرى لانهم انقطعوا عن الامم او كادوا

فاما الحضر منهم وهم سكان ريف العراق ومشارف الشام واليمن فقد كان لهم من جوار الفرس والروم ما جعلهم يتلقون كثيرًا من الاداة فتسوقهم حاجات التعبير والابانة عما في النفس الى ان يكون لذلك الشيء الذي استعملوهُ لفظ يعبر عنهُ والمعقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاثة طرق

الاول الوضع الجديد وهذا لا مجال للكلام فيهِ لان الاقدمين ما عولوا عليهِ وليس بيننا من يقول بهِ على ما اظن . وسبب هذا فيما اعلم ان احرف اللغة العربية قد شغلتها الاوضاع فقلما تركب ثلاثة احرف الاَّ وجدنا مجموعها قد وضع واستعمل اللهمَّ الاَّ حروفاً قلائل استثقل العرب جمعها في كلمة واحدة ومثل الثلاثة الاربعة والخمسة والستة .

الثاني التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجوُّز بان يكون اللفظ قد وضع بازاء مسمى ولمناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل ذلك اللفظ في المعنى الجديد ككلمة تامور فانها في اصل اللغة القلب لانهُ وعاء الدم ثم توسعوا فيها فجعلوها لكل وعاء فاذا جاءهم اي وعاء على اي شكل استعملوا فيهِ لفظة تامور ولا يأخذون عن غيرهم شيئاً حتى يتركوا كلمة ابزيق التي وضعها صناعهُ لتدل على شكلهِ الخاص بهِ . ويبحثون في كلماتهم القديمة عن لفظ قديم يدل على ما يشبه الدينار والدرهم فيستعملونهُ فيهما ولا يأخذونهما

الطريق الثالث التعريب وهو ان يؤخذ من المخترع للشيء المسمَّى واسمهُ بعد ان يصقلوهُ بالسنتهم حتى يكون خفيفاً عليها مناسباً للهجتها وهذا هو الطريق المعقول الذي اتبعهُ العرب وكل امة من امم العالم

مضى على الامة العربية زمن طويل قبل الاسلام وهي تتناول الالفاظ الدالة على الاجناس من واضعيها وتلحقها بلغتها من غير ان يقف في طريقها معارض .

اخذوا الدينار والدرهم والحقوهما بابنيتهم واشتقوا منهما فقالوا فرس مدنر اي فيهِ نقط كالدينار وقالوا دنر وجههُ اي تلألأ ودينار مدنر اي مضروب ودُنر فلان كثرت دنانيرهُ . وقالوا رجل مدرهم اي كثير الدراهم ودرهمت الخبازى صار ورقها كالدراهم . واخذوا اللجام واشتقوا منهُ فقالوا أُلجم وملجم ولجم وتجوزوا في استعمالهِ فقالوا التقي ملجم لانهُ يتقيد اللسان ويكفهُ كما يفعل اللجام بالدابة

اخذوا من المصنوعات الاستبرق والسندس والاساور والابريق والطست والخوان والطبق والخز والديباج والهندسة والمهندس . واخذوا من النباتات النرجس والبنفسج والنسرين والسوسن والياسمين والجلنار والزنجبيل والقرفة والفلفل والكراويا والعنبر والكافور والصندل الى غير ذلك مما احصاهُ نقلة اللغة

وكانت قاعدتهم في التعريب على جهتين (الجهة الاولى) ان يلحقوا الكلمة بابنيتهم ومتى صارت الكلمة كذلك عدت من اللغة وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها. وكانوا يبدلون حرفاً مكان حرف لتقارب مخرجيهما كما فعلوا في لجام وكان اصلهُ لغام بالغين والجيم والغين متقاربان مع سهولة الجيم واذا كان الحرف بين كاف وجيم جعلوها جيماً لقربها منها ولم يكن بدٌّ من ابدالها لان ذلك الحرف ليس من كلامهم فقالوا جربز وآجر وجورب وربما جعلوها قافاً لانها قريبة ايضاً فقالوا قربز ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم الجيم فقالوا كوسج وساذج واصل ذلك كوسه وساده كما ننطق بهِ نحن الآن ويبدلون مكان الحرف الذي بين الفاء والباء الفاء فقالوا الفرند والفندق وربما جعلوها باء فقالوا برند فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منهُ ما قرب منهُ من الحروف الاعجميَّة . والجهة الثانية ان يبقوا الكلمة على وزنها عند الامة ذات الشأن في وضعها كما فعلوا في الابريسم والاهليلج وكما فعلوا في كثير من الاعلام وقصدهم من ذلك ان لا يبقى هناك كبير فرق في النطق بين اللفظين الاصل الاعجمي وشبيه العربي حتى يكون الفهم والافهام اللهم الاَّ ما دعت اليهِ ضرورة العربي في النطق

جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الاعجاز ووصفهُ الله سبحانهُ بانهُ لسان عربي مبين فاستعمل كثيراً من الالفاظ التي عربتها العرب وهذا اقرار من الله سبحانهُ على طريقة التعريب

استعمل القسطاس والاستبرق والفردوس والمسك والكافور والزنجبيل والسندس والابريق والمشكاة واليم والطور وما شاكلها. وقد الف فيما عُرب واستعملهُ القرآن من الالفاظ استاذنا الحافظ اللغوي الشيخ حمزه فتح الله كتاباً جمع فيهِ من ذلك كثيراً. وقد نُقل عن ابن عباس ترجمان القرآن وكثير من التابعين واهل العلم والفقهاء ان هذه الالفاظ من لغات العجم سقطت الى العرب فاعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى الفاظها فصارت عربيَّة ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلمات العرب وهذا الذي جعل لبعض اهل العربيَّة ان يقول ان القرآن خلو من كلام غير العرب لان ما رضيتهُ العرب من

الكلمات بعد تعريبهِ صار عربيًا مبنيًا وأُلحق باحرف اللغة فلا حرج في استعمالهِ بعد

ومما ازيدكم بهِ بيانًا ايها السادة ان بعض الالفاظ التي عربها العرب موضوعة لاشياء تشابه ما لهُ اسم عربي ولكنهم اختاروا الاسم الاعجمي لدلالتهِ على شكل خاص للمسمى كما اخذوا كلمة ابريق وعندهم التامور واخذوا كلمة البط وعندهم الاوز للصغار والكبار واخذوا الهاون وعندهم المهراس والمحاز واخذوا الطاجن وعندهم المقلى والميزاب. وعندهم المثعب وهو مسيل الماء في الوادي والسكرجة. وعندهم الصحفة. والمسك وعندهم المشموم. والجاسوس وعندهم الناطس. والاترج وعندهم المتك وذلك لاسباب قوية منها ان اللفظ الذي عندهم عام واللفظ الجديد خاص فتكون دلالة ما عندهم على المسمى ضعيفة

هذا هديهم قبل الاسلام — اما بعد الاسلام فان العرب حينما جدوا في العلوم وارادوا ان تكون اللغة العربية لغة علم كما هي لغة قوم ولغة دين ترجموا اليها كتب العلم التي وصلت اليهم من امم الروم والفرس واتبعوا تلك الطريقة نفسها فكانوا يأخذون اسماء الاجناس كما هي و يستعملونها في كتبهم و ينطقون بها كانها من لغتهم ووجد من هذا شيء كثير خصوصًا في الطب والحكمة والهندسة ولم يلتفتوا الى الرأي الذي يقول بالرجوع الى الوراء واستعمال الالفاظ التي اماتها الزمن لعدم صلاحيتها للاستعمال او المستعملة في معان اخرى

والفقهاء انفسهم لم يحجموا عن اخذ الالفاظ من غير اللغة العربية وتعريبها

يلزم من اتباع رأي التجوز مضار اهمها ان اللغة وضعت لتدل على ما في النفس حتى يفهم السامع تمام ما تريد واشتراك الالفاظ في المعاني مما يخل باصل المقصود. والتجوز لابد فيهِ من اقامة القرائن على ارادة ما استعمل اللفظ فيهِ وهذا وذاك كثيرًا ما اوقفانا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بعد ذلك ان نضيف الى آلامنا آلامًا

يقولون ان الحق في التعريب انما كان لامة سلفت وبادت فلم يبقَ لها من اثر وان ما كان يباح للاعراب في بواديهم على قلة حاجهم لا يباح مثلهُ لنا في القرون المتأخرة على كثرة الحاج وهذا كلهُ بنوهُ على قاعدة لا اساس لها وهي تشبيه اللغة بالدين في التمام فكما ان الله سبحانهُ اتم دينهُ الذي انزلهُ على رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم فكذلك العرب قد اتمت وضع لغتها ولم يبقَ من بعدهم من يحق لهُ ان يضيف اليها كلمة جديدة كما انهُ ليس لمسلم ان يضيف على دينهِ حكمًا جديدًا

لكن الفرق بين الامرين ظاهر فان الدين وضع الهي شرعهُ من لهُ حق التشريع والالزام وهو الله سبحانهُ واتم وضعهُ على قواعد راسخة واساس ثابت فلم يبقَ لاحد مجال ان

يزيد على هذه القواعد او ينقص منها اما اللغة فمقصد منها الابانة والافصاح وهي من وضع الافراد تتجدد بتجدد الحاجات

وليس من قصدي ان ابحث الآن في امر اللغات أهي توفيقية ام وضعية فان ذلك مما فرغ منهُ العلماء وانتهى بهم البحث الى الرأي الثاني حتى ان كثيرًا من اصحاب الرأي الاول قالوا ان المراد بما وضع اولاً هو الكلمات التي تدل على مثل السماء والارض والهواء مما هو موجود منذ وجد الانسان اما ادعاء ان الالفاظ الدالة على المخترعات والمحدثات مما علمهُ الانسان الاول آدم صلوات الله عليهِ فهو مكابرة للمحسوس

ومتى ثبت انها تتجدد بتجدد الحاجة فالمحتاج من المتمسكين بها متى علم اصولها ولهجتها لهُ حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفهِ

ولا ادري ما الفرق بين من عُلّم اللغة تلقينًا من ابيهِ وامهِ وبين من عُلّمها من معلم غيرهما واعتادها بعد ذلك في كلامهِ وكتابتهِ حتى صارت لهُ ملكة يمكنهُ ان يقف ساعة فيخطب بها من غير ان يحيد عن طريقها ويكتب كتابًا صحيحًا يقرأ في ساعات او ايام

ان اخواني الذين يخالفونني في الرأي ويقولون بالتوسع في استعمال المفردات لا ينجون من تغيير الاوضاع والدلالات العربية

فهم بلا شك يتفقون معي في ان حق التغيير للحاجة ثابت لنا ومتى اتفقنا على نيل هذا الحق لم يبقَ الاَّ التخيير بين سهل واسهل و مفيد وتام الافادة·ولا مراء في ان اللفظ الذي وضعهُ واضعهُ للدلالة على شيءٍ اخترعهُ اسهل في الدلالة واتم في الافادة لانهُ وضع بازائهِ تمامًا كما وضع لفظ الابريق بازاء تلك الاداة التي نعرفها بخلاف الكلمة التي نتصيدها من موات اللغة فانها اما ان تكون موضوعة لشيءٍ هو اعم فنخصصها ويلزمنا ايجاد القرينة للدلالة على ما نريد فنحتاج الى لفظ وقرينة واما ان تكون مستعملة في شيءٍ فيهِ مجرد مشابهة كما بين الاوتوموبيل والسيارة فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على معنيين او معان كثيرة فالسيارة استعملت للدلالة على معنى هو القافلة او الركب فاذا قلت جاءت سيارة هل يفهمني المخاطب بمجرد لفظي اظن لا بل لا بد مع ذلك من كلمة اخرى مبينة للمراد

لا ادري ما المانع من ان يدخل في اللغة ترام و يقال اترم ومترم كما قالوا لجام والجم وملجم

ان الكلمة التي نريد اصطيادها قد وضعها واضعها بالضرورة لتدل على معنى خاص فاذا نحن اخذناها واستعملناها في شيءٍ جديد لم نكن قد جرينا على لغة العرب لاننا خالفنا اوضاعهم ومقاصدهم فهم وضعوا بشكى وجمزى مثلاً للناقة السريعة فاذا جعلنا كلمة منهما

بازاء الترام نكون بلا شك وضعنا وضعاً جديداً لم يسبقنا اليهِ سابق . واجتلاب مثل هذه الالفاظ بالنسبة لمحفوظ اللغة كوضع الفاظ جديدة مؤلفة من احرف اللغة فسيان في الاعتراض على رأيهم ان نقول للترام بشكي وان نقول لهُ ترام لانهما كلاهما استبداد بوضع اسم لمسمى لم يكن لهُ وجود قبل الآن الا ان وجه الضرر في الاول ظاهر كما يتضح وجه المنفعة في الثاني فانا في الاول نجري على خطة لا اساس لها مع وصف الخروج عن اوضاع المتقدمين وفي الثاني نجري على خطة اتبعها سلفنا مع الوضاحة التامة في الاسم والمسمى ولا ادري بعد ذلك ما الذي يدعونا الى تعسف الطرق لعلهم يرون في ذلك رأياً فيقولون انا باتباع الطريق الاول حافظنا على ما بين دفتي القواميس فلم نحد عنهُ قيد شبر ولم نخرج عما نطق بهِ العرب في براديهم وفي ذلك من احترام الآباء واقناع الناس بغنى اللغة العربية وثروتها حتى لا يهزأ بنا هازئ فيقول ان لغة تربو عدة كلماتها على الثمانين الفاً محتاجة الى ما يكملها و يسد ثلمة فيها

اما دعوى ان هذا محافظة على ما هو عندنا فغير صحيحة لانها انما تكون بالمحافظة على الاسم والمسمى الذي وضع اللفظ بازائهِ واذا لم نفعل ذلك كنا قد خيلنا على الناس تخييلاً لا قيمة لهُ وارتكبنا في التغيير من اوضاع القواميس ما لا يخفى لاننا اذا كتبنا لفظاً من هذه الالفاظ التي اخترنا التوسع فيها واستعمالها لشيء جديد أنذكر في قواميسنا معنييها القديم والحديث فنكون ابتدعنا واوقعنا السامع والمتعلم في حيرة ام نترك ذكر المعنى القديم ونقتصر على الحديث . ووصف هذا بالافساد في لغة المتقدمين واضح لا يحتاج الى بيان وخير منهُ ان نذكر لفظ ترام مثلاً بعد الاتفاق على لفظها ونذكر بجانبها معناها وانها مما عرب للدلالة عليهِ ونبين تاريخ تعريبها فيكون ما وضعهُ المتقدمون معروفاً وحدهُ وما الحقهُ باللغة المتأخرون معروفاً وحدهُ وهذه هي المحافظة الحقيقيَّة على ما ورثناهُ من سلفنا

واما ان يغتر مغتر بكثرة الفاظ اللغة حتى لا تحتاج الى مزيد ففيهِ غلطتان كبريان فان الثروة المزعومة لا نقول بها لانا ان طرحنا منها المترادف ما وجد معنا بعد ذلك اكثر من الثلث بهذا العدد فكثيراً ما نجد المعنى الواحد لهُ اسمان فاكثر الى خمسمائة اسم كما قالوا في السيف والخمر والهر والعسل وما شاكل ذلك وهذه ليست بثروة

والثروة التي اسلّم بها انما هي في اسماء المعاني وليست داخلة في موضوع بحثنا

واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيهِ لغة من لغات الامم الحية لان الامم كلما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج ترون مجامعهم في شغل دائم لا يأنفون ان يجدوا يوماً ما في لغتهم كلمة زائدة

دلت على معنى جديد واكثر احوالهم الاستعارة من غير لغتهم. واذا كنا نرى عقولنا قد وقفت عن الاختراع فانا نرى انفسنا في حاجة الى استعمال مخترعات المخترعين والتعبير عنها

نرى رجال الجرائد وهم الذين يرجع اليهم معظم الامر في الاحياء والاماتة للالفاظ قد عرض عليهم في بعض الاوقات كثير من الالفاظ فهجروهُ واستمروا على استعمال ما وضعهُ الواضعون في جرائدهم فلا يزالون يستعملون تلفون مع انهُ قد ترجم لهم بكلمة مسرة ولم ارها في جريدة من الجرائد يوماً واحداً ويستعملون اوتوموبيل ولا يستعملون سيارة لئلا يختلط عليهم الامر بين السيارات السماوية والسيارات الارضية الى كثير مما يماثل ذلك وهذا اعتراف منهم او على الاقل شعور بان طريقة الترجمة والتوسع ضررها اكثر من نفعها وان طريق التعريب اوضح مسلكاً

النتيجة

بعد ان بينت لحضراتكم ما قام في نفسي على لزوم السير في طريق التعريب اقدم لحضراتكم مقترحي حتى تتناولوهُ بالبحث ليتمحص الحق

(١) تكوين مجمع يعهد اليهِ التعريب ينتظم ممن حيث فيه ملكة اللغة والعربية ومهر في معرفة مفرداتها ولهجاتها وانما لزم وجود المجمع لانهُ لا ضرر علينا وعلى لغتنا اشد من استبداد الفرد بالوضع او التعريب اذ هو مدعاة للاختلاف وهو اضر شيء

(٢) ان يكون اختصاصهُ محصوراً في دائرة اسماء الاجناس والاعلام فاذا جاءهُ مسمى حديث او رأى شيئاً حديثاً مما هو موجود بيننا ولم يسبق ان وضع لهُ لفظ ورأى ان في اللغة لفظاً دالاً عليهِ بنفسهِ أطلقهُ عليهِ والاً عرب الكلمة الاعجمية وصيرها موافقة لاوزان العرب سهلة على السنتهم واتفق على حروفها وشكل كتابتها واخرجها للناس بواسطة الجرائد التي هي الحاكمة حكم رجال عكاظ في العصر الاول وهي الواسطة في التعليم والاظهار

والواسطة الثانية رجال التعليم الذين اليهم ينظر من عندهُ امل في تحسين اللغة واصلاحها وخصوصاً معلمي العربية منهم

— (٣) ان يكون للمجمع سجل تقيد فيهِ هذه الكلمات وازاءها مسمياتها موضحة تمام التوضيح واحسن ذلك ما كان بالرسم وتشكيل المسمى ويكتب امامها التاريخ الذي وضعت فيهِ واذا كتب قاموس من القواميس حسب هذه الالفاظ بصفتها ملحقات للكلمات العربية ويكتب معها تاريخ تعريبها لكي يبقى الاصل محفوظاً على حدة والمعرب وحدهُ على حدة

هذا ما امكنني ان اوردهُ لحضراتكم ايها السادة في هذا الامر العظيم راجياً ان تنظروا

اليهِ بعين عنايتكم حتى تخلصونا من شر نحن فيهِ وانا وانتم محسون بهِ ولا تجعلونا في هذا الدور من ادوار الحياة كالغريق يتلمس ما يخلصهُ ولا يجدهُ

محمود الحضري

المدرس بمدرسة القضاء الشرعي

العقل والدماغ

الانسان وهو على الفطرة لا يحسب ان لدماغهِ اقل فائدة . رجلهُ يمشي عليها ويدهُ يتناول بها وفمهُ وانفهُ وعيناهُ واذناهُ لكلٍّ منها عملٌ ظاهر وفائدة لا تخفى . وقد لا يخفى عليهِ ان لكلٍّ من معدتهِ وامعائهِ وقلبهِ ورئتيهِ اعمالاً خاصةً بها لانهُ يشعر بحركاتها واما دماغهُ فمحجوب عن نظرهِ فلا يراهُ ولا يشعر بهِ فلا يعلم من امورهِ شيئاً حتى ان الفيلسوف ارسطوطاليس على علو كعبهِ في العلم والفلسفة جهل وظيفة الدماغ مع انهُ عرف وظائف اكثر الاعضاء

وبقيت وظائف الدماغ محجوبة عن ادراك العلماء الى ان قام جالينوس الطبيب في القرن الثاني بعد المسيح وبيَّن ان الدماغ مركز القوى العاقلة . وشاع قولهُ ووافقهُ عليهِ علماء اليونان والرومان وتابعهُ علماء العرب الذين ترجموا كتبهُ فنرى في كتاب عجائب المخلوقات للامام القزويني كلاماً في هذا الموضوع قال فيهِ ان الحس المشترك قوة في مقدَّم الدماغ والوهم قوة في وسط الدماغ والحافظة قوة في مؤخر الدماغ . وقال ابن سينا في القانون ان الحس المشترك والخيال مبدأ فعلهما البطن المقدَّم من الدماغ . والمفكرة او المتخيلة مسكنها البطن الاوسط من الدماغ . والحافظة موضعها البطن المؤَخر من بطون الدماغ

ثم غاض معين العلم واكتفى الناس بالنقل والمتابعة في الشرق والغرب الى ان نهضت اوربا نهضتها الاخيرة وفك علماؤُها قيود التقليد وبحثوا عن وظائف اعضاء الجسد بحث المحققين فانجلى لهم كثير من الغوامض ووضعوا علم الفسيولوجيا الحديث اي علم وظائف الاعضاء

الا ان علماء هذا العلم تأخروا في اكتشاف وظائف الدماغ لانهم كانوا يقتصرون على البحث في ادمغة الحيوانات كالكلاب والقرود ولا يبحثون في ادمغة الناس . ثم انتبه الاطباء الى ان آفة تعتري المخ في جهة من جهاتهِ فتتعطَّل بسبب ذلك وظيفة عضو من اعضاء الجسد او قوة من القوى العقلية فاستنتجوا ان مركز تلك الوظيفة او تلك القوة في الجزء الذي تعطَّل من المخ . مثال ذلك قوة النطق الخاصَّة بالانسان فانها تتعطل اذا ايف الدماغ في

جزء معلوم منهُ . قال الدكتور وليم هنا طمسن أُتيت بانسان فقد النطق تماماً وبقي يسمع ما يقال لهُ ويقرأ ما يقع نظرهُ عليهِ ولو لم يستطع التلفظ بهِ . وقال ذووهُ انهُ اختصم مع انسان آخر فوكزهُ هذا في عينهِ بشمسيَّة كانت في يدهِ فخرس لساعتهِ ولم يعد يستطيع النطق مع ان عينهُ لم تصب بمكروه . كأن الضربة تخطت عينهُ من اعلاها وبلغ تأثيرها دماغهُ حيث مركز قوة النطق وهذا المركز ملاصق لكرة العين يفصل بينهما عظم رفيق جدًّا في اعلى وقب العين . وبينما كنت اشرح قصتهُ لتلامذة الطب رأى احدهم وفي يدهِ شمسية فاشار اليها بيدهِ واخذت الدموع تهطل من عينيهِ . وبقي هذا الرجل اخرس لم تعد اليهِ قوة النطق في ما اعلم

وقد ثبت ان هناك مركز النطق او التكلم لان كل الذين اصيبوا بآفة في ذلك المركز فقدوا النطق وكل الذين اصيبوا بآفات في اماكن اخرى من ادمغتهم لم يفقدوا النطق

وايضاحاً لذلك شبَّه الدكتور طمسن الدماغ بمخزن كبير فيهِ غرف مختلفة مفصول بعضها عن بعض وفي كلٍّ منها نوع خاص من البضاعة وانبوب يجري فيهِ الماء فاذا انبثق انبوب في غرفة من هذه الغرف فان الماء ينفجر منهُ ويتلف ما فيها من البضاعة اما باقي الغرف فتبقى بضائعها سليمة لانها مفصولة عن هذه الغرفة ولان انابيب الماء فيها بقيت سليمة . وهكذا الدماغ فانهُ اجزاء مختلفة وفي كل جزء منها شرايين دموية لتغذيتهِ . وتقوم سلامة الدماغ بوصول الغذاء الكافي اليهِ من الدم ويكون الدم في هذه الشرايين مضغوطاً ضغطاً شديداً حتى اذا انبثق شريان منها نشب الدم منهُ الى بعد شاسع . فاذا ضعف جدار شريان من شرايين الدماغ بسبب مرض مزمن في الكليتين فانشق فان الدم ينبثق منهُ بقوة ويشق الغلاف الرقيق الذي يغلف المادة الدماغية المجاورة لهُ فيعطل وظيفتها

وكان اكتشاف مركز النطق في الدماغ فاتحة بحث جديد واكتشافات باهرة ثم اتضح ان النطق ثلاثة مراكز منفصلة بعضها عن بعض احدها في القسم السمعي من الدماغ حيث تسجل الكلمات التي تدخل الدماغ بالسمع والثاني في القسم البصري حيث تسجل الكلمات التي تدخل الدماغ بالنظر في القراءة والثالث في القسم الحركي وهو المتسلط على تحريك الحلق واللسان والشفتين لاجل النطق وهذا هو المركز الذي ايف في الرجل المشار اليهِ آنفاً

قال الدكتور طمسن دعيت مرَّة لاشاهد امرأة نامت سليمة ونهضت في الصباح وهي لا تستطيع ان تقرأ كلمة وقد ظننت اولاً ان العلة في عينيها ولكنها كانت ترى كل ما في غرفتها جيداً . وامتحنت قوتها في النطق فوجدت انها تسمع جيداً وتتكلم وتفصح على جاري عادتها ولكن مركز القراءة في دماغها ايف وهي نائمة بجلطة دموية في الشريان

الذي يرد بهِ الدم الى ذلك المركز ففقدت قوة القراءة تماماً ولم تسترجعها بعد ذلك ثم اصيبت بالسكتة الدماغية بعد سنتين وماتت بها

قال وقد يصاب مركز او اكثر من مراكز النطق دفعةً واحدة فقد شاهدتُ رجلاً استيقظ ذات يوم وهو فاقد قوة النطق وقوة القراءة لكنهُ بقي يسمع ما يقال لهُ ويفهمهُ . واتضح من ذلك ان لحفظ الارقام العددية وكتابتها وقراءتها مراكز اخرى غير المراكز التي تحفظ فيها الكلمات ويتلفظ بها فان هذا الرجل بقي يكتب الارقام الحسابيَّة ويقرأها جيدًا ويعمل كل اعمال الحساب كما كان يعملها قبلما فقد النطق . وبقي يدير اعمالهُ التجارية وهو اخرس لا يستطيع ان ينطق بكلمة ولا ان يقرأ حرفًا

وثبت ايضاً ان العلامات الموسيقيَّة تحفظ في اماكن من الدماغ غير الاماكن التي تحفظ فيها الكلمات والارقام لان بعض الموسيقيين الماهرين فقدوا بغتة قوة قراءة العلامات الموسيقيَّة ولم يفقدوا قوة القراءة والكتابة . وغيرهم من الموسيقيين فقدوا قوة القراءة والكتابة ولم يفقدوا قوة قراءة العلامات الموسيقيَّة

واتضح من البحث في احوال الذين اصيبوا بآفات اعدمتهم النطق ان الكلمات تترتب في الدماغ ترتيب الكتب في رفوف المكتبة فاذا تعلَّم الانسان لغةً جديدة اضطرَّ ان يهيئ لها رفًّا في دماغهِ يرتب كلماتها فيهِ . من ذلك ان رجلاً انكليزيًّا تعلَّم الفرنسوية واللاتينيَّة واليونانية ثم اصابتهُ آفة في دماغهِ افقدتهُ القوة على قراءة لغتهِ الانكليزية لكنهُ بقي يقرأ الفرنسوية واللاتينية واليونانية . اما قراءتهُ للفرنسوية فصارت كثيرة الخطإِ وصار يخطئُ في قراءتهِ للاتينيَّة ايضاً ولكن خطأَهُ فيها اقل من خطإِهِ في قراءة الفرنسوية وبقي يقرأ اليونانيَّة من غير خطإٍ كأن الرف الذي فيهِ الكلمات الانكليزية تلف كلهُ اما الرفوف الثلاثة الباقية فلم تتلف ولكن كان على رف اللغة الانكليزية كثير من الكلمات الفرنسوية وقليل من الكلمات اللاتينيَّة فنسي الكثير من الفرنسوية والقليل من اللاتينيَّة . هذا تعليلنا لهذه الحادثة . اما الاستاذ طمسن فعللها بان رف اللغة الفرنسوية تلف كثيرًا ورف اللغة اللاتينية تلف قليلاً ورف اللغة اليونانية لم يتلف منهُ شيء

وظهر من حوادث اخرى ان كلمات اللغة الواحدة تترتب حسب اقسامها اللغويَّة فتكون الافعال في آخر الرف من الداخل وامامها الضمائر ثم حروف الجر ثم الظروف ثم الاسماء . قال الدكتور طمسن اتاني رجل لا يستطيع ان ينطق بكلمة فتراءى لي ان ورمًا كالخراج تولد في دماغهِ حيث مراكز النطق وانهُ يمكن امتصاصهُ اذا عولج

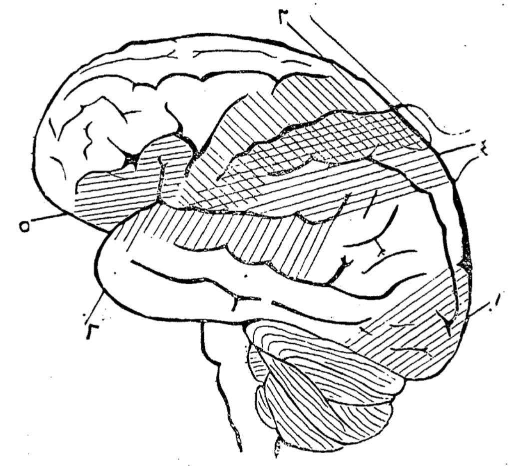
بيوديد البوتاسيوم . ثم ابعدت عنهُ واخبرت الذين حولي على غير مسمع منهُ انهُ اذا شفي من هذا الورم وعادت اليهِ قوة النطق فاول ما ينطق بهِ الافعال وآخر ما ينطق بهِ الاسماء . ثم جاءني بعد اسبوعين وكان قد شرع ينطق فأريتهُ سكيناً فقال "تقطع" وأريتهُ قلماً فقال "تكتب" . ثم جاءني بعد ثلاثة اسابيع فرأيتهُ يتلفظ بالافعال وبحروف الجر . وبقي اسابيع عديدة لا ينطق باسم من الاسماء وسبب ذلك ان الافعال هي اول شيءٍ نتعلمهُ فهي ارسخ في نفوسنا من كل اقسام الكلام

والذين شاهدوا الدماغ ولو دماغ خروف او عجل رأوا ان قسميهِ الايمن والايسر متماثلان تماماً وكذلك دماغ الانسان كأن للحيوان والانسان في جملتهِ دماغين كما ان لهُ يدين ورجلين وعينين واذنين ومنخرين ووجهين . ومما يقضي بالعجب ان مراكز العقل موجودة في نصف واحد فقط من نصفي دماغ الانسان فاذا كان اعسر فمراكز قواهُ العقلية في النصف الايمن من دماغهِ واذا كان عادياً اي يستعمل يدهُ اليمنى كما هو الغالب فمراكز قواهُ العقلية في النصف الايسر من دماغهِ . واكثر الناس يستعملون يدهم اليمنى فمراكز عقولهم في الجهة اليسرى من ادمغتهم وهي التي تفتكر وتستدل وتستنتج واما الجهات اليمنى من الدماغ فعاطلة من القوى العقلية . وهذا يفسر لنا كيف ينزع جانب كبير من الدماغ في بعض الآفات او العمليات الجراحية ويبقى العقل سليماً لان العقل لا يكون في القسم الذي نزع بل في القسم الآخر . بل ان بعض الناس عاشوا سليمي العقل بعد نزع نصف دماغهم وما ذلك الا لان العقل كان في النصف الآخر

والظاهر ان سبب ذلك هو ان الطفل يولد ودماغهُ لا يعقل شيئاً اي ليس فيهِ شيءٌ من المعلومات الاكتسابية ثم تأخذ المؤثرات تؤثر فيهِ الواحد بعد الآخر وتنطبع آثارها ولا فرق في اول الامر بين ان تنطبع في الجهة اليمنى او اليسرى من دماغهِ كيفما اتفق . ومن المحتمل انها لا تأخذ جهة واحدة في اول الامر بل تنطبع هنا مرةً وهناك مرةً كيفما اتفق ثم يأخذ الطفل يستعمل يدهُ اليمنى واعصابها آتية من الجهة اليسرى من الدماغ كما لا يخفى فتصير المدركات باللمس تنتقل الى تلك الجهة وتنطبع فيها ويتبعها غيرها من المؤثرات . ولو استعمل يدهُ اليسرى اولاً لذهبت التأثيرات الى الجانب الايمن من دماغهِ وانطبعت فيهِ . ومعلوم ان الطفل يتكلم اولاً بالاشارات ثم يتبعها النطق بالكلام فيسير تأثير النطق الى حيث سبقهُ تأثير الاشارات لا سيما وان المركز الدماغي الذي يحرك اليد مجاور للمراكز التي تحرك عضلات الوجه واللسان والشفتين . ومتى تكونت المراكز التي تنطبع فيها الكلمات تلتها

المراكز التي تنطبع فيها الافكار لان التفكير متصل بالنطق او ناتج عنهُ

ولنلتفت الآن الى الرجل المشار اليهِ في اول هذه المقالة اي الذي فَقَدَ قوة النطق لان طرف الشمسية وخزهُ في اعلى عينهِ فان الوخزة اثرت في التلفيف المسمَّى تلفيف بروكا من تلافيف دماغهِ . وفي النصف الايمن من دماغ ذلك الرجل تلفيف آخر مثل التلفيف الذي ايف وهذا التلفيف بقي سليماً فلماذا لم يقم مقام التلفيف الذي إيف والجواب ان اجزاء



الدماغ مثل صفائح الفونوغراف فاذا كان عندك صفيحتان ارتسم على احداهما كلام احد الخطباء ولم يرتسم على الاخرى شيء ثم اتلفت الاولى فهل تقوم الثانية مقامها لو وضعت في الفونوغراف وهي خالية من آثار الكلام كلاَّ . وكذا اجزاء الدماغ الخالية من اثر المؤثرات على انواعها فانها لا تقوم مقام الاجزاء التي فيها آثار تلك المؤثرات . وقد يحدث ان يفقد الانسان بصرهُ وعيناهُ سليمتان كما يفقد النطق وفمهُ ولسانهُ وشفتاهُ سليمة كلها او يفقد السمع واذناهُ سليمتان وما ذلك الاَّ لان آفةً اصابت مركز البصر او النطق او السمع في دماغهِ

ترى في هذا الرسم صورة النصف الايسر من الدماغ فحيث الرقم ١ في مؤخر الدماغ

فوق المخيخ مركز النظر وحيث الرقم ٢ مركز السمع وحيث الرقم ٣ في اعالي الدماغ مركز الحركة وحيث الرقم ٤ مركز اللمس وحيث الرقم ٥ او تحتهُ قليلاً مركزا الشم والذوق

وهذه المراكز موجودة طبيعيةً في نصفي الدماغ الايمن والايسر على حدٍّ سوى وهي تولد مع الطفل او تكون في دماغهِ منذ ولادتهِ فاذا كبر وبلغ اشدَّهُ وزادت معارفهُ تولَّدت في دماغهِ مراكز جديدة فيصير للنظر مراكز مختلفة بعضها لصور الاشباح وبعضها لصور الكلمات وبعضها لصور الارقام وهلمَّ جرًّا . وكذلك يصير للسمع مراكز مختلفة بعضها لاصوات الكلمات وبعضها لاصوات الانغام وبعضها لاصوات المواد وهلمَّ جرًّا . فاذا سمعت رجلاً يتكلم بلغة اجنبيَّة لا تعرفها تسمع اصواتهُ بمركز السمع الطبيعي فتحسبها كلها واحدة او متشابهة وقلما تسمع فرقاً بينها لان ليس لكلماتها مراكز في دماغك ولكنك اذا تعلمت تلك اللغة تصير تميز بين كل صوت وآخر وكل كلمة واخرى كأن مراكز جديدة تولَّدت لها في دماغك فتتأثر من سماع اصواتها وكلماتها . وهذه المراكز الجديدة تتولَّد حول المراكز الطبيعية فمراكز السمع تتولد حول مركز السمع الطبيعي او في جوارهِ ومراكز البصر تتولد حول مركز البصر الطبيعي او في جوارهِ وهلمَّ جرًّا ولكنها لا تتولَّد في نصفي الدماغ معاً بل في نصف واحد فقط وهو النصف الايسر الاَّ اذا كان الانسان اعسر فانها تتولد حينئذٍ في النصف الايمن

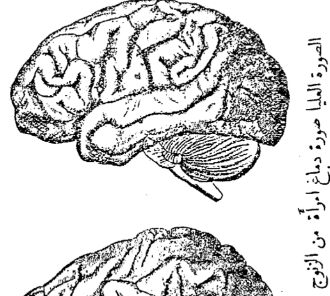
فكل ما نولد بهِ من القوى والمشاعر توجد مراكزهُ في نصفي الدماغ على حدٍّ سوى وهي تتسلط على الحس والحركة واما ما نكتسبهُ اكتساباً فتتولد مراكزهُ في الجانب الايسر او الايمن من ادمغتنا حسب استعمالنا اليد اليمنى او اليسرى

ولكن اذا عرض عارض للجانب الايسر من الدماغ مثلاً فايف بهِ مركز النطق وفقد الانسان نطقهُ وكان لا يزال ولداً صغير السن لم يتعذَّر عليهِ تقوية مركز النطق الذي على الجانب الايمن من دماغهِ فيسترد ذلك الولد قوة النطق

واذا اتفق ان اربي الانسان اعسر فليس من الحكمة منعهُ عن استعمال يدهِ اليسرى وحثهُ على استعمال اليمنى بعد ان يصير قادراً على الكلام لئلاَّ تتشوش مراكز دماغهِ ولا يعود قادراً على النطق او على الافصاح كالغراب الذي اراد ان يتعلم مشية الحجل فنسي مشيتهُ الاولى ولم يتعلم الثانية

قلنا ان الانسان يولد وفي دماغهِ مراكز طبيعية مختلفة متسلطة على الحس والحركة وهو من هذا القبيل مثل سائر الحيوانات فانها كلها تحس وتتحرك وفي ادمغتها او اعصابها مراكز للحركة ومراكز للحس او الشعور فمراكز الحركة تحرك اعضاءها ومراكز الحس او الشعور تحس

او تشعر بالمؤثرات الخارجية او الداخلية ودماغ الانسان لا يفرق عن ادمغتها من هذا القبيل . فقد اثبت الاستاذ هكسلي ان ليس في دماغ الانسان تلفيف مفقود من دماغ



الصورة العليا صورة دماغ امرأة من الزنوج المعروفين بالبشمن والسفلى صورة دماغ الارنغ اوتنغ وهو نوع من القرود والمشابهة بينهما في تلافيفهما واضحة

الشمبنزي من انواع القرود فكيف تتولد المراكز الجديدة المميزة لدماغ الانسان عن ادمغة غيره من انواع الحيوان فيصير ناطقاً حاسباً مفكراً مخترعاً والجواب انها تتولد بالمزاولة كما يحدث في تعلُّم لغة جديدة فاذا اردت ان تتعلم الفرنسوية مثلاً فلا تستطيع ان تستأجر احداً ليتعب في تعلُّمها عنك كما تستأجر رجلاً يبني لك بيتاً فيبنيهِ ولا تستطيع ان تتعلمها بمجرد التفكير فيها كما تحل المسائل الحسابيَّة بالتفكير فيها بل لا بدَّ لك ان تعكف على تعلمها بنفسك كلمةً كلمةً وجملة جملةً ويوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر حتى تنطبع كل كلمة من كلماتها في دماغك اي حتى يصير لها اثر خاص في الدماغ تشعر بهِ الذاكرة او يشعر بهِ العقل . وهذا العمل شاق جدًّا ولا سيما بعد ان يكبر الانسان ما لم تشغل مراكز دماغهِ بمؤثرات لغوية فانها تستسهل حفظ المؤثرات الجديدة لما بين الاولى والثانية من التشابه . والفاعل الاكبر في ذلك هو ارادة الانسان فهي التي تمكنهُ من التعلم والحفظ وكأنها خارجة عن عقلهِ ومسلطة عليهِ

الاطيان والضرائب بالقطر المصري [1]

قصيدة

وقفتُ وما لي في الخطابة موقفٌ ولا انا ممن تجتبيهِ المنابرُ
ولكن لمثلي اذ اقرّ بعجزهِ امام كرام قد تصحّ المعاذرُ
وقفتُ وقلبي ملؤهُ الحبّ والوفا لابناء مصر وهو بالودّ عامرُ
وقفتُ لأبدي في الاراضي مقالةً تشفّ عن الماضي فيدركُ حاضرُ
وليس لقولي في السياسة مغمزٌ ولا انا فيهِ للخرافات ذاكرُ
وقفتُ بحيث الفضل حطّ رحالهُ وحيث محيطاتُ العلوم زواخرُ
وحيث منهُ للمعارف اشرقت بها من بني مصر نجومٌ زواهرُ
شبيبتها بل هي دعائمُ مجدها ومن بمزاياهم تشاد المفاخرُ
واني طروب اذ افوه بمدحهم واني ولوع ان تزيدَ البشائرُ
يهنئُ قلبي أمني بسرورها بمستقبل دلت عليهِ البوادرُ
وأهدي لمن قامت بحكم رعيهم ادارة ذا النادي الثنا وهو عاطرُ
فقد صار روضاً للفضائل يانعاً شبيبةُ مصر في فناهُ ازاهرُ
وفاه لسانُ الحال منهُ وقولهُ زهوتُ فاعضائي — بلطفي — تفاخرُ
فيا ناديا قد ظلّ للعلم مجمعاً لقد حار في غاياتِ وصفك زائرُ
وكيف يُداني كُنه وصفك بعد ما اظلتك من عباس حلمي مآثرُ
مليكٌ لهُ فضلٌ على العلم اذ غدت بهِ تضرب الامثال وهي سوائرُ
فلا زالت الافواه تتلو صنيعهُ فتزهو بذكرى ما ينيلُ المنابرُ
ولا برح الاقبال عبد سموّهِ وانجالهُ ما لاح في الافق زاهرُ
واني لراجٍ يا أُولي الفضل عفوكم اذا فرَطَتْ في القول مني بوادرُ

ينقسم موضوع هذا الخطاب الى ثلاثة اقسام وهي — الاول في الاطيان — والثاني في كيفية تقدير الضرائب وترتيبها على الاطيان والاسباب التي بنى عليها رفعها عنها — والثالث في كيفية جباية الضرائب

---

(١) انشاها حضرة الباحث المحقق جرجس بك حنين مدير الاموال المقررة في نظارة المالية المصرية لينشدها في نادي المدارس العليا

القسم الاول

ان علماء الجغرافية يقدرون مساحة اراضي القطر المصري باربعمائة الف ميل مربع . وهذا المقدار يوازي مائتين وسبعة واربعين مليونًا من الفدادين التي عبرة كل منها ٤٢٠٠ متر مربع وكسور وهي جميع الاراضي الكائنة في الحدود التي تؤدي الحكومة المصرية عنها خراجًا للدولة العلية العثمانية بمقدار ٦٥٨١٢٥ جنيهًا مصريًا او ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية سنويًا . اما هذه الحدود فهي في الشمال من الشرق العريش ومن الغرب حدود برقة وفي الجنوب من الشرق هيكل ادندان ومن الغرب ناحية قَرَس . وذلك يشمل طبعًا مساحة الصحاري والقفار والبراري والجبال . اما الاراضي العامرة وهي المعروفة بوادي النيل فالمحصور منها الى الآن لم يزد عن ثمانية ملايين فدان موزعة على ثلاثة آلاف وستمائة واثنين وتسعين مدينة وقرية يتبعها ثمانية عشر الف واربعمائة عزبة وكفر . من ذلك مليون ونصف مليون فدان اطيان باقية على ذمة الحكومة . وثلاثمائة الف وعشرة آلاف فدان مستعملة في المنافع العمومية . والباقي الذي تدفع عنهُ الضرائب هو خمسة ملايين وثمانمائة الف فدان . ويبلغ مجموع ما يدفع عنها من الضرائب بحسب تقدير سنة ١٩٠٨ ٥٠٦٣٠٠٠ جنيه مصري على متوسط ثلاثة وتسعين قرشًا عن كل فدان

ولم يكن يبلغ مقدار ما يدفع عنهُ ضرائب في سنة ١٨٠٥ اكثر من مليونين ونصف مليون فدان . ذلك لان انتشار الاوبئة وتوالي الشراقي والانقسامات الداخلية والحروب الخارجية وتغلب الجهل واستبداد الحكام وفساد الاحكام هبطت بالبلاد الى مهاوي الخراب فمن ذلك ما يرويهِ بعض المؤرخين مثلاً عن اقليم الفيوم انهُ كان يحتوي ثلاثمائة وستين قرية على ثلاثة اقسام احدها يسمى الريان والثاني يسمى وردان والثالث الفيوم وقد خرب الاول بانكسار السد المعروف بحائط المنيا واندفاع ما كان وراءهُ من المياه التي اغرقت وادي الريان وخرب الثاني واكثر الثالث حتى لم يبقَ الأ ستة وثمانون بلدًا . وهكذا كان الحال في اكثر البلاد الى بداية عصر المرحوم محمد علي باشا فاهتم باحياء الارض الموات وتابعهُ في ذلك خلفاؤُهُ حتى بلغ مقدار الارض العامرة في المائة سنة الماضية اكثر من ثلاثة اضعاف ما كان عليهِ مقدارها على اثر جلاء الفرنساويين عن مصر . ولتمام الفائدة نأتي في ما يلي على توضيح بعض الوسائط التي استعملت لذلك وهي

اولاً . أنعم محمد علي بقسم من الاراضي الموات على ارباب الطبقة العالية من اصحاب

الثروة لكي يستعمروها و يستثمروها ولم يقتصر في ترغيبهم في ذلك على مجرد اعطائهم الارض مجاناً بل اضاف الى ذلك اعفاءها من كل ضريبة وسماها رزقة بلا مال وظلوا متمتعين بها ومتنعمين بايراداتها غنيمة باردة مدة خمس واربعين سنة الى ان تولى الاحكام المغفور له محمد سعيد باشا وحينئذٍ قررت الحكومة تكليف اربابها بان يؤدوا للحكومة عشر غلاتها عيناً ولكنها اي الحكومة لم تنجح في هذه الطريقة لسبب ما اعترضها من المتاعب والمشاكل ولذلك استبدلت قيمة ذلك العشر بضريبة نقدية سنوية فرضتها على كل فدان بدرجات ثلاث متفاوتة وهي الضريبة التي عرفت بالعشورية وسميت الاطيان المقررة عليها عشورية تبعاً لذلك

ثانياً . لما رجع العربان من المهاجرة التي فيها كانوا أُجلوا عن البلاد بخيلهم ورجلهم على اثر البطش والفتك والتمثيل الذي حاق بهم بامر المرحوم سعيد باشا في سنة ١٢٧٢ هجرية ارادت الحكومة تعويدهم على الشغل بالزراعة ليرتزقوا منها بدلاً مما كانوا يألفونهُ من الغزوات والسلب والنهب والعبث بالامن العام فاعطتهم اطياناً واسعة في الشرقية بنوع خاص وفي بعض جهات اخرى من براري الغربية والبحيرة والجيزة والفيوم والمنيا وغيرها

ثالثاً . في سنة ١٢٨٣ هجرية قررت الحكومة بناء على طلب مجلس شورى النوّاب اعطاء اراضي البراري مجاناً لمن يرغب في امتلاكها على شرط ان يتعهد باصلاحها واستعمارها وأُعطيت بمقتضى هذا القرار اطيان واسعة في عدة جهات وأُعفيت من الضرائب خمس عشرة سنة

رابعاً . لما انحلّت في سنة ١٢٨٤ اورط الجيش التركي المصري المعروفة بارادي الباشبوزق وخافت الحكومة من ان يكون وجودهم بلا عمل سبباً للعبث بالأمن اعطتهم اراضي لكي يعمروها و يعيشوا من ايرادها فاعطت عشرة افدنة للعسكري غير المتزوج وعشرين فداناً للمتزوج المجرد من الاولاد وثلاثين فداناً لمن لهُ اولاد و يتبع ذلك ما يلزم للبناء من الطوب والعمارة وما يلزم للارض من البذار

خامساً . جاء الى مصر بعض المهندسين الفرنساويين وطلبوا الى الحكومة اعطاءهم اثنين وعشرين الف فدان من براري بسنتاواي في البحيرة لكي يصلحوها بالوسائط الهندسية العصرية وتصير ملكاً لهم فأُجيب طلبهم الى ذلك في سنة ١٨٧٩ وهي الاراضي التي عرفت باسم شركة الكوم الاخضر

سادساً . في سنة ١٨٨٤ افرنكية قررت الحكومة اعطاء الاراضي غير المحصورة المعروفة

بخارج الزمام مجاناً لمن يرغب في اخذها واصلاحها مع اعفائها من الضرائب مدة عشر سنوات وبناءً على ذلك اعطيت اراضي كثيرة جدًّا وفي جملتها المنطقة التي حفرت لريها في سنة ١٨٨٦ الترعة التي سميت النوبارية نسبة الى المرحوم نوبار باشا رئيس النظار يومئذٍ صاحب ذلك المشروع

سابعاً . وفي سنة ١٨٩٤ افرنكية قررت الحكومة اعطاء اراضي البرك والمستنقعات مجاناً لمن يرغب في ردمها وتجفيفها مساعدة لحفظ الصحة العمومية

ثامناً . باعت الحكومة الآلاف المؤلفة من الاطيان البور بمديريتي الشرقية والبحيرة باثمان واطئة جدًّا وبعضها بالتقسيط — فضلاً عما باعتهُ لارباب المعاشات وما ابتاعتهُ من الدومين لارباب المعاشات ايضاً مما كان الكثير منهُ في عداد الارض البور الموات واصبح بفضل الاصلاحات من احسن واجود الاطيان

تاسعاً . عند مساحة فك الزمام العمومي وُجدت زيادات كثيرة في اطيان اكثر الناس فمنحتهم حق امتلاكها مجاناً ما عدا الذي كان ظهورهُ ناشئاً من الجور والتعدي على اطيان الحكومة المجاورة

عاشرًا . وعند مساحة فك الزمام العمومي ايضاً وُجدت جملة اجزاء صغيرة من املاك الحكومة متخللة املاك الافراد فمنحتهم حق امتلاكها في مقابل اداء ضرائب ثلاث سنوات عنها — وعدا ذلك اعطت من اطيانها تعويضاً عما ظهر ناقصاً من اطيان الافراد الملاصقة لاطيانها

فكل هذه الوسائط وغيرها مما لم يرد في الذاكرة الآن كانت سبباً في ايجاد نهضة غير اعتيادية عمرانية زراعية مالية زادت في ثروة البلاد وايرادات الحكومة

وقد ينتج من توزيع الثمانية الملايين من الافدنة على مجموع سكان القطر المصري بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ ان كل ١٢٢ نفساً يخصها مائة فدان ويقال ان هذه النسبة لا نظير لها في اي مملكة من ممالك اوربا . وبتوزيع مساحة الارض التي تؤدي ضريبة يخص كل مائة نفس ثمانية وخمسون فداناً على ان حقيقة عدد المالكين للارض هو ١٢٣٠٥٨١ على متوسط خمسة افدنة تقريباً لكل نفس او خمسمائة فدان لكل مائة نفس — وهذا العدد من مالكي الاطيان منهُ ٨٨ في المائة يملك كلٌّ منهم خمسة افدنة فاقل وكمية ما يملكونهُ من الاطيان يوازي ٢٤ في المائة من المجموع العمومي — و ٦ في المائة من ذلك العدد يملك كل منهم لغاية عشرة افدنة وكمية ما يملكونهُ ١٠ في المائة من مجموع الاطيان — و ٣ في المائة يملكون لغاية

عشرين فداناً وكمية ما يملكونهُ تساوي ٩ في المائة من مجموع الاطيان فهذه الدرجات الثلاث ٩٧ في المائة من عدد ارباب الاطيان وكمية ما يملكونهُ يساوي نصف مجموع الاطيان والنصف الآخر بايدي ثلاثة في المائة من عدد المالكين وفي جملتهم ستة آلاف شخص من الاوربيين والحمايات يملكون ٦٦٥٠٠٠ فدان بنسبة ١٠ في المائة من مجموع الاطيان

ومع ان الاحصاءات المذكورة حديثة العهد من سنة ١٨٩٨ فانها تدل على ان الدرجة الاخيرة اي الذين لا يملكون اكثر من خمسة افدنة لكل منهم كانوا في سنة ١٨٩٨ بنسبة ٨١ في المائة يقابلها بالوقت الحاضر ٨٨ في المائة وكانت كمية اطيانهم بنسبة ٢١ في المائة فاصبحت الآن ٢٤ في المائة وليس بعد ذلك ما يدعو للريب في ان صغار الملاك وهم السواد الاعظم تزداد ثروتهم من وقت لآخر

اما المواقع الشهيرة للاطيان فهي في الوجه القبلي — شرق النيل — غرب النيل — غرب البحر اليوسفي — الواحات الداخلة والخارجة التابعة لمديرية اسيوط — الواحات البحرية او الواحات الفرافرة التابعة لمديرية المنيا — وفي مديرية الجيزة بلاد شرق اطفيح — شرق بحر اللبيني — غرب بحر اللبيني — بلاد القليوبية — بلاد الشرق في الشرقية والدقهلية — وادي الطميلات عند التل الكبير — بلاد البحر الصغير — بحيرة طناح بالدقهلية — براري بلقاس والمندورة — بلاد البرلس — بلاد روضة البحرين بالغربية والمنوفية — بلاد البحيرة — براري مريوط — اراضي ابو قير — اراضي سيوه — مرسى مطروح

وتنقسم الاراضي الى ثلاث مراتب زراعية — الاولى اراضي الحوشات وتعرف بالارض المسقاوي وهي اغلاها قيمة واوفرها غلة وفائدة لانها تزرع كل اصناف الزراعة في المواسم الثلاثة وهي النيلي الذي فيهِ تزرع اصناف الذرة النباري والشامي والرز الذي يعرف بالسبعيني والدنيبه — (٢) الشتوي وهو الذي فيهِ يزرع القمح والفول والشعير والعدس والترمس والحلبة والبرسيم والكتان والقرطم والجلبان والبسلة واللوبيا — (٣) الصيفي وهو الذي فيهِ يزرع القطن والقصب والفول السوداني والرز السلطاني والحناء والذرة القيظي والخضروات. وقد امتازت اراضي الوجه البحري بقابليتها لزراعة اي صنف من كل تلك الاصناف. ويشابهها في الوجه القبلي اراضي الحوشات سواء كانت القديمة او الحديثة العهد. اما المرتبة الثانية فهي اراضي الحيضان العمومية في الصعيد وهذه لا تزرع في السنة الواحدة الاَّ مرة واحدة من اصناف الحبوب الشتوية التي مرَّ ذكرها. ومثلها بلا فارق ارض الجزائر المرتفعة سواء كانت في وسط نهر النيل او على ضفتيهِ وهي الارض التي تنحسر اي تنكشف عنها المياه قبل

او لغاية شهر نوفمبر على الاكثر . اما المرتبة الثالثة فهي ارض الجزر والكثبان المعروفة بطرح البحر . او الجلَه . او المواطي . او الزبلاوي . واكثرها في بلاد الوجه القبلي ولا تزرع شيئاً بالكلية غير اصناف المقاثيء وهي البطيخ والشمام والخيار والقثاء وبعض الخضارات

ولا يجب ان يفهم من هذا القول ان ارض الحيضان او الجزائر او المواطي لا تنبت القطن او القصب او غيرهما من الاصناف الصيفية ان زُرع شيءٌ منها فيها . بل انها قابلة كغيرها من الارض لانماء اي صنف ولكنها لا يأْتي اليها الماء الاَّ مرة واحدة في السنة في وقت فيضان النيل فتغمر المياه ارضها وذلك يكون في الوقت الذي فيهِ تكون تمت زراعة اصناف الصيفي وابتدأَت دورها الاول في النمو — وتحويل ارض الحيضان الى مزارع صيفية هو من الامور الممكنة مع وجود المال وضمانة وجود الماء الكافي لزرعها اصنافاً صيفية . اما الجزائر فمن المستحيل تحويلها الى مزارع صيفية الاَّ ان بني عليها سور بالبناء لحجز ماء الفيضان عنها ذلك لانها كما قلنا واقعة في وسط النهر او على ضفتيهِ وفيضان النيل امر لا بدَّ منهُ وفي ارتفاعهِ لا مفر من غمر ما في وسطهِ وما على جانبيهِ . اما الارض التي لا يصل الفيضان اليها فهي المعروفة بالارض العلو

ولغاية اوائل عصر المغفور لهُ محمد علي باشا كانت اكثر اراضي القطر المصري لا تزرع الاَّ زراعة شتوية من اصناف الحبوب وبعض زراعة نيلية من صنف الذرة النباري والقليل جدًّا من القصب البلدي الذي كانوا يزرعونهُ ليصنعوا منهُ العسل الاسود والسكر البلدي المعروف بالكسر والحوَّامي . وكانوا يكثرون من زراعة الرز والنيلة البلدي التي كانت توجد عدة مصانع كبيرة لتسويتها وصناعتها في كثير من البلاد وذلك لكثرة ما كانت البلاد في حاجة اليهِ لان اكثر ملابس الناس على اختلاف طبقاتها لم تكن الاَّ سوداء سواءٌ كانت للرجال او للنساء

وفي سنة ١٨٣١ بدئ بتجربة زراعة القطن بناءً على اشارة من يسمى المسيو جومل احد اصدقاء محمد علي فنجحت نجاحاً تاماً وشعر الناس بفائدتها فاكثروا من زراعة هذا الصنف وتفننوا في اتقان اساليب زراعتهِ ودقة التأمل بالتجربة لما يحسن نموهُ في ارض ولا يحسن نموهُ في غيرها من مختلف البلاد حتى بلغ عدد اجناس ما يزرع من القطن الآن اثني عشر جنساً او اكثر منها ما يسمى بالعباسي — والاشموني — واليانوفتش وغيرهِ — وفي عصر الخديو اسماعيل جيء بالقصب من الجمايكه ونجحت زراعتهُ وكثرت جدًّا في بلاد الصعيد وانشأَ الخديو المشار اليهِ عدة فابريقات في املاكهِ الخاصة لعصر القصب واستخراج السكر

شهور بجودته والعسل والاسبيرتو · وكان هو ذاته قد استدعى من بلاد الهند اثنين من شهر صانعي النيلة الهندي وزرعيا على سبيل التجربة فنجحت نجاحاً تاماً ولكنهُ لم يمكنهُ الزمن من اتمام آماله وصادفهُ على اثر ذلك ما صادفهُ من الاضطرابات المالية التي انتهت بافراغ مسند الخديوية من عهدته ورحيله عن البلاد الى آخر ما هو معلوم من تاريخه الاخير· ولم تزل النهضة الزراعية تنمو وثروة البلاد تزداد على نسبة نمو تلك النهضة تدريجاً حتى وصلت الى درجة تغبط نفسها عليها وتغبطها عليها بقية الامم

ابتدأ المرحوم محمد علي بتحسين وسائط الري الذي هو سر نجاح الزراعة وبأمره انشئت في سنة ١٢٢٥ ترعة السماعنة — وفي سنة ١٢٣٠ ترعة المنصورية — وفي سنة ١٢٣٨ ترعة المحمودية الشهيرة — وفي سنة ١٢٤٠ ترعة ام الريش — وفي سنة ١٢٤٢ ترعة البولاقية القبلية — وترعة الباسوسية — وترعة الوادي — وفي سنة ١٢٤٣ ترعة الملية — وبحر مشتول — وترعة بردين — وترعة ام سلمى — وفي سنة ١٢٤٤ ترعة الابعادية — وفي سنة ١٢٤٨ ترعة الصادي — وترعة الساحل — وترعة برطباط — وفي سنة ١٢٥١ ترعة قلوصنا — وفي سنة ١٢٥٢ ترعة البولاقية البحرية — وترعة اطسا — وفي سنة ١٢٥٤ ترعة كفور الصدلية — وترعة الجندية — وفي سنة ١٢٥٥ اقيم البناء العظيم في عرض النيل عند المناشي وهو المعروف بالقناطر الخيرية — وترعة القنت — وترعة الهادي — وفي سنة ١٢٥٧ ترعة دماريس — وترعة ابو حسيبه — وترعة سفاي — وفي سنة ١٢٥٩ ترعة نتا — وترعة ام عليلة — وفي سنة ١٢٦٣ ترعة الزاوية· ذلك كلهُ تم في عصر محمد علي فضلاً عن اصلاح جسر الفرعونية — وجسر قشيشه — والترعة السوهاجية — وتعديل جملة ترع من ري شتوي الى ري صيفي مستديم مثل ترعة الباجورية — والسرساوية — وسبطاس — وجنابية القرشية — وترعة السعرانه — وترعة الخضيرات

وفي عصر المرحوم سعيد باشا انشئت الترعة السعيدية باقليم الشرقية — وترعة الفلفيلة

وفي عصر اسماعيل باشا انشئت الترعة الاسماعيلية في اثناء حفر برزخ السويس — والترعة الابراهيمية بنبوع سعادة الاقاليم الوسطى — وترعة سواده — والترعة الديروطية

وفي عصر المرحوم توفيق باشا انشئت وابورات الخطاطبة لتوسيع ري البحيرة — والترعة النوبارية

وفي عصر مولانا العباس حفظهُ الله انشئ البناء العظيم جداً في عرض النيل قبالة قصر انس الوجود بالقرب من اصوان — والقناطر التي اقيمت في عرض النيل ايضاً قبالة

اسيوط · وارتفاع خزان اصوان مائة متر وستة امتار عن سطح البحر المتوسط وكان اصل التصميم على بنائهِ ان يكون بارتفاع ١١٤ مترًا عن سطح البحر المتوسط وبلغت تكاليف الخزان والقناطر اربعة ملايين وثمانمائة الف جنيه مصري تدفع في اثناء ثلاثين سنة اقساطاً نصف سنوية آخرها في اول يناير سنة ١٩٣٣ والغرض من ذلك هو حجز المياه خلف البناء في زمن فيضان النيل للانتفاع بها في زمن الصيف · ويقدرون ما يحجز الآن من المياه هناك بالف وخمسة وستين مليونًا من الامتار المكعبة وبناء على ثبوت الفوائد العميمة من بناء هذا الخزان قررت الحكومة اعلاء بنائهِ وربما بلغ ارتفاعهُ ١١٢ مترًا عن سطح البحر المالح لتبلغ بذلك كمية المياه الممكن حجزها وراءهُ على الاقل الفي مليون من الامتار المربعة وسيبقى هذا البناء اثرًا خالدًا لهذا العصر السعيد ولا بدع اذا عد في جملة عجائب الدنيا لما اشتمل عليهِ من دقة الهندسة وضخامة البناء وجمال المنظر — ويقام الآن بناء ثالث قبالة اسنا وانشئ عدد كبير من الترع والجسور والمصارف والمباني التي انشئت لتحويل ري الحيضان العمومية الى ري صيفي مستديم من بداءة حدود ديروط بمديرية اسيوط لغاية رياح البحيرة آخر حدود مديرية الجيزة · هذا فضلاً عما انشئ لاحياء الكثير من الارض الموات مثل ترعة وهبي — وترعة واصف — بالفيوم — ومصرف خيري في البحيرة — ومصرف الطحاوي — ومصرف صان الحجر في الشرقية — ومصرف صفط القطايع في الدقهلية وغير ذلك من الاعمال الفخيمة النافعة التي كانت سببًا في صلاح الاراضي وعمارتها وثروة البلاد.

ويحسن بنا بعد ان ذكرنا مسألة تحويل ارض الكثير من الحيضان من ري شتوي الى ري صيفي مستديم بالاقاليم الوسطى — ان نأتي على توضيح ماهية تلك الحيضان والذي دخل والذي لم يدخل منها في الاصلاحات الحديثة التي ذكرت

الحيضان التي نشير اليها ليست هي التي كانت تعرف في ماضي الزمن باسم قبالات (مفردها قبالة) وهي الاقسام التي نقسم اليها اطيان كل بلد · بل كل حوض من الحيضان المذكورة هو منطقة فسيحة من الارض اقيمت حولها جسور سميكة بحيث صيرتها في شكل حوض او في شكل طاجن فيرسل اليها الماء وقت فيضان النيل من فتحة او عدة فتحات بالبناء في الجهة العليا حتى يمتلئ الحوض وتعلو المياه على ارضهِ كلها وتمكث المياه على الارض نحو شهرين بين اغسطس واكتوبر ثم تنصرف عنها من فتحة او عدة فتحات ايضًا بالجهة السفلى اما الى الحوض الذي دونهُ او الى النيل او الى البحر اليوسفي · وتوجد في دائرة كل حوض عدة بلاد وعزب وكفور بحيث في زمن غمر الارض بالمياه يتعذر الوصول من بلد الى آخر

الا بالمركب . وبينما يبتدئ وجه الارض ينكشف من الماء تأخذ الناس في زرع الارض صنف حبوب شتوية على طريقتين احداها تسمى لوقاً . والثانية تسمى حراثاً . فاللوق هو ان يبذر الحب في الارض على قدر ما دل الاختبار على كفاءة الارض لانمائه من كل صنف وفي الوقت ذاته تغطى الحبوب بواسطة قلب الطين عليها قبل ان يجف وذلك بواسطة ملوقة هي عبارة عن عود من الخشب متصلة به قطعة من لوح خشب فيمسك به رجل ويدفعه الى الامام جاعلاً قطعة اللوح مكينة الى الارض فتأخذ في سيرها طبقة خفيفة من الطين وتطرحها في طريق الرجل الى الامام فيتغطى بها الحب ويصير في جوف الارض فينمو الى ان يستوي ولا يحتاج الى شيء من الماء او الخدمة بالكلية غير الحصاد عند نضج الزرع . اما الحراث فهو ان تترك الارض حتى تجف نوعاً ثم تبذر الحبوب عليها وتحرث وبعد ان ينبت النبات تعزق ثم يترك الزرع الى ان يستوي بلا خدمة ولا سقية . وبناء على ما تقدم بيانه فالحيضان لا تأتيها المياه الا مرة واحدة في السنة كما انها لا تزرع الا زرعة واحدة

كان يوجد ببلاد الصعيد والاقاليم الوسطى مائة وثمانية عشر حوضاً من هذه الحيضان تشتمل على مليون ونصف مليون فدان نذكر اسماء اشهرها واكبرها مقداراً وهي . حوض اصفون ووادي الجن عشرة آلاف فدان . وحوض فاو وابو مناع ثلاثة وعشرون الف فدان . وحوض هو تسعة عشر الف فدان . وحوض الشغب . وحوض المعلا . وحوض سمهود وحوض العشي كل منها ثلاثة عشر الف فدان . وحوض القصر والصياد اثنا عشر الف فدان . هذه الحيضان كلها بمديريتي قنا واصوان . وفي مديرية جرجا حوض العرابة والعسيرات ثلاثة وثلاثون الف فدان . وحوض سوهاج ثلاثون الف فدان . وحوض طما ثمانية وعشرون الف فدان . وحوض كوم بدار ٢٧٠٠٠ . وحوض السمارنة ٢٥٠٠٠ . وحوض برديس ٢٤٠٠٠ . وحوض بني عمارة ٢٠٠٠٠ . وفي مديرية اسيوط حوض بني سميع ٤٠٠٠٠ . وحوض الزنار ٤٥٠٠٠ . وحوض بني حسين ٢١٠٠٠ . وحوض بني كلب ٢٥٠٠٠ . وحوض المحرق ٢١٠٠٠ . وحوض بني رافع ١٥٠٠٠ . وحوض الدجاوي ٢٤٠٠٠ . فهذه الحيضان وغيرها مما لم نذكره كلها باقية على ترتيبها الاصلي لا تزرع الا زرعة واحدة شتوية . اما الحيضان التي كانت موجودة من ابتداء ديروط بمديرية اسيوط لغاية رياح البحيرة ومقدارها ٤٥٦٠٠٠ فكلها تحولت الى ري صيفي ومزارع صيفية حتى لم يبق في هذه المنطقة من حيضان الشتوي الا ما هو كائن غرب البحر اليوسفي في امتداد مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف وما هو كائن شرق النيل في امتداد

تلك المديريات الثلاثة . وقد بلغت تكاليف تحويل الحياض المذكورة الى ري صيفي مستديم مليونين ومئة الف جنيه مصري نذكر منها حوض الطهنشاوي ٥٤٠٠ فدان — والطحاوي ١١٠٠٠ — والمنبالي ١٢٠٠٠ — والسمالوطي والبردنوهي كل منهما ١٠٠٠٠ — والجرنوسي ٦٣٠٠٠ — والسلاقوسي ٢٥٠٠٠ — والبرقي وبني صالح وكوم الصعايدة ٢٥٠٠٠ — والسمسطات ٣٦٠٠٠ — وقنا واهناسية ٣٧٠٠٠ — وكل من بهبشين والرقه ٢٦٠٠٠ — وقشيشه ٤٥٠٠٠ — والمعرقب — وطها — ودهشور — وصقارة — وشبرامنت — ومنشاة البكاري ٧٥٠٠ — وحوض الجسر الاسود ٥١٠٠٠ — هذه كلها اصبحت مزارع صيفية تدرّ الخير والبركات على البلاد

ومما لا ريب فيهِ انهُ لم يتجشم احد من مصاعب العسر والفقر والشدايد بقدر ما الم باهالي بلاد شرق النيل وذلك لعلو منسوب ارض بلادهم عن درجة فيضان النيل المتوسطة او الاعتيادية فيقصر فيضان النيل عن ريها ولا قدرة لهم على ريها بالآلات فيبقى معظمها شراقي ولا ينالهم شيء اكثر من رفع الضريبة ويندر ارتفاع النيل بدرجة كافية لري تلك الاراضي ولذلك فهي في اكثر السنين قفراء جرداء نذكر منها منطقة زرنيخ والكلابات بمديرية قنا والدير والقصير والشيخ عباده بمديرية اسيوط — والشيخ نمى بمديرية المنيا — ورياض بمديرية بني سويف — وبلاد شرق اطفيح في مديرية الجيزة من ابتداء دير الميمون عند اشمنت لغاية اثر النبي عند مصر العتيقة . فالحكومة اذ رأت نفسها قادرة على الاصلاح ابتدأت بهِ في بلاد شرق اطفيح وقررت بناء طلمبات عند ناحية الكريمات لانتشال المياه من النيل واطلاقها في طول هذه البلاد وعرضها لري اراضيها ريًّا صيفيًّا مستديمًا وهي منحة لم يكن يحلم بها اهل تلك الاصقاع التي في القريب العاجل تصبح من اعمر البلاد واغناها لان قربها من عاصمة البلاد وسهولة المواصلات معها مما يساعد على سرعة تحسينها وفعلاً ظهرت تباشير النجاح هناك فالفدان الذي لم يكن يباع باكثر من احاد الجنيهات اصبح يباع بمئة جنيه وبمئة وعشرين . والامل كثير في ان يستمر التفات الحكومة لاصلاح بقية بلاد شرق النيل وزيادة تحسين احوال البلاد الواسعة غرب البحر اليوسفي سيأتي البقية



الشفاء الغريب

سيديَّ الفاضلين

" ان في السماء والارض اموراً اكثر مما تحلم بهِ فلسفتنا " . امامي الآن امر من هذه الامور حدث منذ ثمانٍ وعشرين سنة حادث يدخل تحت الشفاء الغريب واذ كنت اظنهُ من الامور التي تساعد على ايضاح هذا الغامض وتوجه الخواطر الى القوة الالهية فيهِ اردت ان ابعث بتفصيلهِ الى مجلتكم الغراء راجياً ان تبدي رأيها فيهِ . وها كم تفصيلهُ كما جاء في علاوة لعدد ١٥٨ من لسان الحال في غرة ايار (مايو) شرقي سنة ١٨٧٩ :— وهو

انهُ في اوائل شهر نيسان شرقي سنة تسع وسبعين وثمانماية والف للميلاد قد كثر الخبر عن شفاء رجل يدعى شاهين بن كنعان البردويل من الشويفات التابعة لقضاء الشوف من متصرفية جبل لبنان بامر الهي معجب بعد ان كان قد أُصيب باسقام وعاهات متنوعة من سنين عديدة

فشاهد هذا الرجل سيادة مطران بيروت ولبنان كيريوس غفريل الجزيل الاحترام وبحث وفحص عنهُ وعما جرى لهُ من الابتداء الى يوم تاريخهِ بكل تدقيق واستقصى منهُ ومن غيرهِ لفظاً وخطاً عن امراضهِ واسبابها وعن شفائهِ الغريب حتى ثبت لهُ بالادلة الواضحة والبينات الصادقة كما سيأتي ما يأتي . وهو ان هذا الرجل وُلد في الشويفات من ابوين ارثوذكسيين كنعان بن شبل البردويل من البلدة المذكورة وهيلانة ابنة الخوري سليمان من مدينة بيروت ليلة الثلثاء الثانية والعشرين من شهر كانون الاول ختام سنة الف وثمانماية واحدى وثلاثين مسيحية الموافقة سنة الف ومايتين وست واربعين هجرية كما هو مسطر بخط المرحوم والدهِ وانهُ قد بلغ سن التمييز صحيح الجسم معافًى لكنهُ ثقيل اللسان في التكلم وقد تعلم القراءة البسيطة على المرحوم والدهِ ثم صار يشتغل تارةً في معصرة دبس واخرى في غيرها . واذ كان عمرهُ بضع عشرة سنة اعترتهُ عبقة صدر وكان اذا اشتدت عليهِ احتاج الى اخراج الدم مرةً او اكثر لكي يرتاح منها . وبعد ان أَلَمَّتهُ العبقة بنحو سنتين تقريباً صودف انهُ نهض من فراشهِ بقصد الخروج من البيت لغرض عرض لهُ

وفي وسط البيت عمود قائم ولا ضوء البتة فلطم رأسهُ بذلك العمود وللحال سقط مغشياً عليهِ ومن ذلك الوقت اصيب بداء النقطة فصار يطرحهُ على الفراش حينما يعتريهِ مدة عشرة ايام فكان يحصل لهُ غالباً في فصل الشتاء واخذ يزداد رويداً رويداً حتى صار اخيراً يحصل لهُ كل يوم تقريباً وكان قد ارسلهُ والدهُ ليتعلم الخياطة وبقي يشتغل بهذه الصنعة مدة ثم تركها واخذ يتعاطى ما يتيسر لهُ من الاشغال حسب طاقتهِ الى نهار الاثنين الواقع ثاني الفصح المجيد قبل هذا التاريخ بنحو خمس سنين وفي ذلك اليوم رجع من الكنيسة الى بيتهِ وبعد ان تناول الغداء فاجأتهُ نوبة قوية جداً فصرخ بصوت جهوري وانطرح على فراشهِ وبقي لا يستطيع حراكاً الى يوم الثلثاء حتى كاد الامل في حياتهِ ينقطع ثم قام آخذتهُ رعشة في رأسهِ وكتفهِ اليمنى ثم بعد ذلك جاءتهُ نوبة أُخرى قوية فقام اعمى لا ينظر شيئاً وهكذا جاءتهُ أُخرى فقام وجنبهُ الايمن مفلوج يابس ثم أُخرى فقام محدوب الظهر حتى صار رأسهُ لا يعلو عن الارض اكثر من ذراع واحدة واخذ يتوكأُ على عصا طولها عشرون قيراطاً تقريباً وقد شوهدت من كثيرين ثم بعد تلك النوبات جاءتهُ نوبة أُخرى يبست يدهُ اليمنى فانقبضت اصابعها ولم يعد يمكن انبساطها البتة وكانت النوبات تأتيهِ مختلفة فتارةً قوية واقوى وطوراً خفيفة فالقوية كانت تفوتهُ مدة شهر تقريباً ومتى جاءتهُ تستمر عليهِ نحو عشرين ساعة ويبقى بانزعاج كلي وكان يشعر اولاً بان حبلاً زنّر وسطهُ واحياناً يصير كالمجنون يضرب يمزق ثياباً ويكسر آنية البيت ثم يرتمي على الارض ويدور كالرحى مغشياً عليهِ مفتوح العينين مختبط الاعضاء اختباطاً رائعاً فيصير ذا منظر هائل ثم يعقب ذلك تشنج قوي وسكون فيصير كانهُ قطعة خشب متمكنة من طرفيها في الارض ومرتفعة الوسط شبه قوس وبعد انصراف النوبة عنهُ يستفيق اخرس اطرش ويبقى على هذه الحال نحو عشرة ايام ثم بالتدريج ينحل رباط لسانهِ ويرجع يتكلم بصعوبة كالسابق ويسمع واما الخفيفة فكانت تأتيهِ باكثر اتصال وتستمر نحو ربع ساعة صيفاً وشتاء

وكان هذا الرجل يتلقى جميع هذه الاوصاب والآلام بالصبر الجميل والشكر الجزيل . وقد استدعي لهُ في اثناء هذه المدة الطويلة من مشاهير الاطباء جناب الدكتور بركتك الانكليزي وجناب الدكتور بوست الاميركاني وجناب الدكتور سليم افندي عطيه اللبناني وجناب الدكتور الامير رشيد شهاب وجميعهم عالجوهُ ولم يحصل على ادنى افادة البتة . وبقي على حالة يرثى لها الى احدى ليالي السنة الحاضرة (١٨٧٩) حين انزل شاهين المذكور الى قبو اسفل الحارة

وفي ليلة السبت الواقع ثالث شباط من السنة الحاضرة (١٨٧٩) صلّى حسب عادته وغلق الباب ورقد براحة لم يشعر بمثلها من مدة السنين الخمس وبينما هو نائم سمع صوتاً حنوناً جدًّا يهتف نحوهُ " يا ايها الغافل قم واجلس على فراشك " مكررًا عليهِ القول فرأى انهُ قام من نومهِ مرعوباً ولما تكرر الصوت " قم لا تخف " سألهُ من انت اخي اجابهُ " اخوك قم لا تخف فبما انك صبرت على احكام الرب قد ارسلت لاعلمك بدواء علتك التي لا يعلم جميع البشر الذين تحت السماء دواءها حتى ولا حكمة الحكماء بل انا وحدي فاصغ لما اقولهُ لك " حينئذٍ رأى انهُ انتبه وصحا عقلهُ واتجه نحو الصوت فقال لهُ " ارسل فاضيء قنديل الكنيسة المقدسة الى الصباح وخذ ما يبقى من زيتهِ واستحضر جوزة الهند وفولاً اسود ومرارة خنزير وصمورة البحر واطبخ هذه الاشياء معاً على النار واجعلها مرهماً وادهن بها يدك اليمنى وجنبك وسلسلة ظهرك وجميع مفاصلك ". فرأى ايضاً ان اصبعين من لحم ودم لمسا صدغيهِ وسمع " ادهن ههنا ايضاً وفي مدة سبعة اسابيع تأكل خبزاً فقط وتمامها نهار الخمسين تستحم بماء مغلي مع ورقي الصفصاف والكباد وعشبة الملعى وتكون مداواتك هذه خارج بيتك في محل منفرد حيث تكون بعيداً عن الهم والغم فتشفى من علتك وتبصر ونهار الحادي والخمسين تنزل الى البحر وتغتسل كل يوم مرة لتمام التسعين يوماً " . وكان الهاتف بعد كل عبارة يسألهُ " فهمت " فيجيبهُ نعم وقال لهُ ايضاً " يجب ان تعمل حسبما اوصيتك والاَّ يضرب جنبك الشمال مثل اليمين وتكون ملقى على ظهرك لا تقدر ان تجلس البتة " . فشاهين المذكور اخشاء من النسيان رأى انهُ مدَّ يدهُ بلهفة ليمسكهُ فلمس جسماً من لحم ودم وطلب اليهِ قائلاً اصبر قليلاً واعطني لاكتب ما قلتهُ لانني لا اقدر ان اتذكر جميع اقوالك اجابهُ " لا تخف فاني معطيك عقلاً وفكرًا حتى لا تنسى شيئاً ومتى استعملت هذه تشفى من جميع امراضك وتتعاطى اشغالك وتفي نذورك للرب المك وتموت بغير علتك هذه " وانصرف عنهُ

فقام شاهين مرتعدًا وزحف نحو الباب فوجدهُ مغلقاً والحجر الذي كان وضعهُ وراءهُ لم يزل في مكانهِ فدحرجهُ وفتح الباب وتبع الطريق صاعداً الى حيث كان شقيقهُ وامرأة شقيقهِ مع اولادهما نائمين وقرع الباب عليهم فاستيقظوا وفتحوا فوجدوهُ مطروحاً على الارض مغشيًّا عليهِ فادخلوهُ واضجعوهُ على فراش واخذا ينبهانهِ ليعلما منهُ ما سبب ذلك وبعد الجهد اشار اليهما بيدهِ اليسرى ليمهلاهُ ولما رجع الى نفسهِ سألها من نزل منكما اليَّ اجاباهُ لا احد فابتدأ يتكلم بصعوبة ويبكي ويقول سمعت صوتاً حنوناً حنوناً وقصَّ عليهما رؤياهُ وما سمعهُ من الهاتف كما تحرر آنفاً ومن ذلك الوقت ابتدأ يتطلب ان تعدَّ لهُ الاشياء التي ذكرت

واما اهلهُ فكانوا يحاوبونهُ تارةً بقولهم لهُ ايام مرافع وانت تصوم وهو يجيبهم انا مرادي الشفا لا اكل اللحم وخلافهُ وتارة ان هذا منام فربما لا تشفى فيهزأ بنا الناس وهو يقول هذا امر الله لا بد من ان اتممهُ وافعل ما انذرت بهِ ولا ابالي بما يقول الناس وبعد الجهد تمموا لهُ رغبتهُ

ويوم الاثنين ١٢ شباط ابتداء الصوم المبارك اخذ يباشر بالتدقيق عمل ما اوصي بهِ فنقل الى محل منفرد وجعلت عمتهُ تدهنهُ كل يوم مرة ويوم الخميس اذ كان قد تناول بيدهِ اليسرى كأس ماء وهو يشرب امتدت يدهُ اليمنى بغتة وانبسطت كفهُ من دون ان يحس فقال لهُ ابن عمتهِ يا ابن خالي انفتحت يدك فترك الكاس وشبك يد بيد فتحقق وشكر الرب

وفي الاسبوع الثاني ليلة السبت وهو نائم اذ سمع صوتًا يقول لهُ "يا ايها الانسان قم لا تخف قد شفي جنبك" فانتبه حالاً وشعر بان جنبهُ يتمّل مخدرًا من القدم الى العنق فبات قلقًا الى الصباح فنهض واذا جنبهُ اليابس من نحو سنة ونصف عاد صحيحًا كأنهُ لم يمرض اصلاً فكرر الشكر للرب

وفي الاسبوع الثالث لم يرَ شيئًا واما التدهين فبقي مستمرًّا

وفي الاسبوع الرابع نهار الخميس اعترى ظهرهُ وجع مؤلم جدًّا واستمر لليلة السبت وفيما هو غافل تلك الليلة سمع صوتًا يقول لهُ "قم لا تخف قد شفي ظهرك" ورأى ان شخصًا مرَّ من فوقهِ ثلاث مرات وجلس الى جانبهِ فاشتد عليهِ الالم حتى ظن ان فقرات ظهرهِ تفككت فاستفاق للحين ونهض منتصبًا معافى فحمد الله

واما الاسبوع الخامس فكان كالثالث

وفي الاسبوع السادس استحوذ على جسمهِ عدا رأسهُ وجع اليم والتهب بالحرارة وتواترت عليهِ النوبات وفي يومي الخميس والجمعة ازدادت بكثرة لا مزيد عليها واستمر على هذا الحال الى انتصاف ليلة السبت ٢٤ آذار شرقي فاتاهُ النوم بغتة ولم يلبث الاَّ قليلاً حتى سمع صوتًا يقول "يا ايها الانسان قم لا تخف فقد دخلتك القوة وردَّت العافية الى بدنك" فناداهُ شاهين متوسلاً اليهِ عينيَّ عينيَّ فقال لهُ "لا تخف فان عينيك تشفيان ليلة الخمسين" وانصرف عنهُ فاستيقظ مرتجفًا ثم احس ببرد فنام ونهض صباحًا بكل راحة كأن لم يعترِ بدنهُ مرض البتة

وفي الاسبوع السابع ابتدأ وجع في رأسهِ والتهاب شديد من يوم الاربعاء ٢٨ اذار واستمر الى ليلة الاثنين ثاني الفصح الواقع ثاني يوم من شهر نيسان شرقي وهو اليوم المتم الخمسين ففي نصف الليل تقريبًا اتاهُ ذلك الصوت كالعادة وقال لهُ "يا ايها الانسان قم

لا تخف انا ميخائيل ارسلت لابشرك بصحتك واعلمك بانهُ من الآن وصاعداً لا تدعى بالاسم الذي تت مسمى به بل فليدعَ اسمك ميخائيل وكل من لا يدعوك ميخائيل يكون ملعوناً ولا تعلُ موسى رأسك ولا تقص شعرك نذراً لله وتبذل جهدك وتبني ديراً على اسم الاله المخلص الذي افتقدك وشفاك وتكون مدبراً ومبشراً باسم الرب الهك لا كاهناً ولا راهباً وها النور قد دخل عينيك ابصر وانا استودعك الله العلي العظيم". فانتبه حالاً وابصر ومجّد الله

ويوم الثلثاء ثالث الفصح نزل الى شاطئ البحر ونزل معهُ جمهور غفير وليلة الاربعاء رابع نيسان اتاه الملاك وقال له " يا ايها الانسان لا تغسل كل جسدك بالماء بل الاعضاء التي كنت تدهنها سابقاً وبما انهُ صار لك ثلاثة ايام وانت صائم يجب ان تأكل وقد سمح لك بالبيض والجبن وسيأتي اليك الناس من كل جهة ويسألونك عن محل الدير الشريف وانت لا تقدر ان تخبرهم فانا اعلمك بذلك ان الدير يكون فوق قريتك على الظهر حيث كان هناك قديماً دير باسم سمعان فهناك يكون واقم هنا علاوة على الاربعين يوماً عشرة ايام اخرى بدون اغتسال ويوم الخميس (وهو احد العنصرة) اطلع الى الكنيسة المقدسة لابساً ثوباً اسود واسمع القداس الالهي وفيما بعد تتعاطى اشغالك " وانصرف عنهُ الملاك انتهى

وميخائيل هذا فعل كما امرهُ الرب ولم يعاودهُ المرض بل كان يقرأ فروضهُ الدينية بدون عوينات الى آخر سني غربتهِ على هذه الارض التي انتهت في اوائل السنة الماضية

المدرسة الكلية بردويل

[المقتطف] انا نتذكر حوادث هذه القصة فانها لما حدثت كنا في مدينة بيروت وكتفنا احد اصدقائنا وكان مدرساً في مدرسة الشويفات فبحث عنها بالتدقيق وكتب لنا تقريراً مسهباً لا يخرج في معناهُ عمّا نشرهُ لسان الحال حينئذٍ ونُقل الينا الآن. فعلمنا ان الحادثة من قبيل الهستيريا وان الشفاء حدث بما يسمّى بالاستهواء الذاتي لكننا لم نستحسن المجاهرة بذلك لشدة ثورة الافكار حينئذٍ فان المرضى كانوا يقصدون ذلك الرجل من دمشق وحلب للاستشفاء فاكتفينا بالاشارة اليهِ في الصفحة الاخيرة من الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث من المقتطف الصادر في شهر ايار (مايو) سنة ١٨٧٩ تحت عنوان الطب الجديد حيث قلنا ما نصهُ "ولولا ضيق المقام وخوفنا ان يحسبنا البعض نتصدى للاعتقادات الدينيَّة التي ليست من بحثنا لكشفنا القناع عما هو جارٍ الآن في نواحينا وخبرهُ يتناظم يوماً فيوماً. فصبراً الآن فسوف يكشفهُ الزمان "

ولو توفي ذلك الرجل بعد شفائهِ وقبل ان يفشل في استنباط الماء للدير الذي اراد بناءهُ لعدَّ الآن من كبار القديسين ولكنت ترى الناس يزورون قبرهُ من كل الاقطار · ولو نجح في استنباط الماء واراد ان ينشئ مذهباً جديداً او ديانة جديدة لسهل عليهِ ذلك لشدة اعتقاد الناس بهِ حينئذٍ حتى انهم كانوا يكذبون ويصدقون كذبهم في سبيلهِ . جاءنا واحد مرة من اكثرهم علماً واوسعهم اطلاعاً وذاكرنا في امر "قديس الشويفات" كما كان يلقب حينئذٍ ولما رأى منا الريب في امرهِ قال لنا ان عندي في المدرسة ولداً افدع القدمين وقد بذل الدكتور بوست جهدهُ ليصلح قدميهِ فلم تصطلحا فذهب ابوهُ بهِ الى قديس الشويفات فمد يدهُ على قدميهِ فشفيتا وها هو الآن يمشي عندي في المدرسة سليماً · فقلنا لهُ نحن نصدقك ان الولد كان افدع فأتنا بهِ لنراهُ بعد ان شفي · فوعدنا باحضارهِ في الاحد التالي وجاءنا يوم الاحد ولم يأتِ بهِ معهُ ثم مضى احدان ولم يأتِ وجاءنا بعد ذلك وحدهُ فقلنا لهُ اين الولد · وكانت الثقة بالقديس قد تزعزعت فاعترف لنا حينئذٍ ان الولد لم يزل افدع كما كان وانهُ هو لم يرَ انهُ شفي ولكن بلغهُ انهُ شفي فصدق الخبر ونقلهُ الينا

وبلغتنا حينئذٍ حوادث كثيرة من هذا القبيل فسرت لنا كيف نشأت بعض المذاهب والمعتقدات او كيف تولدت حولها الاوهام والخرافات · هذا وقد كنا نعتقد ولا نزال نعتقد ان الرجل مخلص في ما قال معتقد صحتهُ ولو كان برهمياً لاعتقد ان برهما نفسهُ تجلى لهُ وكلمهُ بلغة الهنود لا بالعربيَّة وذكر لهُ عبارات من كتب البراهمة الدينية · ولو كان صينياً بوذياً لاعتقد ان بوذه ظهر لهُ وكلمهُ باللغة الصينيَّة وهلمَّ جرًّا · والكلام كلهُ داخلي لا خارجي منتزع من الصور العقلية المطبوعة في ذهنهِ وقد اثر فيهِ تأثير افعال الاطباء في حوادث الهستيريا المختلفة

الشفاء الغريب

حضرة صاحبي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبهُ حضرة الاستاذ الفاضل الدكتور ورتبات عن الامرأتين اللتين كانتا مصابتين بمرض هستيري ظهر في احداهما بمظهر الفالج وفي الاخرى بمظهر التيبس وكيف شفاهما بانهُ اقنعهما ان لا مرض فيهما · وقد شاهدت حادثة من هذا القبيل ووقع لي حادثة اخرى مثلها فجئت اشرحها بالايجاز وتأييداً لما قالهُ حضرتهُ

الحادثة الاولى امرأة اصيبت بتيبُّس في يديها كلتيهما . فلم تعد تستطيع بسطها ولا قدر احد على بسطهما لها مهما استعمل من القوة وكنت حينئذٍ ادرس الطب في مدرسة ليون

وحدث ان طبيب المستشفى على شفائها بهذه الواسطة وهو انهُ دهن يديها بدهون فيهِ شيء قليل من المصفور وقال لها ان هذا الدواء مكتشف حديث وهو يشفيها من غير شك مدة الليل الثاني وعليها ان تنتبه الى يديها حتى تحركهما حالما يفعل الدواء بهما فلما اظلم الليل التفتت الى يديها فوجدتهما تنيران بدهان الفصفور فاعتقدت ان ذلك من فعل الدواء وحركتهما فتحركتا وعادتا الى اصلهما وجعلت تلوم الطبيب في الصباح لانهُ لم يستعمل لها هذا الدواء من قبل

والحادثة الثانية ان رجلاً اتاني ذات يوم وطلب مني ان اذهب الى بيتهِ لعيادة امرأتهِ فسألتهُ عما تشكو منهُ ومن اي وقت فقال ان لها ثلاثة ايام طريحة الفراش لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تبدي حراكاً البتة . فلتهُ حينئذٍ لعاقبة عن استشارة الطبيب ولاهماله بتركها ثلاثة ايام في هذه الحالة فجاوبني انهُ اراد ان يأتيها بطبيب حالاً ولكن النساء من الاهل والاقارب منعنهُ عن ذلك لتأكيدهنَّ ان مرض امرأتهِ من عفريت دخلها وان كل الحكماء لا يعرفون ان يخرجوا العفاريت لان ليس لهم سلطة عليها . فذهبت حينئذٍ معهُ الى بيتهِ وهو في احد مدافن البلد لان الرجل حارس لذلك المدفن . فوجدت امرأة لها من العمر ٢٥ سنة تقريباً نائمة على فراش شاخصة العينين متشنجة الاعضاء لا تبدي ادنى حراك ولا تتكلم ولكن يظهر عليها انها مصغية الى شيء وكان حولها ثماني نساء يتحسرنَ عليها ويندبن حظها ويدعين لها بطلوع العفريت منها فللحال اخرجتهنَّ وفحصت المريضة بتدقيق فلم اقف على علة ما او ادنى خلل لا في دماغها ولا في الحبل الشوكي ولا في جهة عضو من اعضائها . فثبت لي ان كل هذه الاعراض هستيرية فانتهرت المريضة بصوت عالٍ وحاولت ان اقيمها او اغذيها ولكن بدون فائدة وافتكرت ايضاً ان العلاج بالاستهواء لا يجدي نفعاً في الاحوال التي هي فيها وحولها هؤلاء النساء فكلمت زوجها بصوت عالٍ ليأتيني بها الى بيتي حيث اخرج العفريت منها حالاً

فاحضرها محمولة فادخلتها مكتبتي وكنت قد اظلمتها ووضعت آلة كهربائية تحت المقعد الذي اجلستها عليهِ واوصلت سلكيها برجليها وقلت ان العفريت سيطلع منها فيرتجف كل بدنها وبعد دقيقة اوصلت المجرى الكربائي فصرخت طالبة من زوجها ان يعينها وخرجت من الغرفة مذعورة واقفلت الباب ومسكت بزوجها والزمتهُ ان يترك بيتي حالاً لان العفريت طلع منها وهو الآن في البيت وتخاف ان يدخلها ثانية او يدخل زوجها وعادت الى بيتها ماشية متكلمة واكلت وشربت ونامت على جاري عادتها السابقة والى الآن لم يزرها العفريت ثانية

الدكتور اسعد حبيقه

ترجمة مصطفى باشا كامل

حضرة المحترمين اصحاب المقتطف

نرجو اجابة طلب المقترح بجريدة المؤيد وهو ان تنشروا في المقتطف صورة فقيد الوطن المأسوف عليهِ مصطفى باشا كامل وترجمة حياتهِ ولحضرتكم الشكر

ابو كساه عبد القوي احمد معبد

[المقتطف] لقد اسفنا مع الآسفين على وفاة الفقيد رحمهُ الله لكن يتعذَّر علينا ان نكتب ترجمتهُ لان كاتب هذه السطور لا يعرفهُ ولم يتكلم معهُ الاَّ مرتين فقط وفي كل مرة بضع كلمات ولا يتذكر انهُ قرأ مقالةً كاملة من مقالاتهِ . اما اعمالهُ التي عملها فلا نجهلها كما لا يجهلها احد ولقد قال فيها حضرة صاحب المؤيد ان جوهرها الذي حمل المصريين على اكرامهِ والخروج في جنازتهِ على النحو الذي خرجوا فيهِ انما هو ان الفقيد " كان لا يفتأ يعلن عن بغضهِ للاحتلال الانكليزي وينادي بهِ على رؤُوس الاشهاد ويقول ان لسياسة المغاضبة قوَّة لا تقلُّ عن قوة السلاح في مقاتلة الاقوياء "

وصاحب المؤيد من اعرف الناس بالفقيد وبالخطة التي كان جاريًا عليها كما انهُ من امدح الناس لهُ الآن وابكاهم عليهِ فان كان ما ذكرهُ هو السبب الصحيح لهذه " المظاهرة العظمى " وقد حملت جثة الفقيد لانها " كانت تضمُّ ذلك القلب الكبير الكاره للاحتلال اعظم كره " كما قال صاحب المؤيد وانتجت سياسة المغاضبة ما لا ينتجهُ السلاح في مقاتلة الاقوياء فافضت الى الجلاء فيكون الفقيد قد اهتدى الى اسهل الوسائل لاخراج المحتلين من هذا القطر ولكنها اذا لم تنتج ذلك بل انتجت ازدياد النفرة وتقوُّض اركان الامن حتى تضطرَّ انكلترا اخيرًا ان تشهر حمايتها على هذا القطر فتكون سياستهُ قد ادَّت الى ضد ما قصد

وفي رأينا اننا نحن الشرقيين عندنا من المغاضبة والبغضاء شيءٌ كثير بل عندنا منهما ما لا حاجة بنا اليهِ ولا فائدة لنا منهُ وانما يعوزنا امر آخر يحرزهُ لنا العلم ولقد كان المرحوم الشيخ محمد عبده يرمي اليهِ في سيرتهِ وتعاليمهِ وهو ان نكرم انفسنا فنسلم من احتقار الغير لنا ومن اعتدائهِ على حقوقنا . و يعوزنا ايضًا ان نتذكر قول شاعرنا الحكيم القائل

ومن يخاصم كل من لا يقوى لحربهِ جرَّ عليهِ البلوى

هذا وان خير تذكار للرء ما تنال بلادهُ منهُ من النفع فهو الذي يبقى وكل ما سواهُ ظلٌّ زائل وعسى ان تكون نتيجة اعمال الفقيد كلها النفع لبلادهِ عاجلاً او آجلاً

الحياة في المريخ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأت ما كتبهُ حضرة الاستاذ منصور جرداق عن ان المريخ مأهول بخلائق حية عاقلة ارقى من الانسان عقلاً واكمل ادراكاً . وقال ان هذا هو رأي الاستاذ لول ومن لف لفهُ . ويظهر لي ان الاستاذ لول متحمّس جدًّا في اثبات وجود السكان في المريخ وان عالماً آخر يفوقهُ شهرةً كما يفوقهُ سنًّا وخبرةً وهو الدكتور الفرد رسل ولس اقام الادلة على انهُ لا يوجد جرم مأهول او يمكن ان يكون مأهولاً غير الكرة الارضية من كل السيارات التي تدور حول الشمس كما ذكرتم في المقتطف . ولقد صرحتم برأي مثل هذا في المجلد العاشر من المقتطف ولذلك ولأن الخطوط التي شوهدت على سطح المريخ واستدلَّ منها الاستاذ لول على وجود السكان فيهِ يمكن ان تكون من جملة الحوادث الطبيعيَّة التي لم يبحث احد في تعليها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا لا ارى موجباً للقول بوجود السكان في المريخ

مصر احد القراء



الغربية الجبرية

جاءتنا حلول مختلفة للغربية الجبرية التي نشرناها في الجزء الماضي فنشرنا منها ثلاثة ليرى المشتغلون بالرياضيات كيف يختلف نظرهم في المسألة الواحدة مع انهُ اذا وجد شيء يجب الاتفاق فيهِ فهو القواعد الرياضية

الحل الاول

اولاً : لا يختل التساوي الواقع بين اي كميتين اذا ضربت كل منهما بكمية واحدة او قسمت على كمية واحدة

ثانياً : لا يختل التساوي الواقع بين اي كميتين اذا اضيف الى كل منهما او طرح من كل منهما كمية واحدة

اذا علم ذلك فلا يجوز اخذ جذر الكميتين اللتين كل منهما ذات حدين بدون رفعهما الى درجة التربيع وتحويل كل كمية منهما الى كمية ذات حد واحد لانهُ اذا اخذ الجذران اولاً فتؤول المسئلة الى قسمة كلٍ من الطرفين على مقدارين مختلفين اي ان

$$(4-\tfrac{9}{2})^2=(4-\tfrac{9}{2})(4-\tfrac{9}{2}) \text{ و } (5-\tfrac{9}{2})^2=(5-\tfrac{9}{2})(5-\tfrac{9}{2})$$

ويكون

$$\frac{(4-\frac{9}{2})(4-\frac{9}{2})}{4-\frac{9}{2}}=\frac{(5-\frac{9}{2})(5-\frac{9}{2})}{5-\frac{9}{2}}$$

او $-\frac{1}{2}=+\frac{1}{2}$ وهذا لا يمكن

اما اذا قسم كل من الطرفين على كمية واحدة فلا يتغير التساوي اي ان

$$\frac{(4-\frac{9}{2})(4-\frac{9}{2})}{4-\frac{9}{2}}=\frac{(5-\frac{9}{2})(5-\frac{9}{2})}{4-\frac{9}{2}} \text{ او}$$

$$4-\frac{9}{2}=\frac{(5-\frac{9}{2})(5-\frac{9}{2})}{4-\frac{9}{2}}$$

او $-\frac{1}{2}=-\frac{1}{2}$

او $\frac{1}{2}=\frac{1}{2}$ ... اي النصف يساوي النصف

ويمكن تغيير علامة كل من الطرفين بدون ان يختل تساويهما وهذا مستنبط من القاعدة الثانية لان هذه العملية هي عبارة عن تحويل كل من الطرفين محل الاخر

١١ فبراير فواد نسيم

مهندس بالفجالة بمصر

الحل الثاني

اطلعت اليوم على مقتطف شهر فبراير الحالي فوجدت في باب الاخبار العلمية تحت عنوان غريبة جبرية ما ادهشني فان النتيجة بعد اخذ الجذور هي

$$(\tfrac{9}{2}-\sqrt{20}^{\,2})^2=(\tfrac{9}{2}-\sqrt{20}^{\,2})^2$$

اي ٤,٥ = ٤,٥ لا ٤ = ٥ كما ذكرتم عبد الفتاح البنا

١٢ فبراير خادم العلم بدمياط

الحل الثالث

ان هذه الغريبة الجبرية هي بالاحرى مغالطة جبرية . وذلك لان جذر كمية مربعة يجوز ان يكون ايجابياً او سلبياً . وعند عدم التأكيد من احدهما نفرض الوجه الواحد فاذا

قادنا الى نتائج مستحيلة فلا شك ان فرضنا اياهُ غلط وان الوجه الآخر هو الصحيح وعليهِ ففي المعادلة التي هي موضوعنا : (٤ — ٩/٢)^٢ = (٥ — ٩/٢)^٢

اذا فرضنا جذر الضلع الاول ايجابي اي + (٤ — ٩/٢) يكون معنا :

٤ — ٩/٢ = ٥ — ٩/٢ اي ٤ = ٥ وهذا مستحيل

فيكون فرضنا للوجه الايجابي غلطاً ويجب ان نفرض الوجه السلبي · اي ان جذر الضلع الاول هو الكمية — (٤ — ٩/٢) اي — ٤ + ٩/٢ فيكون معنا :

— ٤ + ٩/٢ = ٥ — ٩/٢ اي — ٨/٢ + ٩/٢ = ١٠/٢ — ٩/٢ اي : ١/٢ = ١/٢

وهذا هو الفرض الصحيح

مصر ١٦ فبراير

روفائيل خوري فرا

اجزاجي قانوني

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

انواع الرياضة

اقتصرنا هنا على ذكر ابسط طرق الرياضة واكبرها نفعاً

المشي · يحرك عدة عضلات في الجسم حركات خفيفة ويجب على من يروض جسمهُ بهِ ان يمشي منتصب القامة مبرزاً صدرهُ الى الامام ولاسيما على الارض المستوية الممهدة وان يسير ابعاداً شاسعة اي بضعة اميال كل يوم والمشاؤون الذين يحسنون المشي قليلون لانهُ يندر وجود الذين تكون عضلات اجسامهم متناسبة في نمائها فاذا كانت الساقان ضعيفتين كان المشي متقلقلاً وان كانت الخاصرتان واهنتين تهادى الماشي وتمايل الى جانبيهِ وان كان في الصدر اقل علة او ضعف نكس الماشي رأسهُ وارخى كتفيهِ الى الامام · فالمشي الصحي النافع يتوقف على حفظ الجسم جالساً تماماً وارجاع الكتفين الى الوراء ودفع الصدر الى الامام وجعل الرأس مستقيماً والذقن متجهة الى العنق كانها مشدودة اليهِ فهذا كلهُ يقوي عضلات الظهر ويقوّم اود الجسم ويجب ترك الذراعين تتراوحان بكل سهولة والكفين

مفتوحتين وان يطأ كعب القدم الارض اولاً ثم سائرها ولتكن القدمان راسختين ثابتتين والركبتان مشدودتين الى الوراء وليكن المشي في بادئ الامر معتدلاً وغير متعب ثم تزاد السرعة والمسافة تدريجاً حتى يصير المرء يقطع من اربعة الى خمسة اميال في الساعة وان شاء احد المزيد من الرياضة بالمشي فليحمل اثقالاً خفيفة على كتفيهِ او بكلتا يديهِ

اما العدو والوثب والقفز فانواع من المشي لكن تعودها يجب ان يكون بطيئاً جداً ليتسنى للقلب والرئتين ان تقوى وتعتادها . والاكثار منها مضر ولا سيما بالذين لم يعتادوا الرياضة اليومية

⁂

الدمبلس . كان لهذا النوع من الرياضة شأن يذكر ومقام رفيع عند قدماء اليونان والرومان والصينيين وغيرهم من الامم التي كانت تتعشق القوة البدنية فكانوا يستعملونها على طرائق شتى ويفاخرون باللعب بها . وهي نوعان خشبي وحديدي فالخشبي يستعمل في الترويض السريع الطويل المدة والحديدي يستعمل لانماء العضلات بوجه عام وتقوية الذراعين بوجه خاص ويجب ان لا يزيد ثقل الحديدي منها في بادئ الامر عن جزء من خمسة وعشرين جزءا من زنة الجسم ثم يزاد على الاطراد حتى يبلغ اثني عشر ونصفاً. والمتروض بها يجب ان يقف وقدماهُ ملصوقتان وركبتاهُ مشدودتان الى الوراء وصدرهُ مدفوع الى الامام وكتفاهُ راجعتان الى خلف وعيناهُ شاخصتان الى فوق . اما طرق اللعب بها فعديدة جداً يتفنن فيها اللاعبون على اشكال واطوار

اما الرياضة اليومية الواجب اتباعها للذين لا يعملون اعمالاً جسدية فهي : —

(١) قف جالساً على الجزء الامامي من القدمين وارفع ذراعيك الى فوق رأسك مبسوطتين وفي اثناء ذلك تنفس تنفساً عميقاً كمن يصعد زفرات ووالِ ذلك عشر مرات

(٢) ارفع دمبلس حديدية وزنها جزء من خمسة عشر جزءا من جسمك خمسين مرة من الاسفل الى الاعلى

(٣) اعد طريقة التنفس المشار اليها اولاً

(٤) اركع نصف ركعة وانهض وكرر ذلك خمسين مرة وكلما ركعت ونهضت عشر مرات استرح قليلاً والمقصود هنا من نصف الركعة هو ان تنهض قبلما تلمس ركبتاك الارض

(٥) اعد التنفس المشار اليهِ

(٦) ارفع الدمبلس الى جهة الوراء وابقها مرفوعة بضع ثوانٍ ووالِ ذلك خمسين مرة

(٧) اعد التنفس المشار اليهِ

(٨) ارفع الدمبلس من الكتفين الى الاعلى خمسين مرة

(٩) اعد التنفس المشار اليهِ

(١٠) ارفع الدمبلس الى ما فوق رأسك وابسط ذراعيك بهما كمن يرسم نصف دائرة فوق رأسهِ ووالِ ذلك خمسين مرة واسترح بعد كل عشر مرات منها

(١١) اعد التنفس المشار اليهِ . ثم استحم اذا شئت وتناول طعامك

ولا تنسَ انهُ يجب مع ما ذكرنا المشي ميلين او ثلاثة في اليوم رحمه صروف

تربية الاولاد على الاقتصاد

قال الشاعر واجاد

ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء اي مفسده

فقد اثبت الاختبار انهُ لا شيء اضرُّ بالمرء من ان يربى في نعمة ويرسخ في ذهنهِ انهُ من اهل اليسار فيستطيع ان ينفق كل ما يريد وقتما يريد . فان الفتى الذي يربى في نعمة وافرة ولا يتعلم الاقتصاد في صغرهِ قلما يفلح في ميدان الحياة . واذا فتشت عن الفارق الاكبر بين الناس من جهة الاجتهاد والاقتصاد رأيت انهُ يقوم بتربيتهم صغارًا على الاقتصاد او على الاسراف فالذي يربى على الاقتصاد ولو كان ابوهُ غنيًّا يشبُّ عارفًا قيمة المال لا ينفقهُ الاَّ في سبيلهِ وعارفًا قيمة الوقت والصحة والعمل فلا يضيع وقتهُ سدًى ولا يتلف صحتهُ في ما لا يجديهِ نفعًا ولا يعمل اعمالاً لا جدوى منها والذي يربى على الاسراف يشب وهو لا يعرف قيمة المال ولو كان ابوهُ فقيرًا ولا يعرف قيمة لوقتٍ ولا لصحة ولا لعمل فيعيش مكسالاً متلافًا ويخرج من الدنيا ولا يترك فيها اثرًا طيبًا بعدهُ

اخبرنا رجل من اهل النشاط والجد ان اباهُ كان على ثروة طائلة لكنهُ لم ينفق على تعليمهِ الاَّ في المدرسة الابتدائيَّة فلما وصل الى المدرسة العالية جعلهُ يشتغل وينفق على نفسهِ وهذا شأن اكثر الاميركيين المتوسطي الثروة فانهم لا ينفقون على تعليم اولادهم في المدارس العالية بل يكتسب اولادهم في الفسحة المدرسيَّة ما يقوم بنفقاتهم حتى انهم يدخلون الفنادق خدامًا مدة اجازة الصيف . والرجل الذي اخبرنا بما تقدَّم ربَّى اولادهُ على هذه الصورة فصاروا رجالاً يفتخر بهم

ولا ينكر ان بعض ذوي الثروة لا يتبعون هذه القاعدة ومع ذلك يشبُّ اولادهم

عارفين قيمة المال والصحة والوقت ولكن الاولاد الذين يشبون كذلك قليل عددهم فلا يبنى عليهم حكم وما تقدَّم هو الغالب

وقد يجري بعض الاوربيين والاميركيين على قاعدة جرَّبوها وثبت لهم نفعها وهي انهم يحثون اولادهم على ان يعملوا عملاً في البيت ويأخذوا اجرتهم فيصير للنقود التي اخذوها قيمة في اعينهم لانها اجرة عمل عملوهُ وتعبوا فيهِ وهي طريقة حسنة

وقال غيرهم ان الوالد الذي يؤثر اولادهُ على نفسهِ يعلّمهم بالعمل ان يصيروا محبين لانفسهم غير مهتمين براحة والديهم والوالد الذي يؤثر نفسهُ على اولادهِ يعلمهم بالعمل ان ينصرفوا عن ملذاتهم ويهتموا براحة والديهم . وهذا يصدق على البنات كما يصدق على البنين فان البنت التي تساعد امها في اعمال البيت وتقاسمها المتاعب كلها تصير زوجة حكيمة مدبّرة لامور بيتها

هذا وتربية الاولاد تتناول مئات من المواضيع ولكن غرس مبادىء الاجتهاد والاقتصاد في النفوس من اهمها كلها ولولا اضطرار الفريق الاكبر من الناس للعمل واحتياجهم الى إشراك اولادهم معهم صغاراً في اعمالهم لساءت احوال نوع الانسان ولذلك تجد ان اهل الثروة الذين لا يربون اولادهم هذه التربية ينقرضون رويداً رويداً ويحل محلهم ابناء الفقراء الذين شبُّوا على الاجتهاد والاقتصاد

الوقاية من الكوليرا

اهمُّ موضوع يشغل الافكار في هذه الايام انتشار الكوليرا في بلاد الحجاز والخوف من وصولها الى القطر المصري . ويرجح كثيرون من العارفين بضعف رجال الحفظ عن منع دخول العدوى ان هذا الوباء لا بد من ان يدخل القطر . فاذا صح ما يقولون ترتب على كل احد ان يبذل جهدهُ ليقي نفسهُ منهُ وقد صار التوقي سهلاً بعد ان عُرفت حقيقة الوباء وكيفية اتصالهِ من المصاب الى السليم فان لهُ جراثيم صغيرة جداً لا ترى بالعين لصغرها تكون في مبرزات المصابين بهِ فاذا تلوثت بها ثيابهم وغسلت في بركة او ترعة انتشرت الجراثيم في الماء ودخلت معد الذين يشربون منهُ وكذلك اذا تلوثت يدا احد بها او بالماء الذي تغسل بهِ ثم مسك طعامهُ بيديهِ فالمرجح ان تلك الجراثيم تصل الى طعامهِ ومنها الى معدتهِ . وقد يقع الذباب على المبرزات او على الثياب فيحمل جراثيم الكوليرا ويوصلها الى الاطعمة التي يقع عليها

وقد ثبت من التجارب العلمية ان جراثيم الكوليرا اي ميكربات الكوليرا لا تعيش في المعدة الاَّ اذا كانت قلوية فاذا كانت المعدة حامضة فميكروبات الكوليرا تموت فيها ولا تؤذي

فاذا اتضحت هذه المقدمات كلها عُلم ان الوقاية تقوم بالوسائط التالية

اولاً . بمنع دخول المصابين وامتعتهم الى البلاد مطلقاً

ثانياً . اذا لم يتيسر ذلك فيفرز المصابين وتطهير مبرزاتهم وحرق امتعتهم حتى لا يبقى سبيل لوصول ميكروبات الكوليرا منهم الى غيرهم

ثالثاً . بان يهتم كل انسان بنظافة الماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ حتى يكون على ثقة تامة ان ميكروب الكوليرا لم يصل اليهما

رابعاً . ان يعتني كل احد بمعدتهِ حتى تكون حامضة دائماً و يساعدها باضافة نقط قليلة من الحامض الهيدروكلوريك الى الماء الذي يشربهُ

فاذا اتُبعت هذه الوسائط كلها فالمرجح ان الوباء لا يدخل القطر المصري وان دخلهُ لا ينتشر فيهِ . ولا بدَّ من ان تنشر مصلحة الصحة نشرات كثيرة توزعها في البلاد ترشد بها الناس الى كيفيَّة اتقاء الكوليرا فعسى ان توجز المقال فيها وتكتفي بالقواعد الضروريَّة وتطبعها بحروف كبيرة لتعلّق في اماكن كثيرة في كل بلد حتى يطّلع الجميع عليها ويقرأها عارفو القراءة للذين لا يعرفونها

وعسى ان تنشر ايضاً ما لا بدَّ من معرفتهِ لتشخيص الداء وكيفيَّة معالجتهِ الى ان يحضر الطبيب

فائدة الصوم

ان افضل دواء للتخمة او لسوء الهضم الصوم وتقليل الطعام قال رجل ثقة كنت اشكو من سوء الهضم فلا اكاد انام في فراشي حتى اشعر بتعب ومغص وحرقة شديدة كأَن امعائي تتقطّع وتجيش نفسي طلباً للقيء فجعلت اصوم في الصباح او اقتصر على فنجان من اللبن فيهِ قليل من الشاي اقت فيهِ كسرة من الخبز واكل اكلاً معتدلاً الظهر واكتفي بصحن من الشوربا وقليل من اللحم او الخضر في المساء فلم يمضِ عليَّ اسبوع حتى اصطلح هضمي وزالت التخمة والحرقة ولا ازال مقتصرًا على فنجان اللبن في الصباح ولكنني آكل الظهر والمساء من كل ما يقدَّم لي الى ان اشبع ولا اشعر بتخمة ولا بتعب . ومرادي ان لا احول عن هذا العلاج كلما اصابتني التخمة اي ان اصوم في الصباح او اكتفي بفنجان من اللبن واقلل اكلي في الظهر والمساء لاني وجدتهُ خير علاج



كتاب البدء والتاريخ

ان كان اهالي اسبانيا قد اساءُوا الى العلم والعمران اعظم اساءة بحرقهم كتب العرب يوم اخرجوا بقيتهم من الاندلس فعلماء هذا العصر من الالمان والفرنسويين والايطاليين والانكليز قد محوا ذنوب الاسبانيين بتفتيشهم عن الكتب العربيَّة وطبعها ونشرها بعد مقابلة نسخها وتصحيحها ووضع الفهارس الهجائيَّة لها

ومن الكتب النفيسة التي اعتنوا بطبعها ونشرها حديثًا كتاب البدء والتاريخ المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي وهو لمطهر بن طاهر المقدسي

جاء في كشف الظنون ان هذا الكتاب "للشيخ الامام ابي زيد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٤٠ (للهجرة) وهو كتاب مفيد مهذب عن خرافات العجائز وتزاوير القصاص لانهُ تتبع فيهِ صحاح الاسانيد في مبدإِ الخلق ومنتهاه فابتدأ بذكر حدود النظر والجدل واثبات القديم ثم ذكر ابتداء الخلق وقصص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم وتواريخ الملوك والخلفاء في زمانهِ في ثلاثة وعشرين فصلاً في مجلد واحد"

وقد وجدت نسخة منهُ في الاستانة العلية فعني بطبعهِ وترجمتهِ الى الفرنسويَّة حضرة الفاضل المحقق المسيو كلمان هوار قنصل الدولة الفرنسوية وكاتب السر ومترجم اول الحكومة الفرنسوية واحد اساتذة مدرسة الالسنة الشرقية في مدينة باريس

والكتاب كبير وقد صدر منهُ اربعة اجزاء وامامنا الآن الجزء الرابع منها وهو يبتدئ من الفصل الثاني عشر وينتهي في الفصل السادس عشر. ولغتهُ ناصعة البيان تتجلَّى بابهى ديباجة البلاغة . وان كان المؤَلف قد وصف احوال الناس في ايامهِ كما اطَّلع عليها لا كما تصوَّرها تصوُّرًا فيكون معطلو زمانهِ اقبح الناس سيرةً وسريرة والمشككون او اللادريون من اجهل الناس وهذا لا ينطبق على المعروف في زماننا فان رجلاً مثل الاستاذ هكسلي كان معطلاً او لا ادريًّا ولم يكن بين اكثر الناس تدينًا رجل اشد منهُ تمسكاً بالآداب وابعد منهُ عن المعايب حتى يضرب المثل باستقامتهِ ونزاهتهِ وعفتهِ

ويرى اسلوب المؤلف في بحثهِ من المقدمة التي قدمها للفصل الثاني عشر حيث قال "اعلم ان اختلاف الناس في مذاهبهم واعتقاداتهم كفاء اختلافهم في اخلاقهم وهممهم واراداتهم والوانهم والسنتهم فكما لا تجد اثنين على صورة واحدة وصيغة واحدة وهمة واحدة الاّ في الشاذ النادر فكذلك في وجود اثنين على رأي واحد وخاطر واحد . وان كان الدين الواحد يجمع عالماً من الخلق فان الآراء تتوزعهم والهمم تتشعَّب بهم اللهمَّ الاَّ الطوائف المقلّدة فان اجماعهم على ما يزعمون دعوًى لا حقيقة لها عند التفتيش"

وقال بعد هذا التمهيد ان العاقل لا يخلو من اعتقاد حق او باطل او الوقوف موقف الشك . وابطل الحالة الثالثة وهي الوقوف موقف الشك بقوله ولا يجوز بقاء الشك لان الشك من الجهل بالشيء وتكافوء العلل فيهِ لتحقيق شيء او ابطالهِ كما لا يجوز قيام الادلة على وجود شيء وعدمهِ في حالة واحدة ووقت واحد . . . . فقد بطلت منزلة الشك والسلام . فالناس اذاً لا يخلون من اعتقاد ديانة ما او تعطيل في الجملة

وقال في وصف المعطلة ان " لهم اسماء اخرى فيقال لهم الملاحدة والدهرية والزنادقة والمهملة وهم اقل الناس عدداً واقبلهم رأياً واشرهم حالاً واوضعهم منزلةً " ثم قال انهم " يستحلون المحارم كلها الزنا والسرقة والقتل والكذب والغيبة والنميمة والبهتان والوقيعة وشهادة الزور وقول الافك ورمي المحصن والسعاية والغمر والسخرية والطنز والاستهزاء والبطر والكبر والخيلاء والظلم والعقوق والغدر والخلاف ونقض العهد واخلاف الوعد واشباه ذلك من الرذائل المحظورة في العقل والمحارم المزجور عنها في الشرع"

ولم يكتفِ بهذه النعوت بل قال انهم "ما انتشروا في امة من الامم انتشارهم في هذه الامة لاعطائهم الاقرار بالديانة ظاهراً وحقن الشريعة دم من اجاب اليها وهم هؤلاء الباطنيَّة الباطليَّة" . وواضح من ذلك انهُ قصد شيعة الباطنيَّة الذين ادَّعى عليهم انهم يظهرون الاسلام ويأتون المنكرات فوصفهم وصف حاقد عليهم متربص للانتقام منهم وان كان قد حكم عليهم بالتعطيل وهم يقرُّون بالديانة ظاهراً فكل اثيم معطلٌ ويصحُّ ان يكون كل غير اثيم غير معطل لان التعطيل ينتج الاثم دائماً على مذهبهِ .

والظاهر من كلامهِ ان فرق نصارى المشرق كانت في عهدهِ ستاً وهي الملكانية والنسطورية واليعقوبيَّة والبرذانية والمرقونية والفولية واراد بالفولية النسبة الى بولس الصاموسي

ويظهر من كلامهِ على اقسام الارض واقاليمها انهُ لم يكن يعرف من اواسط اوربا وشماليها الاَّ شيئاً قليلاً جداً فاوصل الاقليم السادس الى القسطنطينية وبلاد برجان

(اي البلغار) وبحر المغرب ثم قال " اما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناهُ فانهُ يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج وماجوج فيمر على بلاد التغزغز وارض الترك وعلى بلاد الان ثم على بلاد برجان ثم على شمال الصقالبة الى ان ينتهي الى بحر المغرب فهذا موضع عمران الارض والبحور مما يعرف واما ما وراء ذلك فارضون مجهولة لا يعرف ما وراءها احد الاَّ الله عزَّ وجل". وعليهِ فالفينيقيون الذين كانوا قبلهُ بالفي سنة كانوا يعرفون من اوربا اكثر منهُ

وطبع الكتاب حسن جدًّا ولكن قلما تخلو منهُ صفحة من الخطإِ المطبعي ففي السطر الاخير من الصفحة الاولى كلمة لهُ صوابها لها وفي السطر الرابع قبل الاخير من الصفحة الثالثة كلمة والاستحقاق صوابها والاستخفاف وفي السطر الخامس قبل الاخير من الصفحة الرابعة كلمة تملك والصواب تملكهُ وفي السطر الخامس قبل الاخير من الصفحة الخامسة كلمة اختاروا والصواب اختاروهُ. ولكن لا يتعذر اصلاح هذه الاغلاط على القارئ اللبيب فمنا لناشر هذا الكتاب جزيل الشكر

النوموغرافيا

Calcul Graphique et Nomographie par M. d'Ocagne

اشيرَ الى هذا الكتاب النفيس في الجزء الماضي في المقتطف في الخطبة التي انشأها حضرة احمد بك كمال الرياضي . وقد اهديت الينا نسخة منهُ فوجدناهُ مثل سائر كتب التعليم الفرنسوية واضح الدلالة جدًّا موضحًا بالرسوم الكثيرة. ومما سرَّنا فيهِ بنوع خاص كثرة استشهاد المؤلف بالشاب الرياضي الذي اكتشفنا قواهُ الرياضية منذ بضع عشرة سنة وهو فريد افندي بولاد فان المؤلف استشهد سبع مرات بالقضايا التي استنبطها او حققها. وقد وعدنا فريد افندي بولاد بان ينشئ للمقتطف فصولاً قريبة المأخذ في هذا العلم الجديد افادة لقرائهِ المشتغلين بالعلوم الرياضيَّة . وفي الكتاب اربع مئة صفحة موضحة بنحو ١٥٠ شكلاً

لغة العالم الجديدة

رسالة صغيرة في لغة الاسبرانتو ترجمها عن الفرنسوية حضرة مصطفى افندي امام استاذ الفرنسوية في طرابلس الشام. ويعلم قراء المقتطف شيئًا عن هذه اللغة مما نشرناهُ عنها في المجلد الحادي والثلاثين . ويسعى واضع هذه اللغة وانصارهُ ليجعلوها لغة عامة تقوم مقام سائر

اللغات فيزيد عدد اللغات لغةً . وقد فاتهم على ما يظهر لنا ان الانسان يتعلم لغة والديه واهل بلدهِ بحكم الضرورة ثم اذا تعلَّم لغةً اخرى فلكي ينتفع من تعلمها في الغالب فهو تاجر يبذل المال والوقت والمواظبة والقوة العقلية لكي يستفيد علماً او يكتسب مالاً والذين هم في سعة من الوقت والمال حتى ينفقوا على تعلُّم لغة وهم غير مضطرين الى تعلُّمها قليل عددهم . ولذلك لا نرى كيف يمكن لهذه اللغة ان تشيع "وتصير في وقت قريب لغة العالم باسرهِ" كما قال مترجم هذه الرسالة . اما شيوعها بين الوف من الاوربيين فلا يؤخذ دليلاً لانهُ لو قام اليوم رجل في اوربا ونادى بعبادة العجل لوجد لهُ من الاوربيين والاميركيين الوفاً من الاتباع

الارصاد الجوية

Meteorological Report for 1905.

اهدت الينا ادارة مرصد حلوان الجزء الاول والثاني من ارصادها عن سنة ١٩٠٥ والاول منهما عن الارصاد في مرصد حلوان ويظهر منهُ ان متوسط الحرارة كان في يناير ٢٣ ,١٠ وفي فبراير ٢٥ ,١١ . وفي مارس ٠٩ ,١٥ وفي ابريل ٦٨ ,٢٠ وفي مايو ٧١ ,٢٤ وفي يونيو ٣١ ,٢٦ وفي يوليو ٠٢ ,٢٨ وفي اغسطس ٢٦ ,٢٧ وفي سبتمبر ٨٤ ,٢٥ وفي اكتوبر ٣٥ ,٢٤ وفي نوفمبر ٠٨ ,٢٠ وفي دسمبر ٥٩ ,١٢ وكان اشد درجات الحرارة في شهر مايو حين بلغت في الثلاثين سنة ٨ ,٤٣ واخفها في ٣٠ دسمبر حين بلغت ٣ ,١ لا غير . وكان متوسط ساعات اشراق الشمس كما ترى في هذا الجدول

	ساعة	دقيقة		ساعة	دقيقة
يناير	٦	٤٦	يوليو	١٢	٢٦
فبراير	٦	٣٧	اغطس	١١	٥٠
مارس	٦	٥٠	سبتمبر	٩	٢٢
ابريل	٨	٥٨	اكتوبر	٨	٢٣
مايو	١٠	٥٢	نوفمبر	٨	١٣
يونيو	١١	٣٨	دسمبر	٦	٤٥

وجملة الساعات التي اشرقت فيها الشمس في السنة كلها ٣٠٤٣.٨ او نحو ٧٣ في المئة من المدة التي كانت فيها الشمس فوق الافق

ووقع فيها من المطر في يناير مليمتر ونصف وفي فبراير مليمتر و ٨ اعشار وفي مارس مليمتر وتسعة اعشار وفي ابريل اربعة اعشار المليمتر وفي اكتوبر عشر وفي نوفمبر ٦ اعشار وفي دسمبر عشران والجملة ثمانية مليمترات وثلاثة اعشار اي نحو ثلث عقدة لا غير

وكان الغيم على اكثره في شهر مارس وعلى اقله في شهر يوليو وقد حجب وجه السماء في الثامن من فبراير والسابع من مارس والرابع والعشرين من ابريل ومرَّت ايام كثيرة من يونيو و يوليو واغسطس وسبتمبر ولا غيمة في السماء

وقيّدت آلة رصد الزلازل هزات كثيرة في كل شهور السنة وزلزلة في ٩ يوليو سعتها اكثر من ١٨ وفي ٢٣ منهُ سعتها اكثر من ١٨ ايضاً وفي ٨ سبتمبر سعتها ٩ وهي زلزلة كلبريا وفي ٢٦ سبتمبر سعتها ٩ ايضاً

والجزء الثاني من هذا التقرير عن سائر الاماكن التي ترصد فيها الاحوال الجوية في القطر المصري والقطر السوداني وهي الاسكندرية وبورت سعيد والمحلة الكبرى والسويس والطور والعباسيَّة والجيزة وحلوان واسيوط والواحة الداخلة وأصوان ووادي حلفا ومروي وبربر وكسلا والخرطوم وسواكن وبورت سودان والقلابات والرصيرص وود مدني والدويم والابيّض وحلة دُلَيب وكدك وواو ومنجلا · وعن الاماكن التي يقاس فيها فيضان النيل وسنبسط الكلام عليهِ في الجزء التالي

مستشفيات الرمد

انشأ الدكتور فرجوسن ماكلن رئيس مفتشي هذه المستشفيات مقالة عن اعمالها مدة الاربع السنوات الماضية تلاها في جمعية الطب البريطانية في اجتماعها السنوي في شهر اغسطس الماضي · وقد ترجمت الى العربيَّة وطبعت وفيها وصف مسهب لاعمال هذه المستشفيات التي يعزى الفضل في انشائها الى السر ارنست كاسل فانهُ وهب الحكومة المصرية اربعين الف جنيه سنة ١٩٠٣ لتخفيف ويلات الرمد ودرء غائلتهِ عن فقراء القطر المصري

واول مستشفى من هذه المستشفيات انشئ في منوف وذلك في اوائل شهر يناير سنة ١٩٠٤ وهو خيام هندية كبيرة

وقد بلغ عدد الذين فحصوا في المستشفيات الرمدية سنة ١٩٠٦ اكثر من اربعين الفاً قبل منهم في العيادة الداخلية والخارجيَّة ٧٣٢٧ وبلغ عدد العمليات الجراحية ٥٨٤٦· و ٢٦١٢ من الذين شوهدوا كانوا مصابين بالشعرة و ٧٠١ كانوا مصابين بالغلوكوما البسيطة

و١٩٦٠ كانوا عوراً او عمياً . و٦٥٧ كانوا مصابين بالكتركتا وجانب كبير من الباقين كانوا مصابين بالرمد الحبيبي وكثير منهم اصابتهم شديدة جدًّا وقد شاهد واحداً مصاباً بالبرص (البينو)

ومما يدهش كثرة المصابين بالرمد الحبيبي من تلامذة المدارس فقد فحص ١٥٩ تلميذاً في مدرسة دمياط الاميرية فوجد ان تسعين منهم مصابون بهِ واربعين مصابون باصابات قرنية تكفي لاتلاف النظر و١٥ مصابون بانواع اخرى غير الرمد الحبيبي

باب المسائل

(١) كتاب مسرات الحياة

اشمون . محمد افندي زكي صباغ . لقد عرَّب المقتطف مقالات للورد افبري من كتابهِ سعادة الحياة فما اسم ذلك الكتاب ومحل بيعهِ

ج نظن انكم تعنون كتابهُ The pleasures of Life وهو جزءان ولا نظن ان ثمنهُ يزيد على بضعة شلنات وكل بائعي الكتب الانكليزيَّة في مصر يسهل عليهم ان يجلبوهُ لكم من بلاد الانكليز

(٢) خطب مجمع ترقية العلوم

ومنهُ . اين تنشر خطب مجمع ترقية العلوم البريطاني

ج نحن نراها في مجلة نانشر الانكليزيَّة ونراها ايضاً منشورة كلها او اكثرها في جريدة التيمس

(٣) السلطان ورعاياهُ

ومنهُ . ما اسم الكتاب الذي اهداهُ لورد كرومر الى احدكما وما هو موضوعهُ واسم مؤَلفهِ

ج اسمهُ السلطان ورعاياهُ The Sultan and his Subjects by Richard Davey

وهو مجلدان وقد طبع في مدينة لندن سنة ١٨٩٧ وفيهِ وصف مسهب لرعايا الدولة العليَّة ولاسيما الاتراك منهم

(٤) متخرجو المدارس الانكليزية

الزقازيق . ب . سليم . اذا اخذ طالب الشهادة العليا من مدرسة للسياسة في انكلترا فهل يمكن ان يوظَّف في احدى وظائف الحكومة المصرية وما هي الوظيفة التي يوظَّف فيها وهل يترقَّى كما يترقَّى الذين اخذوا الشهادات من مصر

ج ان الذين يتخرَّجون من المدارس

العالية في انكلترا يكونون مؤهلين لخدمة الحكومة المصرية مثل الذين يتخرجون من مدارس مثلها في القطر المصري اذا جازوا الامتحان في اللغة العربيَّة ايضاً · والذين يتعلمون منهم في المدارس التي تعلم علم الادارة يوظفون في نظارة الداخلية ويرقون حسب اهليتهم الشخصيَّة فقد يُعيَّن الواحد منهم مفتشاً ثم يرقى الى وظيفة مدير في سنين قليلة

(٥) استهلاك الدين المصري

مصر · احد المشتركين · ان الدين المصري يبلغ تسعين مليوناً من الجنيهات ولا تستهلك الحكومة منهُ سنوياً سوى ثلثمائة الف جنيه تقريباً فهل يلزمنا ان ننتظر على هذا الحساب ٢٧٠ سنة حتى توفي هذا الدين وهل كان من شروط الدائنين استهلاكهُ على هذه الكيفيَّة ولو فرضنا ان وجد هذا المبلغ عند المصريين ورغبوا في تقديمهِ الى الحكومة لايفاء هذا الدين وحسبناهُ ديناً اهليًّا فهل يتيسَّر ذلك

ج اولاً ان الفائدة التي تدفعها الحكومة المصريَّة على دينها نحو ٣ ١/٢ في المئة سنويًّا وهي محتاجة الى النقود لاعمال كثيرة عموميَّة نافعة او ذات ايراد مثل الترع والمصارف وسكك الحديد والسكك الزراعيَّة والخزانات وما اشبه فان هذه الاعمال تقتضي نفقات كثيرة ومنها ربح سنوي يزيد على عشرة في المئة فليس من الحكمة ان توفي دينها بما عندها من النقود وهي قادرة ان تستغل منها عشرة في المئة او اكثر والدين لا يكلفها الَّا ثلاثة ونصف في المئة

وثانياً انهُ لا مانع يمنعها من ان تستهلك من دينها بكل ما يتوفَّر عندها من النقود في اي وقت شاءت وذلك بان تشتري السندات وتحرقها او تحفظها ولا تدفع فائدتها ولكنها اذا طلبت المشترى فالسند الذي ثمنهُ مئة جنيه لا تستطيع ان تشتريهُ بمئة وعشرة جنيهات لان الذين عندهم السندات يصيرون يغالون بها اذا وجدوا لها مشترياً راغباً في مشتراها او مضطرًّا الى مشتراها ولا يستثنى من ذلك الَّا الدين المضمون فانهُ مقسط الى اقساط سنوية كل قسط منها ٣٠٧٠٠٠ جنيه فيوفى كلهُ سنة ١٩٤٨

وثالثاً انهُ اذا كان عند اهالي القطر اموال فائضة وارادوا ان يشتروا دين الحكومة ويكونوا هم المداينين لها فطريقة ذلك ان يكثروا من مشترى السندات من السوق اي سندات الدين الموحد والدين المضمون والدين الممتاز ودين الدومين فمتى صارت هذه السندات كلها في يدهم صاروا هم اصحاب دين الحكومة . ولكن الناس يستدينون الآن المئة بستة الى تسعة على الاقل فهل يعقل انهم "يوظفون" اموالهم في دين لا يعطيهم الَّا ثلاثة او ثلاثة ونصفاً في المئة سنويًّا

هذا اذا نظرنا الى المسألة من وجهها المالي فقط اما اذا نظرنا اليها من وجهها السياسي وكان الذين يجيز للدول الاوربية السيطرة على القطر المصري فللمسألة شأن آخر

(٦) دخل ترعة السويس

ومنهُ . كم هو دخل ترعة السويس السنوي وكم هو الربح السنوي الذي توزعهُ وهل تعطي الحكومة المصرية شيئاً منهُ

ج بلغ دخلها السنوي نحو اربعة ملايين من الجنيهات وقد وزعت ربحاً سنوياً في العام الماضي خمسة جنيهات و١٣ شلناً لكل سهم وكان الربح الذي وزع سنة ١٨٧٦ جنيهاً واحداً وعشر بنسات لكل سهم ولا تأخذ الحكومة المصرية شيئاً من هذا الربح لانها باعت كل اسهمها للحكومة الانكليزية في عهد اسمعيل باشا بنحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي ١٧٠١٥٩ سهماً وقد خصَّ الحكومة الانكليزية من ربحها في العام الماضي ١٠٢١٧٢٨ جنيهاً

(٧) امتياز ترعة السويس

ومنهُ . اتذكَّر انهُ منذ سنين قليلة كان انقضى اجل هذا الامتياز فلماذا تجدَّد مع انهُ في وسع الحكومة ادارتهُ مع ابقاء جميع الموظفين في مراكزهم

ج تذكُّركم غلط فان الامتياز لا ينتهي الَّا سنة ١٩٦٨ اي بعد ستين سنة لانهُ لتسع وتسعين سنة ويحق للحكومة المصرية حينئذٍ ان تأخذ الترعة على شرط ان تدفع الى الشركة قيمة المواد المختصة بخدمة الكنال البحرية

(٨) تحوُّل المعادن

ومنهُ . قرأت في مقتطف شهر يناير الماضي ان النحاس امكن تحويلهُ بواسطة اشعة الراديوم الى عنصر آخر وهو الليثيوم فلماذا لا يصدَّق اليوم تحويل القدماء بعض المعادن الى ذهب

ج ان التحويل الذي تمَّ حتى الآن مشكوك فيهِ ولكن اذا فرضنا انهُ ثبت تماماً بلا ريب فهو من الاعلى الى الادنى ومن الثقيل الى الخفيف . ومبدأ التحول لم يعد منكراً الآن ولكن يبعد عن الظن ان يكون احد قد اهتدى الى طريقة تحويل النحاس او الفضة الى ذهب ثم ضاعت تلك الطريقة او لم تشع . وقد ادَّعى البعض منذ بضع سنوات انهم اكتشفوا طريقة لعمل الذهب ويقال انهم صنعوا ذهباً او معدناً يماثل الذهب وعرضوهُ على مدير دار ضرب النقود في الولايات المتحدة فلم يفرقهُ عن الذهب واشتراهُ كانهُ ذهب . وسنشرح ذلك في الجزء التالي

(٩) سبب الشيب الباكر

منتريال بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور لماذا يشيب بعض الناس باكراً ويكتهل البعض قبل ان يظهر الشيب فيهم

ج ان الميل الى الشيب الباكر موروث

فقد يرثهُ الانسان من ابيهِ او من امهِ او منهما كليهما وقد يرث ذلك من اجدادهِ اما كيف وجد الميل الى الشيب اولاً فغير معروف ولكن يحتمل انهُ مرَّ على نوع الانسان عصر كان فيهِ في بلاد حارَّة مثل بلاد الزنوج وكان شعرهُ اسود كشعرهم ثم انتقل الى بلاد باردة اوبردت البلاد التي كان فيها في العصر الجليدي فابيض شعرهُ كما يبيض صوف بعض الحيوانات في فصل الشتاء لكي يكون امنع لافلات الحرارة من بدنهِ ثم عاد فانتقل الى الاقاليم المعتدلة او اعتدل الاقليم ثانية فصار اولادهُ يمرون على الطورين اللذين مرَّ عليهما نوع الانسان فيكون شعرهم اسود اولاً ثم يشيب

(١٠) منع سقوط الشعر

ومنهُ. ما احسن دواءٍ لمنع سقوط الشعر

ج الزيوت والادهان فانها تغذي اصول الشعر ويشترط ان يفرك جلد الرأس بها جيداً ويحسن ان يضاف اليها مادة منبهة مثل صبغة الذراح (كنثريدس)

(١١) الانسان واكل اللحم

ومنهُ. قلتم في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف ان الانسان من آكلات اللحوم ونرى النباتيين ينفون ذلك فايٌّ هو الاصح

ج لا شبهة ان الانسان يأكل اللحوم ويأكل النباتات ايضاً ووجود الانياب في فكيهِ من الادلة على انهُ من جملة آكلات اللحوم. وقد اكل الناس اللحم من اول عهدهم كما يظهر من آثارهم القديمة لكن ذلك لا ينفي انهم يستطيعون ان يقتصروا على اكل المآكل النباتية المغذية كالخبز والفول والعدس فان فيها كلها مادة نيتروجينية مغذية كالمادة التي في اللحم

(١٢) فائدة المصارين

ومنهُ. يشتري التجار مصارين الغنم من الممالك العثمانية ويملحونها ويشحنونها الى اوربا فما يعملون بها في اوربا

ج يصنعون منها الاوتار للآلات الموسيقية ونحوها

(١٣) سكان مدن سورية

الشوير بلبنان. جابر افندي شبلي. كم عدد السكان في المدن التالية في الوقت الحاضر وفي سنة ١٨٦٠ وهي دمشق وحلب واورشليم وبيروت وحماة وحمص وانطاكية ويافا وعكا وحيفا وطرابلس واللاذقية وطبرية والناصرة ونابلس وغزة

ج اننا لم نقف على احصاء لها في الوقت الحاضر ولا في سنة ١٨٦٠ ولكننا رأينا عدد سكان بعضها في جغرافية الدكتور فان ديك المطبوعة سنة ١٨٥٢ وعدد سكان المدن الاربع الاولى منها في كتاب السياحة السنوي المطبوع سنة ١٩٠٧ وعدد سكان المدن الباقية في دليل بدكر المطبوع سنة ١٨٩٨ وذلك كما ترى في هذا الجدول

والاحصاء الاول في العمود الاول والاحصاءان التاليان في العمود الثاني

دمشق	١٥٠٠٠٠	٢٣٠٠٠٠
حلب	١١٠٠٠٠	١٢٧١٥٠
اورشليم		٤٢٠٠٠
بيروت	٣٠٠٠٠	١١٨٨٠٠
حماة	٣٠٠٠٠	٥٠٠٠٠
حمص	٢٠٠٠٠	٦٠٠٠٠
انطاكية	٩٠٠٠	٢٨٠٠٠
يافا	٩٠٠٠	٣٥٠٠٠
عكا	٦٠٠٠	١١٠٠٠
حيفا		١٢٠٠٠
طرابلس	١٣٠٠٠	٢٣٠٠٠
اللاذقية	٤٠٠٠	٢٢٠٠٠
طبرية		٤٠٠٠
الناصرة		١٠٠٠٠
نابلس		٢٤٠٠٠
غزة		٣٥٠٠٠

باب الاخبار العلمية

التعريب

بحث نادي دار العلوم في القاهرة برئاسة القاضي الفاضل حفني بك ناصف في مسألة التعريب اي نقل الكلمات الاعجمية كالتلغراف والتلفون الى اللغة العربية وذلك في ثلاث جلسات ففي الجلسة الاولى تلا اثنان من اعضائهِ خطبتين مسهبتين الواحدة تجيز التعريب الآن بل توجبهُ وتبين شرائطهُ وقد نشرناها في هذا الجزء من المقتطف والثانية لا تجيزهُ الآن بل تقيم الادلة على ان زمانهُ قد مضى وما جاز للعرب في زمن تكوُّن اللغة العربية والتوسُّع فيها لا يجوز لنا الآن · وفي الجلسة الثانية تناظر الخطيبان في هذا الموضوع وشاركهم بعض الاعضاء والحضور وفي الجلسة الثالثة تليت خطب نفيسة فيهِ نشرناها في المقطم واكثر الخطباء على وجوب التعريب اذا دعت الحال الى ذلك وبعد بحث طويل دام اربع ساعات واتفق الاعضاء على القرار التالي وهو

" بعد سماع ما قالهُ جميع الخطباء في موضوع تسمية المسميات الحديثة قرر نادي دار العلوم ان يكون العمل على النحو الآتي:— يبحث في اللغة العربية عن اسماء المسميات الحديثة باي طريق من الطرق الجائزة لغةً فاذا لم يتيسَّر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الاعجمي بعد صقلهِ ووضعهِ على مناهج اللغة العربية ويستعمل في اللغة الفصحى بعد ان يعتمدهُ المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض "

فائدة السناجيب والديدان

السنجاب او القرقذون حيوان صغير يكثر في البلدان الباردة حيث تكثر الاشجار ذات الجوز فان طعامهُ من جوزها وكان المظنون ان ليس منهُ غير الضرر ولكن انضح الآن انهُ يطمر الجوز في الارض ليأْكلهُ وقت الحاجة اليهِ فينبت بعضهُ ولولا ذلك ما كثرت تلك الاشجار في الغابات. وظهر الآن ايضاً ان بعض الديدان التي تنخر الاشجار وجذورها تجمع بزورها في الاسراب التي تحفرها كأنها تزرعها زرعاً وبذلك تفيد الغابات اكثر مما تضرها

الفاغوسيت والشيخوخة

الفاغوسيت اسم لكريات الدم البيضاء التي تأكل الميكروبات المرضية وتنقذ الجسم من شرها. وقد قال الاستاذ متشنيكوف في كتاب الفهُ حديثاً موضوعهُ إطالة العمر ان هذه الكريات تبقى صديقة للانسان الى ان يشيخ فتنقلب صداقتها عداوةً وتصير تأكل الحويصلات الضرورية من اعضائهِ الرئيسة ولاسيما من اعصابهِ. وتصير هذه الحويصلات عرضة لفتك الفاغوسيت اذا اضعفتها سموم الميكروبات التي تتولَّد في المعي الغليظ. ومن رأي الاستاذ متشنيكوف انهُ يسهل تلافي ذلك بشرب اللبن الذي نزعت قشدتهُ وروّب بالباشلوس البلغاري اي صار مثل لبننا الرائب فانهُ يكون في اللتر منهُ نحو عشرة جرامات من الحامض اللبنيك فيمنع تولُّد ميكروبات الفساد في الامعاء

هذا ونحن نعرف شيخاً عُمّر مئة سنة او اكثر وهو على تمام الصحة ممتلئ البدن وكان يشرب اللبن الرائب في شيخوختهِ يومياً

العرب والحك المغنطيسي

جاء في جريدة نانشر ان الاستاذ ويدمن وصف كتابين عربيين من القرن الثالث عشر والرابع عشر ذكرت في الاول منهما طريقة مغنطة ابر الفولاذ بدلكها على قطع المغنطيس وفي الثاني طريقة لعمل الحك وذلك بوضع ابرة ممغنطة في جوف سمكة من الخشب فتطفو الخشبة على وجه الماء وتتجه الى الشمال والجنوب دائماً. وقد ذكرت هاتان الطريقتان في الكتابين كأنهما من الامور المتعارفة حينئذٍ. ولم تذكر جريدة نانشر اسم الكتابين

هبات كريمة

تركت مسز ريلندس المحسنة الشهيرة من اهالي منشستر ٥٠ الف جنيه لمدرسة فكتوريا الجامعة بمنشستر و ٢٥ الف جنيه لمدرسة اونس الكلية التي هي الآن جزء من مدرسة فكتوريا الجامعة و ١٠ آلاف جنيه لمدرسة منسفيلد في اكسفرد

الجوهر الفرد مذهب سوري

جاء في جغرافية سترابو في كلامهِ على مدينة صيداء ما تعريبهُ

" اذا وثقنا بما قالهُ بوسيدونيوس فاول من قال بالجوهر الفرد رجل من اهل صيداء اسمهُ موخُس نشأ قبل حروب تروادة "

وبوسيدونيوس هذا فيلسوف سوري من الفلاسفة الرواقيين ولد في مدينة حماة سنة ١٣٥ قبل المسيح ودرس في اثينا واقام في رودس وأُرسل منها سفيراً الى رومية سنة ٨٦ قبل المسيح وألَّف كتباً في الفلسفة والفلك والتاريخ لم يبقَ منها الاَّ اجزاء صغيرة.

قال الاستاذ مي في جريدة ناتشر " ان ارجاع القول بالجوهر الفرد الى عالم سوري نشأ قبل ديموقريطس لم يذكر في كتاب من كتب العلوم الطبيعية ولكن سترابو من الكتَّاب المدققين وبوسيدونيوس من اكبر الثقات "

تولد الانواع

يرى الاستاذ دينار ان البكتيريا وبعض اشكال الخمير والعفن ليست انواعاً قائمة براسها بل هي تتولد تولداً من الطحالب الخضراء وقد استنتج هذه النتيجة بعد بحث طويل فانهُ كان يضيف ان مستنبت نوع من الطحلب مواد حامضة او قلوية او قليلاً من املاح النحاس فيتولد منهُ انواع من البكتيريا والعفن والخمير فاذا لم يثبت انهُ اخطأ في امتحاناتهِ او لم ينقها من بزور هذه الانواع فتكون النتائج التي وصل اليها من اغرب ما وصل اليهِ العلماء في هذا العصر

هبة فوق هبة

وهب المستر كارنجي اربعمئة الف جنيه لدارهِ العلمية في وشنطون فوق المليوني جنيه التي وهبها اياها اولاً

هبة علمية هندية

وهب مهرجا دربنهجا سبعة عشر الف جنيه لانشاء بناء فسيح يتصل بمدرسة كلكتا الجامعة ويكون داراً لكتبها

هبة ركفلر

وهب ركفلر مدرسة شيكاغو ٢١٩١٠٠٠ ريال فصار مجموع هباتهِ لها ٢٤ مليون ريال او اربعة ملايين وثمانمئة الف جنيه مصري

هبة عظيمة

ترك وليم جورج بيرس لمدرسة ترنتي الكلية من جامعة كمبردج نحو اربع مئة الف جنيه وهي اكبر تركة تركت لجامعة انكليزية

اصل الاستراليين

وجدت جماجم قديمة في اوربا يستدل

من شكلها على انها لقوم منحطين جدًّا حتى يكادوا يكونون نوعًا قائمًا برأسهِ . وقد انشأ الاستاذ سولاس رسالة عن هذه الجماجم وقال انها تشبه جماجم اهالي استراليا الاصليين وتدل على ان سكان اوربا القدماء واهالي استراليا الاصليين من شعب واحد

كلية البنات في القاهرة

رأى حضرات المرسلين الاميركيين احتياج السكان في مدينة القاهرة الى مدرسة كلية يتعلَّم فيها بناتهم العلوم العالية فابتاعوا ارضًا فسيحة لذلك امام الشارع العباسي شمالي القاهرة واحتفلوا في الخامس والعشرين من فبراير بوضع حجر الزاوية للبناء الذي عزموا على تشييدهِ وحضر الاحتفال خلق كثير وتليت فيهِ الخطب الحسان بالعربيَّة والانكليزية ذكرت فيها حاجة القطر الشديدة الى مدارس عالية لتعليم البنات وابان احدنا الدكتور فارس نمر في خطبتهِ ان عدد الاناث في هذا القطر يبلغ نحو ستة ملايين ومع ذلك فليس منهنَّ في المدارس كلها مصريَّة او اجنبيَّة غير عشرين الف بنت ونحو نصفهنَّ من بنات النزلاء في هذا القطر فلا يكاد يكون في مدارس القطر بنتان وطنيتان من كل الف من المصريات الوطنيات ونحو ثلث التلميذات المصريات في مدارس المرسلين الاميركيين

ووصف حضرة المحامي الفاضل اخنوخ افندي فانوس حالة التعليم الابتدائي على ما كان عليهِ قبل عهد المرسلين الاميركيين وما صار اليهِ بسعيهم وهمتهم وذكر فضلهم الاكبر في انشاء مدارس البنات لان المرأة هي القوة المؤثرة في الهيئة العائلية والهيئة الاجتماعية

وتكلم سعادة صدقي باشا محافظ العاصمة في هذا المعنى وذكر شدة احتياج المصريين الى تعليم بناتهم واوضح مقام المرأة المتعلمة في الهيئة الاجتماعية الراقية

وسيكون في هذه المدرسة غرف للنامة تسع ٢٠٠ تلميذة وقاعات للدرس والتدريس وتقدر نفقات البناء بستة عشر الف جنيه ويعلَّم فيها العربيَّة والفرنسوية والانكليزية والعلوم العالية التي تعلَّم في المدارس التي من نوعها في اوربا واميركا وتضاف اليها ثلاث دوائر دائرة لتعليم المعلمات ودائرة لتعليم الموسيقى ودائرة لتعليم الرسم والتصوير ودائرة لتعليم الخياطة والتفصيل

اكل الحشرات

المظنون ان الناس كلهم يعافون اكل الحشرات على انواعها وقد تقزُّ النفس من مجرَّد القول ان الحشرات تؤكل ولكن الحقيقة التي لا ريب فيها ان كثيرًا من الحشرات يؤكل ويعدُّ من افخر انواع الطعام فالجراد يأكلهُ البدو في اماكن كثيرة وتستطيبهُ قبائل

كثيرة في افريقية وبعضهم لا يأكل سواه من انواع اللحوم كأنهُ طعامهم الخاص. وكان القدماء يأكلونهُ من قديم الزمان ففي دار التحف البريطانية منقوشات قديمة من آثار نينوى فيها رسوم انواع الاطعمة وفي جملتها الجراد. وكان اهالي اثينا يأكلون الجراد والجنادب ويبيعونهما في اسواقهم كانهما من الاطايب ويفضلونهما على السماني. وقد حللت شريعة موسى اكل الجراد. ولا يزال عرب نجد يجففون الجراد ويسحقونهُ ويمزجون مسحوقهُ بالدقيق وكذا يفعل سكان اواسط افريقية ويطبخون منهُ نوعاً من الحساء. واهالي مدغسكر يحمصونهُ ثم يطبخونهُ مع الرز. واهالي الجزائر يسلقونهُ ويملحونهُ ويأكلونهُ. واهالي جنوبي روسيا يدخنونهُ كما يدخنون السمك ومتى ارادوا اكلهُ سلقوهُ قبل ذلك او شووهُ او قلوهُ

وفي الارض دود ابيض كبير يتولد منهُ نوع من الخنافس ومنذ عشرين سنة أُولمت وليمة في قهوة كستوزه بباريس وقدم فيها هذا الدود مقلوًّا بعد مزجهِ بالدقيق واللبن والبيض وكان المدعوون خمسين نفساً فأكلوا منهُ واستطابهُ اكثرهم. ولا يزال البعض يأكلون هذا الدود في فرنسا الى يومنا هذا مشويًّا بعد مزجهِ بالدقيق وفتات الخبز

وكان الرومانيون يأكلون نوعاً من الديدان البيضاء الكبيرة التي تنخر سوق الاشجار

وفي استراليا نوع من الفراش يكثر فيها في بعض فصول السنة ويجتمع على الاشجار كخشارم النحل فيوقد الاستراليون ناراً تحتها حتى يخنقها الدخان ثم يطفئون النار ويجمع الفراش الواقع ويوضع على الرضف حتى يشوى وتحترق ارجلهُ واجنحتهُ فيسحقونهُ ويأكلونهُ

وعند اهالي جاوى نوع من الدود يكون في شجر النخل فيجمعونهُ ويشوونهُ ويمزجونهُ بالافاويه ويقولون انهُ اطيب انواع الاطعمة

وكان اليونانيون يأكلون زيز الحصاد ويستطيبونهُ جدًّا ويأكلون الصراصير ايضاً. وفي افريقية قبائل تأكل الزيز والصرصور

واهالي الصين يأكلون زيزان شرانق الحرير وهي عندهم من الطيبات ويشترون الرطل منها بقرشين ويأكلون ايضاً الديدان البيضاء التي تكون في مثل المش المصري ويأكلها بعض المصريين ايضاً

هذا من حيث الحشرات الكبيرة التي ترى بالعين اما الحشرات الصغيرة التي لا ترى بالعين فكل الناس يأكلونها وهم لا يدرون. انظر الى قطعة من الجبن بمكرسكوب صغير فقلما تراها خالية من حشرات صغيرة تدبُّ عليها والناس كلهم يأكلون الجبن ولا يسألون عما فيهِ من الحشرات

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

الفصل الثالث

بعض الغامض

توارت الشمس في الحجاب بعد ان ودعت الزرع وداع الحباب والبست الجوّ حلة عسجدية وبسطت على الارض مطارف كسروية وحلقت الغربان في عنان السماء لتكون آخر من ينظر ملكة النهار فوق الغبراء . ووقف البدر رقيباً ليرى ما يكون من هذا الوداع وقد اصفرّ وجهه حسداً وودّ ان يشتد حالك الظلام ليكون فيهِ مفتقداً . وخرجت النساء للاستقاء وقد توجنَ رؤوسهنّ بجرار الماء . وعادت الانعام من المراعي بطاناً بعد ان خرجنَ اليها خماصاً . وتموجت اردافهنّ كانهنّ لبسنَ من الحرير درعاً دلاصاً . ونبحت كلاب العزب عابري الطريق . وارتفع الدخان من الاكواخ وليس في القدور غير السليق . وضاءت الحباحب في كهفها ليهتدي اليها الفها . وطارت الخفافيش تفتش عن فراش تأكلهُ . ونقّت الضفادع طرباً كأنها لا ترى في الحياة عبثاً تحملهُ

وانفرد المستر مكنزي بمس برون ثانيةً قبل العشاء فرآها تنظر طارةً الى السماء وطوراً الى الماء وقد مسكت بيدها زهرةً برية وهي تفتل غصنها باناملها كأنها تحاول جمع افكارها المتشردة فتعصيها . فقال لها قولي لي ماذا اقول لابيك وكيف يصحّ لي ان التقي بهِ ولا اسأله عنك وكيف اتجاهل وجودكِ في مصر . وهل انتِ مسرورة بالاقامة في هذا البيت

فابرقت اسرّتها لما انتقل من السؤال الاول الى الثاني وقالت نعم انني مسرورة جداً بالاقامة هنا مع مس ابرهيم بك وانا احبها مثل اختي وهي تحبني مثل اختها ولا تقدر ان تفارقني يوماً واحداً وقد انحرفت صحتي في الشهر الماضي فقلقت عليّ اشد القلق واتوني بطبيب من القاهرة كأن لا قيمة للمال عندهم نعم هم يدققون في الامور الصغيرة الى حد البخل ولكن اذا دعت الحال فتراهم يعطون الف الجنيه كما يعطون القرش وفوق ذلك فان لي هنا عملاً اهم من ركب الاوتوموبيل والرقص في بيوت لندن وهو اني ساعدت مس ابرهيم في ترتيب بيت ابيها . ماذا كنت اعمل في لندن غير النوم الى الظهر والسهر الى نصف الليل ومسايرة لورد مورلي اكراماً للادي مكدن . ليكن في علمك اني باقية هنا وغير راجعة الى لندن ابداً وارجو من شهامتك ان تكتم امري كل الكتمان لاسيما وانك غير مكلف بافشائهِ

فقال لها اذاً ابرهيم بك وعائلتهُ لا يعلمون شيئاً من قصتك يا مس مكدن

فقالت كلاّ ولا يعلمون الاّ اني فتاة انكليزية اتيت مع ابنتهم رفيقة لها

فقال ولكن ما هو السبب الذي دعاكِ الى ترك بيت ابيكِ والمجيء الى هنا ومن يترك قصور السر هنري مكدن و يأتي الى هذه البلاد

فقالت هذه قصة يطول شرحها وكنت اظن انك عالم ببعض تفاصيلها وهنذا ابرهيم بك وابنتهُ فلا سبيل لشرحها الآن ولا حاجة بي ان اكرر عليك الوصية بالكتمان التام

ودنت نزهة وابوها منهما وقالت نزهة لها ارأيتِ ما اجمل غياب الشمس تصوَّر يا مستر مكنزي اننا الآن في يناير ولا غيمة في السماء وقد مضى اكثر من شهر ولم نقع نقطة من المطر . كيف الحال عندكم الآن والمطر والثلج والبرد ولكنني احب بلادكم

فقال هل تحبينها اكثر مما تحبين هذه البلاد

فقالت لا اعلم . لا اظن . لا تصح المفاضلة بين البلادين لان لكل بلاد منهما مزايا ليست للاخرى ولكن لا شبهة في ان الصيف عندكم يفضل على الصيف عندنا من كل وجه والشتاء عندنا يفضل على الشتاء عندكم . هذا من حيث الهواء والحر والبرد . اما من حيث البلاد نفسها ونظافتها وجبالها ووهادها واشجارها وغياضها ومناظرها الطبيعية والصناعية وتغير اشكالها فلا شيء عندنا يقابل بها ولا سيما بلاد اسكتلندا وويلس وجنوبي انكلترا . بلادكم كلها جميلة وقد تبارت الطبيعة والصناعة في تجميلها . وبلادنا ايضاً جميلة . انظر الى هذه المروج الخضراء الفول والقمح والبرسيم شقق خضراء متصلة الحواشي لا فاصل بينها غير طرق السابلة الضيقة . وهذه البحيرة البديعة والجبال المنتصبة امامها والتاريخ القديم الذي يحيط بها . الوف والوف من السنين تنظر الينا من وراء الغيب اين امنهوتب اين رعمسيس اين ملوك الفرس اين البطالسة اين القياصرة اين القرون التي مرَّت على هذه البلاد وابقت فيها من آثار عظمتها ما يدهش العقول . هل رأيت هرم ميدوم في طريقك الى الفيوم . نحن هنا في مدرسة دائمة ندرس تاريخ الام وما مرَّ بها من العبر . أليس الامر كذلك يا مس برون . سنصير انا وانتِ من علماء الاجبتيولوجيا[1] ياعزيزتي

قالت ذلك واعتنقتها وقبلتها وكانت تحمل برنيطتها بيدها وهي من برانيط الشمس الواسعة الكنار وشعرها معقوص على رأسها قصائب متموجة اسود ضارباً الى الشقرة . فنظر اليها المستر مكنزي ملياً وقال في نفسهِ لقد صدقت فان دم اليونانيين والرومانيين اختلط بدم المصريين الاولين والناس كلهم اخوة وابناء اب واحد وام واحدة وما هذا الاختلاف الذي نراهُ في الوانهم وملامحهم الاَّ من تأثير الاقليم والمعيشة

---

(١) علم الاثار المصرية

واجتمعنا الساعة السابعة مساء حول مائدة فاخرة وادبرت علينا الوان الطعام من سمك البركة وبطها ولحوم الفيوم المشهورة بطيب طعمها مطبوخة كلها على النسق الفرنسوي او ما يقارب النسق الشرقي ودار الحديث اولاً على صيد السمك من بحيرة قارون لاننا كلنا استطبنا سمكها ثم على صيد البط منها ومما يجاورها وكان امين ورياض قد مضيا للصيد بعد الظهر وعادا بعشر بطات وطيور اخرى صغيرة . والتفتت نزهة الى ابيها وقالت له ما دام امين ورياض يأتياننا بصيدهما فيكون من الحكمة والتوفير ان نقيم ههنا . فقال امين اصبتِ لان اصحابك قد غلّوا علينا المعيشة في كل مدن القطر . قال ذلك والتفت اليَّ كأنهُ يطلب موافقتي لهُ على كلامهِ

فقلت نعم ان المعيشة اصبحت غالية جداً وان كان لاصحاب السيدة نزهة يد في ذلك فتكون يدهم للنفع لان المعيشة لا تغلو الاَّ حيث ترخص النقود والنقود لا ترخص الاَّ حيث تكثر

فقال امين نعم هذا مبدأ صحيح في فن الاقتصاد السياسي ولكن قد تكثر النقود وتكون للذين تكثر بينهم وقد تكثر وتكون ديناً عليهم كما في حالتنا الحاضرة فقد جاءتنا البنوك باموال اوربا فاستدناها منها ونحن نبذرها الآن فرخصت بين ايدينا وغلت برخصها الحاجيات والكماليات ولكن الدين لا بدَّ من ايفائهِ عاجلاً او آجلاً فمن اين نوفيهِ بعد ان نكون قد بذَّرناهُ وانا اؤكد لك ان حالنا اليوم اسوأ مما كان عليهِ حال آبائنا منذ ثلاثين او اربعين سنة

فقال ابوهُ نعم اسوأ مما كان في زمن السخرة والكرباج اسوأ مما كان في عهد الظلم والاستبداد هذه الاطيان كلها هذا التفتيش الكبير نزع من اصحابهِ غصباً عنهم بثمن او بلا ثمن وضُمَّ الى املاك الدائرة السنية وأُجبر اصحابهُ على حرثهِ وزرعهِ من غير اجرة والكرباج فوق رؤُوسهم واذا هرب واحد منهم أُلزم اخوتهُ او اقاربهُ او اهل بلدهِ ان يقوموا بما كان مفروضاً عليهِ من العمل وان يدفعوا ما كان مفروضاً عليهِ من المال . ماذا تعلم من الايام الماضية حتى تفضلها على هذه الايام ابوك عرف الزمانين انا عرفت ذلك الزمان وهذا الزمان واني متعجب كيف بقي احد منا في قيد الحياة فبأي حق تفضل تلك الايام على هذه الايام

فقال رياض اما انا فاني كنت اود ان اكون في تلك الايام مفتشاً في هذا التفتيش حينما كان يزرع قصباً

وكأن السيدة نزهة رأت ان الحديث اوغل في سبل الجد فارادت ان تصرفهُ الى المزل فقالت لاخيها حتى تشبع من القصب

فقال نعم حتى اشبع واشبعك انت ومس برون فانكما تحبانهِ اكثر مني

فقالت لمس برون هل تعلمتِ مص القصب

فقالت تقريباً ولكنني لست ماهرة مثل مس لبيب

فقالت السيدة نزهة نسيت القصب مع انهُ احسن فاكهة هنا

ثم التفتت الى احد الخدم واوصتهُ ليذهب الى اقرب مقصبة ويحضر لنا القصب منها واعتذرت الينا عن فعلها هذا وقالت بالعربية بريّة وحرية ثم ترجمت عبارتها بالانكليزيّة لكي يفهمها المستر مكنزي

فقال لها لا داعي للاعتذار فان كل ما اراهُ على غاية الانتظام وانا احب القصب كما تحبونهُ ولو لم ابلغ مبلغ المستر رياض في محبتهِ ثم التفت الى ابرهيم بك وقال لهُ هل تظن ان كثيرين يقولون قولك من جهة تفضيل هذه الايام على الايام الماضية

فاجابهُ ابرهيم بك ان الذين ذاقوا مرارة تلك الايام يعرفون حلو هذه الايام واما يوسف وامين ورياض فلا يعلمون منها شيئاً ولا يستطيعون ان يتصوروها .

فقالت السيدة نزهة انا استطيع ان اتصورها فاذًا انا اكبر منكم كلكم فاني استطيع ان اتصور العمدة او شيخ البلد مطروحاً على الارض ورجلاهُ في الفلق واثنين يروغان عليهِ بالضرب الى ان يغمى عليهِ فيرش وجههُ بالماء حتى يفيق ثم يعاد ضربهُ حتى يسيل الدم من رجليهِ وجنبيهِ وقد اخبرتني المرحومة جدتي انهم فعلوا كذلك بالمرحوم جدي ورقصت عليَّ القصة مراراً كثيرة حتى رسخت في ذهني . اما امين فلا يصدق ان الناس كانوا يمتهنون الى هذا الحد

فقال ابوها ان ما اخبرتك بهِ امي ليس شيئاً بالنسبة الى ما كان يصيب غيرنا لان ابي كان من المفتشين المسموعي الكلمة اما غيرهُ من العمد والاعيان فكان يجلد مراراً في العام الواحد ولكن ما لنا ولهذا الحديث الآن هات يامستر مكنزي اخبرنا كيف وجدت بلادنا

فقال المستر مكنزي وجدتها من اجمل البلدان حتى في فصل الصيف فاني لم اجد حرارتها اشد من حرارة بلاد الهند . حتى بلاد السودان لا تبلغ في حرها مبلغ بلاد الهند وقد ذهبت الى الخرطوم في الصيف الماضي ولم أرَ الحر فيها فوق الطاقة واصابنا الهبوب مرة او مرتين وانا هناك فتضايقنا منهُ ولكن مدتهُ قصيرة و يزول حالاً والصحة هناك على اجودها لنقاوة الهواء وجفافهِ

فقال له امين فلا عجب اذًا اذا قيل انكم ستجعلون السودان هندًا ثانية ولكن اذا كان الامر كذلك فلماذا تحملون مصر نفقاتها او عجز ميزانيتها

فقال المستر مكنزي اظن ان السبب واضح وهو اننا اذا لم نحفظ السودان لمصر اخذتها دولة أُخرى ولم يعد في طاقتنا ان نتصرف بالنيل تصرفًا يعود بالنفع على مصر . وانا لست بارعًا في التعليل السياسي ولكن اظنني مصيبًا في هذا القول اليس الامر كذلك يا ابرهيم بك

فقال ابرهيم بك نعم هذا هو الصواب فقد كنا نقاسي الاهوال من قلة الماء في زمن التحاريق اما الآن فاصطلحت الحال جدًا ولا نزال نحتاج الى كثير من الماء ولا سيما في الفيوم فاذا كانت الاعمال التي يراد عملها في السودان تكفل لنا الري الصيفي فكل ما ينفق على السودان لا يكون شيئًا بالنسبة الى الفوائد التي ننالها منهُ

فالتفتت السيدة نزهة اليَّ وسألتني عن رأيي في المسألة فقلت اني من رأي ابرهيم بك ولكن يمكن الاقتصاد في نفقات السودان كثيرًا فاني لا أرى فائدة لسكة حديد سواكن او لاداعي لها الآن وقس على ذلك نفقات كثيرة من هذا القبيل . وتعمير السودان لازم ولكن لا داعي للتعجل فيهِ ولا هو مطلوب منا

فقالت لي هل ذهبت الى السودان . فقلت نعم ورأيت اعمال الاصلاح جارية فيهِ بما يمكن من السرعة

فقالت وهل السودانيون اهلٌ لان يعتنى بامرهم الى هذا الحد

فقلت يظهر ان العرب منهم اهل لذلك وهم يقدرون الاعمال التي تعمل في بلادهم قدرها ولكن هي مثل كل الاعمال الآتية من الخارج تقبل كأنها ثياب عارية وانتِ تعلمين المثل العربي الثوب العارية لا يدفئ ولا فلاح لامّة ما لم تنهض هي نفسها وتحك ظهرها بظفرها كما يقال

فقال امين اصبت اصبت وهذا حالنا في مصر فان المستر مكنزي واصحابهُ قبضوا على كل الاعمال والمصالح ومهما احسنوا واخلصوا في ادارتها فنحن الخاسرون اخيرًا لاننا نصير عاجزين عن ادارتها بانفسنا فلو تركونا وشأننا لادرنا امورنا واخطأنا اولاً من وجوه كثيرة ولكن الانسان لا يتعلم الّا من الخطاءِ فنتعلم اخيرًا كيف ندبر اعمالنا من غير خطاءٍ كالطفل الصغير فانك ما دمت تحملهُ بيديك خوفًا من ان يعثر ويقع اذا مشى فانهُ لا يمشي ابدًا ولكن دعهُ يمشِ على رجليهِ ويقع فانهُ يتعلم المشي اخيرًا

وكنا قد فرغنا من اكل الفاكهة فقالت السيدة نزهة ابقوا في حديثكم السياسي الاقتصادي وانا والسيدة نزهة خارجتان نمشي في ضوء القمر . وقال المستر مكنزي وانا

امشي في رفقتكما ان سمحتما لي وقلت انا كذلك وقمنا وخرجنا نمشي على شاطىء البحير

قالت زهرة لاحمد وهما يرفعان الصحاف عن المائدة "شفت الراجل الانكليزي دا يكلم ستي برون وحدهما اظنهما من بلده"

احمد — كلهم من بلد واحد والظاهر يعرفوا بعض من قبل

زهره — لا ما يعرفوش انا كنت حاضره لما عرَّفتهم ستي نزهه ببعض وموش عارفه ليش ستي برون ما عادتش تتكلم مثل عادتها وصار كل الكلام لستي نزهه

احمد — الظاهر في حاجه بينها و بين الراجل دا

نزهة — ما اعرفشي ومن اول ما بصّيت فيها قلت دي بنت ناس كبار وكنت رتّب صندوقها من يومين ثلاثه وجدت عندها علبة مجوهرات احسن ما عند ستي نزهه ولما شفتها اخذتها مني وخبتها . انا موش خايفه منها ولكن قلبي يقلي انها مش تمام

و بينما هما يتحدثان كذلك دخلت جارية سوداء مترهلة البدن في سن الكهولة وشتمتهما وامرتهما ان يسرعا في تنظيف المائدة لان يوسف بك قال لها ان البكوات سيعودون قريباً ليلعبوا الورق هناك

وفيما نحن نتجاذب اطراف السمر في ضوء القمر والسيدة نزهة تقول بعثت مرسي ليجلب لنا قصب السكّر ولم يعد حتى الآن اذا بطلق بندقية تبعتهُ طلقات كثيرة وصعقات شديدة. فعدونا كلنا الى ناحية الصوت مدفوعين الى ذلك عن غير قصد وبعد مسيرة نحو الف خطوة رأينا رجلاً مطروحاً على الرمل والى جانبهِ عيدان القصب وحاول الدكتور يوسف انهاضهُ فوجدهُ ميتاً لا حراك بهِ والدم لا يزال ينزف من جنبهِ ورأت السيدة نزهة هذا المنظر فاضطربت وأُغمي عليها فحملها اخوها بين يديهِ وابعدها عن القتيل والقاها على ظهرها وفك ازرارها وبعث رياضاً اخاهُ الى الخيمة ليأتيهُ بجزدان الادوية والشمامات ولم يكن الاّ دقائق قليلة حتى اتى الخفراء الينا وقصوا علينا واقعة الحال وهي انهم أُخبروا ان الشقي ابا سعدان ومنصرهُ مختبئون في القصب وقصدهم السطو على عزبة الياس فتربصوا لهم هناك وراوا الخادم مرسي عائدًا بالقصب فانذروهُ ان لا يعود بطريق الجبل والظاهر انهُ رأى ترعةً او مصرفاً في طريقهِ فاختار طريق الجبل ورآهُ اللصوص واطلقوا عليهِ الرصاص فاسرع الخفراء اليهم وادركوهم ورموهم بطلقات كثيرة فاصابوا ابا سعدان رئيس المنصر لكن رفاقهُ كثروا عليهم وحملوهُ وتغلغلوا في القصب فتعذر عليهم اتباعهم

وحضر حينئذٍ كثيرون من اهالي العزب المجاورة وأُرسل الخبر الى معاون البوليس في نقطة ابوكساه · وافاقت السيدة نزهة فمشينا معها الهوينا واوصلناها الى نزل قارون لانها خافت ان تنام في الخيمة فنامت فيهِ هي ورفيقتها · ومضى الليل ونحن في قلق مستمر وكتابة محاضر التحقيق وقام ابرهيم بك في الصباح وعاد بعائلتهِ الى الفيوم ومضى الدكتور يوسف مع جثة مرسي الى مركز سنورس وقد حزن اولاد ابرهيم بك على خادمهم حزناً شديداً لان لهُ في خدمتهم سنين كثيرة وكان كبير الهمة شديد الامانة

وبقيت انا يومين آخرين وعدت الى الفيوم مع المستر مكنزي وكان رفيقي قد سبقني الى مصر

الفصل الرابع

استقلال مصر

حالما وصلنا الفيوم مضيت انا والمستر مكنزي وزرنا بيت ابرهيم بك نسأل عن صحة السيدة نزهة ونشكرهم على حسن ضيافتهم لنا فرحبوا بنا وطلبوا منا ان نقيم عندهم ونتغدى معهم

والبيت قديم ولكن أُدخلت فيهِ اصلاحات كثيرة جديدة وهو طبقتان كبيرتان جداً السفلى لمقابلة الزوار ونزول الضيوف وفيها غرفة كبيرة للمائدة ومكتبة ابرهيم بك وهي حافلة بالكتب النفيسة ولا سيما الكتب التاريخية اما غرف المشاهدة التي يشاهد فيها الدكتور يوسف مرضاهُ فمبنية وحدها في طرف الحديقة · والطبقة العليا قسمان مفصولان احدهما عن الآخر الواحد للنساء والآخر للرجال وفيهما غرف كثيرة للمنامة والاكل والجلوس والاستقبال · ولم أرَ في بيت من بيوت مصر من فاخر الاثاث والرياش اكثر مما رأيت في ذلك البيت وقد قيل لي ان اكثر الاثاث الثمين مشترى من سراي الجيزة وسراي الجزيرة فهو من قصور اسمعيل باشا وبعضهُ كان لا يزال في صناديقهِ كما اتى من اوربا كالثريات الكبيرة والبسط التي من نوع الغوبلين الثمين والستائر المحوكة لاسمعيل باشا خاصة والموائد والكراسي والمقاعد وما اشبه

وكان ابرهيم بك جالساً في مكتبتهِ واثاثها انكليزي كلهُ فاستقبلنا فيها وألحّ علينا بالبقاء عندهم وقال لنا رياض انهُ ينزل معنا الى مصر لان اجازتهُ انتهت ولا بدَّ من رجوعهِ الى المدرسة فاجبنا طلبهم وجلسنا معهم في المكتبة حول نار موقدة لان النهار كان بارداً جداً

وقال ابرهيم بك لابنهِ رياض انك راجع اليوم الى المدرسة فاحذر من ان تجاري غيرك من الشبان في المظاهرات الفارغة كما فعلتم سابقاً فان الذين يحركونكم ويحضونكم على ذلك خادعون او مخدوعون واني ارى الحوادث الجارية الآن مثل الحوادث التي كانت جارية قبيل الثورة العرابية واخاف من عاقبتها

فقلت لهُ هل تتبعت حوادث الثورة العرابية من اولها

فقال كيف لا وقد كنت محسوباً من دعائم الحزب الوطني قبل ان تهوَّر ثم اضطررت ان انفصل عنهُ لما رأيت بين اعضائهِ عدداً كبيراً من المهاويس او المفاليس . فقبضوا عليَّ وزجوني في السجن لانهم ظنوا بي الخيانة مع اني لم اخنهم قط ولكن كان لي صديق كنت استخلصهُ واخبرهُ بكل ما يجري في اجتماعاتنا والظاهر انهُ كان جاسوساً فكان يمضي ويفشي اعمالنا ولولا وساطة بعض الاصدقاء لقضي عليَّ

وابرقت اسرَّة المستر مكنزي وقال لابرهيم بك احبُّ ان اقف على خلاصة ما تعلمهُ من اسباب الثورة العرابيَّة ومأجرياتها وهل تظن حقيقة ان الحركة الحاضرة تؤدي الى ما ادَّت اليهِ تلك

فقال اما اسبابها وماجرياتها فسأشرحها لك لاني من اخبر الناس بها وعندي كل تفاصيلها واما هل تؤدي الحركة الحاضرة الى مثلها او لا تؤدي فهذا يتوقف على المتطرفين من حزب الاحرار عندكم لانهم اذا ظلوا ينفخون في انوف الذين يغترون باقوالهم واقنعوهم ان انكلترا تجلي عن القطر المصري اذا نحن غاضبناها فلا يبعد ان يصدّق جمهور كبير قولهم ويجاهروا بالعدوان ولاسيما اذا اصاب البلاد عسر مالي لان المديون المفلس يلتمس كل وسيلة للتخلص من دائنهِ او لتخويفهِ حتى لا يطالبهُ بالدين . نعم اذا بقيت الاشغال رائجة كما هي رائجة الآن فلا خوف من الثورة لان الاكتساب يربط الناس بالمصالح . ولكن رواج الاشغال الذي نراهُ الآن لا يطول لان الاموال آتية من الخارج ولا بدَّ من ان ينقطع سيلها ويطلبها اصحابها منا فيضطر الناس الى الايفاء . انظر الى فلان صاحب الجريدة الفلانية فانهُ يبلغني انهُ مرتبط مع بعض الشركات وقد ربح منها ربحاً طائلاً فهو يساير ويجامل الآن ولكن لا يبعد ان يغتر فيبتاع بما كسبهُ اراضي وعقارات لا يستطيع ان يوفي كل ثمنها ولا نصفهُ فاذا هبطت الاسعار بعد حين ولم يستطع ان يوفي ما عليهِ اضطرَّ ان يلجأ الى المشاكسة والمعاكسة وتكدير جو السياسة وقس عليهِ امثالهُ من المستغرقين في الدين

فقال المستر مكنزي هذه مسألة اخرى واسمح لي ان اقول اني لست من رأيك في

انقلاب الحال من اليسر الى العسر بل اليسر متزايد يوماً فيوماً ما دامت ثروة البلاد مكفولة بريع اطيانها . والذي يهمني البحث فيه الآن هو مسألة استقلال مصر فانني واثق تمام الثقة ان في البلاد الانكليزية حزباً كبيراً يرغب في جلاء جنودنا عن مصر واعطائها الاستقلال التام وهو الحزب الديموقراطي وهذا الحزب آخذ في الازدياد يوماً فيوماً فعليكم لا تساعدونهُ بتنبيه العواطف الوطنيَّة الى طلب الاستقلال فان الحزب الذي انا منهُ يرى ان ليس لنا اقل حق في احتلال مصر وان احتلالها لم يأتنا باقل نفع بل عاد علينا بالضرر الكبير مالياً وسياسياً فاولاً حمَّلنا نفقات الحرب العرابيَّة وحملة السودان الاولى وهي لا تقل عن عشرة ملايين من الجنيهات وثانياً خسرنا زهرة قوادنا وضباطنا في حروب السودان وثالثاً التي النفرة بيننا وبين اعظم دولة من دول اوربا حتى اضطررنا ان نترضاها مراراً . وتجارتنا مع هذا القطر لم تزد كما زادت تجارات الدول الاخرى فكأننا احتللنا مصر لضررنا ونفع غيرنا ولذلك كلهِ لا استبعد ابداً ان يجلي جيش الاحتلال عن بلادكم في القريب العاجل

فقال ابرهيم بك هذه احلام يحلم بها بعض شباننا وقد تفضي الى الامتلاك بدل الاحتلال والظاهر انهُ فاتك يامستر مكنزي ان السبب الحقيقي لمجيء انكلترا الى هذا القطر هو المحافظة على اموال المداينين واصحاب ترعة السويس والمتاجر الكبيرة في القطر فان اسمعيل باشا ترك البلاد مديونة لماليي اوربا بنحو مئة مليون جنيه عدا ديون الاهالي الكثيرة لاصحاب البنوك فلما خاف الماليون على اموالهم من الضياع بسبب الثورة العرابية الزموا الحكومة الانكليزية بارسال جنودها الى هنا . ويقول البعض ان الماليين هم الذين بزروا بزور الثورة وحرَّكوا العرابيين على القيام لكي يصلوا الى هذه النتيجة ويجعلوا السيطرة لانكلترا . وسواءٌ صحَّ هذا القول او لم يصح فلا شك في ان المحافظة على اموال المداينين ومصالح التجار كانت السبب الجوهري الذي حمل حكومتكم على ارسال جنودها الى بلادنا وهذا السبب لم يزل الآن بل قوي لاننا صرنا مديونين لكم نحن وحكومتنا بنحو مئتي مليون جنيه فلا يُعقَل ولا اصدق انكم تبدلون حالة جربتموها ورأيتموها مأمونة بحالة لم تجربوها ومن المحتمل او المرجح انها تكون غير مأمونة

فقال اصبت في كل ما قلت وهذا هو الامر الذي يحملنا نحن الراديكاليين على طلب الجلاء عن مصر لاننا نقول ان عامة الشعب الانكليزي الذي يدفع نفقات الحكومة ليس مكلفاً بان يحمي مصالح نفر قليل من الماليين واصحاب المعامل . فالماليون ديَّنوا الحكومة المصرية على مسؤوليتهم ولم يستشيروا الامة الانكليزية واخذوا الربا الفاحش مقابل الخطر

من التدبين لحكومة غير مأمونة . واصحاب المعامل شأنهم شأن غيرهم من تجار الالمان والفرنسويين. والامة الانكليزية غير مضطرة ان تنفق على جيشها لحماية مصالحهم. ولو بحثت لوجدت ان الجانب الاكبر من دين الحكومة المصرية والشعب المصري لآحاد يعدون على الاصابع من الانكليز والفرنسويين فهل من العدل ان نغرّم امة عددها اربعون مليوناً لكي يأمن بعض اغنيائها على اموالهم وعلى الربا الذي يتقاضونهُ سنوياً

فضحك ابرهيم بك وقال اني مسرور بسماع هذه الاقوال منك وما كنت اظن ان رجلاً يشتغل في شركة مالية يخطر على باله مثلها او يجاهر بها فقل لي ماذا يحلُّ بشركتكم اذا اجليتم عن مصر غداً

فقال من المحتمل ان احوالها تسوء ولا نعود قادرين على جلب الاموال من اوربا ومن المحتمل ايضاً ان احوالنا تصير احسن مما هي الآن لان معاملة الشرقيين اسهل جداً من معاملة ابناء بلادنا فهذا الامتياز او المشترى لم ننلهُ الا بشق الانفس من معارضة فلان وفلان من رجال المالية على انهُ لو كانت معاملتنا مع الوطنيين لكان الامر اسهل جداً

فتبسم ابرهيم بك وقال كذا كذا يا مستر مكنزي

فشعر المستر مكنزي بخطاءه واعتذر قائلاً اني لم اوضح مرادي فنحن قاصدون قصداً حسناً جداً فان هذه الاراضي التي اشتريناها بور كما تعلم ومن المرجح انها كانت تبقى بوراً ابد الدهر وما غرضنا ان نختلس املاك البلاد بل ان نزيد عمارتها فنفيد ونستفيد ويكون الربح الاكبر للبلاد لا لنا ولكن بعض رجالنا الموظفين عندكم قصار النظر في العواقب او شديدو الحذر لكثرة ما يسمعون من التقريع ولاسيما بعد ان اعطوا امتياز المناجم جزافاً فعاد بالخراب على آخذيهِ

فظهر على ابرهيم بك كأنهُ رضي بهذا الاعتذار ولعلهُ اعتقد صحتهُ واخلاص المستر مكنزي لكنهُ قال ومع ذلك فانا معتقد تمام الاعتقاد ان اصحاب النفوذ في بلادكم لا يسلمون بالجلاء الا بعد ان يثقوا ان اهالي البلاد صاروا قادرين على ادارتها وحدهم وحفظها من طمع الطامعين فيها وهذا الامر لا تنالهُ الا بعد سنين كثيرة

فقلت لهُ اتسمح لي ان اظهر رأيي في هذا الصدد

فقال تفضل وقل ما بدا لك

فقلت اننا قد لا نبلغ الغاية المطلوبة اذا بقي الغير يعتني بنا ويدبر امورنا ولكن اذا تركنا لانفسنا فلا شبهة عندي اننا نهتدي من تلقاء انفسنا الى مواقع الخطإ فنتجنبها والى

مسالك الصواب فنجري فيها وبغير ذلك لا يرجى ان نصير قادرين على حكم انفسنا بانفسنا وهذا هو رأي ولدكم على ما اوضحه لنا منذ يومين

فقال قد يكون الامر كما قلت ولكن الاوربيين اصحاب المصالح المالية والسياسية في هذا القطر لا يسلمون معنا بامتحان ذلك لانهُ ان نجح الامتحان فلا تزيد الفائدة لهم وهي ضمان اموالهم ومصالحهم وان لم ينجح فالضرر كبير عليهم وما من عاقل يترك برضاه طريقاً مأموناً ويسير في طريق غير مأمون

قلت اذن يجب ان نفعل ذلك على غير رضاهم

فقال نعم ولكن هيهات اين مدافعنا وبوارجنا فاننا لما كنا على تمام الاهبة للقتال جرى لنا ما جرى . وقد صرَّحت انكلترا غير مرة انها لا تترك البلاد الا برضاها وحينما تحكم هي انهُ حان الوقت لتركها . ووقائع الحال تدلني على ان نتيجة هذه المظاهرات والمشاغبات انما هي امتلاك البلاد فقد كان اصحابك الاحرار يامستر مكنزي يعدوننا بالاستقلال التام قبل الثورة العرابية وهذه كتاباتهم محفوظة عندي وحالما ثرنا تركونا وحاربونا

فقال احقيق ما تقول وهل يمكنك ان تريني كتابات كتبت حينئذٍ تدل على ان الاحرار كانوا يعدونكم حينئذٍ بان تُعطَوا الاستقلال التام

فقال لبيك ولكن لا بدَّ لي اولاً من ان اشرح لك اصل الحزب الوطني او اصل الحزب الناهض ضد الاجانب وعندي هنا ملخص مقالة نشرت منذ خمس وعشرين سنة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية موضوعها (Origin of the National Party in Egypt). (اي اصل الحزب الوطني في مصر) وكاتبها رجل اوربي اقام في هذا القطر سنين كثيرة وعاشر كل طبقات الناس من اكبر الامراء الى اصغر الفلاحين وعرف كل ولاة مصر من محمد علي الى المرحوم توفيق باشا الخديوي السابق وهاك خلاصة ما كتبهُ في هذا الصدد

الفصل الخامس

اصل الحزب الوطني

لما اتيت مصر سنة ١٨٣٩ كان محمد علي شيخاً طاعناً في السن لكن عقلهُ كان لا يزال على مضائه وكان قصير القامة ممتلئ البدن مهيب الطلعة تراهُ مرةً فلا تنسى منظرهُ . في وجههِ ملامح الشعب الالباني مع شيء من ملامح التتار كبير الانف صغير الفم عيناهُ صغيرتان براقتان كعيني الباشق ولحيتهُ طويلة بيضاء وحاجباهُ غليظان ابيضان يلبس القمباز ويعتم

بعمامة وسيفهُ لا يفارق جنبهُ ٠ وهو كثير الكلام كثير السؤَال كثير الحركة صارم جدًّا في حكمهِ ولكنهُ يميل الى العفو والتؤدة احيانًا كثيرة ٠ اجتمعت فيهِ مناقب الاتراك القدماء ومعايبهم

وكان بلاطهُ تركيًا اي انهُ كان لا يتكلم الاَّ اللغة التركية في سرايهِ مع انهُ تعلم العربيَّة لكي يكلم بها اهالي البلاد . واستخدم كثيرين من الاوربيين وكانوا كلهم من العلماء وقد استخدمهم لعلمهم فقط فلم يسمح لهم ان يشتغلوا بالسياسة ولم يكن يكلمهم الاَّ نادرًا وكان الوسيط بينهُ وبينهم بوغوص بك عم نوبار باشا وهم الذين انشأُوا لهُ مدرسة المهندسخانة ومدرسة الطب والمدرستين الحربيتين في طرة والجيزة ودار التعليم في باريس فتعلَّم الفتيان المصريون في هذه المدارس ونشأ منهم الرجال الذين اوجدوا الانتباه السياسي

وكان الفلاحون في الوجهين البحري والقبلي يعملون في اطيانهم كما كانوا يعملون من عهد الفراعنة ولا يخطر لهم خاطر في سياسة بلادهم ولا ينظرون الى غير محمد علي حاكمًا شرعيًا لهم . كانوا يهابونهُ ويخافون منهُ لكثرة مَن اخذ منهم لحروبهِ ولكنهم لم يحلموا قط انهم يستطيعون ان يسأَلوهُ عما يعمل . ولم يكن طماعًا ولا متلافًا فكان يأْخذ منهم كل ما يحتاج اليهِ من غير قيد ولكنهُ كان يكتفي بهِ فلم يستدن غرشًا ومات وليس على الحكومة غرش دينًا

ولما وصلتُ الى مصر قابلني مرتين وسأَلني عن عملي وهو زرع القطن وارسلني الى المنصورة لكي اراقب شوَنهُ هناك وازرع الفي فدان من قطن السي ايلند . وهناك تعرَّفت بالفلاحين وعاشرتهم فانهم كانوا مضطرين ان يأْتوني بمحصولاتهم من كل انحاء الوجه البحري لان محمد علي كان محتكرًا اياها ٠ واضطررت ان اسافر كثيرًا في اقاليم الوجه البحري وكان ترجماني شاب من الفلاحين اسمهُ محمد افندي وقد تخرَّج في مدرسة المعلمين بباريس ونال الشهادات العليا في العلوم والآداب وهي تؤَهلهُ ليكون استاذًا فيها لانهُ كان من النوابغ فلما عاد الى وطنهِ جُعل كاتبًا صغيرًا براتب لا يزيد على ثلاثة جنيهات في الشهر لان اقرانهُ من الاتراك والشراكسة غاروا منهُ على ما قال لي وسعوا في اقصائهِ عن مناصب الحكومة التي يستحقها وبقي في هذه الوظيفة الى ان جُعل ترجمانًا لي وللحال عرفت مقدرتهُ وانهُ اهلٌ لاي وظيفة كانت مهما كانت سامية واخبرت محمد علي عنهُ فامر بتعيينهِ معاونًا في مصلحة الزراعة ثم اعطاهُ رتبة قائمقام ولو كان تركي الاصل لاعطاهُ رتبة باشا

وقد اطلعني هذا الشاب على ما يقاسيهِ ابناء وطنهِ من الذل والعناءِ وعدم انصاف المتعلمين منهم لانهم من الفلاحين اصلاً لا لسبب آخر فرأَيت من كلامهِ ان جرثومة الحزب

الوطني غُرست في النفوس غرسها العلم من جهة والجور من اخرى فان الوطنيين الذين فتح العلم عيونهم رأوا ان حقوقهم مهضومة فتجاسر كبار النفوس منهم على المطالبة بها ولو همساً في الآذان ورأوا بين اعيان الفلاحين مَن يسمع لشكواهم ويرثي لبلاهم فنمت الكراهة للحكام الاجانب في نفوسهم . وتركت خدمة محمد علي بعد خمس سنوات واخذت اشتغل وحدي بزرع القطن والتجارة فزاد تعرفي بالفلاحين واحوالهم

وتوفي محمد علي سنة ١٨٤٩ وكان ابنهُ ابرهيم باشا قد خلفهُ على سرير مصر وتوفي قبلهُ وهو يشبههُ في الهيئة ولكنهُ كان اكبر منهُ جسماً واكثر شبهاً بالشراكسة لان امهُ شركسية وكان شديد الذكاء مثل ابيهِ لكنهُ لم يكن حليماً مثلهُ فكرههُ الفلاحون . وخلفهُ عباس باشا ابن اخيهِ وكان حليماً محباً للفلاحين والفلاحة مقتصداً في نفقاتهِ لا ينفق الا على المباني والخيل وهو اول من فتح مصر للتجارة

وقد عاملتهُ وعرفت مهارتهُ في ادارة الاشغال التجارية لاني كنت اورّد بزرة القطن الى تفتيشهِ في الوادي قرب التل الكبير . وكان الفلاحون يحبونهُ لعدلهِ والبدو يحبونهُ لحبهِ لهم وللخيل . وبعث بكثيرين من الشبان الى فرنسا وانكلترا ليتعلموا فيهما لكنهُ لم يستطع ان يحميهم ويستعمل مواهبهم وعلومهم بعد رجوعهم الى وطنهم . ومات ولم يترك ديناً على الخزينة بل ترك ثروة واسعة لوارثهِ الهامي باشا واستدان مرة ٣٨٠٠٠٠ جنيه لكنهُ اوفاها في سنوات قليلة ولولا سيرتهُ الشخصية لكان من افضل ولاة مصر

وخلفهُ عمهُ سعيد باشا سنة ١٨٥٤ وامهُ شركسية وقد تعلم عند معلمين من الفرنسويين ليكون بحرياً وهو اول من اعتمد على الاوربيين في ادارة اعمالهِ ووثق بهم وكان كريماً متلافاً حليماً برّاً بالفلاحين الّا انهُ كان يكره البدو وقد حاول ان يصرفهم عن البداوة الى الحضارة ونكّل بهم . وعزز الجيش وانفق عليهِ النفقات الطائلة وهو اول من رقى الفلاحين الى المناصب العالية في الحربية وفي جملتهم عرابي وطلبه فاستعزّ الحزب الوطني بهِ . وخفف الضرائب والغى الفردة فنجحت البلاد في ايامهِ ونمت ثروتها . وفي ايامهِ كثر ورود الاوربيين الى البلاد واخذهم الامتيازات فيها وانشائهم الشركات . وهو الذي اعطى المسيو دلبس الامتياز بحفر ترعة السويس وكأنهُ فعل ذلك اغاظة للسلطان عبد العزيز ولما قاومهُ السلطان وعاونتهُ انكلترا على ذلك استعان عليهما بفرنسا وهو اول من استدان من الماليين الاوربيين لكنهُ ترك في خزينتهِ جانباً كبيراً من الاموال التي استدانها

وخلفهُ اسمعيل باشا وهو ابن ابرهيم باشا وقد جاء مهازاً ايقظ الفلاحين من سباتهم

فجعلوا يئنون ويشكون . وكان ذكيًا يجامل الاوربيين فيودّدون اليهِ ويتملقونهُ . عرفتهُ تمام المعرفة لكنهُ كان يكرهني لاني كنت صديقًا لاخيهِ مصطفى وعمهِ حليم . ولما انتهت الولاية اليهِ ظنَّ الاوربيون الذين لا يعرفونهُ انهُ افضل كل سلفائهِ لكنهُ لم يكن كذلك وكان عيبهُ الاكبر حبهُ للمال وكانت لهُ اساليب مختلفة لجمعهِ والتفَّ عليهِ رجال مختلفون علّموهُ كيف يحصّل الاموال الطائلة على اساليب لم تكن معروفة في بلاد المشرق وفي مقدمتهم راغب واسمعيل صديق ونوبار وكان اسمعيل صديق امهرهم وهو عربي مغربي الاصل كان في اول امرهِ عند عباس باشا على خيلهِ في شبرا والمطرية وكان مغرمًا بالخيل مضيافًا على جاري عادة العرب كريمًا متلافًا محبًا لبلادهِ لكنهُ اضرَّها اكثر من كل احد سواهُ ما خلا اثنين. وكان يكره الاتراك والاوربيين ويبذل النفس والنفيس في خدمة مولاهُ . وهو الذي مكّن اسمعيل باشا من ابتزاز ما ابتزهُ من اموال الفلاحين واملاكهم في الاثنتي عشرة سنة الاخيرة من ولايتهِ . كان متوسط ضريبة الفدان في عهد سعيد باشا اربعين غرشًا فرفعهُ رويدًا رويدًا حتى بلغ مئة وخمسين غرشًا واعاد الفردة اي مال الاعناق واستنبط ضرائب جديدة واخترع مال المقابلة حتى لم يبقَ للفلاحين شيء وهبط ثمن الاطيان حتى كسدت ولم يعد احد يشتريها. ولم يحصِ احد مقدار الاموال التي اخذها اسمعيل صديق من الفلاحين لكنهُ كفَّر عن ذنبهِ اخيرًا بمقاومتهِ مولاهُ في امر مالي طلبهُ منهُ لانهُ رآهُ يفضي الى تسليم البلاد للاجانب فكانت عاقبة مقاومتهِ ما هو معلوم من امرهِ

ومن رأيي ان مسؤولية الدين المصري يقع اكثرها على نوبار باشا بعد اسمعيل باشا وانهُ هو الذي جعل اسمعيل باشا يعترف بامتياز ترعة السويس وهو سبب التصفية وكل الاعمال المالية الكبيرة واليهِ ينسب تقاطر الماليين الى القطر المصري وانشاء البنوك فيها واعطاء الامتيازات للاجانب ورهن املاك الحكومة ووضع المراقبة الثنائية وانشاء المحاكم المختلطة

وهذا الانقلاب العظيم في احوال البلاد اثّر في اهاليها تأثيرًا كبيرًا فقد رأيتهم في عهد محمد علي كالانعام يحرثون ارضهم ويزرعونها ولا يسألون عن شيء آخر وقد ضربت عليهم الذلة لكن لم تخلُ البلاد حينئذٍ من اناس قلائل تعلموا في اوربا وجعلوا يخبرون الذين حولهم سرًّا عما رأوهُ فيها من الحرية . وجاء عباس فكان عطوفًا على الفلاحين محبًا للبدو فانتعشت نفوس الفريقين وجاء سعيد فخفف الضرائب وقوّى الآمال بالنجاح

وسنة ١٨٦٤ هبط ثمن القطن بغتةً وزادت الضرائب فساءت احوال الفلاحين جدًّا ثم تيسرت بين سنة ١٨٦٦ و ١٨٦٩ بسبب الاموال التي أنفقت على انشاء ترعة السويس

فلما تمت الزرعة عادت الازمة فاشتدت واستحكمت حلقاتها ولم يعد الفلاحون قادرين على ايفاء الضرائب فجعلوا يستدينون الاموال بالربا الفاحش ولما حل ميعاد ايفائها اضطروا الى الايفاء تحت الكرباج او الى ان يستدينوا بربا اكثر كثيرًا حتى لقد استدان بعضهم المئة بمئتين . ولما انشئت المحاكم المختلطة صارت اطيان الفلاحين ترتهن وتباع لايفاء الدين حتى لم يعد في الطاقة احتمال تلك الحالة

وجاء البلاد حينئذٍ السيد جمال الدين الافغاني وهو من متخرجي مدارس بخاري ودهلي وكان شابًا جميل المنظر حسن الطلعة طلق اللسان فصيح العبارة فالتف حولهُ جماعة كبيرة فدلهم على اسباب شقائهم ولامهم على تحمُّل الضيم وهم من العرب الكرام وحثهم على احراز العلم وطلب الاستقلال وكان في اول امرهِ يكلم الناس خفية خوفًا من اسمعيل باشا ثم زادت مجاهرتهُ رويدًا رويدًا ولم ينلهُ مكروه فاخذتهُ الجرأة لما خلع اسمعيل باشا فاخرجتهُ الحكومة المصرية من بلادها

وحتى ذلك الوقت كانت هذه الافكار محصورة في الطبقة العليا من الشعب ولم تصل الى العامة لكن قام في ذلك الحين رجل اوصلها اليهم وهو اسرائيلي مولود في القاهرة ومحتمٍ بالحماية الايطالية يحسن العربيَّة تكلمًا وكتابةً لكنهُ اختار اللغة العاميَّة لكي يصل الى عامة الشعب وكان يعرف الايطالية والفرنسويَّة والانكليزيَّة . كان في اول امرهِ مدرسًا في المدرسة الحربيَّة بالقاهرة وقد علم فيها كثيرين من الشبان الذين صار لهم بعدئذٍ شأن في الثورة العرابيَّة وهذا سرُّ انتشار روح الثورة بين ضباط الجيش . ولما رأى ان كلمتهُ مسموعة وآراءهُ مقبولة تجاسر ونشر جريدة هزليَّة مصورة انتقد بها اعمال الحكومة على اسلوب هزلي وبلغة عاميَّة ووزعها سرًّا فتداولتها الايدي وطربت لها النفوس

وهنا دخل الخادم وقال الغداء حاضر ففتح ابرهيم بك ساعتهُ ووجد الساعة واحدة بعد الظهر فنهض وقال هيُّوا بنا الى الطعام وسنعود الى هذا الموضوع في فرصة اخرى . وسار امامنا الى غرفة المائدة ثم ادخلنا امامهُ واجلسنا عن يمينهِ وعن يسارهِ واعتذر الينا عن غياب ابنتهِ ورفيقتها بانهما ذهبتا الى بيت مرمي خادمهم وشاركتا اهلهُ في المأتم ورجعت السيدة نزهة مصابة بصداع شديد وكأن ندب النادبات ذكَّرها بامها فبكت كثيرًا فاعتراها الصداع

ولما قال ذلك رأينا الدموع تجول في عينيهِ فاطرق رأسهُ وصمت وحينئذٍ دخل الدكتور يوسف وتنفَّس الصعداء فقلت لهُ مالك فقال التحقيق في المركز والمديرية ازهقا نفسي فقال المستر مكنزي وكيف ذلك فاخذ الدكتور يوسف يقص علينا ما جرى

الفصل السادس

تحقيق البوليس والنيابة

قال الدكتور يوسف مضينا الى مركز سنورس وجثة القتيل معنا وحضر مأمور المركز وطبيبهُ وعضو النيابة وتلي اولاً محضر تحقيق معاون البوليس وهو هذا بعبارتهِ البليغة وقد نسخنهُ لاطلعكم عليهِ

انهُ في يوم ٧ يناير سنة ١٩٠٧ بناحية سنهور الغربية نحن احمد حسن معاون بوليس نقطة ٠٠٠٠ اقرر ان غفير الدورية المسمَّى مصطفى ابو عمه حضر الينا في يوم تاريخهُ الساعة ١١ افرنجي ليلاً وابلغنا انهُ كان جالس مع رفاقه بقرب عزبة الياس حيث علم لهم ان الشقي ابو سعدان ومنصره عازمين على السطو فسمعوا عيار ناري من جهة بحري خارج من زراعة القصب الساعة ٩ افرنجي ليلاً فاسرعوا الى محل الواقعة ولما رأوهم اللصوص هربوا منهم فاطلقوا عليهم عدة عيارات نارية فاصابوا الشقي المدعو ابو سعدان فوقع وقبل ان يصلوا اليهِ ويمسكوهُ حملهُ رفاقهُ وهربوا فتبعوهم ولم وقفوا لهم على اثر وعادوا الخفراه فوجدوا ان اللصوص قتلوا رجل كان راجع من الغيط الى البركة وهو خادم في بيت ابرهيم بك لبيب من اهالي الفيوم الذي كان وقتها هو وعائلته ناصبين خيامهم عند البركة وحضر ابرهيم بك واولاده ورأوا المقتول وعرفوهُ وقالوا ان اسمهُ مرسي . وللحال قمنا وبرفقتنا اثنين عساكر وحضرنا مع الخفير الى محل الواقعة فوجدنا الخادم مرسي مطروح على الارض وحوله الخفر ومعهم ابرهيم بك لبيب وابنهُ الدكتور يوسف لبيب فكشف عن المقتول امامنا وقال ان الاصابة في جنبه الايسر وانهم كلهم كانوا نازلين في خيامهم عند البركة فسمعوا الطلقات النارية وحضروا الى محل الصوت ولم رأوا احد من اللصوص ولكن رأوا الخفر فقطوراوا ان المقتول هو خادمهم . وقد نقلنا المقتول الى ديوان المركز واحضرنا حكيم المركز بالامر وقفل المحضر حيث كانت الساعة ثلاثة بعد نصف الليل

ثم كتبوا محضراً آخر عما تم في المركز ودعيت اليوم الى المديرية وأُعيد التحقيق ثانيةً . وبلغني انهم قبضوا على القاتل ولكنهُ انكر كل ما نُسب اليهِ تمام الانكار ولا اعلم كيف تنتهي هذه الامور وقد تقوَّضت دعائم الامن العام

فقال المستر مكنزي هذه مسألة أُخرى احب ان البحث فيها

فقال الدكتور يوسف اني كطبيب لا اجيز البحث في المسائل السياسية على الطعام . فقلت لهُ احسنت ووافقني رياض على ذلك وقال ابرهيم بك اننا نازلون الى مصر بعد اسبوعين فشرفانا فاتمم لكما حديثنا السابق

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢٩ صفر سنة ١٣٢٦

الثورات الثلاث

حدث في هذه البلاد في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ثلاث ثورات كبيرة قام بها ثلاثة من الزعماء الاولى دينيَّة ومقرُّها بلاد الشام في ضواحي مدينة بيروت والثانية سياسية ومقرها القطر المصري والثالثة دينيَّة سياسيَّة ومقرها بلاد السودان . وهاك وصف هذه الثورات الثلاث بالايجاز التام

الاولى ثورة الشام

في اواسط سنة ١٨٧٩ قام رجل ضعيف الحال كثير الادواء في قرية الشويفات احدى قرى جبل لبنان المجاورة لمدينة بيروت وادَّعى ان ملاكاً او هاتفاً جاءهُ في ظلمة الليل واوحى اليهِ انهُ سيشفى من امراضهِ وادوائهِ الكثيرة اذا فعل ما امرهُ بهِ . وكان اعمى احدب اعسم تأتيهِ نوبات الصرع فتعدمهُ الحركة ففعل كما أُمر فتدرَّج في الشفاء على النحو الذي قال ان الملاك عيَّنهُ لهُ فكان لشفائهِ ثورة عظيمة في النفوس

وسبب تلك الثورة كان افعل جدًّا من سبب الثورتين التاليتين ولكن زعيمها لم يكن واسع الحيلة ولا اتفق ان نصرهُ اناس كبار المطامع عززوا دعوتهُ فلم تلبث ثورتهُ طويلاً حتى نسيت ونسي اسمهُ . وهو الرجل الذي جاءهُ وصفهُ في الجزء الماضي من المقتطف في باب المراسلة وكان يلقب بقديس الشويفات

ولقد يسهل على المرء ان يقف الآن وينظر الى ذلك الحادث بعين الازدراء او قلة الاكتراث اما في تلك السنة سنة ١٨٧٩ فلم يكن احد يجسر ان يقول كلمة تدلُّ على ارتيابهِ في صحَّة دعوى الرجل حتى ان الاطباء اذعنوا لها حينئذٍ ولزموا الصمت لشدَّة التيار الذي كان ثائرًا في وجوههم . والرجل من طائفة الروم الارثوذكس وكانت المغايرة والمناظرة بين

الطوائف المسيحيَّة على اشدها ولكن الموارنة والكاثوليك والارمن والبروتستانت بل والمسلمين والدروز والمتاولة — كل الطوائف المسيحيَّة والاسلامية التي في بلاد الشام وما جاورها وقفت وقفة الدهشة وهي تقول بلسان واحد هذه يد الله

واي حادث من حوادث التاريخ واي رجل من ابناء الزمان اصدق من اعمى مفلوج كسيح اعسم يقول لك جاءني ملاك في ظلمة الليل وقال لي افعل كذا وكذا فتشفى من ادوائك كلها شفاء متدرجاً ففعل وشفي وشاهدهُ الاطباء والوف من الناس في غضون هذه المدة وشهدوا كلهم انهُ كان مصاباً بهذه الادواء وانهُ شفي منها رويداً رويداً وتمَّ شفاؤُهُ في اليوم الذي حدَّدهُ لهُ الملاك او الهاتف . وقد نشرت الجرائد حينئذٍ اقوالهُ الاولى التي قالها في حينها ثم جعلت تنشر في طول البلاد وعرضها كيفيَّة تدرُّجهِ في الشفاء والرجل قائم في سهل فسيح على شاطىء البحر والوف من الناس يزورونهُ كل يوم ويرون تقدُّمهُ في الشفاء والمرضى والزمنى يأتونهُ يوماً بعد يوم من الاقطار القريبة والبعيدة ثم يعودون حاسبين انهُ شفاهم من امراضهم وادوائهم . ولا شبهة في ان بعضهم كانوا يشفون حقيقة ولاسيما المصابون منهم بامراض عصبيَّة او بعلل وهميَّة ثم يعودون الى ذويهم ويخبرون بما شاهدوا او بما رسخ في اذهانهم. ولا يخفى ان الاخبار تتعاظم بالابتعاد عن مصدرها ولاسيما اذا كانت مما يعلق بالوهم في بلاد تسلطت الاوهام عليها منذ قرون عديدة.. ولذلك كنا نسمع كل يوم خبراً جديداً مدهشاً حتى صار اشد الناس تدقيقاً يصدق ما يسمع من غير بحث وينقلهُ ويبالغ فيهِ . وانتبه الناس الى كل حادثة وربطوها بالحادثة الكبرى . كانت فتاة ذاهبة مع الذاهبين لزيارة قديس الشويفات كما لقبوهُ فوقعت عن الدابة التي كانت راكبة عليها وكسرت يدها فذاع وشاع انها كانت غير مؤْمنة وانها كاشفت بذلك جارتها التي كانت سائرة الى جانبها فقالت لها جارتها ان كنتِ ذاهبة وانت غير مؤْمنة فستقعين وتكسرين يدك ولم تتم الكلام حتى وقعت وكسرت يدها لقلة ايمانها

وكان ذلك الرجل يغتسل في بركة على شاطىء البحر فينزح ماؤُها حالاً ويوضع في قناني ويوزع في البلاد ليتداوى بهِ المرضى من كل الطوائف والامم . والناس صامتون مبهوتون البسطاء منهم مصدقون واهل العلم والرزانة لا يجسرون ان ينبسوا ببنت شفة . ولقد جاهرنا في المقتطف بمقاومة الخرافات والاضاليل مهما كان اصحابها مسموعي الكلمة او مؤيدي السلطة اما قديس الشويفات فلم نجسر ان نقاومهُ جهاراً ولا تصريحاً بل اكتفينا بالتلميح وقلنا " ولولا ضيق المقام وخوفنا ان يحسبنا البعض نتصدى للاعتقادات الدينيَّة التي ليست من

بحثنا لكشفنا القناع عما هو جارٍ الآن في نواحينا وخبره يتعاظم يوماً فيوماً · فصبراً الآن فسوف يكشفهُ الزمان " · وهذه العبارة على تحذرنا الشديد فيها اقامت علينا القيامة من الاصدقاء الذين قرأوها وفهموا مغزاها · ولم يكن شفاء الرجل قد تمَّ حينئذٍ فلما تمَّ لزمنا الصمت التام لانهُ لم يكن في الامكان مقاومة تيار الرأي العام

وقد يسهل على المرء ان يقف الآن بعد مضي ثلاثين سنة ويزدري حال الناس حينئذٍ كما قلنا سابقاً ولا يصدّق انهم كانوا على هذا القدر من الاستسلام للاوهام ولكن الذين راقبوا ثورة الافكار حينئذٍ يعلمون خطارتها ويشهدون معنا انهُ لو كان ذلك الرجل واسع الحيلة كبير المطامع او وُفق بمرشدين من اهل الرأي والنظر لفعل ما يشاء لان البلاد كلها كانت منقادة لامرهِ · اما وقد كان سليم النية حسن الطوية تخيَّل لهُ انهُ يصيب في كل خاطر يخطر لهُ كما اصاب في امر شفائهِ فاشار الى اهل بلدهِ ان يحفروا على رأس تلة فيجدوا ماء فحفروا لقلة فراستهم وشدة اعتقادهم بهِ فلم يجدوا شيئاً ولم يكونوا واسعي الحيلة حتى يخفوا فشلهم ولا كان لهم مأرب بنجاح دعوتهِ ولو كانت غير صحيحة فضعف شأنهُ رويداً رويداً ولاسيما لانهُ لم يلقَ مقاومة تجمع الناس اليهِ وتعصبهم لهُ ولولا ذلك أو لو توفي بعد شفائهِ وقبل ان يفشل في استنباط الماء لكنت ترى الالوف وعشرات الالوف يزورون قبرهُ الآن كأنهُ من كبار الاولياء

هذا وقد بيَّنا كيفيَّة شفائهِ في كلامنا على الرسالة المدرجة في الجزء الماضي فلا داعي للاعادة

الثانية ثورة مصر

يُرَى في بعض الايام في متنزة الجزيرة مركبة صغيرة يجرها فرس ضئيل فيها رجل طويل القامة ضعيف الجسم شائب اللحية يمرُّ بهِ الناس وقلَّ من يلتفت اليهِ منهم · الشيوخ والكهول لم ينسوهُ وان كانوا قد نسوا ما كان لهُ من الجاه والسطوة اما الشبان شبان هذا العصر فلم يروا ولن يروا رجلاً حاز من الشهرة ورفعة المقام ما حازهُ عرابي باشا في زمانهِ فان ذلك الشيخ الاشيب الذي يشيح عنهُ الناس الآن هو عرابي باشا الذائع الصيت صاحب الثورة العرابية التي اقامت اوربا واقعدتها واخرجت الاسد البريطاني من عرينهِ · عرابي باشا الذي خرج القطر المصري كلهُ وراءهُ وكان جلالة سلطان آل عثمان يرسل اليهِ الوفود بالنياشين ووكلاء الدول الاوربيَّة يطلبون منهُ الأمان على رعاياهم

قال لنا وجيه من وجهاء الاقباط بالامس ان عمي العريض الجاه الواسع الثروة اضطرَّ من باب المجاملة بل من باب المحافظة على دمهِ ومالهِ ان يقدم الخيل والثياب لعرابي وجنودهِ

وكذا فعل غيره وغيره من وجوه الاقباط وهم كارهون لتلك الثورة خائفون من عواقبها

الانسان سريع النسيان ولكن صحف الاخبار لا تنسى وما ينشر فيها اليوم عما يحدث اليوم يبقى تاريخاً خالداً . وامامنا الآن كتاب كبير كلهُ قطع من الجرائد الاوربية والاميركية التي صدرت في ايام الثورة العرابية وكلها عن عرابي وافعاله فلم يكن اسم الخديوي توفيق باشا يذكر فيها مرةً حتى يذكر اسم عرابي مئة مرة

كتب المستر بلنت الى المستر غلادستون رئيس الوزارة الانكليزية حينئذٍ يصف عرابي بقوله تحدثتُ ملياً مع عرابي واؤكد لكم انهُ رجل غير عادي فهو قوي الحجة واسع العلم واسع الاخبار عارف بامور دينهِ مثل اكبر العلماء . آراؤهُ ليست مقتبسة من آراء الاوربيين كأنها صدى لها بل هي مبتكرة مبنية على معرفة واسعة بالتاريخ وبتقاليد العرب الموروثة عن السلف حينما كانت حكومة الاسلام شورى . وهو يتنصل من كل غرض شخصي وانا اصدقهُ وليس عندي اقل شبهة في ان البلاد كلها معهُ والجند كلهُ طوع امرهِ وفي قبضة يدهِ . يدعي انهُ شريف من قريش ولهذا الامر شأن كبير في تعلق قواد الجند بهِ وطاعتهم لهُ . وهو يتكلم عن نفسهِ بتمام الدعة فقد قال "اني نائب عن الجيش لان الاحوال جعلتهم يثقون بي والجيش نائب عن الامة وهو حاميها وسيبقى حامياً لها الى ان تستغني عنهُ . ونحن الآن القوة الوطنية الوحيدة القائمة بين مصر وحكامها الاتراك الذين يسهل عليهم ان يعيدوا في اية لحظة كانت مظالم اسمعيل باشا اما المراقبة الاوربية فلا تكفي وحدها لمنع ذلك كلهِ ولا فيها ما يعدُّ الامة لتتولى شؤونها بنفسها حينما تبطل تلك المراقبة المالية وهذا امرٌ يعنينا نحن ولقد انلنا الامة حق التكلم في مجلس يجمع اعيانها وغرضنا ان نمنع كل ما يحرمها ذلك الحق فنحن لا نسعى لانفسنا بل لاولادنا وللذين اعتمدوا علينا" . وقال لي في وقت آخر "اننا نحن الآن في مثل الموقف الذي كان فيهِ سيدنا عمر لما قال للذين حولهُ اذا وجدتم فيَّ عوجاً فقوموهُ فقال لهُ واحد منهم لو وجدنا فيك عوجاً لقومناهُ بسيوفنا . ونحن ابناء مصر لا نحب سفك الدماء ونرجو ان لا نسفك دم احد وحينما يصير مجلس نوابنا قادراً على الكلام ينتهي عملنا ولكننا لا نغمد سيوفنا قبلما نبلغ تلك الغاية ولا نخشى بعون الله ان نثبت مقدرتنا على حماية حقوقنا"

هذا ما كُتب بهِ المستر بلنت الى الوزير غلادستون في وصف عرابي باشا وقد نشر في مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٨٨٢

ويظهر من كل ما كتب عن الثورة في ذلك الوقت ان الجنود كلهم كانوا في يد عرابي وهذا كان اعتقاد الخديوي نفسهِ فقد جاء في جريدة التيمس في رسالة من مصر بتاريخ ١٣ مايو سنة

١٨٨٢ انهُ لما تشرف سلطان باشا والنواب بمقابلة الخديوي قال لهم انكم طلبتم حل الوزارة في شهر فبراير لا لانكم كنتم على خلاف معها بل لان الحربيَّة اضطرتكم وقد انكرتم ذلك حينئذٍ ولكنكم اعترفتم بهِ الآن. ثم قال لهم انهُ لا سبيل الى المصالحة الاَّ اذا استعفى عرابي من منصبهِ

وجاء فيها بتاريخ ١٥ مايو ان قنصل فرنسا حاول اقناع مصطفى باشا فهمي بقبول رئاسة مجلس النظار فقال لهُ مصطفى باشا انهُ ان فعل ذلك فلا امان عليهِ من عرابي باشا
his life would be in danger from Arabi Pasha if he did so

ثم زار القنصلان قنصل فرنسا وقنصل انكلترا عرابي باشا وقالا لهُ انهما يحسبانهِ مسؤولاً شخصيًّا عن كل اضطراب يقع في القطر المصري فقال لهما انهُ يكفل النظام والامن العام ما دامت السلطة في يدهِ والاَّ فلا يكفل شيئًا. فقالا لهُ انّا اتينا لتحذيرك رسميًّا وليس لنا شيءٌ آخر نقولهُ

هنا دولتان عظيمتان تنوبان عن اوربا كلها تخاطبان عرابي باشا كانهُ الشخص الوحيد الذي في يدهِ كل امر وسلطة في القطر المصري

ونشرت التيمس رسالة من مصر تاريخها ١٦ مايو سنة ١٨٨٢ يقال فيها ان الخديوي استدعى سلطان باشا رئيس مجلس النواب وطلب منهُ ان يسمي لهُ اناسًا ليعينهم نظارًا فقال لهُ سلطان باشا انهُ مستعد لخدمتهِ في كل شيء ولكن تعيين النظار ضرب من العبث ما دام عرابي هو حاكم البلاد فعلاً so long as Arabi remaind practically ruler of Egypt

ويزعم البعض ان سلطان باشا كان مقاومًا لعرابي باشا ولكن الذين راقبوا الاحوال حينئذٍ كانوا يقولون غير ذلك فقد كتبت التيمس بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ ان سلطان باشا صديق لعرابي وآلة في يدهِ Sultan is a friend and an instrument of Arabi Pasha.

ولكن لما جاءت البوارج الانكليزية وضربت الاسكندرية استعزَّ سلطان باشا وغيرهُ وصاروا يجسرون على مقاومة عرابي اما قبل ذلك فكانوا كلهم طوع امرهِ

وليس من غرضنا ان نذكر هنا الثورة العرابيَّة بتفاصيلها فقد ابقينا ذلك الى مكان آخر بل ان نبين ان رجلاً فلاحًا من ضباط الجيش المصري نهض فنهضت البلاد معهُ وثارت في وجه خديويها ووجه سلطانها ووجه اوربا كلها فكانت الثورة العرابية المشهورة التي لم ترَ مصر ثورة مثلها منذ ايام الفراعنة

الثالثة ثورة السودان

الثورتان السابقتان الاولى منهما دينيَّة سلمية ذهبت ولم تضرَّ احدًا الاَّ الذين تجشموا

مشقات السفر وتحملوا نفقاتهِ فجاءوا ساحل بيروت من البلدان القاصية · والثانية حربيَّة دموية ذهبت فيها مئات والوف من النفوس وخسرت البلاد الملايين من الاموال وافضت الى الثورة الثالثة والثورة الثالثة دينيَّة وسياسية فاجتمعت فيها شرور الثورتين وزادت عليهما باستمرارها طويلاً

قام محمد احمد الملقب بالمهدي وهو عالم ضعيف الحال اغتاظ من شيخهِ لانهُ اهانهُ فخرج عليهِ وجعل ينتقدهُ بجرأَة قليلة النظير فذاع صيتهُ حالاً واجتمع الناس عليهِ ينفحونهُ بالهدايا وهو يوزعها على الفقراء ادعاء بالزهد مع انهُ كان يطلب علو الكلمة والتفوق على شيخهِ الذي اهانهُ · ولما رأَى انهُ ناوأَ شيخهُ ونجح جعل يناوئُ رجال الحكومة المصرية المبثوثين في السودان شاكيًا من ظلمهم فزاد اشياعهُ لان الناس يميلون الى الشكوى بالطبع ويلتفون حول مَن يعدهم بتفريج الكرب · ولله در القائل

ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل

ومن الذين انضموا اليهِ عبد الله التعايشي واخوتهُ وكان عبد الله ناقمًا على الحكومة المصرية لان الزبير باشا الوالي من قبلها كان قد قبض عليهِ وامر بقتلهِ ثم اطلقهُ بشفاعة بعض العلماء وكان عبد الله التعايشي داهية واسع الحيلة فقام بدعوة محمد احمد وقال انهُ هو المهدي المنتظر فانتشرت دعوتهُ في السودان انتشار النار في الهشيم لان البلاد كلها كانت ناقمة من جور حكامها · والتفت الالوف حولهُ فحارب بهم رجال الحكومة المصرية وتغلب عليهم وما زال امرهُ يتعاظم وعدد انصاره يتزايد الى ان استولى على بلاد السودان كلها وجعل يتهدد مصر في عقر دارها وصار لهُ مملكة مستقلة مثل اعظم ممالك افريقية

ولم يكتفِ بالانقلاب السياسي الذي احدثهُ في تلك البلاد بل احدث فيها انقلابًا دينيًا لا يقلُّ عن الانقلاب السياسي وكأَنهُ انشأَ فيها دينًا جديدًا ورسم فرائضهُ وقواعدهُ وشعائرهُ . ولو أُعطي شيئًا من الحنكة وحسن التدبير وجرى التعايشي في خطتهِ واهتم بترقية الشؤُون الزراعية والصناعية والتجارية لكانت بلاد السودان الآن مملكة مستقلة سياسيًا ودينيًا بل كانت اعظم شأْنًا من بلاد مراكش ان لم نقل من بلاد ايران

وقد اسهبنا في الكلام على قيام المهدي وخليفتهِ وسقوطهِ في المجلد العشرين من المقتطف فنكتفي الآن بهذه السطور للدلالة على ما نحن بصددهِ

هذه ثورة ثالثة حدثت في الربع الاخير من القرن التاسع عشر قام بها عالم صغير مستضعف وكان في الامكان ان تصير من اعظم حوادث الدهر ولكن ما كان يتيسر في العصور الغابرة لا يتيسر في هذا العصر

كيف تولدت الطيور

لا يخفى ان في تولُّد انواع الحيوان مذهبين الاول انها خُلقت وكل نوع منها قائم برأسهِ بمميزاتهِ وان ما بينها من التشابه انما كان لان خالقها اراد ان يكون بينها هذا التشابه من بعض الوجوه كما اراد ان يكون بينها اختلاف من وجوه اخرى لاغراض لا نعلمها. والثاني ان انواع الحيوان متولدة كلها من اصل واحد او بضعة اصول وان ما بينها من التشابه دليل على وحدة اصلها وما بينها من الفروق عرض تولد فيها لاختلاف المؤثرات الخارجية كما تتولَّد المميزات في افراد النوع الواحد باختلاف الامكنة والمؤثرات. وعلى هذا المذهب الثاني اكثر علماء الطبيعة وهم يقولون ان الطيور تولَّدت من الزحافات المعروفة بالعظايات. وقد وضع بعضهم رواية فكاهية عبَّر بها عن كيفية هذا التولد على اسلوب بديع قال :

حدث منذ عشرين مليونًا من السنين ان ذكرًا وانثى من العظايات الكبيرة تزاوجا واستقرَّا في احد السواحل البحرية في غربي اوربا وكان لكلٍّ منهما رأس كبير طويل مستدقٌّ كمنقار الطائر وبدان طويلتان ورجلان قصيرتان والذكر منهما اكبر من الانثى جسمًا واشد عضلًا فعاشا كلاهما بالرفاه والهناء على احسن حال في ذلك العصر وهو العصر الثاني من العصور الجيولوجيَّة. وكان غارهما شديد الرطوبة ولكن رطوبتهُ لم تضرَّهما بل نفعتهما ولا سيما بعد ان علا النبات حولهُ وصار يحجبهما عن الانظار

ولم تمضِ ايام كثيرة حتى ولدت الانثى ولدًا ذكرًا فاحتضنتهُ كالام الرؤوم ورآهُ ابوهُ فاحبَّهُ وجعل يسعى لزوجتهِ وولدهِ ثم انتبه هو وهي ان في ولدهما شيئًا لم يرياهُ في اولاد غيرهما من العظايات وهو غشاءان لحميان صفيقان يمتدان من يديهِ الى حقويهِ. فجعلا يفكّران في امر هذين الغشائين ولا يدركان المراد منهما ولا كيف تولدا الَّا ان ذلك لم يصرفهما عن حب ولدهما لان الولد فلذة من الكبد. ولما رأيا ان هذين الغشائين كالجناحين سمياهُ ابا جناح ولم يكن في الارض حيوان مجنَّح غير الحشرات

وشبَّ ابو جناح شديد الاعصاب قوي العضل فافتخر والداهُ بهِ وجعلا يسيران في طلب الرزق ويأخذانهِ معهما يعلمانهِ الصيد والقنص. ولم يكن العدوان شديدًا بين الحيوانات في تلك الايام لانها كانت تعلم ان بعضها خُلق لبعض أكلًا فاذا اقتنص الكبير منها الصغير خضع الصغير لحكم القدر. ورأى ابو جناح من والديهِ عضدًا لهُ فاغترَّ بنفسهِ ولم يعد يحسب لغير الايام حسابًا. وظلَّ على هذه الحال والخيلاء ملء دماغهِ الى ان رأى

عظاية من نوعهِ في ريعان صباها فشغفت لبهُ وكاشفها بما في فؤادهِ فنظرت الى جناحيهِ وتبسمت ثم قالت لهُ لا تنتظر مني وصلاً ما لم ارَ منك فعلاً تمتاز بهِ على اقرانك

فقال لها اذا كان الامر كذلك فسترين مني ما تفتخر كل زوجة ان تراهُ في زوجها . واخذ من ذلك الحين يفكر في طريقة يظهر بها بسالتهُ حتى ترغب حبيبتهُ فيهِ

واتفق ذات يوم انهُ كان واقفاً على قمة اكمة فرأى وحشاً كبيراً يدنو منهُ وهو طويل العنق هائل الجثة جسمهُ مغطى بحراشف كبيرة صفيقة كالدروع وذنبهُ طويل غليظ يستدق رويداً رويداً حتى يصير كالقصبة وهذا الوحش من نوع العظايات ولكنهُ من اكبرها جسماً واشدها بطشاً فعلم ابو جناح انهُ اذا قبض ذلك الوحش عليهِ لم يكن الاَّ لقمةً في فيهِ . وكان ابواهُ قد علماهُ ان يهرب من وجههِ حيثما رآهُ والاَّ قضي عليهِ اما الآن فلم يرَ الى الهرب سبيلاً لان الوحش باغتهُ مباغتة فشلَّ اعصابهُ . ولكن المصائب تنتج الغرائب والحاجة تفتق الحيلة فحدث حينئذٍ ما لم يحدث في عالم الزحافات من قبل فانهُ لم يكد ذلك الوحش يمد عنقهُ ليلتهم ابا جناح حتى بسط ابو جناح ذراعيهِ ووثب طالباً الفرار وجعل يرفرف مسرعاً خوفاً من عدوهِ فحملهُ الهواء كما يحمل الحشرات . فثبت لهُ حينئذٍ ان ذينك الغشائين اللذين لم يعلم لهما نفعاً قد انقذاهُ من الهلكة . ورأت العظايات ابا جناح طائراً في الجو فوقفت مدهوشة لانهُ اول حيوان طار في الهواء . ولم يكد يصل الى الارض حتى علم انهُ اتى من الفعال لم يأتهِ غيرهُ من الاقران واجتمعت العظايات حولهُ تسمع قصتهُ مع الوحش وتنظر الى جناحيهِ مدهوشة وطلبت منهُ ان يجرّب الطيران امامها ففعل وطار فوق رؤُوسها ثم عاد الى المكان الذي طار منهُ والعيون شاخصة اليهِ . وكانت حبيبتهُ بين الجماعة وقد خفق فؤادها حباً وسروراً فلم يكن الاَّ ايام حتى اقترنا ثم ولد لهما ثلاثة اولاد ولكلٍ منها المزية التي كانت للوالد اي غشاءان صفيقان من ذراعيهِ الى حقويهِ . وتوالد نسلهما دهوراً طوالاً وهذه الخاصة فيهِ الى ان ولد لهُ اولاد على اجنحتها ريش وهي الطيور المعروفة . وقد حدث هذا كلهُ منذ الوف وملايين من السنين والآثار المتحجرة في الارض تدل على ذلك كما تدل آثار الهياكل المصرية القديمة على السكان الاقدمين وعمرانهم

ويقول علماءُ الطبيعة ان التغير يحدث في الافراد من وقت الى آخر فاذا نفع لحفظ الفرد وظهر في نسلهِ بالوراثة استمرَّ فيهِ وقوي رويداً رويداً بالاستعمال حتى يصير من المميزات او المقومات للنوع فيصير نسل ذلك الفرد نوعاً قائماً برأسهِ لكن الاختلاف الطبيعي لا يرسخ في النسل ويصير من مقومات النوع الاَّ بعد دهور طوال

الاطيان والضرائب بالقطر المصري

(تابع ما قبله)

لقد انتجت عملية تحويل الحيضان الى مزارع صيفيَّة مستديمة زيادة في ثروة البلاد لا ينقص معدلها السنوي في الوقت الحاضر عن مليونين وستمائة الف جنيه وزادت ايرادات الحكومة ايضاً بمقدار اربعمائة الف جنيه ومن المحتمل ان تزيد الثروة باكثر من ذلك في المستقبل لان قلة الانفار الآن لا تخلو من التأثير على قيمة ايراد الارض الحقيقي ولكن الفوائد تزداد على نسبة ازدياد الانفار بزيادة المواليد وارتقاء معارف الفلاحين في العلم والصناعة وتوسعهم في الخبرة بترتيب الزراعة والري وقابلية كل ارض وما تحتاجهُ من كماليات الاصلاح

ومن المحقق ان لذة السعادة وتقدم العمران وارتقاء الحضارة بمعانيها الصحيحة ستكون اعظم معزٍ عما قاساهُ المصريون اسلافنا من عذابات السخرة وازهاق الارواح في انشاء ما انشئ من اعمال المنافع العموميَّة والخصوصيَّة لغاية سنة ١٨٨٥ التي ينتهي فيها تاريخ السخرة في هذه البلاد

ولم يكن حفر الترع والمصارف واقامة الجسور وبناء القناطر كل ما عملتهُ الحكومة من وسائط ترقية البلاد وانماء الثروة بل عملت عدا ذلك من وسائط تقريب المواصلات وتسهيلها ما افاد تمام الفائدة في انتشار العمران واصلاح الاراضي . فمن ذلك ان السكك الحديدية التي بدئ باول عمل منها في شهر اكتوبر سنة ١٨٥١ قد بلغ امتدادها في داخلية البلاد ٢٢٥٥ كيلو متراً ذلك عدا خطوط الشركات مثل شركة الدلتا وشركة الفيوم وشركة الواحات التي وصلت اليها السكة الحديد في الشهر الماضي . ومنها انشاء السكك الزراعية وبناء الكباري والقناطر بين البلاد وبعضها في كل انحاء القطر . ومنها ان اسلاك التلغراف التي بدئ منها بالاشارات البرية في سنة ١٨٢١ قد بلغ امتدادها في داخلية البلاد ١٥٠٨٠ كيلو متراً ذلك عدا اسلاك التليفون . ومنها ان خدمة نقل المراسلات والنقود المعروفة بمصلحة البريد قد بلغ من اتساعها في داخلية البلاد ان صار لها ٨٥٠ مكتباً

ومما زاد في تحسين حالة الاراضي وغلاء قيمتها انتشار الوسائط الاقتصاديَّة في الري

والحرث والحصاد والدراس وصناعة الاسمدة وغير ذلك فالى اوائل السنة الماضية لم يكن يستعمل بمصر غير السانية والشادوف والنورج اما الآن فقد امتلأت شواطئ النيل وفروعه بالوابورات الثابتة والمتحركة البخارية التي تدار باشعال الفحم وغيره من اصناف الوقود والتي تدار بالغاز والتوربيلات التي تدار بدفع الماء لرفع المياه وحرث الاراضي وحلج القطن وحصد الغلال ودراسها وغربلتها وطحنها ونخلها. وجيء من البلاد الاجنبية بالاسمدة الكيماوية فضلاً عما يصنع منها في مصر. ونشأت في البلاد حركة جديدة للاستزادة من كمية المياه للاكثار من زرع القطن او الامن من العطش في فصل الصيف وهذه الحركة هي حفر الآبار الارتوازية الآخذة في التحسين من وقت لآخر. وتنافس المزارعون في انتقاء التقاوي والابزار والاثبات ببراهين التجارب بما يحسن نموه ويكثر محصوله في ارض ولا يحسن في غيرها. وبالغوا في العناية بتربية الخيول والبغال والابقار والجمال والاغنام وغيرها من مواشي الزراعة والرفق بها وصيانة صحتها ومنع تطرق الاوبئة اليها وتناظروا في صناعة الزبدة والالبان واستفادت الناشئة المصرية بالعلوم الزراعية والتجارب الكيماوية التي يمارسونها في مدرسة الزراعة الحديثة العهد. وتشجع الناس بما يلاقونه من مساعدات الجمعية الزراعية وتهافتوا على عرض اجود محاصيلهم ومواشيهم ومصنوعاتهم واختراعاتهم في المعرض العام الذي يزداد اهمية واتساعاً واقبالاً سنة فسنة

والوسائط الهندسية التي عملت لتقليل الشراقي قد افادت تمام الفائدة وقللت كثيرًا من خسائر الناس والحكومة لان الشراقي التي بلغ مقدارها في سنة ١٨٧٧ اي منذ ثلاثين سنة ١٣٠٠٠٠٠ فدان خسرت الحكومة قيمة ضرائبها ١١٢٠٠٠٠ جنيه اصبحت لا يزيد مقدارها مهما بلغ انحطاط النيل على ١٥٠٠٠٠ فدان وذلك بعد انشاء الخزان وستصير اقل من ذلك بكثير بعد انشاء قناطر اسنا

لا غرابة بعد الذي بيناه من وسائط انتشار العمران وتعميم الري الصيفي في الاقاليم الوسطى وكل انحاء بلاد الوجه البحري اذا قلنا ان الذي يزرع الآن من صنف القطن وحده يبلغ مليونًا وثلثي مليون فدان او نحو ربع مقدار الارض التي تؤدي الضريبة في الوقت الحاضر. ولاثبات هذه الحقائق قد اتينا في الجدول الآتي على المقارنة بين ما كان يزرع من كل صنف في سنة ١٨٩٤ والذي يزرع في سنة ١٩٠٧ مأخوذًا عن الاحصائيات التي تعمل بمعرفة المالية

فدان سنة ١٨٩٤	فدان سنة ١٩٠٧	
٩٦٥٠٠٠	١٦٠٣٠٠٠	قطن
١٤٠٠٠٠٠	١٧١٣٠٠٠	دره شامي ودره بلدي ورز سبعيني نيلي
١٢٩٦٠٠٠	١٢١٨٠٠٠	قمح
٦٩٠٠٠٠	٥٩٥٠٠٠	فول
٤٦٠٠٠٠	٤٥٨٠٠٠	شعير
٢٦٧٠٠٠	٢٣١٠٠٠	دره قيطي ورز سلطاني صيفي
١١٩٤٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠	ربيع واصناف اخرى
١٣٥٠٠	٢٧٠٠٠	جنائن

وكلها تدل على نجاح عظيم في اصناف القطن وبقية الزراعة الصيفية اما ما يلاحظ من النقص في اصناف القمح والفول والشعير فهنا شيء كان لا بد من حصوله بعد تحويل ارض الحيضان التي تحولت من ري شتوي الى ري صيفي مستديم . ولا يفوتنا استلفات النظر الى انهُ قد جدَّت في بعض انحاء البلاد زراعة بعض اصناف حديثة منها الفول السوداني وزراعة البطاطس وزراعة البطاطة وربما عوّضت عن زراعة الدخان والتنباك البلدي الذي منعت الحكومة زراعتهما بقانون ٢٥ جونيو سنة ١٨٩٠ تكثيراً لاموال الخزينة من ايرادات جمارك الادخنة الواردة من الممالك الاجنبية . على ان الاهالي لا يزالون بعد ثماني عشرة سنة يجددون الالتماس بالتصريح لهم في زراعة الدخان البلدي ولا ندري ماذا يكون

وتبعاً لذلك كلهِ قد ارتفعت اسعار الاطيان ارتفاعاً محسوساً في اثناء المائة سنة الماضية ولاجل تقدير قيمة هذا الارتفاع نقول ان متوسط معدل الفائدة في المعاملات العمومية يوازي خمسة في المائة ومما يقرب للحقيقة ان الفدان الذي يؤجر باربعة جنيهات يؤدي ضريبة للحكومة قيمتها مائة غرش فصافي الايراد اذن يكون ثلاثة جنيهات وهي فائدة رأس المال وعلى معدل خمسة في المائة يكون ثمن الفدان ستين جنيهاً او قيمة الضريبة مضروبة في ٦٠ . فان صحت هذه القاعدة وطبقناها على الماضي والحاضر معاً ينتج معنا ان اثمان اراضي القطر المصري بلغت في نهاية المائة سنة الاخيرة ثمانية اضعاف ما كانت تبلغهُ في بدايتها وذلك لان الضرائب التي كانت تجبى في اوائل عصر المرحوم محمد علي باشا لم تكن تزيد وتشذر على ٦٦٠٠٠٠ جنيه مصري وهذه القيمة مضروبة في ٦٠ تساوي نحو اربعين مليوناً من الجنيهات المصرية . اما ما يجبى الآن وهو ٥٠٦٣٠٠٠ مضروبة في ٦٠ فانهُ يساوي

نحو ثلاثمائة مليون واربعة ملايين جنيه وذلك يعد من احسن النتائج التالية في مدة من الزمن كهذه

من المعلوم ان اراضي القطر المصري مقسمة على البلاد ولكن لا يمكن تعيين الاسباب التي ينسب اليها اختصاص اي بلد باكثر او باقل من اطيان بلد غيره ولا كيفية الاصطلاح على تعيين نهاية الحدود بين البلاد المختلفة ولكن ذلك تابع في الغالب لمقدار نفوذ المتسلطين في الازمنة الغابرة . وقد قسمت اطيان كل بلد الى اقسام كانت تسمى قبالات في الوجه القبلي وحيضاناً في الوجه البحري اما الآن فكلها تسمى حيضاناً . ولا يعلم ايضاً على اي قاعدة عملوا ذلك التقسيم او اعطوا تلك الحيضان اسماءها التي تعرف بها في الآن مثل حوض الروض او حوض الساحل مثلاً . اما التقسيم الآن فانهُ مبني على اعتبار ان تكون ارض البلد الواحد محدودة بقدر الامكان بحدود ثابتة مثل ترعة او جسر او مصرف . وان يكون كل حوض مساحة واحدة شكلها منتظم بقدر الامكان وان تكون ارضها كلها من نوع واحد وان لا تكون اكثر من مائة فدان ولا اقل من خمسين الاَّ في ظروف استثنائية وان تكون طرق ريها وتصفيتها ومواصلاتها وكل اعتباراتها الزراعية غير مختلفة في شيء ما مما يتعلق على وجوده ارتفاع او انخفاض قيمة ايرادها والغرض من ذلك هو ان توضع عليها كلها ضريبة واحدة بالمساواة .

اما المعول في تقدير مسطحات الاراضي فهو على المساحة . ووحدة مساحة الاراضي الزراعية في وادي النيل الفدان وآحاده الصغرى القراريط فالاسهم ويتكون كل فدان من ٢٤ قيراطاً والقيراط من ٢٤ سهماً . والمقياس الذي كانت تقاس بهِ الاراضي هو القصبة وطولها ثلاثة امتار وخمسة وخمسون سنتيمترًا والفدان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون قصبة وثلث قصبة مربعة او هو مساحة مربعة تمتد في كل من جهاتها الاربع ثماني عشرة قصبة وربع قصبة بفرق زهيد وبحساب الامتار يقدر باربعة آلاف ومائتي متر وثلاثة وثمانين سنتيمترًا . اما سبب تقدير الفدان ٣٣٣ $\frac{1}{3}$ قصبة فانهُ نتيجة اعتباره على متوسط المعدلات المختلفة التي كانت قاعدة المعاملات في متفرق البلاد وكذلك كان السبب في تقدير القصبة بثلاثة امتار وخمسة وخمسين سنتيمترًا . على ان القصبة أُبطل استعمالها بالكلية واستبدلت بسلسلة حديدية تسمى جنزيرًا طولهُ خمس قصبات وذلك فرارًا من الغبن الذي كان ينتجهُ المقاس بالقصبة

وقد اكتسبت المساحة تحسيناً عصريًّا ووضعت قواعد اساسية لاجرائها ولرسم الخرائط التي تمثل اشكال الارض ومواقعها . وعلى هذه المبادئ عملت مساحة فك الزمام في جميع

انحاء القطر واستغرق اجراؤها خمس عشرة سنة اذ بدئ بها في سنة ١٨٩٢ وتمت في سنة ١٩٠٧ وعملت لكل بلد خارطة مخصوصة مجزأة على لوحات ليسهل البيع منها للعموم كاملة او مجزأة على قدر حاجة الطالب . وهذه الخرائط تبين نمر الحيضان واشكال ونمر القطع المكونة لكل حوض حسب ما دلت عليهِ المشاهدات في الارض ذاتها بوضع ايدي الافراد . اما اسماء الحيضان ومقدار كل قطعة واسماء واضعي اليد فذلك يقيد في دفتر مرفق بالخارطة يسمى دفتر فك الزمام ويرسل مع بعض نسخ من الخارطة الى نظارة المالية وهي ترسلهُ الى المديرية ذات الاختصاص بامر يتضمن اعتمادهُ فتأخذهُ المديرية وتحرر مما فيهِ دفترًا يسمى المكلفة أُعدت بهِ صفحة مخصوصة لكل ممول تشتمل على مجموع ما وجد تحت يدهِ من الاطيان في كل حوض والمربوط منها بالضرائب وقيمة ضريبة الفدان في كل حوض ومجموع الضرائب السنوية . وقد سمي هذا الدفتر بالمكلفة لاشتماله على قيمة الضرائب المكلف باداتها كل من واضعي اليد . وهو يزيد عن دفتر فك الزمام بيان مفردات الضرائب ومجموعها وينقص عنهُ بيان القطع التي يحتويها كل حوض . على ان دفتر فك الزمام يحفظ مع الخارطة بلا ادنى تغيير . اما دفتر المكلفة فهو الذي فيهِ يقيد كل تغيير يحصل في وضع اليد كالبيع والشراء ورهن المنفعة والميراث والوصية والايهاب والتبادل وغير ذلك من كل انواع التغييرات بمقتضى العقود الشرعية والعقود العرفية المسجلة المفروض على المحاكم ارسال نسخة منها للمديريات . ويتغير هذا الدفتر مرة واحد في كل خمس سنوات ومقرهُ واجراءاتهُ كلها بقلم الايرادات بكل مديرية وهو معدود في عرف العوام من اقوى دعائم اثبات الملكية اما بحسب حقيقة وظيفتهِ فلا يمكن الاعتماد عليهِ في اثبات او نفي شيء من الحقوق الشرعية لانهُ عبارة عن مجموع حسابات الضرائب المتعين دفعها من اصحاب الشأن . وفي اول كل سنة يأتي جباة الضرائب المعروفون باسم صيارف البلاد الى ديوان المديرية ويكتبون مما في دفتر المكلفة دفترًا جديدًا عن الضرائب اللازم تحصيلها في السنة الجديدة ويسمَّى ذلك الدفتر باسم الجريدة يخصصون بهِ صفحة مستقلة لحساب كل ممول نصفها العلوي لاصل حساب المال المطلوب تسديدهُ والنصف السفلي لحساب التسديدات التي يدفعها الممول تاريخًا تاريخًا منقولة عن دفتر آخر يسمَّى اليومية يقيد فيهِ الصرَّاف كل دفعة وصلت ليدهِ من كل مموّل وفي نهاية اليوم يقفل حسابهُ ويفتح حسابًا جديدًا لليوم التالي وهكذا . ويحرر الصراف لكل ممول صورة حسابهِ من دفتر الجريدة حرفيًا على ورقة يستخرجها من دفتر قسيمة تسمى في الحكومة باسم الورد وتسمَّي في بعض البلاد باسم (الجنزير او الزنجير) وفي بلاد اخرى باسم الفلاق وفي غيرها

باسم الحسبة وهذا الورد هو المستند الوحيد الذي لا تأخذ الحكومة على مسؤوليتها اي شيء من تسديدات الممول غير مقيد فيهِ بخط يد الصراف وامضائهِ . وقد اعدت فيهِ صفحة لحساب اصول الضرائب اللازم تسديدها والصفحة الاخرى لقيد ما يسدد فعلاً

وقد يزيد الورد عما في الجريدة ترتيب الاوقات المقرر تسديد الضرائب فيها بحسب قرارات الحكومة والقيمة اللازم تسديدها في كل وقت . ويسلم الصيارف الاوراد لأربابها بالذات ان امكن او لمن يقوم مقامهم ويأخذون ايصالات منهم بتوقيعاتهم على القسيمة الثابتة في كعب الدفتر ويغتنمون فرصة تسليم الاوراد للحصول من اصحاب الاطيان او وكلائهم او مستأجري اطيانهم على بيان اصناف الزراعة المقرر زرعها في اطيان كل شخص تلك السنة فيقيدون تلك الايضاحات على الصحيفة الثانية من القسيمة الثابتة ويعملون منها مجموعة عن كل بلد يقدمونها الى المركز وفي المركز تعمل مجموعة عن كل بلادهِ وترسل الى المديرية وفي المديرية تعمل مجموعة عن كل بلاد المديرية وترسل الى المالية وفي المالية تعمل مجموعة عمومية وتحفظ لاعطاء ما يطلب منها من الايضاحات لمصالح الري ولغرفة التجارة وغيرها . وكل ذلك يتم في خلال الشهور الثلاثة الاول من كل سنة

وقد يقتصر حساب الجريدة والورد على مجموع المال السنوي ومجموع الاطيان المربوط عليها ضرائب ثم مجموع الاطيان التي لم تربط عليها ضرائب بلا تفصيل عن الحياض التي فيها ولا القطع المكونة لها ولا قيمة الضريبة المقررة على كل فدان . وكل ما يرد على المديرية من العقود تبلغهُ للصيارف لقيد التغييرات التي تحصل بمقتضاها في الجريدة والاوراد وفي نهاية السنة يسلم الصراف لدفترخانة المديرية دفاترهُ القديمة وهناك مراقبة شديدة جداً على الصيارف يشترك في ادائها مأمورو المراكز ومفتشو المالية ومفتشو الصيارف وكتبة المراكز وكتبة وموظفو القسم المالي بالمديرية للتحقق (١) ان الصيارف لم يختلسوا شيئاً من المال بطريقة استلامهِ من الممولين وعدم قيدهِ في دفاترهم (٢) وانهم لم يستلموا شيئاً في اول السنة مثلاً وتأخروا في قيدهِ وتسديدهِ للحكومة لآخر السنة لغرض تشغيلهِ واستثمارهِ لفائدتهم الخاصة في اثناء تلك المدة

اما قواعد ملكية الاطيان فلم يوجد شيء من المحفوظات القديمة يدل عليها دلالة يمكن الوثوق بصحتها والراجح ان طريقة الالتزام او التلزيم كان المرجع اليها في كل شأن من شؤون اثبات او نفي وضع اليد وتقدير وتحصيل الضرائب وما يتعلق بها . وطريقة الالتزام هذه كانت متبعة الى اوائل القرن التاسع عشر بكيفية ان تحدد الحكومة قيمة سنوية من المال على

كل بلد وتطرح ذلك في المزاد بين الراغبين من اكابر البلاد الذين كانوا يسمونهم في الغالب باسم الكشاف وتأخذ ممن يرسو عليهِ المزاد قيمة كل سنة مقدماً او كانت تعطي الالتزام بالاتفاق بلا مزاد . وكانت تعطي لكل ملتزم صكاً يسمى تقسيطاً بمقتضاهُ يحل في دائرة التزامهِ محل الحكومة في السيادة والامارة ويتصرف بمطلق التصرفات على ما يبتغي وليس ذلك فقط بل كان الملتزم ينتفع بقسم خاص من ارض البلد بلا ضرائب بالكلية يقوم بخدمتهِ وزراعتهِ اهل البلد ويأتونهُ بغلاتهِ غنيمة باردة وكان يسمى ذلك القسم باسم وسية الملتزم (جمعها اواسي). وكانت الحكومة تمنح كل ملتزم تعويضاً سنوياً مقابل مسئوليتهِ عن جباية الضرائب

ويؤخذ من اقوال بعض المؤرخين انهُ بعد اتمام زراعة الاصناف الشتوية كان المساحون ينطلقون ويقيسون زراعة كل شخص وبمقتضى تلك المساحة كان الزارعون يؤدون الضرائب التي تطلب منهم. وخلاصة القول انهُ لم يكن لاحد من الناس حق القرار على ارض معينة. ودام الحال كذلك الى اوائل حكم محمد علي باشا حيث ابطل الالتزامات واسترد الاطيان كلها للحكومة ورتب للملتزمين الذين اطاعوا اوامرهُ مرتبات نقدية على خزينة الحكومة بدل ما كانوا يكتسبونهُ من الالتزام وقد سميت تلك المرتبات باسم فرائض التزام . وعملت على اثر ذلك مساحة عمومية على اطيان القطر قيدت فيها الاطيان على اسماء واضعي اليد في وقت المساحة

وكان الاورباويون والحمايات ممنوعين من امتلاك اطيان في القطر المصري كما كانوا ممنوعين من امتلاكها في بقية بلاد الدولة العلية العثمانية . ودام الحال كذلك الى ان صدر فرمان شاهاني في ٧ صفر سنة ١٢٨٤ بالتصريح لهم بامتلاك الاراضي في بلاد الدولة على شرط ان يكونوا خاضعين في ذلك لقوانين الحكومة المحلية فابتدأوا باقتناء الارض واصبحوا الآن مالكين في هذه البلاد ٦٦٥٠٠٠ فداناً من الارض الزراعية

وكانت الارض كلها خراجية وكانت الحكومة وحدها صاحبة الحق في ملكية الاراضي كافةً . وليس لواضعي اليد عليها الاَّ حق الانتفاع منها وكانوا يبيعون بعضهم لبعض هذا الحق بصيغة تنازل ولم يكن يجسر احد ان يكتب في عقدٍ ما انهُ باع او اشترى شيئاً من الاطيان . ولكن محمد علي باشا لمقصد استعمار الاراضي كان قد انعم بكثير من الاطيان على اصحاب الثروة ومنحهم حقوق الملكية فيها بكامل معانيها. وهذه هي الاطيان العشورية التي تقدم الكلام عليها وكان يجوز لهم فيها وحدها البيع والشراء وغير ذلك من انواع التصرفات وكان محظوراً على النساء امتلاك الارض لاعتبارهنَّ ضعيفات او عاجزات عن القيام بزراعة

الاطيان وادارة شؤونها وتأدية ضرائبها للحكومة ولم يصرح لمن بامتلاك الاراضي الاَّ بمقتضى لائحة الاطيان التي اصدرها المرحوم سعيد باشا في ٢٤ الحجة سنة ١٢٧٤ — سنة ١٨٥٨

ولما صدر قانون المقابلة في اغسطس سنة ١٨٧١ أُجيز بمقتضاهُ اعتبار الاطيان الخراجية التي تدفع عنها المقابلة ملكاً صريحاً لاربابها ولما أُلغيت المقابلة تصرح في الامر الذي صدر بابطالها ان مجرد دفع جزء من المقابلة على شيء من الاطيان الخراجية يكفي لاعتبارها ملكاً صريحاً ودام الحال كذلك الى ان صدر امر عال في ١٥ ابريل سنة ١٨٩١ باعتبار الاطيان الخراجية بوجهٍ عام ملكاً صريحاً للناس سواءٌ كانت او لم تكن دفعت عنها المقابلة كلها او جزءٌ منها والى ذلك التاريخ كانت الاطيان كلها تعدُّ ملكاً لاربابها . لأ الاطيان التي أُعطيت للعربان وللجماعة العساكر الباشبوزق ليعيشوا من ايراداتها بشرط ان تعود الى الحكومة عند انقراض ذريتهم وبهذه الشروط عينها كانت اراضي اوامي الملتزمين وهذه ايضاً صدرت اوامر خاصة بها باعتبارها ملكاً صريحاً ولم يبقَ للآن شيء من الاراضي مقيداً بقيود الحرمان من الملكية

ذكرنا المقابلة فتعين علينا ان نذكر كلمة عن اصلها وفصلها ليحيط علماً بها من لم يعنهِ من قبل الاطلاع على شيء من امرها . وتفصيل ذلك ان الحكومة على عهد اسماعيل باشا ثقلت جدًّا بالديون فضلاً عن المطالب الكبيرة التي كانت تستنفد كل ايرادات الخزينة فارتأت ان تطلب اعانة مالية من ارباب الاطيان مقابل امتيازات تمنحهم اياها ولذلك سميت تلك الاعانة باسم مقابلة وقدرت قيمتها بمثل قيمة مجموع ضرائب الاطيان ست سنوات تدفع علاوة على الضرائب السنوية اما مرة واحدة او تدريجاً في مدة من الزمن لا تزيد عن اثنتي عشرة سنة اما الامتيازات التي تقرر منحهم اياها فمنها منح حقوق الملكية التامة في الاطيان الخراجية ان دفعت عنها المقابلة . ومنها تنقيص الضرائب الى قيمة نصفها الاصلي تنقصاً مؤبداً لا يتغير وذلك فقط عن الاطيان التي تدفع عنها المقابلة . فسدد ارباب الاطيان سبعة عشر مليوناً من الجنيهات المصرية في ثمان سنوات من سنة ١٨٧٢ لسنة ١٨٣٩ ومع ذلك لم ينقص مقدار الدين ولا خفت المطاليب المالية وكانت مقاليد الحكومة قد تغيرت فنظرت الحكومة وقتئذٍ الى هول ما يتهددها من الخطر على الخزينة ان تقيدت بوفاء التعهد المتفق عليهِ مع اصحاب المقابلة الذي هو تنقيص الضرائب الى نصف اصلها . فابطلت تحصيل المقابلة وقررت الغاءها مع الغاء الامتيازات المقررة بشأنها ما عدا ملكية الاطيان الخراجية التي دفعت عنها المقابلة كلها او بعضها واعتبرت اموال المقابلة ديناً عليها اخذت منهُ ما كانت تستحقهُ من

الديون على بعض دافعيها والباقي تعهدت بإيفائهِ مضافاً اليهِ فائدة بحساب ٤ في المائة في مدة خمسين سنة من اول يوليو سنة ١٨٨٠ لآخر جونيو سنة ١٩٣٠ تؤدي عنهُ سنوياً نحو مائة وثلاثة واربعين الف جنيه مصري بطريقة خصمها في اول كل سنة كدفعة نقدية مسددة في حساب كل ممول . غير ان هذا التعويض أُعتبر حقًّا من حقوق الاطيان لا من حقوق الاشخاص فيتبع الاطيان اينما تكون

وقبل النهاية من موضوع الاطيان يجب التنبيه الى النخل المغروس في الاراضي فانهُ معتبر من قديم الزمن عقاراً قائماً بذاتهِ تدفع عنهُ ضرائب قائمة بذاتها ايضاً قيمتها خمسة عشر مليماً على كل نخلة في بلاد الواحات وقبلي اصوان وخمسة وعشرون مليماً في بقية انحاء القطر المصري ومجموع ما يوجد من النخل احد عشر مليوناً ستة ملايين منها من النخل المثمر الذي تدفع عنهُ ضرائب والخمسة الملايين الاخرى من النخل الصغير غير المثمر المعفى من الضرائب. ويتجدد عدّ النخل مرة كل خمس سنوات وآخر مرة كانت في سنة ١٩٠٧ الماضية

ستأتي البقية

اسباب الاحتلال البريطاني

(١)

حمل الينا البريد الكتاب المنتظر كتاب لورد كرومر وهو في مجلدين كبيرين في كل منهما ستمائة صفحة وقد قدَّم لهُ مقدمة لم نرَ اوجز منها وهي في سطرين فقط قال فيهما

" اني مسؤُول تماماً عما في هذا الكتاب وليس لهُ اقل صفة رسمية "

والكتاب يمتلك قارئهُ حتى يصعب عليهِ ان يتركهُ بعد ان يشرع في مطالعتهِ. وطبعهُ واضح جدًّا فلا يتعب العين وعبارتهُ على غاية السهولة الأ حيث يذكر جناب اللورد رأْيهُ السياسي او الفلسفي او الاجتماعي فيعود الى انشائهِ المألوف وعبارتهِ المحكمة المسبوكة سبكاً يتعذر تفكيكهُ او ابدال كلمة منهُ بكلمة اخرى

والفصل الاول من كتاب تمهيدي قال فيهِ

" اني ارمي في تأليف هذا الكتاب الى غرضين الاول تدوين الخبر الصحيح عن بعض الحوادث المهمة التي حدثت في مصر والسودان منذ سنة ١٨٧٦ (وقال في الحاشية انهُ وفى الكلام على كل الحوادث المهمة التي حدثت في مصر من سنة ١٨٧٦ الى حين وفاة

توفيق باشا في ٧ يناير سنة ١٨٩٢ وعن تاريخ السودان الى آخر سنة ١٩٠٧ اما الكلام على الحوادث المصرية التي حدثت في عهد الجناب الخديوي الحالي فيرى انهُ لم يحن الوقت للكتابة عنها كما كتب عن تلك)

والغرض الثاني ايضاح النتائج التي نتجت للقطر المصري من الاحتلال البريطاني

ثم بين ان اشتغالهُ بالمهام المصرية مهد لهُ السبيل بنوع خاص لتأليف فصول في تاريخ مصر فانهُ وقف على امور القطر المصري من اوائل سنة ١٨٧٧ الى اواسط سنة ١٨٨٠ ومن اواسط سنة ١٨٨٣ الى الوقت الحاضر ولم يكتفِ بالوقوف على الامور العمومية التي يباح الوقوف عليها لكل احد بل وقف ايضاً على السجلات والاسانيد والاوراق الرسمية في وزارة الخارجية الانكليزيَّة وفي وزارة الخارجية المصرية وكان لهُ اتصال تام بكل الرجال الذين لهم شأن يذكر في الشؤون المصرية مدة السنين التي كتب عنها ولذلك توفر لهُ من وسائل الوقوف على الحقائق وتقريرها ما لم يتوفر لغيره

وقال ان تقرير الحقائق من اهم الامور واستشهد بالسر ارثر هلبس الذي قال "ان نصف شرور العالم ناتج عن عدم التدقيق في الرواية". وهو مثل قول العرب وما آفة الاخبار الاَّ رواتها . وافاض في هذا الموضوع وبيَّن ان اختبارهُ لا يحملهُ على الثقة الكبيرة باقوال المؤرخين ولكن الحقائق قلما تخفى والغالب ان الايام تبينها والجمهور يطلع عليها ولو بعد زمان طويل . ويصعب على الانكليز المقيمين في بلادهم ان يعرفوا حقيقة ما يجري في البلدان الشرقية لانهم يقيسون احوالها باحوال بلادهم فيخطئون . والذين يعرفون حقيقة الاحوال قليل عددهم ولبعضهم آراء شخصية يميلون الي تأييدها او مقاصد خصوصية يرمون اليها والذين يستطيعون ان يقولوا القول الصحيح الخالي من الغرض يشغلون مراكز سياسيَّة تضطرهم الى الصمت ولذلك يتعذر احياناً الوقوف على حقائق الامور . واذا عرف الجمهور حقيقة النتائج بنوع عام فقد لا يعرف حقيقة تفاصيلها لاسيما وانهُ يهتم بما يحرك العواطف فيعلي اقدار الذين يأتونهُ من ابواب يرغب فيها ولو لم يكونوا اهلاً لذلك

وشكا جناب اللورد مما نشكو منهُ دواماً وهو انتصار البطل على الحق والكذب على الصدق رغماً عن قيام انصار الحقيقة وانتصارهم لها كأن اوهام العامة واكاذيبهم تنمو حول الحقيقة وتخنقها كما يخنق الشوك الزرع فيأتي المؤرخ ويدون الامر المشهور المتعارف ولو كان باطلاً

ثم انتقل في تمهيدهِ الى الكلام على الاحتلال البريطاني فاورد كلام المستر كايف الذي اتى مصر في اوائل سنة ١٨٧٦ لتفحص احوالها المالية حيث قال

" ان مصر الآن في دور الانتقال فهي تشكو من عيوب النظام القديم الذي تحاول الخروج منهُ وعيوب النظام الجديد الذي تحاول الدخول فيهِ . تشكو من العيوب الشائعة في الشرق وهي الجهل وخراب الذمة والاسراف والتبذير العيوب التي اوصلت تركيا الى حافة الخراب وتشكو في الوقت نفسهِ من كثرة النفقات التي انفقت من غير تروٍّ لاجل اقتباس تمدن الشرق "

ثم قال ان غرضهُ في الفصول التالية الاخبار عن الوسائل التي اتخذت بعد ذلك لمداواة العلة التي اشار اليها المستر كايف . ومصر ليست البلاد الوحيدة التي وصلت الى حافة الخراب باهمال قوانين الاقتصاد وسوء الادارة في اموال حكومتها ولا هي البلاد الوحيدة التي خص اعيانها واصحاب السطوة فيها بامتيازات تضر بمصالح الجمهور من سكانها ولا هي البلاد الوحيدة التي اهملت فيها مبادئ العدل . وقد تختلف احوالها عن احوال غيرها من البلدان الشرقية من بعض الجزئيات ولكن العموميات متشابهة . وأطال في هذا البحث وفي الاسباب التي اضطرت بريطانيا ان تهتم باصلاح مصر من غير ان تتعرض الى تغيير جوهري في شؤون الحكومة المصرية

والفصل الثاني هو الفصل الاول حقيقة من هذا الكتاب وقد افتتحهُ بقولهِ ان اصل المسألة المصرية مالي فلما توفي سعيد باشا سنة ١٨٦٣ كان دين الحكومة المصرية ٣٢٩٣٠٠٠ جنيه وخلفهُ اسمعيل باشا ابن ابرهيم باشا الشهير فاوصل الدين سنة ١٨٧٦ الى ٦٨١١٠٠٠٠ جنيه هذا هو الدين الذي كان مضموناً بضمانات ما وفوقهُ دين سائر يبلغ نحو ٢٦٠٠٠٠٠٠ جنيه فكأنهُ زاد الدين المصري سبعة ملايين جنيه سنوياً منذ توليهِ الى تلك السنة . واذا اخرجنا ١٦ مليوناً من هذا الدين أُنفقت على ترعة السويس فالباقي كلهُ بذّر تبذيراً لان اموال الضرائب في هذه المدة كلها بلغت نحو ٩٤ مليوناً من الجنيهات ونفقات الحكومة الحقيقية او التي منها فائدة حقيقية بلغت ٩٧ مليوناً من الجنيهات فلم ينفق من دين اسمعيل باشا كلهِ على مصالح القطر سوى اربعة ملايين من الجنيهات

والذين رأوا التبذير الذي كان ضارباً اطنابهُ حينئذٍ علموا ان لا بد من افلاس الحكومة عاجلاً او آجلاً . وعزّت الاموال في اواخر سنة ١٨٧٥ واوائل سنة ١٨٧٦ حتى صارت تؤخذ بفوائد باهظة جداً

وفي الثامن من ابريل سنة ١٨٧٦ وقع ما لا بدّ منهُ وتوقفت خزينة الحكومة المصرية عن ايفاء ما يطلب منها

وجرى الكلام قبل ذلك على انشاء بنك مصري وطني تحت مراقبة ثلاثة من الاوربيين فرضيت كل من فرنسا وايطاليا ان تعين رجلاً منها واما انكلترا فلم تشأ ان تتداخل في شؤون مصر الداخلية وابت ان تعين رجلاً منها فسقط ذلك المشروع ثم اعيد على وجه آخر وهو ان الخديوي اصدر امرًا عاليًا في ٢ مايو سنة ١٨٧٦ بانشاء قومسيون صندوق الدين وحُسب اعضاءهُ هذا القومسيون نوابًا عن اصحاب الدين ثم اصدر امرًا آخر في ٧ مايو لتوحيد الديون المصرية وكانت قد بلغت ٩١ مليونًا من الجنيهات وكان اعضاء ذلك القومسيون المسيو ده بلنير عن فرنسا وفون كرمر عن النمسا والمسيو بارافلي عن ايطاليا وابت انكلترا ان تعين مندوبًا عنها ولم ترضها شروط الامر العالي فبعثت الى مصر بالمستر غوشن (الذي صار لورد غوشن) لكي يسعى في تعدل تلك الشروط تعديلاً يرضاهُ المداينون او الذين بيدهم سندات الدين

فجاء المستر غوشن الى مصر وجاء معهُ المسيو جوبر من قبل فرنسا ودبرا امر الدين مع الحكومة المصرية ولكن المسألة المالية لا تحل بتدابير مثل هذه بل لا بد لحلها من ان تنظم ادارة البلاد المالية حتى يزيد ايراد الحكومة وتبقى نفقاتها ضمن دائرة الاعتدال ولذلك قر القرار على المراقبة الثنائية اي على تعيين مراقبين واحد لمراقبة الايرادات وواحد لمراقبة المصروفات وقر القرار ايضاً على ان سكة الحديد وميناء الاسكندرية يديرهما مجلس مؤلف من اثنين من الانكليز واثنين من المصريين وواحد من الفرنسويين لان ايراداتهما عينت لايفاء فائدة الدين الممتاز

وعين المستر رومايين مراقبًا عامًّا للايرادات والبارون ده مالاره مراقبًا عموميًّا للمصروفات وعين الجنرال مريوت رئيسًا لمجلس سكة الحديد . لأَن لورد دربي وزير الخارجية الانكليزية كتب الى اللورد فيفيان الذي كان حينئذٍ وكيلاً سياسيًّا لدولتهِ في مصر يقول لهُ يخبر الخديوي ان الحكومة الانكليزية لا تحسب مسؤُولة عن هذه التعيينات ولا تعترض عليها

وفي ذلك الوقت طلب الخديوي من لورد غوشن ان يختار لهُ رجلاً انكليزيًّا لقومسيون صندوق الدين المصري فاستشار اللورد غوشن السر لويس ملت فاشار عليهِ باختيار لورد كرومر وكان اسمهُ حينئذٍ بارنج . قال لورد كرومر في كتابهِ " وعرض عليَّ لورد غوشن هذه الوظيفة فقبلتها ودخلت مصر في ٢ مارس سنة ١٨٧٧ " اي منذ ثلاثين سنة وفي مثل اليوم الذي ظهر فيهِ كتابهُ هذا . وكان محمد علي قد استخدم بعض الاوربيين في مصالح الحكومة واكثر من استخدام الفرنسويين لكي يقاوم بهم الانكليز من اجل توازن القوى . وتقاطر

الاوربيون الى مصر في عهد سعيد باشا والتفوا حول اسمعيل باشا وكثيرون منهم افاقون جاؤوا للكسب باية حيلة كانت فساءت بهم سمعة الاوربيين جدًّا واعتقد اسمعيل باشا ان كل الاوربيين جاؤوا للكسب على حدٍ سوى وانهُ يستطيع ان يصطنعهم كلهم ولا غرابة في ذلك نظرًا الى نوع الناس الذين التفوا حوله . لكن الرجال الذين انتظموا في خدمة الحكومة على اثر مجيء لورد غوشن كانوا من طراز آخر غير ما اعتاد اسمعيل باشا ان يرى حوله وان كانوا مثل غيرهم من الموظفين في انكلترا وفرنسا . ومن رأي لورد كرومر انهُ لو اعتمد اسمعيل باشا على اولئك الرجال واستعان برائهم في تدبير امور البلاد لبقي على سدة الخديوية الى حين وفاتهِ ولكن يظهر انهُ تعذر عليهِ ذلك فخلع كما سيجيء

لما انشيء صندوق الدين كانت المالية المصرية في حالة الفوضى . قال لورد كرومر ان غوشن اعتمد على الحسابات التي قدمتها لهُ الحكومة حسب دفاترها فوجد فيها ان صافي ايراد سكة الحديد ٩٠٠٠٠٠ جنيه ثم ظهر بعد حين ان صافي الايراد لا يزيد على ٦٠٠٠٠٠ جنيه وذلك لانها كانت تحسب اجرة نقل العساكر من جهة الى اخرى في جملة الايراد وهي لا تقبض منها شيئًا وكان كلما اراد احد من اعضاء العائلة الخديوية ان يسافر من جهة الى اخرى يأمر ان يعد لهُ قطار خاص فيسافر فيهِ ولا يدفع غرشًا من اجرتهِ بل يسلم ناظر المحطة رجعة فتقيد في الدفاتر في جملة الايراد وهلمَّ جرًّا

ووصف حال البلاد في ذلك الحين فقال ان الخديوي اسمعيل باشا كان قد استولى على خمس اطيان القطر المصري وجعل يزرع اكثرها بالسخرة حتى فرغ صبر الفلاحين من شدة ما قاسوا من الضيم كما فرغ صبر المداينين من نضوب موارد الايراد . فاستنبط اسمعيل باشا قانون المقابلة ويراد بهِ ان كل من يدفع عن اطيانهِ اموال ست سنوات مقدمًا دفعةً واحدة او في مدة اثنتي عشرة سنة تجعل الضريبة على اطيانهِ بعد ذلك نصف ما كانت عليهِ — حيلة لابتزاز المال لا غير لانهُ لو دفع الناس كلهم مال المقابلة وتركت الاحكام كما كانت عليهِ لما استطاعت الحكومة ان تخفض غرشًا واحدًا من الضرائب

ثم وصف انواع الضرائب والمغارم التي كانت ملقاة على عاتق الاهلين حينئذٍ وطرق التحيل على ابتزاز الاموال من الناس حتى بعد تعيين قومسيون صندوق الدين ومن امثلة ذلك ان ايرادات الجمارك كانت من جملة ما رهن لصندوق الدين فرأى القومسيون بعد قليل ان ايراد جمرك السويس قد قلَّ كثيرًا عما كان عليهِ قبلاً وبحث عن مأمور الجمرك الذي كان فيهِ اولاً فلم يجدهُ وطالب الحكومة بهِ فتجاهلت امرهُ وبعد اخذ وعطاء مدة طويلة

اصرَّ صندوق الدين على انهُ لا بد من احضار المأمور المذكور حيّاً او ميتاً فاضطرت الحكومة ان تحضره' فسأله' صندوق الدين عن قصتهِ فقال انهُ أُمر ان يورد ايراد الجمرك للخديوي رأساً ولما تأخر عن ذلك قبض عليهِ وابعد الى اقصى بلاد السودان ولو لم يطلبهُ القومسيون لقضي عليهِ هناك

وكان على الحكومة ان تدفع رواتب مستخدميها وتوفي فوائد ديونها وتدفع للتجار والمقاولين مبالغ طائلة عن بضائع اشترتها منهم او اعمال عملوها لها فتجمع الضرائب والمغارم بالشدة والعنف ولا تستطيع ان تقوم بكل ما يطلب منها لفداحة الفوائد فاخرت دفع رواتب المستخدمين

وجاء فيضان سنة ١٨٧٨ دون المطلوب فظهر تأثيره' على اشدهِ سنة ١٨٧٨ وضربت المجاعة اطنابها في الوجه القبلي وبلغ الضيق والعسر اشدهما في صيف تلك السنة وكان القسط المطلوب ايفاؤه' في اول مايو من فائدة الدين مليوني جنيه ولم يكن في صندوق الدين من هذا المبلغ في آخر مارس سوى نصف مليون جنيه وارتأى اعضاء صندوق الدين ان يؤخروا دفع ذلك القسط ولكن الناس في فرنسا كانوا يقولون ان عند الخديوي اموالاً طائلة وقد اخفاها و يستطيع ان يوفي منها كل الفوائد اذا اراد

ولهذا القول سبب وهو ان الخديوي كان قد قبض من الحكومة الانكليزية اربعة ملايين من الجنيهات ثمن اسهم ترعة السويس وقبض ايضاً خمسة ملايين جنيه من فرنسا ديناً فاختفت هذه الاموال كلها في سنة واحدة واختفى معها ايراد تلك السنة من غير ان تدفع الحكومة فائدة الدين او تدفع اجور المستخدمين . وكتبت النزالة الفرنسوية في الاسكندرية الى المسيو ودنجتون الذي كان وزيراً للخارجية في فرنسا تقول له' ان احصاءات الجمارك المصرية تدل على ان جانباً كبيراً من النقود لا يزال في القطر المصري . ولذلك ابت فرنسا ان تسلم بتأخير دفع القسط المستحق من فائدة الدين وقال سفيرها في انكلترا للورد دربي وزير الخارجية حينئذٍ ان الخديوي يستطيع ان يدفع الكوبون اذا اراد وطلب المسيو ودنجتون من انكلترا ان تساعده' في الاصرار على دفع الكوبون الذي يستحق في اول مايو

وكانت انكلترا قد رفضت من اول الامر ان تتعرض للشؤون المصرية او تدافع عن حقوق المداينين بل اظهرت من اول الامر انها تنصر الفلاحين على المداينين . والحكومة الانكليزية تخبر رعاياها دائماً انهم اذا دينوا اموالهم في البلدان الاخرى فهم يفعلون ذلك على مسؤوليتهم ولا يمكنهم ان يعتمدوا عليها لتحمي مصالحهم بالقوة اما حينئذٍ فاضطرت

ان تجاري فرنسا وتساعدها في حماية مصالح المداينين لكي تساعدها فرنسا في مؤتمر برلين . وتشددت الحكومتان في طلب القسط المستحق واستخدمت الحكومة المصرية اقوى رجالها واقلهم شفقة فجمعوا المال بالعنف من الاهالي واضطر الفلاحون ان يبيعوا اردب القمح بخمسين غرشاً اي ان يأخذوا خمسين غرشاً فقط على ثمن الاردب ويسلموهُ بعد شهر مع ان ثمنهُ كان حينئذٍ ١٢٠ غرشاً واضطرت النساء ان تبيع حلاها لايفاء الاموال المطلوبة . الّا ان ايفاء ذلك القسط لم يمنع مقدوراً بل اخرهُ شهوراً كما سيجيء

القطر المصري

وارتقاؤُهُ في عشر سنوات

ان مَن ينكر ارتقاء القطر المصري مادياً وادبياً وازدياد هذا الارتقاء سنة بعد سنة كمن ينكر نور الشمس في رائعة النهار . ولا يقدم على ذلك الّا من يتجر بالانكار ولهُ منهُ منهم او من يلقي الكلام على عواهنهِ ولا يحسب انهُ يطالب بالدليل

و يستدلُّ على ارتقاء البلاد بامور كثيرة اخصها ميزانية الحكومة فانها اذا زاد دخلها من غير ان تضرب على الاهالي ضرائب جديدة دلَّ ذلك على زيادة دخلهم ثم اذا زادت نفقاتها على ما يرقيهم مادياً وادبياً لزمنا ان نستنتج ان ارتقاءهم المادي والادبي زادا ايضاً والّا فهم ممن تضيع وسائل الرقي فيهم

وقد نشرت الحكومة المصرية الآن خلاصة حسابها عن العام الماضي فقابلناها بخلاصة حسابها عن عام ١٨٩٧ فاذا الزيادة في الدخل والنفقات بالغة مبلغاً عظيماً كما ترى من الجدول التالي

	١٨٩٧	١٩٠٧
الايرادات	١١٠٩٢٠٠٠	١٦٣٦٧٨١٨
المصروفات	١٠٦٥٩٠٠	١٤٢٨٠٤١٣
زيادة الايرادات	٠٠٤٣٣٠٠٠	٠٢٠٨٧٤٠٥

فالايرادات زادت في عشر سنوات اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات او نحو خمسين في المئة والمصروفات زادت ثلاثة ملايين ونحو ستمائة الف جنيه او نحو ٣٦ في المئة

مع ان السكان لم يزيدوا في هذه المدة سوى عشرين في المئة فالزيادة في الايرادات لم تنتج من زيادة السكان فقط بل نتجت ايضاً من زيادة ثروتهم العمومية وزيادة مقدرتهم على استثمار اموالهم وخيرات ارضهم ومن زيادة النفقات التي انفقتها الحكومة على الاعمال النافعة التي زادت بها ثروة القطر

ولا يخفى ان سنة ١٨٩٧ كانت اوفر دخلاً من كل سنة قبلها ويؤخذ من تقارير لورد كرومر انهُ لما احتلَّ الانكليز مصر سنة ١٨٨٣ كانت البلاد على شفا الافلاس وبقيت الحكومة من سنة ١٨٨٣ الى سنة ١٨٨٧ تفرغ جهدها في حفظ التوازن المالي حتى لا يزيد مصروفها على ايرادها فلم يتيسَّر لها حينئذٍ تخفيف الضرائب على الاطلاق مهما مسَّت الحاجة الى تخفيفها ولا زيادة المصروف ولو لغرض من اصلح الاغراض. وفي سنة ١٨٨٧ زال عن مصر الخطر من الافلاس واخذت مساعي المصلحين ولاسيما الموظفين منهم في الري تثمر اثمارها وابتدأ زمن زيادة الايراد على المصروف فقرَّ الرأي حينئذٍ على ان يقدَّم تخفيف الضرائب على زيادة مصروفات المصالح الاميرية فأُلغيت السخرة وعينت الحكومة ٤٠٠ الف جنيه تستأجر بها العمال للاعمال التي كانت تعمل بالسخر وخفضت ضرائب الاطيان ٤٣٠ الف جنيه في السنة والغت ضريبة الصنائع وكانت تبلغ ١٨٠ الف جنيه في السنة وضرائب الغنم والمعزى وكانت تبلغ ٤٠ الف جنيه في السنة وضريبة القبانة وكانت تبلغ ٢٨ الف جنيه في السنة وضرائب اخرى صغيرة وجملة الضرائب التي خفضت عن عاتق الاهالي تبلغ قيمتها السنوية مليونًا ومئة الف جنيه . وخفضت اجور البوسطة والتلغراف خمسين في المئة

ولما رأَت نفسها في سعة بعد تخفيف هذه الضرائب وامثالها ولاسيما لما ابطلت زرع التبغ في القطر وجعلت تأخذ عشرين غرشاً على كل كيلو يرد منهُ اخذت تهتم بزيادة نفقات المصالح التي تعود اعمالها بالنفع المادي والادبي على البلاد مثل حفر الترع والمصارف ومد سكك الحديد وبناء المدارس والمستشفيات

وكان القطر المصري تحت خطرين كبيرين يتهددانهِ دائماً الخطر الاول هجوم السودانيين على حدودهِ والعيث فيها فانهم كادوا يصلون الى اصوان ولولا بسالة القوَّاد والجنود الذين استردوا السودان لكانت مصر الآن من ملحقاتهِ او من ممتلكات دولة اخرى انقذتها منهُ

ومن الغرائب التي قلما توجد في غير هذا القطر ان بعض سكانهِ يلقون بانفسهم في النار خوفاً من الرمضاء ولذلك كانوا يكاتبون خليفة السودان ويحرضونهُ على مهاجمة مصر ويعدونهُ بالانضمام اليهِ ولو فعل لفعلوا

هذا هو الخطر الاول والخطر الثاني لا يقل عنهُ فداحةً وهو انهُ كان يُخشى من ان دولة اوربيَّة تمتلك مصادر النيل فتصير حياة مصر في يدها لكنَّ الحكومة الانكليزيَّة والحكومة المصريَّة رأتا سنة ١٨٩٦ انهُ حان الوقت لاسترجاع السودان من حيث الرجال ومن حيث المال فانقذتا مَن بقي من سكانهِ من حكم يضرب بهِ المثل في الفتك والظلم والاستبداد ووقتا مصر من خطرين كانا يتهددانها دائماً وسهلتا السبل لتعمير السودان وللتحكم بماء النيل حتى يروي كل ما يمكن ريهُ من اطيان القطر المصري فتزيد ثروتهُ السنويَّة اضعاف اضعاف ما انفق على استرجاع السودان وما ينفق على تعميرهِ الآن

اما الزيادة التي نتجت في الايرادات فاكثرها من الجمارك وسكة الحديد اي من الرسوم التي تأخذها الحكومة على الواردات ومن اجور الركاب والبضائع في سكة الحديد لا لانها زادت معدل هذه الاجور وتلك الرسوم عما كانت بل لان البضائع كثرت والركاب كثروا فزاد الايراد. اما الجمارك فكان دخلها سنة ١٨٩٧ نحو ٩٣٤٠٠٠ جنيه فبلغ في العام الماضي ٢١٤٢٨٤٤ اي انهُ زاد مليوناً ومئتي الف جنيه . ورسم التبغ كان ١٠٤٥٠٠٠ فصار ١٦٤٨٤٥٣ فزاد اكثر من ستمائة الف جنيه ورسوم الموانئ كانت ١٥٢٠٠٠ فصارت ٢٩٦٦٠٥ فزادت اكثر من ١٤٠ الف جنيه . وايرادات سكة الحديد كانت ١٩٨٣٠٠٠ فصارت ٣٥٦٥٠٤٠ فزادت نحو مليون وستمائة الف جنيه . والتلغراف كانت ٤٦٠٠٠ جنيه فصارت ١١٤٣٤١ جنيهاً اي انها زادت نحو سبعين الف جنيه والبوسطة كانت ١١٩٠٠٠ فصارت ٣٠٥٩٥٦ فزادت مئة وتسعين الف جنيه . وقد وضعنا الايرادات في سنة ١٨٩٧ و ١٩٠٧ في الجدول التالي واقتصرنا على عشرات الالوف فما فوق

	سنة ١٨٩٧	سنة ١٩٠٧	الزيادة
سكك الحديد	١٩٨٠٠٠٠	٣٥٦٠٠٠٠	١٥٨٠٠٠٠
الجمارك	٠٩٣٠٠٠٠	٢١٤٠٠٠٠	١٢١٠٠٠٠
رسوم الدخان	١٠٤٠٠٠٠	١٦٥٠٠٠٠	٠٦١٠٠٠٠
الموانئ	٠١٥٠٠٠٠	٠٢٩٠٠٠٠	٠١٤٠٠٠٠
البوسطة	٠١٢٠٠٠٠	٠٣٠٠٠٠٠	٠١٨٠٠٠٠
والجملة	٤٢٢٠٠٠٠	٧٩٤٠٠٠٠	٣٧٢٠٠٠٠

فهذه خمسة اقلام فقط بلغت زيادة الايراد فيها ثلاثة ملايين و ٧٢٠ الفاً من الجنيهات فلما ثبت للحكومة ان ايراداتها آخذة في الازدياد عاماً بعد عام اهتمت بالاتفاق مع فرنسا على

طريقة تبيح لها انفاق ما تريد انفاقهُ ممَّا يتوفَّر لديها في ما يعود على القطر بالنفع لانها كانت ممنوعة من ذلك بحسب اتفاق لندرا . فلما انطلقت يداها زادت رواتب مستخدميها وجعلت تنفق على المصالح والاعمال النافعة بسخاء حاتمي . فقد كانت ميزانية نظارة المعارف في العام الماضي ٣٥١٩٢٤ جنيهاً ولكنها انفقت عليها ٤٦٦٤٣٠ جنيهاً عدا ما انفقتهُ على مدرسة البوليس واصلاحيَّة الاحداث . وكانت نفقات المصالح الصحيَّة حسب الميزانية ٢٦٢١٥٩ فانفقت عليها ٣٧٣٣٤٧ جنيهاً وكانت نفقات نظارة الاشغال العمومية ١٢٦١٨٨٦ جنيهاً فانفقت عليها وعلى اعمالها المختلفة المتعلقة باصلاح الري وتحويل ري الحياض الى ري صيفي وبناء قناطر اسنا مبلغ ٣٢٥١٩٧٨ جنيهاً وكانت نفقات سكك الحديد حسب مربوط الميزانية ١٩٦٤٢١٩ جنيهاً فانفقت ٣١٤٩٣٤٨ جنيهاً والمجموع المربوط لهذه الفروع كلها في الميزانية العمومية ٣٨٤٠١٨٨ جنيهاً فانفقت عليها في العام الماضي ٧٢٤١١٠٣ جنيهات كما نرى في هذا الجدول

	مربوط الميزانية	المصروف
المعارف	٠٣٥١٩٢٤	٠٤٦٦٤٣٠
المصالح الصحيَّة	٠٢٦٢١٥٩	٠٣٧٣٣٤٧
نظارة الاشغال	١٢٦١٨٨٦	٣٢٥١٩٧٨
السكك الحديد	١٩٦٤٢١٩	٣١٤٩٣٤٨
والجملة	٣٨٤٠١٨٨	٧٢٤١١٠٣

والفرق بين المربوط في الميزانية والمصروف على هذه الفروع الاربعة فقط ٣٤٠٠٩١٥ اخذتها من وفر السنين الماضية وهذه النفقات كلها رأس مال تربح البلاد منهُ ادبيًّا وماديًّا ولا يعترض عليهِ الَّا اذا كانت المراقبة عليهِ غير كافية فينفق بعضهُ من غير ان تنال البلاد منهُ ما يساويهِ نفعاً او اذا أُنفق بعضهُ وكان انفاقهُ في غير محلهِ . فاذا انشأَت مصلحة الري ترعة وكانت هذه الترعة لازمة وانفقت على انشائها خمسين الف جنيه وكان يستحيل عليها ان تنشئها باقل من ذلك فتكون قد فعلت عين الصواب في انشائها ولكن اذا كانت تلك الترعة غير لازمة او كان يمكنها ان تنشئها باربعين الف جنيه وانفقت على انشائها خمسين الف جنيه فتكون قد ارتكبت الخطأ والخطل في انشائها او في انفاقها عليها خمسين الف جنيه . الَّا اننا نرجو ان تكون اعمال الحكومة جارية كلها بعد التروي والتبصر فلا تعمل الَّا ما هو لازم مفيد ولا تنفق الَّا ما لا بدَّ من انفاقهِ شأن الوصي على اموال الامَّة الموصوف بالحكمة والاستقامة

تحوُّل العناصر واصطناع الذهب

سألنا سائل في الجزء الماضي عن تحوُّل العناصر قائلاً لماذا لا يصدَّق اليوم تحويل القدماء بعض المعادن الى ذهب فاجبناهُ ان التحويل الذي تمَّ حتى الآن مشكوك فيهِ وانهُ اذا فرضنا انهُ ثبت تماماً بما ينفي كل شك فهو من الاعلى الى الادنى ومن الثقيل الى الخفيف اي كأنهُ حلٌّ لا تركيب. ولكن مبدأ التحول لم يعد منكرًا فان الكيماويين كانوا يقولون ان الظواهر الكيماوية المعروفة تدلُّ على ان العناصر بسيطة كلها لا تتغير ولا تتحوَّل. فالذهب يبقى ذهباً دائماً ولا يصير فضةً ولا حديداً. والحديد يبقى حديداً ولا يصير ذهباً ولا نحاساً والنحاس يبقى نحاساً ولا يصير فضةً ولا ذهباً والاكسجين يبقى اكسجيناً ولا يصير هيدروجيناً ولا نيتروجيناً وهلمَّ جرًّا. ولكن المعارف الكيماوية زادت قليلاً باكتشاف الراديوم فظهر منهُ انهُ يتكون منهُ في بعض حالاتهِ عناصر اخرى لها خواص معلومة ثم ظهر انهُ يفعل بالنحاس ويحولهُ الى عنصر آخر. وهذا الامر الثاني لم يثبت حتى الآن ثبوتاً ينفي كل ريب فعاد كثيرون من الكيماويين يقولون اليوم ان المعارف الكيماوية الحديثة تدلُّ اي ان تحوُّل العناصر بعضها الى بعض امر ممكن وواقعي ايضاً. وغالى بعضهم فقال ان العنصر الاصلي واحد فقط وكل انواع المادة اشكال منهُ او مظاهر من مظاهرهِ

واشرنا في جوابنا المشار اليهِ الى ادعاء بعضهم عمل الذهب ووعدنا باشباع الكلام على هذا الموضوع وانجازًا لذلك نقول

لا يزال جمهور من العلماء في اوربا واميركا يعتقد صدق الكيمياء القديمة اي صدق ما قالهُ الاقدمون عن تحويل بعض المعادن الى ذهب وفي فرنسا جمعيةٌ لهؤلاء العلماء ومن اعضائها المسيو فلامريون العالم الفلكي المشهور

وقد كتب الاستاذ تشارلس بسكرڤل مقالة في هذا الموضوع نشرتها مجلَّة العلم العام الاميركية في شهر يناير الماضي قال فيها انهُ يظهر احياناً في محلول املاح الفضة نقط صفراء ذهبيةٌ لكن ظهورها لا يتبع قاعدة معلومة فقد تظهر وقد لا تظهر. ومن المرجح ان ظهور هذه النقط في محلول الفضة جعل الناس يعتقدون ان الفضة تتحول الى ذهب ثم اذا عولج طرطرات الفضة بطرطرات الحديد استحالت الفضة كلها الى مادة صفراء ولا بد من ان يكون المذوبان اي مذوب طرطرات الفضة ومذوب طرطرات الحديد خفيفين وجديدين فيرسب من المزيج مسحوق احمر يسود ثم يصفرُّ اذا رشح و يصير كمسحوق النحاس الاصفر او البرنز واذا جفف

صار منهُ جسم جامد كالذهب لوناً وشكلاً ويبقى لونهُ فيهِ الى ما شاء الله لكن الحوامض تُعيد اليهِ لون الفضة المعروف وكذلك الضغط

وقد توسَّع بعضهم في هذه الطريقة فاضاف اليها البرد الشديد والضغط الشديد وادَّعى الدكتور امنس منذ عشر سنوات[1] انهُ صنع من الفضة معدناً يشبه الذهب تماماً وسمَّاهُ باسم مركبٍ من اسميهما وهو ارجنتورم وادَّعى ان الاوقية من الفضة تكوّن ثلاثة ارباع الاوقية من هذا الذهب . وقال انهُ لا بدَّ من نفقات كثيرة يقتضيها طول المدة اللازمة لاستحالة الدقائق من الفضة الى الذهب لكن مهما كثرت هذه النفقات يبقى ربح من كل اوقية يساوي ثلاثة ريالات . وقال ان الدكتور كابل هو يتهد محال دار ضرب النقود في وشنطون قبل ست سنوات من هذا المعدن كانها ذهب حقيقي وثمنها نحو الف ريال . الَّا ان السر وليم كروكس الكيماوي الشهير امتحن ذهب الدكتور امنس فوجد فيهِ ذهباً ومعادن اخرى وكتب الدكتور وودورد حينئذٍ في جريدة العلم (سينس) ينتقد الدكتور امنس و ينسب اليهِ الغش والخداع فاقام الدكتور امنس قضية عليهِ وعلى محرر الجريدة المسؤول لم يصدر الحكم فيها حتى الآن

ولديَّ اساليب كثيرة ادَّعى اصحابها انهم صنعوا الذهب بموجبها وقد كتب اليَّ المستر هنتر من فيلادلفيا يقول " اني اتقنت الطريقة المبنية على اختباري الشخصي لعمل الذهب على اسلوب منهُ ربح كبير جدًّا وقد رسمت شكل الآلة اللازمة لذلك لاقيمها في معمل بفيلادلفيا وانا ساعٍ الآن في جمع نصف مليون ريال لتكون رأس مال تصنع بهِ هذه الآلة ويبنى بهِ المعمل اللازم لها. واني عالم ان الناس يهزأُون بي ورجال العلم لا يصدقون اني انجح في عملي ولكنني انا اعرف حقيقة عملي ولا يهمني ما يقول الناس عني "

وقد بعث اليَّ المستر هنتر قطعاً من الفضة فيها قليل من الذهب وقال ان الذهب اخذ يتكوَّن فيها بطريقته السرّية

الَّا ان تحويل العناصر لا يقتصر على تحويل الفضة الى ذهب بل يتناول غيرها من العناصر فقد ادعى العالم فتكا ان الفصفور يتحوَّل الى زرنيخ بفعل الامونيا بهِ ويتحوَّل ايضاً الى انتيمون لكن جمهوراً كبيراً من الكيماويين (وذكر اسماءهم) بينوا ان دعواهُ غير ثابتة

ثم ذكر الكاتب ما اشرنا اليهِ في صدر هذه المقالة من تحول الراديوم الى الهاليوم وغيره من العناصر. والموضوع كبير الاهمية والبحث فيهِ مستمرٌّ ولا نتأخر عن ذكر ما يثبتهُ العلماء فيهِ

(١) انظر تفصيل ذلك في المجلد الحادي والعشرين والثاني والعشرين من المقتطف

حقيقة المادة ووحدة الخلق

قال الدكتور بوز احد اساتذة كلكتا ببلاد الهند في كتاب الفهُ حديثاً انهُ اكتشف ان المعادن تتأثر كالاحياء وتتعب مثل الاحياء من استمرار التهييج ثم اذا استراحت زال تعبها واستردَّت قوتها . وتسترد قوتها وتنتعش اذا وضعت في حمَّام فاتر كما يستردُّ المتعب قوتهُ اذا استحمَّ . واذا اشتدَّ البرد عليها خمدت خمود من قرَّهُ البرد واذا اشتد الحر عليها اصابها تيبُّس الحر واذا عولجت بالسموم اسرع اليها الموت فان الدكتور بوز سمَّ قطعة من المعدن فلم تعد تتأثر بالكهربائية كما كانت تتأثر قبلاً . ثم عولجت بترياق ذلك السم فانتعشت قواها رويداً رويداً وعادت الى سابق عهدها

فاذا ثبت ذلك لم يبقَ بين الحي والجماد فارق كبير ولكن سواء ثبت او لم يثبت فلا شبهة الآن ان اجسامنا واجسام سائر انواع الحيوان والنبات وكل انواع الجماد مؤلفة من مواد متشابهة وعناصر متماثلة اي ان الماء الذي في جسم الانسان والماء الذي في جسم الفرس والحمار والكلب والافعى والنملة والبرتقال والعنب والخس والفجل والسحاب والتراب هو واحد في كل خواصهِ وصفاتهِ . والعناصر البسيطة كالاكسجين والهيدروجين والكبريت والفصفور التي في جسم الانسان وفي اجسام الحيوانات والنباتات والحجارة والاتربة وكل الموجودات الارضية والسموية هي واحدة في خواصها وصفاتها . فمها رأينا من الفرق الظاهر بين جسم الانسان وبين التراب الذي تحت قدميهِ لا نشك ان الماء الذي في جسمهِ مثل الماء الذي في التراب تحت قدميهِ والجير (الكلس) الذي في عظامهِ واسنانهِ مثل الجير الذي في التراب تحت قدميهِ . واذا كانت العناصر البسيطة كلها نحو ثمانين عنصراً فكل الناس وكل الحيوانات وكل النباتات وكل الجمادات وكل الاجرام السموية وكل ما يرى في هذا الكون المادي — كل ذلك مؤلف من هذه العناصر لا غير . ومهما قال الذين يفرقون الانسان عن غيرهِ من الموجودات لا يستطيعون ان يفرقوا بينهُ وبينها من حيث تماثل العناصر التي يتركب منها جسمهُ وتتركب منها اجسامها

لكن العلوم الطبيعيةَ لم تقف عند هذا الحد بل يرى اربابها الآن ان هذه العناصر البسيطة ليست البسائط الاولى التي تتركب منها المادة بل هي نفسها مركبات من دقائق عنصر واحد وهذه الدقائق صغيرة جدًّا حتى ان كل الف دقيقة منها تساوي في وزنها وزن

جوهر واحد من الهيدروجين الذي هو اخف العناصر كلها فعدد ما يوجد منها في حبة الرمل يفوق عدد نجوم السماء

وهنا اختلف العلماء في حقيقة هذه الدقائق فقال بعضهم انها قوة كهربائية لا غير بانين قولهم هذا على ان كل خواص المادة يمكن تعليلها اذا فرضنا ان الدقائق التي تتألف منها هي قوات كهربائية سلبيَّة وايجابيَّة . وقال البعض الآخر ان في كل دقيقة من هذه الدقائق نواة صغيرة جداً وهي المادة الاصلية والحامل للكهربائية. ومقدار المادة الاصلية في الدقيقة صغير جداً فالمادة الاصلية في المتر المكعَّب من البلاتين لا تزيد على مليمتر مكعب ففي كل الف مليون متر مكعب من البلاتين متر واحد مكعب من المادة . فاذا قابلنا ذلك بهرم الجيزة حكمنا ان المادة الحقيقية في كل خمس مئة هرم مثل هرم الجيزة الاكبر لا تزيد على متر واحد مكعب . الَّا ان الاكثرين على المذهب الاول وهو ان المادة قوة متحركة لا غير لانهُ اذا كانت هذه الحركة سريعة سرعة النور فعلت كل افعال المادة المعروفة . وقد سُميت دقائق هذه القوة المتحركة الكترونات ففي الجوهر من الهيدروجين نحو سبع مئة من هذه الالكترونات نصفها سلبي ونصفها ايجابي والجوهر من الصوديوم مؤلف من ١٦٠٠٠ من هذه الالكترونات والجوهر من الباريوم مؤلف من ١٠٠٠٠٠ الكترون والجوهر من الراديوم مؤلف من ١٦٠٠٠٠ الكترون وهلمَّ جرًّا

وهذه الالكترونات تجتمع بعضها مع بعض على صور شتى كما تجتمع الحروف في الكلمات فتتألف منها الاجسام الآلية وغير الآلية من دقائق الدماغ وكريات الدم الى قطرات الماء وحبوب الرمل

وفي هذه الالكترونات من القوة ما يفوق كل تصوُّر حتى لقد حسبوا ان في الاوقية من الراديوم قوة تكفي لرفع ما ثقلهُ عشرة آلاف طن الى علو ميل وان في الرطل من الفحم قوة تزيد اكثر من مليون ضعف على ما يتولَّد منهُ من الحرارة باشتعالهِ

هذه امور يقف عندها العقل مدهوشاً ولكنهُ قلما يرى صعوبة في تصديقها . اليس من المؤكد اننا ندفن في التراب فنستحيل تراباً وانهُ اذا حرقت اجسامنا احترقت ولم يبقَ منها الَّا حفنة من الرماد فما نحن الاَّ تراب ورماد عناصر اجتمعت بعضها مع بعض فتألفت منها اجسامنا ولا مانع يمنع ان تكون هذه العناصر كلها اشكالاً من عنصر واحد ولا ما يمنع ان يكون ذلك العنصر قوة متحركة

ولكن هل نرضى ان نقف عند هذا الحد هل نسلم ان اجسامنا تراب ورماد او قوة

متحركة اي جزء صغير من القوة العامة الشاملة لهذا الكون حتى اذا انقضى الاجل وعاد هذا التراب الى الارض التي اخذ منها عادت القوة المتحركة الى مصدرها ولم يبقَ منا شيء آخر. الا يرشدنا استدلال العلماء هذا الى ان فينا قوة خالدة وماذا يمنع ان تكون هذه القوة ممتازة عن القوى التي في سائر المخلوقات الارضية وان وجداننا يبقى فيها ولو انحلَّ الجسم الى التراب الذي اخذ منهُ

وفوق ذلك فان احكام العلم ليست نهائية فكما نقضنا اليوم كثيرًا من احكام السابقين لا يبعد ان يأتي بعدنا اناس ينقضون احكامنا

مادة الكاتب

لو استنفد كاتبٌ فرائد اللغة بحثًا وتدقيقًا وجمع من التراكيب الانيقة معجماً كبيرًا واستظهر الشيء الكثير ما استطاع انشاء مقالة اذا لم يعِ صدرهُ المواد التي يبني عليها ويأخذ بها. وكيف يستطيع النجار الماهر صنع صندوق ولا خشب لديهِ. فالكاتب لا يسمى كاتبًا اديبًا او بارعًا او مجيدًا وما شاكل هذه اوصاف التي تدل على مقدرتهِ في الانشاء الاَّ اذا حصل على المادة وليس حصولهُ عليها امرًا سهلاً وانما هو ينالها بالدرس وقوة الملاحظة واعمال الروية

الدرس وفيهِ ابواب

باب التاريخ · يُظنُّ لاول وهلة اننا نريد بالتاريخ حفظ اسماء وتواريخ ازمنةٍ لا تقوى ذاكرة على حفظها فلدفع هذا الوهم نقول اننا نقصد بهِ معرفةً اقرب الى التخصيص منها الى التعميم بل هي تكاد تنحصر في تاريخ البلدان المشهورة والبلاد التي يقطنها الكاتب. وتفصيل هذا الاجمال انهُ يجب على الكاتب ان يكون ملمًّا بتواريخ كثيرين من اعاظم الرجال الذين عمروا البلدان ورفعوا الامم والممالك واشياء ممَّا فعلوهُ وكانت سببًا في شهرتهم. فما يجب الالمام بهِ من تاريخ انكلترا مثلاً هو كيف اسس رجال البحر قوة انكلترا البحرية وحركتها التجارية في عهد الملكة اليصابات ثم اشتدت عرى التكاتف والتضافر منذ ذلك الحين فارتقت من مصاف الطبقة السادسة الى الطبقة الاولى في قوتها البحرية واتساع نطاق متاجرها وصارت اليوم مالكة البحار واول الدول في الاستعمار · فمتى ولد اولئك الرجال ومتى ماتوا وما هي اسماء سفنهم امور لا تهم الكاتب ولكن الذي يهمهُ هو استيعاب ما قاموا بهِ من عظائم الامور والوقوف على نتائج مساعيهم

وتراجم مشاهير الرجال خير ذريعة للوقوف على تواريخهم فطالعها ولا تترك سيرة قائد عظيم او سياسي محنك او نابغة في العلوم والفنون دون ان تتبحر فيها وتستوعبها بحيث اذا انشأت مقالة عن واحد منهم كان لما تقوله طلاوة ومعنى يستميل الخواطر اليهما فتذكر الحقائق التي تؤيد موضوعك وتبتعد عن التفاصيل المملة وتواريخ الازمنة فتبين مثلاً ما كان للرجل الذي تكتب عنهُ من التأثير في تاريخ العالم وما اتاهُ من الفعال الغراء ذلك خير من ذكرك تاريخ ولادتهِ وزواجهِ وما رزقهُ من الاولاد (الأ اذا كان لاحدهم تاريخ مأثور) ويوم وفاتهِ. فان معرفة ما طرأ على الاحوال الاجتماعيَّة والاقتصادية من اكتشاف كولمبوس للعالم الجديد اهم كثيرًا من معرفة جنسيتهِ انهُ ايطالي

باب العلوم الطبيعيَّة. ومما يساعد الكاتب ايضاً وقوفهُ على بعض القواعد الاصلية في العلوم الطبيعيَّة لتقسنى لهُ المشابهة والمقارنة في وحدة الناموس الطبيعي. فيجب عليهِ ان يتعلم اهم القواعد في الفلسفة الطبيعيَّة والكيمياء والجيولوجيا وعلم طبائع الحيوان وعلم النبات والفلك. ولا حاجة الى التوسُّع في المسائل الصعبة والتفاصيل المملة فيكفي ان يستخلص الكاتب منها ما يجملهُ قادرًا على ان يدرك حقائق كالحقائق الآتية : —

(١) ان قضبان سكك الحديد لا يوضع بعضها ملاصقاً لبعض بل يترك بين القضيب والقضيب مجال كافٍ للتمدد الذي تحدثهُ الحرارة في فصل الصيف

(٢) ان السبب الاعظم في يبس النبات ابان البرد القارس هو ان الماء الذي يتألف منهُ معظم العصارة النباتية يتمدد فتنفجر جدران الخلايا و يتلف النسيج

(٣) ان يعرف خواص الهواء والماء وغيرهما من العناصر الطبيعية والكيماوية التي لها علاقة بحياتنا اليوميَّة

(٤) ان يعرف القواعد العمومية التي تجري عليها الحوادث الجوية واسباب المطر والرعد والعواصف وما شاكل

باب الجغرافية. يجب ان يعرف من علم الجغرافية الوجوه التجارية والاقتصادية والسياسية فلا يدرس المطولات المملة في ذلك وانما يكفي ان يعرف مثلاً : —

(١) موقع البلاد وهواءها وشكلها وتأثير ذلك في تقدمها وثروتها

(٢) حاصلاتها وارداتها وصادراتها

(٣) مصنوعاتها وما اشتهرت بهِ من هذه المصنوعات واسباب تقدمها وتأخرها

(٤) العوامل التي سببت ارتفاع شأن بعض المدن وانحطاط غيرها

وهو يرى ان نجاتك يكون موته وبغناك يكون فقره وبقوتك يكون
ضعفه ه وقد قال مؤلف الكتاب ه

لا تحقرن من الضعيف عداوة فالنار تحرق جمرها وشرارها
واحذر مداجاة العدو وكيده ان العداوة ليس تخبو نارها

وقال العزي ه

لله درك ما نظرت بناظر حران ليس عن التراث براقد
ايقظته ورقدت عنه ولم ينم خنقا عليك وكيف نوم الحاقد
ان تمكن الايام فيك وعلها يوما يكل لك بالصواع الزائد

وقالت الحكما اياك والثقة بعدو لك اذا صالحك واظهر لك
غاية النصيحة فان صلح العدو لا يسكن اليه ولا تغتر به
فان الما لو اسخن فاطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفا النار اذا صب
عليها وانما صاحب العدو المصالح كصاحب حية يحملها في كمه ه
وقالوا اذا احدث لك عدو لك صداقة لعلة الجاته الى ذلك

فمع ذوال

فبعد زوال تلك العلة ترجع العداوة الى ما كانت عليه كالماء الذي
يطال اسخانه فاذا رفع عن النار عاد باردًا ه   وقالوا ان
الاحقاد مخوفة حيث كانت واشدها ما كان في انفس الملوك فان
الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمة ولا ينبغي للعاقل
ان يغتر بسكون الحقد فانما مثله في القلب ما لم يجد محركًا مثل
الجمر المكنون ما لم يجد حطبًا ولا يزال الحقد يتطلع الى العلل كما يبتغي
النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفيه ما
ولا كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا شي دون الانفس
وقد قيل احزم الملوك من لم يلتمس الامر بالقتال وهو يجد الى غيره القتال
سبيلا لان النفقة في القتال من الانفس وساير الاشيا انما النفقة
فيها من الاموال والقول ه   وقالوا اضعف حيل الحرب اللقا
وصرعها اللين والمكر اشد استيصالا للعدو وصرعها المكابرة والحازم
اذا نابه الامر العظيم المفضع الذي يخاف منه الجايحة المخوفة

(٥) معرفة مواقع البلدان والمدن التي تألف سماعها من الحوادث القريبة العهد والاحوال الجارية كالترنسفال واليابان ومنشوريا ومكدونيا ومراكش الخ

ويحسن بالكاتب ان يعلق خريطة الكرة الارضية امامهُ وان يضع مذكرة في جيبهِ يعلق فيها ما يقف عليهِ في الصحف والمجلات من الحوادث عن الاحوال التجارية والسياسية وان تكون اصفحات هذه المذكرة نمر متسلسلة وتؤخذ هذه النمر وتوضع الى جانب المدن والجهات التي وقعت فيها تلك الحوادث وذلك لكي يرجع الكاتب اليها متى مست الحاجة مثال ذلك ان ما كتبهُ في مذكرتهِ عن مدينة بمباي هو على الصفحة الخامسة فيضع بجانب هذه المدينة في الخريطة نمرة ٥

ومما يجب على الكاتب ان لا يهمل درس الجغرافية الطبيعية ولا سيما فيما يتعلق بالبراكين والزلازل وتيارات البحار العظيمة وما شاكل ذلك من المظاهر الطبيعية لان درس عجائب الطبيعة ملذ ومرغوب فيهِ وما خطتهُ يد الطبيعة على سطح الارض اعظم واسمى مما سُطر وكُتب

باب الاقتصاد . ان علم الاقتصاد لمن اجل العلوم شأناً والزمها للكاتب يبحث فيهِ عن تثمير الاموال والتصرف بها بالحكمة وبعبارة اخرى عن كل ما يؤول الى ترقية بني البشر مادياً فهو يصف اساليب الصناعة والتجارة في الزمن الغابر والحاضر ويوضح نظام التجارة ومواقها وكيفيَّة نقل البضائع والمخابرات التجارية فالواجب على الكاتب درسهُ والتبحر فيهِ

باب شؤون مختلفة. ونقصد بها ان يجري الكاتب مع الحوادث فيعرف تقلباتها واحوالها في داخل بلادهِ وفي خارجها ويستوعب المهم منها بمطالعة الصحف كالمقالات السياسية والمالية والادبيَّة والعلمية فيقتطف منها ما يروقهُ من الحقائق والفوائد ويرتبها في دفتر يضع لهُ فهرساً يسهل عليهِ الرجوع اليها وقت الحاجة ثم يراجعها ويحذف منها ما يجدهُ قد صار تافهاً اولا اهمية لهُ فتقوى فيهِ ملكة الانتقاد ويكون لهُ منهُ مختصر عصريٌّ حاوٍ اشياء من الاكتشافات والعلوم الحديثة مثل التلغراف اللاسلكي والطيران والراديوم والاثير والدعوى بصنع الالماس وغيرها من الحجارة الكريمة وكالازمة المالية التي نكب بها كثير من البلدان في هذا العام

وليس التعليم رزماً من الكتب والورق يتأبطها الكاتب او يضعها في خزانتهِ بل هو مخالطة العالم ومعاملة الناس وممارسة الاعمال . قالوا ان الطبيعة خير استاذ ويعنون بذلك ان الارض والسماء والغابات والحقول والبحيرات والانهار والجبال والبحار هي احسن ما يستفيد منهُ الانسان بالسمع والعيان . وقالوا ان المرء يجمع بالمطالعة والتعليم مواد يطرح قسماً كبيراً منها لقلة فائدتهِ وتفاهتهِ وان اعمال الروية في انتقاء الصالح من هذه المواد يشبه

بنّاء ينتقي الحجارة الملائمة ليشيد بها البناء

قوة الملاحظة

تعلَّم وتمرَّن على ملاحظة الحقائق بالدقة والبحث فيها فلا تدع قوة الملاحظة فيك تتعود الكسل والخمول . فبعض الناس يسيرون في هذا العالم مغمضي العيون والبعض يسيرون محملقي البواصر ولكنهم لا يبصرون فان في حركاتنا وسكناتنا وتأملاتنا اشياء ثمينة جدًّا يمكننا اكتسابها . فاذا كنت في الريف او المتنزهات او مسافرًا في سكة الحديد او على باخرة تمخر بك عباب البحر مرّح ناظريك في الطبيعة سهولها وجبالها وانهارها وبحارها وشلالتها وغاباتها ومتى عدت الى منزلك فاكتب خلاصة ما رأيت وما عنَّ لك من الافكار ودعها الى حين الحاجة اليها فاذا كتبت عن المتنزهات او وصف جمال الطبيعة او فصل الربيع وما شاكل ذلك كان عندك ذخر تستند اليهِ وتتوكأ عليهِ

فالوصف من اشد انواع الانشاء صعوبة ولا يبرع فيهِ الاَّ قليلون من الكتّاب على انهُ يخلق بكل عاقل ان يستعمل عينيهِ و يسطر ما يراهُ بلغة صحيحةٍ وعبارة فصيحة . فمن الغربيين الذين اشتهروا باجادة الوصف اسكندر دوماس وسكوت ورسكن وفي لغتنا العربية شعراء كثيرون اجادوا الوصف وفي طليعتهم البحتري ورأيت بعض كتابنا يجيدون الوصف نثرًا ولكني لم اعجب باحد منهم اعجابي بالدكتور يعقوب صروف ولا سيما في رحلتهِ النيليَّة ورحلتهِ الى اوربا اللتين نشرهما في المقتطف

لا تأنف من حفظ ما يلفت نظرك من عوائد اهل بلادك والبلاد التي تسافر اليها وما يتناقلونهُ عن تاريخها وتقاليدها فاذا كنت تتنزه الخاطر ايام العطلة ففتح عينيك وعِ باذنيك لالتقاط مواد تفيدك عندما تكتب في موضوع كالمقارنة بين المدن والارياف في المعيشة او موسم القطن او حالة الفلاح او اميال اهل الريف لان المعرفة الحاصلة من الاختبار تفوق المعرفة المكتسبة من المطالعة والناقد المتبصر يستطيع التمييز بين الامرين عندما يقرأ كتابة بهذا الشأن وزد على ذلك ان ما تدخرهُ من فوائد الاختبار ينير ذهنك في امور الدنيا فتفهم حقيقة الادوار والفصول التي يمثلها الممثلون المختلفون اعني تمثيل رواية الحياة على مرسح الدنيا

التفكير

ان التفكير او اعمال الروية امر من الاهمية بمكان ولكنهُ مهمل في غالب الاحيان مع ان اعمال الروية لازم للكاتب في انشاء المواضيع وإلاَّ جاءت كتابتهُ فارغة من المعاني التي تجذب القلوب اليها . قال احد علماء الفرنجة ان الكتابة السقيمة تدل على ان كاتبها

قليل التفكير والروية لا يحسن تنسيق المعاني ولا اختيار الالفاظ والتراكيب

التصور والخيال

نعم ان الحقائق لازمة للوصف ولكن هناك امرًا لا غنى عنهُ وهو التعبير عمَّا تولدهُ المناظر الطبيعية فينا من التأثير عند ما نشاهدها فان معظم الناس يسرحون النظر في المناظر الطبيعية الجميلة او المباني الفخيمة او الصور البديعة ويشعرون بتأثير عظيم ولكنهم يجدون صعوبة كلية في التعبير عما يشعرون بهِ بالكلام فهم يشعرون بذلك ولا يستطيعون ان يدركوا كيف نشأ فيهم ولماذا هم يشعرون بهِ هل سببهُ الجبال الشاهقة التي رأوها او البحيرات الساكنة الفضية الماء او الاشجار الباسقة على سفوح التلال المجاورة او المروج الخضراء اللابسة حللها السندسية فقد يكون السبب بعض هذه الاشياء او كلها جملة واحدة تمثلت امامهم منظرًا مختلف الالوان والاشكال كأنهُ نقوش كنقوش الفسيفساء اجتمعت كلها فاسترعت نظرهم واثرت فيهم فشعروا بجمال المشهد الطبيعي ولكنهم لم يدركوا مصدر شعورهم لانهم لم يستعملوا موهبة التصور والخيال التي طالما ساعدت الشعراء والكتاب على رسم صورٍ واشكالٍ في اقوالهم ليس لها وجود اصلاً وارشدت الموسيقي الى توقيع الانغام والالحان المطربة وقادت يد النقاش والنحات فحولت قطعة القماش او الرخام الى صور تكاد تتحرك وتنطق . موهبة طالما نجَّت كثيرين ممن يقضون السنين الطوال في اعماق السجون من ضياع الرشد والاصابة بالجنون . فالواجب ان لا نهمل هذه الموهبة السامية بل نقويها ونشركها مع حاسة النظر فلا يقول من يجوب بلادًا من اقصائها الى اقصائها انني لم ارَ فيها شيئًا استلفت نظري

حدق بعينيك الى كل ما تراهُ وتصوَّر وتروَّ واجعل الخيال مقاربًا للحقائق . اشرف على منظر بديع فيهِ جبال واودية وانهار جارية وبحيرات ساكنة واشجار باسقة وقد فرشت ارضهُ بازهار الربيع وقارنْ بينهُ وبين منظرٍ قاحلٍ بناقضهُ وتوهم انك تحذف من المنظر الجميل الازهار او الانهار او غيرها وكلما حذفت شيئًا اسأل نفسك كيف يصير هذا المنظر اذا حرم من هذا وذاك فاذا ازلنا منهُ الجبال فقد العظمة والجلال واذا جففنا البحيرات خسر الرقة والنعومة واذا خلعنا حلتهُ الزبرجدية فقد البهجة والرواء واذا نضبت انهارهُ وقلعت اشجارهُ استولت عليهِ الوحشة ولم نعد نسمع خرير الماء وتغريد الطير على الاغصان . بذلك يستطيع كل احد ان يدرك اسباب شعورهِ بتأثير المناظر الطبيعيةّ في النفس وان يربي فيهِ ملكة التصور والخيال فهذه موهبة تعين الكاتب على الوصف وترفع منزلتهُ بين الكتاب

فالذي يمرن هذه الموهبة بالاساليب التي ذكرناها وبغيرها يستطيع وهو مغمض عينيهِ

ان يرى كما رأى ابو العلاء المعري في قصيدتهِ المشهورة التي قالها عن لسان درع يخاطب سيفاً وهو كفيف البصر

سليم خوري

بقلم سكرتير مالي السودان

السياسة من لباب الآداب

ذكرنا في الجزء الاخير من العام الماضي انهُ وقعت لنا النسخة الاصلية من كتاب لباب الآداب الذي الفهُ اسامة ابن منقذ الكناني الملقب بمؤيد الدولة في اواخر القرن السادس للهجرة اي منذ نحو ٧٥٠ سنة ولم يكد المقتطف ينتشر حتى كتب الينا الاستاذ درنبرج المستشرق الشهير من باريس يقول ان الكلمة التي تعذرت علينا قراءتها في اول السطر الثاني من الصفحة الاخيرة هي كلمة "عالية" واسم الناسخ "غنايم" فنرفع الى حضرتهِ واجب الشكر وما هي اول مرة اخذنا لغتنا عن العجمي. هذا وقد رأينا ان نستأنف النقل من باب السياسة الذي نقلنا بعضهُ في ذلك الجزء من المقتطف وجعلنا سطور الصفحتين التاليتين كما هي في الكتاب ورسمنا تينك الصفحتين بالفوتوغراف لكي تظهر اشكال الحروف وطريقة الخط

"قال الحكماء الحازم من لم يشغلهُ البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة والهمّ بالحادثة عن الحيلة لدفعها . وقالوا الحزم الحذر عند الامن والعاقل من حذر الليل والنهار فان فيهما مكمن الآفات . وقالوا اياك ان يطمعك الاغترار بالتهاون بالعدو الضعيف فان العدو الضعيف المحترس من العدو احرى بالظفر من العدو القوي المغترّ بالعدو الضعيف . وقالت الحكماء العجز عجزان عجز عن طلب الامر وقد امكن والجد في طلبهِ وقد فات

"وقالت الحكماء مَن كانت فيهِ ثلاث خلال لم يستقم لهُ امر التواني في العمل والتضييع للفرص والتصديق لكل مخبر. وقد قيل اربعة اشياء لا يُستقلُّ قليلها المرض والنار والدَّين والعداوة . وقالوا ان العاقل وان كان واثقاً بقوتهِ وعقلهِ فليس ينبغي ان يحملهُ ذلك على ان يجني على نفسهِ العداوة والبغضاء اتكالاً على ما عندهُ من الرأي والقوة كما ان العاقل اذا كان عندهُ الترياق لا ينبغي لهُ ان يشرب السم اتكالاً على ما عندهُ. وقالوا احذر معاداة الذليل فربما شرق العزيز بالدناية

"وقالت الحكماء لا تنم عن عدوك فانهُ غير نائم عنك ولا تتغافل عنهُ فانهُ غير متغافل عن عثراتك وكيف لا يكون كذلك

وهو يرى بحياتك يكون موته وبغناك يكون فقره وبقوتك يكون ضعفه . وقد قال مؤلف الكتاب

لا تحقرنَّ من الضعيف عداوةً فالنار تحرق جمرها وشرارُها
واحذر مداجاة العدوّ وكيدهُ ان العداوة ليس تخبو نارُها

وقال العربي

لله درك ما تظن بثائر حرّان ليس عن التراث براقدِ
ايقظتهُ ورقدت عنهُ ولم ينم حنقًا عليك وكيف نوم الحاقدِ
ان تُمكن الايام فيك وعلَّها يومًا يكِل لك بالصواع الزائدِ

وقالت الحكماء اياك والثقة بعدوك اذا صالحك واظهر لك غاية النصيحة فان صلح العدو لا يسكن اليهِ ولا تغتر بهِ فان الماء لو سخن فاطيل اسخانهُ لم يمنعهُ ذلك من اطفاء النار اذا صُبَّ عليها وانما صاحب العدو المصالح كصاحب حية يحملها في كمهِ . وقالوا اذا احدث لك عدوك صداقة لعلّة الجأتهُ الى ذلك فبعد زوال تلك العلة ترجع العداوة الى ما كانت عليهِ كالماء الذي يطال اسخانهُ فاذا رُفع عن النار عاد باردًا . وقالوا ان الاحقاد مخوّفة حيث كانت واشدها ما كان في انفس الملوك فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الطلب بالوتر مكرمة فلا ينبغي للعاقل ان يغتر بسكون الحقد فانما مثلهُ في القلب ما لم يجد محركًا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبًا . ولا يزال الحقد يتطلع الى العلل كما تبتغي النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئهُ ماء ولا كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرُّع ولا شيء دون الانفس وقد قيل احزم الملوك من لم يلتمس الامر بالقتال وهو يجد الى غير القتال سبيلاً لان النفقة في القتال من الانفس وسائرُ الاشياء انما النفقة فيها من الاموال والعقول . وقالوا اضعف حيل الحرب اللقاء وصرعة اللين والمكر اشد استئصالاً للعدو من صرعة المكابرة . والحازم اذا نابهُ الامر العظيم المقضع الذي تخاف منهُ الجائحة المخوفة

على نفسهِ وقومهِ لم يجزع من شدة يصبر عليها لما يرجو من حميد عاقبتها ولم يجد لذلك مسًّا ولم يشمخ بنفسهِ عن الخضوع لمن هو دونهُ حتى يبلغ حاجتهُ ومقصودهُ وهو حامد لغب امرهِ لما كان من رأيهِ وحسن اصطبارهِ . وقال الشاعر

اذا المرء والاك الهوان فأوله هوانًا وان كانت قريبًا اواصرهْ
فان انت لم تقدر على ان تهينهُ فذرهُ الى اليوم الذي انت قادرهْ
وقارب اذا ما لم يكن لك قدرة وصمم اذا ايقنت انك فاقرهْ

كتب ارسطاطاليس الى الاسكندر انك قد اصبحت ملكاً على ذوي جنسك واوتيت فضيلة الرئاسة عليهم فما تشرف بهِ رئاستك و يزيدها نُبلاً ان تستصلح العامة لتكون رأسًا لخيار محمودين لا لشرار مذمومين . ورئاسة الاغتصاب وان كانت تُذَم لخصال شتى فان اول ما فيها المذمة انها تحط قدر الرئاسة وذلك ان الناس في سلطان الغاصب كالعبيد لا كالاحرار ورئاسة الاحرار اشرف من رئاسة العبيد ومن تخيَّر رئاسة العبيد على رئاسة الاحرار كمن تخيَّر رعي البهائم على رعي الناس وهو يظن انهُ قد اصاب وغنم . فحال الغاصب في ما يركب من الغصب هذه الحال لانهُ يطلب محل الملك وشرفهُ وليس شيء ابعد من شرف الملك من الاغتصاب لان الغاصب في شكل المولى والملك في شكل الاب اللطيف

"ومما يضع قدر الرئاسة ما كان يصنع ملك فارس فانهُ كان يسمي اباهُ وكل احد من رعيتهِ عبيداً . والرئاسة على الاحرار والافاضل خير من التسلُّط على العبيد وان كثروا وهي عند الناس جميعاً اولى ولا سيما لذوي الفهم والاخطار . وانت حقيق ان تسلَّ سخيمة العامة بما تذيقهم من رفق تدبيرك وتضعهُ عنهم من مكروه العنف والخصامة فان العبيد اذا عرضوا على المشترين لا يسألون عن يسارهم وجاهم وانما يسألون عن اخلاقهم وهل فيهم فظاظة . فالاحرار اجدر ان يتعرَّفوا ذلك وان يعرُّوا منهُ اذا كان ذلك في السلطان ولذلك ما يصيرون الى خلعهِ والوثوب عليهِ . واذا ظهرتَ على فئة فضعْ من اوزار الحرب واوزار الغضب لانهم في تلك الحال كانوا عدوًّا وفي هذه الحال صاروا خولاً فقد ينبغي ان يبدلهم من الغضب رحمةً وعطفاً . وقد ينبغي للسلطان ان يعرف مقدار الغضب فلا يكون غضبهُ شديداً طويلاً ولا ضعيفاً قصيراً فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان . ومن كبر الهمة ان يكون الملك متعطفاً على الناس فانهُ بالعطف والرحمة ينبل ويبعد صيتهُ . وانا اعرفك على هذا المذهب ولكني لا آمن ان تتوانى فيهِ مما جرى عليك من ناس كثير من سوء المشورة فان كثيراً من الناس يشيرون اذا استشيروا بغير ما يشاكل المشار عليهِ

بل بما يشاكلهم وليس بما ينتفع بهِ في الامر الحادث ولكن بما يخصهم نفعهُ في انفسهم

"وانا احبُّ لك ان تقتدي برأي اسندوس حيث يقول ان فعل الخير في الجملة افضل من فعل الشر ومن يستطيع ان يغلب الشر بالخير دون الشر فهي اشرف الغلبتين لان الغلبة بالشر جلد والغلبة بالخير فضيلة . واعلم انهُ قد امكنك ان تودع الناس من حسن اثرك ما ينشر ذكرهُ في آفاق البلاد ويبقى على وجه الدهر فافترص ذلك في اوانهِ واعلم ان الذي يتعجب منهُ الناس الجزالة وكبر الهمة والذي يحبُون عليهِ التواضع ولين الجانب فاجمع الامرين تستجمع محبة الناس لك وتعجبهم منك . ولا تمتنع ان تتكلم بما يطيّب قلوب العامّة فان الناس ينقادون للكلام اكثر من انقيادهم بالبطش . ولا تحسب ان ذلك يضع من قدرك بل يزيدهُ نبلاً ان تنطق بالخير اذ انت على الشر قادر . واعلم ان التودُّد من الضعيف يُعدُّ ملقاً والتودُّد من القوي يعد تواضعاً وكبر همة فلا يمتنع ان تتودَّد الى العامّة لتحصل لك محبتهم وتنال الطاعة منهم . واعلم ان الايام تأتي على كل شيء فتخلق الافعال وتمحو الآثار وتميت الذكر الأ ما رسخ في قلوب الناس بمحبة تتوارثها الاعقاب . فاجتهد ان تظفر بالذكر الذي لا يموت بان تودع قلوب الناس محبة يبقى بها ذكر مناقبك وشرف مساعيك . ولا ينبغي للمدبر ان يتخذ الرعية مالاً وقنية ولكن يتخذهم اهلاً واخواناً . ولا ترغب في الكرامة التي تنالها من العامة كرهاً ولكن التي تستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير"

"قيل بلغ بعض الملوك حسن سياسة ملك آخر فكتب اليهِ قد بلغت من حسن السياسة ما لم يبلغهُ ملك فافدني ما الذي بلغكهُ . فكتب اليهِ لم اهزل في امر ولا نهي ولا وعيد واستكفيت للكفاية واثبت على الغنا لا على الهوى واودعت القلوب هيبة لم يشبها مقت وودًّا لم يشبه كذب وعممت بالقوت ومنعت الفضول

"قيل لما اراد الاسكندر الخروج الى اقاصي الارض قال لارسطاطاليس اخرج معي قال قد نحل بدني وضعفت عن الحركة فلا تزعجني . قال فاوصني في عمالي خاصة . قال انظر مَن كان منهم لهُ عبيد فاحسن سياستهم فولِّهِ الجند ومن كان لهُ ضيعة فاحسن تدبيرها فولِّهِ الخراج

"عن عوانه قال قال زياد بن ابيهِ ما غلبني معاوية في شيء من امر السياسة الأ في شيء واحد وذلك اني استعملت رجلاً على دست ميسان فكسر الخراج ولحق بمعاوية فكتبت اليهِ اسألهُ ان يبعثهُ اليَّ فكتب اليَّ بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعدُ فانهُ ليس ينبغي لمثلي ومثلك ان نسوس الناس جميعاً بسياسة واحدة ان نشتد جميعاً فنحرجهم او نلين جميعاً فنمزجهم ولكن تكون انت تلي الفظاظة والغلظة واكون انا الى

الرأفة والرحمة فاذا هرب هارب من باب وجد باباً فدخل منهُ والسلام

"قال بعض الحكماء منازل الراي اربعة التقدم في الامر قبل حلولهِ فان قصَّر فيهِ فالجد عند وقوعهِ فان قصَّر عن ذلك فالسعي في التخلص منهُ فان قصَّر فيهِ فليس الَّا بذهاب الزمان الذي يذهب بنفع صواب الراي

"روي ان بعض ملوك الفرس سأل حكيماً من حكمائهم ما شيءٌ يعزُّ بهِ السلطان قال الطاعة . قال فما سبب الطاعة قال التودُّد الى الخاصة والعدل على العامَّة . قال فما صلاح الملك قال الرفق بالرعية واخذ الحق منهم في غير مشقة واداؤُهُ اليهم عند اوانهِ وسد الفروج وامن السبل وانصاف المظلوم من الظالم وان لا يفرط القوي على الضعيف . قال فما صلاح الملك قال وزراؤُهُ اصولهُ فان هم فسدوا فسد وان هم صلحوا صلح . قال فاية خصلة تكون في الملك انفع قال صدق النية " انتهى

ويلي ذلك ٢٤ صفحة كلها على هذا النسق من النصائح والحكم عن السنة الملوك والحكماء والفلاسفة . وفي الصفحة السادسة والتسعين من الكتاب كلام للمؤَلف قال فيهِ ما يلي وقد صورنا تلك الصفحة بالفوتوغرافيا ونشرناها هنا ورتبنا السطور والكلمات كما هي في الاصل

قلت اذكرني قول

الحكيم انما سلطان الملك على الاجساد دون القلوب امرًا شهدتهُ بمصر

في سنة سبع واربعين وخمس مائة وهو ان رسول ملك الحبشة وكتابهُ

وصل الى الملك العادل ابي الحسن علي بن السلار رضي الله عنهُ فسأَلهُ ان

يأمر البطرك بمصر ان يعزل بطرك الحبشة وتلك البلاد كلها مردودة

الى نظر بطرك مصر فامر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وانا عندهُ

فرأَيت شيخًا نحيفًا مصفرًّا فادناهُ حتى وقف عند باب المجلس فسلَّم ثم

انحرف فجلس على دكلٍ في الدار ونفذ اليهِ يقول لهُ ملك الحبشة قد

شكا من البطرك الذي يتولى بلادهُ وسأَلني في التقدم اليك بعزلهِ

فقال يا مولاي ما وليتهُ حتى اختبرتهُ ورأَيتهُ يصلح للناموس الذي هو فيهِ

وما ظهر لي من امرهِ ما يوجب عزلهُ ولا يسعني في ديني ان اعمل فيهِ بغير

الواجب ولا يجوز لي ان اعزلهُ فاغتاظ الملك العادل رحمهُ الله من قولهِ

وامر باعتقالهِ فاعتقل يومين ثم انفذ اليهِ وانا حاضر يقول لهُ لا بدَّ من

عزل هذا البطرك لاجل سؤَال ملك الحبشة في ذلك فقال يا مولاي ما عندي جواب غير

ورع فرى ورعية طايعة ۞ قلت اذكرني قول
الحكيم انما السلطان الملك على الاجساد دون القلوب امراً شهدته بمصر
في سنه سبع واربعين وخمس مايه وهو ان رسول ملك الحبشه وكتابه
وصل الى الملك العادل ابي الحسن علي بن السلار رضي الله عنه فساله ان
يامر البطرك بمصر ان يعزل بطرك الحبشه وتلك البلاد كلها امر دونه
الى نظر بطرك مصر فامر الملك العادل باحضار البطرك فحضر وانا عنده
فرايت شيخا نحيفا مصفرا فادناه حتى وقف عند باب المجلس فسلم ثم
انحرف فجلس على دكه في الدار ونفذ اليه يقول له ملك الحبشه قد
شكا من البطرك الذي يتولى بلاده وسالني في التقدم اليك بعزله
فقال يا مولاي ما وليته حتى اختبرته ورايته يصلح للناموس الذي هو فيه
وما ظهر لي من امره ما يوجب عزله ولا يسعني في ديني ان اعمل فيه بغير
الواجب ولا يجوز لي ان اعزله فاغتاظ الملك العادل رحمه الله من فعله
وامر باعتقاله في اعتقال يومين ثم انفذ اليه وانا حاضر يقول له لا بد من

ما نلتهُ لك وحكمك وقدرتك انما هي على الجسم الضعيف الذي بين يديك واما ديني فما لك عليهِ سبيل والله ما اعزلهُ ولو نالني كل مكروه. فامر الملك العادل رحمهُ الله باطلاقهِ واعتذر الى ملك الحبشة . انتهى نص الكتاب

فهذ امرٌ جرى منذ نحو ثمانمئة سنة في هذا القطر وفي هذه العاصمة رآهُ مؤلف هذا الكتاب بعينهِ وسمع ما قيل فيهِ باذنهِ وهو كأنهُ حدث امس وكتب عنهُ كما نكتب عنهُ اليوم . مرَّت ثمانمئة سنة والعادات لم تتغير ولغة الكتَّاب لم تختلف اختلافاً يذكر

ماهي اللغة (١)

الفكر حركة نفسية يحتاج في ظهوره الى معونة الجهاز المخصوص الذي يكون بهِ الكلام وعليهِ فالكلام هو حركة ذلك الجهاز المنبعثة عن مجرد الطبع او المدفوعة بالارادة للتعبير عن حركة من حركات النفس . ينتج من هذا ان الكلام يتنوع باختلاف الشارات التي تدل على الافكار وان تلك الشارات تنقسم الى قسمين طبيعيةٍ وصناعيةٍ

فالاولى هي التي تصدر عن الذات من حيث هي اي بمقتضى وجودها المادي وكل شارات هذا القسم عرضية مثل شارات اليد والرأس والعين وبقية الاعضاء ومثل الاصوات التي ليست الفاظاً والكلام اي النطق

والثانية خارجة عن الذات وهي تحدث من تأثير الانسان في الماديات الخارجة عنهُ وكل شارات هذا القسم جوهرية بمعنى ان لها دواماً طويلاً كان او قصيراً كالاعلام والنقش او الوسم والحفر والكتابة

ومما تقدم يتبين ان الكلام الطبيعي عام لكونهِ مفهوماً بذاتهِ من جميع الناس ومن الحيوان احياناً كما هو الحال بالنظر لشارات الاعضاء واصوات الغضب او الاستحسان من غير ان يكون هناك اتفاق سابق على مفهوم تلك الشارات

وعلى خلاف ذلك الكلام الصناعي او الاتفاقي لانهُ عبارة عن مجموع الالفاظ المخصوصة الموضوعة للمعاني المخصوصة وعن التراكيب او الصيغ الناتجة من تأليف هذه الالفاظ لتوصل الى الذهن بواسطة الاذن او العين معاني مخصوصة متفق عليها

وقد يتأتى ان يكون الكلام الصناعي عاماً اي ان كل الناس يدركون المراد منهُ

(١) خطبة صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول في نادي دار العلوم

كالرسم مثلاً وعلى هذا يتضح خطأُ تعريفهم اللغة بانها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم

والصحيح ان اللغة هي مجموع العادات المخصوصة التي تجري عليها كل امة في التعبير عن اغراضها بواسطة الكلام او الكتابة وتقدم بيان معنى الكلام

ولا يصح اطلاق اسم اللغة على ذلك المجموع الاَّ اذا كانت النسبة تامة بين اللفظ ومدلولهِ لان قوة اللغة متوقفة على شدة المطابقة بحيث ان الاذن او العين ترسم في ذهن السامع او القارىء صورة المدلول كما هي ولا يتم ذلك الاَّ باجتماع شروط ثلاثة

الشرط الاول . ان يكون لكل مدلول علامة خاصة بهِ تدل عليهِ دائماً ولا تدل على غيرهِ ابداً

الشرط الثاني . ان تكون هذه العلامة قابلة للتغير بتغير المدلول وتبعاً لهُ

الشرط الثالث . انها تكون قابلة للاشتقاق كمدلولها فاذا اشتق منهُ مدلول اشتق منها علامة دالة عليهِ بالشروط عينها

وبناء على ما تقدم تكون شروط اللغة الحقيقة بهذا الاسم ثلاثة ايضاً

الاول . ان يكون تعبيرها محكماً وذلك عبارة عن تمام المطابقة بين الدال والمدلول ولا سبيل الى هذا الاَّ اذا سهل استعمال اللفظ قدر المعنى ولم يزد المعنى عن اللفظ المستعمل لاجلهِ وهذا الشرط صعب التوفر فما وفقت لغة حتى الآن لنيل هذه المزية الاهمّ الاَّ لغة علماء الرياضة بل ان اللغات الاخرى لن تنالها ابداً

الثاني . الملابسة وهي الخاصة الموجودة في الالفاظ او التراكيب اي الصيغ تلك الخاصة التي يدرك بها الفاهم نظائر المدلول ونقائضهُ والملابسة تقتضي تحليل الفكر الانساني وذلك غير ميسور عادة في اللغات الاصلية الاَّ نادراً

الثالث . الوضوح التام وهو يرجع للشرطين السابقين ولصناعة ترتيب الالفاظ وتركيب الجمل ترتيباً وتركيباً ينتفي معهما الابهام ويرتفع الشك والالتباس . ومن اللغات ما تميل باهلها الى الاغراب في التعبير وهذا هو السبب في ظلمتها وتعسر فهمها وكلما كان القول طبيعياً اي بسيطاً ازداد وضوحاً فالبساطة هي امثل طرق الكلام على انها طريقة العلم والواقع وهي التي يسهل بها التعبير عن الافكار وحركات النفس كما ينبغي

وكأَني بحضراتكم وقد استنتجتم مما ذكرتهُ الى الآن خطر مذهب التجوز او الاشتراك في اللغة وذكرتم انهُ يذهب بجمالها ويخفي من وضوح دلالتها ويجعلها ثقيلة على اهلها بعيدة المنال على طلابها من الامم الاخرى

سمعت في الاجتماعين الماضيين كلاماً كثيراً في اللغات الاجنبيَّة وان لها اصلاً او اصولاً ترجع اليها وتستمد روح التجدد منها واهلها في حل مما يفعلون واما نحن فلا اصل للغتنا ويبنون على هذه المقدمة نتيجة هي انهُ يجب علينا ان لا نعرّب كلمة اعجميَّة لنضيفها الى لغتنا العربية

الحق اني ما فهمت النسبة بين تلك المقدمة وهذه النتيجة فاني انظر الى اللغة اللاتينيَّة التي هي اصل لغات امم اوربا المعروفة بهذا الاسم من فرنساوية وتليانية واندلسية وغيرها فاجدها لغات ممتازة تماماً عن ذلك الاصل بل اجد الفرنساوي من حيث هو لا يعرف كلمة واحدة من اصل لغتهِ وكذلك بقية من ذكرنا وأرى ان كل لغة حية هي لغة مستقلة قائمة بنفسها لها قواعد خاصة بها وتراكيب وصيغ تميزها عن اصلها تماماً فاذا استعاروا لحدث جديد اسماً من ذلك الاصل فانما هم يستعيرونهُ من لغة اعجمية بالنظر الى لغتهم . الا ترون انهم لا يقصرون الاستعارة على اللغة اللاتينيَّة ويتعدونها الى اليونانية القديمة واحياناً يستعيرون كلمتين من كل لغة كلمة وينحتونهما ويصقلونهما ويدمجون هذا المزيج في لغتهم فيصير جزءا منها ويفسحون لهُ في كتب اللغة محلاً بين كلمتين اصليتين بحسب ترتيب حروفهِ الابجديَّة

انهم يعملون اكثر من هذا . ان لكل بلد عادات في اكلها وسكناها ولباسها واطوارها ويتبع ذلك وجود اسماء عند قوم لمسميات لا يعرفها قوم آخرون الا ان التجارة وطرق المواصلات تنقل هذه المسميات او تجعلها تشاهد في اماكنها من النازحين اليها فيرى اهل البلد ما يروق لهم من بعض تلك الخصوصيات لاهل البلد الآخر ولا يجدون من لغتهم نصيراً على التعبير عنهُ تماماً لكنهم لا يختارون ولا يقصدون الاجتماع تلو الاجتماع ولا يفترقون شيعاً واحزاباً بل يقدمون على تناول المسمى واسمهِ ويدرجون عليهِ من ساعتهم فيمتزج بلغتهم ويعرفهُ الكل ويتحرَّون في حديثهم ان يلفظوهُ كأنهم في نطقهم بهِ من اهلهِ . والامثلة على ذلك لا تحصى يعرفها كل من تعلم لغة واحدة اجنبيَّة . هم يعملون ذلك حتى في العلوم فترى الحكيم الفرنساوي وهو يقرر مذهبهُ عندما يأتي على ما يخالفهُ من مذاهب الالمان اذا وصل الى معنى خاص باحدهم لم يفكر ان يعبر عنهُ بغير لفظهِ الالماني وهكذا ثم يذكر بهامش كتابهِ معناهُ

ما كان هذا ليفسد لغة من تلك اللغات ولا يثير عاطفة الحنان والاشفاق عليها بل ما ازدادت لغاتهم بهذا الا طلاوة ويسراً بل تكاد هذه الطريقة تجري عند الامم الغربيَّة عادة لتكون الالفاظ الغريبة عن لغتهم برهاناً على سعة مداركهم ورحب صدورهم لكل نافع وكل مفيد ولتكون دليلاً على مصدر المسمى ومذكرة بجزء من ترجمتهِ

قالوا ان ذلك جائز عندهم لتماثل احرف هجائهم واتحاد صورها واشكالها واما نحن فلا

قبل لنا على عمل ما يعملون لاختلاف احرف هجائنا وصورها واشكالها ولست ارى في هذا الاعتراض الاَّ انهُ دليل احد امرين فاما شعور بعجزنا عن المجاراة لفتور في همتنا او قصور في معارفنا واما ان احرف هجائنا واشكالها وصورها محتاجة هي ايضاً الى الاصلاح لنتمكن من تناول كتابات الغير باشكال وصور تجعلنا ننطق كلماتهم كما ينطقون وننقل عنهم كما هم عن بعضهم ينقلون

نحن اما عرب او مستعربون واما اجانب عن لغة العرب او مولدون فان كنا الاولين فلنا حقنا في التصرف بلغتنا كما تقتضيهِ مصلحتنا وان كنا مستعربين فبحكم قيامنا مقام اصحاب هذه اللغة وبكوننا ورثناها عنهم بعد ان بادوا فليس من لهُ ان ينازعنا في استعمال ما كان مباحاً لآبائنا من قبلنا وان كنا اجانب او مولدين فمن لهُ ان يسيطر علينا ويحرمنا ثمرة الكد في حفظ هذه اللغة وتفضيلها على غيرها من سائر اللغات فيلزمنا بالبقاء على القديم ويحكم علينا بالجمود واعتقال اللسان

اخذ العرب العلوم عن اهلها ونقلوها الى لغتهم فلما وجدوا منها استعصاء في بعض المواضع ذللوها واخضعوا الغريب عنها لاحكامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود فكانت لهم نعم النصير على ادراك ما طلبوا من نور وعرفان

نسينا نحن ان زماننا غير زمانهم فكانوا اصحاب حول وطول وذوي مجد وسلطان ونحن على ما نعلم من الضعف والانزواء على انهم في عزهم وبعد فخارهم وتمكنهم من انفسهم لم يعتزوا بلغتهم فنفروا من العجمة لانها عجمة بل استخدموها حيث وجب الاخذ بها تمكيناً للغتهم وحذراً من ان يصيبها الوهن اذا قعدوا بها عن مجاراة تيار التقدم وهم اولو الراي فيهِ وخوفاً من ان يعيقهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الامم التي كانت تعاصرهم.

أيجوز لنا ان نتخلف عن السير في طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقتهم بحجة انهم انقرضوا وبادوا فلا حق لنا في متابعة الرقي ولا يجوز ان نخطو بعدهم خطوة الى الامام لكن من الذي استأجرنا حراساً من الحرس على هذه الوديعة وباي قوة اخضعنا على الوقوف هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال العزائم انقصٌ في الافهام ام قصر في الاجسام ام جهل بأنا من البشر لنا كل حقوق الانسان

ليس لنا ان نتمسك بالقديم لقدمهِ وان اصبح عديم الجدوى والاَّ فاولى بنا ان نكفَّ عن الدرس والمطالعة وان نكتفي من كل شيء بما ورثنا عن الآباء لنعيش كما عاش الاولون. غير اني ارجوكم ان تتعلموا الصبر فلا تجزعوا اذا اصابتكم مصائب التقدم فتركتم آخر القوم ولا تحزنوا اذا حصرتكم عوامل الرقي فنيتم بمن يقف متفرجاً عليكم وانتم كالصور المتحركة الناطقة

لكنها تتحرك بحركة هي عبارة عن اهتزاز الشيء مكانهُ وتنطق بلغة دائرة قد خلت من العلم الذي اصبح دارجاً على السنة المتفرجين

جزع خصوم مذهبنا على اللغة العربيَّة وحسبوها طعاماً سهل التناول والهضم في معد اللغات الاعجمية فاستجاروا من التعريب وصاحوا اننا لا نطيق اسماً اعجمياً يدخل عليها

اليست هي تلك اللغة الحافلة بالالفاظ والتراكيب العالية والقول الفصيح المصونة بكتاب الله تعالى وسنة رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم وهي لم تتأثر ببعض كلمات تدخل عليها في كل عام بل ان هذا العمل مما يؤيدها ويشد ازرها ويرفع مقامها بين اللغات فلا يطمع الاعاجم في اعتبارها من اللغات الميتة

قالوا ذلك يفسد علينا لغة القرآن وما اسدُّ ما اجاب بهِ عن هذا الاعتراض حضرة الفاضل السيد رشيد افندي فلا خوف على القرآن ما دام في الوجود مسلم. ألا ترون ان القرآن محفوظ مصون عند من لم يعرف العربيَّة من المسلمين . اليكم الترك والهند والصين والقوقاز والروسيا تلك ام تعد خلقاً كثيراً من المسلمين لا يعرف الواحد منهم غير لغة امتهِ وهو مع ذلك يحرص على القرآن اشد من حرص الجبان على دمهِ

أيعجزكم ان تحافظوا على القرآن بيمينكم وتفسحوا المجال في لغتكم للتقدم باليسار لتنالوا السعادتين وتكونوا من الناجين في الدارين

قالوا العلم نافع قالوا كثير منهُ مخالف للدين قالوا الحضارة تهددنا فلنتقها قالوا هي تخالف الدين قالوا حدثت مستحدثات فسموها قالوا حرام عليكم ان كنتم فاعلين . من جراء هذا قال الفرنج عنا انا قوم جامدون وما جمودنا الاَّ من الدين فصحنا مع هذا وقلنا لهم بل انتم قوم ظالمون . ما لنا وللدين نجرهُ في كل امر ونقيمهُ حاجزاً في وجه كل باحث حتى في الامور التي يأمر هو بتناولها . يأمرنا الدين بتعلم ما خلق الله وان نسير على سنة التقدم التي سنها للبشر ونحن كل يوم في احجام بدعوى يعلم الله مقدار بعدها عن الحق والصواب

عليكم بالتقدم فادخلوا ابوابهُ المفتحة امامكم ولا تتأخروا فلستم وحدكم في هذا الوجود ولا تقدم لكم الاَّ بلغتكم فاعتنوا بها واصلحوها وهيئوها لتكون آلة صالحة فيما تبتغون لكن لا تكثروا من الاشتقاق الخارج عن حد القياس المعقول. ولا تشوهوا صورتها الجميلة بتعدد الاشتراك او التجوز ثم لا تقفوا بها موقف الجمود والعجمة تهددها على السنة العامة وهي لا تلبث ان تدخل على لغة الخاصة. اقيموا في وجه هذا السيل الجارف سداً من الاشتقاق المعقول والترجمة الصحيحة والتعريب عند الضرورة لتكونوا من الناجين

العامية والفصيحة

بحث نادي دار العلوم في ٢٧ فبراير الماضي في ماهية العربيَّة العاميَّة فالقى حضرة العالم الشيخ طنطاوي جوهري خطبة نفيسة في هذا الموضوع وقال ان كلامهُ مقصور على اللغة المعروفة عند العامَّة المصريين وهي عربية صحيحة والمحرف منها قليل وكذا الدخيل وربما لا يبلغ مقدارهما خمساً في المئة من مجموع الفاظهم . وذكر مئتين من الفاظ العامَّة التي يهملها الكتاب زاعمين انها مبتذلة مع انها عربيَّة فصيحة واستشهد على صحتها بكتب متن اللغة وباستعمالها في القرآن والحديث واشعار العرب الموثوق بعربيتهم ثم قال

" ثبت مما سبق ان الالفاظ التي يستعملها الفلاحون وتلقيناها عن آبائنا عربية فصيحة تصلح للتحرير ولكن التحرز منها وهمٌ قديم تأصل في النفوس لما سمع انها مبتذلة . وقد ذكر رجال العلم ان من شروط الفصاحة والبلاغة عدم الغرابة قال صاحب المثل السائر ان الالفاظ العامة فصيحة وان الابتذال راجع لركاكة التركيب والفصاحة والبلاغة لحسن السبك وهذا هو المعبَّر عنهُ بالسهل الممتنع . فالالتجاء الى الغريب قصور وكان المرء اذا عجز عن ان يسلب الالباب بسحرهِ الحلال اخذ يغرب عليهم بما لا يعلمون وهذا هو السبب القديم في شيوع هذه الفكرة بيننا . وقد نصَّ علماء البلاغة كعبد القاهر الجرجاني والجاحظ وصاحب المثل السائر ان الالفاظ لا تبتذل لاستعمال العامَّة لها وان استعمال الغريب عيب فاحش "

ثم قال " وقد اوغل ابن السبكي في خطبة كتابهِ عروس الافراح فمدح المصريين بانهم اعلم بالبلاغة من علمائها فقال ما نصهُ بالحرف الواحد

" اما اهل بلادنا (يعني المصريين) فهم مستغنون عن ذلك (اي عن فنون البلاغة) بما طبعهم الله عليهِ من الذوق السليم والفهم المستقيم والاذهان التي هي ارق من النسيم والطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم . اكسبهم النيل تلك الحلاوة واشار اليهم فظهرت عليهم تلك الطلاوة فهم يدركون بطباعهم ما افنت فيهِ العلماء فضلاً عن الاغمار الاعمار ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الاسرار خلف الاستار

والسيف ما لم يلفَ فيهِ صيقل بطباعهِ لم ينتفع بصقالِ "

وبعد ان اسهب الخطيب في هذا الموضوع اشار بجمع قاموس يشمل كل الالفاظ العامية الصحيحة ويدرس في المدارس وقال ان خلاصة هذه المباحث

(١) اللغة العامية فيها الاصول الضرورية لمعاشنا

(٢) الدخيل لا يبلغ ٥ في المائة وكذا المحرف تحريفاً بيناً

(٣) اللغة العامية تبلغ اصولها وما قاربها خمسة آلاف كلمة على اقل تقدير وربما وصلت ثمانية آلاف في الفيروزبادي

(٤) العامة يمدون البليغ ما كان غريباً لانهم يخضعون لما يجهلون والمتوسطون يعشقون سبك النظم و ينبذون الغريب والحكماء يرون مع ذلك ما هو ادق في المعنى وانفع للامم

(٥) غلبت الفكرة العامية قديماً فنبذ الناس ما ينطق بهِ العامة

(٦) اللحن والدخيل والتحريف جعلنا نظنها كلها لغة فاسدة ولا يحكم على فساد الكل بالبعض ولا على فساد الجوهر بالعرض

(٧) ردت الفاظ اهل بلادنا في القرآن والحديث وكلام العرب فليست مبتذلة

(٨) الحاجة ماسة اليها والامة تتكلم بها فمن العبث نبذها

(٩) تحقق ان الفصيح والبليغ ما عرفهُ الناس الذين تخاطبهم اذا سبكتهُ بنظم عجيب واسلوب غير غريب

(١٠) من اغرب في الكلمات فلا هو فصيح ولا بليغ انما يحفظ الفاظاً من اللغة وهذا ليس بشيءٍ

(١١) يجب ان نستوعب الفاظ العامة (وتجمع في قاموس) ليستعان بها على امور الحياة ونزيد عليها ما تمس اليهِ الحاجة

(١٢) كلامنا خاص بلغة التخاطب واذ ذاك لا يقال عربية وعامية بل تكون كلها عربية صحيحة مع ادخال الاعراب على سبيل التدريج واصلاح المحرف واستبدال الدخيل بقدر الامكان

(١٣) ينشر هذا القاموس بين الطبقات المتعلمة حتى تدخل ملكة اللغة بالتدريج فيكتفي بهِ الناس في اعمالهم ومن كان مختصاً بفن زاد لاجلهِ من اللغة ما شاء من اصطلاحهِ · وعالم البلاغة واللغة يجب ان يزيدا من اللغة العربية ما شاءا ان يزيدا

(١٤) يراعى في القاموس الذي ينشر الَّا يذر نباتاً في بلادنا المصرية ولا حيواناً ولا غيرهما ولا صفة من صفاتها الا وصفهُ ورسمهُ والغفلة عن ذلك عيب فاضح

(١٥) يجب ادخال كلمات ذلك القاموس في محاورات صغيرة لما يحيط بنا من الامور الخارجية حتى يعرف ابناؤنا احوال الحياة والتعبير عنها

(١٦) اذا شرع في هذا العمل اليوم فلا يمضي عشر سنين حتى تصير لغة الكلام لغة التحرير وتزول تلك الوصمة ويخرج جيل عالم باللغة عالمٌ باصول الحياة

الشفاء بالايمان

لما سئلنا في الجزء الماضي عن كيفيَّة شفاء الرجل الملقب بقديس الشويفات اجبنا "انهُ مخلص في ما قال معتقد صحتهُ . ولو كان برهميًّا لاعتقد ان برهما نفسهُ تجلَّى لهُ وكلَّمهُ بلغة الهنود لا بالعربيَّة وذكر لهُ عبارات من كتب البراهمة الدينيَّة ولو كان صينيًّا بوذيًّا لاعتقد ان بوذه ظهر لهُ وكلَّمهُ باللغة الصينية وهلمَّ جرًّا. والكلام كلهُ داخلي منتزع من الصور العقلية المطبوعة في ذهنهِ وقد اثَّر فيهِ تأثيرافعال الاطباء في حوادث الهستيريا المختلفة" . اي ان شفاءهُ كان بمجرَّد الايمان او الاعتقاد . ثم طُلب منا ان نسهب في هذا الموضوع اي في موضوع الشفاء بالايمان او بالاعتقاد ورأينا مجال القول متسعاً فكتبنا السطور التالية معتمدين فيها على بحث مسهب رأيناهُ في الجزء الاخير من مجلة العلم العام الاميركية

لا شبهة في ان كثيرين من المرضى شفوا بالايمان سواءكانت امراضهم وهميَّة لا حقيقة لها او كانت حقيقية . وهنا يقع الالتباس بين المرض الحقيقي والوهمي فاذاكان الوهمي يجري مجرى الحقيقي في كل اعراضهِ يحجب البصرَ عن العين حتى لا ترى ويمنع الحركةَ عن اليد حتى لا تمدَّ وينزع القوة من الظهر حتى لا ينتصب و يوقف العصارات عن المعدة حتى لا تهضم ويبطل ورود الدم الى الاعضاء حتى لا تنمو فهو عارض طرأ على الجسم لا يقلُّ فعلهُ عن فعل الميكروبات وسائر الآفات التي تسبب الامراض والادواء . وما يزيلهُ ويشفي الجسم منهُ يصحُّ ان يسمَّى علاجاً ودواء ولو كان فعلاً عقليًّا ناتجاً عن الاعتقاد او الوهم لاغير

انتبه الاطباء اولاً الى فعل العقل في شفاء الامراض من رؤْيتهم بعض الفتيان يخجلون خجلاً شديداً احيانا يكلمون حتى تمنعهم شدة الخجل عن النطق فارتأى بعضهم ان يعالج الفتى المعرَّض لهذا الخجل بجعلهِ يفتكر في شيء يخيفهُ بناء على ان حمرة الوجه تنتج من الخجل وصفرتهُ تنتج من الوجل كما هو معلوم والصفرة ناتجة عن انقطاع ورود الدم الى الوجه . فنجح هذا العلاج اي ان الفتى الذي يخجل خجلاً شديداً اذا كلّمتهُ في موضوع ما يزول خجلهُ حالاً اذا افتكر حينئذٍ بامر يخيفهُ كأَنَّ الفعلين الخجل والوجل يتضاربان فيفني احدهما الآخر

ههنا فعل عقلي عصبي لهُ تأْثير طبيعي ظاهر في الوجه يزول بفعل آخر عقلي عصبي وهذا هو الاساس العلمي لكل انواع الشفاء العقلي او الشفاء بالايمان فان جدران الاوعية الدمويَّة التي في الوجه والعنق مؤلفة من الياف حلقية خاضعة لفعل الاعصاب المختلفة بها فاذا تهيجت هذه الاعصاب مدَّدت تلك الحلقات فتتسع الاوعية الدمويَّة ويكثر ورود الدم

بها الى الجلد او ضيَّقتها فتضيق ويقلّ ورود الدم بها اليهِ . والاعصاب المشار اليها تفعل من نفسها غير خاضعة للارادة ولكن يمكن تسليط الارادة عليها فتصير تضيّق الاوعية الدمويّة او توسّعها كما يمكن تسليطها على العضلات التي تُحرك وقت البكاء فيصير الانسان قادرًا على البكاء وقتما يريد ولو لم يحدث لهُ شيءٌ يبكيهِ حتى ان الفتى الذي كان كثير الخجل صار يقنع نفسهُ بانهُ لا يوجد ما يوجب خجلهُ فلم يعد يخجل او صار يعقد نيتهُ ويصمم ارادتهُ على ان لا يخجل فلم يعد يخجل

فهذه ثلاثة سبل لمنع الخجل الاول ان يفكّر المرء بامر يمنع ورود الدم الى وجههِ حينما يحدث ما يوجب خجلهُ فيتناقض الفعلان ويزيل احدهما الآخر . والثاني ان يقنع نفسهُ بانهُ لا يوجد شيءٌ يوجب خجلهُ . والثالث ان يصمم ارادتهُ على ان لا يخجل ولو حدث ما يوجب خجلهُ

وفي هذه الاحوال الثلاثة تصير الافعال الطبيعيَّة التي هي غير خاضعة للارادة عادةً خاضعةً للارادة جارية على موجبها . وهذا هو السرُّ في كل انواع الشفاء الحادث بمجرَّد الايمان او الاعتقاد من غير دواء . ولعلَّ جانبًا كبيرًا من فعل الدواء ناتج عن فعل الارادة او الايمان لاسيما وان لحركة الدم اليد الطولى في شفاء الامراض او منعها لانهُ هو الذي يغذي دقائق الجسم وهو الذي ينزح الفضول والسموم منها فاذا استطاع المرء بمجرد ارادتهِ ان يتحكم في ورود دمهِ الى اعضائهِ المختلفة سهل عليهِ ان ينجي نفسهُ من اسباب المرض والضعف ولكن اكثر الاعصاب المتسلطة على الدورة الدموية غير خاضع للارادة فلا نستطيع ان نتصرف فيها حسب ارادتنا . اذا امرناها لم تطعنا واذا ردعناها لم ترتدع . الَّا ان ما نعجز عن الوصول الى اصولهِ ومصادرهِ لا نعجز عن الوصول الى فروعهِ واطرافهِ . والظاهر ان قدرة الانسان على التحكّم بجريان دمهِ هي اكثر مما يظن ولو لم يشعر بها فقد صنع بعضهم سريرًا من قطع منفصلة بعضها عن بعض وكل قطعة متصلة بميزان او دليل كانها اصابع البيانو فاذا استلقى الانسان عليهِ ووجَّه فكرهُ الى رجليهِ وقال في نفسهِ انهُ يريد ان ينتصب ويرقص ثقلت رجلاهُ حالاً من ورود الدم اليهما بمجرَّد التفكر كانهُ انتصب واخذ يرقص

فاذا كان الدم يكثر في العضو الذي يزيد تفكيرك فيهِ فلا يبعد انهُ يلتهب بسبب ذلك واذا اعتقدت انهُ سليم فلم تعد توجه فكرك اليهِ قلَّ ورود الدم وزال التهابهُ

وما يصدق على الاوعية الدموية او اعصابها يصدق على الاعصاب كلها فانها قد تتبع فعلاً مخصوصًا لا تحول عنهُ الَّا بتوجيهها الى جهة اخرى كالفرس الحرون فانهُ لا يعدل عن

حرنهِ مهما ضربتهُ ولكزتهُ ولكنك اذا ادنيت منهُ قطعة سكَّر فقد يتجه انتباههُ اليها فينسى ما كان فيهِ من الحرن. وامثلة ذلك كثيرة في المصابين بالهستيريا فقد اعتاد احد الاطباء ان يطلق الفيران في فراش مَن يعتقد انهُ مريض ولا يستطيع ان ينهض من الفراش وهو غير مريض فينهض من فراشهِ رعباً ويزول مرضهُ الوهمي

حدث منذ مدة ان امرأَة مرضت واقامت في فراشها سنة كاملة لم تنهض منهُ وخرج زوجها ذات يوم ليدعو لها الطبيب . وبعد قليل اخذ جرس التليفون يدقُّ دقًّا مستمرًّا ولم يكن في البيت غيرها فقامت ونهضت اليهِ وجعلت تكلم من كان يتكلم بهِ فنسيت انها مريضة وزال مرضها الوهمي من ذلك الحين

ولما حدثت زلزلة كنستون باميركا كان فيها رجل مصاب بالربو الشديد فشفي منهُ لخوفهِ من الزلزلة . وامثال ذلك كثيرة وكلها مثل منع الحرَن عن الفرس الحرون بتوجيه انتباههِ الى شيء آخر وكالطفل الذي يظهر العناد او الحرن فلا يعود الانفكاك عنهُ في طاقتهِ ولكنهُ اذا حدث حينئذٍ حادث فجائي صرفهُ عما هو فيهِ من العناد . .

وقد يصاب الانسان بسوء الهضم فتعتريهِ ادواء كثيرة من جراء ذلك كالارق والدوار والصداع ورؤية السمادير وخفقان القلب وبرد اليدين والرجلين والذبول العام والسوداء والصفراء فاذا امكن ان تصطلح معدتهُ بواسطة ادبيَّة عقلية شُفي من هذه الادواء او الاعراض كلها

والمعدة من اصبر الاعضاء يسيء الانسان استعمالها يوماً بعد يوم وهي صبور لا تتذمر ولكن اذا أُطيل امتهانها فرغ صبرها وحرنت كالدابة الحرون ولم تعد تهضم طعاماً فابتلي صاحبها بسوء الهضم (الدسبيسيا) وكل الاعراض والآفات التي تنتج عنها. والسبب المباشر لسوء الهضم قلة العصارة المعدية او قلة حامضها وببسينها او كثرتهما او اختلال حركة المعدة نفسها فتصير تدفع الطعام بسرعة الى الامعاء قبل ان يهضم فيها هضماً كافياً او تصير تبقيهِ فيها مدة طويلة جدًّا حتى يحمض وتتولَّد فيهِ غازات كثيرة فتسبب التعب والالم

وهذان الخللان اي الخلل في العصارة المدية والخلل في حركة المعدة سببهما عصبي فان غشاء المعدة يتأَثر بالطعام وينتقل التأْثير منهُ الى المراكز العصبيَّة كأَنهُ يقول لها ان الطعام وصل الى المعدة وهو مستعد لكي يهضم فلم يبقَ الاَّ ان تأمري العصارة المعدية لكي تأتي وتهضمهُ . ففي الاحوال العادية يذهب هذا التأْثير الى المراكز العصبيَّة المتسلطة على العصارة المعدية ويجري العمل على تمام الانتظام ولكن اذا اختل فعل المعدة او الجسم لسبب

من الاسباب لم يعد التأثير يصل الى المراكز العصبيَّة في الوقت المناسب او لم يعد يؤَثر فيها او لم تعد هي تتأثر كما يجب ان تتأثر او لم تعد تصدر اوامرها على الصورة المطلوبة او لم تعد حويصلات جدران المعدة تطيع الاوامر التي تصدر من المراكز العصبيَّة . وكيفما كانت الحال فالنتيجة واحدة وهي سوءُ الهضم

والغالب ان الاعصاب تعجز عن تأدية وظيفتها اذا تعبت كثيرًا اما من كثرة الشغل العقلي او من الهم والغم او من كثرة الطعام وكثرة تشغيلها في ارسال اوامرها الى جدران المعدة وحينئذٍ فالراحة وحدها تكفي لاصلاح سوء الهضم اذا كان سببهُ من تعب الاعصاب وكذلك تقليل الطعام اذا كان سببهُ كثرة الطعام . ولا فائدة من الادوية في هذه الاحوال بل قد يكون منها ضرر . والراحة العقلية افعل الوسائل كلها لانها تريح الاعصاب ولكن قد تستريح الاعصاب وتبقى على عنادها كالفرس الحرون وحينئذٍ لا فائدة الاَّ من استعمال حيلة عقلية تصرف الاعصاب عن عنادها كما تصرف قطعة السكر الفرس عن حرنهِ . والحيل العقلية هي التي يلجأُ اليها اصحاب الطب الروحاني او الشفاء بالايمان

وقد اتضح تأثير الطعام في افراز العصارة المعدية على اسلوب بديع في الكلاب فقد وُجد ان العصارة المعدية تنصبُّ في معدة الكلب حالما يدخل اللحم معدتهُ فاذا ترك حتى يبلع قطعة اللحم ثم نزعت من حلقهِ قبلما تصل الى معدتهِ فالعصارة تنصب فيها ايضاً كأَن اعصابها شعرت انهُ بلع قطعة اللحم فصار الواجب عليها ان تفرز العصارة لهضمها فتعمل ما يجب عليها سواءٌ وصل اللحم الى المعدة او لم يصل . واذا ابيح للكلب ان يرى قطعة اللحم ويشمها قبلما يبتلعها فالعصارة تكون اكثر مما لو ابتلعها من غير ان يراها ويشمها كأَن تمتع حاسة البصر وحاسة الشم برؤْية اللحم يزيد تأَثر الاعصاب المتسلطة على العصارة المعدية وبهذا تفسر بلاغة ابي نواس حيث قال

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سرًّا اذا امكن الجهرُ

لكي يمتع سمعهُ باسمها فتزيد لذتهُ بها . وهذا هو السبب في ان الطعام الذي يستطيبهُ الانسان يسهل عليهِ هضمهُ ولو كان من الاطعمة الغليظة العسرة الهضم عادة . والطعام الذي لا يستطيبهُ لا يسهل عليهِ هضمهُ ولو كان سهل الهضم . واذا توقفت العصارة فلم تفرزها المعدة لسبب من الاسباب فالافعال العقلية تكفي للتأثير في الاعصاب المتسلطة عليها حتى تجعل جدران المعدة تفرزها

ولا يخفى ان الاسباب العقلية تؤَثر في غير المعدة ايضاً من الاعضاء الرئيسة فتؤَثر في

القلب والكبد والكليتين · فالفرح والحزن والانبساط والانقباض تؤثر في القلب تأثيرًا شديدًا · والخوف الشديد قد يوقف حركتهُ · والغيظ يؤثر في الكبد حتى لقد يجلب اليرقان · والخوف يؤثر في الكليتين · ويقال بنوع عام ان الافعال العقلية المزعجة كالغضب والهم والغم والخوف والشك تضعف الاعصاب وتضعف فعلها وانهُ لا فائدة من الوسائط الادبية ما لم يثق المريض ثقة تامةً بطبيبهِ او بمن يتولَّى علاجهُ حتى ان ثقة الانسان بفعل العلاج قد تجعلهُ يفعل بهِ على ضد طبيعتهِ فقد ثبت ان اناسًا ارادوا ان يتناولوا حبوبًا مسهلة فتناولوا خطأً حبوبًا قابضة ففعلت بهم فعل المسهل لاعتقادهم انها مسهلة · وذكروا ان مريضًا احمق اكل التذكرة التي كتب الطبيب فيها الدواء حاسبًا انها هي الدواء فشفي

نوادر شعراء العرب[1]

(١) مفاتيح الشعر

سئل ذو الرُّمة كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر · قال كيف ينقفل دوني وعندي مفاتيحهُ · قيل لهُ وعنهُ سألتك ما هو · قال الخلو بذكر الاحباب · وقيل لكثيّر كيف تصنع الشعر اذا عسر عليك · قال اطوف في الرياض المُعشِبة فيسهل عليَّ صعبهُ ويسرع اليَّ احسنهُ · وروي ان الفرزدق كان اذا عصت عليهِ صنعة الشعر ركب ناقة وطاف وحدهُ منفردًا في شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخالية فيعطيهِ الكلام قيادهُ . وقال الاصمعي ما استدعي شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي

(٢) انصاف الخصم

قال في الصبح المنبي : كان لابن جنّي هوًى في ابي الطيب وكان كثير الاعجاب بشعرهِ وكان يسوءُهُ اطناب ابي علي الفارسي في الطعن عليهِ واتفق ان قال ابو عليٍّ يومًا اذكروا لنا بيتًا من الشعر نبحث فيهِ فابتدر ابن جني وانشد

حلتِ دون المزار فاليوم لو زر ... تِ لحال النحول دون العناقِ

فاستحسنهُ ابو علي وقال لمن هذا البيت فانهُ غريب المعنى فقال ابن جنّي هو للذي يقول

ازورهم وسواد الليل يشفع لي ... وانثني وبياض الصبح يغري بي

---

(١) من مجموعة لحضرة الاديب نسيم افندي الحلو

فقال وهذا احسن فلمن هو قال للذي يقول

امضى ارادتهُ فسوف لهُ قدٌ واستقرب الاقصى فثمّ لهُ هنا

فكثر اعجاب ابي علي واستغرب معناهُ وقال لمن هذا فقال للذي يقول

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

فقال وهذا والله احسن ولقد اطلت يا ابا الفتح فمن هذا القائل قال هو الذي لا يزال الشيخ يستثقلهُ ويستقبح زيّهُ وفعلهُ وما علينا من القشور اذا استقام اللباب . قال ابو علي اظنك تعني المتنبي قال نعم . فقال والله لقد حببتهُ اليَّ ونهض ودخل على عضد الدولة فاطال في الثناء على ابي الطيب ولما اجتاز بهِ استنزلهُ اليهِ واستنشدهُ وكتب عنهُ ابياتاً من شعرهِ

(٣) قوة البداهة

مدح ابو تمام احمد بن المعتصم بقصيدة سينيةٍ فلما انتهى في انشادها بحضرتهِ الى قولهِ

إقدام عمرو في سماحة حاتمٍ في حلم احنف في ذكاء اياسِ

قال لهُ ابو يوسف يعقوب بن صباح الكندي الفيلسوف وكان حاضرًا : الامير فوق من وصفت ألا ترى الى قول العكوك في ابي دُلف

رجلٌ ابر على شجاعة عامرٍ باساً وغيّر في محيا حاتمٍ

فاطرق ابو تمام قليلاً ثم قال

لا تنكروا ضربي لهُ من دونهِ مثلاً شرودًا في الندى والباسِ

فالله قد ضرب الاقل لنورهِ مثلاً من المشكاة والنبراسِ

ولما أُخذت القصيدة من يدهِ لم يجدوا فيها هذين البيتين فعجبوا من سرعتهِ وفطنتهِ . ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي ولّوهُ لانهُ قصير العمر فان ذهنهُ ينحت من قلبهِ فكان كما قال

وانشد ابن الجوزيّ في بعض مجالس وعظهِ

اصبحت أُلطف من مرّ الرياض على زهر الرياض يكاد الوهم يؤلمني

من كل معنىً لطيفٍ اجتلي قدحاً وكل ناطقةٍ في الكون تطربني

فقام اليهِ انسان فقال يا سيدي الشيخ فان كان الناطق حمارًا فقال اقول لهُ يا حمار اسكت

(٤) براعة الطلب

حكى عبد الله افندي ابن قاضي الموصل ان بعض علماء بغداد وفد على دار الخلافة

العلية في ايام السلطان سليم بن السلطان عثمان خان ونزل في دار صاحب المشيخة العظمى اذ ذاك فاتفق لهُ ان رأى السلطان سليماً في القائق بين أسكي دار واسلامبول فرقائق الشيخ بالقرب من قائق السلطان فلما وقع عليهِ نظر السلطان ورأى عليهِ سيماء اهل العلم احب ان يداعبهُ فقال عندما داناهُ

فيمَ اقتحامك لجَّ البحر تركبهُ وانت يكفيك منهُ مصَّة الوشلِ

فاجابهُ على الفور من القصيدة نفسها

أُريد بسطة كفٍّ استعين بها على قضاء حقوقٍ للعلا قبلي

فعند ذلك سألهُ عن مكانهِ فاخبرانهُ نزيل شيخ الاسلام ثم مرَّ كل منهما بقائقهِ

وبعد ايام اجتمع السلطان سليم بشيخ الاسلام وسألهُ عن الشيخ وذكر لهُ صفتهُ ثم امر ان يسألهُ عن مرادهِ فسألهُ من غير ان يعلمهُ ان ذلك عن امر السلطان فقال بغيتي القرية الفلانية في محل كذا ان اقطعنيها كفتني ولا اريد سواها فاخبر السلطان بذلك فاقطعهُ القرية وعاد وقد ربحت تجارتهُ ببضاعة الادب

(٥) حسن الاشارة

كتب علي بن صلاح الدين يوسف ملك الشام الى الامام الناصر لدين الله يشكو اخويهِ ابا بكر وعثمان وقد خالفا وصية ابيهم

مولاي انَّ ابا بكر وصاحبهُ عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وكان بالامس قد ولاَّهُ والدهُ في عهدهِ فأضاعا الامر حين ولي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاقى من الأوَلِ
فخالفاهُ وحلاَّ عقد بيعتهِ والامر بينهما والنص فيهِ جلي

فوقَّع الخليفة الناصر على ظهر كتابهِ بهذه الابيات

وافى كتابك يا بن يوسف ناطقاً بالحق يخبر ان اصلك طاهرُ
منعوا عليًّا ارثهُ اذ لم يكن بعد النبي لهُ بيثرب ناصرُ
فاصبر فان غداً عليَّ حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصرُ

(٦) اخوَّة الادب

قال محمد بن موسى بن حماد سمعت علي بن الجهم ذكر دعبلاً فلعنهُ وكفَّرهُ وقال كان يطعن على ابي تمام وهو خير منهُ ديناً وشعراً. فقال رجل لو كان ابو تمام اخاك ما زدت على

مدحك له فقال ان لا يكن اخاً نسباً فهو اخو ادباً اما سمعت ما خاطبني به وانشد

ان يكف مطرف الاخاء فاننا نغدو ونسري في اخاء تالد
او يفترق نسب يؤلف بيننا ادب اقمناه مقام الوالد

(٧) حفظ السرّ

حكى الماوردي ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السرّ فقال

ومستودعي سرًّا تضمنت ستره فاودعته من مستقرّ الحشى قبرا

فقال ابنهُ وهو صبي واحسن ما شاء

وما السرّ في قلبي كثاوٍ بحفرةٍ لاني أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكنني اخفيه حتى كأنني من الدهر يوماً ما احطت به خبرا

(٨) تغريم الضمين

سأل رجل فخر الملك حاجة وأمله فلم يعطهِ شيئاً . فمضى الرجل الى القاضي واستدعى ابن نباتة الشاعر . فلما جاءهُ رسول القاضي قال له ما لاحدٍ عليَّ شيء ولا عليَّ دين ولا بيني وبين احد خصومة حتى ارضيهُ . فلما حضر عند القاضي قال للرجل ما حقك عليَّ . فقال له انت قلت في شعرك

لكل فتى قرين حين يسمو وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه وانزل عليه على حكم الرضى وانا الضمين

فانت ضمنت لي وانا نزلت عليه فلم يعطني شيئاً والضامن غارم . فقال له امهلني حتى اصل اليه . فلما دخل عليه اخبره بالقصة . فقال للرجل كم أملت . قال مائة دينار . قال ادفعوها له ثم قال لابن نباتة اذا مدحتني بعدها فلا تضمن لاحد في شعرك

(٩) وئيد الرياحين

شرب المأمون ويحيى بن اكثم وعبد الله بن طاهر فتغامز المأمون وعبد الله على سكر يحيى فغمز الساقي فاسكره وكان بين ايديهم رزم من رياحين فامر المأمون فشق له لحد في الورد والرياحين وصيروه فيه وعمل بيتين من شعر ودعا قينة فجلست عند رأسه وحركت العود وغنت

ناديتهُ وهو حيٌّ لا حراك به مكفن في ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلي لا تطاوعني فقلت خذ قال كفي لا تواتيني

فانتبه يحيى لرنة العود وقال مجيباً لها

ياسيدي وامير الناس كلهم قد جار في حكمهِ من كان يسقيني
اني غفلت عن الساقي فصيرني كما تراني سليب العقل والدينِ
لااستطيع نهوضاً قد وهى جسدي ولا اجيب المنادي حين يدعوني
فاختر لبغداد غيري انني رجلٌ الراح يقتلني والعود يحييني

(١٠) سئل نثراً فاجاب شعراً

أُتي عبد الملك بن مروان بسكران فقال لهُ ماذا شربت فقال

معتقةً كانت قريش تعافها فلما استحلُّوا قتل عثمان حلّتِ

فقال مع مَن فقال

سقوني مع الشعرى بكاسٍ رويّةً واخرى مع الجوزاء لما استقلّتِ

قال فما غنيت قال

سقوني وقالوا لا تغنِّ فلو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنّتِ

فعفى عنهُ واطلق سبيلهُ

(١١) بداهة غريبة

كان لعبداللّه بن الزبير اتصال باخي عبد الملك بشر بن مروان فكان بشر ينزلهُ منزلة رفيعة و يقول انهُ اشعر الناس . وكان قد امر لهُ مرة بجائزة وكساهُ وقال اني اريد ان اوفدك على امير المؤْمنين فتهيأْ لذلك يا ابن الزبير قال انا فاعل ايها الامير قال فماذا تقول اذا وفدت عليهِ والقيتهُ ان شاء الله فارتجل من وقتهِ هذه الابيات

اقول امير المؤْمنين عصمتنا ببشر من الدهر الكثير الزلازلِ
واطفأْت عنا نار كل منافقٍ بابيض بهلول طويل الحمائلِ
نمتهُ قروم من امية للعلا اذا افتخر الاقوام وسط المحافلِ
هو القائد الميمون والعصمة التي الى حقها فينا على كل باطلِ
اقام لنا الدين القويم بحلمهِ ورأْي لهُ فضل على كل قائلِ
اخوك امير المؤْمنين ومن بهِ نجاد ونسقى صوب اسحم هاطلِ
اذا ما سأَلنا رفدهُ هطلت لنا سحابة كفيهِ بجود ووابلِ
حليم على الجهّال منا ورحمة على كل صافٍ من معدٍّ وفاعلِ

ما يختص منها بالحلو فيوضع امام الصحفة وما يختص بالفاكهة فيوضع على صحفة الفاكهة التي يؤتى بها بعد اكل الحلو وتوضع الكاس التي فيها امامها على الملاءة الصغيرة التي تحتها

ويؤكل الحلو الجامد بالشوكة والسائل بالملعقة والسلطة بالسكين والشوكة واذا كانت الخضر مطبوخة وتحتها قطع خبز فلا تؤكل قطع الخبز بل تترك مكانها لانها لامتصاص الماء الذي يتحلب من الخضر . ويؤكل الجبن بقطع قطعة منهُ بالسكين ووضعها على قطعة الخبز وهي ممسوكة باليسرى بين الابهام والسبابة

ويؤكل الجرجير باليد والبعض يأكلون الهليون باليد ايضاً والبعض يأكلونهِ بالشوكة

كريما الموز

خذ اثنتي عشرة موزة ناضجة جداً وقشرها وامرثها حتى تصير كالعصيدة واضف اليها من السكر الناعم ما يكفي لتحليتها واضف اليها ايضاً فنجاناً كبيراً من القشدة (الكريما) وامزج الموز بالقشدة جيداً حتى يكون من ذلك مادة كالزبد بعد ان تضيف اليها نقطاً قليلة من عصير الليمون

ضرر السهر

سئل رجل بالامس عن صحة زوجتهِ فقال انها على تمام الصحة هذا العام خلافاً لما كانت عليهِ في الاعوام السالفة مع انها ملازمة بيتها الآن ولم تسهر ليلة واحدة في الاوبرا . وقد ذكر عدم سهرها في الاوبرا كعلة لاستغرابهِ من تحسن صحتها ولو امعن نظرهُ لرأى ان عدم سهرها هو الذي اجاد صحتها لانهُ لا شيء يضني الجسم مثل السهر الطويل ولا شيء يريحهُ ويقويهِ مثل النوم الباكر الكافي

وقال آخر لطبيب وقد سألهُ عما فعل حتى بقي في صحتهِ وكاد يبلغ الستين وهو لا يزال كأنهُ ابن اربعين سنة انني انام باكرًا فلا تأتي الساعة العاشرة ليلاً حتى تجدني في فراشي ولم ادخن التبغ في حياتي ولا شربت مسكرًا . فقال لهُ الطبيب فهذا سر تمتعك بالصحة التامة

وقيل لاحد كبار الكتّاب كيف استطعت ان تؤلف هذه الكتب الكثيرة وكم ساعة تشتغل في النهار . فقال اني لا اشتغل اكثر مما يشتغل غيري ولكني انام باكرًا وانهض باكرًا واكتب اكثر ما اكتبهُ في الصباح فلا ينتصف النهار حتى اكون قد اتممت شغلي وكل ما اكتبهُ حينئذٍ لا احتاج الى مراجعتهِ وتنقيحهِ لانهُ من احسن ما استطيعهُ ولولا النوم الباكر ما قدرت ان أؤلف نصف ما الفتهُ واذا اضطررت ان اسهر في بعض الليالي الى نصف الليل اضعت النهار التالي لاني لا استطيع ان اكتب فيهِ شيئًا يرضيني



وداع الشتاء واستقبال الربيع

انقضى في يومنا هذا آخر سوق الرواعد والبوارق · ومضى آخر عهد من عهود الزوابع والسيول الدوافق · وصيرنا بعد الآن دمع السماء بعد ان طال على ذكاء البكاء · واحتجابها في كبد السماء فانها قد قضت شهوراً مسجونة في حظيرة الجدي الطويلة · وبئر الدلو المستطيلة يضحك عليها الحوت . ويشير للنجوم التي كادت تموت . فخرجت الغزالة من هذه الظلمة الى برج الحمل في الساعة الثانية والدقيقة ٢٦ صباح هذا النهار · وخلعت على الارض من حللها ما يتيه بهِ آذار ونيسان وايار . فابتسم الورد وتمايلت الازهار . لفصل تبهج الارض عن وروده ووروده · واذا افتخر الزمان كان انسان مقلته وبيت قصيده · بل هو الفصل الذي تشتاقهُ الارواح · حتى تملأ من وصاله في الغدو والرواح · يا لهُ من فصل يحرك الصبابة في فؤاد السالي · ويرد النعيم والخضرة الى الطلل البالي · ويبعث المسرة الى الطير فينظم في مديحهِ ما يشاء من الالحان ويسمعهُ من شدوه انغاماً ما تسمعها من غيره آذان . ويذيب الثلوج من الجبال فاذا هي تارة انهار تتدفق · وتارة انداء تترقرق · وهو الذي يحرك اوتار العود · ويجري الماء في العود · ويسير بالشمس من مكان الى مكان ضاحكة في كبد السماء · فتواجهها الارض بعد عريها متحفة بالمطارف الخضراء · ثم تأتي السماء فتنثر عليها ما تشاء من دنانير تفر من البنان · وتساقط عليها من الانداء ما هو على النرجس درٌ وعلى الشقائق مرجان · فاذا شئت ملأت العين من مروج هي الزبرجد المرصوف · واذا شئت ملأت الاذن من اغاريد ما اسمعتها اوتار ودفوف · واذا شئت ملأت النفس من سرور ليس بالموصوف · فرحباً بك ايها الربيع مرحباً بك · واهلاً وسهلاً بعودك بعد غيابك · وسبحان من كونك وكوننا · فانهُ ما زال يشيبنا ويفنينا وما يزال يبقيك ويجدد من شبابك

الاسكندرية ١٧ مارس حسن ابو الوفا

[المقتطف] يصحُّ هذا الوصف للمقيم في جبال لبنان او جبال سويسرا لا للمقيم في هذا القطر وشمس الشتاء لا تحجب فيهِ يوماً حتى تظهر اياماً

علماء الشرق

حضرات الافاضل الدكاترة اصحاب المقتطف الاغر

ورد في مقطم ١٤ مارس سنة ١٩٠٨ العدد ٥٧٦٣ حين كلامكم على الامة الانكليزية وعزمها على اقامة تمثال لشاعرها الشهير شكسبير تعليق تحثون فيهِ الشرقيين على اقامة تماثيل وتذكارات لعلمائهم وشعرائهم الذين نبغوا في القرن الماضي وهاك التعليق بالحرف الواحد

"فليتأمل الشرقيون اهتمام الغربيين بتكريم علمائهم وشعرائهم ونبذهم الخلاف والاغراض والمصالح في سبيل تعظيم العلم والادب . فقد نبغ من الشرقيين نفر من العلماء والشعراء في القرن الماضي فهل خطر لهم ان يتكاتفوا ويجمعوا كلمتهم وينبذوا الخلاف الديني والسياسي ويحيوا آثار اولئك العلماء بتمثال يقيمونهُ او تذكار يشيدونهُ حتى يقتدي الاواخر بالاوائل في استيعاب العلم واقتباس الفضائل"

فالرجا ان تعرفونا من هم هؤلاء العلماء والشعراء وتكتبوا لنا شيئًا عنهم في مقتطفكم الاغر لنعرف تاريخهم وما اشتهروا بهِ ليقف الشرقيون على فضلهم وما امتازوا بهِ مما يدفعهم الى اقامة التماثيل احياء لذكرهم واستنهاضًا للهمم

طنطا ابرهيم نقولا

[المقتطف] سألنا كاتب المقالة ان التي تشيرون اليها مَن يعني بالعلماء والشعراء الذين اشار اليهم فقال انهُ يعني رفاعة بك والشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني. وقد نشرنا ترجمة مسهبة للمعلم بطرس البستاني في المجلد الثامن من المقتطف ونشر الجنان ترجمة مسهبة للشيخ ناصيف اليازجي حين وفاتهِ وذلك قبلما انشأنا المقتطف اما رفاعة بك فلم نرَ لهُ ترجمة مسهبة حتى الآن

وكتابة التراجم ليست من الهنات الهينات بل لا بدَّ للكاتب من ان يعرف صاحب الترجمة معرفة تامة حتى يستطيع ان يصفهُ وصفًا صحيحًا. وقد كتبنا ترجمة الدكتور فان ديك والدكتور بلس والدكتور ورتبات لاننا عرفناهم معرفة تامة وعاشرناهم نحو خمس عشرة سنة واطلعنا على اكثر ما كتبوهُ . وكتبنا ايضًا ترجمة الشيخ محمد عبدو لاننا عاشرناهُ مدة طويلة واطلعنا على كثير مما كتبهُ. والذين نشرنا تراجمهم من الاوربيين والاميركيين ونحن لا نعرفهم ولم نرَهم مثل دارون وبسمارك وغلادستون وسلسبري وسبنسر ولنغلي ترجمنا ما كتبناهُ عنهم عن الذين كتبوا تراجمهم واضفنا اليهِ بعض ما علمناهُ من قراءة كتبهم وخطبهم

باب الرياضيات

الغريبة الجبرية

كتب الينا حضرة عبد الفتاح افندي البنا يقول انهُ اشتبه عليهِ وجه المغالطة في الغريبة الجبرية المدرجة في عدد شهر فبراير ولذلك جاء جوابهُ خطأ وطلب منا ان نشير الى ذلك • وجاءتنا حلول كثيرة من مشتركي المقتطف المشتغلين بالعلوم الرياضية بعد ان طبعنا باب الرياضيات و يظهر من اكثرها ان تعليم الرياضيات في هذا القطر لم يعد بالغاً من التدقيق والتوسُّع الحد الذي بلغهُ منذ ثلاثين سنة

تحقيق العرب لطول السنة

ان من اشهر كتب الفلك العربيَّة كتاب البتاني[1] المعروف بالزيج الصابي وقد جاء في الفصل السابع والعشرين منهُ كلام وافٍ عن تحقيقهِ لطول السنة الشمسيَّة فرأينا ان نثبتهُ هنا ليرى ابناء العربيَّة الذين يحسبون انهم تعلَّموا العلم كلَّهُ اذا درسوا العربيَّة وعلومها كيف كان يبحث اسلافهم منذ نحو الف سنة بحثاً مماثلاً لبحث العلماء الاوربيين في هذا الزمان

قال قد اختلف الاوَّلون في مقدار ازمان السنة فذكر بعضهم من قدماء اهل مصر وبابل انهُ ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم وجزء من مائة وعشرين من اليوم. وذكر بطليموس انهم عملوا على انَّ ذلك من مفارقة الشمس بعض الكواكب الثابتة الى ان تعود اليهِ فاعاب ذلك عليهم وذكر انهُ في غاية الشناعة لانهُ لو جاز هذا الرأي لم يمنع قائلاً ايضاً ان يقول انَّ زمان السنة هو من مفارقة الشمس كوكب زحل او غيرهِ من الكواكب المتحيرة الى ان تعود اليهِ وهذا رأي فاسد ظاهر الفساد جداً وان زمان السنة انما هو من مفارقة الشمس نقطة غير متحركة من الفلك الى ان تعود اليها إما من احدى نقطتي الاعتدالين الى مثلها او من احدى نقطتي الانقلابين الى مثلها فانهُ لا مبادئ من فلك البروج اولى من هذه النقط.

---

(١) هو ابو عبدالله محمد بن سنان بن جابر الحرَّاني المعروف بالبتاني المتوفى سنة ٩٢٩ للميلاد وقد ترجم كتابهُ الى اللاتينية وطبع سنة ١٥٣٧ ثم طبع مع الاصل العربي بين سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٣

فاما إبَرْخُس(٢) فانهُ عمل على ان طول زمان السنة ثلثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم فقط على انهُ قد تبيَّنَ لهُ انهُ اقل من ذلك بما حكى بطليوس عنهُ حين جمع آراءه فقال ان زمان السنة ثلثمائة يوم وخمسة وستون يوماً واقل من ربع يوم بالحقيقة لانهُ وجد الانقلاب الصيفي قد تقدّم زمانهُ زمان الربع اليوم التامّ الزائد على الثلثمائة وخمسة وستين يوماً وفي ذلك ما تداخلهُ الشك في مسير الشمس حتى توهَّم انَّ لها فلكاً آخر خارج المركز عن مركزي الفلكين . واكثر ما اخذ الاوّلون ذلك من الارصاد الصيفيَّة التي تؤخذ بمجاز الشمس على نقطة الانقلاب الصيفيّ وليست ترى في الصحة مثل الارصاد التي تكون بمجاز الشمس على احدى نقطتي الاعتدالين سيما نقطة الاعتدال الخريفيّ لصفاء الجوّ ونقائهِ في ذلك الزمان اكثر من صفائهِ ونقائهِ في زمان الاعتدال الربيعيّ . وذلك ان الشمس اذا جازت على نقطة المنقلب كانت بطيئة الحركة في الميل واذا كان مجازها على نقطتي الاعتدالين كانت حركتها في الميل سريعةً جدًّا ولذلك ما اعتمد بطليوس الاَّ على الارصاد الخريفية وجعل قياسهُ اليها. وكان احد ارصاد ابَرخس الذي عمل عليهِ ولم يشكَّ في حقيقتهِ الرصدَ الذي ذكرهُ فقال انهُ وجد الشمس جازت على نقطة الاعتدال الخريفيّ في سنة مائةٍ وثمانٍ وسبعين من ممات الاسكندر في اليوم الثالث من الايام الخمسة اللواحق في وقت انتصاف الليل بالاسكندريَّة من الليلة التي صبيحتها اليوم الرابع من اللواحق وصحَّ ذلك عندهُ

ورصد بطليوس من بعد مائتين وخمس وثمانين سنة مصريَّة وهو الرصد الذي ذكر في كتابهِ انهُ حققهُ ودققهُ بغاية التدقيق فوجد الشمس جازت على نقطة الاعتدال الخريفيّ في السنة الثالثة من ملك انطونينوس وهو سنة اربعمائة وثلث وستين من ممات الاسكندر في اليوم التاسع من اتور من شهور القبط بعد طلوع الشمس بالاسكندرية بساعة واحدة بالتقريب . فلما اخذ الزمان الذي بين الرصدين وجدهُ على الحقيقة مائتين وخمساً وثمانين سنة مصرية وسبعين يوماً وربع يوم وجزءًا من عشرين من يوم مكان الواحد والسبعين والربع يوم التي كانت تجب ان تجتمع من الارباع التامة في هذه المائتين وخمسة وثمانين سنة وتكون نسبة هذا اليوم الواحد الاَّ الجزء من عشرين من يوم الذي تقدّم بهِ زمانُ الرصد زمانَ الربع اليوم الزائد على ثلثمائة وخمسة وستين يوماً الى مائتين وخمس وثمانين سنة التي بين الرصدين كنسبة اليوم الواحد الى الثلثمائة سنة . فصار زمان السنة المأخوذ بهذين

(٢) فلكي يوناني نشأ بين سنة ١٦٠ و ١٣٥ قبل المسيح

الرصدين ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم الأ جزءا من ثلثمائة من اليوم وهو جزء وخمس جزء من ثلثمائة وستين جزءا

وذكر ايضاً انهُ اخذ الارصاد الصيفيَّة القديمة التي كانت قبل ابرخس وهو الرصد الذي كان على عهد افسودس ملك اثينس الذي كان مجاز الشمس فيهِ على نقطة المنقلب الصيفي قبل ممات الاسكندر بمائة وثماني سنين مصريَّة صبيحة اليوم الحادي والعشرين من فارموث (برمودا) من شهور القبط من تلك السنة وانهُ رصد الشمس فوجدها جازت على نقطة المنقلب الصيفي في سنة اربعمائة وثلث وستين من ممات الاسكندر في احدى عشر يوماً من مسري من شهور القبط من بعد انتصاف الليل من الليلة التي صبيحتها اليوم الثاني عشر منهُ بقريب من ساعتين

وكان ما بين هذين الرصدين قريباً من خمسمائة واحدى وسبعين سنة مصرية ومائة واربعين يوماً ونصف وثلث يوم مكان مائة واثنين واربعين يوماً ونصف وربع يوم تجتمع من ارباع السنين المذكورة لو كانت الارباع تامة في السنين . فوجد الانقلاب الصيفي قد تقدم زمانهُ زمان الربع التام بيوم واحد وثلثي يوم وربع يوم . ونسبة هذا اليوم والثلثي يوم والربع يوم الى الخمسمائة والاحدى والسبعين سنة المذكورة كنسبة اليومين الثامين الى الستمائة سنة . فوافق ذلك ما عمل عليهِ لذا كان الرصد قد تقدّم زمان الربع اليوم التام في كل ثلثمائة سنة بيوم واحد وان كانت هذه الارصاد الصيفيَّة ليست في الثقة كالخريفيَّة للعلة التي ذكرنا . ويبيّن ان الرصد الذي كان قبل ابرخس كان قبل رصد ابرخس بقريب من الزمان الذي بين رصد ابرخس ورصد بطليوس وذلك انهُ قبل ابرخس بمائتي سنة وست وثمانين سنة

ثم رصدنا نحن بمدينة الرقة فكان احد ارصادنا الخريفيَّة الذي نعتمد عليهِ ونثق بصحتهِ فيما ظهر لنا بآلة الرصد الذي كان بعد رصد بطليوس الخريفي الذي قد تقدم ذكرهُ بسبعمائة وثلث واربعين سنة وذلك لما قسنا فوجدنا الشمس جازت على نقطة الاعتدال الخريفي في سنة الف ومائة واربع وتسعين من سني ذي القرنين التي هي من بعد ممات الاسكندر سنة الف ومائتين وست من قبل طلوع الشمس من اليوم التاسع عشر من ايلول من شهور الروم وهو اليوم الثامن من باخون (توت) من شهور القبط باربع ساعات ونصف وربع ساعة بالتقريب . ولان فلك نصف النهار بالاسكندرية يتقدم فلك نصف النهار بالرّقة بقريب من ثلثي ساعة معتدلة يكون بين الرصدين اعني رصدنا ورصد بطليوس الخريفي سبعمائة

وثلث واربعون سنة مصرية ومائة وثمانية وسبعون يوماً ونصف وربع غير خمسي ساعة بالتقريب مكان مائة وخمس وثمانين يوماً ونصف وربع يوم كان يجب ان تجتمع من الارباع في هذه السنين لو كانت الارباع تامة فيما بين الرصدين . فاذا قسمنا هذه السبعة الايام والخمسي ساعة التي تقدم بها زمان الرصد زمان الربع اليوم الزائد على الثلثمائة والخمسة والستين على السبعمائة والثلث والاربعين السنة التي بين الرصدين كانت حصة السنة الواحدة من تلك الزيادة ثلثة اجزاء واربعاً وعشرين دقيقة من الثلثمائة والستين جزءاً التي هي مقدار دور يوم وليله . فاذا انقصنا ذلك من زمان الربع اليوم الذي هو تسعون جزءاً بقي مقدار الزيادة على الثلثمائة والخمسة والستين يوماً التامة ستة وثمانين جزءاً وستاً وثلثين دقيقة فصار زمان السنة الحقيقي ثلثمائة وخمسة وستين يوماً (وخمس ساعات) واربع عشرة دقيقة وستاً وعشرين ثانية بالتقريب فاذا قسمنا اجزاء دائرة الفلك الثلثمائة والستين على مقدار زمان السنة الموجود صارت حركة الشمس الوسطى في اليوم وليلته ه نط ح ك مو نو يد (1) وفي الثلثين يوماً التي هي مقدار الشهر المصري كط لد ي كج كح و مز (2) وفي الثلثمائة والخمسة والستين يوماً التي هي مقدار السنة المصرية ثلثمائة وتسعة وخمسون درجة وخمس واربعون دقيقة وست واربعون ثانية وخمس وعشرون ثالثة واثنتان وثلثون رابعة وخامستان واحدى وثلثون سادسة بالتقريب وكذلك اضفنا هذه الحركات واثبتناها في الجداول في السنين المجموعة والمبسوطة والشهور والايام والساعات بتاريخ العرب وتاريخ الروم لتسهيل المعرفة باستخراج موضع مسير الشمس بحركتها الوسطى التي تسمى وسط الشمس في كل وقت نريد بأيّ التاريخين شئنا . فبين هو ان زمان السنة الذي حصل لنا بالرصد اقل من الزمان الذي ذكره بطليوس بجزءين وخمس جزء وصارت لذلك حركة الشمس التي وجدنا تزيد على الحركة التي ذكر بطليوس في اليوم ه ه ه ج لب مب مب (3) وفي السنة المصرية ه ه كا م ي ن نو (4) بالتقريب ان شاء الله

---

(1) اي ٥٩ دقيقة من القوس و ٨ ثواني و ٢٠ ثالثة و ٥٦ رابعة و ٥٦ خامسة و ١٤ سادسة

(2) اي ٢٩ درجة و ٢٤ دقيقة و ١٠ ثواني و ٢٣ ثالثة و ٢٨ رابعة و ٦ خوامس و ٤٧ سادسة

(3) اي ٣ ثوالث و ٣٢ رابعة و ٤٢ خامسة و ٤٢ سادسة

(4) ٢١ دقيقة و ٤٠ ثانية و ١٠ ثوالث و ٥٠ رابعة و ٥٦ خامسة



النيترو بكتيرين

لا تزال مسائل السائلين ترد الينا عن عنوان المستر ستد او العنوان الذي يستحضر منهُ هذا الميكروب لتلقيح المزروعات . وقد اجبنا عن ذلك قبلاً ونجيب الآن ان استحضار الميكروب يختلف باختلاف المزوعات التي يراد تلقيحها بهِ فلا بد من ذكر اسم الزرع الذي يراد جلب الميكروب لهُ كأن يكون فولاً اولوبياء او برسيماً بلديًّا او برسيماً حجازيًّا فان هذا الميكروب لا يفيد الأ المزروعات التي من القطاني كالفول واللوبياء والبرسيم ويفيد ايضاً الطماطم فاذا اريد ان يطلب من البلاد الانكليزية فلتكتب ورقة الطلب هكذا .

ORDER FORM. *Date*..................

Please send me..............................*gallon packets of NITRO-BACTERINE, for crops marked as under, for which I enclose £ : :*

[Fill in amount at rate of 5s. per package.]

Name..

Address..

ويكتب تحتها اسم نوع النبات الذي يراد استعمال الميكروب لهُ وهذه اسماء المزروعات المصرية التي يمكن ان تلقح بزورها بهِ

Sweet peas	البازلا الحلوة
Beans (field)	الفول
Lubins	الترمس
Clover, white	البرسيم البلدي
Lucerne	البرسيم الحجازي
Tomatoes	طماطم

ويكتب العنوان على الظرف هكذا

To NITRO-BACTERINE,
Mowbray House, Norfolk Street, LONDON, W.C.

والنباتات الانكليزية ليست مثل النباتات المصرية تماماً ولكنها من نوعها وتشابهها مشابهة كثيرة . ويأتي مع الميكروب كراسة فيها شرح كيفية الاستعمال وثمن العلبة الواحدة خمسة شلنات

البحر الابيض وموسم القطن

للسر وليم ولككس

(نشرنا في الجزء الاول والثاني من اجزاء هذه السنة ترجمة خطبة السر وليم ولككس عن النيل والخزانات وقد خطب بعدها خطبة ثانية موضوعها البحر الابيض وموسم القطن . وابتدأ هذه الخطبة بالاشارة الى ما قالهُ لبرديني سنة ١٨٦٥ وهو انهُ ليس في الدنيا نهر مثل النيل من حيث اتساع موضوعهِ للبحث العلمي . ثم وقال)

ان امر النيل لم يبقَ مجهولاً الآن كما كان قبلاً ولكن زاد ولع الناس بالبحث فيهِ . فقد صرنا نعرف لماذا يزيد ماؤُهُ ويقلُّ سنة بعد سنة بالانتظام التام ولماذا يبقى الماء جارياً فيهِ في فصل الصيف ولو سار ثلاثة آلاف ميل في صحراء قاحلة تكاد تتقد . ولماذا يسهل جعلهُ صالحاً للري الصيفي كما كان صالحاً لري الحياض

وسأبين في هذه الخطبة نصيب كلٍّ من البحر الابيض والبحر الازرق والاتبره مما يجري الى القطر المصري من ماء النيل الى ان يصل الى بحر الروم مسافة ٢٧٠٠ ميل قاطعاً اكبر صحراء من صحاري الكرة الارضية وجالباً الحياة لكل ما يحيا على ضفتيهِ . وساصف النيل الآن كما هو في حالتهِ الحاضرة مستخدَماً لري الحياض وابيّن كيف يمكن ان يتغيّر ويصير نهراً جديداً صالحاً للري الصيفي

ولقد سمعت كثيرين يقولون ان الفرَج من هذا الضيق المالي يجب ان يأتي من مدينة لندن وكنت اجيبهم دائماً ان الفرج الذي يمكن ان يأتي من هناك وقتي واما الفرَج الحقيقي الدائم فيأتي من النيل فان النيل لم يخيّب مصر قط

وللناس آراء مختلفة في اسباب الضيق المالي الحاضر الذي اصاب هذه البلاد وعندي ان من اكبر هذه الاسباب ان الناس املَوا من خزان اصوان اكثر مما يحق لهم ان يؤملوا

فان الخزان يخزن مليارًا (الف مليون) من الامتار المكعبة ولكن الناس يتكلمون عنهُ كأنهُ يخزن عشرة مليارات . وتنجو البلاد من هذا الضيق حالما يزيد ماء النيل صيفًا وتسترد قوتها حينما يصير ماؤُهُ كافيًا لزرع نصف اطيان القطر قطنًا مع ما فيهِ من البراري والاراضي البور وقد قمت الآن لا بيِّن لكم انهُ يمكن اتمام ذلك في سنوات قليلة وبمبلغ معتدل من المال

ان كل الامطار التي تقع على الجزء الشمالي الشرقي من قارَّة افريقية ومساحتهُ ثلاثة ملايين من الكيلو مترات المربعة تجري اخيرًا الى النيل وستة اعشار هذه البلاد الواسعة يجري ماؤُها الى البحر الابيض وعشرها يجري ماؤُهُ الى البحر الازرق وعشرها يجري ماؤُهُ الى الاتبرة والعشران الباقيان تجري مياههما الى النيل نفسهِ وذلك من ملتقى البحر الابيض بالازرق الى بحر الروم فالاراضي التي تنصبُّ مياهها في البحر الابيض اوسع جدًّا من الاراضي التي تنصبُّ مياهها في البحر الازرق ولكن الماء الذي ينصبُّ في النيل من البحر الازرق اغزر من الماء الذي ينصبُّ فيهِ من البحر الابيض فاذا حسبنا ان متوسط الماء الذي يجري في النيل عند اصوان ٣٠٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان فعشرا هذا الماء من البحر الابيض وسبعة اعشارهِ من البحر الازرق وعشرهُ من الاتبرة . واكثر ماء الفيضان من البحر الازرق واما في زمن التحاريق فاكثر الماء من البحر الابيض

والبحر الابيض سلسلة من الخزانات تصل بينها شلالات او مجارٍ هادئة الماء اولها البحيرات الاربع الاستوائية ثم مجرًى قصير بطيء كثير البردي ثم شلالات وجنادل حتى تصل الى غندكرو ثم مجرًى بطيء يطغى ماؤُهُ على ضفتيهِ فتتكون منهُ مستنقعات واسعة جدًّا وبعدهُ جهات السد ومستنقعاتهُ مملوءة بالبردي ثم مستنقع طويل طولهُ الف كيلو متر لا يكاد تحدُّرهُ يُشعَر بهِ

يخرج البحر الابيض من بحيرة فكتوريا وارتفاعهُ هناك فوق سطح بحر الروم ١١٣٠ مترًا فيصل الى بحيرة البرت مسافة ٤٠٠ كيلو متر يهبط فيها ٤٥٠ مترًا ثم يصل الى غندكرو بعد ٤٠٠ كيلو متر يهبط فيها ٢٥٥ مترًا . ويجري بعد ذلك ١٨٠ كيلو مترًا الى بور يهبط فيها ١٤ مترًا ثم ٥٧٥ كيلو مترًا الى بحيرة نو يهبط فيها ٢٩ كيلو مترًا . اما من بحيرة نو الى الخرطوم فالارض سهل منبسط ومجرى النيل فيها لا مثيل لهُ على وجه البسيطة فاذا كان ارتفاع الماء عند بحيرة نو في زمن الفيضان ٣٨٢ مترًا و ٣٠ سنتمترًا فوق سطح بحر الروم فلا يهبط عن ذلك عند الرنك سوى ٤ امتار و ٨٠ سنتمترًا مع ان بعد الرنك عن بحيرة نو ٤٨٠ كيلومترًا ومن الرنك الى الخرطوم مسافة ٤٩٠ كيلو مترًا لا يهبط الماء قط . اي انهُ ينحط ٤ امتار

و ٨٠ سنتمترًا فقط اي مسافة طولها ٩٧٠ كيلو مترًا او مترًا واحدًا كل ٢٠٠ كيلو متر فالخمس مئة كيلو متر الاخيرة فوق الخرطوم ليست نهرًا جاريًا بل بحيرة عرضها من كيلو متر الى خمسة وعمقها من خمسة امتار الى عشرة

وقد استنتج لمبردبني من الامور التي كانت معروفة في زمنهِ عن النيل ان جهات السد كانت في الزمن الغابر بحيرة كبيرة فاجتمع الطمي فيها وامتلأت بهِ

والماء الذي ينصب الآن من البحر الابيض في نهر النيل صافٍ لا طمي فيهِ ويكون مقدارهُ ١٠٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر يناير ثم يقل حتى يصل الى ٤٠٠ متر مكعب في شهر مايو ويزيد الى ٦٠٠ متر مكعب في يونيو . واما في يوليو واغسطس وسبتمبر فلا يجري منهُ شيء يذكر لان فيضان البحر الازرق يردُّ مياه البحر الابيض ويجعلها تتراكم بعضها فوق بعض فوق الخرطوم في مجراهُ الذي قلنا انهُ شبه بحيرة . وفي اكتوبر يقلُّ ماء البحر الازرق فيأخذ ماء هذه البحيرة في الجريان ويكون مقدار الماء الجاري منها في اكتوبر ١٧٠٠ متر مكعب في الثانية ثم يقلُّ رويدًا رويدًا حتى يبلغ ٤٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر دسمبر

ومصدر البحر الازرق في بحيرة صانا ببلاد الحبشة والمنسوب هناك ١٧٦٠ مترًا فوق سطح البحر او ٣٦٠ مترًا فوق منسوب بحيرة فكتوريا . ويهبط البحر الازرق ١٣١٠ امتار من بداءة جريانهِ من بحيرة صانا الى الرصيرص مسافة ٩٠٠ كيلو متر ثم يهبط ٧٢ مترًا من الرصيرص الى الخرطوم مسافة ٦٤٢ كيلو مترًا . وعرضهُ نحو ٥٠٠ متر وعمقهُ زمن الفيضان ١٢ مترًا وضفتاهُ عاليتان فلا يطغى ماؤُهُ عليها مهما ارتفع الا في الخرطوم . وينصب منهُ ٤٠٠ متر مكعب في الثانية في شهر يناير ثم يقلُّ حتى يصير ١٠٠ متر مكعب في ابريل ويزيد بعدها فيصير ٢٠٠ متر في مايو و ١٠٠٠ متر في يونيو و ٢٥٠٠ في يوليو و ٧٠٠٠ في اغسطس و ٨٥٠٠ في سبتمبر و ٤٥٠٠ في اكتوبر و ١٥٠٠ في نوفمبر و ٧٥٠ في دسمبر . ومتى قلَّ ماؤُهُ صار نقيًا صافيًا . ثم تزيد المواد التي يحملها فتعكرهُ حتى تبلغ ٣٣٠٠ جزء في كل مليون جزء من الماء . وقد يكون الفيضان عاليًا جدًا فيبلغ الماء الجاري فيهِ ١٢٠٠٠ او ١٣٠٠٠ متر مكعب في الثانية . والعكر الذي فيهِ هو الطمي الذي تكونت منهُ تربة القطر المصري

و يصب الاتبرة في النيل جنوبي بربر وهو غدير يجري من الجهات الجنوبية الشرقية من بلاد الحبشة ويغزر ماؤُهُ من يوليو الى سبتمبر و يكاد يجفُّ في باقي السنة . ومصدرهُ على نحو ١٦ كيلو مترًا من بحيرة صانا حيث الارتفاع ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر وينحدر ١٥٠٠ متر في الاربع مئة كيلو متر الاولى ويلتقي حينئذٍ بنهر ستيت وهو اكبر من الاتبرة وابقى .

وقد وصف السر صموئيل باكر نهر الاتبرة في كتابهِ المعنون "بنواصر النيل في الحبشة" وابدع في الوصف وبيَّن كيف يقتلع الصخور ويجرف الاتربة البركانية الاصل ويحملها الى النيل لكي يغني بها ارض مصر . وبعد ان يجري الاربع مئة كيلو متر الاولى ثم ٤٤٠ كيلو مترًا اخرى يصبُّ في النيل وانحدارهُ في الثلثمائة كيلو مترًا الاخيرة ١/٢٠٠٠ وعرضهُ ٣٣٠ مترًا وعمقهُ ٦ امتار

ويصبُّ من الاتبرة في النيل كل ثانية نحو ١٠٠ متر مكعب في شهر يونيو و ٦٠٠ متر مكعب في شهر يوليو و ٢٥٠٠ في شهر اغسطس و ١٥٠٠ في سبتمبر ويجف تماماً او تقريباً في بقية السنة

وقد كتب كثيرون عن النيل مثل شوينفورث وشلي وباروى وبتي وبرنهس والسر همفري برون . ولكن الامور التي عرفت عنهُ في السنوات السبع الاخيرة هي التي كشفت غوامضهُ فقد جمع السر وليم جارستن والمستر دبوي والمستر ثمهام والمستر ولس الحقائق المائية والدكتور هيوم والمستر بدنل والدكتور بول الحقائق الجيولوجيَّة والمستر وايلد والمستر كيلنج الارصاد الجويَّة والدكتور بيم والمستر لوكاس التحليلات الكيماوية والمستر فودن والمستر هيوز الاخبارات الزراعية . والعلماء الكبار مثل الدكتور شوينفورث والدكتور بلنور ساعدوا على ايضاح المسائل الهامَّة . وقد جمع الكبتن ليونس مدير مصلحة المساحة العام كثيرًا من هذه المعلومات مما كتب قديماً عن النيل في كتابهِ عن طبيعة النيل وحوضهِ . وعندهُ في ديوانهِ جماعة من امهر الجيولوجيين والمتيورولوجيين والرياضيين ولكن ليس عندهُ مهندس مائي بل رجل مبتدئ انتحل بعض ارائي ثم طلب مني ان اجاريهُ فيها ولم يكتفِ بذلك بل اتهمني بالخطإِ في الامور التي اتفق اني كنت مصيباً فيها فاذا استثنينا الامور المتعلقة بالهندسة المائية فالكتاب خزانة فوائد يعتمد عليها

نأتي الآن الى النيل نفسهِ وننظر فيهِ شهرًا شهرًا

في مايو يصب فيهِ البحر الابيض عند الخرطوم ٤٠٠ متر مكعب كل ثانية . ويكون الاتبرا جافًا . والمياه التي تصبُّ فيهِ يمضي عليها ثلاثة اسابيع حتى تصل القطر المصري فيقل مقدارها بالتبخر لا سيما وانها تجري في بلاد حارة رياحها لافحة ولكن يضاف اليها كثير من المياه التي تتحلَّب اليها من الارض على طول مجرى النيل كما قال لمبرديني وتدخل القطر المصري ومقدار ما يجري منها في الثانية ٥٥٠ مترًا مكعباً (كأنها لم تخسر سوى ٥٠ مترًا مكعباً)

وفي يونيو يصير المنصبُّ في الثانية من البحر الابيض ٦٠٠ متر مكعب ومن البحر الازرق

١٠٠٠ متر مكعب ومن الاتبرة ١٠٠ متر مكعب ولكن اكثر هذه الزيادة في اواخر الشهر فلا تكاد تصل مصر فيهِ ويبلغ المنصبُّ من الماء حينئذٍ عند اصوان نحو ٧٥٠ مترًا مكعبًا

وفي يوليو تكثر المياه الحمراء في البحر الازرق من بلاد الحبشة فيبلغ الجاري فيهِ عادة ٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية وحينئذٍ توقف مياههُ مياه البحر الابيض عن الجريان. وينصب في هذا الشهر ٦٠٠ متر مكعب في الثانية من الاتبرة وتكون النتيجة ان الماء الجاري الى القطر المصري حينئذٍ يصير مقدارهُ ٢٢٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي اغسطس يكون الفيضان قد بلغ اقصاهُ فيصير البحر الازرق يصبُّ في النيل ٧٠٠٠ متر مكعب في الثانية من الماء العكر والاتبرا يصبُّ فيهِ ٢٥٠٠ متر مكعب من الماء العكر ايضًا واما البحر الابيض فيكون ماؤُهُ لا يزال ممنوعًا من الجري . والنتيجة انهُ يصل الى القطر المصري حينئذٍ ٨٠٠٠ مكعب في الثانية من المياه الحمراء الكثيرة الطمى

وفي سبتمبر يكون ماء البحر الابيض لا يزال ممنوعًا من الجري ويبلغ المنصب من البحر الازرق ٨٥٠٠ متر مكعب في الثانية ومن الاتبر ١٥٠٠ متر مكعب والواصل الى القطر المصري ٩٢٠٠ متر مكعب في الثانية . وقد يزيد هذا المنصبُّ عن ذلك اذا كان الفيضان وافرًا جدًّا فيبلغ ١٤٠٠٠ متر مكعب وقد يقل كثيرًا فيبلغ ٦٠٠٠ متر مكعب وذلك في السنين التي يكون فيضانها رديئًا . وتصل مياه الفيضان من الخرطوم الى القطر المصري في ١١ يومًا

وفي اكتوبر تتغير الحال يهبط المنصبُّ من البحر الازرق الى ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية وتجري المياه من البحر الابيض فينصب منها ١٧٠٠ متر مكعب في الثانية ويجفُّ الاتبرة والنتيجة انهُ يصل من الماء حينئذٍ الى القطر المصري ٦٠٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي نوفمبر يروق ماء البحر الازرق وينحط المنصب منهُ الى ١٥٠٠ في الثانية وينصب من البحر الابيض ١٦٠٠ في الثانية ويصير الماء المتجمع في مجرى النيل ينصب ايضًا فيصل الى القطر المصري ٣٣٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي ديسمبر ينصب من البحر الازرق ٧٥٠ مترًا مكعبًا فقط في الثانية ومن البحر الابيض ١٤٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي يناير يروق ماء البحر الازرق تمامًا ويصير المنصب منهُ ٤٠٠ متر مكعب في الثانية ومن البحر الابيض ١٠٠٠ متر مكعب ولكن يصل الى القطر المصري ١٦٠٠ متر مكعب في الثانية بما يضاف اليهِ من الماء الذي كان مجتمعًا في مجرى النيل نفسهِ

وفي فبراير ينصبُّ من البحر الازرق ٣٠٠ متر مكعب ومن البحر الابيض ٨٥٠ مترًا ويصل الى مصر ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية

وفي مارس ينصب من البحر الازرق ٢٠٠ متر مكعب ومن البحر الابيض ٧٠٠ متر مكعب ويصل الى مصر ٨٥٠ مترًا مكعبًا في الثانية

وفي ابريل ينصب من البحر الازرق ١٠٠ متر فقط ومن البحر الابيض ٥٥٠ مترًا ويصل القطر المصري ٧٠٠ متر مكعب . ثم نعود الى شهر مايو كما تقدم   ستأتي البقية



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) عدد حروف الهجاء

سأل جوان دابوفستا بالبرازيل الخواجه عازار بنضو لماذا عدد الحروف العربية ٢٩ حرفًا وعدد الحروف الافرنجية ٢٦ حرفًا .

ج لان العرب ينطقون باصوات لا ينطق بها اكثر الافرنج كالحاء والخاء والعين ولانهم وضعوا حرفين مختلفين لصوتين متقاربين كالطاء والتاء والدال والضاد فان الافرنج وضعوا للاولين حرفًا واحدًا وكذا للآخرين مع ان لكل حرف منهما صوتين او اكثر في لغاتهم

واذا دققنا البحث وجدنا ان الاصوات التي تنطق بها العرب والافرنج كثيرة جدًّا تفوق الاربعين والخمسين اكثرها مشترك بينهم جميعًا كالدال واللام والميم والنون وبعضها خاص بالعرب كالحاء والعين . وبعضها لا وجود لهُ عند العرب كالثاء V . وقد اكتفى العرب بوضع ٢٩ حرفًا او ٢٨ حرفًا والافرنج باربعة وعشرين حرفًا او خمسة وعشرين او ستة وعشرين ولكن يظهر لكم باقل نظر ان لبعض هذه الحروف اكثر من صوت واحد فصوت حرف الراء في كلمة راوي غير صوتهِ في كلمة راكب وصوتهُ في كلمة روض غير صوتهِ في كلمة رَكب . وصوت حرف اللام في كلمة هلال غير صوتهِ في كلمة ضلال . وقس على ذلك الحروف

الافرنجية ولكن الذين وضعوا الحروف اولاً جمعوا صوتين او اكثر من الاصوات المتقاربة تحت حرف واحد للاختصار

(٢) حركات الحروف

ومنهُ . لماذا لا يضع الافرنج حركات على حروفهم كالضمة والفتحة والكسرة .

ج لانهم وضعوا حروفاً لاصوات هذه الحركات فيضعون o مثلاً في المكان الذي نضع فيهِ نحن ضمة و a في المكان الذي نضع فيهِ نحن فتحة

(٣) تجنيد المسيحيين

ومنهُ . لماذا لا تجند الدولة العثمانية من رعاياها المسيحيين كما تجند من المسلمين اسوةً بدولة ايران التي تجند من كل رعاياها على اختلاف اديانهم

ج ان نظام الجندية في الدولة العلية قديم نشأ قبلما قويت الجامعة الوطنية فاوجست الدولة خيفة من تجنيد المسيحيين في جيشها مع انها لم تكن تفعل كذلك قبل ان وضعت نظام الجندية بل كانت تعتمد على الانكشارية واكثرهم من اولاد المسيحيين ومن المحتمل انهُ متى قويت الجامعة الوطنية وتغلبت على الجامعة الدينية في المعاملات العمومية لا تعود الدولة العلية توجس خيفة من تجنيد رعاياها المسيحيين

(٤) المندل

مصر . احد المشتركين . عند المصريين عادة مشهورة وهي انهُ اذا سُرق من احدهم شيء يذهب الى رجل يعمل لهُ ما يسمى بالمندل اي يحضر ولداً دون سن البلوغ ويجعلهُ ينظر في فنجان وبعد قراءة وتمتمة يخبر الصبي عن السارق . وقد يصيب وقد يخطئ . افلا يمكننا ان نعتبر هذه المسألة من من قبيل التنويم المغنطيسي ولو كانت القراءة والتمتمة من قبيل التوهيم . وان القدماء كانوا يعرفونهُ لان هذه العادة مأخوذة عنهم

ج لا شبهة ان القدماء كانوا يعرفون ما يسمَّى الآن بالتنويم المغنطيسي او الاستهواء لانهُ حادثة طبيعيَّة وقد انتبهوا لهُ كما انتبهوا الى غيرهِ من الحوادث الطبيعيَّة واستخدمهُ كهانهم في التمويه على البسطاء او حسبوهُ من نوع الانجذاب الروحاني فان الولد الذي يحدق زماناً طويلاً في فنجان الماء يعتريهِ الذهول او النوم المغنطيسي ويصير يجيب المسائل حسب توجيه السؤال اليهِ او حسبما يصورهُ لهُ الوهم فاذا سألهُ صاحب المندل هل السارق رجل او امرأة اجاب انهُ رجل او انهُ امرأة حسب ما يخطر ببالهِ اولاً ثم يبني بقية اجوبتهِ على الجواب الاول كأنهُ يؤلف قصَّة او خبرًا مختلقاً لكنهُ لا يصيب في اجوبتهِ الاَّ اذا كان ضارب المندل عارفاً مَن هو السارق وارشد الولد اليهِ في سؤالهِ لهُ او اذا ارشدهُ اليهِ الذين حولهُ بكلامهم وهم لا يدرون

(٥) تغيير الاخلاق

ومنهُ . يقول كثيرون من الناس ان المدارس لا تفيد سوى التعليم واما الاخلاق فغريزيَّة لا تتحوَّل الاَّ نادرًا اي ان الصبي ذكيًا كان او بليدًا ومتردِّدًا او طائعًا وجبانًا او شجاعًا يشبُّ على الاخلاق المولودة معهُ . ومن الامثلة التي يوردونها لذلك ان نبوليون بونابرت كان يؤلف من التلامذة رفاقهِ فرقة ويقودها للهجوم على فرقة اخرى اي كانت تبدو عليهِ مخايل الشجاعة وقيادة الجيوش وهو صبي في المدرسة فهل ذلك صحيح اي هل الاخلاق خلقية لا مكتسبة

ج نعم هي خلقية ولكن للتربية شأن لا ينكر في تهذيبها وتقويمها وتقوية بعضها واضعاف البعض الآخر . وقد يكون تأثير التربية كبيرًا وقد يكون صغيرًا حسب اختلاف الاخلاق وتمكنها . فاذا اتفق ان رجلاً من طبعهِ الشجاعة تزوَّج امرأة من طبعها الشجاعة ايضاً وولد لها ولد ورث الشجاعة عنهما فالغالب انها تكون ارسخ فيهِ منها في والديهِ . ثم اذا تزوَّج هذا الولد امرأة من قوم مشهورين بالشجاعة وولد لهُ ولد منها فالغالب انهُ يكون شجاعًا ويكون هذا الخلق ارسخ فيهِ منهُ في والديهِ . فاذا رُبيَ تربية تدعوهُ الى الجبن لم يجبن بل بقيت شجاعتهُ فيهِ واذا رُبيَ تربية تدعوهُ الى الشجاعة زادت شجاعتهُ . ولكن اذا تزوَّج الجد الاول امرأة جبانة او من قوم مشهورين بالجبن فالغالب ان خلق الشجاعة في ولدهِ منها يكون ضعيفًا او ممزوجًا من شجاعة الاب وجبانة الام كما يولد الولد اسمر اذا كان ابوهُ ابيض وامهُ سوداء . فاذا رُبيَ هذا الولد تربية تقوي الشجاعة فيهِ شبَّ شجاعًا واذا رُبيَ تربية تقوي الجبن فيهِ شبَّ جبانًا . وقيسوا على ذلك سائر الاخلاق اي ان المتمكن منها بالتسلسل الطويل لا تؤثر فيهِ التربية الاَّ قليلاً وغير المتمكن منها تؤثر فيهِ التربية كثيرًا

(٦) النيتروبكتيرين

شبراخيت . الدكتور محمد عشماوي. قرأنا ما كتبتموهُ عن فعل النيتروبكتيرين في اصلاح الارض الزراعية فنرجوان تخبرونا عن المكان الذي يمكننا ان نستحضر منهُ هذه المادة وعن كيفية استعمالها

ج تجدون في باب الزراعة في هذا الجزء عنوان المحل الذي يجلب منهُ النيتروبكتيرين وثمن كل علبة منهُ وانواع المزروعات التي يستعمل لها وترون هناك ان لكل نوع من المزروعات ميكروبًا او مستحضرًا خاصًا بها . اما طريقة استعمالهِ فمشروحة في لائحة ترسل معهُ . ونكرر هنا ما قلناهُ سابقًا وهو ان هذا الميكروب لا يفيد في الارض الجيدة بل في الارض الضعيفة

(٧) صدق الاحلام

مصر. اديب افندي شاهين . اصادف احيانًا امورًا وتحدث لي حوادث اتذكر عند وقوعها انني رأيتها في الحلم قبل حدوثها ببضعة ايام او عدة اشهر وقد حدث لي ذلك مرارًا ولم ارَ لهُ حلاً . ومن الغريب انني احلم الاحلام المشار اليها ثم انساها حينًا استيقظ ولا اتذكر انني حلمتها الأ حينما ارى الحادث الذي تشير اليهِ فاتذكر حينئذٍ انني حلمت بهِ فهل عندكم تعليل لذلك

ج يظهر لنا ان التعليل المعقول لذلك هو انكم ترون الحادثة فترتسم صورتها حالاً في ذاكرتكم ثم يلتفت العقل الى هذه الصورة فيحسب انها قديمة فيهِ وهو خطأ في حكمهِ . والخطأ في احكام العقل اكثر مما يظن فانتم الآن تقرأون هذه السطور وعقلكم يحكم انهُ يرى السطور التي امامكم . وهذا خطأ في حكمهِ لانهُ لا يرى السطور التي امامكم اي لا يشعر بما هو امامكم بل بالصورة التي رسمها النور على شبكة العين وانتقل تأثيرها في الاعصاب الى الدماغ . وهناك خطأ آخر وهو ان تلك الصورة مقلوبة اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ويمينها يسارها ويسارها يمينها والعقل يشعر بها مقلوبة كذلك ومع ذلك يحكم انها مستقيمة. واذا كان امامكم مرآة رأيتم فيها ما هو وراءكم واذا كانت المرآة كبيرة جدًا ولم يظهر لكم برواز‌ها حسبتم ان الاشباح التي ترونها موجودة امامكم حقيقة وما هي الأ صور معكوسة عن المرآة . وقد رأيتموها وراء المرآة بعيدة عنها وهي في الحقيقة اشعة نور معكوسة عن الاشباح التي وراءكم الى سطح المرآة ثم معكوسة عن سطح المرآة الى عينيكم فلا اشباح امامكم وراء المرآة كما ترون والاشباح التي وراءكم لا تؤثر فيكم بنفسها. وكل احكام العقل في الرؤية غير منطبقة على الواقع . وكثيرون من الناس اذا رأوا انسانًا او سمعوا صوتهُ اول مرة حسبوا انهم رأوهُ او سمعوهُ من قبل لان اثر الرؤية واثر السمع ينطبعان في ذاكرتهم حالاً فيلتفت العقل اليهما ويحسبها قديمين فيهِ

(٨) التسوُّل

الاسكندرية . محمود افندي الشاعر. هل التسوُّل عام في الدنيا وهل من طريقة لمنعهِ تمامًا

ج كان عامًا ولكنهُ أُبطل من بعض البلدان الاوربيَّة والاميركية بحسبان المتسول متشردًا وعقابهِ وانشاء ملاجئ للمحتاجين الذين لا يستطيعون العمل

(٩) بكاءُ الطفل

ومنهُ . رأيت طفلاً في المهد يبكي بكاء شديدًا حتى لم يستطع احد ان يسكتهُ . وكانت حال تنفسهِ اذ ذاك في اضطراب شديد . وحدث لهُ ذلك عقب تيقظهِ من النوم بلا سبب فما علة ذلك وما دواؤُهُ

ج ترون في ما ذكرناهُ في هذا الجزء

عن الشفاء بالايمان اشارة الى هذه الحادثة وامثالها وهي تحدث من عناد في حركة الاعصاب وعجز الارادة عن منعها ودواؤُهُ ان يوجَّه انتباه الطفل بغتةً الى شيءٍ آخر فيبطل البكاء

(١٠) خلق حواء

بغداد . الخواجه يوسف يعقوب مسيح . من اي ضلع من اضلاع آدم ابي البشر صنعت المرأة الاولى وما الرمز عن موضع ذلك الضلع

ج نظن ان علماء التفسير يقولون الآن ان الكلام مجاز لا حقيقة وهو يدل على ان الرجل والمرأة من اصل واحد . وان كان حقيقة فلا يمكن ان يُعلَم منهُ غير ما هو مذكور فيهِ والنص لم يعين الضلع

(١١) مزدكية امرء القيس

ومنهُ لقد ادَّعى البعض بمزدكيَّة امرىء القيس الشاعر الجاهلي وادَّعى غيرهم بنصرانيتهِ فما رأيكم في دينهِ

ج يظهر ان بني كندة الذين منهم امرؤُ القيس اقتبسوا المزدكية لما تغلبوا على العراق اما تزلفاً للفرس او تفضيلاً لها على غيرها من المذاهب واستمروا على ذلك الى عهد انوشروان الذي نكل بالمزادكية نحو سنة ٥٢٨ للميلاد فاستعزَّ بهِ الملك المنذر ونكل ببني كندة ثم غزا الشام ووصل الى انطاكية حتى اضطر الامبراطور يستنيانوس ان يكل حماية الشام الى الحارث ابن جبلة الغساني وهو الحارث الاعرج ونشأ امرؤُ القيس مبغضاً للحارث مطالباً بدم ابيهِ منهُ فلا يبعد ان تكون المزدكية مذهبهُ . لكن تحقيق هذه المسألة وامثالها من تاريخ العرب غير ميسور لان تاريخهم لم يُكتَب الاَّ بعد هذه الحوادث بسنين كثيرة ومعلوم ما يعتور الاخبار من التحريف والزيادة والنقصان بتوالي نقلها عن السنة الرواة

(١٢) الدوطة والبائنة

ومنهُ ذهب بعض الكتاب الى ترجمة كلمة الدوطة بالبائنة وبعضهم الى ترجمتها بالمَنِيني فاي اللفظين اصلح

ج ان العرب لم يكونوا يعطون بناتهم مالاً وقت تزويجهنَّ غير الجهاز لان المال كان يعطى من الزوج للزوجة وهو المهر او الصداق لا من الزوجة للزوج ولكن يؤْخذ من لسان العرب ان البائنة تستعمل للمال الذي يعطيهِ الوالدان لكلّ من اولادهما اي النصيب الذي يعطونهُ اياهُ في حياتهما . والمنيني مصدر منَّ بمعنى اعطى او وهب فالهبة خير منها . فاذا كان لا بدَّ من استعمال كلمة عربية الاصل لهذا المعنى الجديد اي لما تعطيهِ الزوجة لزوجها من المال فلا بأس بكلمة بائنة الاَّ اذا وقع التباس بينها وبين التطليقة البائنة . وقد تأَخرنا عن اجابة مسائلكم الى الآن لانها وضعت سهواً في غير المكان الذي نضع فيهِ المسائل



الملاريا والعمران

الف بعضهم كتاباً موضوعهُ الملاريا وانحطاط الامم قدم لهُ الماجور روس مقدمة كبيرة الفائدة · وقد استدلَّ المؤلف من البحث في تاريخ اليونان والرومان انهم اخذوا ينحطون من حين دخلت الحمى الملارية بلادهم فاليونان ابتدأُوا ينحطون وتسوء اخلاقهم في القرن الرابع قبل المسيح والرومان اخذوا ينحطون وتسوء اخلاقهم في القرن الثاني قبل المسيح. واستدلَّ ايضاً على ان الحمى الملارية وصلت بلاد اليونان من جزيرة سفا كتريا وهي مباءة للملاريا الآن · ووصلت الى بلاد الرومان مع الجنود المسترزقة التي جاءت مع هنيبال القائد القرطاجني

والظاهر ان بلاد اليابان خالية من الملاريا وبلاد الصين كثيرة الملاريا وهذا سبب نشاط اليابانيين وخمول الصينيين

ومعلوم انهُ لا شيء يضعف العزائم مثل المرض ولا سيما الحمى الدورية والملارية التي تصيب الانسان وتنتابهُ اياماً واشهراً فتضعف بها عزيمتهُ وتسوء اخلاقهُ واذا كثر انتشار هذه الحمى في بلاد وتوالت عليها سنة بعد سنة فلا بدَّ من ان تؤثر في اخلاق اهلها بنوع عام . فللبعوض الذي ينقل ميكروب هذه الحمى من شخص الى آخر وينشرها في البلاد اليد الطولى في انحطاط الامم . فلا مبالغة في قولهم " ان البعوضة تدمي مقلة الاسد " بل البعوضة تدمي مقلة الامم وتحطها من اوج الهمة والنشاط الى حضيض الضعف والخمول

قتلى الملوك

بلغ عدد الذين قتلوا من الملوك والرؤساء في البلدان المتمدنة واحداً وعشرين ملكاً ورئيساً في مدة لا تتجاوز قرناً من الزمان · وكانت البرتغال الى العهد الاخير خالية من هذه الفظائع مثل جارتها اسبانيا على ان الفوضويين ابوا الَّا ان يدمجوها في عداد الممالك التي نالت قسطها من هذا القبيل فقتلوا ملكها وولي عهده في حين واحد وهي جناية فظيعة لم يسبق لها مثيل في التاريخ الحديث ولكن جرى في السرب ما يقرب منها حينما قتل الملك اسكندر والملكة دراجة في شهر يونيو سنة ١٩٠٣

وقبل حدوث الفاجعة السربية بثلاث

سنوات قتل فوضوي الملك امبرتو ملك ايطاليا . وفي سنة ١٨٩٨ قتلت امبراطورة النمسا وكانت مارة في جنيف عائدة من ويسبادن حيث كانت تستشفي من داء المَّ بها فطعنتها يد اثيمة بخنجر في قلبها . اما الملك امبرتو فقد قتل وهو يصعد الى مركبتهِ وكان قد نجا من فتك الفوضويين مرتين قبل ذلك . ففي المرة الاولى هجم عليهِ رجل في نابولي سنة ١٨٧٨ وحاول ان يطعنهُ بسكين فلم يفلح. وفي المرة الثانية رماهُ احد العمال الفوضويين بحربة فلم يصبهُ . على ان هؤُلاء الفوضويين لم ينفكوا عنهُ حتى قتلوهُ في المرة الثالثة

ثم ان بين الواحد والعشرين ملكاً ورئيساً ثمانية من رؤَساء الجمهوريات منهم ثلاثة من رؤَساء جمهورية الولايات المتحدة وقد قتلوا كلهم في الخمسة والاربعين عاماً الاخيرة . الاول منهم لنكن وكان مقتلهُ سنة ١٨٦٥ والثاني جارفيلد قتل سنة ١٨٨١ والثالث مكنلي قتل حوالي سنة ١٩٠١

وقد وقع مقتل لنكن وقوع الصاعقة في نفوس الاميركيين لانهُ حدث على اثر انتهاء حرب الحرية فخشوا ان يفضي الى اضطراب جديد . اما تفصيل مقتلهِ فهو انهُ ذهب ذات ليلة مع اسرتهِ الى التياترو في وشنطون وكان احد الممثلين واسمهُ ولكس بوث قد اتفق مع زمرة من الفوضويين على الفتك بعدة من الرؤَساء والملوك ولما شاهد الرئيس اغتنم الفرصة فذهب اليهِ بلا وجل ولا احجام وافرغ مسدسهُ في دماغهِ ثم فرَّ الى خارج المرسح حيث ركب جواداً معدًّا لهُ واعمل فيهِ السوط فمرق بهِ مروق السهم ولكن نجاتهُ كانت الى حين قصير فان البوليس تعقب آثارهُ وقبض عليهِ بعد الجناية باثني عشر يوماً ثم حكم عليهِ بالاعدام

واما جارفيلد فقد قتلهُ رجل لم يحصل على منصب فقتلهُ انتقاماً واما مكنلي فقتل في معرض بفلو

ثم قتل كارنو رئيس الجمهورية الفرنسوية في ليون سنة ١٨٩٤ وناصر الدين شاه ايران سنة ١٨٩٦ وهو في جامع الشاه عبد العظيم قرب طهران

وقُتل من قياصرة روسيا اربعة آخرهم القيصر اسكندر الثاني وكان النهليست قد حاولوا الفتك بهِ ست مرات قبل ذلك فلم يفلحوا ولكنهم ظلوا يترقبون الفرص حتى قتلوهُ سنة ١٨٨١ وتفصيل مقتلهِ انهُ كان عائداً من عرض العساكر الى قصرهِ الشتوي فانفجرت قنبلة في مركبتهِ انفجاراً فجائيًّا فقتل كثيرون من حرسهِ ولم يمس هو بسوءٍ وبعد فحص اجسام الجرحى مشى على قدميهِ غير مبالٍ بالخطر ولم يسر بضع خطوات حتى انفجرت قنبلة أُخرى بين قدميهِ فهشمت جسدهُ ومات بعد بضع ساعات

وقد قتل اربع ملوك ورؤساء بين سنة ١٨٢٢ و١٨٧٦ فالاول الكولونل باتا رئيس بيرو والثاني مور بنو رئيس اكوادور والثالث جيتيارز رئيس بيرو ايضاً والرابع السلطان عبد العزيز قتل او انتحر والله اعلم

وربما كان قتل ملكة كوريا اشد فظاعة من كل ما ذكر فقد ولجت زمرة من اليابانيين المستأجرين لقتلها ابواب قصرها وقطعوها مع سيدتين من وصيفاتها اربًا اربًا ثم احرقوا جثثهن بالقطران

عروض البلاد المصرية وطوالها

تمتد مراصد الاحداث الجوية في البلاد المصرية الآن من الاسكندرية حيث العرض ٣٩ً ١١َ ٣١ْ الى منقلة حيث العرض ١١َ ٥ْ اي مسافة ٢٦ درجة واما اطوالها فمن واو غربًا حيث الطول ٣َ ٢٨ْ الى سواكن شرقًا حيث الطول ٢٠َ ٣٧ْ

ارتفاع هذه المراصد عن سطح البحر

سنتيمتر	متر	
٧٠	٠٠١	الطور
٢٠	٠٠٣	السويس
٥٠	٠٠٣	بورت سعيد
٥٠	٠٠٤	سواكن
٩٠	٠٠٥	بورت سودان
٠٠	٠٠٨	المحلة الكبرى
٣٠	٠٢٧	الجيزة
٩٠	٠٢٩	العباسية
٠٠	٠٣٢	الاسكندرية
٦٠	٠٥٥	اسيوط
٦٠	٠٩٩	اصوان
٦٠	١١٥	حلوان
٣٠	١٢٨	وادي حلفا
٠٠	١٣٠	الداخلة
١٠	٢٥٥	مروي
٠٠	٣٥٠	بربر
٩٠	٣٨٢	الخرطوم
٣٠	٣٨٣	الدويم
٠٠	٣٨٩	كدك
٠٠	٣٩١	حلة دليب
٦٠	٤٠٧	ود مدني
٠٠	٤٤٥	منقلة
٩٠	٤٦٦	الرصيرص
٠٠	٥٠٩	كسلا
٠٠	٥٨٥	الابيض
٠٠	٧١٠	القلابات

قمر ثامن للمشتري

اكتشف الرصد جرمًا صغيرًا قرب المشتري وهو اما نجيمة من النجيمات الدائرة حول الشمس واما قمر ثامن للمشتري والفرض الاول بعيد لبعد هذا الجرم عن منطقة النجيمات . وهو صغير جدًّا من القدر السادس عشر .

نظر الزرقاء

جاء في جريدة نانشران المسيو فنكار الفلكي يرى بعينهِ ١٣ نجماً في الثريا ويرى القمر الثالث من اقمار المشتري من غير نظارة

يوم الزهرة

جاء في الغازت الفلكيَّة انهُ ظهر للمستر هرج من رصد الزهرة حديثاً ان يومها لا يزيد على ٢٣ ساعة و ٢٨ دقيقة

الماء في المريخ

ثبت من البحث السبكتروسكوبي ان الماء موجود في المريخ وهذا الاكتشاف يؤيد ما ذهب اليهِ الاستاذ لول وهو ان المريخ مأهول او فيهِ موجودات حيَّة

النظارة الكبرى

اعدت دار كارنجي العلميَّة المعدات لعمل نظارة فيها مرآة عاكسة قطرها مئة عقدة اي ٨ اقدام انكليزيَّة ونصف قدم وقد سبكت شركة الزجاج في سان جوبن بفرنسا صفيحة الزجاج التي يراد ان تصنع منها هذه المرآة وثقلها اربعة اطنان ونصف طن اي ٩٩ قنطاراً مصرياً

تجميد الهاليوم

الهاليوم عنصر بسيط غازي وهو آخر غاز تعذَّر على العلماء تسييلهُ وقد نجحوا في ذلك الآن ولكنهُ لم يسل بل استحال من الغازية الى الجمودة دفعةً واحدة كانهُ تخطى درجة السيولة • وكانت درجة البرد حينئذٍ ٤٣٤ تحت الصفر بميزان فارنهيت • وهو قشور بيضاء

هبة لمقاومة السل

وهب المستر كارنجي خمسة وعشرين الف جنيه للقائمين بمقاومة مرض السل باسم الدكتور كوخ فصار المال المجموع لذلك اربعين الف جنيه

عيد دارون

ستحتفل جمعية الطبيعيين الاميركية بعيد مئة سنة مرَّت منذ ولادة تشارلس دارون العالم الطبيعي المشهور وذلك حين اجتماع مجمع ترقية العلوم الاميركي هذا العام في مدينة بلتيمور

قتلى داء النوم

قال المستر تشرشل في مجلس النواب الانكليزي انهُ مات بداء النوم في بلاد اوغندا مئتا الف نفس في السبع السنوات الاخيرة

الجير في الزراعة

اذا كان في الارض الزراعية حوامض تميت منها المكروبات التي تجيد الزراعة فلا يجود فيها الفول والبرسيم فالجير احسن علاج لها وهو انفع لها من السماد فانهُ يصلح

حموضتها وحينئذٍ تصير المكروبات النافعة للزراعة تنمو فيها وتغذي نباتها بما تدخره من نيتروجين الهواء

ذكاء النحل

ذكر المستر غاستون بونيه في اكادمية العلوم بباريس انهُ كان يبحث في طبائع النحل فوضع لهُ قطعاً من السكر فوقع عليها ولكنهُ لم يستطع ان يمتص منها شيئاً فطار عنها ثم عاد اليها ولكن ليس من الخلية بل من بركة ماء وقع عليها وامتص من مائها وعاد الى قطع السكر وبف عليها الماء الذي امتصهُ حتى ذابت دقائق السكر وسهل عليهِ امتصاصها وثبت لهُ ان النحل الذي عثر على قطع السكر مضى واخبر غيرهُ من النحل بما عثر عليهِ

فيل البحر

اهدى الشريف ولتر روشيلد الى قسم التاريخ الطبيعي في المتحف البريطاني فيلاً وفيلة من افيال البحر وهي من نوع الفقمة ويقال ان هذه الافيال كادت تنقرض من البحر وقلما توجد في المعارض . وهي كبيرة طول الذكر منها عشرون قدماً واما الانثى فصغيرة طولها عشر اقدام والحيوانان اللذان اهداها روشيلد الآن طول الذكر منهما نحو ١٦ قدماً وطول الانثى ١١ قدماً

الراديوم لشفاء الكلب

ثبت لاثنين من الاطباء الايطاليين ان اشعة الراديوم تميت مكروب الكلَب او تبطل فعلهُ وانهُ يمكن ان يعالج الناس الذين عضتهم الكلاب الكلبى باشعة الراديوم فينالوا الشفاء

الخبياري الاميركي

الخبياري بطرخ سمك يوجد في روسيا وقد كثر الطلب عليهِ فقلَّ هذا السمك حتى كاد ينقرض واخذ اهالي اميركا يستخرجون البطرخ من سمك يعيش في بحيراتهم ويمزجونهُ بالخبياري الرومي ويبيعونهُ مثلهُ . ومن المحتمل انهُ لو عولج البطرخ المصري الذي يستخرج من اشانيم دمياط كما يعالج الخبياري الرومي لكان مثلهُ او اجود منهُ

ابقاء الانكليس في الانهر

الانكليس نوع من السمك الطويل يعيش في الانهر ويهاجر منها الى البحر ولا يعود منهُ الى النهر . وقد رأى اهالي الدنمارك ان مهاجرتهُ من انهارهم الى البحر خسارة كبيرة عليهم فاكتشفوا انهم اذا نصبوا على جانب النهر عموداً فيهِ مصباح ساطع النور من الاسيتيلين حتى ينير ماء النهر ليلاً امتنع الانكليس من النزول الى البحر

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين

الفصل السابع

صادف قلباً خالياً

لم نكد نتم الغداء حتى هرولنا الى المحطة ومعنا رياض افندي واطلّت السيدة نزهة من شرفة (بلكون) البيت لوداعنا وهي ممسكة رأسها بيدها ودعت لنا بالسلامة وامّلت ان نراها في القاهرة بعد اسبوعين او ثلاثة . ونزلت رفيقتها لوداعنا ايضاً وطلبت من المستر مكنزي على انفراد ان لا يرشد اباها اليها مهما لجّ في الطلب وقالت له انها ستحاول بكل جهدها لكي تخفي خبرها الى ما شاء الله . فوعدها خيراً

ودخلنا مركبة واحدة وسار بنا القطار يطوي صدور الارض على اعجازها فاطللت من الكوة استنشق نسيماً لطفته حرارة الشمس ولم تزد في حرارته واحاول ان امحو من مخيلتي صورة ارتسمت فيها وصوتاً رناناً طرق اذنيَّ ساعة الوداع وكنت اراني كمن يتهم نفسه بجريمة ثم يدفع التهمة بحجة يرى ضعفها

ثم ان تلك الصورة اعادت الى مخيلتي صوراً أُخرى ارتسمت فيها وانا لم انتبه لها فتمثلت امام عيني حينئذٍ تلك الفتاة وهي تجادلنا وتقول انها من نسل القواد الرومانيين او اليونانيين الذين أُقطعوا بلاد الفيوم وان بحيرة قارون كانت تغطي اكثر البلاد . ثم تصف المروج والبحيرة والجبال والتاريخ القديم ومن قام فيه من الملوك العظام . والنسيم يعبث بشعرها المتموج على رأسها ويلثم خديها المتوردين من توقد ذهنها وكبر نفسها. وتتوالى سلسلة الصور كأنها في آلة السينامتوغراف الى ان تصل الى الصورة الاخيرة وهي واقفة في شرفة البيت وقد امسكت رأسها بيسراها واشارت الينا بيمناها اشارة الوداع

اجتاز القطار الاراضي الزراعية على حدود الفيوم ودخل ارضاً بعضها بور وبعضها مزروع . والبور رمال قفراء قاحلة على ما يظهر والمزروع كان قاحلاً مثلها ولكن ماء النيل احياه ومكروبات الزراعة جلبت اليه الغذاء من الهواء فكساه البرُّ ثوباً سندسياً . ثم انقطعت الزراعة ولم نعد نرى الأكثبان الرمال وقد نصبت فيها الحواجز لكي لا تعبث بها الرياح وتطمر بها الطريق

وفتح كلٌّ من المستر مكنزي ورياض افندي كتاباً وغاص فيه وتركاني اجادل نفسي واحاول التسلية بمناظر الطبيعة فاراها ممزوجة بالصور الخالية الراسخة في ذهني . وبعد قليل تقلص ظلُّ الصحراء واشرفنا على ارض سوداء ومروج خضراء وترع ممدودة كبطون

الافاعي الأ انها مستقيمة · وعزب منشورة كالحبب على وجه الماء الأ انها مستديرة · وهل مثل المديريات الوسطى بعد المشروعات المستجدة ارض ترابها تبر وحبها ذهب · ولقد اجاد من قال

اذا الارض ادّت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من ارض

ولكن كم يكون شأنها اذا ادّت ربعين او ثلاثة فلا عجب اذا بلغ ثمن الفدان في تلك الجهات مئة وخمسين جنيهاً بعد ان كان بالامس عشرة جنيهات او حواليها

وهل خطر على بال احد ان بيوت الطين التي يبنيها النمل في بلاد الحبشة لكي يخزن فيها طعامهُ ويربي صغارهُ تهدمها الامطار وتجرفها السيول فتحملها الى النيل وهو يأتي بها على منكبيهِ ويبسطها في ارض مصر ابليزاً يزيد بهِ خصبها وغذاءً لما يزرع فيها وينبت منها

حاولت ان اسلي نفسي بهذه الخواطر عن شاغل شغل بالي وهمّ جديد كنت منهُ خالياً فصحَّ فيَّ قول من قال

اتاهُ الهوى من قبل ان يعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

همست بهذا البيت وكدت اضحك على نفسي استخفافاً لكن اخذتني الرعدة كمن يقف في هيكل مستخفاً مستهزئاً ثم لا يلبث ان يشعر بهول الموقف فيعتريهِ الاضطراب والوجل لئلا يكون قد اهان من يعبد في ذلك المكان · فانبسطت وانقبضت وتهللت واضطربت في وقت واحد · وما اكثر مخادع النفس وما تحويهِ من الانفعالات · وبينما انا قلق التمس حيلة تصرفني عما انا فيهِ اذا بالمستر مكنزي يقول ما اضعف هذا النور قال ذلك واطبق كتابهُ فاقتدى بهِ رياض افندي وتهيأ للحديث فجلست والتفت اليهما وقلت ما اخصب هذه الارض وما اوفر خيراتها اندري يا مستر مكنزي كم ايجار الفدان هنا

فقال لا اعلم ولكن بلغني انهُ نحو ثمانية جنيهات

فقلت نعم وقد يبلغ عشرة او اثني عشر او اكثر . وكم ايجار الفدان في بلادكم

فضحك وقال انهُ لا يذكر وقلما يبلغ جنيهاً واحداً

فقال رياض ولماذا ألا تغلّ الارض عندكم كما تغلّ عندنا فقد قرأتُ في كتب الزراعة ان متوسط غلة القمح عندكم اثنان وثلاثون بشلاً او نحو ستة ارادب · والارض التي تغل عندنا ستة ارادب من القمح تحسب ارضاً جيدة ويؤجر فدانها بثمانية جنيهات

فقال المستر مكنزي ان الفرق كبير بين ارضنا وارضكم فاولاً ان تبن القمح قليل جداً عندنا ولا فائدة منهُ ونحن لا ندرس القمح درساً يفتت اصولهُ ويصيرها تبناً وثانياً اننا نزرع الارض سنة ونهملها سنة اي نتركها مرعى للمواشي وثالثاً ان الارض لا تغل هذه

الغلة الأ اذا سمدناها بالسماد الغالي الثمن ورابعاً وهو الامر الاهم ان اجرة العمال عندنا غالية جداً فاجرة الحارث لا تقل عن خمسة عشر غرشاً في اليوم وكذلك اجرة الحاصد والدارس فيذهب اكثر الدخل اجرةً للعمال ولذلك يضطر صاحب الارض ان يكتفي بالايجار البخس

فقال رياض ولكن المال الذي تدفعونهُ للحكومة طفيف جداً لا يذكر بالنسبة الى ما ندفعهُ نحن فان مال الفدان من هذه الارض لا يقل عن جنيه في السنة

فقال المستر مكنزي نعم وهذا فرق كبير ولكنهُ ليس شيئاً في جنب أُجرة العمال

ولم يلذ لي هذا الحديث مع انني كنت التذُّ بامثالهِ عادةً وبكل ما فيهِ بحث في معايش الناس فقمت وخرجت ومشيت نحو غرفة الماء فغسلت وجهي وعدت ودخلت مخدعاً غير المخدع الذي كنا فيهِ فرأيت ما اقشعرَّ لهُ بدني رأيت رجلاً ملقًى في ارض المخدع والدم يشخب من جنبهِ فوقفت لا ابدي حراكاً وحاولت ان اصرخ واناديَ احداً فانقطع صوتي وصرت انظر الى نفسي لأرى أَفي يقظة انا ام في حلم ثم اقفلت باب المخدع وهرولت الى رفيقيَّ لاخبرهما واذا بصوت صمَّ اذنيَّ فوقعت مغمًى عليَّ ولم اعد اعي على شيء

الفصل الثامن

النجاة العجيبة

ومَن كانت منيَّتهُ بارضٍ فليس يموت في ارضٍ سواها

مضى عليَّ شهران وانا في هذا المستشفى وقد عادني فيهِ المستر مكنزي مراراً وعادني ايضاً ابرهيم بك واولادهُ كلهم حتى السيدة نزهة - لا ابعد الله المرض اذا كان وسيلة لمشاهدة الاصدقاء والاحباء وعطفهم على المريض لكنني مريض قلباً لا جسداً ورحم الله مَن قال

ولما اشتكت من صدرها علة الاسى وقالت ألا فانظر الى مصدر الامرِ
فقلتُ لها كفّي الشكاية واعلمي فهيَ علة في القلبِ لا علة الصدرِ

أُنقذتُ من بين القتلى والجرحى كما انقذ غيري وانا فاقد الرشد لا اعي على شيء وبقيت غائباً عن الصواب بضعة ايام بارتجاج اصاب دماغي وهو لطف من المولى لكي لا اشعر بالألم الشديد من انكسار يدي ورجلي ويا حبذا لو اتم لطفهُ فانقذني من كسر اليد والرجل ايضاً كما انقذ رفيقيَّ رياضاً والمستر مكنزي فانهما خرجا برضوض طفيفة شفيا منها بعد ايام قليلة.

ومن الغريب اني لم اسمع شيئاً عن القتيل الذي شاهدتهُ في القطار قبلما أُغمي عليَّ بل حُسب

بين القتلى الذين قتلوا قضاء وقدرًا بخروج القطار عن الخط وانقلاب مركباته بعضها فوق بعض . ولا شبهة عندي الآن ان اليد الاثيمة التي قتلت ذلك الرجل كان لها شركاء وضعوا خشبة كبيرة في طريق القاطرة فاصطدمت بها وتدهورت في الترعة التي الى جانب الطريق وارتمت المركبات فوقها

من هو ذلك الرجل . فتشت بين اسماء القتلى فلم اجد اسم احد اعرفهُ . والقتلى والجرحى ثلاثة عشر وهو عدد مشوم في ما يقولون ولكنهُ قليل جدًّا بالنسبة الى عدد الركاب . ولعلهم لم يذكروا الا اسماء الذين قتلوا حالاً او كانت جروحهم بالغة مثلي لانني لم ارَ بينها اسم المستر مكنزي ورياض لكن من هو ذلك القتيل . من حين وعيت من اغمائي وانا اسأل نفسي هذا السؤال ولكنني لم اتجاسر ان اسألهُ لغيري ولا سمح لي الجراح ان امسك القلم بيدي واكتب الا اليوم فكتبت هذا السؤال على الورق واطلعت عليهِ جسمًا اصمَّ ابكم لا يسمع ولا يتكلم . الم يرَ الاطباء الذين شاهدوا القتلى قبل دفنهم ان بينهم قتيلاً قتل صبرًا بخنجر خرق فؤادهُ . او لعلَّ المركبة انكسرت بهِ فتهشم بدنهُ ولم يعد يظهر انهُ مقتول بخنجر . ولكن من هو القاتل ولماذا قتلهُ . هذا سرٌّ غامض وسيبقى غامضًا الى حين تكشف السرائر وتعلم الضمائر ولا احد يعلم ان ذلك الرجل قتل قتلاً غيري وغير قاتلهِ وقد يكون قاتلهُ بين قتلى الركاب وعند الله يجتمع الخصوم

وصلتُ الى هنا ودخل الخادم وقال ان ابرهيم بك آتٍ لعيادتي فدخل وسرَّ لما رآني استعمل يدي وقال عسى ان تمشي على رجلك قريبًا فقلت عسى ولكن لا اظن اني انجو من العرج ثم ضحكت فقال ما يضحكك قلت ليس على الاعرج من حرج

ثم قلت لهُ هل انتهى التحقيق في مسألة خروج القطار عن الخط ووقوعهِ وهل عُرف السبب الذي اخرجهُ عن الخط

فقال لقد ثبت من اول الامر ان القطار خرج بفعل فاعل لانهم وجدوا في طريقهِ خشبة كبيرة معترضة ولكن لم يعلم حتى الآن من وضعها هناك لاسيما وان تلك الجهة خالية من السكان . ثم اكتشفوا امرًا قد تكون لهُ علاقة بالحادثة وهو انهُ كان مع احمد بك خليل احد القتلى مبلغ كبير من المال نقود واوراق مالية ثلاثة آلاف جنيه او اكثر وهذه كلها فقدت ولم يوقف لها على اثر ولا يعلم الآن هل وجدها احد مع القتيل فاخفاها او هل عرف الاشقياء ان مع ذلك الرجل مبلغًا طائلاً من المال فوضعوا الخشبة في طريق القطار حتى يقع ثم هجموا عليهِ وسلبوا ما معهُ .

فقلت له هل تعرف احمد بك خليل الذي كان معهُ المال

فقال نعم اعرفهُ تمام المعرفة

فقلت لهُ هل يمكنك ان تصفهُ لي

فقال هو كهل طويل القامة قصير اللحية وقد كان في المركبة التي كنتم فيها في المخدع الاول منها وانتم في الثالث . ولماذا تسألني هذا السؤال

قلت خطر لي خاطر ولم اكن اظن ان الامن مفقود الى هذا الحد في اقل من اسبوع يقتل قتيلان في مديريتكم

فقال مَن هما

قلت خادمكم والرجل الذي قتل في القطار . ولما قلت ذلك شعرت اني اخطأت ولكن سبق السيف العذل

فقال من هو هذا القتيل الثاني

قلت احمد بك الذي تقول ان اللصوص قتلوهُ لما وقع القطار

فقال لم اقل ان اللصوص قتلوهُ ولكن اذا ثبت ذلك فلا يكون في مديريتنا بل في بني سويف

قلت لا فرق في ذلك ومرادي انهما قتلا في اسبوع واحد وفي مكانين متقاربين وماذا جرى في امر خادمكم

قال لم يجرِ شيءٌ حتى الآن غير التحقيق وقد قبضوا على القاتل ولكنهُ انكر وأُحيلت اوراق القضية على محكمة بني سويف . ولكن لماذا تظن ان احمد بك قتل قتلاً بفعل فاعل

فوقعت في حيص بيص ولم اعلم بماذا اجيبهُ ولكن حدث حينئذٍ ما اخرجني من حيرتي دخل ابنهُ الدكتور يوسف ومعهُ اختهُ وقد اتيا لعيادتي او لزيارتي لاني لم اكن مريضاً ودنت السيدة نزهة مني وسلّمت عليَّ مصافحةً فمددت لها يدي اليمنى فابرقت اسرّتها وقالت بالانكليزيّة جود جود اي حسناً حسناً صرتَ تستعملها

فقلت وقد كتبت بها اليوم نحو ساعتين

فقال الدكتور يوسف لا تتعبها كثيراً . ثم جسَّ مكان الكسر وحرَّك اصابعها وادارها ذات اليمين وذات اليسار وقال صارت سليمة تماماً ولكن لا تتعبها

فقلت لهُ اين مس برون فاني لم ارَها منذ اسبوعين

فقالت السيدة نزهة انها تسلّم عليك وكانت عازمة على المجيء معنا ولكن اتى المستر

مكنزي وطلب منها ان تذهب معهُ لزيارة بعض المعارف

فقلت اني استغرب الفة مكنزي لهذه الفتاة فان خاصة الانكليز لا يعاشرون عامتهم وهو من اخص خواص الانكليز واخوهُ لورد مكنزي عرضت عليهِ وزارة فرفضها فكيف يتنازل ويعاشر هذه الفتاة

فالتفت الدكتور يوسف الى اختهِ والتفتت هي اليهِ وقال ابوهما اني مثلك في الاستغراب وقد سألت عن المستر مكنزي فقيل لي انهُ من افضل الرجال واكثرهم تهذيباً وعلى كل حال نحن مسؤولون عن هذه الفتاة

وقال الدكتور يوسف ان الغربة توجب الالفة على حد ما قيل "وكل غريب للغريب اليف". ومع ذلك فاني ارى المستر مكنزي يهتمُّ بها اكثر مما يهتمُّ بها غيرهُ من رجال الانكليز وقد اقنعها يوم الاربعاء الماضي فذهبت معنا الى السبق في الجزيرة ورأيتهما هناك وخدمها اكثر الوقت ولم ارَ احداً غيرهُ يكلمها او يهتمُّ بها

فقالت السيدة نزهة انها لا تحبُّ ان تكلم احداً من الانكليز فقد زارنا كثيرون منهم وكنت الحُّ عليها لتخرج معي الى غرفة الاستقبال وتقابلهم فلم ترد والظاهر انها تعرف المستر مكنزي منذ زمن طويل وقالت لي ان خطيبتهُ صديقة لها وكانت معها في مدرسة واحدة

فقلت اذاً المستر مكنزي خاطب

فقالت نعم ارح بالك . وابتسمت ابتساماً فهمت مغزاهُ

فقلت ان بالي مستريح من هذا القبيل ولكن الدكتور يوسف احرى بان يريح بالهُ

فقال الدكتور يوسف حقًّا لم اكن اعرف ان المستر مكنزي خاطب مع اني كنت استبعد انهُ يخطب مس برون لما اعلم من بعد المقام بينهُ وبينها

فاحتدمت السيدة نزهة غيظاً وقالت هل هو احسن منها فشر وان كان ابن لورد فاني لم ارَ بين كل فتيات الانكليز فتاة الطف منها ولا اكثر تهذيباً وكلا كما لا يجد مثلها ولو فتش المسكونة

ونظرت اليَّ وضحكت فتضاحكت رغماً عني لاني شعرت كأنها لطمتني بيدها او رفستني برجلها ولكنني جمعت قواي وحاولت تغيير الموضوع فقلت سمعت مرةً مثلاً يقول مَن تزوج من غير ملتهِ وقع في غير علتهِ ومالنا ومالها هل اتممت حديثك يا ابرهيم بك للمستر مكنزي عن الثورة العرابيَّة

فقال لا ونحن منتظرون حتى تشفى وتشاركنا فيهِ فمتى تظن انك تستطيع القيام والمشي على رجلك

فقلت اني الآن استطيع القيام والمشي على العكازة ولكن يصعب عليَّ نزول السلالم . وقد قال لي الجراح اليوم اني استطيع النزول بعد اسبوع او اسبوعين . ولكن هذه الحادثة خسرتني كثيرًا فان الناس كلهم اشتغلوا وربحوا وانا مطروح على هذا الفراش

فقال ابرهيم بك اشكر ربك من هذا القبيل لان الناس جُنُّوا كلهم من كبيرهم الى صغيرهم اشتروا متر الارض الزراعية بخمسة جنيهات والاراضي التي خططوها للبناء تسع ثلاثة اضعاف اهل مصر ولا يمكن ان تبنى كلها من الآن الى مئتي سنة ولو بقيت زيادة السكان سائرة على هذا النمط

فقالت السيدة نزهة ومع ذلك نرى ان الجميع قد ربحوا حتى النساء فاني اعرف سيدة اشترت وباعت واشترت وباعت فربحت اكثر من ثمانية الآف جنيه وعندها الآن ارض اشترت مترها بثمانية عشر جنيهًا وقد عرضوا عليها ثمن المتر ثلاثين جنيهًا فلم تبع وعندها الف متر فتربح بها اثني عشر الف جنيه

فقال لها ابوها انها تكون مجنونة اذا لم تبع وقد فهمت من تعنين ولكن كان المتر هناك لا يساوي خمسة جنيهات منذ سنة من الزمان فماذا جرى الآن حتى صار يساوي ثلاثين جنيهًا واذا هبط غدًا الى خمسة جنيهات او الى عشرة فتكون قد خسرت كل ما ربحتهُ وخسرت فوقهُ . وما ادرانا انها لم تشترِ اسهمًا بربحها كلهِ وقد اخذ ثمن الاسهم في الهبوط من الآن ولو كانت اراضي البناء حافظة مركزها

فقلت كيف احوال شركة قارون

فقال انهم اصدروا السهم بعشرة جنيهات فارتفع حتى بلغ ستة عشر وعاد الآن الى اربعة عشر جنيهًا وهي احسن من غيرها لانها صناعيةٌ زراعية وهم لم يأخذوا الاَّ القسط الاول حتى الآن واظن انهم حينما يطلبون القسط الثاني تهبط الى ثمنها الاسامي او الى ما دونهُ فقد ابتدأ الناس يشعرون بشيءٍ من الضيقة المالية والافكار مضطربة نوعًا من جهة السياسة فان فريقًا من حزب الاحرار لا ينفك عن التنديد بافعال الانكليز في مصر والناس هنا مغرورون باقوالهِ كما انغروا قبيل الثورة العرابيةَ والحال الآن كما كانت حينئذٍ حذو النعل بالنعل

فقالت وما هو رأْي امين افندي

فقال هو اشد طيشًا منهم وقد انضم الى الحزب الذي لا بدَّ من ان يوقع البلاد في مهلك ولا اعلم لمن طلع هذا الولد اظنهُ لخالهِ فان دمهُ لا يزال فائرًا مثلهُ

فقالت السيدة نزهة لا يحس بالشاب الا ان يكون مقداماً مقتحماً وقد يكون امين متهوراً بعض الشيء ولكن التهور خير من الخمول

فقال لها ابوها وانتِ ايضاً مثل خالك مع ان امكِ كانت ملاكاً. قوموا بنا فقد اتعبناه كثيراً

فنهضوا كلهم وانا الحُّ عليهم بالبقاء لاني مسرور بهذا الحديث جداً وفي الواقع اني كنت مسروراً ولا سيما لما احتدت السيدة نزهة وتوردت وجنتاها لكنني لم استطع ان اصرفهم عن عزمهم فودعوني مصافحة وتركوني وحدي انا وافكاري اراجع ما سمعت وما رأيت فاشعر بالانبساط مرة وبالانقباض اخرى واجمعت رأيي اخيراً على ان هذه الفتاة خير من رأيت وانني اذا علمت انها تحبني كما احبها كملت سعادتي ان صحَّ ان تكون في هذه الدنيا سعادة كاملة

زهره — جرى ايه ياخويه جرى ايه قال تركوا القاتل وما عرفوش ياخدوا منو لا حق ولا باطل

احمد — اهو تركوه وضحك عليهم وبكرا تسمعي انو غلّب البلاد

زهره — دول ولاد قال عمل حالو اطرش ما بيسمعشي . وعمل ايه المحامي عن مرمي .

احمد — يعمل ايه ان كانوا عايزين يخلصوه. وقال ما عجبنهش التحقيق اللي جرى في الفيوم

زهره — الظاهر عطالو كم نص

احمد — لا ما فيش حاجة ولكن صارت الدنيا فوضه الله يهونها

زهره — مسكين مرمي راحت عليه ومساكين مراتو وولاده

احمد — الدوره علبيروح اهو ستي نزهه تساعدهم شيعت حسين وفاطمه للكتاب وامهم بتخدم هون وهون حتى يرزقها بابن حلال والدوره علبيروح

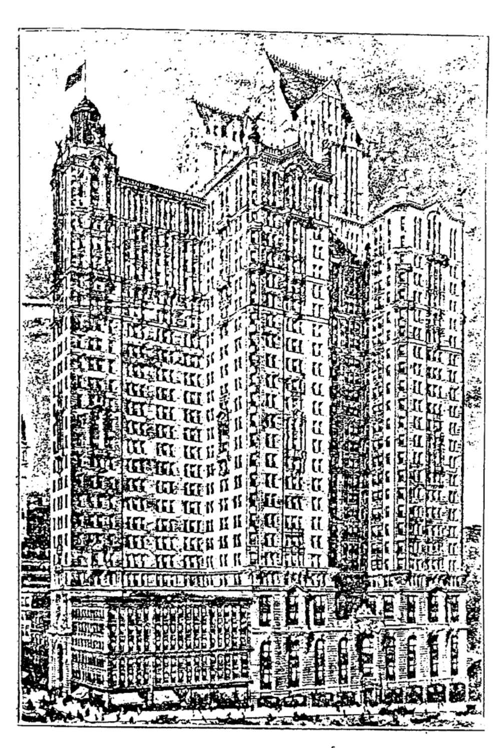
زهره — ومالها ستي برون ماعادتش تضحك مثل عادتها

احمد — من وقت ما جاء الراجل الانكليزي اللي اسموا مكنزي صارت نوع. م يعرفوا بلسان بعض وستي نزهه بتروح كثير لعند الخواجه اللي كسر رجلو وايدو

زهره — اصلو كويس وكريم اداك كم

احمد — اداني ريال

زهره — وانا اداني ريال



اكبر وكالة في الدنيا ارتفاعها ٤٨٠ قدماً وفيها ٣٣ طبقة
وهي وكالة شركة تثمير الاموال بمدينة نيويورك

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٣٠ ربيع اول سنة ١٣٢٦

الصروح الشاهقة

لا سبيل لنا للاستدلال على الزمن الذي ابتدأ الناس يبنون فيهِ بيوتهم. فقد اقاموا اولاً بين اغصان الاشجار هرباً من الوحوش الضواري التي امتلأَت بها الارض في العصور الغابرة كما يستدلُّ من شكل اياديهم ومن بديهياتهم الحسابية حتى اقدامهم مع ما اصابها من التغير بواسطة المشي مدة قرون كثيرة لا تزال تميل الى التمسك بالعيدان كما ترى اذا لمست قدم طفل بعصاً دليلاً على انها كانت تستعمل للاعتراش قبل المشي

ثم سكن الناس الكهوف الطبيعيَّة كما يظهر من آثارهم الباقية فيها. لكن الكهوف لا توجد الاَّ في البلدان الجبليَّة الصخرية فالذين اضطروا الى سكن السهول الواسعة حيث لا اشجار ولا كهوف صنعوا الخيام وسكنوها او حفروا اوجارًا في الارض وشادوا جدرانها بالطين او صنعوا اللبن وبنوا بهِ اكواخاً شبيهة بالكهوف

ولا ندري كم مرَّ من السنين والقرون قبلما اتَّصل الناس الى قطع الحجارة ونحتها وبناء الابنية الكبيرة بها ولكننا نعلم انهم فعلوا ذلك في هذا القطر منذ اكثر من ستة آلاف سنة والاهرام اكبر شاهد عليهِ وهي تدلُّ على انهم لما بنوها كانوا قد بلغوا درجة سامية من اتقان قطع الصخور وجر الاثقال ورفعها والصاق الحجارة بطين مجبول من الجير (الكلس) والرمل يجمد مع الزمن و يصير كالصخر الاصم متانةً. وكانوا قد برعوا في رسم الاشكال الهندسيَّة وتحقيق الجهات وضبط الزوايا ونحت المرمر وصقلهِ ومعرفة سير بعض الكواكب ونحو ذلك مما يعجز عنهُ ابناء هذا القطر الآن. اي ان عمران مصر من حيث المهارة في البناء والهندسة كان منذ ستة آلاف سنة ارقى من عمرانها الحاضر اذا قصرنا النظر على اهلها وعلى كل الشرقيين المقيمين فيها

اما الزمن الذي مرَّ من حين كان الانسان يسكن الاشجار والكهوف الى ان صار يبني الاهرام فلا يعلم مقدارهُ الاَّ الله ولا يكفي لتقديرهِ الالوف من السنين لانهُ يقدر بالملايين اذا كانت نواميس الطبيعة قد جرت في الزمن الماضي كما هي جارية الآن

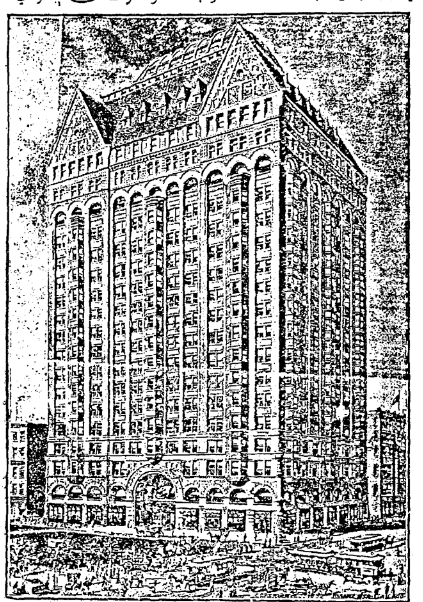
ولم يكتفِ الذين بنوا الاهرام باحكام هندستها وبنائها بل بلغوا في اعلائها حدًّا لم يصل اليهِ ابناء هذا العصر حتى من الاوربيين والاميركيين الاَّ في اواخر القرن الماضي ولم يفوقوهُ الاَّ في هذا القرن. لكنهم ان كانوا قد قصَّروا عن الاقدمين من حيث ارتفاعُ البناء وضخامتهُ ومتانتهُ فقد فاقوهم جدًّا من حيث استخدام اقل ما يكون من المواد لاكثر ما يكون من الايواء اي من حيث الاقتصاد الفني في علم البناء

اليكَ عن الاهرام والهياكل فقد يقال ان الغرَض منها اظهار العظمة والمهابة لا ايواء الناس ولا جمع التجار فلا عجب اذا كانت سميكة الجدران كالقلاع المشيدة · ولكن ما قولك في بيوت السكن فبيت رعمسيس في مدينة هبو امام الكرنك غرف صغيرة وجدران ضخمة جدًّا كانها مبنيَّة لتشاد عليها قلعة من القلاع · وكل ما بنوهُ من الحجر لم يحفظوا فيهِ النسبة بين السعة وما يلزم لها من المتانة اي لم يكن للاقتصاد شأن كبير عندهم وهذا اكبر فارق بين مبانيهم الشاهقة ومباني هذه الايام

لم نكن نرى في هذه العاصمة منذ عشرين عامًا بناء يزيد على اربع طبقات واكثر الابنية كان من طبقتين او ثلاث· ثم اجترأ البنَّاؤُون في العامين الاخيرين على بناء خمس طبقات واوصلوها اخيرًا الى ست طبقات وهي غاية ما وصلوا اليهِ حتى الآن · وقد يظن لاول وهلة ان ارض العاصمة لا تحتمل ارتفاعًا في البناء اكثر من ذلك لان لا صخر فيها وهذا خطأ لأن مآذن الجوامع تبلغ في ارتفاعها اربعين مترًا او خمسين او اكثر فاذا كان ارتفاع الطبقة اربعة امتار كما هو الشائع الآن امكن ان يحمل منها عشر طبقات او اكثر في البناء الواحد ولذلك لا يستبعد ان تبنى في الاسمعيليَّة مبانٍ فيها عشر طبقات وارتفاعها اكثر من اربعين مترًا

ولم يهتمَّ اهالي اوربا حتى الآن برفع مبانيهم الى اكثر من ست طبقات الاَّ في ابراج الكنائس والمباني العمومية · اما اهالي اميركا ففاتوا هذا الحد وبعدوا عنهُ بعدًا شاسعًا فاهالي شيكاغو بنوا «وكالات» كبيرة في الوكالة منها عشرون طبقةً او خمس وعشرون كما ترى في الشكل المقابل وهو صورة بناء من ابنيتهم التي بنيت منذ بضع عشرة سنة . واهالي نيو يورك فاتوا هذا الحد جدًّا فمنذ ثلاثين سنة كانت مبانيهم العالية لا تزيد على ست طبقات

الى ثمانٍ وكانت كلها مبنيَّة بالحجر والقرميد (الطوب الاحمر) ثم جعلوا يبنونها بالحديد والسمنت اي يجعلون الزوايا والعضائد من الحديد الصلب (الفولاذ) ويمدون قضبان الحديد بينها ويشيدون الجدران بالسمنت فاستطاعوا بعد عشر سنوات ان يبلغوا في اعلائها ١٦



طبقة لا رغبة في التباهي باعلاء المباني بل اضطراراً من باب الاقتصاد وطلب الربح وتسهيل الاعمال لاتساع حركة التجارة واضطرار اصحاب المتاجر الواسعة والمعامل الكبيرة الى ان يكونوا في بقعة واحدة قريباً بعضهم من بعض على قدر الامكان

وكان الناس اولاً يفضلون الطبقات السفلى لسهولة الصعود اليها فلما أُتقنت الروافع الكهربائية وجُعل منها العدد الكافي في البناء الواحد حتى يسهل على كل المقيمين فيهِ ان

يصعدوا اليهِ وينزلوا منهُ في دقائق قليلة وان يصلوا الى اعلى طبقة منهُ في دقيقة او دقيقتين من الزمان صاروا يفضّلون الطبقات العليا على السفلى لكثرة نورها وطلاقة هوائها

ثم فاقت المباني الحديثة هذا الحد وخطت فوقهُ خطوة الجبارين فبلغت طبقاتها ثلاثاً وثلاثين طبقة في بناء شركة تثمير الاموال (سِتي انڤستمنت) الذي رسمناهُ في صدر هذه المقالة فان هذه الوكالة العظيمة مبنيَّة بالحجر الجيري الى آخر الطبقة السادسة والبناء فوقها بالقرميد والخزف المدهون وبراويزهُ من النحاس . والناظر اليها يظنها اكبر من شبرد او الكنتيننتال من فنادق القاهرة ولكنها ليست كذلك من حيث مساحة ارضها لانها لا تزيد على ١٣٠٠ متر مربع ومع ذلك فيها من الغرف ما مساحة ارضهِ نحو اربعين الف متر مربع . وارتفاع اعلى قببها ٤٨٠ قدماً او ١٤٤ متراً وفي اخفض اقسامها ٢٦ طبقةً ارتفاعها ٣٧٠ قدماً او ١١١ متراً وترى امامها بناءً عادياً فيهِ ست طبقات الدكاكين في الطبقة السفلى منهُ وفوقها خمس طبقات وهو يظهر امام الوكالة العالية كالطفل الصغير امام الجبار الكبير

وقد بني الآن بجانب هذا الجبار برج شاهق لشركة سنجر ارتفاعهُ عن سطح الارض ٦١٢ قدماً او نحو ١٨٦ متراً وهو ٤٧ طبقة مملوءَة بالمكاتب اي انهُ ليس برجاً كابراج الكنائس والمباني العمومية بل هو وكالة كبيرة في كل طبقة من طبقاتها غرف كثيرة . واعلى من هذا البرج برج بناء شركة ضمانة الحياة المعروفة بالمتروبوليتان فان ارتفاعهُ ٦٥٨ قدماً او ٢٠٠ متر وهو ايضاً وكالة كبيرة كل طبقة منها دور كثير الغرف فهو يفوق اهرام مصر في ارتفاعهِ وكلَّ بناء بناهُ الناس حتى الآن ما عدا برج ايفل فان ارتفاع الهرم الاكبر من اهرام مصر كان ٤٨١ قدماً قبلما قطع رأسهُ

وقد فعل الاميركيون في مدينة نيويورك ما فعلهُ الناس في القاهرة هدموا المباني القديمة ولو كانت فاخرة وبنوا مكانها هذه المباني العالية اقتصاداً في الارض لغلائها وتقريباً لاصحاب المتاجر والاعمال بعضهم من بعض وساعدهم على اعلاء المباني اعتمادهم على الحديد والسمنت في بنائها واتقانهم الروافع المائية والكهربائية فقد وجدوا انهُ يدخل بعض هذه المباني بين الساعة التاسعة والحادية عشرة صباحاً عشرة آلاف نفس اي يدخلها في الدقيقة من الزمان اكثر من ٨٠ نفساً فلا يتيسَّر لهم ذلك من غير ازدحام الا اذا كان فيها روافع كثيرة ولا تصلح الرافعة الواحدة لكل الطبقات اذا كان في الوكالة ثلاثون طبقةً او اربعون لانها توجب على سكان الطبقة العليا ان يقفوا ثلاثين مرةً او اربعين قبل ان يصلوا الى طبقتهم فاذا كان في الوكالة ٣٢ طبقة كما في اكثر الوكالات الكبيرة بنيويورك جُعل فيهما ٢٢ رافعةً

او اكثر حتى يصل كل انسان الى طبقته باسرع ما يمكن . واذا حدث ما يستدعي خروج الناس كلهم من الوكالة فالروافع تخرجهم كلهم باسرع ما يمكن من الوقت على قدر ما تحتمل الشوارع مرورهم فيها

وهذه الوكالات كلها غير قابلة الاحتراق لان ليس في بنائها شيء من الخشب بل كل ما فيها حجر واجر وحديد وسمنت حتى ابوابها وشبابيكها ليست من الخشب بل من الحديد ولو كانت مدهونة بدهان يشبه الخشب فهي مأمونة من النار . ويقال انها مأمونة ايضاً من الزلازل والزوابع ولكنها تحجب نور الشمس عن الشوارع ولعلها بلغت الحد الذي يقف عنده الانسان

الذهب في العالم

كثر كلام الناس في هذه الايام على مقدار الذهب المستخرج من مناجم العالم ونسبة ما استخرج منهُ في العام الماضي الى ما استخرج في السنوات السابقة فرأينا ان نورد شيئاً في هذا الموضوع لعلَّ منهُ فائدة للقراء

زاد مجموع ما استخرج من الذهب في السنة الماضية زيادة قليلة عما كان عليهِ في السنة التي قبلها . والسبب في ذلك المناجم الافريقية وخصوصاً مناجم الرند في الترنسفال لان مناجم استراليا والولايات المتحدة وروسيا وكندا وغيرها انتجت اقل مما انتجتهُ سنة ١٩٠٦ فنقص ما استخرج منها ٧٢٠٩٦٥ اوقية عما كان تلك السنة ولكن ما استخرج من مناجم الرند زاد ٩٥٥١٥١ اوقية فزاد بذلك مجموع الذهب المستخرج ٢١٤١٨٦ اوقية عن مثلهِ سنة ١٩٠٦

و يظهر من الجدول الآتي مقدار الذهب الذي استخرج في السنين الاثنتي عشرة الماضية مع بيان قيمتهِ بالجنيهات الانكليزيَّة

سنة	اوقية	جنيهات انكليزية
١٨٩٥	٠٩٦٥٢٠٠٣	٤٠٩٩٩٧٧٨
١٨٩٦	٠٩٨٢٠٠٧٥	٤١٧١٣٧١٥
١٨٩٧	١١٤٨٣٧١٢	٤٨٧٨٠٥١١
١٨٩٨	١٤٠١٦٣٧٤	٥٩٥٣٨٦٥٢
١٨٩٩	١٥٢٢٠٢٦٣	٦٤٦٥٢٦٦٣

١٩٠٠	١٢٦٨٤٩٥٨	٥٣٨٨٣١٦٤
١٩٠١	١٢٨٩٤٨٥٦	٥٤٧٧٤٧٦٩
١٩٠٢	١٤٤٣٧١٦٩	٦ ٣٢٨٣٠
١٩٠٣	١٥٧٧٨٠١٦	٦٧٠٢١٨٥٦
١٩٠٤	١٦٧٣٩٤٤٨	٧١١٠٥٨٢٧
١٩٠٥	١٨٣٩٠٥٦٧	٧٧٦٩٤٦٧٠
١٩٠٦	١٩٣٧٠٦٥٣	٨٢٢٨٢٦٨١
١٩٠٧	١٩٥٨٤٨٤٤	٨٣١٩٢٥٠٠

وقد زاد استخراج الذهب زيادة عظيمة منذ سنة ١٨٨٣ واستمرت زيادتهُ نحو ربع قرن ولم تقلّ الأ مدة حرب الانكليز والبوير . وقد بلغ ما استخرج من مناجم الرند في السنة الماضية ٦٢٢٠٢٢٧ اوقية وما استخرج منها ومن باقي مناجم افريقية نحو ٧٥٣٦٨٣٦ اوقية قيمتها ٣٢٠١٤٥٢٨ جنيهاً انكليزياً فيكون ما انتجتهُ القارة الإفريقية ٤٠ في المئة من مجموع ما جادت بهِ مناجم العالم كلهِ

ويقدَّر انهُ استخرج ٤٣٣٥١٨٣ اوقية من الذهب من الولايات المتحدة سنة ١٩٠٧ فنقص ٢٢٠١٥٠ اوقية عن السنة السابقة .

وكذلك شمل النقص استراليا وكانت كية ما يخرج من مناجمها قد اخذت في الانحطاط سنة ١٩٠٦ فتوالى هبوطها ايضاً في السنة التالية فكانت ١٧١٤٥٤٢ اوقية في الاولى فنقصت حتى بلغت ١٦٩٧٥٩ اوقية في الثانية .

وما يقال عن الولايات المتحدة واستراليا يقال ايضاً عن كندا فان مناجمها انتجت ٤٠٨٧٢١ اوقية سنة ١٩٠٧ اي ١٧٢٩٣٩ اوقية اقل من السنة التي قبلها . وقد كان اكبر مقدار اخرجتهُ تلك المناجم في سنة ١٩٠٠ فبلغ ما استخرج من مقاطعة يوكون ١٣٥٠٤٧٥ اوقية مقابل ١٣٦٢٧٤ اوقية فقط سنة ١٨٩٦ . ونقص ايضاً مقدار الذهب المستخرج من روسيا والهند نقصاً قليلاً واما المكسيك فتقدمت من هذا القبيل وبلغ ما استخرج منها ٩٢٥٠٠٠ اوقية وكذلك اميركا الجنوبية فان الخارج من مناجمها زاد من ٥٠٠ الف الى ٦٠٠ الف اوقية

والجدول الآتي يتضمن بيان مقدار الذهب الذي استخرج في السنوات الثلاث الاخيرة من اهم البلدان التي توجد مناجمهُ فيها

	١٩٠٥	١٩٠٦	١٩٠٧
افريقيا	٥٤٩٤٤٧٣	٦٦٠١٦٨٥	٧٥٣٦٨٣٦
استراليا	٤٢٣٢٠٩١	٢٩٦٤٦٣٠	٣٦١٩١٠٤
الولايات المتحدة	٤٢٦٥٧٤٢	٤٦٤٨٩٠٣	٤٣٣٥١٨٣
روسيا	١٠٧٨٣٥٦	٠٩٤٣ ٥٦	٩٠٠٠٠٠

وقد جاء في احد الاحصاءات الاخيرة انهُ استخرج من الذهب في العالم من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٩٠٧ ما قيمتهُ ١٠٥٨٩٨١٠٠٠ جنيه انكليزي

وقدرت قيمة ما كان في البنوك الكبيرة من الذهب في بلدان مختلفة في شهر دسمبر من سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ فكان كما يأتي وهو بالجنيهات الانكليزيَّة

	دسمبر ١٩٠٧	دسمبر ١٩٠٦
انكلترا	٠٣٢٥٤٤٠٠٠	٠٣٠٢٨٣٠٠٠
فرنسا	١٠٧ ٤٧٠٠٠	١٠٦٥٩٣ ٠٠
المانيا	٠٢٤٨٧٧٠٠٠	٠٢٤٠٦٩٠٠٠
روسيا	١١٨٢١٠٠٠٠	١١٧٥٨٠٠٠٠
النمسا والمجر	٠٤٥٨٣٧٠٠٠	٠٤٦٦٠٩٠٠٠
اسبانيا	٠١٥٦٥٤٠٠٠	٠١٥٤١٤ ٠٠
ايطاليا	٠٣٦٤٥٧٠٠٠	٠٣٢٠٢٣٠٠٠
هولندا	٠٠٧٦٤٩٠٠٠	٠٠٥٥٣٧٠٠٠
البلجيك	٠ ٣٥٣٥٠٠٠	٠٠٣٣٥١٠٠٠
اسوج	٠٠٣٩٠٦٠٠٠	٠٠٣٩٤٧٠٠٠
سويسرا	٠٠٣٠١٩٠٠٠	٠١١٠٠٠٠٠٠
نروج	٠٠١٧٠٢٠٠٠	٠٠١٦٠٠٠٠٠
نيويورك	٠٣٨٤٢٤٠٠٠	٠٣٤٥٩٠٠٠٠
	٤٣٨٨٥٨٠٠٠	٤٢٤٧٦٥٠٠٠

فيرى القارئ ان المخزون في هذه البنوك زاد ١٤٠٩٣٠٠٠ جنيه انكليزي في السنة الماضية

وقد بلغت قيمة الذهب المرسل من مناجم جنوبي افريقية الى البلاد الانكليزية من غرة فبراير الى آخر مارس ٥١٦٤٦٩١ جنيهاً كما ترى في هذا الجدول

١	فبراير	٣٩١٧١٧	جنيهاً
٨	"	٥٧٧٣٤١	"
١٥	"	٤٣١٧٥٤	"
٢٢	"	٥٥٣٩٤٩	"
٢٩	"	٨٢١٥٠٨	جنيهات
٧	مارس	٤٣٨٣٠٣	جنيهاً
١٤	"	٥٢١٣٩٣	"
٢١	"	٤٦٠٥٧٠	"
٢٨	"	٩٦٨١٥٦	"
		٥١٦٤٦٩١	

ثم وصل في ٤ ابريل ما قيمتهُ ٣٨٣٥٨٣ جنيهاً وبعد اسبوع ما قيمتهُ ١٠٥٠٠٨٢ جنيهاً والجملة نحو ستة ملايين وستمائة الف جنيه ولا يبعد ان يبلغ كل ما ارسل هذا العام الى آخر ابريل نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات وكل ما يرسل في السنة كلها الى آخرها ٣٦ مليوناً من الجنيهات

ويرسل الذهب من مناجم جنوب افريقية الى مدينة الراس مبانك ومنها يشحن الى لندن حيث يستلمهُ وكلاء المناجم ويبيعونهُ لمن يدفع لهم اعلى ثمن فيهِ . ومعظم ما يعرض منهُ للبيع يشتريهِ بنك انكلترا وقوانين ذلك البنك تقضي عليهِ بان يشتري كل ما يعرض عليهِ من الذهب بسعر معين فاذا عرض عليهِ اصحاب الذهب ما لديهم منهُ اضطر ان يشتريهُ منهم مهما كان المقدار الذي يعرضونهُ عليهِ ويحق لكل واحد ان يأخذ الذهب الى محل ضرب النقود التابع للحكومة ويطلب ضربهُ جنيهات . غير ان الافراد او الشركات الخصوصية قلما تفعل ذلك لما يعترضها من التأخير فلا يكاد الذهب يرد على معمل ضرب النقود الأ من بنك انكلترا وحدهُ فهو يرسلهُ اليهِ ليصكهُ جنيهات . ويقال بوجه الاجمال انهُ لا يمضي ثلاثة اسابيع او اربعة من وصول الذهب الى انكلترا حتى يصك جنيهات ويتداولهُ الناس

سليم مكاريوس

الاطيان والضرائب بالقطر المصري

(تابع ما قبله)

القسم الثاني — الضرائب

الضرائب نوعان (١) عقارية وهي المقررة على العقارات (٢) غير عقارية وهي المقررة على المصانع والمتاجر وغيرها . وكانت الضرائب الى عهد قريب كثيرة جداً ولكن الحكومة ابطلت الكثير منها رحمة بالناس فمما ابطلته ضريبة كانت تؤخذ سنوياً عن العدد الخاصة بارباب الحرف والصنائع كافة من اقل حرفة وهي باعة الفول النابت لأعظم تاجر يشمل ذلك . البقالين . والزياتين . والحريرية . ودقاقي البن . ومطهري المراحيض المعروفين بالسرباتية . وصانعي الصرم. والقهوجية . والقمصانجية . والحماجية . والصباغين . والحلاقين . والقبانية . والعطارين . والكبابجية . والنقلية . والخضرية . واصحاب مسامط الكوارع . والدخاخنية . وباعة الكنافة والفطير . وغلايي اللبن . والطرشجية . والطباخين . والشماعين . والجزارين . والفكهانية . والخردجية . والصيارف . ودشاشي العدس . والفخرانية . والخبازين . وباعة البوظة . والفنداقجية . والخياطين . والبياطرة . والحلوانية . والمقادين . والشبوكجية . والكتبية . والصياغ . وباعة الاسلحة . والمرفجالجية . والسروجية . وبالاجمال كل ذي عدة او حانوت يشتغل للارتزاق منها جالساً كان او سارحاً متجولاً . وعدا ذلك كانت تؤخذ منهم ضريبة اخرى تعرف بالويركو او الفردة وضريبة معامل الدجاج وضريبة معاصر الزيت . وضريبة العربات . وضريبة دواب الركوب وجر الاثقال . وضريبة الغنم . وضريبة المعيز . وضريبة الاملاك ذات الايراد في جميع القرى . وضريبة مخصصة على طبقات مخصوصة من الناس . وضريبة رخص القبانية والصيارف . وضريبة الملح . وضريبة الباطنطة . وضريبة العونة . هذه الضرائب كلها ابطلتها الحكومة فضلاً عن الغاء عوائد الدخولية وعوائد السفن المعروفة بمال الرسالة وغير ذلك مما عاصرنا تحصيله ودفعنا ما يختص بنا منهُ في اثناء الثلاثين سنة الماضية . ولم يبقَ من الضرائب غير العقارية الا ما لا بد من تحصيلهِ كرسوم الجمارك والتزامات المعادي في بعض الجهات ورسوم قوارب صيد السمك في بركة قارون بالفيوم وفي بحيرة المنزلة . ورسوم دمغة المصوغات والموازين والمكاييل والمقاييس

اما الضرائب العقارية فهي الآن ثلاثة انواع (١) ضرائب الاطيان (٢) ضرائب

النخل (٣) ضريبة المباني بالمدن · ويدخل في النوع الاول ضرائب الواحات وسيوه وبقية من العوائد التي كانت تؤخذ من جميع الارض المنتفعة بالري من الترعة الابراهيمية · ويشابه النوع الثالث ضريبة تؤخذ على طواحين الغلال الدائرة على هدارات الماء باقليم الفيوم فقط · فضرائب النخل بقيمة قرشين ونصف قرش فيما عدا الواحات وقبلي اصوان فانها هناك ستون فضة على كل نخلة مثمرة او من شأنها الثمر او الطلع ويعفى من ذلك النخل المغروس في حيشان المقابر واماكن العبادة والمغروس في داخل حدود المدن المقرر اخذ عوائد فيها على المباني · وتحصل هذه العوائد في مواسم الثمر · وضريبة المباني وهي بقيمة جزء من اثني عشر جزءا من الايجار او ٨$\frac{1}{3}$ في المائة وهي تؤخذ في المدن عواصم المديريات والمراكز ومدن اخرى شهيرة غيرها وتؤخذ على المباني الداخلة في نطاق يحدد للمدينة بامر عالٍ ويعفى منها جميع المباني التي اجرتها السنوية لا تزيد عن خمسة جنيهات مصرية ومحلات العبادة ودور القونصلاتات التي تملكها الدول ذاتها والمعاهد الخيرية وتحصل هذه العوائد اربعة اجزاء واحد منها في اول كل ثلاثة اشهر

وقد اعفت الحكومة على وجه الاطلاق اهل العريش والقصير من جميع الضرائب العقارية لكونهم من فقراء عرب البادية ولا يكادون ينالون ما يسدون بهِ رمقهم

اما ضرائب الاطيان فهي قيمة معينة من المال مفروضة سنويًّا على مساحة معينة من الارض ويختلف تقدير هذه المساحة باختلاف البلاد وهي في مصر مفروضة على الفدان · وهذه الضريبة واجبة بالذمة حتماً لمجرد الانتفاع بعين العقار لا بالخراج او الناتج منهُ ولا تتكرر في السنة الواحدة ولو تكرر زرع الارض فيها · ومن ابتداء ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٥ قررت الحكومة اعتبار الضرائب مستحقة على حساب السنين الميلادية التي اولها يناير وآخرها دسمبر · وتختلف قيمة الضريبة باختلاف وظيفة الارض وفائدتها فالارض التي تزرع قطناً مثلاً تؤدي من الضريبة اكثر من الارض التي لا تزرع الاَّ اصناف حبوب ·

ولا يوجد دليل ثابت على قاعدة وضع الضرائب في مصر قبل زمن محمد علي غير ما جاء في الرواية التاريخية عن القحط الذي ألمَّ بالبلاد في ايام سيدنا يوسف . ولما تجرد المصريون من جميع اموالهم ولم يبقَ لديهم سوى الاطيان اضطروا ان يقدموها الى يوسف ليعطيهم بدلاً منها ما كانوا في اشد الحاجة اليهِ من القوت فقبلها منهم واعطاهم كل ما كانوا يحتاجونهُ من القوت ومن البذار واجاز لهم استمرار وضع ايديهم على الارض على شرط ان يؤدوا خمس غلاتها الى الحكومة ما عدا اراضي ائمة الدين

ويظهر ان تقدير الضرائب في الازمنة الماضية لم يُبنَ على نظام مالي بل كان معلقاً على مشيئة المتسلطين ففي اول الفتح الاسلامي كانت تؤخذ بصفة جزية بقيمة دينارين على كل ذكر من عمر اثنتي عشرة سنة الى عمر ستين وكانت هذه الجزية توزع على البلاد بقدر ما تقوى على القيام بدفعهِ على نسبة ما فيها من الارض العامرة وارباب الصنائع والاجراء. وفي ايام الفواطم كانوا يأخذون ثلاثة ارادب خفضت في سنة ١١٧٦ الى اردبين ونصف على كل فدان من القمح الذي ينتج من الغلة عشرة ارادب اي بنسبة الربع او ٢٥ في المائة من اصل المحصول وكانوا يأخذون بين ثلاثة دنانير وخمسة دنانير من الكتان والعنب. وفي ايام السلطان سليم الفاتح لم يزد مجموع الضرائب في مصر عن ستمائة الف قرش. ثم فرضوا على كل فدان ضريبة لا تنقص عن اربعين فضة ولا تزيد عن اربعمائة فضة. وبعد ذلك قدروا الضرائب على الفدان بالمشط وهي قطعة من الفضة كانت ضربت في سنة ١١٤٧ وامرت فاطمة خانون بنت مصطفى كتخدا بان ينقش عليها رسم مشط وقدرت قيمتها بتسعين فضة ثم سميت ريالاً فكان يدفع على الفدان في كل جهة ما تقرر عليهِ من الامشاط. ودامت الضرائب غير مستقرة على قرار وبالاخص في زمان الملتزمين وزيد عليها من وقت لآخر كثير من البدع والاضافات حتى كانت تدفع عدة ضرائب مختلفة عن اطيان من نوع واحد في حوض واحد وبالعكس تدفع ضريبة واحدة على اطيان مختلفة في كل اعتباراتها. وفي اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر جعلت الضريبة التي سميت عشورية وكان قد بدئ بها على اصل وضعها الشرعي وهو اداء العشر من كل محصول ينتج من الارض ولو تكررت المحاصيل في سنة واحدة ولكن الحكومة حينئذٍ عجزت عن مقاومة الصعوبات التي كان ارباب الاطيان يقيمونها فبدلت هذه الطريقة بتقدير قيمة معينة من المال على كل فدان باسم ضريبة عشورية وكانت الضريبة العشورية اقل بكثير من قيمة الضريبة الخراجية مع ان الاطيان العشورية كانت احسن بكثير من الاطيان الخراجية لانها كانت بايدي اصحاب الثروة الطائلة والجاه العريض الذين حفروا لها الترع العظيمة وجلبوا لها الماء الكافي وشقوا لها المصارف المفيدة وتابعت الحكومة وضع الضريبة العشورية على كل ارض جديدة اعطيت منها للافراد بالبيع او بغير ذلك فكثرت الاراضي التي تؤدي الضريبة العشورية وتهافت الناس على اقتنائها وتحولت اراضي كثيرة خراجية الى عشورية فزالت المساواة وانعصر الضعيف وانسحق المسكين وترك كثير من الناس اطيانهم الخراجية للحكومة فباعتها بصفة عشورية وعم العسر وهاجر الكثيرون من الفلاحين اوطانهم وهم الذين يعرفون باسم

المستحيين لان القوة والمال حلتا محل العدالة والانصاف وتمرت الحكومة بما يتهدد ميزانية الايرادات من النقص ان دام الحال كذلك فابطلت قطعياً وضع شيء جديد من الضريبة العشورية من ابتداء سنة ١٨٨ واخذت في تدبير وسائط لمساواة ولكنها كانت غير مدركة بغير عمل مساحة عمومية (فك زمام) تقسم فيه اطيان كل بلد الى اجزاء تكون اطيان كل جزء منها متماثلة متشابهة في المعدن وفي الري والصرف والمواصلات لتوضع عليها ضريبة واحدة بقيمة ما تساويه بحسب حالتها ليتساوى في اداتها القوي مع الضعيف والغني والفقير بلا ادنى فرق . وشرعت فعلاً في عمل المساحة العمومية وشكلت لذلك ديوان التاريع وبعد ان مارس العمل زمناً طويلاً صادفته جملة صعوبات في جملتها الخلط في المبادىء الرئيسية بين الاكتفاء بقيد النتائج الحقيقية بحسب المشاهدات الواقعية في وضع اليد وهو الغرض الاصلي لتكليف كل واضع يد باداء الضرائب عما يوجد تحت يده من الاطيان . وبين التعرض لاثبات او نفي الملكية وهو ما لم يرد التداخل فيه اصلياً . ثم صادف ذلك استعار نيران الثورة العسكرية في سنة ١٨٨٢ فتوقف العمل ثم صرف النظر عنهُ بالكلية . وفي سنة ١٨٩٢ عادت الحكومة لعمل مساحة فك الزمام العمومية على نظام مالي محض تجنبت فيه كل الصعوبات التي دل الاختبار عليها في ما مضى وكانت المشاكل المالية كادت ان تنتهي واصبح تقدير ميزانية ايرادات ومصروفات الحكومة مبنياً على ارقام صحيحة وحان الوقت لتخفيف ويلات الفلاحين فأخذت بالتدريج في تنقيص ضرائب الاطيان وابتدأت في ذلك بالتجاوز عن جميع متأخرات الضرائب لغاية سنة ١٨٧٩ وكانت نحو العشرين مليوناً من الجنيهات المصرية . ثم انقصت ٢٤٥٠٠٠ جنيه سنوياً من ضرائب اطيان مديريات الجيزة وقنا واصوان وجرجا . وابطلت ضريبة العونة وهي التي كانت فرضت على الاطيان بدل نفقات الاعمال التي كانت تعمل بانفار العونة . وخفضت ضرائب جملة اطيان بقيمة تسعين الف جنيه في مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم . وابطلت معظم الضريبة التي كانت تحصل باسم مصاريف ابراهيمية على الاطيان المستمدة ريها من الترعة الابراهيمية . وخفضت ضرائب بلاد الواحات وسيوه . ورفعت ٢١٦٠٠٠ جنيه سنوياً عن الاطيان التي كانت ضريبتها تزيد عن ثلث قيمة ايجارها

ولما اوشكت اعمال فك الزمام ان تنتهي بمديرية الشرقية والبحيرة بحيث يتيسر لها الشروع في تعديل الضرائب على قاعدة العدالة والمساواة اوفدت المالية تحت رئاسة جناب السير وليم ويلكوكس لجاناً مؤلفة من اشخاص من المتوفرة فيهم شرايط الخبرة والكفاءة

فطافوا بلاد القطر من قصي اقاصيها لادنى ادانيها في سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٦ وبحثوا الاراضي وقدروا ما تساويه من الايجار في كل جزء وفي كل بلد وكانت النتيجة ان مجموع الضرائب وجد بنسبة ٢٨ و ٦٤ في المائة من مجموع الايجارات التي قدرتها اللجان واتخذت المالية هذه النسبة اساساً لتعديل الضرائب على طريقة توزيع ما قدرته اللجان عن اطيان كل بلد لحدتها على الاحواض الجديدة التي قسمت اطيان البلد اليها في مساحة فك الزمام الجديدة وذلك بان يوضع على كل حوض ضريبة واحدة من بين اثنين وعشرين ضريبة تقررت لاطيان القطر كلها اقل ما فيها ١٤ قرشاً واكثر ما فيها ١٦٤ غرشاً لا تزيد عنها في اي حال من الاحوال والفرق بين كل ضريبة والتي بعدها او قبلها هو سبعة قروش الا في ثلاث ضرائب وهي ١٤ و ٩٧ و ١٠٧ فالفرق بين كل منها والتي بعدها هو ثمانية قروش . وتحددت مواعيد لتعديل الضرائب في كل بلد وحصل النشر عنها رسميًا وعمل التعديل ونشرت نتائجهُ في البلاد ومنح ارباب الشأن حق طلب اعادة النظر في ضرائب الحيضان التي يظن ان التقدير فيها كان غير متناسب مع حالتها وايجارها وقبلت معارضاتهم وعملت التحقيقات اللازمة عنها وحكم فيها ونشرت النتيجة النهائية عن كل حوض بكل بلد في الجريدة الرسمية وفي كل بلد وقد تمت اعمال تعديل الضرائب في جميع بلاد القطر في مدة تسع سنوات من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩٠٧ ولكن لم يبدأ بتنفيذ هذا العمل الا في سنة ١٩٠٥ بمديريتي الشرقية والبحيرة بعد مضي خمس سنين تقرر لزوم انقضائها بين البدء بالعمل وتاريخ التنفيذ بكل مديرية وذلك لكي لا يجيء تأثير التنفيذ فجائياً سواء كان بزيادة او بنقص الضرائب الاصلية . وفي سنة ١٩١٢ يكون تم التنفيذ في انحاء البلاد كافةً وفي حالة التنفيذ بكل مديرية يزول الفرق القديم الذي كان موجوداً من قبل وهو ما كان من تنويع الاطيان والضرائب الى خراجية وعشورية . تلك هي قواعد الضرائب الثابتة الاساسية غير ان الحكومة في سنة ١٩٠٢ قررت علاوة ضريبة اضافية على الاطيان التي تحولت من ري شتوي الى ري صيفي مستديم من نتائج انشاء الخزانات وهذه الضريبة بقيمة خمسين غرشاً على الفدان للاطيان التي استفادت بري الراحة وثلاثين قرشاً للاطيان التي استفادت ولكن بالآلات بشرط ان لا تزيد في اي حال من الاحوال عن ١٦٤ قرشاً المقررة لاقصى ضريبة وفي بعض الاحيان توزع ضرائب اضافية بمقتضى اوامر عالية بناءً على قرارات مجالس المديريات لاستعمال ما يجمع منها في انشاء سكك زراعية او كباري لفائدة البلاد

اما الضرائب الموقتة فانها عند ما تبلغ الاطيان المربوطة عليها اقصى درجة التحسين

تتغير الى ضريبة نهائية تمثل ضريبة الحوض. وتفصيل وضع الضريبة المؤقتة هو ان الاطيان التي تبيعها الحكومة وتوجد غير قابلة لتحمل ضريبة الحوض النهائية توضع عليها ضريبة موقتة بحسب حالتها إما بقيمة محددة لمدة محددة من الزمن وإما بقيمة لا تزيد عن ٣٠ في المائة مما تساويهِ من الايجار وهذه القواعد صدر عنها امر عالٍ في ٣ فبراير سنة ١٨٩٢ تضمن درج الاطيان في ثلاث درجات وهي (١) وضع الضريبة النهائية على الاطيان التي تباع وتوجد قابلة لتحمل ضريبة الحوض (٢) اووضع ضريبة موقتة لمدة من الزمن لا تزيد عن ست سنوات وهذا في حالة ما اذا كانت لا تحتاج الاَّ الى تصليحات بسيطة (٣) او وضع ضريبة موقتة لمدة لا تزيد عن خمس سنوات ان كانت الارض في حاجة الى منافع عمومية ويجوز في هذه الحالة فقط تكرار وضع ضريبة موقتة لمدة او مدد اخرى لا تزيد كل منها عن خمس سنوات ان كانت في نهاية الخمس سنوات توجد غير قابلة لتحمل ضريبة حوضها النهائية. اما الاطيان البور فتوضع عليها ضريبة قرشين كل فدان في كل من السنتين الاوليين و ٥ قروش في كل من الثلاث السنوات المكملة للخمسة و ١٠ قروش في كل من الخمس السنوات المكملة للعشرة وفي نهاية هذه المدة تعاين وتدخل تحت حكم احدى الدرجات الثلاث التي تقدم توضيحها. ومنحت الحكومة المعافاة من الضرائب بالكلية لمدة عشر سنوات في حالتين اثنتين. الاولى — عند ما يريد احد تخصيص شيء من ارضهِ لغرس الغابات والاحراش بشرط ان تكون الارض في البراري او على حدود البراري. ولم تزرع من قبل غير زراعة شتوية: ولم تزد الضريبة التي تدفع عنها عن خمسة قروش الفدان هذا بعدان يحصل صاحبها على الرخصة من المالية بغرس الغابات والاحراش. وبعد ان يتم غرس خمسة افدنة على الاقل تعفى الارض من الضرائب مدة عشر سنوات كاملة. وفي مدة عشر سنوات اخرى توضع عليها ضرائب تدريجية على كل فدان قرشين في كل من السنتين الاوليين و ٥ قروش في كل من الثلاث السنوات المكملة للخمسة و ١٠ قروش في كل من الخمس السنوات المكملة للعشرة ثم توضع عليها ضريبة حسب ما تستحق بحيث لا تزيد في اي حال من الاحوال عن خمسين قرشاً ويسقط حق صاحب الرخصة في التمتع بها ان ثبت في اي وقت كان استعمالهُ الارض في زراعة اي صنف غير الغابات والاحراش. اما النوع الثاني الذي يعفى عشر سنوات من الضرائب فهو ارض البرك والمستنقعات التي صرحت الحكومة في سنة ١٨٩٤ بقبول اعطائها ملكاً مجاناً لمن يتعهد بردمها وتجفيفها في مدة سنتين وفي نهاية العشر السنوات المحددة للاعفاء من الضريبة توضع عليها ضريبة الحوض النهائية

تلك هي القواعد المقررة لوضع وتقدير وتعديل الضرائب على اختلاف انواعها غير انها لا تسري على بلاد الواحات الداخلة والخارجة التابعة لمديرية اسيوط . وواحة سيوه وام الصغير التابعة لمديرية البحيرة لان طرق وضع الضرائب هناك تختلف بمقتضى عوائد تلك البلاد من قديم الزمان . فالاولى وهي الواحات الداخلة والخارجة لا توضع فيها الضريبة على الفدان بل على مقدار مقاس ارتفاع الماء النافر من كل من العيون والآبار التي ترتوي منها اراضي الواحات ولهم طريقة مخصوصة في مقاس ارتفاع الماء عن سطح الارض على مسافة متفق عليها من بداية فوهة النبع ولهم وحدة للمقاس تعرف باسم قيراط وهي عبارة عن ثمانية سنتيمترات ويدفع عن كل قيراط خمسون قرشاً . اما الثانية وهي سيوه فانها تؤدي للحكومة مقطوعية سنوية قيمتها ١٧٥٠ جنيهاً مصرياً يوزعونها على العائلات ويحصلونها ويسددونها للحكومة بصفة ضرائب عن اطيانهم ونخيلهم بلا فرز ولا تحديد

رفع الضرائب

من الضرائب ما يُعد رفعهُ الزامياً وهو ما يكون مربوطاً على ارض تلفت وانقطعت الفائدة منها وينحصر هذا النوع في الاسباب الآتية

(١) استعمال الارض في المنافع العمومية . كالسكك الحديدية . والسكك الزراعية . والترع . والمصارف . والجبانات وما شابه ذلك مما يدخل في حكم المنافع العمومية . وهذا النوع علاوة على رفع الضرائب عنهُ يتعين التعويض عنهُ لاربابهِ غير ان هذا التعويض لا يكون ارضاً بارض ولكنهُ تعويض نقدي يقدر باتفاق الطرفين او بحكم الحاكم . وفي ما مضى من الزمن كان لا يجوز التعويض عن الارض الخراجية لانها كانت معتبرة ملكاً للحكومة وكان واضعو اليد عليها لا يملكون فيها غير حق الانتفاع . وقد يجوز لصاحب الارض ان لا يأخذ تعويضاً بالكلية ان شاء ذلك . وذلك لكي يجوز لهُ استرداد الارض ذاتها للملك ان استغنى الحال عنها في يوم ما من لزوم المنفعة العمومية

(٢) فقدان الارض باكل البحر الناشيء عن شدة اندفاع تيار النهر واجتزار ما يضعف عن مقاومة الماء من الارض الكائنة في وسط نهر النيل او على ضفتيهِ . وهذا النوع ايضاً يُعطى تعويض عنهُ علاوة على رفع الضريبة . غير ان التعويض في هذه الحالة هو بعكس التعويض في الحالة الاولى لان التعويض هنا يعطى ارض بارض لا تعويضاً نقدياً وعلى شرط ان تلك الارض يكون قد جددها النيل من طرح البحر بعد تاريخ افتقاد المفقود وان يكون بتجديدها جاء ملاصقاً ومتصلاً تمام الاتصال بارض البلد التي اكل البحر منها ويوزع

التعويض بين اصحاب الارض المفقودة توزيعاً نسبياً

(٣) تغلُّب الرمال على الارض وافسادها سواء كان لمجاورتها للجبال ووجودها مدداً لما تسفهُ عليها العواصف . او من وجود الارض بالجزائر عرضة لتكوين ما يتكون عليها من طبقات الارض الرمال التي تأتيها ممزوجة بماء الفيضان وترسب عليها وتصيرها غير صالحة للزراعة

(٤) اندفاع المياه من مقطع في احد جسور الحيضان العمومية في مدة امتلائها بالمياه سواء كان لصرف المياه عن الحوض او لضعف بعض اماكن من تراب الجسر عن مقاومة ضغط المياه وبالاخص عند اشتداد العواصف والانواء

(٥) تغلُّب السبخ على الارض . من نشع ما يجاورها من ترع او مصارف عالية عن سطحها . او من عدم وجود مصارف لتجفيفها او عدم وجود ترع لريها واحيائها . او من مجاورتها لبركة قارون بالفيوم

وفي الثلاثة الانواع الاخيرة لا يُعطى تعويض بالكلية . وترفع الضريبة حتماً عما يتلف باي سبب من الاسباب الخمسة التي ذكرت . ويتعين على كل صاحب ارض ان يقدم طلباً عن رفع الضريبة عما يتلف من ارضهِ ما عدا التآكل باكل البحر وبرمال الجزائر فهذا لا يلزم تقديم طلبات عنهُ لان الحكومة تعمل التحقيق عنهُ من نفسها . وترفع الضريبة من تاريخ تقديم الطلب الى ان يزول سبب الرفع الذي هو التلف وذلك في ما عدا النوع الخامس وهو السبخ فرفع الضريبة يستمر فقط لنهاية السنة التالية لسنة رفع الضريبة ثم يوضع على الفدان قرشان في السنة التالية لها وخمسة قروش في التي بعدها وعشرة قروش في ما بعدها ونصف الضريبة الاصلية في ما بعدها وبعد ذلك تعاين وتدرج في احدى الثلاث درجات المنصوص عليها بدكريتو ٣ فبراير سنة ١٨٩٢

ما عدا الخمسة الانواع من اسباب اتلاف الاطيان قد يجوز رفع الضريبة ان ثبت باقرار نظارة الاشغال العمومية ان المنافع العمومية اللازمة للارض غير مستكملة وتعود الضريبة بزوال السبب

وترفع الضريبة ايضاً عما يوجد ناقصاً من مقدار الاطيان عند اجراء مساحة فك الزمام العمومية

وترفع الضريبة عن خمسة افدنة في كل سنة مما يملكهُ كلٌّ من عمد البلاد وعمد قبائل العربان من قبيل المكافأة على الخدامات التي يؤدونها للحكومة

وترفع الضرائب عن الارض عندما تتحوَّل من وظيفة الزراعة لوظيفة البناء ولكن

ذلك فقط بالمدن المقرر فيها عوائد على المباني

وترفع الضرائب عن الارض المعدة للجرون

ومن الضرائب ما يعد رفعهُ منحة اختيارية من قبل الحكومة وذلك عن الاراضي التي في سنوات انحطاط النيل يقصر الفيضان عن ريها فتبقى بلا زراعة بالكلية وتسمى شراقي كامل وترفع عنها ضريبة السنة كاملة وهكذا ترفع الضريبة كاملة عما يكون من هذا النوع قد زرع من مياه الآبار . وترفع نصف الضريبة فقط عما يكون زرع مرة واحدة بدلاً من مرتين . او روي بالآلات بدلاً من اعتياد ريهِ بالراحة ويسمى ذلك نصف شراقي

تحصيل الضرائب

بمقتضى امر عال في ١٠ رجب سنة ١٢٨٩ اي ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ للحكومة امتياز خاص في تحصيل الضرائب بنفسها من نفس العين فلا تلتجئ للدوائر القضائية في حالة تأخير بعض الممولين في تسديد ما على عقاراتهم من الضرائب . وكانت توجد صعوبات كلية في تحصيل الضرائب عن اطيان الاورباويين والحمايات وتأخر شيء كثير منها لغاية سنة ١٨٧٩ ولكن باتفاق الحكومة مع الدول اصدرت قانوناً في ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ معمولاً بهِ للآن في تحصيل الضرائب ممن يتأخر من الاورباويين والوطنيين على السواء وذلك بالحجز على المحصولات والمنقولات ابتداء وان لم تفِ بالمطلوب فبالحجز على عين العقار وبيعهِ كلهِ او بعضهِ حتى تستوفي الحكومة حقها . وقد أُدخلت على هذا القانون بعض تعديلات دلت عليها التجارب في اثناء الثمان والعشرين سنة الماضية . منها عدم الامهال في الحجز على المحصولات والمنقولات زيادة عن وقت تسليم الانذار لان ذلك الامهال كان سبباً في تمكين بعض المختالين من تهريب ما لديهم فراراً من الحجز . ومنها جواز الحجز على العقار ولو كان واقعاً تحت حجز قضائي لصالح احد الاجانب ولكن بشرط لرسال نسخة من محضر الحجز الاداري للنيابة المختلطة قبل موعد البيع بمدة من الزمن لا تقل عن سبعين يوماً . ومنها بيع الفواكه وغيرها من الاشياء السريعة التلف بلا انتظار للمدة القانونية المقررة للبيع . هذا واستصدرت الحكومة في سبتمبر سنة ١٨٨٤ قانوناً آخر يجوز بمقتضاه الحجز لصالحها ولصالح الافراد من الوطنيين فقط دون الاورباويين وهذا الحجز يسمى الحجز الامتيازي ولا يجوز عملهُ على شيء بالكلية غير المحصولات والاثمار والمدير كقاضٍ هو الذي يأمر باجرائهِ لتحصيل ما يتأخر تسديدهُ من ايجارات الاطيان المؤجرة للافراد سواء كانت من املاك الحكومة او من املاك الافراد

واهتمت الحكومة كل الاهتمام في ترتيب اوقات تحصيل الضرائب في نفس اوقات ظهور المحصولات بكل جهة لحدتها وذلك لكي تكفي الفلاح مؤنة المذلة والخسارة في الالتجاء للمرابين واستدانة المال لتسديد الضرائب بالربا

ووضعت القواعد المتينة لكفالة عدم امتداد ايدي الجباة بشيء من الخيانة في الاموال المتحصلة ولا التلاعب فيها

ولغاية سنة ١٨٨٤ كانت للحكومة مخازن كبرى تسمى اشوانًا تقبل فيها ما يقدم من الغلال بالثمن محسوبة من الضرائب ولكن ذلك ابطل قطعيًا من سنة ١٨٨٥

كانت تحصل الضرائب بالضرب بالكرابيج لا استبدادًا من نفس الحكام كما يظن ولكن قانون الحكومة المطبوع في سنة ١٢٦١ كان يأذن بالضرب ويحدد عدد الكرابيج غير انهم فقط زادوا عليهِ الحبس والاهانة في السجون. ومن يقارن بين ذلك وبين ما يجري الآن من المساواة والعدالة يتبين مقدار الفرق المحسوس في ارتقاء حالة البلاد

ومن ينظر الى الآلاف المؤلفة من الحجوزات التي كانت تعمل على المنقولات والعقارات لتحصيل الضرائب ويدرك بالقياس على ذلك صعوبة الاحوال المالية في ما مضى ثم يقارن بينها وبين السهولة المتناهية في التسديد وندارة ما يعمل من الحجوزات يحكم لاول وهلة على مبلغ النجاح الادبي والمادي الذي نالتهُ البلاد. وللدلالة على ذلك نقول ان المالية في سنة ١٨٩٣ وهي من السنين الوسطى بين تاريخ صدور قانون التحصيل في سنة ١٨٨٠ وبين الوقت الحاضر وقعت ٩٥٦٨ حجزًا على محصولات ومنقولات ومواشي و١٨٦٣ حجزًا على عين العقار اما في سنة ١٩٠٦ فلم يقع الاَّ ٢٣٥٤ من النوع الاول و ٤٨١ من النوع الثاني وكلاهما بنسبة ٢٥ في المائة مما كان عُمل في سنة ١٨٩٣ وليس بعد زوال ٧٥ في المائة من صعوبات تسديد الضرائب اوضح برهان على التقدم والنجاح

كان الجباة الذين هم صيارف البلاد يشتغلون بالعمولة في تحصيل الضرائب وقلما كانوا يأخذونها. فرتبت الحكومة لهم بدل ذلك رواتب شهرية وزادتها لهم كلما رأت لذلك سبيلاً حتى ابلغتهُ خمسة جنيهات ونصف لصيارف الدرجة الاولى. واربعة ونصف للثانية. وثلاثة ونصف للثالثة. ولم يكن لهم شيء من المعاش او المكافأة فانشأت لهم صندوقًا للتوفير يدفع لهُ كل منهم ٢ في المائة من ماهيتهِ وتدفع الحكومة مثلها وتعطي من ذلك لمن يرفت بغير علة الخيانة مكافأة بقيمة مجموع ماهية ستة شهور لمن لم تبلغ مدة خدمتهِ عشر سنوات وماهية سنة كاملة لمن لم تبلغ خدمتهُ عشرين سنة وماهية سنتين لمن لم تبلغ خدمتهُ ثلاثين

سنة وماهية ثلاث سنين لمن تبلغ خدمتهُ ثلاثين سنة فأكثر . وبمثل هذه المعاملة تعامل المساحين ايضاً . تلك هي قواعد وضع ورفع وتحصيل الضرائب ومن يمعن النظر فيها يتبين لهُ ان بلادنا السعيدة قد توفرت فيها المبادئ الاربعة الاساسية التي يتوقف على وجودها ضمانة العدالة في موضوع الضرائب وهي

اولاً المساواة في وضع الضرائب بين مختلف الطبقات من الناس

ثانياً معرفة كل من ذوي الشان بقيمة الضرائب المتعين عليهِ دفعها في كل سنة والوقت المعين لتسديد كل جزء منها

ثالثاً ترتيب اوقات تحصيل الضرائب في ذات اوقات ظهور المحاصيل بحيث يسهل لكل ممول ان يدفع ما عليهِ من ثمن غلات ارضهِ

رابعاً عدم المحاباة في التحصيل . ذلك بان لا يدفع الضعيف اكثر مما يدفع القوي وبالعكس جرجس حنين

عبد الله المأمون

كان لدولة بني العباس في بغداد شأو بعيد من البسطة والجاه ومقام عالٍ في الحضارة والعمران فكانت تمتد من الشرق حتى ارض الهند وبعض الصين ومن الغرب الى البحرين الاسود والمتوسط ومن الشمال حتى سبيريا وبحر قزبين ومن الجنوب الى بحر فارس ومايلي مصر من بلاد النوبة . على ان اعظم خلفاء هذه الدولة شأناً واعزهم سلطاناً الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور والخليفة السابع عبد الله المأمون صاحب الترجمة

ولد عبد الله المأمون سنة ١٠٧ للهجرة قيل لما مات الخليفة الهادي جاء يحيى بن خالد البرمكي الى ابيهِ هرون الرشيد فاعلمهُ بموت الخليفة وانتهاء الملك اليهِ وبينما هو يكلمهُ اذ اتاهُ رسول آخر يبشرهُ بمولود فسرَّ كثيراً وسماهُ عبد الله

ولما ترعرع عبد الله عهد الرشيد بتهذيبهِ الى جماعة من العلماء والفقهاء كعباد بن العوَّام ويوسف بن عطية وابي معاوية الضرير وغيرهم من خيار اساطين العلم والفقه فبذلوا الوسع في تثقيفهِ وارشادهِ حتى برع في اللغة والفقه والتاريخ . قال المسعودي دخل الكسائي يوماً على الرشيد فرأى ولديهِ محمد الامين عن يمينهِ وعبد الله المأمون عن يسارهِ وهما كالاقمار الطالعة فسألهُ الرشيد رأيهُ فيهما فاجابهُ ما اقول وقد رأيت فيهما ما حيَّر فكري من الفصاحة

والاحتشام على صغر سنهما فلم اسائلهما عن امرٍ الاَّ وجاوباني جواباً شافياً فضمهما الرشيد الى صدرهِ وجالت الدموع في عينيهِ وقال ولكنني ارى في عبد الله المأمون نجابةً وانهُ شديد الهمة وارى في محمد الامين البلادة والبرودة واني اذا وليت العهد بعدي لعبد الله فلا يهون ذلك على بني هاشم اخوال الامين وربما ثارت بينهم الفتن واذا وليت العهد الامين فلا آمن من تدبير المملكة

وفي سنة ١٨٢ تبيَّن الرشيد في عبد الله طلائع الذكاء وتوقد الخاطر فبايعهُ ولاية العهد بعد الامين وولاَّهُ خراسان وما يتصل بها الى همذان ولقبهُ المأمون فاقام ينظر في شؤونها وحولهُ جماعة من الخبيرين بالسياسة والعارفين بابوابها ينكبون بهِ عن مواضع الزلل ويرشدونهُ الى ما فيهِ خيرهُ وصلاح الرعية كغيلان الشعوبي ومحمد بن موسى الخوارزمي ويحيي بن منصور والفضل بن نوبخت ويشد ازرهُ جند خراسان وهم اخوالهُ لان امهُ فارسية كل ذلك وما ميزهُ الله بهِ من الذكاء وعلو الهمة دفع بنفسهِ الكبيرة ان تسير سيرة العظماء فتحلى بالعدل والحلم وتجمل بكثير من الفضائل . رأى الرشيد منهُ ذلك فطابت نفسهُ وارتاح اليهِ حتى اذا حجَّ بالناس سنة ١٨٧ كتب كتابين اشهد فيهما الفقهاء والقادة والقضاة على مبايعة العهد للامين ومن ثمَّ لاخيهِ المأمون وعلَّق الكتابين في الكعبة على ان بضعة من العقلاء تخوَّفوا عاقبة هذه المبايعة وحسبوا لما ينجم عنها من العداء بين الاخوين الف حساب

وكان رافع بن الليث قد خرج سنة ١٩٠ عن طاعة الرشيد بسمرقند فيما وراء النهر فزحف الرشيد لاخضاعهِ سنة ١٩٢ ولما صار على الطريق مرض فدخل مدينة طوس واستحكمت العلة منهُ فمات سنة ١٩٣ وبويع الامين بالخلافة من عسكر ابيهِ وجلة اهل بيتهِ وظلَّ المأمون في خراسان يتولَّى ما كان بيدهِ الاَّ انهُ اهدى الى اخيهِ وكتب اليهِ وعظَّمهُ

عهدت الخلافة للامين ولم يكن كفوءاً لها بل كان على ما نقل رواة اخبارهِ ضعيف الرأي انصرف الى اللهو وادمان الخمر ومغازلة الحسان واجراء الرزق عليهنَّ وقسَّم ما في بيوت الاموال من الجواهر والحلي على نسائهِ وخصيانهِ وبالجملة كان على ما قالهُ صاحب مختصر الدول فيهِ " لم يكن في سيرتهِ ما يستحسن ذكرهُ من حكمةٍ او معدلةٍ " . وكان من امورهِ انهُ بعد ان استتبَّ لهُ الملك خلع اخاهُ المأمون من ولاية العهد باغراء الفضل بن الربيع وامر بالدعاء على المنابر لابنهِ موسى وسماهُ الناطق بالحق وكان طفلاً صغيراً وكتب الى العمال في ذلك واسقط ايضاً ما كان قد ضرب لاخيهِ من الدراهم والدنانير فخلوها من اسمهِ وبعث الى الكعبة بمن احضر لهُ الكتابين اللذين وضعهما الرشيد ببيعتهِ مع اخيهِ المأمون ومزقهما

فكبر الامر على المأمون واستاء الناس كثيراً من خرق الامين لوصاية الرشيد ومن ثمَّ تعددت بينهما اسباب النفرة . منها انهُ كان قد اتصل برافع بن الليث حسن سيرة المأمون فطلب منهُ الامان فاجابهُ الى ذلك وحضر اليهِ وقدم هرثمة عليهِ فاكرمهُ وولاهُ الحرس فانكر الامين ذلك وكان ايضاً من داود بن عيسى عامل الامين في مكة ان جمع اليهِ وجوه الناس ومن شهد منهم على مبايعة الرشيد للامين والمأمون وحثهم على خلع الامين ومبايعة المأمون فاجابوهُ الى ذلك وكتب الى ابنهِ سليمان عاملهِ في المدينة في مبايعة المأمون ففعل ومن ثمَّ قام الى خراسان ليعرض ولاءهُ على المأمون فاكرم المأمون وفادتهُ وبالغ في اعزازهِ كل ذلك زاد في الطين بلةً وادَّى الى انفصام عرى الاخوة واحتدام نار البغضاء

وخلاصة القول ان الامين امر علي بن ماهان ان يسير بجيش كثيف لمقاتلة المأمون فجهز على رواية ابن الاثير خمسين الف مقاتل ولما عزم على المسير من بغداد ركب الى باب زبيدة ام الامين ليودعها فقالت لهُ يا علي ان امير المؤمنين ان كان ولدي واليهِ انتهت شفقتي فاني على عبد الله (اي المأمون) منعطفة مشفقة لما يحدث عليهِ من مكروهٍ فاعرف لعبد الله حق ولادتهِ واخوتهِ ولا تقتسرهُ اقتسار العبيد اذا ظفرت بهِ ولا تعنف عليهِ في السير ثمَّ دفعت اليهِ قيداً من فضة وقالت ان صار اليك فقيدهُ بهذا القيد

وبلغ الخبر الى عبد الله المأمون فسيَّر هرثمة بن اعين في اقل من اربعة آلاف فارس وعلى مقدمتهم طاهر بن الحسين ولما التقى الجيشان رمى رجل اسمهُ داود بن سياه علياً بسهم فقتلهُ وحمل رأسهُ الى طاهر فانفذهُ الى المأمون الاَّ ان رواية ابن الاثير عن عدد جيوش الامين غير حريَّةٍ بالوثوق لما يستحيل عادة من انتصار اربعة آلاف مقاتل على الخمسين الفاً وهم يتساوون في العدة والتدريب الحربي وربما كان الاقرب الى الصواب رواية ابي الفرج عن عددهم حيث قال خرج علي في عشرة آلاف فارس

كان لانتصار طاهر على جيش الامين وقتل علي بن ماهان احسن وقع عند اهل خراسان وطابت لهُ نفس المأمون وتفاءل بالفوز التام لذلك امر ان يخطب لهُ بامير المؤمنين.

اما الامين فشق عليهِ ما لحق بعسكرهِ من الفشل فوجه عبد الرحمن بن جبلة الانباري في عشرين الف رجل وامدَّهُ بالاموال فسار حتى نزل همذان وحصنها ورمَّ سورها فاتاهُ طاهر وخرج اليهِ عبد الرحمان الى ظاهر المدينة . واقتتل الجيشان قتالاً شديداً حتى آل الامر الى انهزام عبد الرحمن الى همذان والقيام بها اياماً طوالاً وطاهر على ابوابها يشدد عليها الحصار الى ان سئم اهلها وتخوف عبد الرحمن ان يدفع بهم الضجر والتبرم الى الخروج عليهِ

وجيشهُ في حالة من الضنك لا يقوى معها على اخماد ثورتهم فطلب الى طاهر الامان لنفسهِ ولمن معهُ فأمنهُ فخرج عن همذان

الأَّ ان عبد الرحمن بعد خروجهِ بعسكرهِ عن همذان لم يرضَ بالرجوع الى الامين بالخيبة والفشل فانتهز تأمين طاهر لهُ فرصة يغتنمها فيأخذهُ مع قومهِ على غرة ويعمل بهم السيف و يعود الى الامين ظافرًا منصورًا وهكذا كان منهُ ان هجم على طاهر واصحابهِ بغتة فثبت لهُ رجالة طاهر وقاتلوهُ قتالاً احبوا معهُ الموت حتى قُتل عبد الرحمن وارتدَّ اصحابهُ منهزمين الى عبد الله واحمد ابني الحرشي وكانا في جيشٍ عظيم قد سيَّرهُ الامين معونةً لعبد الرحمن فلما بلغ المنهزمون اليهما انهزما ايضًا في جندهما من غير قتالٍ حتى دخلوا بغداد وخلت البلاد لطاهر فاقبل يحوزها بلدةً بلدة وكورة كورة حتى قرب من بغداد سنة ١٩٧ فاقام على حصارها مع هرثمة بن اعين وزهير بن المسيب وجعلوا يحفرون من حولها الخنادق و ينصبون المجانيق والامين يبيع ما في الخزائن من الامتعة ويضرب انية الفضة والذهب ليفرقها على اصحابهِ ليخلصوا في الدفاع عن بيضة الملك والمحاصرون يضايقون عليها و ينضم اليهم في كل اونة جماعة من القادة يبايعون المأمون و يقيمون معهم على قتال الامين حتى ضاق الامر بالاهلين وعمَّ البلاء وكانت هذه الحرب اول النكبات التي اصابت بغداد وقد وصفها الشعراء ومما قالهُ بعضهم عنها

بكيت دمًا على بغداد لما	فقدت غضارة العيش الانيقِ
تبدلنا همومًا من سرورٍ	ومن سعة تبدلنا بضيق
اصابتنا من الحساد عين	فافنت اهلها بالمنجنيقِ
وقوم أُحرقوا بالنار قسرًا	ونائحة تنوح على غريقِ
وصائحةٍ تنادي واصباحًا	وباكية لفقدان الشقيقِ
وحوراء المدامع ذات دلٍّ	مضمخة المجاسدِ بالخلوقِ
تفرُّ من الحريق الى انتهابٍ	ووالدها يفرُّ الى الحريقِ

كل ذلك يدل على ما صارت اليهِ بغداد من الحالة السُّوءى والضنك الشديد وكان طاهر في تضاعيف ذلك يواصل القتال و يشدد الحصار و يمنع دخول الميرة اليها وقد صرف السفن عنها واحرق منازل الامين في الخيزرانة وكانت نفقتها عشرين الف الف درهم فهرب الامين الى الكرخ فاحاط عليها طاهر حتى دخلها بالسيف فلجأَ الامين الى مدينة المنصور اي الجانب الغربي من بغداد وقد تفرَّق عنهُ عامة جندهِ وخصيانهِ وجواريهِ وكان ذلك سنة ١٩٨

ولما دخل الامين مدينة المنصور واستولى طاهر على اسواق الكرخ وغيرها علم ان لا حول له على الحصار فيها فخطر له ان يخرج منها ليلاً ويقصد الجزيرة والشام فيلتف حوله اهل تلك البلاد فيكون له مع المأمون شأن يذكر ثم خاف عاقبة الهرب وخشي ان يؤخذ اسيرًا فتكون في ذلك منيته فرجع الى نفسه وعوّل على ان يطلب الامان من هرثمة لانهُ اقرب اليهِ من طاهر واشفق عليهِ فارسل اليهِ يطلب الامان فاجابهُ الى ذلك وحلف له انهُ يقاتل دونهُ ان همَّ المأمون بقتلهِ

فاستاء طاهر من طلب الامين وابى عليهِ ذلك وقال هو في جندي والجانب الذي انا فيهِ وانا الذي اخرجتهُ بالحصار حتى طلب الامان فلا ارضى ان يخرج الى هرثمة فيكون له الفتح دوني ولذلك جعل حول قصرهِ قومًا يرقبون حركاتهِ . ولما كان الليل تهيأ الامين للخروج واذا بهرثمة قد بعث اليهِ برسول يقول له اري ان لا تخرج الليلة فاني رأيت على الشط ما رابني واخاف ان اغلب وتؤخذ من يدي وتذهب نفسك ونفسي فاقم الليلة حتى آتيك الليلة القابلة فان حوربت حاربت دونك فقال الامين للرسول ارجع اليهِ وقل له لا يبرح فاني خارج اليهِ الساعة لا محالة ولست اقيم الى غدٍ ودعا بابنيهِ فضمهما اليهِ وقبلها وبكى ثم جاء راكبًا الى الشط فوجد حرّاقة هرثمة فصعد اليها فاحتضنهُ هرثمة وضمهُ اليهِ وقبل يديهِ ورجليهِ فاحاط عليها اصحاب طاهر بالزوارق ورموها بالآجرّ والنشاب حتى غرقت فاخرج الملاح هرثمة من الماء واما الامين فلما سقط في الماء شق ثيابهُ فقبض عليهِ اصحاب طاهر وهو عريان وعليهِ سراويل وعمامة وعلى كتفهِ خرقة خلقة وحبسوهُ في بيت ولما انتصف الليل ارسل اليهِ طاهر قومًا من العجم فقتلوهُ واخذوا رأسهُ ومضوا بهِ اليهِ فأمر بدفن الجثة ونصب الرأس على برج من ابراج بغداد ومن ثم دخل طاهر المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون

روى ابو الفداء وغيرهُ ان طاهرًا ارسل رأس الامين الى اخيهِ المأمون بخراسان وكتب له بالفتح وارسل البردة والقضيب والخاتم فلما رآهُ بكى واسف عليهِ كثيرًا فقال له الفضل بن سهل اتقِ الله يا امير المؤمنين فانهُ كان يؤثر ان يراك كما رأيتهُ على ان المأمون احتفظ على الرأس واصحبهُ معهُ الى بغداد ودفنهُ حيث كانت الجثة

قيل ان زبيدة زوجة الرشيد ام الامين طلبت الى ابي العتاهية الشاعر المشهور ان يقول عن لسانها ابياتًا يستعطف بها المأمون فارسل اليها هذه الابيات

ألا ان صرف الدهر يدني ويبعدُ ويمتع بالالاف طورًا ويفقدُ
اصابت بريب الدهر مني يدي يدي فسلمت للاقدار والله احمدُ

وفات لريب الدهر ان هلكت يدٌ فقد بقيت والحمد لله لي يدُ
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفتقد ومحمدُ

ولما انتهت ابيات زبيدة الى المأمون بكى وامر علي النفور ان يرد لها جميع ما سلب منها وكتب اليها اني اقول كما قال علي بن ابي طالب ما أمرت بقتل عثمان ولا رضيت بهِ

ولما وسد الملك للمأمون ودخل بغداد وضعت الحرب اوزارها واستوثق الناس في كل البلاد بهِ واخلدوا الى الطاعة والسكون . يومئذٍ تجلّت مواهبهُ العظيمة في اكبر مظاهرها فانصرف الى نشر العدل وتوطيد الامن واعلاء منار العلم والعمل على رواج التجارة والصناعة واحياء الزراعة وكل ما من شأنهِ توفير اسباب العمران والعروج في مراقي المدنية والحضارة

الاّ ان الهمم العالية لا تسالمها الايام طويلاً ولا تستكن لها الحوادث ليتهيأ لها الاتيان على رغائبها الجليلة من العمل لخير الانسان وتحسين حال المجتمع بل تبعث لها بالمشاغل فتثبطها حيناً وربما تظفر بها فتعود الى شأنها من العمل الطيب من مثل ذلك حدث للمأمون يوم قرَّب الحسن بن سهل منهُ وولاهُ فانكر الناس ذلك عليهِ حسداً منهم واضمروا الشر حتى جعل الخلافة في آل علي ابن ابي طالب وبايع علي بن موسى بالخلافة من بعدهِ وامر جندهُ بطرح السواد شعار بني هاشم واتخاذ الثياب الخضر يومئذٍ ثارت ثائرة بني العباس عليهِ لميلهِ الشديد الى العلويين واحسانهِ اليهم فخلعوهُ عن الخلافة وبايعوا ابرهيم المهدي وعموهُ المبارك

بويع ابرهيم المهدي بالخلافة والمأمون يومئذٍ في خراسان على انهُ لم يتمتع بالملك طويلاً حيث قضى الله على علي بن موسى فمات واتصل خبر موتهِ باهل بغداد فتاقت نفوسهم لرجوع المأمون الى الخلافة لما رأوهُ فيهِ من علو الهمة وحسن السياسة وسعة العلم وكان المأمون يعرف ذلك منهم فلما زالت اسباب النفور بموت علي بن موسى قام الى بغداد فهرب ابرهيم المهدي واستتب للمأمون الملك وانقطعت الفتن وعاد فامر برجوع الجند الى لبس السواد

وكأن الدهر ندم على اساءتهِ الى مصلح عظيم همهُ النهوض بالامة الى ذرى المجد فعاد وكفَّر عن الاساءة بمسالمة المأمون والاستكانة اليهِ فقضى بقية حياتهِ القليلة غير منشغل بغير الاصلاح الاّ في الاحايين في مناوشات غير هامة بينهُ وبين ملوك الروم

عاش المأمون ثمانية واربعين عاماً وتولى منها الملك عشرين عاماً وكان في تضاعيفها مثال الهمة العالية وعنوان العدل والحلم وقدوة رجال الاصلاح

قلنا ان اباهُ هرون الرشيد عهد بتربيتهِ ان نفر من جلة العلماء فتلقن عنهم العلم المعروف يومئذٍ وشب وهو متفنن بارع فيما تلقفهُ من الاداب والمعارف واذ انتهى الملك اليهِ جعل

يقرّب منهُ العلماء والشعراء ويبالغ في اكرامهم ويجري الرزق عليهم ابتغاء نشر العلم والنهوض بالامة الى ذرى الحضارة والعمران

فانشأ مجالس الترجمة وجمع في بيت الحكمة ما استطاع من الكتب الموضوعة في لغات اهل الحضارة في تلك الازمنة كاليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية والعربيَّة ووقف الناس على رغبتهِ الشديدة في ذلك فجعلوا يتفانون في جمع الكتب والمؤلفات على اختلاف ابحاثها ويتسابقون في اهدائها الى بيت الحكمة ارضاء لهُ وتزلفاً اليهِ

والَّف مجالس الترجمة من حنين بن اسحق العبادي الذي كان نابغة زمانهِ في صناعة الطب وهو عارف باللغة اليونانية فنقل كتاب اقليدس الى اللغة العربية وثابت بن قرَّة الحراني ويوحنا بن البطريق وسهل بن سابور ويوحنا بن ماكويه وجيورجيس بن بختيشوع فعربوا لهُ كتب فيثاغورس وارسطوطاليس وجالينوس وابقراط وغيرهم في كل فرع من فروع العلم والفلسفة . واشتغل المأمون نفسهُ بالعلم فكان اول من اهتمَّ بقياس درجة نصف النهار توصلاً لتقرير مساحة الارض ولما اطلع على كتاب المجسطي ووقف على صور آلات الرصد الموصوفة فيهِ جمع علماء الفلك كيحيى بن ابي منصور وخالد المرزوي وسند بن علي العباسي وامرهم ان يصنعوا آلات طبق ما جاء في كتاب المجسطي ليرصدوا بها الكواكب ففعلوا وتولوا الرصد بالشماسية في بغداد وطفقوا يقيدون ما يتبينونهُ من رصدهم وسموهُ الرصد المأموني

وليس هذا كل ما فعل المأمون بل التفت الى احياء كل دقيقة من دقائق جسم المجتمع ليكون النمو شاملاً لجميع اجزائهِ فكان للغة نصيب من اهتمامهِ حيث حمل اساطينها على ضبط شواردها ووضع قواعدها ومما يحكى عنهُ انهُ جاء بالفراء الكوفي وامر ان تفرد لهُ حجرة من حجر القصر وان يقوم بها على وضع الكتب في اصول النحو واللغة وكان المأمون نفسهُ متأدباً بهذه الفنون عارفاً باصولها قيل انهُ كان ينظم الشعر ويجيدهُ ومما روي لهُ فيهِ قولهُ

بعثتك مرتاداً ففزتَ بنظرةٍ ... واغفلتني حتى اساْتُ بك الظنا
فناجيتَ من اهوى وكنتُ مباعداً ... فيا ليت شعري عن دنوك ما اغنا
ارى اثراً منها بعينيك بيِّنا ... لقد اخذت عيناك من عينها حسناً

ولهُ ايضاً

لساني كتوم لاسراركم ... ودمعي نموم لسري يذيعُ
فلولا دموعي كتمت الهوى ... ولولا الهوى لم تكن لي دموعُ

ومما لهُ ايضاً

انا المأمون والملك الهمام ولكني بحبك مستهامُ
أترضى ان اموت عليك وجداً ويبقى الناس ليس لهم امامُ

وكان على علو شأنهِ وسمو مقامهِ وديعاً برًّا حليماً وقد روى عنهُ صاحب فوات الوفيات انهُ كان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا اليَّ بالذنوب. ولا شك ان النفس الكبيرة تعلو بصاحبها عن الصغائر فلا تأخذ الضعفاء على عثراتهم ولا تتنازل من مقامها العالي للاقتصاص والتشفي ممن اساء اليها او طعن عليها كما كان شأن المامون مع المسيئين اليهِ والطاعنين عليهِ يدفعهم بالحلم ويصدهم بالعفو فقد روي عنهُ انهُ مرَّ يوماً بملاح فسمعهُ يقول لمن معهُ اترا كم تظنون ان هذا ينبل في عينيَّ وقد قتل اخاهُ الامين فتبسم المامون وقال ما الحيلة حتى انبل في عين هذا السيد الجليل. وذكر ايضاً ان دعبل الشاعر الخزاعي هجا ابراهيم بن المهدي فرفع ابراهيم امرهُ الى المامون فقال لهُ لك اسوة بي فقد هجاني من قبلك وقال فيَّ

ايسومني المأمون خطة جاهلٍ او ما رأى بالامس راس محمدِ

ومع ذلك رضيت بما قال وعفوت عنهُ. وحكي عبد الله بن طاهر قال كنت يوماً عند المامون فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبهُ احد ثم نادى ثانياً وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول: ما ينبغي للغلام ان يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم تنادي يا غلام. فنكس المامون رأسهُ فما شككت ان يامرني بضرب عنقهِ ثم نظر اليَّ فقال يا عبدالله ان الرجل اذا حسنت اخلاقهُ ساءت اخلاق خدمهِ واذا ساءت اخلاقهُ حسنت اخلاق خدمهِ وانَّا لا نستطيع ان نسيء اخلاقنا لتحسن اخلاق خدمنا

وترى كتب التاريخ ملأى بنظائر هذه الاخبار عنهُ الدالة على وفور حلمهِ وسمو عواطفهِ وحسبك منها ما لا ريبة في صدقهِ عفوهُ عن عمهِ ابرهيم بن المهدي يوم تنقب وخرج في زي امرأة فاستراب بهِ الحارس واقتفى اثرهُ حتى كشف امرهُ وساقهُ الى المأمون فاطلق سبيلهُ وعفى عنهُ

وجملة القول ان الخليفة المأمون كان شريفاً في عواطفهِ كبيرًا في علمهِ عظيماً في همتهِ واقدامهِ نهض بامتهِ الى مراقي الحضارة وشرفها على سائر الامم وجعلها محط رحال العلم والتجارة والزراعة والصناعة بعد ان دالت دولة الفلسفة من اثينا وخمدت شوكتها من الاسكندرية يوم كانت اوربا ضاربة في بيداء الجهالة تمرح بها القبائل من الجرمان والغالة وغيرها ورائدهم السلب والنهب وليس فيها الا القرى والمساكن القائمة بالاكواخ والمنازل الحقيرة المنبئة عن فقر اهلها وشظف عيشهم والقسطنطينية يومئذٍ في دور التأخر مشرفة على الاحتضار

ص . ي

نفوس الشعراء (١)

الشعراء وما ادراك ما الشعراء فئة من الناس رُزِقوا من بقاء الذكر اوفر نصيب فهذا السموأل قد خلَّد ذكرهُ بلاميتهِ الفخرية التي دارت على الالسنة حتى تمثل بابياتها الكتَّاب والخطباء والمحدّثون . وهؤلاء اصحاب المعلقات السبع قد حرص الادباء على نسخ قصائدهم وحفظها وطبعها وعُنوا بشرحها . وهذا الاعشى والحطيئة والنابغة وجرير والاخطل والفرزدق وابو تمَّام وابو الطيّب المتنبي وابو عبادة البحتري ومئات بل الوف غيرهم قد بقي ذكرهم بما نظموا من الشعر فكانَّهم احياء باقون الى يوم الحشر والنشور . ولقد اشتغل الادباء ببيان طبقاتهم ولم ينظروا في ذلك الاَّ الى حسن السبك ولطف الاسلوب ورقَّة المعنى وجمال التخيُّل وهو امرٌ لا بدَّ منهُ لمن يهمهُ ان يعرف طبقات الشعراء

لكنَّ احدًا ممن تصدَّى للكلام في اشعارهم لم يلتفت الى الينابيع التي نبعت منها فخطر لي انا المعترفة بقصر اليد ان اوجه النظر الضعيف الى تلك الينابيع لأعرف طبقات نفوسهم التي عنها صدرت اقوالهم ومنها جاءَت قصائدهم ومقطوعاتهم فرأيتهُ خاطرًا جميلاً لهُ طلاوة الجديد وحلاوة المبتكر غير اني لم أجد رايةً ولا ثمَّة جبل ولا كوَّةً فأُطلُّ منها على نفوس الشعراء ولا غرض لي اطلبهُ فيها سوى الاشراف على نفوسهم فرأيت اكثر تلك النفوس لاصقة بملاذّ الابدان مؤتمرة اوامر الطمع والاهواء مشغولةً بما يلذُّ الحواس راكعةً ساجدةً امام ربَّات الحسن والجمال او واقفةً بابواب العظماء والكرماء وقفة السؤَّال . فثلاثة ارباع الشعر العربيّ في باب الغزل وربعهُ في سائر الابواب وهو تقدير لا احسبهُ قصيًّا عن الصواب ولو سمت هممهم الى الملاذّ المعنوية ما اصقت نفوسهم بالملاذّ الحسية ولا انقادت لاوامر الطمع والهوى فهم اذًا في عبودية الدنيا كما سبق الايماء حاشا ابا العلاء المعرّي ومن حذا حذوهُ قولاً وفعلاً . فلقد رأيت نفسهُ كملك خرَّت الدنيا على قدميهِ فأعرض عنها واقبل يتأمل هذا الكون البديع الناطق بانهُ ابن القدرة الفائقة والحكمة العالية فيالها من نفس شريفة ليس لها غير الفضيلة حلة ألا وهي القائلة

ولو اني حبيت الخلد فردًا لما أحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلت عليَّ ولا بارضي سحائبُ ليس تنتظم البلادا

(١) للمرحومة عفيفة كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني وقرينة الشابّ الاديب الخواجه نصري موسى المتوفاة في ٦ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٦ في مدينة بارا من اعمال البرازيل عن عشرين عامًا

فلو صوّرت نفس هذا الشاعر لتجلّت لك الفضيلة . ولو صوّرت نفوس الشعراء المقيّدة بحبّ الدنيا المستغرقة للشهوات لبدالك منها الطمع كالحوت فاغرًا فاهُ والحسد كالنار تتّقد في قلوبهم ولكنت تنشد حينئذٍ مع القائل في ابي العلاء

قدكان صاحبُ هذا القبر جوهرةً   كريمةً صاغها الرحمان من شرفِ
عزّت فلم تعرفِ الايام قيمتها   فردّها غيرةً منهُ الى الصدفِ

فكر ابي العلاء

لم يكن ابو العلاء من حيث الفكر سوقةً ولا رعيةً بل كان ملكاً فهو من اعاظم ملوك الافكار ومن اكابر قوّاد العقول واما غيرهُ ممن اطلعت على شعرهم فمعظمهم رعايا افكار من درجوا واصحاب معانٍ متداولة ولو اتفق لاحدهم اسلوب جديد في معنى مطروق ولم يكن قد عثر عليهِ فيما طالع او سمع بادر الى دعوى الابتكار كأنهُ قد فتح مملكةً عظيمة . وربما لو استقري ما تقدّمهُ من الاشعار لظهر انهُ مسبوق اليهِ لا حقّ لهُ فيهِ الآن يعدّ من باب توارد الخواطر

على انك لو اخذت الابواب التي نظم فيها الشعراء قاطبةً ونظرت الى اصول المعاني لاستطعت ان تردّ الدواوين ديوانًا فانهم لا يختلفون الاّ في صور التعابير وابواب الدخول على المعنى فيكون ذلك الديوان عصارة افكارهم وخلاصة ما انبتت قرائحهم . واما ابو العلاء فقد نظم كثيرًا من المعاني المتداولة لكنهُ جاء بمبتكرات متعددة فيحق القَبَهُ بقائد الافكار فالقد نهج سبلاً لم تنهج من قبل . مررت بخمسة وعشرين ديوانًا غير ديوانهِ ولا ضائع لي فيها الاّ الغرض الذي ذكرت فان كان قد سُبق الى ذلك فامرٌ لم اطّلع عليهِ

منزلة ابي العلاء ومنزلة الشعراء عند القوّة العاقلة

لو كان لمصوّر ان يصوّر العقل متصدّرًا في مجلسهِ والشعراء يتقدّمون عليهِ بقصائدهم التي سبّحوا بها لربّات الحسن والجمال او جعلوها حانات لاهل الشراب ومجامع للمغنين لرثى لهم ولبكى لسوء مصيرهم واراهم انهم قد تركوا ملاذّ النفس الشريفة الدائمة الى ملاذّ الجسد الدنيئة الزائلة ولكان يهنئ ابا العلاء ويقرّبهُ ويجلّ قدرهُ ويكرم وفادتهُ . ذلك اولاً انهُ لم يرضَ لنفسهِ ان ينغمس فيما انغمسوا فيهِ كيف لا وهو القائل بما قال

ومن يطهّرْ بخوف الله مهجتهُ   فذاك انسانُ قومٍ يشبهُ الملكا

وثانيًا انهُ استعان ببيانهِ ووقف اشعة ذهنهِ على ارشاد الافكار ودعاء الناس الى الخير فهو المتبع وصيتهُ الصريحة في قولهِ

عليك بفعل الخير لو لم يكن لهُ من الفضل الأحسنةُ في المسامعِ

خلافاً لمن قال فيهم

لقد جاء قومٌ يدَّعون فضيلةً وكلهمُ يبغي لمهجتهِ نفعا

ولعلك تقول لي ان بعض الشعراء قد نظموا في الحِكَم والنصائح والتوبة والزهد كابن الوردي والمتنبي وابي العتاهية والحريري فلِمَ لم تنظمهم في سلك ابي العلاء ولِمَ هذا الكلف بهذا الضرير. فقلت أَما كتفي بهذا الضرير البصر الصحيح البصيرة فلا لآصرة قرابةٍ او معرفة او التماس منفعة فبيني وبينهُ ما يزيد على ثمانمائة سنة فانا اعرف اسمهُ واقوالهُ فقط وهو لا يعرف من امري شيئاً ولا سبيل لي فاقول عنهُ كما قال عن نفسهِ في قول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من بهِ صممُ

واما اني لم انظمهم وامثالهم في سلكهِ فلأن اولئك من السكارى بخمرة الملاذ الجسدية ومن اسارى المطامع البشرية لكنها قد عرضت لهم صحوات فأبصروا طريق الهدى غير ان نفوسهم المصابة بهوى هاتيك الملاذ أبت عليهم ان تسلك ذلك الطريق فكان تأثير قصائدهم المنظومة في تلك الصحوات مثل تأثير الاغاني في بوق الفونوغراف فمن كان هذا حالهُ فهل يحق لهُ ان يجلس الى جنب مثل ابي العلاء الذي تكاد نفسهُ تكون سالمةً مما يشين الفضل او يقدح في النزاهة كما تدلُّ على ذلك افعالهُ وكلام الذين كتبوا سيرتهُ وعاشروهُ فكم في هذه الارض من قائل خير وفاعل شرّ ممن هم مصداق قول شاعرنا الصافي النفس

رويدك قد غررت وانت حرٌّ بصاحب حيلةٍ يعظ النساء
يحرّم فيكمُ الصهباء صبحاً ويشربها على عمدٍ مساء
يقول لكم غدوتُ بلا كساء وفي لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ما عنهُ ينهى فمن جهتين لا جهةٍ اساء

شواهد من اقوال شعراء الملاذ الجسدية ومن قول شاعر التهذيب

لا احداً ممن طالع الاشعار العربية ينكر عليَّ شيئاً مما قلت ومع ذلك فقد حسن في عيني ان اروي لكلا الفريقين ما يمثلها للمطالع لان الشيء يظهر اتم الظهور متى قوبل بضدهِ قال متنبيهم متغزلاً

بما بعينيكِ من سحرٍ صلي دنفاً يهوى الحياة وأما ان صددت فلا
وقلبي على جمرٍ زكيٍّ من الهوى وعيناي في روض من الحسن ترتعُ

ان كنتِ ظاعنةً فان مدامعي تروي مزادكمُ وتروي العيسا [1]
خودٌ جنت بيني وبين عواذلي حرباً وغادرت الفؤَاد وطيسا [2]

وقال مستجدياً

ارجو نداك ولا اخشى المطال بهِ يا مَن اذا وهب الدنيا فقد بخلا

ياذا الذي يهب الكثير وعندهُ أني عليهِ باخذهِ اتصدقُ
امطر عليَّ سحاب جودك ثرَّةً وانظر اليَّ برحمةٍ لا اغرقُ

وقلَّت قصيدة لابي الطيب خالية من السؤال وما اطول باعهُ في افانين الاستجداء فكأنهُ امام بني ساسان

واما ابو العلاء فكان ارفع من ان يقول الشعر ابتغاء الصلة واعلى من ان يصرف نفسهُ عن جمال الخالق الدائم الى جمال المخلوق الزائل ومثلهُ تكون سطوة الجمال البشريّ على قلبهِ ذاهبةً بهِ الى الغرام بالجمال الالهيّ

وقال عنترة متغزّلاً

احبكِ يا ظلوم فانت عندي مكان الروح من جسد الجبانِ
ولو اني اقول مكان روحي خشيتُ عليكِ بادرةَ الطعانِ

وهو في اكثر قصائدهِ يتغزَّل بعبلة كما يتغزل كثير بعزَّة وغيلان بميّ وقيس بليلى وجميل ببثينة وعروة بعفراء فلهم في اولئك النسوة قصائد تصف سكرات الغرام وتصوّر ضعف النفس التي غلب عليها حبّ المحاسن الزائلة فهاك منها ما هو كحبة من كثيب [3]

اذا رمتُ عنها سلوةً قال شافعٌ من الحسن ميعاد السلو المقابرُ

فيا حبها زدني جوًى كل ليلةٍ ويا سلوة الايام موعدك الحشرُ

فلوانَّ ليلى الاخيليَّة سلَّمت عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلَّمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدًى من جانب القبر صائحُ

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها خرُّوا لعزَّة رُكَّعاً وسجودا

واليك مما قيل في الشراب وهو قطرة من سحاب

خليليَّ قد طاب الشراب المورَّدُ وقدعدتُ بعدالنسك والعوداحمدُ

(١) المزاد جمع المزادة وهي قربة الماء والعيس الجمال البيض (٢) الوطيس: التنور (٣) تل رمل

فهاتا عقاراً في قميص زجاجة ... كياقوتة في درة تتوقد
يصوغ عليها الماء شباك فضة ... له حلق بيض تحل وتعقد

فصبوا عقاراً في اناء كأنها ... اذا لحظوها جذوة تتأكل (١)
تدب دبيباً في العظام كأنه ... دبيب نمال في نقاً يتهيل (٢)

وقد اوصي بعض عبيد الخمرة قال

اذا مت فادفني الى جنب كرمة ... تروي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني ... أخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

وقد اوصى عبد آخر من عبيد الراح ان تصف له الاقداح حول المقبرة في ابيات شردت عن حافظتي وضاعت ورقة كنت قد كتبتها عليها

شواهد من قول شاعر التهذيب

اعجل بتسبيح رب لا كفاء له ... او رتّلنه ولا تجنح الى رتل

لا تطيعي هواك ايتها النفس فنعمى المليك فينا ربيبه
فالزمي النسك ان عقلت وفري ... من ذوي الجهل كي تعدّي لبيبه

ومما أدام الرزء تكذيب صادق ... على خبرة منا وتصديق كاذب

الدين انصافك الاقوام كلهم ... واي دين لآبي الحق ان وجبا
وما الغواني الغوادي في ملاعبها ... الأ خيالات وقت أشبهت لعبا
اذا تفكرت فكراً لا يمازجه ... فساد عقل صحيح هان ما صعبا
فاللب ان صح اعطى النفس فترتها ... حتى تموت وسمّي جدها لعبا

أبينا سوى غش الصدور وانما ... ينال ثواب الله اسلمنا قلبا

ودان اناس بالجزاء وكونه ... وقال رجال انما انتم بقل
فاوصيكم اما قبيحاً فجانبوا ... واما جميلاً من فعال فلا تقلوا
فاني وجدت النفس تبدي ندامة ... على ما جنته حين يحضرها النقل
وان صدئت ارواحنا في جسومنا ... فيوشك يوماً ان يعاودها الصقل

قد صدّق الناس ما الالباب تبطله ... حتى لظنوا عجوزاً تجلب القمرا

(١) الجذوة : الجمرة (٢) النقا : تل الرمل ويتهيل : ينحدر

قد فاضت الدنيا بادناسها على براياها واجناسها
والشر في العالم حتى التي مكسبها من فضل عرناسها
وكل حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها اظلم من ناسها

والجسم للروح دار طال ما لقيت هدماً وحقٌّ لرب الدار تحويلُ
اخذتَ ميثاق ايام غررت بها وما على ذلك الميثاق تعويلُ
في قبضة الله اعمارٌ مقسمةٌ لها اذا شاء تقصير وتطويلُ

وشغلُ فمٍ يستغفر الله ذنبهُ احقُّ بهِ من ذكر زينب او جملِ

ولقد حفرتُ على اليقين بخاطرٍ ما كاد يبلغ حفرهُ الانباطا

وارى ملوكاً لا تحوط رعيةً فعلامَ تؤْخذ جزيةٌ ومكوسُ

مُلَّ المقام فكم اعاشر امةً امرت بغير صلاحها أمراؤُها
ظلموا الرعيَّة واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أُجراؤُها

جهل الديانة من اذا عرضت لهُ اطماعهُ لم يُلفَ بالمتماسكِ

وردنا الى الدنيا باذن مليكنا لمغزًى ولسنا عالمين بما غزي
ذوو النسك خير الناس في كل موطنٍ وزيهم بين المعاشر خير زي

فلا يغرَّنك من قرائنا زمرٌ يتلون في الظُلَم الفرقان والزُّمَرا
يبدي التدين محتالٌ ضمائرهُ غير الجميل اذا ما جسمهُ ضمرا

وعظ الزمان فما فهمت عظاتهِ وكأنهُ في صمتهِ يتكلمُ

كم وعظ الواعظون منّا وقام في الارض انبياء
فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داؤك العياء

وكم فاتك الشيءُ الذي كنت راجياً وجاءك بالمقدار ما لم تكن ترجو

اللبُّ قطبٌ والامور لهُ رحى فيهِ تدبُّرُ كلها وتدارُ

اذا صغّروا اسماً حاسدوك فلا تُرَعْ لذلك والدنيا بسعدك تفغرُ
فان الثريا والهجين وحسبنا بها وسهيلاً كلهنَّ مصغَّرُ

والعقلُ يزجرُ والطباعُ مع النهى كالفيل يضرب رأسهُ بالمعولِ

والحق يثقلُ كل غاوٍ ظالمٍ واخو الديانة ما يحسُّ بثقلهِ

وكيف لا تخبثُ النفس التي جعلت من جسمها في وعاء كلهُ دنسُ

والجسم كالثوب على روحهِ ينزع ان يخلق او يتسخ

ارواحنا معنا وليس لنا بها علمٌ فكيف اذا حوتها الاقبرُ

النفس عند فراقها جثمانها محزونة لدروس ربعٍ عامرِ
كحمامةٍ صيدت فثنّت جيدها اسفاً لتنظر حال وكرٍ دامرِ

خالقٌ لا يشكُّ فيهِ قديم وزمانٌ على الانام تقادم

القلبُ كالماء والاهواء طافية عليهِ مثل حباب الماء في الماء

ولو جزينا على خلائقنا امسك عنا الحيا فما نزلا

لا ييأَسنَّ من الثواب مراقبٌ لله في الايراد والاصدارِ
فترى بدائع انبأت متحمساً ان الجزاء بغير هذي الدارِ

لم يعفُ ربك عن مصرٍّ ماردٍ لكن تجاوز عن مسيءٍ تابا

لن تستقيم امور الناس في عصرٍ ولا استقامت فذا أمناً وذا رُعبا
ولا يقوم على حقٍّ بنو زمنٍ من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

خضبتَ بياضاً بالصبيب صبابةً ببيضاء عدَّتك البنان المخضَّبا
وما كان حبل العيش الاَّ معلقاً بعروة ايام الصبا فتقضَّبا

تحلَّ بتقوى او تحلَّ بعفَّةٍ فذلك خيرٌ من سوار وخلخالِ

فقابل ان شئت بين اقوالهِ وافوالهم تجد ان لهُ نفساً لم تكن مطية للطمع والهوى كما ذكرت لك . ولقد تفنن فيما كرَّرهُ من ذمّ مخالطة الناس ومن الانتقاد على القباح السيرة

وشدَّد النكير في ذلك ولا سيما على رجال الدين. واذا عارضتَ اقوالهُ في المرائين باقوال السيد المسيح في الكتبة والفريسيين تبيَّنت انهُ قد عقد كثيرًا من آيات الانجيل فمن ذلك قولهُ في اخفاء الاحسان

أسرر جميلك وافعل ما هممت بهِ ان المليك على الاسرار مطَّلعُ

هذا واختم مقالتي اولاً باني لم ارَ ابا العلاء في قبضة الاسف والغمّ تلتهب في قلبهِ جمرة الحزن لخطب نزل الاَّ عند ما قُبض والدهُ ووالدتهُ فقد استسلم للجزع واستولى الضعف على نفسهِ ونسي كل ما قالهُ في فائدة الموت وعدم مبالاتهِ بالمصائب وليتني كنت من اهل عصرهِ لكي انشدهُ في يوم ابيهِ قولهُ

تعبٌ كلها الحياةُ فما اعجبُ الاَّ من راغبٍ في ازديادِ

واسمعهُ في يوم امهِ قولهُ

لا استقيلُ زماني عثرةً ابدًا ما شاءَ فليأتِ انَّ الشهد كالصابِ

وثانيًا انهُ افرط في ذمّ البشر حتى قال

هل يغسلُ الناس عن وجه الثرى بشرٌ فما بقوا لم يبارح وجههُ الدنسُ
يبغون منيَ ميناً لستُ احسنهُ فان صدقتُ عرتهم اوجهٌ عُبسُ

وثالثًا اني التمس من فحول شعراء العصران يهجروا النظم فيما تمجّهُ النفوس ويستعينوا بما رُزقوهُ من القريحة الشعرية على خوض المواضيع التي تبعث النفوس على الاعمال الشريفة الا وان الشعر الجيد يستميل القلب ويطرب السمع ويرتبط بالذاكرة فهذا ابو العلاء لاشكَّ انهُ جاء بما ينبهّ الافكار وينير الاذهان فشعرهُ روضة ادب وصلاح ومثال لاحوال الدنيا واهلها. فهذه الافكار الصافية من ينبوع نفسهِ الصافية فهو اذا وقع الى ايدي الاعاجم ونقل الى لغاتهم يرفعونهُ على سائر الشعراء ذلك انَّ في بعض اشعارهِ من اشعة العقل ما ليس في دواوينهم ولولا خوف الاطالة لكنت اروي لك من بدائع لبهِ ما يأخذ بمجامع قلبك ويريك بعد المسافة بين فطرةٍ وفطرةٍ ولكن قلبي لا يطاوعني ان القي القلم من يدي قبل ان أسمعك قول هذا الفاتح الفكري

لعمرك ما غادرتُ مطلع هضبةٍ من الفكر الاَّ وارتقيتُ هضابها

اسباب الاحتلال البريطاني

(٢)

وصلنا في النبذة الاولى التي نشرناها في الجزء الماضي مقتطفة من كتاب لورد كرومر الى ما حلَّ بالقطر المصري من الضيق لما اصرَّت فرنسا وانكلترا على الحكومة المصرية لتدفع كوبون الدين فاضطرَّ الفلاحون ان يبيعوا محصولاتهم سلفًا بارخص الاثمان واضطرَّ النساء ان يبعن حلاهنَّ. وقد قال لورد كرومر بعد ذلك ان قومسيون صندوق الدين كان يرى من الجهة الواحدة انهُ يجب عليهِ ان يراعي مصلحة المداينين ويدافع عنها. ومن الجهة الاخرى ان اهالي القطر مظلومون مغبونون ولا يليق باخي المروءة والشهامة ان يغضي عنهم . وظاهر الامر ان مصلحة المداينين ومصلحة الاهالي متناقضتان والحقيقة انهما متفقتان فان المداينين والاهالي كانوا يشكون شكوى واحدة من فساد الحكومة واسرافها فلو صلحت الحكومة واقتصدت في نفقاتها لصلح حال الاهالي واستطاعت الحكومة ان توفي ما يُطلب منها من فوائد الدين من غير ان ترهق الاهالي . افلا يمكن ان تُستعمَل مصلحة المداينين وسيلة لاصلاح الحكومة المصرية فتصلح حال الاهلين وتضمن مصلحة المداينين . هذه كانت المسألة المهمة التي شغلت الافكار حينئذٍ . ومن البيّن ان لفرنسا وانكلترا المصالح الكبرى في القطر المصري سياسيًّا وماليًّا فلنائبيهما وهما لورد كرومر والمسيو ده بلنيير الكلمة العليا في صندوق الدين ولكن المداينين الانكليز كانوا اقرب الى التساهل والانصاف من غيرهم على ما قالهُ لورد كرومر فلم يطلبوا منهُ ان يضحي مصلحة غيرهم لاجل مصلحتهم لاسيما وان في البلاد الانكليزية حزبًا قويًّا ضدهم يهتمّ بانصاف المصريين ولو ظلم المداينين . واما المداينون الفرنسويون فكانوا متسلطين على الحكومة الفرنسوية ولم يكونوا يجدون في الرأي العام الفرنسوي مقاومًا لهم كما وجد المداينون الانكليز

ورأى صندوق الدين من ذلك الحين انهُ لا بدَّ من تخفيض معدل الربا ولكنهُ وجد انهُ لا يستطيع ان يحل هذه المسألة حلاًّ صحيحًا ما لم يقف على حال مالية الحكومة بالتدقيق ويعرف ما لها وما عليها معرفة تامَّة فطلب ان تؤلف لجنة لتحقيق ذلك فرضي الخديوي اسمعيل ان يعين شخصًا واحدًا لتحقيق حال الايرادات لا غير واتَّفق ان الجنرال غوردون كان راجعًا حينئذٍ من السودان وكان الخديوي يعلم انهُ مشهور في بلادهِ وان صلتهُ مع المصريين . وهو يجهل الامور المالية فيصدّق كل ما يقال لهُ فاحبَّ ان يعينهُ للتحقيق ولكنهُ لم يفلح في ذلك

لان غوردون نفسهُ رأى ان هذا التعيين ظاهري فقط يُقصد بهِ التضليل فلم يقبل بهِ بل غادر البلاد حالاً

ولجَّت انكلترا في طلب التحقيق التام وساعدتها المانيا والنمسا وايطاليا ولكن الحكومة الفرنسوية تشدَّدت في طلب التحقيق لانها علمت ان نتيجتهُ ستكون تخفيض معدَّل الربا . واقامت انكلترا على لجاجتها خمسة اشهر الى ان صدر امر الخديوي في ٤ ابريل سنة ١٨٧٨ بتعيين لجنة التحقيق برئاسة المسيو ده لسبس وجعل السر رفرس ولسن ورياض باشا نائبين لهُ . وقد اطنب لورد كرومر بمدح رياض باشا على ما ابداهُ من الحرية والاستقلال في الرأي وعدم المصانعة للخديوي اسمعيل

وطلبت لجنة التحقيق من شريف باشا ان يحضر ويجيبها عن بعض المسائل وكان الامر الخديوي يوجب على كل موظف ان يجيبها عما تسألهُ اما شريف باشا فابى ان يحضر امامها واستعفى من منصبهِ وكان ناظرًا للحقانية

ولا تسأل عن المظالم والمغارم التي اكتشفتها لجنة التحقيق في طرق ابتزاز الاموال من الاهالي ولا عن مهاوي الاسراف والتبذير التي كانت تصبُّ فيها الاموال المصرية . من ذلك ان اميرة من العائلة الخديوية اشترت ثيابًا من بيت فرنسوي بمئة وخمسين الف جنيه . ومنها ان الخديوي كان يضارب في البورصة ويخسر مبالغ طائلة . وكان يدفع المبالغ الكبيرة لبعض الجرائد الاوربيَّة حتى تتغنَّى بمدحهِ . ومنها انهُ أُنفق على انشاء مرفإ الاسكندرية مليونان ونصف من الجنيهات وهو لا يكلف اكثر من مليون واربعمائة الف جنيه الاَّ ان المرفأ كان متقنًا مفيدًا . وفي احوال اخرى كثيرة كانت الحكومة المصريَّة تطالَب باموال طائلة وهي لا تعلم كيف أُنفقت تلك الاموال . هذا ناهيك بالربا الفاحش الذي كان يدفع الى بعض المداينين وببيع النسيئة او المضاربة وهو ان تبيع الحكومة مقدارًا كبيرًا من المحصولات لبعض التجار وتقبض ثمنها نقدًا وهي ليست عندها ولا تنتظر ان تستغلها فاذا جاء وقت التسليم سلَّمت بعض ما باعتهُ لانها كانت تأخذ بعض الضرائب عينًا واشترت البقية من المشتري بثمن يزيد على الثمن الذي باعتهُ بهِ ٢٥ في المئة وقد لا تستطيع ان تسلمهُ شيئًا مما باعتهُ اياهُ ولا تستطيع ان تسلمهُ الثمن فتعطيهِ سندات سندات عليها فائدتها ١٨ الى ٢٠ في المئة سنويًّا وذلك ليس عن الثمن الرخيص الذي باعتهُ بهِ بل عن الثمن الغالي الذي "غطَّت" بهِ اخيرًا ما باعتهُ لهُ اولاً . ولذلك فالربا الذي كانت تدفعهُ يفوق كل تقدير والامثلة على هذا كثيرة جدًّا منها ان الحكومة ارادت مرةً ان توفي بنكاً مبلغ ٧٢٠٠٠

جنيه فاعطتهُ سندات قيمتها الاصلية ٢٣٠٠٠٠٠ جنيه وفائدتها ٦ في المئة سنويًا لانها حسبت ان سعر المئة الجنيه من سنداتها حينئذٍ ٣١ ٥/٨ فحمَّلت البلاد دينًا مقدارهُ ٢٣٠٠٠٠٠ جنيه بفائدة ٦ في المئة لكي توفي ٧٢ الف جنيه لا غير

ومن المغارم التي ذكرها لورد كرومر دين الرزنامة الذي ابتدعتهُ الحكومة الخديوية سنة ١٨٧٤ وهو خمسة ملايين من الجنيهات طلبتها من الاهالي بفائدة ٩ في المئة سنويًا وقبضت الخزينة منها ١٨٠٠٠٠٠ جنيه ولكنها لم تعطِ بها سندًا ولا اعطت الفائدة الَّا مرةً واحدة وذلك لبعض المقرَّبين لا غير. واستدانت الاموال التي كانت في بيت المال واكلت الاصل والفائدة

واسهب لورد كرومر في وصف ادواء الحكومة المصرية حينئذٍ ووصف العلاج الذي اشارت بهِ لجنة التحقيق بعد بحث اربعة اشهر ومدارهُ على امرين الاول تعيين نظارة للمالية تتولى جمع الاموال الاميرية وانفاقها حسب ميزانية تعمل لذلك مستقلةً عن الخديوي. والثاني تعيين راتب محدود للخديوي بدل املاكهِ وتعطي املاكهُ للحكومة. وارسلت اللجنة تقريرها الى الخديوي في اوائل اغسطس فتردد اولاً عن قبول ما اشارت بهِ ولكن نوبار باشا اشار عليهِ بقبولهِ فقبلهُ وطلب من نوبار باشا ان يؤلف وزارة مسؤولة ليحكم البلاد معها وبها فالَّف الوزارة واخذ نظارتي الخارجيَّة والحقانية وعيَّن رياض باشا للداخلية والسر رفرس ولسن للمالية والمسيو ده بلنير للاشغال العمومية واصدر الخديوي امرًا في ٢٩ اكتوبر اعطى بهِ املاكهُ للحكومة وخوَّلها ان تقترض ٨٥٠٠٠٠٠ جنيه بضمانة تلك الاملاك وان تدار تلك الاملاك بمجلس مؤلف من مدير مصري ومدير انكليزي ومدير فرنسوي والاخيران تعينهما دولتاهما. واستلم السر رفرس ولسن والمسيو ده بلنير مقاليد منصبيهما في آخر نوفمبر سنة ١٨٧٨

ومدح لورد كرومر تلك الوزارة واثنى على نوبار باشا بما هو اهلهُ وقال انهُ (اي نوبار باشا) كان يرى وجوب استقلال الوزارة عن الخديوي لكي تأخذ حريتها في البحث والعمل وهذا كان رأي رفرس ولسن ايضًا ولكن لورد ڤيفيان معتمد انكلترا في القطر المصري كان يرى انهُ لا يمكن اقصاء الخديوي عن مجلس النظار ولا يمكن العمل بدونهِ لشدة سطوتهِ في البلاد فاذا لم يهتم بمساعدة مجلس النظار اهتم بمقاومتهِ وهذا كان رأي لورد كرومر ايضًا. وكان الخديوي يشكو من ان انكلترا وفرنسا تعدانهِ مسؤولاً عن حكومة البلاد والوزارة تعمل اعمالها بغير مشورتهِ

وكانت الضيقة المالية قد الجأَت الحكومة الى تأخير دفع الرواتب للجنود والى رفت كثيرين من الضباط لكي تتخلص من دفع الرواتب لهم وكان في مصر ٥٠٠ من الضباط واستدعى ناظر الحربيَّة ٢٠٠٠ من الاقاليم لكي يدفع اليهم جانباً من المتأخرات ويأخذ اسلحتهم فتمردوا وترصدوا نوبار باشا والسر رفرس ولسن وهما ذاهبان الى الديوان صباح ١٨ فبراير فهجموا عليهما واهانوهما وجرُّوهما الى نظارة المالية وحبسوهما فيها وقطعوا اسلاك التلغراف لكنهما وجدا من اوصل خبرهما الى لورد ڤڤيان فقابل الخديوي حالاً وركب الخديوي معهُ الى نظارة المالية فوسَّع الضباط الطريق لمركبتهِ بكل احترام وحيوهُ التحية المعتادة ودخل هو ولورد ڤڤيان نظارة المالية فوجدا نوبار باشا ورياض باشا والسر رفرس ولسن في غرفة يحيط بها الثائرون فامرهم الخديوي ان يخرجوا من النظارة ووعدهم بان ينظر في شكاويهم فاطاعوهُ كرهاً وهم يطلبون ان يتركهم لكي يأخذوا حقهم بيدهم ولما نزلوا الى الدار انضموا الى سائر الضباط فامرهم الخديوي ان ينصرفوا الى بيوتهم ولما ابوا امر العساكر ان يطلقوا النار عليهم فاطلقوا النار جزافاً في الهواء واطلق بعض الضباط مسدساتهم على العساكر فجرحوا بعضهم وهجم عليهم العساكر بالحراب فجرحوا بعضهم ايضاً وضرب احد الضباط رجلاً من بطانة الخديوي بسيفهِ فجرحهُ وهو واقف الى جانب الخديوي . ودامت الحادثة نصف ساعة

واخبر الخديوي وكلاء الدول يومئذٍ انهُ لا بدَّ من تغيير الحالة الحاضرة وورد السلطة اليهِ والاَّ فهو غير مسؤُول عما يحدث في البلاد. وذهب وكيل انكلترا ووكيل فرنسا اليهِ وطلبا منهُ ان يخبرهما ما هو التغيير الذي يطلبهُ فقال ان يترأس هو جلسات مجلس النظار او ان يباح لهُ ان يختار رئيساً للنظار يثق بهِ لانهُ لا يثق بنوبار باشا بل يعتقد انهُ عامل على نزع كل سلطة من يدهِ . فسأَل الوكيلان نوبار باشا هل يكفل حفظ النظام اذا عضداهُ فاجاب كلاَّ لا يمكنني ان افعل ذلك وطلب منهما ان يقدما استعفاءهُ الى الخديوي ففعلا. وكان لهذه الحادثة نتيجتان نتيجة قريبة وهي استعفاءُ الناظرين الاوربيين وبعيدة وهو تنبُّه الجنود الى المطالبة بحقوقهم المهضومة فقبل ذلك كانوا يشكون ولا احد يسمع فلما سمعت شكواهم في هذه النوبة تجرأُوا على المجاهرة بالشكوى وعلموا ان لهم صولاً وحولاً ما دامت اسلحتهم في ايديهم . وذلك التمرُّد الطفيف كان فاتحة الثورة العرابيَّة كما سيجيء

وذكر لورد كرومر ما شاع حينئذٍ وهو ان الخديوي اسمعيل كان المحرك لذلك التمرُّد لكي يتخلص من وزارة نوبار باشا ومن السيطرة الاجنبيَّة فقد روى بعضهم ان شاهين باشا

اخبر الخديوي قبل ذلك بايام قليلة عن ظلامات الضباط فقال لهُ الخديوي بالفرنسوية Pourquoi les officiers restent-ils tranquilles? اي لماذا يبقى الضباط ملازمين السكينة وكلمة مثل هذه تكفي لاقناع الضباط انهم اذا قاموا فالخديوي معهم

في العزلة[١]

(١)

جاء في الامثال ان في الحركة بركة وليس فيكم على ما اظن من ينكر صحة هذا المثل او من لا يعمل بهِ واما هذا الفقير فانهُ لا يعتقد بصحتهِ ولا يعمل بموجبهِ. وقد خطر لي منذ سنين ان اعكس الآية واجري على ضدها. فقلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي القعود سعود. وفي الهدو نموٌّ وسمو واشياء اخرى من هذا الباب. ولا يخفى عليكم ان في هذه الامثال حكمة تختلف عن حكمة المثل السابق بل تختلف اختلافاً جوهرياً يحاكي اختلاف النفس عن الجسد. فالحكمة فيها روحانية معنوية وحكمة من يقول ان في الحركة بركة مادية عملية تجارية لذلك آثرت الاولى على الثانية فاوقفت عملي وخرجت من الوسط المضطرب لافكر قليلاً في ما انا فيهِ لارى اين انا من نفسي ومن الله. وحقاً اني تألمت لما وقفت متأملاً: تألمت لما رأيتني قريباً من الناس بعيداً عن نفسي وعن الحي. فتركت الحركة والبركة للعمال ولبني الاشغال وسلكت في نور الحكمة والحقيقة مسلكاً جديداً. وهذه حالة لا بدَّ منها لكل من تنبهت فيهِ الروح. هي طور من اطوار الفيلسوف الاولى اول ريشة في جناح الشاعر. اول حادثة خطيرة في حياة الاولياء والانبياء. اول عقدة روحية عقلية يعجز عن حلها اكثر المفكرين. وجدت نفسي في هذه الحالة متألماً متحيرًا مترددًا. تألمت كثيرًا لما رأيتني في الغربة بين شعب لا يعرف معنى السكينة ولا الراحة ولا الجمال. وجدت نفسي في بلادٍ فيها الحركة دائمة متواصلة واما البركة فيقال فيها ما يقال في بعض الامراض انها حادة متقطعة. وجدت نفسي بين قوم يأكلون ماشين ويقرأون آكلين ويعدون النقود راكضين ويعبدون الاوثان قائمين قاعدين. يقدمون ارواحهم ضحية لآلهة ما سمعت بامثالها العصور الغابرة. عشت زمناً بين قوم يقال انهم مسيحيون ولكنهم

(١) خطبة تليت في جمعية شمس البر بيروت

في الحقيقة وثنيون · وثنيون بترفهم وبطرهم · وثنيون باخلاقهم وشعورهم · وثنيون بمطامعهم واستئثارهم · وثنيون بتعدد آلهتهم · واما هياكل هذه الآلهة واصنامها فانك لا تشاهدها بباصرتك قائمة في الاسواق بل ينبغي ان تنظر اليها ببصيرتك فتراها في كل حيٍ وجماد يتحرك · تعال معي لاريك آلهة هذا الزمان الجديدة · آلهة هذا التمدن الحديث · تعال معي لاريك من الهيا كل والاصنام الوانًا واشكالاً فهذا صنم من القطن لاله البورص وذاك صنم من الفحم لاله المعادن · هذا صنم من السكَّر لاله الحقول وذاك صنم من الخشب لاله الغابات · وههنا هيكل من المرمر والرخام لاله التجارة وهناك الهيكل الاكبر المشيد من حجارة الذهب والفضة لاله الآلهة اله الامة اله المال. والناس هنالك يعبدون اموالهم راكضين من هيكل الى آخر ومن اله الى اخيهِ · يعبدون هذه الآلهة الغريبة قائمين قاعدين · يعبدونها ويخدمونها ويموتون في سبيلها · يعبدونها في كل حالاتهم · يخدمونها في حركاتهم وفي سكناتهم· فخرجت من بين هؤلاء المشركين طالبًا في البرية ربي مثل ابرهيم· خرجت من بينهم وانا على اعتقاد ان المرء ان قرب من العالم الجديد ابعد عن الطبيعة وعن الشعر وعن الجمال الروحي وعن الله · ولذلك حوَّلت وجهي الى مشرق الشمس وعدت في طريقي الى ارض الانبياء · عدت الى وطني لاقترب من جمال الشرق الشعري وجمالهِ الطبيعي وجمالهِ الروحي بل الالهي اي الجمال الدائم الابدي الذي لا تشينهُ الحالة السياسية المختلة ولا الحالة الاجتماعية المعتلة

عدت الى مسقط رأسي باحثًا عما اضعتهُ هناك ايام الصبا . افلتُّ من اشراك التمدن والحمد لله وفررت هاربًا الى القريكة . على كتف الوادي وبالقرب من كروم اجدادي نصبت خيامي · فوق نهر الكلب وقبالة جبل صنين رفعت رايتي البيضاء عوضًا عن العلم الاحمر الذي وضعتهُ في يدي احدى بنات الحرية في البلاد الاميركية . رفعت علم السلم فوق فلسفتي الاجتماعية بعد ان كان علمي علم القتال وكتبت على بابي — في اصلاح الفرد اصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام · نعم سادتي ان التهذيب خير من التخريب. على ان ذلك ليس من موضوعي هذه الليلة فالمجال ضيق لمثل هذا البحث واضيق منهُ منبر هذه الجمعية

عدت الى وطني طالبًا فيهِ راحة العقل وراحة النفس وراحة الجسد · بل طالبًا فيهِ شيئًا اشرف من كل ذلك واسمى — طالبًا في الطبيعة ومنها ما ينسي المرء عقلهُ ونفسهُ وجسدهُ . عدت يا سادتي لا كما عاد قيصر الى رومية او هوجو الى باريس · عدت قائمًا

شاكرًا راضيًا وتذكرت السندباد لما عاد من سفراتهِ وابا العلاء لما عاد الى معرتهِ . فشكرت الله كالسندباد على سلامتي في الغربة . وجئت كابي العلاء الى العزلة في قريتي هربًا من الحضارة ومتاعبها . وشغفًا بالطبيعة وجمالها . وحبًا بالتأمل ولذاتهِ . وتقربًا من الله وبركاتهِ . فدخلت هذه المدينة كما يدخل الكاهن الهيكل او اللص البيت . دخلتها من باب السر فلم يدرِ بي من الاخوان احد . وصعدت الى الجبل ولم يدرِ بي احد . واقمت هناك زمنًا في ظلال الصنوبر ولم يدرِ بي احد . فاضطجعت على العشب ورأسي في ظل وزَّالة زاهرة — انا للطبيعة وانا اليها راجعون — وشكرت الله شكرًا جزيلاً ووددت لو كان بيني وبين المدن اضعاف ما بيني وبينها من الوهاد والجبال والبحار

واظنني اخطأت مرةً فردَّدت بصوتٍ عالٍ صدى صوت نفسي . وما علمت ان للاشجار عيونًا وللصخور آذانًا . بل ما علمت ان النهر يحمل الى المدينة صدى صوت الوادي وصدى ارواح ساكنيهِ . ففي صباح يوم من فصل الشتاء سمعت حديثًا دار بين شجرة كبيرة من الصنوبر واخرى صغيرة او بين ام الغاب واحدى بناتها . قالت الابنة مَن هذا الغريب الذي لا يخاف السكنى معنا في هذا الشتاء فاجابت الام . ما هو بغريب يا بنيتي وانما هو من نبات هذه الارض ومن سنديان هذه الجبال . هو من ابنائنا يا بنيَّة . وقد طالما حملتهُ وحملتهُ من ثماري لما كان صغيرًا . قد طالما فرشت لهُ من ريشي وظلي ما يزيل تعب الجسد وهم الفؤاد وبعثت اليهِ من ارج نسيمي ما ينعش النفس ويحييها ومع ذلك فقد هجرنا زمنًا طويلاً وعاد اليوم ليكفّر عن ذنوبهِ امامنا وفي ظلنا . حييهِ يا بنتي فانهُ يحبنا

وبمثل هذا كانت الاشجار تفشي اسراري الى النهر والنهر يحملها الى البحر والبحر يلقيها بلا اكتراث على شواطئ هذه المدينة . وقيل ان الصيادين سمعوا ذات يوم في هدير الامواج اصواتًا غريبة مطربة فظنوا ان احدًا من الجن يكلمهم بلساننا العربي الشريف . وقيل انهم فهموا من الغاز الامواج شيئًا يسيرًا واشاعوا في البلد اشاعات تحولت بعد ايام خرافات وخزعبلات تشير كلها الى ان في وادي القريكة ناسكًا تسجد لهُ الصخور وتخاطبهُ الاشجار وتكلمهُ السواقي وتستشيرهُ الطيور . فاستغربت الخبر كما استغربهُ الناس وبعد ان فتشت في الوادي عن الناسك واعياني التفتيش كتبت الى احد الاصدقاء كتابًا هزأت فيهِ من هذه الخرافات التي قصها البحر على الصيادين واذاعها الصيادون في المدينة فزاد الكتاب الطين بلة لان الادباء الذين سخروا مثلي بهذه الخرافات اعتقدوا بعدئذٍ صحتها وطفقوا ينشرونها في اندية الادب فتجسمت الاشاعة حتى استحالت خرافة واصبحت في اعتقاد الناس حقيقة راهنة . فاهتم

بعض اعضاء هذه الجمعية بالامر وكتب احدهم اليَّ لاصدقهُ الخبر. ثم جاءني من الجمعية نفسها كتاب تسألني بهِ ان اتحفها بشيء من اخبار الناسك واسفارهِ . وبعبارة اوضح دعتني الى الخطابة في حفلتها السنوية منذ سنتين فلبيت الدعوة وبعثت الى الجمعية بشيء من ثمار نفس الناسك المذكور ولبثت انتظر جوابها وبينما انا اتوقع منها كتاب شكر جاءني الرسول بعد اسبوع ومعهُ الثمار التي بعثتها. ثماري اعيدت اليَّ. ردَّت الجمعية هديتي بلا عذر ولا شبه عذر ارجعت الثمار واغفلت الاعتذار وبعثت مع الرسول تقول قد فحص الطبيب ثمارك فوجدها مضرة بصحة هذه الامة . وجد فيها مكروبات عديدة غريبة خبيثة . فكانت هذا منها اهانة فوق اهانة لكنني قبلتها شاكرًا وحسبتها من جملة ما ينبغي ان يعرض عنهُ المرء في عزلتهِ حسبتها مما ينبغي ان نترك وراءنا اذا حوَّلنا وجهنا نحو شمس النفس الشارقة من وراء جبال الحقيقة المرسلة ما فاض من نورها فوق مروج الشعر وبحيرات الخيال . فظلَّ الناسك والحال هذه هائمًا في واديهِ ولم يدرِ ان الجمعية لم تزل تناديهِ . على انهُ لم يكد يرفع طرفهُ الى سماء الروح ويلمس بيدهِ ما تجسم امامهُ من السعادة الروحية الحقيقيَّة حتى جاء هذا الشتاء وفيهِ ما هو مقضي عليهِ من الشدة والبلاء . فهجر صومعتهُ في الجبل مضطرًا واستعاض من شذا الاودية بروائح الادوية وعن الاولياء بالاطباء . مع ان الفرق بين الاولياء والاطباء قليل لا يستحق الذكر . فكم من طبيب فاضل يستحق ان يطوَّب قديسًا او يدعى وليًا بعد موتهِ فقد تعرفت بفضل آلامي العصبيَّة بعددٍ وافرٍ من هؤُلاء النطس وبان لي بالاختبار ما كنت اجهلهُ . تحققت ان الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق بين الكاهن والمحامي . كلهم نفعنا الله بعلمهم وببرّهم يتعاطون الجربزة . كلهم يتاجرون بشيء من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات والاوهام . على ان الطبيب ارفع درجة من الكاهن والكاهن ارفع درجة من المحامي . والثلاثة يا سادتي من سلالةٍ واحدة ومن بطن واحد . ثلاثة عقبان من بيضة واحدة . ومن الشرور ما كان لازمًا للبشر . ومن الشرور ما هو نافع للانسان . وقد كنت اسيرًا لشيء منها في هذه المدينة

لما جاءني رئيس هذه الجمعية أسرني بلطفهِ وجميل ادبهِ وكلمني مرةً اخرى في امر الخطابة. الحَّ عليَّ الرئيس وعدد من الادباء باسلوب جعلني اظن ان الجمعية تنوي ان تحاصرني في الفريكة وتعقد جلستها هناك اذا كنت لا اتكلم في حفلتها هنا . فخفت من المضايقة في عزلتي ونتيجة خوفي ايها الكرام وقوفي امامكم الآن خطيبًا . عفوًا سادتي ماجئتكم خطيبًا هذه الليلة بل محدثًا وسأحدثكم في موضوع العزلة ومنافعها ومضارها

(٣)

العزلة اما داء واما دواء واما غذاء . هي داء لمن لا يجد في نفسهِ ما يغنيهِ عن معاشرة الناس ولو زمناً قصيراً . وهي دواء لمن سئمت نفسهُ من ملاذ هذا المجتمع وموبقاتهِ من سروره وشروره فيعود الى امهِ الطبيعة لتداويهُ بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحينها. وهي غذاء لمن يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط هي غريبة فيهِ . يعتزل الانسان طالباً في الطبيعة الراحة التي لا يعرفها الناس. واللذات التي لا يشعر بها الناس . والتعزية التي قلما تعزي عامة الناس . نفس الاول خامدة جامدة . ونفس الثاني سقيمة عقيمة . ونفس الثالث من الانفس السامية الكبيرة التي قلما تنام . فهي تفيق من هجعتها قبل صياح الديك فتفتح عينيها في ظلمة الليل الحالكة وتقاسي قبل بزوغ الفجر من العذاب والحيرة اشدها . تبتدئ هذه النفس بالمقاومة والتمرد فتقاوم القوات التي تعترضها في طريقها وتتمرد على كل من يحاول ابقاءها في الظلمات الدامسة . تسير بنور مصباحها الداخلي الى ان تخرج من الظلمات بفضل ما فيها من الشجاعة والاقدام والثبات فتتدرج من الظلمة متمردة الى العزلة هادئة وتعاني فيها بادئ بدء نوعاً جديداً من العذاب . تعاني هناك عذاباً هو اساس كل لذاتها الروحية . العذاب الذي يقاسيهِ من تعودت اعصابهُ المخدرات والمسكنات اذ ينقطع عنها تماماً . ومن العزلة تعود هذه النفس الحرة المستنيرة المتمردة الى المجتمع لتتمم فيهِ ارادتها لتنير ولو زاوية صغيرة فيه بما فاض من نورها

شبهت الانقطاع عن الناس بالانقطاع دفعة واحدة عن المسكنات التي يعتادها المريض . فهل خطر لاحدٍ منكم ان يستشير ربهُ بواسطة الطبيعة في امر روحهِ المريضة كما يستشير الطبيب في امر جسدهِ . ايدهشكم قولي لكم اننا كلنا مرضى بوجهٍ ما . وفي هذا المجتمع كما هو اليوم بالاخص بما فيهِ من دواعي الامراض والهموم والاحزان تنسينا الحركة الدائمة الآمنا . ولا اذكر الآن اي علماء الالمان قسم الناس ثلاثة اقسام فقال — قسم منهم يولد للمستشفى وقسم للمارستان والقسم الثالث للبادية . اي ان ذلك العالم الالماني يقول ان الناس اما مرضى واما مجانين واما برابرة . ومع ما في هذا القول من الغلو والضلال والكفر — فقد كفر العالم بالنفس واساء فهم نواميس الطبيعة وغالى في تقبيح الانسان — مع ما في قولهِ مما ذكرت فهو لا يخلو من الحقيقة . غير انها حقيقة ناقصة مجزأة . واما الحقيقة كلها الحقيقة الشاملة الابدية هي ان الناس كلهم سواء من وجهة الفيلسوف . ومن هذه الوجهة

ايضاً يمكننا ان نقسم البشر الى قسمين اوليين . قسم الاحياء روحياً وقسم الاموات وهاتان الطبقتان نشاهدهما في كل شعب حضرياً كان او بدوياً . ففي البداوة اناس تتنبه فيهم الروح وتنهض من سباتها كما في الحضارة . بل في البدو تبلغ الروح المتفردة الكبيرة اعلى درجةٍ من السمو والقوة والجمال . فيخرج من البادية رجال كما يظهر في المدن رجال . فان نبغ في نويرك المخترعون وفي لندرا العلماء وفي برلين الفلاسفة وفي باريس الشعراء وفي فلورنسة المصورون والنحاتون ففي البادية ينشأ الانبياء . لكل بلاد مزية طبيعية ثابتة دائمة . وفي كل نفس بشرية شيء من سماء البلاد التي نشأت فيها ومن ارضها . فيها شيء من تبر وطنها ومن ترابهِ . من خير هوائها ومن شرهِ . من فتورهِ ومن نشاطهِ . من هدوءِ ومن هياجهِ . فالناس اذاً كلهم سواء من وجهة الفيلسوف . الانسان واحد من بلاد الزولو الى شطوط النروج ومن ثلوج ألسكا الى اطراف اليابان . الناس كلهم سواء من حيث ان الامراض والجنون والتوحش كلها تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة و بدرجات متفاوتة . ولا يفوتنا ان نذكر مع هذه الضربات كلها نعمة واحدة شاملة . فانا ممن لا ييأسون ولا يقطعون الرجاء مهما توغل الانسان في الجهل والجنون والتوحش لانني على يقين ان النفس في كلٍ منا تفيق ولو مرةً واحدة من سباتها في سياحتها هذه العالمية . تنهض النفس من غفلتها فتجيء ولو بعملٍ واحد شريف خالص لوجه الله . ترينا من الشهامة والمعروف والاحسان ما يزيل عن وجه الحياة شيئاً من تقطيبهِ وعبوستهِ . تنهض النفس من ظلماتها من تحت اثقالها المادية من بين اغلالها الاجتماعيَّة من تحت اهوائها وشهواتها واغراضها الذميمة لتقول للناس : — انني لم ازل حيَّة واعرف معنى الحب والتساهل والحنان . انني لم ازل حيَّة واعرف معنى الحق والعدل والحرية . فيمكنني ان اتسامى الى ما فوق الشرف المتعارف بين الناس . الى ما فوق الفضيلة المصطلح عليها . الى ما فوق عدل القانون والشريعة . الى ما فوق قدامة الاديان وخزعبلات بدعها . اي لا بدَّ لكل امرئٍ من ساعة ولو في حياتهِ كلها يظهر فيها بمظهر الفضيلة الصادقة الفضيلة المجردة السامية الحقيقية . فيخضع النفس الأمَّارة بالخير لا بالسوء لتظهر فيهِ محاسنها الجليلة . ولذلك ينبغي ان نقول ان الامراض والجنون والتوحش وحسنات النفس او يقظاتها تنتاب كلاً منا على الاطلاق تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة كما قلت و بدرجات متفاوتة . ومن هذه الوجهة المرتفعة وجهة الفيلسوف العموميَّة كلنا لا شك متساوون اي اننا كلنا مرضى بنوع ما وكلنا نتخذ الاشغال نلهو بها . نسكّن بها آلامنا . نخدر بها همومنا . نضمد بها جروح صبرنا ورجائنا . ننعش بها آمالنا . وعند ما

يقف الواحد منا ليستنفس قليلاً لينتشق نسيم السحر او الشفق او بالحري ليدع عمله هنيهة ويستريح تعاوده الآلام مضاعفة كما تعاود الاوجاع المريض عند انتهاء فعل المرفين وما هي هذه الآلام يا سادتي أروحانية هي ام جسمانية . فالطبيب يقول لنا انها جسمانية والكاهن يقول انها روحانية . والحقيقة في هذه المرة اقرب الى جانب الكاهن منها الى جانب الطبيب . آلامنا روحية اكثر منها جسدية . يعود الرجل من اشغاله في المساء او من ملاهيه بعد نصف الليل فيطرح نفسه على السرير متكرهاً متأففاً متذمراً يطرح نفسه على السرير منهوك القوى شاكياً من الم في اعصابه او في معدته او في رأسه . ويظن ان اوجاعه موضعية يظنها جسدية والحقيقة على ما ارى هي خلاف ذلك . فالجسد لا يمرض من العمل واعضاؤه تزداد قوة ومرونة ونشاطاً بالممارسة والتمرين وهذا ناموس طبيعي . من اين اذاً آلامنا واوجاعنا . ما هي اسبابها اين مصدرها . ايمكن ان يكون لها سبب غير مادي . ايمكن ان تكون آلامنا الجسدية ناتجة عن ألم اصلي اساسي جوهري روحي ؟ سؤال أجيبكم عنه حالاً بلا تردد وبالايجاب . نعم سادتي وسيداتي ان مصدر هذه الآلام الروح . فالروح منا تئن وتتأوه وصدى انينها يظهر في كل جوارحنا وفي كل حواسنا . الروح تتألم من الضغط عليها . من احتقار الانسان اياها من إهماله شؤونها . من اهتضامه حقوقها . الروح تتأوه من قيود السلطة كما انها تتألم من قيود العبودية . فالرئيس والمرؤوس سواء من هذا القبيل الظالم والمظلوم يشكيان من مرض واحد فالروح في كل منهما تتألم من حيوانية الانسان من اهوائه من استئثاره من بغضه من توحشه من ذله من جهله من جنونه . فاذا كانت الاشغال تسكن آلام النفس فالعزلة تضعف شوكتها ويستأصلها العود الى الطبيعة

ورب قائل يقول أتريد ان يكون الناس كلهم نساكاً وحبساء وكيف يتسنى ذلك . فالجواب ان ذلك غير ممكن وغير مطلوب . فالعزلة انواع . وربما امتهنت حرمة القاموس وتوسعت قليلاً بمعناها المحدود . فقد تكون شوقاً في النفس لسبر غور النفس لادراك كنه قواها لكشف الحجاب عن بعض اسرارها وهذه هي عزلة الفيلسوف . او قد تكون اعتصام النفس بعالمي الخيال والجمال فراراً من مسؤلية الحياة الاجتماعية وواجباتها الصناعية . وهذه هي عزلة الشاعر وهي ممكنة في المدينة وبين الجموع كما في الصحراء او في الجبال لان الشاعر وان خالط الناس وحدثهم فهو دائماً فوقهم وبعيد منهم . ثم قد تكون العزلة طمعاً في النفس لفتح ممالك عالم النفس لرفع اعلام الحقيقة والحب والحق فوق صروحها وهذه عزلة

الانبياء . وهناك انواع اخرى من العزلة لا يهمنا ذكرها لانها تغيرت عما كانت عليهِ حين قال المتنبي بيتهُ المشهور في وصف الاسد

في وحدة الرهبان الأ انهُ لا يعرف التحريم والتحليلا

قد اتضح لكم ان الميل الى الوحدة والاعتزال ينشأُ في النفس ومنها . فمثلما النفس تتطلب المعرفة فهي تبتغي شيئاً من العزلة لتتغذى اثناءها من المعرفة . يقول الافرنج في السياحة تكملة التهذيب . اي ان المرء مهما درس وطالع وتعمق في العلوم وتغلغل فيها فتهذيبهُ يظل ناقصاً اذا كان لا يعرف من العالم الأ مسقط رأسهِ او عاصمة بلادهِ . فاذا كان في السياحة تتمة التهذيب ففي العزلة تتمة السياحة . لان المرء لا يكون قد ساح قط اذا كان لم يعتزل قليلاً بعد سياحتهِ في العالم ليحاسب نفسهُ ليفحص بتأنٍ وهدوءٍ ما في مخادعها ليغربل ما فيها من الحقائق والخرافات والآراء السديدة المختلطة مع الخزعبلات . وبكلمة ليستقي النفس من ماء الفكرة الذي يتقطر ويتكرر في العزلة . ولا تظنوا ان كل من التجأ من المفكرين الى هذه الطريقة انتفع بها والذي لا ينتفع منها لا يستطيع نفع الناس

لما كنت في نويرك قصدت يوماً مدينة كنكرد بالقرب من بُسطن (وهي المدينة الصغيرة التي اعطت العالم الجديد اكبر شعرائهِ وفلاسفتهِ) لازور فيها بيت الفيلسوف إمرسن والحرج الذي بنى فيهِ الشاعر طورو بيتهُ او بالحري كوخهُ للعزلة فعاش فيهِ متنسكا سنتين وألف هناك كتابهُ النفيس في فلسفة العمران وفلسفة الانفراد . والكاتب الذي كان رفيقي ودليلي في هذه الحجة — وهو شيخ جليل في الصحافة وفي السن — كان رفيقاً وصديقاً ايضاً لاكثر شعراء الكنكرد وفلاسفتها الغابرين فسألتهُ عما اذا كان في المدينة اليوم من يعدُّ من طبقة هؤلاء الرجال العظام فقال ان الطبيعة يا صديقي لا تجود علينا بالنوابغ كل سنة فهي لا تعطي العالم الأ افراداً قلائل كل جيلٍ وما كل من اعتصم بالعزلة يصل الى ذروة التفرد والذكاء فمنذ سنين جاء هذه الاصقاع شاب انكليزي واختار بيت طورو هذا مقراً لعزلتهِ وعاش فيهِ كما عاش طورو سنتين ولكنهُ يئس بعد ذلك وهجر كنكرد ومن ذلك الحين لم نسمع عنهُ شيئاً

فعزلة طورو اذاً او عزلة النابغة اثمرت من الادب والشعر والفلسفة ما يعد من طبقة ما كتبهُ اكبر نوابغ العالم وعزلة الثاني العقيمة اضرَّت بصاحبها لانهُ لم يتدارك الخطر قبل حلولهِ فكان يجب ان يعرف في الشهر الثاني من اعتزالهِ ان الوحدة الطويلة الامد ما عُدت لمثلهِ وان نفسهُ لا تتطلب مثل هذا الغذاء . ولذلك لا اعمم في قولي ولا اغالي بمحاسن

العزلة ومنافعها اذ ما كل من اعتزل تفرّد ولا كل من تفرّد افاد الانسانية . على ان العزلة تنفع الكل اذا اخذ كل منها بقدر ما تتطلبهُ نفسهُ او بالحري اذا عرف كل انسان كمية الجرعة التي ينبغي ان يأخذها · فمن نفس متجمدة لا تطيق العزلة اكثر من اسبوع الى نفس متوقدة لا ترضى باقل من سنة او اكثر وبينهما تتفاوت المدد كما تتفاوت العقول · هذه هي القاعدة · فمن جرّب العزلة بحكمةٍ واعتدال انتفع لا شك منها فهو ينتفع عقلياً وجسدياً وروحياً اذا احسن استعمال الدواء

وافضل ما في العزلة للمفكرين انها تقرب الفرد من نفسهِ · فالحياة الاجتماعية كما اتضح لكم مما ذكرتهُ تبعدنا عن انفسنا حتى نجهلها جهلاً فاضحاً · لان معرفة المرء نفسهُ غير ممكنةٍ في اي حال من احوال هذا المجتمع المضطرب · وان جهل المرء نفسهُ بعُد عنها بعداً شاسعاً . وان حاول خدمة الانسانية وهو بعيد عن نفسهِ اي جاهلها لا يستطيع الى ذلك سبيلاً قويماً نافعاً مهما اجاد ببيانهِ وفصاحتهِ · مهما بالغ في آرائهِ واكبر الناس دعواه · مهما صاح ونادى ودعى القوم وادّعى · وان صياح المصلحين ليذكرني دائماً بهدوء الفلاسفة بل يذكرني بما جاء في التلمود من حديث دار بين اشجار الغاب واشجار البستان · قالت اشجار الغاب لأشجار البستان · لماذا لا نسمع لاغصانك صوتاً ولا صدًى فاجابت اشجار البستان لانني مشتغلة عن الولولة بانماء ثماري · ثم سألت اشجار البستان اشجار الغاب قائلة · ولماذا نسمع لاغصانك هذا الدوي وهذه الجلبة فاجابت اشجار الغاب · لكي يشعر الناس بوجودي

لذلك قلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي الهدو نمو وسمو · فالنور يا سادتي ينبثق على العالم هادئاً ساكناً · وان شمس الحكمة لتحتجب غالباً عند هبوب العواصف والزوابع · فمن الانفس السامية المتفردة الهادئة ينبثق نور الحب ونور الحكمة ونور الحقيقة · وفي الانفس السامية المتفردة الهادئة ينابيع الجمال كلها جمال الفنون وجمال الروح وجمال الحياة السعيدة · والى الانفس السامية المتفردة الهادئة تعود بنا حسنات التمدن الحديث لترينا فيها اسبابها · لذلك كتبت فوق بابي

"في اصلاح الفرد إصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام"

امين ريحاني

التعريب [1]

اكثر القائلون بتطبيق "سياسة الباب المفتوح" على اللغة العربية من ذكر جمود امتنا واشتغالها عن الجواهر بالاعراض ووقوفنا موقف المستضعفين امام الامم الغربية ونعوا علينا تحرُّجنا قبول الدخيل في لغتنا ورمونا "بالرجوع الى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند حد ما أماتهُ الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدر اهلها ان ينتفعوا بكل ما خلقهُ الله" الى آخر ما اتوا بهِ من القضايا الخطابية بقصد التأثير في افكار السامعين حتى تخيلوا ان الكلم الاعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصاً على الزمن ان يضيع في انتقاء الفاظ عربية تسد مسدها وانْ قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفهِ في اختراع آلة حربية او معمل صناعي او مصرف مالي . ولقد كدت من شدة التأثير امسك عن الكلام خيفة ان اضيع عليكم ساعة يمكنكم فيها اختراع بندقية جديد او آلة للطيران او علاج للسرطان ...

مسكينة الامة المستضعفة : لا تدري من اين تؤتى ولا تعرف لتأخرها علة فتذهب مع كل ذاهب وتمشي وراء كل حاطب

ظننا التيل سبب رخاوتنا فعدلنا عنهُ الى الآبار فما نشطنا . وخلنا الازياء الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبدلنا بها ازياء ضيقة فما عدونا . وحسبنا اتخاذ السيارات والدراجات يوصلنا الى المدنية فاتعدنا وما استفدنا . وزعمنا ملاهي التمثيل اقرب سبيل فابعدتنا . وعددنا القنازج (البالو) معارج فما عرجنا . وغيرنا العمائم بالقلانس والدور بالقصور وظهور الصافنات ببطون العربات فما اخرجنا كل ذلك عما نحن فيهِ من الاستضعاف ولا سما بنا الى مراقي الالمان والانكليز واليابان .

ان لارتفاع الامم وانحطاطها اسباباً خاض فيها الحكماء وافاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددها مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى او يسترسل مع الوجدان او يقتصر فيها على مجرد الاستقباح والاستحسان . فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يغلب الكبير لا يجوز في العربية ان تنصبوا الفاعل وتقدموا خبر انَّ على اسمها

[1] خطبة القاضي الفاضل حفني بك ناصف رئيس نادي دار العلوم في مسألة التعريب

احتجاجاً بان المعنى لا يتغير . ولا ان تقولوا ما الفرق بيننا و بين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع الفاظ مقتضبة وتعريب كلمات اعجمية والشذوذ عن القياس وامتنع علينا أليسوا رجالاً ونحن رجال

ليس لاحد ان يقول ذلك الاّ اذا خرج من الربقة وخلع العذار ورضي بان يكون طليقاً لا يتقيد بشيء . المسألة منصوصة في الاسفار فمن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شيئاً على السماع و يستريح من عناء الدروس فليصنع ما شاء فليس عندنا ما يرغمهُ على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدال معهُ . واذا شاء ان يتبع المنصوص فها هو بيانهُ

اتفق العلماء على ان اللغة العربية كانت لسان عاد وثمود وأُميم وعَبيل وطَسم وجَدِيس وَعِمْليق وجُرْهُم ووبار من اولاد إرَم بن سام

واول تنقيح دخلها كان بعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة وجرى اولادهُ على لغته في انحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما اصهر اسماعيل بن ابرهيم عليهما السلام الى قبيلة جرهم ادخل تنقيحاً ثانياً في اللغة وجرى على اثرهِ القبائل من اولادهِ كربيعة ومضر وكنانة ونزار وقيس وضبه

والتنقيح الثالث ادخلتهُ قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوماً منها ثلاثة ايام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصرَين البصرة والكوفة (نقلة اللغة في عصر الامويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل و بعض تميم وبعض كنانة وبعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجذام لمخالطتهم القبط اهل مصر . ولا عن قضاعة وغسان واياد لمخالطتهم اهل الشام والروم واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية . ولا عن تغلب لانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان . ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس . ولا عن عبد القيس وازدعمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنديين والفرس . ولا عن اهل اليمن (حمير وهمدان وخولان والازد) لمخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين . ولا عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم . ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لفساد لغتها بالاختلاط

وعدوا لغة قريش افصح اللغات العربية لانها خالية عن عنعنة تميم وهي ابدال الهمزة عيناً نحو عَنْتَ وعنّكِ اي انت وانك . وعن تلتلة بهراء وهي كسر اول المضارع نحو تِلعب

وتلهو . وعن كسكسة ربيعة ومضر وهي الحاق سين بعد كاف المخاطب نحو رايتكس . وعن كشكشة هوازن وهي الحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو رأيتكش وعن فحفحة هذيل وهي قلب الحاء عينا نحو عتّى اي حتى . وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب بعد الياء الساكنة او الكسرة نحو عليكِم وبكِم . وعن وهم بني كلب وهي كسر هاء الغيبة اذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عنهِم وبينهِم وعن عجعجة قضاعة وهي قلب الياء الاخيرة جيماً نحو الساعج يدعج اي الساعي يدعي . وعن وتم اهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو النات اي الناس . وعن الاستنطاء في لغة سعد والازد وقيس وهو قلب العين الساكنة نوناً قبل الطاء نحو انطى اي اعطى . وعن شنشنة اليمن وهي قلب الكاف شيناً نحو لبيش اللهمَّ لبيش . وعن لخلخانية الشحر وعمان وهي حذف الالف في نحو مشاالله اي ما شاء . وعن طمطمانية حمير وهي جعل أل " ام " نحو طاب امهواء اي الهواء وعن غمغمة قضاعة وهي اخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقلة اللغة الى لغة كل قبيلة على حدتها بل جمعوا الالفاظ التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الاخذ عنها وجعلوها لغة واحدة مقابل اللغة الاعجمية لا يخطئ المتكلم الا اذا خرج عنها كلها فلفظ المدية لغة دوس بطن من الازد ولفظ السكين لغة قريش فنقل الائمة اللفظين واباحوا لكل انسان ان يتكلم بايهما شاء ولو لم يوجد في العرب من تكلم بهما معاً ومن هنا جاء الترادف في اللغة والاشتراك اللفظي ولو جمعوا لغة كل حي من العرب على حدتها لتكرر العمل وطال الزمن

ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة العرب عدوه فصيحاً وما كان قليل الدوران على السنتهم عدوه غريباً ووحشياً يعد استعماله مخلاً بالفصاحة ولو كان معروفاً عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق باحوال اواخر الكلم وقواعد تتعلق بباقي احوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوه سماعياً يقبل من العرب ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فاذا لم يكن اللفظ (مادة او هيئة) قد سمع من العرب منعوه بتاتاً وشنعوا على مستعمله

ولاجل ان يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسموع من العرب ومقدار الانحطاط الذي

كان يلحق بمن يخطئ منهم اروي لك قصة وفود سيبويه على يحيي بن خالد البرمكي ببغداد فقد عقد يحيي مجلساً جمع فيهِ بين سيبويه رئيس نحاة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نحاة الكوفة فقال لهُ الكسائي تسألني او اسألك فقال سيبويه سل انت فسألهُ الكسائي عن قول العرب «قد كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي» ايجوز فاذا هو اياها. فقال سيبويه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع ذلك وتنصبهُ فقال يحيي لقد اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال لهُ الكسائي هذه العرب ببابك قد سمع منهم اهل البلدين فيحضرون و يسألون. فقال يحيي وجعفر انصفت وامرا باحضار اعرابي من اهل البادية وسألوهُ فقال «القول قول الكسائي» فقال سيبويه ليحيي مرهُ ان ينطق بذلك فان لسانهُ لا يطاوعهُ فاكتفى المجلس بحكم الاعرابي وتجل سيبويه وسافر بعد ذلك الى فارس فاقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة سبب علتهِ وكانت وفاتهُ في سنة ١٨٠ وعمرهُ ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء البلدين متى اختلفوا في امر تلمسوهُ عند البدو وتسمعوهُ منهم

وعرَّفوا المعرَّب بانهُ الاسم الاعجمي الذي فاهت بهِ العرب الموثوق بعربيتهم فاذا فاه بهِ غير العربي سمي مولداً وقد تبعهم في ذلك كل من كتب في اللغة كاصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والعباب. واجمع العلماء على ان لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الا بكلام العرب ولا يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الا في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلم في غير ما وضعت لهُ متى وجدت مناسبة بين المعنى الاصلي والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصلي وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة — نحو فاه الخطيب بالدرر اي الكلمات الحسان

والسببية — نحو رعينا الغيث اي الكلأ

والمسببية — نحو امطرت السماء نباتاً اي ماء

والكلية — نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم

والجزئية — نحو بث الامير العيون اي الجواسيس

والحالية — نحو ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي الجنة

والمحلية — نحو سال الوادي وجرى الميزاب اي ماؤهُ

واللازمية — كاطلاق الحرارة على النار

والملزومية — نحو دخلت الشمس من الكوة اي ضوءها

والاطلاق — نحو لا صلاة لجار المسجد الاَّ في المسجد اي لا صلاة كاملة
والتقييد — كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر للبعير كالشفة للانسان
والعموم — كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرمح والدابة على ذات الاربع
والخصوص — كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة
والبدلية — نحو في مالك فلان الف دينار اي متاع يساوي الفاً
والمبدلية — نحو اكلت دماً ان لم ارعك بضرة اي اكلت دية
واعتبار ما كان — نحو وآتوا اليتامى اموالهم اي الذين كانوا يتامى
واعتبار ما يكون — نحو اراني اعصر خمراً اي عنباً
والدالية — نحو فهمت الكتاب اي معناهُ
والمدلولية — نحو قرأت معناهُ مشفوعاً بتقبيل اي قرأت لفظهُ
والمجاورة — نحو شربت من الراوية اي المزادة المجاورة للجمل وقد تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبةً وقميصاً
والآلية — نحو واجعل لي لسان صدق اي ذكرًا حسناً صادقاً
والتعلق — كاطلاق لفظ المصدر على الفاعل او المفعول كشاهد عدل وهذا خلق الله
والشرطية — نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
والمصدرية — نحو فرجعوا الى انفسهم اي ارائهم
والمظهرية — نحو يد الله فوق ايديهم اي قدرته
والتضاد — كاطلاق البصير على الاعمى
ومتى اشتهر اللفظ في معناهُ المجازي صار حقيقة عرفية لهُ حكم الحقيقة الوضعية
ولقد صارت اللغة بهذا التنقيح الاخير لغة العرب عامة لا لغة قبيلة بعينها فأي لفظ نطقت بهِ فانت مصيب واي استعمال جريت عليهِ فلست بمخطيء ما دمت لم تخرج عن المنقول. واية علاقة صادفتك من العلاقات السالفة الذكر توصلك الى تسمية ما لم تسمه العرب فلست مقيدًا بلفظ اعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطاء واسع المجال في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتنهم وتنجد حسبما يسمو اليهِ استعدادك وتصل اليهِ درجتك من الاطلاع وتمكنك منهُ بضاعتك فلك ان تقول المدية كما تقول دوس وان تقول السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة "حيث" بتسع لغات ولفظ "ياربي" بست لغات وتركيب «باديءَ بدء» بثمانية عشر وجهاً وان ترفع

الجبر وتنصبهُ في نحو ما هذا بشرًا وان نطلق الاسد على السبع والشجاع والعين على الباصرة والذهب والجاسوس وتصرّح وتعمّي حيث تحتاج لذلك وتنقل الى العربية كل ما فهمتهُ من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد العدوّ فحبسوهُ والزموهُ ان يكتب كتابًا الى ملكهِ يحملهُ فيهِ على مداهمتهم ويوهمهُ بقلة عددهم وعُددهم غشًا وتغريرًا فكتب الى الملك كتابًا قال فيهِ :

اما بعد فقد احطت علمًا بالقوم . واصبحت مستريحًا من السعي في تعرف احوالهم . واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت اعهد في اخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله . ولقد رأيت من احوال القوم ما يطيب بهِ قلب الملك نصحتُ فدع ريبك ودع مهلك والسلام

وسلم الكتاب الى العدو فارسلوهُ الى الملك بعد ما اطلعوا عليهِ فتفطن الملك لما اراد الكاتب وقال لحاشيتهِ ان الجاسوس وقع في الاسر فاصبح مستريحًا من السعي وانهُ رآهم اضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية (كم من فئة قليلة) ولفتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي واراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون (كلهم عدوٌّ كبيرٌ عدٍّ فتحصن)

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وابيح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت لهُ عند الاحتياج بشرط العلاقة والقرينة وانتهت ادوار التنقيح فيها فلم يبقَ الاَّ استظهارها والعمل بها . وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بهِ قرونًا قضت فيها لبانة العلم والسياسة وتفرغت للفتوح والاستعمار وملأَت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فانارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا . ولما ضعف امرهم ورثهم الغربيون في حكمتهم واخذوها عنهم واضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج يدأبون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسباننا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب . المتضافر عليها من أئمة الادب فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين الرشد من الغي

ولما فقدت هم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق من الناس ان يكفونا مؤنة التحصيل فهبوا الى فتح ثغور اللغة العربية للدخيل من الالفاظ وطفقوا يحسّنون صنيعهم بأقيسة خطابية وجدلية لا تغني من الحق شيئًا

فقالوا اولاً : ان العرب اخذوا الفاظاً من الاعاجم في اطوار تنقيح العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والاحاديث فما لنا لا ننشئ مذهباً خامساً في التنقيح وفاتهم ان ما اخذهُ العرب قليل جداً بالنسبة الى ما نبذوهُ ونادر بالاضافة الى مادة لغتهم الاصلية والقليل النادر لا يقاس عليهِ فاذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحهُ غداً بالاولى في هيئتها اي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب اذ ليست المادة باقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بادنى احتراماً من العرض فننصب خبر المبتدا وخبر انَّ ونشتق من الجوامد كلها ونميل الالف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل الزيادة لكل المعاني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافلها ونحدث فيها الاحداث الهائلة فتتبلبل فيها الالسنة وتفقد بعد قليل من الزمن مع ان « اصحاب اللغات الحية » الذين يريدون ان يتشبهوا بهم لم يرضوا ان يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأً فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٩٨ اربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها و يفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانياً : انهُ يجب ان يكون لكل مدلول دالٌ خاص بهِ لا يدل على غيرهِ ابداً وتكون دلالتهُ بنفسهِ لا بعلاقة اخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مهما كانت علاقتهُ يوقع في الاشتراك و يزيدنا آلاماً الى آلامنا : وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرة او عدم زيادتهِ وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لا محالة في جميع اللغات لان الفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الالفاظ على المعاني وجب المصير الى الاشتراك حتماً وانهُ لا ضرر من استعمالهِ مع القرينة . ففي الهندسة مثلاً تستعمل الزاوية والعمود والسطح والهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة . وفي الطبيعة والكيميا تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس باصل معناها . وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجيء في الخاطر معناهُ الاصلي والذي يسمع جملة « سيارة الامير سبقت القطار » لا يتوهم القافلة ولا الجمال فاين هي الآلام التي تخشون من زيادتها ؟ ومن منكم يمكنهُ ان يتكلم كلاماً خالياً من المشترك والمجاز ؟ انا اراهنكم على كتابة عشرة اسطر باي لغة شئتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشترك فلهُ مني عشرة دنانير وامهلكم شهراً والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند من يريد ان يتألم منها

وقالوا ثالثاً : ان دلالة الكلم الاعجمية اصرح لانها تدل على صنف مخصوص بخلاف

الكلم العربية فانها في الغالب تكون عامة : وفاتهم ان الاصطلاح يجعل العام خاصاً والمطلق مقيداً فالنسافة والبارجة والدارعة والمنطاد لا عموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديماً وحديثاً فيقولون في السيف ابيض ومرهف وهندي ويماني وفي الرمح اسمر ولدن وسمهري ورديني وكلها اوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رابعاً : ان التعريب اسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي اخف على السمع فاذا قلت للبدال « اعطني قدحاً من الجعة » اشمأز منك وسخر السامعون بخلاف « البيرا » : وفاتهم ان هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والالحاح في استعمالها لفظاً وكتابة على ان هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص الكتنين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديداً فانهم يجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس بعناء حائكهِ وخائطهِ وقارىء الصحيفة لا يحس بعناء محررها وجامع حروفها وطابعها . ولا بد من قوم يعانون الاعمال وآخرون ينتفعون بها ونحن لا نكلف افراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتعب منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في اعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني . اما استهزاء العامة فلا يعوقنا عن العمل لانا لا نعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس . وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليهِ سواء كان اللفظ الذي يحفظهُ عربياً او اعجمياً . واني اذكركم اننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقومبنية وجورنال وغازيته وافوكاتو وكوليرا ووابور وقنصل جنرال ولما ابتدأ الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة ومحام ووباء وقطار ومعتمد كنا نتقززها فلما الحوا في استعمالها زال التقزز شيئاً فشيئاً حتى عفنا الكلمات الاولى فجازاهم الله عن العربية خيراً . فلِمَ لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحذو مترجمو اليوم حذو مترجمي امس ؟ ولِمَ لا نساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامساً : ليس لنا ان نتمسك بالقديم لمجرد قدمهِ : فنقول لهم وليس لنا ان ننبذ القديم لمجرد قدمهِ فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم ان لا يتركهُ ما لم تقم الادلة على اصلحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نرَ للآن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

وبعد فاني لم افهم للآن وجهاً للتشبث بحب الاعجمي فاما ان نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل العجم على العرب واما ان نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون . واما ان يكون في طباعنا اخلاد الى الراحة والسكون فلا نريد ان نعاني اعمالاً جديدة لم نتعودها فتخدعنا هذه الطباع الى تحسين ما نحن عليهِ ونقول بالتعريب لاننا يمكننا ان نعرب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا ان ما وصل اليهِ هو منتهى الكمال وان ما يزيد عن ذلك يحسب من التقعر والتفهيق ولا يريد ان يعترف بكمال بعد الحد الذي وقف عندهُ فيسجل على نفسهِ النقص . ان لم يكن هذا ولا ذاك فما سبب هذا التشبث يا ترى ؟ لقد وعيت كل ما سبق من الادلة فلم اجد فيها برهاناً فلعل جمود قريحتي ضرب بيني وبين الحقيقة حجاباً مستوراً

وقد نشأ من التساهل في حياطة اللسان العربي ان تطرق الفساد الى مادتهِ وهيئتهِ وتولد عنهُ لسان آخر لا هو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماهُ الناس باللغة العامية او الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيرهِ وان كانوا لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

وترى الطفل يتعلم العامية في اقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في اقل من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انهُ في اول امرهِ لا يسمع غير العامية ولا يتكلم بغيرها فهو اينما سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في ذهنهِ رسوخ الفرنسية في اذهان اطفال الفرنسيس والانكليزية في اذهان اطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابان تعلمهِ لغة الكتابة . ولو فرضنا صبياً نشأ في بلد يتكلم اهلهُ بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لا نعكس معهُ الحال وتعلم الفصحى في اقل من خمس سنين ولم يتعلم العامية في اقل من عشر . فليس في طبيعة اللسان العربي الصحيح شيء من الصعوبة وانما هي في طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة كان يغني عنها خمس لو اقتصر المتعلم على احداها ويضيع على كل متعلم عشر سنين من عمرهِ فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجبارياً فكم تخسر الامة كل سنة من اعمار افرادها ؟ . فاذا اخذنا المعدل السنوي للواليد وهو ٤٧٠٠٠٠ وطرحنا منهُ معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة (ونفرض انهُ النصف) ٢٣٥٠٠٠ يكون عدد الباقين ٢٣٥٠٠٠ نضربهُ في عشرة اعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تخسر في كل عام

عمل شخص واحد في ٢٣٥٠٠٠٠ سنة وبعبارة اخرى يفوتها ريع زراعة ١٢٧٥٠٠٠ فدان على فرض ان الفدان يزرعهُ اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها . فيا ضيعة الاعمار تمشي سبهللا

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدى اللغتين واختلفوا في تعيينها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشهير ويلككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب ارتين باشا بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول — (١) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكماً منا نكون قد الزمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى اسهل لان كل شيء فيها قد ضبط ونقح ووضعت لهُ كتب متعددة . (٢) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل العصور فلكل زمان الفاظ تدخل مع اصحاب القوة ولذلك نرى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركسية والفرنسية والانكليزية . (٣) وان التزام العامية يحدث حجاباً كثيفاً دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب اعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما اشرق على اوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الازمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار افكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من ابناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويلككسي والاخذ بالمذهب الارتيني

وخلاصة هذا المذهب ان تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدرب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويحبب اليهم التحاور بها كلما اجتمع لفيف منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتملك السنتهم دربتها ويكون اخذهم بالتمرين تدريجياً يطبقون على ما عرفوهُ ويكملون محاورتهم بالعامية في ما لم يعرفوهُ وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق الى ان تهجر العامية وتحل الفصحى محلها

فاذا ضم الى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في الاندية العربية والتردد على معاهد العظات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واحتذاء اساليب المنشئين وطبع كتب المبرزين فان اللغة العامية تنقرض في اقل من عشرين عاماً

وتخلفها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي الى عصر مجده وايام سعده

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم واخذ يعد لهذا الامر عدتهُ وعتادهُ وسألني رأيي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت لهُ ان الامر ميسور والخطب سهل فطلب اليَّ تجربة ذلك قبل أن يصدر الاوامر فقلت نعم وكرامة ولم يمضِ شهر حتى دعوتهُ لشهود التجربة مع من شاء من المفتشين فاسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر فصمم على امضاء عزيمتهِ لولا احتجاج فريق من المعلمين بل نفر من العاجزين بان التطبيق متعذر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤ على هذه المغالطة لكانت العامية الآن في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان

والذي يسمع كلام الباحثين الاصليين والمنتصرين لها يخال ان بين الفريقين حرباً عواناً وخلافاً ما بعدهُ اتفاق . ومنشأ هذا الافتراق الذي حمي وطيسهُ واحتدم اوارهُ ان ادلة الفريق الاول تنتج اكثر من المدعى ويجر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك لكان الخلاف نظرياً لا يترتب عليهِ اثر ويتضح ذلك اذا حددنا موضع النزاع وحصرناهُ في الدائرة التي يجب حصرهُ فيها . واحسن طريق للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى نتحاماها اذا التقى الجمعان واليكم البيان

(١) نقسم اولاً اللغة العربيَّة الى لغتين لغة عامية ولغة فصحى فالعامية لا يمكن ان تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل اللفظ الاعجمي ووضعهِ في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج عما ورد فمحل النزاع اذاً اللغة الفصحى

(٢) ثم نقسم اللغة الفصحى الى اجزائها : حرف وفعل واسم . فالحرف لا يمكن ان يكون محل النزاع لان ما وجد منهُ كاف بحاجة اللغة فلا ضرورة لزيادة نحو يس . ونو . وانك لوجود نعم . ولا . وحرف العطف

والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو " جون " و " كم " لوجود ما يماثلها في العربية . وقد وقع في كلام الباحث الاول ما يفهم منهُ رغبتهُ في زيادة افعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأترم وتمبل وامبس ولعل ذلك فرط منهُ اثناء احتدام الجدال والاَّ فما وجه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل احد بجواز ابغل واحمر وافرس والبغل والحمار والفرس اعرق في العربية من الترام اللهمَّ الاَّ ان يكون وجه التفضيل شدة السرعة وعندنا قاعدة مذهبية نبني عليها وهي انهُ لا يصار الى التعريب الاَّ اذا الجأت الحاجة اليهِ

ولا حاجة الى انرم كما لا حاجة الى ابفل لامكان التعبير بركب التزام لو سلمنا بقبول كلمة ترام فمحل النزاع اذاً الاسم

(٣) ثم نقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى ما لا ينوب عن الفعل . والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيهِ . فمحل النزاع اذاً الثاني

(٤) ثم نقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد . فالمشتقات في العربية كافية وهي اصرح من نظائرها في اللغات الاخرى . فالنزاع في الجامد

(٥) ثم نقسم الجامد الى اسم معنى واسم ذات . فاسماء المعاني كثيرة جداً في العربية حتى عدها الباحث الاول ثروة واسعة . فالنزاع في اسم الذات

(٦) ثم نقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلَم . والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول . والى ما وضع لغير معين وهو اسم الجنس

فالعلم يشمل اسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقاليم وما له شأن خاص من غيرها . والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الا باعتبار معناها الاصلي قبل العلمية وانها تبقى على ما وضعهُ لها واضعها الا لضرورة

والضرورة اما ان تكون بوجود حروف اعجمية لا نظير لها في العربية كالحرف p الذي بين الباء والفاء مثل پاريس والحرف v الذي بين الفاء والواو مثل ڤينا والحرف g الذي بين الجيم والقاف والكاف والعين مثل انكلترا وبعبارة اخرى كجيم القاهرة او قاف الصعيد وهي قاف تميم . والحرف ژ الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة اخرى كجيم المغاربة مثل جابون والحرف الالماني ch الذي بين الخاء والشين مثل منخن او منشن فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربهُ

واما ان تكون بوجود حركات اعجميةً لا نظير لها في العربيةً كالحركة o التي بين الفتحة والضمة مثل رُوم كما تقول اهل القاهرة خوخ والحركة u التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيس مثل دانُوب فتبدل بحركة عربية تقاربها اما الحركة e التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس واسد كما نسمع من القراء فتبقى كما هي او تبدل بفتحة خالصة والمد بعدها بالف خالصة

واما باشتمال العلم على ما لا تجيزهُ اصول العربية كالابتداء بساكن وكالانتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالانتهاء بواو او ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن او يتوصل اليهِ بهمزة

وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياء والضمة قبلها كسرة اوتحذف وتقلب الواو او الياء المتطرفة بعد مدة همزة . وهذا التغيير هو الذي يسمى صقلاً او وضعاً في القوالب العربية . فالعلمَ موضع اتفاق بين الباحثين ايضاً

والضمائر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وانما النزاع في اسم الجنس كما صرح الباحث الاول مراراً

(٧) ثم نقسم اسم الجنس الى ما استعملت لهُ العرب لفظاً سواء وضعتهُ لهُ من عندها او عربتهُ من لغة غيرها والى ما لم تستعمل لهُ لفظاً والاول يقبل ولا ينظر الى اصل اللفظ قبل التعريب لان التعريب جعلهُ في حكم العربي فليس موضع نزاع كالدرهم والدينار والمشكاة والاسفنجة والسرداد وانما النزاع فيما لم تستعمل لهُ العرب لفظاً

(٨) ثم نقسم ما لم تستعمل لهُ العرب لفظاً الى ما اصطلح المولدون على اطلاق لفظ عربي عليهِ بأي مناسبة كانت كنسافة وغواصة ودارعة وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبولهِ . والى ما لم يصطلحوا على اطلاق لفظ عليهِ للآن ولا خلاف بين الباحثين في انهُ يجب البحث والتنقيب في كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن اطلاقهُ عليهِ بأي مناسبة من المناسبات الجائزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالتهِ عليهِ كما اصطلح من قبلنا على لفظ نسافة وغواصة

ولم يقل احد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الانشاء وصحف الاخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ اعجمي واستعمالهِ موقتاً للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجاً من لغة العامة الى اللغة الفصحى

فاذا انقضى دور البحث ولم يعثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها وهو ما لا يكون الاّ نادراً تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذٍ يراها الباحث الاول بالمنظار الذي يرى بهِ المعربات التي صقلتها العرب ويقول قد احتطت وما فرطت فرحباً بالدخيل العتيد . وبعداً للاصيل الشريد . ومالي اشغل آمالي بنشد ضالة ان جاءت فلا كرامة وان ذهبت فلا شيعتها غمامة . ويراها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى بهِ المعربات فيحسبها كالرقعة في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة احكام . وحبذا لو صحت الاحلام . ووجدت طلبتي في يوم من الايام

هذا هو الخلاف الطويل العريض ضيَّق البحث حلقاتهِ رويداً حتى تضاءل وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المجتلبة واستقبالها اما بالترحيب . واما بالتقطيب . وهو خلاف غريب

حفني ناصف



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

هل المريخ مسكون

طالعتُ ما كتبهُ احد القراء وتأسفت لانهُ استنتج ما استنتج دون امعان الروية بالمقدمات التي سبقت ذلك الاستنتاج. ولقد حللتُ ما كتب فوجدتهُ يتضمن ثلاث نقط رئيسية: —

(١) "ان عالماً آخر يفوق لول شهرةً كما يفوقهُ سناً وخبرةً وهو الدكتور الفرد رسل ولس اقام الادلة على انهُ لا يوجد جرم مأهول او يمكن ان يكون مأهولاً غير الكرة الارضية من كل السيارات التي تدور حول الشمس"

(٢) الاستشهاد بكتابات المقتطف

(٣) "ان الخطوط التي شوهدت على سطح المريخ واستدلّ منها الاستاذ لول على وجود السكان فيهِ يمكن ان تكون من جملة الحوادث الطبيعيَّة التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا"

وعليَّ الآن ان اجيب على كل منها متحرياً البساطة والاختصار متجنباً التطويل المملّ مبتعداً عن الجدل العقيم: —

قال حضرتهُ ان ولس يفوق لول شهرةً كما يفوقهُ سناً وخبرةً فاذا كان يعني الشهرة على الاطلاق فلربما كان مصيباً ولا اجادلهُ في ذلك اذ لا يوجد مقياس ميكانيكي بهِ نقيس شهرة كل منهما ونقابل الارقام التي تدل على ذلك لنحكم ايهما اشهر وهب انني سلمتُ ان ولس اشهر من لول فالحقيقة لا علاقة لها بشهرتهما ولذلك لا تثبت بثبوت الافضلية للواحد على الآخر ولا تنتقض بانتقاضها اما اذا كان يعني ان ولس اشهر اي اعلم من لول

في الفلك والرياضيات والفلسفة الطبيعية والتحليل السبكتروسكبي فهذا غير مسلَّم بهِ ولستُ اظنُّ ان احداً في الكون يوافقهُ على ما يدعي ويعذرني اذا قلتُ لهُ اننا لا نعرف ولس غير العالم الطبيعي "Naturalist" قسيم دارون وليس لهُ ادنى اسم او شهرة في العلوم التي ذكرتها سابقاً (وهذا لا يحط من مقامهِ)

ما لنا ولهذا وذاك لنرَ ما كتب ولس ونفند دعواهُ . يقول في كتابهِ "Man's place in the universe," (صفحة ٢٦٧) : —

" الوحدة القياسية على سطح المريخ يصلها نصف مقدار حرارة الشمس التي تصل الوحدة على سطح ارضنا وبما انهُ خالٍ من الماء لان بقعتي الثلج عند القطبين مسببتان عن رسوب الحامض الكربونيك او غيرهِ من الغازات (الثقيلة) فلا يصلح لحياة الحيوان ولربما كان صالحاً للنباتات الاولية البسيطة وصغر حجمهُ وكتلتهُ (كتلتهُ تعدل تسع كتلة الارض) يجعل جوهُ لطيفاً ورقيقاً للغاية فلا يحفظ اثناء الليل ما اختزنهُ من الحرارة مدة النهار بل تفلت سريعاً بالاشعاع ويؤيد هذا الاستنتاج ما نعلمهُ من درجة الانعكاس القليلة التي تدل على انهُ قلما يوجد غيم في جوهِ الرقيق فتكون حرارتهُ في القسم الاكبر من يومهِ تحت درجة الجليد وخلوهِ في ذات الوقت من البخار المائي والماء الذائب يحتم انهُ ليس صالحاً لسكنى الانسان ومعيشة الحيوان. اه "

فما ذكر يظهر ان ولس لا يسلم براي لول لسببين الاول لعدم وجود الماء في المريخ على الاطلاق اذ يعتقد ان ما يحسبونهُ ثلجاً ليس الأ غاز الحامض الكربونيك المتجلد وهذا مردود لان الادلة على انهُ ثلج اقرب الى العقل وقد اثبت الاستاذ بكرنغ انهُ ماءٌ بواسطة الآلة المعروفة بالبولارسكوب (المقتطف سنة ١٩٠٧ وجه ٧٠٧ سطر ٣) وورد ذلك ايضاً في التقارير الفلكية وفي اواسط شباط ارسل الاستاذ لول نبأً برقياً للسر نورمان لوكير يخبرهُ ان المستر سليفر Slipher وفق الى اكتشاف خطوط البخار المائي بواسطة البكترسكوب فوتوغرافياً والآن لديهِ صور عديدة منها (رأيت ذلك في التقارير الفلكية وفي مجلة نيتشر الانكليزية في ١٢ آذار ١٩٠٨) ويليهِ ما يأتي : —

كان يظن اولاً ان الثلج الذي يظهر على قطبي المريخ مسبب عن تجلد الماء حتى قال البعض انهُ ناتج عن تجمد غاز الحامض الكربونيك " وللآن لم يكتشف احد خطوط هذا الغاز في السبكتروسكوب " ثم قامت مسألة تغير مظاهر وجه السيار فعللها الدكتور لوكير انها مسببة عن الغيوم والضباب التي تتكون من البخار المائي وذكر ذلك في خطبة قدمها في

احتفال الجمعية الملكية الفلكية سنة ١٨٦٣ وبعدئذٍ اعتقد العالمان هجنس وفوكل انهما اهتديا الى وجود خطوط البخار المائي في السبكتروسكوب ولكن ابحاث كمل وكيلر لم تثبت ذلك بل نفتهُ اما الآن فيظهر انها اثبتت على ما علمناهُ من ابحاث مرصد لول

وفي كتاب حديث للدكتور ولس عنوانهُ "هل المريخ مأهول" برهان بناهُ على ما يعترض بهِ بعض الفلكيين ان لا دليل على وجود البخار المائي بل هو مفقود بالكلية لان السبكتروسكوب لم يكن قد اظهر ذلك ولكن هذه العقبة قد ازيلت الآن اذا ثبت ما اكتشفهُ المستر سليفر من وجود البخار المائي الذي نحسبهُ نحن بالقياس الى ارضنا لزوميًّا للحياة ويكون هذا الاكتشاف من اعظم الدعائم المؤيدة لآراء الاستاذ لول التي هي احسن ما قدّم لتعليل المظاهر الغريبة والاختلافات العجيبة وقد قابلها الفريق الاكبر من العلماء بمزيد الحفاوة والاعجاب

ثانيًا جميع العلماء يعترفون ان المريخ ابرد من ارضنا ولكنهم يختلفون في تعيين مقدار درجة حرارة سطحهِ والفريق الاكبر منهم يعتقدون (ومباحثهم العلمية تؤيد اعتقادهم هذا) انها كافية لقيام الحياة وان الحرارة العالية تضع حدًّا لوجود الحياة لا البرد كما ابان الاستاذ مرّيَم (Merriam) الاميركي في مقالاتهِ التي نشرتها دار العلم السمثسونية في تقاريرها السنوية

وقد سرني جدًّا استشهاد حضرة مناظري بكتابات المقتطف لاننا جميعًا نقدر المنشئين حق قدرهما ونعلم مقدار ما يعانيانهِ من التعب في جمع المواد التي تدرج والحرص الشديد على انتقاء الحقائق العلمية ونشرها في اللغة العربية فحق لحضرتهما الثناء من كل اديب وبالاخص لما يبديانهِ من افكارهما الخاصة وملاحظاتهما الشخصية . ولكي يطلع القراء على الفقرة التي اشار اليها مناظري الكريم انقلها بالحرف الواحد واترك لحضراتهم الحكم فيما اذا كان لي ام عليَّ :—

"والخلاصة ان المريخ صار قريبًا من الشيخوخة والهرم فان كانت مخلوقاتهُ الحية لم تبد من وجههِ بعدُ فقد صار زمن انقراضها قريبًا والله اعلم" "المجلد العاشر وجه ٦٨"

اما النقطة الثالثة فجل ما استطيع ان اقول فيها ان الفريق الاكبر من الفلكيين يعتقدون ان الخطوط ليست طبيعية ومن خالفهم قال انها نتيجة الوهم والخداع ولكن آراءهم هذه قد فنّدت كلها ولست اذكر ان احدًا قال انهُ من الممكن "ان تكون من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا" لان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلم بها اذ تكون نتيجة سبب طبيعي ومعلوم ان الارض وسائر

السيارات من اصل واحد وكلها تخضع لذات النواميس والشرائع الطبيعية وهذا قانون في الكون مسلَّم بهِ عند العلماء والفلاسفة ولا شيء يخالفهُ ويعبرون عنهُ بلفظة (uniformity of nature) واللاهوتيون يسمونهُ "وحدة المقصد في الكون" فاذا وجدت آثار ذلك السبب الطبيعي في سيارٍ ما لزم ان تظهر في غيرهِ ولكن الارصاد الفلكية على اختلاف انواعها والابحاث العلمية تنقض ذلك وتثبت ان الترع موجودة فقط في المريخ

ولا يعتقد مناظري ان الذين يسلمون بآراء الاستاذ لول يجعلونها بمنزلة الوحي او يعتبرونها قوانين ونواميس راسخة كقوانين الجاذبية بل هم يعترفون انها احسن الآراء التي قدمت حتى الوقت الحاضر لتعليل تلك المظاهر الغريبة واظن ان الاستاذ لول نفسهُ لا يعتقد باكثر من ذلك ولكنهُ يتوسم انهُ سيصل الى حقيقة راسخة ويكتشف السبب الذي سيكون في المستقبل ناموساً عاماً مسلماً بهِ من الجميع وستبقى تعاليلهُ وآراؤُهُ هذه نظريات فقط حتى تثبت او تنقض بما هو احسن منها

واما الاعتراضات الرياضية التي يقدمونها ضدهُ فبعيدة عن الصواب واكثرها يؤدي الى نتائج تخالف الحقيقة لان زعماءها يسقطون سهواً او عمداً بعض العوامل التي يظن ان لا تأثير لها في العمل ولكن اذا بقيت وجرينا على ذات الطريقة التي يجرون عليها تكون النتيجة اثبات نتائج الارصاد العلمية مع فرق زهيد كما هو الحال دائماً وابداً بين الامور النظرية والعلمية. ولولا ضيق المقام وملل القراء (لان هذه الابحاث للخاصة) لكنت اتطرق اليها واظهر مواقع الخلل فيها

وفي الختام أُعيد ما كتبتهُ سابقاً ان آراء الاستاذ لول ليست الآراء فقط ولكنها افضل واحسن ما قدم حتى الوقت الحاضر لتعليل المظاهر التي نراها على وجه ذلك السيار

بيروت المدرسة الكلية منصور جرداق

حقوق المرأة

سيدي الفاضلين منشيء المقتطف الزاهر

يسركم ولا ريب ان انقل الى مسامعكم الكريمة خبرًا طيباً عن جمعية خيرية انشئت في بيروت منذ سنة ١٨٧٠ وكان لكم يد في ادارتها واعمالها. ترأَسها احدكم الدكتور صروف سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٥ وترأَسها الدكتور نمر سنة ١٨٨٤ — وهي لا تزال حية مع ما تقلب عليها من الادوار تسعى ضمن دائرتها المحدودة لمساعدة الفقراء المرضى وتطبيبهم

ومعالجتهم مجاناً وتساعد جمعية الاعتدال في مشروعها الجليل وهو انشاء غرف القراءة المشهورة في بيروت عدا عما تنشره وتديره من التآليف المفيدة والخطب المصلحة. تلك هي جمعية شمس البر

احتفلت هذه الجمعية احتفالها السنوي بحضور جمهور كبير من اهل الفضل والادب مساء الخميس في ١٩ مارس في دار مدرسة الاحد الاميركانية وخطب فيها لاول مرة الخطيب الشرقي المعروف في العالم الغربي بصاحب رباعيات ابي العلاء المعري الشاعر الناثر امين افندي ريحاني وكان كلامهُ في العزلة فتفنن فيها ما شاء وشاءت مخيلتهُ الشعرية الفلسفية . ثم تلاهُ جناب الشاعر الياس افندي حنيكاتي بموشح منسجم موضوعهُ عاقبة الزواج الاجباري ومن ثم تباحثت الآنسة الكاتبة سلمى نسيم طراد والقانوني البارع عزتلو داود بك نقاش في " هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة " وتلا ذلك كلمة في الحكم في المسألة لكاتب هذه السطور ثم ختمت الحفلة بقصيدة عامرة لجناب الشاعر شبلي بك ملاط موضوعها " الوردة الذابلة " وانصرف الحضور مرتاحين الى ما شاهدوهُ والى ما سمعوهُ في الحفلة

وقد طلب اليَّ بعض الادباء ان انشر كلمة الحكم على صفحات المقتطف الاغر اثارةً للخواطر بعض كتابنا الادباء في هذا الموضوع فلبيت الطلب — وهذه صورة الحكم

— هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة —

مسألة لو أُخذت على ظاهرها لكان البحث فيها عبثاً مضحكاً — المرأة تطالب الرجل بالمساواة وما معنى هذا ؟ هل تطالب المرأة الرجل بالمساواة في الخلق او في المدارك او في المقام في المجتمع الانساني ؟ هل يمكن ان تعني ذلك والمساواة اسم بلا مسمى عند التحقيق ؟ اين المساواة في الوجود ؟ في الطبيعة حوالينا ؟ في السماء فوقنا ؟ في المخلوقات جميعها — في النبات والحيوان وفي الانسان ؟ اين المساواة في المدارك والمواهب ؟ كل انسان يختلف عن اخيهِ في الخلق وفي الادراك وفي الاستعداد الفطري والاكتسابي . هل يحق لزيدٍ ان يطالب عمراً بالمساواة ؟ هل يحق للتلميذ ان يطالب المعلم بالمساواة ؟ هل يحق للمرؤوس ان يطالب الرئيس بالمساواة ؟ " وما الناس الا سيدٌ ومسود " هذه هي طبيعة الوجود — وحدة في القوى الخالقة الازلية واختلاف في صور تلك القوى ومجاليها فسبحان المبدع الحكيم

وعليهِ ترون ايها السادة ان المسألة هي غير ما ينطوي عليهِ ظاهرها . ولو وضعت على هذه الصورة " هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة في الحقوق " لاستقام وضعها وامكن البحث فيها وهذا ما عناهُ المتباحثان كما قد رأينا

ظهر ان اهمية البحث تدور على كيفية تفسيرنا معنى الحقوق . فما هي الحقوق ؟ ما هي

حقوق الرجل وما هي حقوق المرأة ? وهل هو وافي ان الرجل قد اهتضم حقوق المرأة حتى قامت قيامتها عليه في هذه الازمنة الاخيرة تطالبهُ بتلك الحقوق المهضومة

ما هو الحق ? من يجيبنا على هذا السؤال ? انقصد القاموس ليقول لنا ان الحق ضد الباطل فلا نستفيد شيئاً من آمر بفهِ . أنقصد المتشرعين والمحامين ليقولوا لنا ما هو الحق ونحن نعلم انهم يفسرون الحق بما ينطبق على مقامات المدعين والمدعي عليهم . انقصد الساسة في اوربا واميركا لنفهم منهم ان الحق هو القوة وقيام المصلحة لا غير ? اهذا هو الحق الذي نطلبهُ الليلة ? الحق المطلق ام الحق المقيد ?

نترك الحق المطلق وشأنهُ لانهُ لا يعنينا ونأتي الى الحق المقيد لانهُ هو مطلبنا في البحث فما هو حق الانسان المقيَّد ومن قيَّدهُ

حق الانسان ان يحيا ويسعى لما فيهِ ارتقاؤُهُ وسعادتهُ . (هذا هو حقهُ اخذهُ بالارث وبالهبة وبوضع اليد وبمرور الزمن كما يشاء محامينا البارع)

وكما تقيدت الحياة في الجسم وتقيَّد سعي المرء في المجتمع هكذا تقيَّدت حقوق الانسان بالنسبة الى ما منحهُ اياهُ الخالق من القوى النفسية والجسدية وبالنسبة الى المحيط الذي وُجد فيهِ . والانسان هو الذي قيد حقوقهُ فانشأ النظامات والشرائع وتمسك بالعادات الاجتماعية واحتفظ بالتقاليد القومية حرصاً على مجتمعهِ وقياماً لمصلحتهِ ونهض القويُّ منهُ فتسيطر على الضعيف . سنة الله في خلقهِ ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولا مشاحة ان الرجل والمرأة متساويان في هذه الحقوق الاصلية بمعنى انهُ كما يحق للرجل هكذا يحق للمرأة ان تسعى وتحيا لما فيهِ ارتقاؤُها وسعادتها . والذين يعارضون هذا بقولهم ان حقوق المرأة لا تساوي حقوق الرجل لان قواها العقلية احط من قواهُ فليسمعوا ردَّ شيخ فلاسفة الانكليز الفيلسوف هربرت سبنسر حيث يقول انهُ " لو صح ان الحق يقسم بين الناس بالنسبة الى قواهم العقلية لكان كل رجل يختلف عن غيرهِ بمقدار حقوقهِ اذ لا يوجد مساواة بين الرجال انفسهم ولكان النساء اللواتي ينبغنَ في العلم احق بكثير من حقوق الرجال الذين لا يعلمون شيئاً يذكر . فضلاً عن ان ذلك يضطرُّنا الى ايجاد مقياس للقوى العقلية وللحقوق وهو من رابع المستحيلات "

ومن المعلوم اليوم ان علماء العقليات والاجتماعيات قد عدلوا عن الرأي القديم القائل ان مدارك المرأة احط من مدارك الرجل—الرأي الذي نشروهُ بناء على ان دماغ المرأة اخفُّ وزناً من دماغ الرجل—فهم يقولون اليوم ان معدَّل القوى العقلية في النساء تساوي معدَّل

القوى العقلية في الرجال وكما ينبغ في الرجال افراد هكذا ينبغ في النساء افراد . وثقل الدماغ لا يحسب بذاتهِ دليلاً على كبر العقل فانهُ قام كثيرون من عظماء الرجال ولم يمتازوا بثقل ادمغتهم فضلاً عن ان النسبة بين ثقل دماغ الرجل وثقل جسمهِ تعادل النسبة بين ثقل دماغ المرأة وثقل جسمها

وآخر ما قيل في هذا الصدد هو هذا : ان الاختلافات في القوى العقلية بين الرجال والنساء انما هي ناتجة عند التحقيق عن العوامل الخارجية التعليمية والاجتماعية التي تتسلط على الفرد منذ نشوئهِ الى زمن استكمالهِ النموّ الجسدي والعقلي لا عن اختلاف اصلي بين الجنسين او بين الشعوب . بقي انهُ اذا كان الحق الاول للانسان ذكرًا وانثى ان يحيا ليرقي نفسهُ ونسلهُ من بعدهِ ويطلب السعادة في دنياهُ وان الرجل والمرأة متساويان مشتركان في هذا الحق بطبيعة الوجود فكل ما يؤخر المرأة عن التمتع بهذا الحق يؤخر الرجل والعكس بالعكس

واذا كانت حقوق الفرد تكثر او تقل بالنسبة الى تأثيرهِ في ترقية الهيئة البشرية واسعادها فحقوق المرأة اكثر من حقوق الرجل — لا يغضب اخواني الرجال — ذلك لان المرأة هي اسّ العائلة ونقطة دائرتها . هي التي وضعت الحجر الاول في بناية الاجتماع والعمران ولولاها لبقي الرجل وحشاً ضاريًا لا همَّ لهُ سوى الصيد والقنص والسلب والنهب

نظرة الى نشوء الاحياء ايها السادة ترينا ان الانثى اهم من الذكر في ابقاء النسل فكأن وظيفة الذكر الاولى انما كانت ان يساعد الانثى على ابقاء النسل وترقيتهِ جيلاً بعد آخر . ثم لما نشأت الحيوانات الثدوية وصارت صغارها تستلزم وقتاً اطول لتغذيتها وتنشئتها حتى تستقل عن امهاتها تولّد من ذلك مطلب جديد من الذكر وهو مساعدة الانثى على تنشئة الصغار وجمع القوت لها ولهم وهكذا تكونت العائلة البشرية الاولى فكانت المرأة وصغارها اساساً لها وتفرعت وظيفة الرجل البيولوجية فاصبحت اجتماعية ايضاً . واقامت المرأة وصغارها في البيت وسرح الرجل يطلب الصيد والغنيمة وانضم الى غيرهِ من مقاتلي العشيرة وقلما كان يساكن المرأة واولادها وكثيرًا ما كان يهجرها لسبب او لغير سبب فنشأ عن ذلك نوعان من المجتمع — الرجل باعمالهِ التنازعيَّة التي تستلزم القوة الجسدية والجرأة والدربة في استعمال ادوات الضرب والقتال — والمرأة بمركزها العائلي باعمالها الوالدية التي تستلزم الرقة والحنان والسكينة والصبر . فكانت النتيجة ان الرجل ازدادت مقدرتهُ الجسدية وكبر جسمهُ باعمالهِ وحركاتهِ وتعود المخالطة والاقدام وان المرأة ضعفت قواها الجسدية وصغر جسمها

وتعوَّدت الدعة واللطف والاحتمال

ومن المعلوم ان الحق بجانب القوي ولما كان الرجل اقوى من المرأة بجسمهِ كان هو المسيطرُ عليها منذ نشوء العمران. واحست المرأة بحالتها هذه وادركت ان الرجل قليل الوداد فتولدت فيها عزة النفس واظهرت انها لا تبالي بالرجل ساكنها او هجرها ولم تكن تشغلها العناية بالصغار طول وقتها فكانت تستعمل اوقات فراغها في تحضير ما تنتفع بهِ في بيتها فاعملت فكرتها وقادها الاختبار الى جدل الخيوط ونسجها فكانت هي الحائكة الاولى ثم تعلمت بالتجربة والملاحظة مرة بعد مرة ان تحتفظ بجلود الحيوانات التي كان يصطادها الرجل فوضعت بذلك صناعة الدباغة الاولى . وكانت تنكث الارض بالعيدان وتزرع البذور النافعة فأنشأت بذلك صناعة الحراثة والزراعة . ونصارى القول ان المرأة اظهرت للرجل بتصرفها واعمالها انها مستقلة عنهُ فأثر ذلك فيهِ وصار يتزلف اليها ويحاول استمالتها بزينتهِ الخارجيَّة فيتشكك بالريش والعقود والحلى وينقش وجههُ وصدرهُ ومعصميهِ ويظهر الجرأة والاقدام — على حد ما نراهُ ليومنا الحاضر جاريًا في القبائل الهمجية في افريقيا وغيرها — ثم تطرَّق الى ان صار يشتري المرأة بمالهِ من اهلها وعشيرتها وينقلها الى اهلهِ وعشيرتهِ حيث يسهل عليهِ اذلالها واخضاعها ولا سيما بعد ان رآها صناع اليدين تخدمهُ بنفسها وتنفعهُ بمصنوعاتها

وتوالت العصور على الانسان وكان ينتقل في حالات العمران جيلاً بعد جيل فرأى ان صناعة القنص لا تدوم وان الصناعات التي تتعاطاها المرأة هي اسهل مراسًا واكثر عائدةً من صناعتهِ فاخذ يقتبسها وكان مهيأً لها باستعدادهِ الجسدي والعقلي فلم يطل عليهِ الوقت حتى فاز على المرأة بهذه الصناعات واصبح مسيطرًا عليها بها ينتج المال ويتاجر بهِ

ولما اغتنى استغنى عن التزلف للمرأة واستبدَّ بها فاذلها وكان ينظر اليها كبعض مقتنياتهِ فساءت حال المرأة ولم يبقَ في حوزتها ما تستميل بهِ الرجل الاَّ جمالها ومظاهر زينتها واستعمال دهائها واصبحت ولا وظيفة لها حسب الظاهر الاَّ خدمة الرجل وخدمة عيالهِ — ودامت الحال على ذلك ولا تزال في كل بلاد لم تدخلها عوامل التهذيب وانوار المدنية الحديثة حتى قامت المرأة الغربية في هذه الازمنة الاخيرة تطالب بحقوقها المهضومة ورأى الرجل الصواب في طلبها ففسح لها مجالاً للتعلم والاستفادة ورفع مقامها في المجتمع ولم يعد يخاطب جنسها بالجنس الضعيف بل بالجنس اللطيف وسمى المرأة نصفهُ الافضل ولم يتنازل عن كونهِ الرأس ولكنهُ اجلَّ المرأة ورفعها حتى اصبحت عنقًا تدير ذلك الرأس — وهكذا جرت المرأة الغربية شوطًا بعيدًا في العلم والعمل وبارت الرجال في الطب والمحاماة والتعليم

والتأليف والصحافة وفي الاستخدام في المكاتب التجارية على اختلاف انواعها وفي تعاطي الفنون الجميلة . وقد اعطي لها حق التصويت في الانتخابات التعليمية والادارية ولا تزال تتطاول الى حق التصويت في الانتخابات السياسية ويقال انها قد نالت ذلك في بعض البلدان

وبعد ان قدمنا هذه اللمحة من تاريخ المرأة ونشوء مقامها في المجتمع نعود الى مسألة البحث ونسأل هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة في الحقوق ولا يسعنا الاَّ ان نجيب نعم يحق لها ذلك . ثم بالنظر الى ما قدمناهُ ايضاً نسأل هل تستطيع المرأة اذا مُهدت لها سبل التعلُّم والاكتساب جيلاً بعد آخر ان تباري الرجل في العلم والعمل ونجيب نعم تستطيع ذلك . بقي سؤال ثالث اهم من هذين اسألهُ واجعل الجواب عليهِ خاتمة كلامي وهو هل يحسن بالمرأة ان تزاحم الرجل في اعمالهِ .

ايتها المرأة الشرقية — كلمة من رجلٍ يغار على صالحك و ينظر اليكِ بعين التجلة والاحترام ويرى ان بكِ صلاح الامة والاجيال المستقبلة . قد رأينا المرأة الغربية المتمتعة بحقوقها الحديثة الطالبة الاشتراك في معامع الحياة وفي اعمال الرجال . رأيناها مستقلة عن الرجل لا تلتمس حماية ولا تخضع لسلطة . ورأيناها تعدل عن الذرائع الطبيعيَّة الى الاصطناعيَّة لاستمالة الرجل . رأيناها مندفعة وراء ما يسمونها الحرية وبئس الحرية هي — تعلمت واستنارت بانوار المعرفة ونعمَ ما فعلت ولكنها تمادت في استقلالها فخسرت من تأثيرها الدائم في الوجود واضاعت نفوذها الحقيقي في الهيئة البشرية . فلا تتشبهي بها ايتها المرأة الشرقية وتأخذي بظواهر المدنية الغربية الباطلة . قد عرفتِ بالتعلق الشديد بزوجك وبيتك واولادك فلا تنقصي من هذه الصفات الشريفة . يكفيكِ ان تكوني اماً — وما اقدس هذا الاسم ! يكفيكِ ان تكوني ربة بيت تسود فيهِ المحبة والطهارة والحنان — يكفيكِ ان تكوني ملاك العائلة مربية اولادك صغار الحاضر وكبار المستقبل — بيديكِ الهيئة البشرية ايتها المرأة تصوغينها جسماً وعقلاً ونفساً اذا كان فيكِ الكفاءة والاستعداد فاحرصي على هذا المقام المقدس — على هذا العمل الالهي — وتعلمي وتهذبي واستنيري بانوار العلوم المفيدة ما شئتِ وبثي من روحك النقية ومباديكِ القويمة في مَن حولك وكوني مثال التقوى والفضيلة والجمال النفسي اذا وقف بين يديكِ الرجل يتهيب من شعاع الطهارة المنبعث من عينيكِ ووجهكِ

نعم لتطالب المرأة الرجل بحقوقها . ليعلم الرجل ان المرأة هي اساس العائلة ومجلى طهارتها ونقطة سعادتها وانهُ ما دامت المرأة منحطة فالامة تظل منحطة . الامة برجالها وبنسائها لا برجالها فقط — النساء اكثر من نصف الهيئة البشرية واي عاقل يؤمل ترقية امة ان لم تترق

نساؤها — هذه هي كلمتي في الحكم والسلام على من رأى الحقيقة فلم يعمهِ غرضهُ عن الانتصار لها
بولس خولي

علاج لسع العقارب بام درمان

حضرة منشئ المقتطف الاغرّ

ان نتيجة اشغالنا بمعالجة الذين لسعتهم العقارب باسبتالية ام درمان الملكية سنة ١٩٠٧ هي كما يأتي حسب سن الملسوع

	من يوم الى سنة	من سنة الى خمس	من خمس الى عشر	من ١٠ الى ١٥	من ١٥ فصاعداً	المجموع
شفي	٢	١٣	٢٢	٣٣	٨٦	١٥٦
توفي	٢	٤	٣	١	٢	١١
	٤	١٧	٢٤	٣٤	٨٨	١٦٧

ويظهر منها ان طريقة العلاج المتبعة جاءت وافية بالمرام فقد بلغت الوفيات بين الذين لسعتهم العقارب ٦ $\frac{1}{2}$ في المئة فقط وقد كانت قبل ذلك من ٤٠ الى ٥٠ في المئة

وقد ثبت بالتجارب ان سم العقرب لا يذوب في الكحول وعليهِ بنيت طريقة حقن الكنياك الطبي تحت الجلد ولا سيما في الاطفال في الاليتين بجوار الجزء الذي فيهِ اللسع من الاعلى مع ربط الطرف الذي فيهِ اللسع من فوق اللسعة وفصدهِ في محل اللسعة ان كان معلوماً وكيهِ بسائل النشادر او الحامض الفنيك او الخل او ما يشبه ذلك لكن يخرج جزء من السم مع الدم الخارج بالفصادة ويستحيل الجزء الآخر الى مادة أُخرى وفي الغالب يزول فعلهُ السمي واذا امتص فلا يكون منهُ الاَّ تأثير وقتي يزول بسرعة ويشفى الملسوع · ولا يفك الرباط الاَّ بعد مضي ١٢ ساعة على الاقل ان لم يكن هناك موجب لفكهِ كالالم الشديد والورم الشديد من احتباس دورة الدم · وللكنياك الطبي المحقون تحت الجلد فوق اللسع وبعد الربط فعل مفيد وهو اولاً انهُ يمنع ذوبان السم الذي امتصهُ الدم فيبقى معلقاً فيهِ ولولا ذلك

لذاب في الدم لان فيهِ (اي في الدم) ملحًا يسهل ذوبانهُ وامتصاصهُ بسرعة وظهور عوارضهِ القتالة فجأةً . وفوق ذلك فانهُ لا يأذن بظهور عوارض السم الأ تدريجًا فيسهل افراز جزء منهُ وينجو الملسوع ولو كان صغير السن ولم يعلم مكان اللسع . ولذلك يستحسن شرب قليل من الكنياك مع الشاي لكي تنتبه الغدد العرقية فتفرز جانبًا من السم مع العرق . وللكنياك فعل خاص بالقلب فينشطهُ ويقويهِ ليدافع عن سائر اعضاء الجسم التي تكون قد ضعفت من فعل السم بها

واذا لم يربط العضو الملسوع فيستحسن تشريطهُ وحجمهُ بكاس الحجامة لامتصاص بعض الدم المتسمم منهُ . واني اوصي بالامتناع عن الالبان لانها تجمد في المعدة وعن الامراق الكثيرة الملح . وخير منها المرق الخالي من الملح والشاي والكنياك بعد اللسع باربع وعشرين ساعة ثم يُعاد الى الطعام العادي تدريجًا بعد زوال الاعراض كلها

هذا ما دلت عليهِ تجاربنا في هذا الموضوع مدة سبع سنوات

الدكتور محمد علي النكلاوي



البحر الابيض وموسم القطن

السر وليم ولككس

(تابع ما قبلهُ)

لننظر الآن ماذا كان المصريون الاقدمون يفعلون . فانهم لم يكونوا يستطيعون ان يمسُّوا البحر الابيض ولا الازرق ولا نهر الاتبرا ولكنهم استعملوا النيل كما يصل اليهم فانهم رأوا ان المياه الحمراء التي تصل بهِ من اواسط اغسطس الى اواسط اكتوبر يمكن اجراؤُها بالترع الى الاطيان وابقاؤُها فيها نحو شهرين من الزمان لكي يرسب منها ما فيها من الطمي الذي تجود بهِ الارض. فجعلوا الارض حياضاً يبقى الماء فيها مدة كافية لتتشرب منهُ وتتغطى بطبقة من طميهِ وحينئذٍ تصرف المياه الصافية الى النيل فيبذر الزارع بذارهُ في الارض فينمو فيها القمح والشعير والكتان والفول والبرسيم والعدس من غير حاجة الى الري لان

الفصل يكون شتاء بارداً · وهذا الاسلوب اي ري الحياض هو افضل اسلوب عرفهُ الناس ودام متبعاً سبعة الآف سنة وبقيت الارض خصيبة في آخرها كما كانت حينما ابتدأ · وقد اخذ الري الصيفي يقوم مقامهُ ولكنهُ لا يزال هو احكم اساليب استنبطهُ الناس للري

ولذلك رأى المرحوم الكولونل روص الذي كان مفتشاً لعموم الري انهُ ليس في الامكان ابطال ري الحياض وابدالهُ بالري الصيفي ولم يكن موافقاً لي وللسر همبري برون وللمستر فوستر لما اشرنا بالري الصيفي ولا للكولونل وسترن والمستر ريد اللذين بيّنا مقدار الفائدة المالية التي تنالها البلاد من القناطر التي ترفع الماء للري الصيفي

ان محمد علي جد العائلة الخديوية بدأ حكمهُ في هذه البلاد بادخال الري الصيفي (او الري المستديم) الى الوجه البحري حتى يصير وطناً للقطن كما كان وطناً للحبوب منذ العصور الخالية وكان محمد علي رجل عمل ومن عهدهِ الى الآن ونطاق الري الصيفي يزيد اتساعاً ولا سيما بعد انشاء خزان اصوان · وغرضي ان اريكم الآن كيف يمكن ان يقوم الري الصيفي مقام ري الحياض في القطر المصري كلهِ فتصير بلاد مصر مثل بلاد بابل من هذا القبيل حينما كانت بلاد بابل في اوج مجدها وحينئذٍ يفهم قول الخليفة المأمون الذي قال حينما صعد على جبل المقطم ورأى وادي النيل مبسوطاً امامهُ انهُ لو رأى فرعون وادي الفرات ما افتخر بانهُ ملك مصر

والري الصيفي او المستديم يستدعي ان تبقى مياه الري في الترع على مدار السنة ويجب ان يكون مقدار الماء قليلاً في فصل الشتاء واكثر منهُ في الصيف واكثر كثيراً في زمن الفيضان · اما النيل فيكون ماؤُهُ كافياً في زمن الفيضان وزائداً في الشتاء وقليلاً جداً في الصيف فلا بد من قلب الحالة الحاضرة بين الشتاء والصيف

اما مقدار الماء المطلوب صيفاً فيظهر من النظر الى الاطيان التي تحيا سنوياً ثم لا يمضي عليها سنون كثيرة حتى تعود الى حالتها السابقة حينما كانت مستملحة فان منظر تلك الاطيان اذكرني كلام الدكتور شوينفرث الذي قال ان الري المصري هو جهاد مستمر في مقاومة الملح وقد ظهرت الآن شدة هذا الجهاد

جاء في تقرير لورد كرومر عن مصر سنة ١٩٠٧ ان الفدان من المليون فدانًا من الاراضي المستملحة في الوجه البحري يحتاج الى ٢٦ متراً مكعباً من الماء في اليوم اذا اريد زرع اربعين في المئة من هذه الاطيان زراعة صيفية · اما انا فيظهر لي بالاختبار ان هذا المقدار من الماء يبقي تلك الاطيان في حالة من الملوحة لا خلاص منها · وهذا التدقيق

والتقتير في الماء على الاطيان الضعيفة في الوجه البحري هو الذي ابقى موسم القطن على حالهِ من غير ان يزيد مع ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً قد زادت كثيرًا لان هذه الاطيان تحتاج ان تغسل مرارًا وتجدد قواها بزرع الرز لتتغلب على ما فيها من الملح والرز يحتاج الى ماء كثير

ورغبتي في التدقيق والتقتير جعلتني اقول انهُ اذا زيد ماء النيل اربعة مليارات من الامتار المكعبة صار كافياً للري الصيفي في القطر المصري كلهِ . اما الآن فاقول اننا اذا اردنا احياء الاراضي البور وبقاء الاراضي المستملحة في حالة صالحة للزراعة لزمنا ملياران من الامتار المكعبة للاراضي المستملحة وحدها ولذلك نحتاج الى ستة مليارات من الامتار المكعبة . ولقد بحثت مرةً في هذا الموضوع مع المرحوم نوبار باشا وذكرت اموراً احسبها اليوم غير صحيحة فاصغى الى كل ما قلتهُ ثم قال انهُ لو تُرِك الامر لهُ لوهب كل مفتش من مفتشي الري خمس مئة فدان من الاراضي البور فان معظم ما ينتج عن الضرر من ذلك ان المفتشين يحسنون ري اطيانهم ولو حرموا اطيان جيرانهم من الماء ولكن الفائدة التي تنالها البلاد من توسيع اختبارهم تساوي الملايين . ولقد اصاب في ما قال فاني طفت في بلاد لمبرديا بايطاليا منذ بضع سنوات فرأَيت انهُ يعطى للاراضي الخصيبة حول ميلان من الماء ما يساوي ثمانين متراً مكعباً في اليوم للفدان . واني لا استغرب ذلك الآن

والماء وحدهُ لا يحقق نجاح النصف الشمالي من الوجه البحري بل لا بد للحكومة من ان تقتدي بأرباب الزراعة في ايطاليا الذين في الاراضي الواطئة فانهم تعلَّموا بعد طول الاختبار ان خصب الارض لا يدوم الاَّ اذا صرفوا منها المياه فالَّفوا شركات واقاموا طلمبات تسحب مياه الصرف من اطيانهم الواطئة وتصبها في مصارف الحكومة واقتسموا نفقات الصرف بينهم وقد جاء عملهم هذا بالنجاح . ويحسن بالحكومة المصرية ان تفعل فعلهم لانهُ لا يوثق بغيرها في هذه البلاد ثم تتقاضى نفقات الصرف من اصحاب الاطيان الذين ينتفعون بهِ

ولنعد الآن الى الستة المليارات من الامتار المكعبة اللازمة لتعميم الري الصيفي في القطر كلهِ فنقول

يظهر مما ذكرتهُ سابقاً انهُ يمكن خزن ثمانية مليارات من الامتار المكعبة في السنين المعتدلة الفيضان في البحر الابيض عند الخرطوم بين ١٥ اكتوبر وشهر مارس لتضاف الى النيل بين شهر ابريل ويوليو وذلك فوق المليارين اللذين يخزنان الآن بخزان اصوان واذا كانت السنة واطئة الفيضان جدًّا فيمكن خزن اربعة مليارات . واذا عملت الجرافات في اعالي البحر الابيض وسدَّت الفتحات الجانبيَّة التي يسيح بها الماء منهُ وابطلت التعرُّجات التي لا لزوم

لما وجرى الماء كلهُ فيهِ من غير ان يضيع منهُ شيء سدًى فالماء الذي يمكن ان يخزن فيهِ يزيد على ما تقدَّم زيادة كبيرة

واستطرد الخطيب الى مسائل اخرى معترضة ثم عاد الى سياق كلامهِ فقال ما مفادهُ انهُ اذا بنيت قناطر عند ملتقى البحرين الابيض والازرق مثل قناطر اسنا فانها تحجز من الماء ما ارتفاعهُ اربعة امتار ونصف متر فقط وقناطر اخرى قرب شجيرة غوردون تحجز من الماء ما ارتفاعهُ ثلاثة امتار ونصف متر تكوّن بينهما خزان يسع ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة تكفي مصر والسودان من الآن الى ما بعد سنين كثيرة . او تبنى القناطر الاولى عند مقرن البحرين والقناطر الثانية عند مخاضة ابي زيد . فاذا فعلنا ذلك وتحكمنا بمصب السُّبَت خزنّا كل ما يلزم لمصر والسودان من الماء ومنعنا خطر الغرق بزيادة الفيضان . وثلاث سنوات تكفي لعمل الاعمال اللازمة لخزن ثلاثة مليارات بنفقة اقل من ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولكن ذلك الخزان لا يغني عن خزان اصوان بل لا بدَّ من الاثنين معاً لجعل الري الصيفي عاماً للقطر المصري . ثم التفت الى وادي الريان لجعلهِ مهرباً لمياه الفيضان اذا زادت كثيراً وخيف من الغرق وعاد الى خزان البحر الابيض فقال ان لا بدَّ منهُ لخزن الماء الكافي لزراعة هذا القطر

معامل الفراخ

لقد يستغرب القراء هذا العنوان ولاسيما اذا كانوا من غير سكان هذا القطر . ولكن ابناء القطر يعلمون ان في كثير من قراهُ معامل لتفريخ البيض تعمل بضعة اشهر من كل سنة والمفرخون في هذه المعامل رجال من اهالي برما قرية قرب طنطا وهم متقنون لهذه الصناعة يتوارثونها ابًا عن جد

والمعمل بناء واطئ لهُ طبقتان يحمى اولاً بحرق التبن فيهِ الى ان تسخن جدرانهُ ثم تنزع النار والرماد منهُ ويوضع البيض في الطبقة السفلى وتوقد النار في الطبقة العليا ويأتي بائعو الفراخ الى مدير المعمل بالبيض فينتقي منهُ ما يظنهُ صالحاً وذلك باستشفافهِ في الشمس ويشترط على نفسهِ ان يعطي بائع الفراخ ستين فرخاً من كل مئة بيضة وما زاد من الفراخ فلهُ وان نقص منها شيء بقي مديونًا بالنقص . ويرتب البيض في المعمل يوماً بعد يوم حتى اذا مرَّ عليهِ فيهِ ٢١ يوماً جعلت الفراخ تخرج منهُ حسب وضعهِ في المعمل اي ان البيض الذي يوضع في اول مارس يفرخ في ٢١ منهُ والبيض الذي يوضع في ٢ مارس يفرخ في ٢٢ منهُ

والبيض الذي يوضع في ٣ مارس يفرخ في ٢٣ منهُ وهلمَّ جرًّا

وبائعو الفراخ يأخذون فراخهم و يضعونها في اقفاص ويبيعونها للفلاحين من غير ان يهتموا باطعامها وهم يشترون البيض من غير ان ينتقوهُ من الدجاج والديوك الكبيرة لان غرضهم بيع الفراخ حالما تولد ولهذا السبب صارت الفراخ المصرية من اصغر الفراخ و بيضها من اصغر البيض حتى اننا لما اتينا القطر المصري اولاً ورأينا بيض دجاجهِ ظنناهُ بيض حمام لا بيض دجاج

فطريقة التفريخ طريقة عملية حسنة جدًّا ولكن عدم انتقاء البيض من الفراخ الكبيرة والديوك الكبيرة افضى الى ما نراهُ من صغر الفراخ والبيض اذ لم يبقَ سبيل للانتخاب الطبيعي ولا للانتخاب الصناعي وهذا خطأ وخسارة كبيرة ولذلك فالمجال واسع لاناس يهتمون بجلب الدجاج الكبيرة الاجسام والبيض وتفريخ بيضها فقط دون سواهُ حتى يكثر هذا النوع الكبير الفراخ والبيض . وقد لا يمكن المتاجرة بالصيصان حينئذٍ حين ظهورها لانها تكون صغيرة مثل غيرها ولكن الذين يفرّخونها قصد تربيتها يعلمون انها من نوع كبير و يمهلونها الى ان تكبر فيباع الفرخ منها بمضاعف ما يباع بهِ غيرهُ

الواردات الزراعية

ورد الى القطر المصري في العام الماضي من الحبوب ونحوها ما ثمنهُ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما ترى في هذا الجدول

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
قمح	بالكيلو غرام	١٥٨١١٨٦٦	١١٢٨٣٨
زرة	«	٤٩٩٢٣٣٥	٢٤٢٣١
حمص	«	٣٥٥٢٢١٣	٢٣٢٢٥
ترمس	«	٣٥٧١٠٨٠	٢١٩١٣
شعير	«	١٧٢٦٢٨٤٣	١٠٠٣٥٤
ملت	«	٩٥٤٥٩٥	١٢٩٥٨
رز	«	٤٣٣٠٠٤٧٣	٣٨٥٥٦٩
عدس	«	٧٢٩٤٠٤	٦٣٠٩
بازلا	«	٢٧٦٦١٩	٣٥٩٠
فول	«	١٢٠٢٦٣٢	٧٩٠١

حشيشة الدينار بالكيلوغرام	١٠١٢٠	١٨٦١
سمسم "	٧٢٩٢٨٤٦	١١٠٤٤٢
كتنا "	٢٢٦٤٢٠٢	١٩٧٨٦
بطاطس "	١٨٤٠٣٣٥٦	٧٠٧١٩
حبوب وخضر في علب	—	٥٥٣٨٨
دقيق قمح وذرة "	١٤٠٦٨٠٧٢٠	١٢٢٧٠٨٦
انواع اخرى من الدقيق والرضة بالكيلوغرام	٦٠٠٧٩٧٤	٣٨٢٨٢
نشا "	١١٧٢٠٩٩	١٤٧١٢
نبيذ "	٤٦٣٤٣٢٨	٤١٨٩٢
برغل "	١٥٧٦٤١٣	٢٧٥٧٧
عنب "	٩١٢٩٨٧٦	٦١٦١١
موز "	٨٥٨٢٩٨	١٥١١٨
تمر "	٤٥٣٢٠٥٥	٣٤٩١١
ليمون وبرتقال	—	٣٢٣٩٩
اثمار اخرى خضراء بالكيلوغرام	١٣٥٩١٤٨٩	٨٣١٦١
بطيخ وشمام بالآلاف	٧٦٣١	٦٦٠٦٤
اثمار يابسة بالكيلوغرام	١٦٦٥٨٨٢٨	٢٣٦٩٩٢
مقددات	—	٥٢٩١٠
زيتون بالكيلوغرام	٣١٣٧٩٤١	٣٢٠٣٠
مواد اخرى نباتية	—	٥٣١٢٥
الجملة	—	١٩٦٣٩٥٤

ومن البن والسكر والطيوب وما اشبه من حاصلات المستعمرات ما يأتي

اسم الصنف.	الوزن	الثمن بالجنيه المصري
سكر مكرر بالكيلوغرام	٢٤٨٨٩٨٠٩	٢٧٨٣٥٢
بهارات "	١٧٧٧٣٣	١٢٣٥٩
	—	٣٠٤٥
فلفل "	١٠٣٤٤٨٩	٣٥٨٦٨

بن	بالكيلوغرام	٦٧٩٣٢٥٨	٢٦١٧٣٩
شاي	"	٣١٥٠٧٣	٢٤٦٧٣
مربيات	"	٢٥٠١٠٢٤	٨٦٠٥٦
بسكوت	"	١٠١٧٢١٥	٣١٨٨٠
بقسماط	"	٤٧٧٧١	٩٨٩
شكولاتا	"	٢٦٠٢٥٦	٢٤٤٦٩
والمجموع			٧٥٩٤٣٠

ومن المياه المعدنية والخمور والزيوت وما اشبه ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
مياه معدنية	بالدستة	١٨٥٩٥٣	٣٦٢٤٥
خمور	بالكيلوغرام	١٥٦٢٠٥٥١	١٣٤٦٧٠
	بالدستة	٥٠٠٤٧	٦١٣٧٧
خل	بالكيلوغرام	٥٥٣١٠٥	٢٨٨٥
بيرا	بالبراميل	١٤٨٧٥١	٦٨١٧٥
	بالدستة	٢٤٥٠٩٣	٥٧٢٥٧
الكحول نقي	بالكيلوغرام	٩٤٤٥٦٣	١٤٥٦٠
اشربة روحية	"	٥٦٦٥٩٠	٢٣٣٧٠
	بالدستة	١٤١٠٠٧	١٣٣٢٨٦
زيت زيتون	بالكيلوغرام	٢٥٨٥٢٤١	٨٢٣٩٩
زيت قطن	"	١٨٠٤٨١	٤٥١٠
زيوت اخرى	"	٥٣١٩٣٠٧	١٤٤٩٩٤
زيوت طيارة		ـــ	١٠٢٨٣
بترول	بالصندوق	٣٧٢٩٢٠	٤٧٤٠٠
	بالطن	٦٨٦١٦	٢٤٩٦٠٠
مازوت	"	١٤٠٠	١١٩٠
زيوت معدنية اخرى	بالكيلوغرام	٧٥٣١٧٤٧	٧٩٢٢٠
والمجموع			١١٥١٤٢١

ومن الخيل والبقر والغنم والمعزى وسائر الاطعمة الحيوانية ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
خيل وبغال الخ	بالرأس	٤٩٦٤٢	٢٩٠٨٨١
بقر وعجول	«	٤٢٨٩٧	١٥١٩٦٣
جواميس	«	٢٦٥٠	١٥٤٥٠
غنم ومعزى	«	٣٩٤٦٦٥	٢٤٥٣٩٩
خنازير	«	٢٤٥٤	٥٥٠٧
حيوانات اخرى		—	٩٨٦٣
لحم مقدد ومدخن	بالكيلوغرام	١٦٢٧٠٠٢	٩٧٣٦٨
سمك مملح ومدخن ومكبوس	«	١٨١٦٠٧٧	٥٣٦٩٢
	—	—	٥٩٠٠١
زبدة	بالكيلوغرام	١٥٩٧١٣١	١٣٠١٧٥
مرجرين (زبدة صناعية)	«	٣١٧٣٤٩	١٣٧٢٣
جبن	«	٣٩٢٣٩٦٣	١٥٩٥٢٤
عسل	«	٦٠١٣٨	١٧٢٥
لبن مكثف وقشدة		—	١٧٦٠٠
مواد حيوانية اخرى		—	٢٨٩٦٨
والجملة			١٢٨٠٨٣٩

ومن الجلود والمصنوعات الجلدية ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
جلود بقر مدبوغة	كيلوغرام	٣٧٣٢٢٨	٦١٣٣٢
	بالعدد	١٠٢١٧٧	٥١٧١٢
جلود غنم مدبوغة	كيلوغرام	١٥٥٠٣٤	٣٤٣٠٩
	بالعدد	٨١٥٩٨	١٦٠٠٨
جلود اخرى مدبوغة		—	١١٣٣
سروج		—	٢٧٣٦٦
جزم	بالزوج	١٢٨٢٦٠٩	٢٠٧٦١١

جلود مدبوغة اخرى	—	٢٨٥٢٨
مصنوعات جلدية	—	٣٦٦٢٥
والجملة		٤٦٤٦٢٤

ومن الشمع والدهن ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
شمع اصفر	كيلوغرام	٣٣٥٩	٣٦٥
ادهان	«	١٤٢٥٩٠٤	٣١٩٨٣
شمع ابيض	«	١٢٥٤٦٠٠	٤١٩٥٧
مواد اخرى حيوانية		—	١٨١٤٧
والمجموع			٩٢٤٥٢

ومجموع ما في هذه الجداول ستة ملايين وسبع مئة الف جنيه والمواد النباتية منها يمكن استغلال اكثرها من هذا القطر والحيوانية يمكن توليدها وانتاجها فيهِ ايضاً ولا نبالغ اذا قلنا انهُ اذا وجهت العناية التامة الى زرع كل ما يمكن زرعهُ من الارض وتربية كل ما يمكن تربيتهُ فيها من المواشي استغنى القطر عن اكثر هذه الواردات

ولكن ليس العبرة بما يمكن ان يزرع في القطر بل بما زراعتهُ اربح له . فالقطر المصري اشترى في العام الماضي من القمح والدقيق ما ثمنهُ نحو مليون ونصف من الجنيهات او نحو مليون اردب من الحنطة وهي محصول نحو مئتي الف فدان وهذه المئتا الف فدان لم تترك بوراً لان الفلاح المصري لا يترك شبراً من ارضهِ بوراً اذا امكنهُ زرعهُ فاذا زرعها قطناً وبلغ متوسط الفدان منها ٣ قناطير فجملة محصولها ٦٠٠٠٠٠ قنطار وهي تساوي ١٨٠٠٠٠٠ جنيه على الاقل فلا يكون الفلاح قد خسر شيئاً بل استفاد لان بيع القطن اسهل عليهِ من بيع القمح وغيره ان الناس وسعوا زراعة القطن وضيقوا زراعة الحبوب حينما كان ثمن قنطار القطن اربعة جنيهات فاكثر وثمن اردب القمح مئة غرش او اقل اما الآن وقد هبط ثمن القطن وارتفع ثمن القمح فلا يبعد ان يضيقوا زراعة القطن ويوسعوا زراعة الحبوب

ومهما يكن من ذلك فالجداول المتقدمة ترشد ارباب الزراعة الى المواد الزراعية التي تستعمل في البلاد ومقدار مقطوعيتها وتدلُّ على ان مجال الزراعة لا يزال واسعاً جدًّا الاَّ ان ذلك لا يغني عن بذل الهمة في توسيع زراعة القطن واجادة نوعهِ وتكثير محصولهِ ومنع

الآفات عنهُ وتدبير طريقة لحفظ اسعاره من الهبوط الفاحش لانهُ لا يمكن ان توجد زراعة اخرى تكسب القطر المصري نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات غير زراعة القطن

باب التقريظ والانتقاد

كتاب معجم الادباء

لياقوت الحموي الرومي

نشأ في البلاد الانكليزية منذ عهد قريب رجل اسمهُ الياس جب أُولع بدرس تواريخ الترك والفرس والعرب وعلومهم واديانهم لكن وافتهُ المنية في اواخر سنة ١٩٠١ وهو كهل في الخامسة والاربعين من عمرهِ فاوقفت امهُ مبلغاً طائلاً من المال ينفق ريعهُ على نشر الكتب المتعلقة بهذه المواضيع تذكارًا لهُ . فاقامت لجنة تتولى هذا العمل وقد عنيت هذه اللجنة الآن بنشر كتاب معجم الادباء او ارشاد الاريب الى معرفة الاديب . وناطت صديقنا الاستاذ مرغوليوث بنسخهِ وتصحيحهِ وطبعهِ وقد طبع منهُ الآن المجلد الاول وفيهِ ٤٣١ صفحة بقطع كبير . وقدَّم لهُ مقدمة انكليزية ذكر فيها ما عاناهُ من المشقة في تصحيح النسخة التي اطلع عليها وهي الوحيدة من المجلد الاول من الكتاب فاضطرَّ ان يراجع الكتب التي نقل ياقوت عنها والكتب التي نقلت عنهُ

والكتاب يبتدئ بمقدمة مسهبة للمؤلف ذكر فيها اسماء الكتَّاب الذين الفوا في هذا الموضوع مثل محمد بن عبد الملك التاريخي وابن درستويه والمرزباني والسيرافي ومحمد بن حسن الاشبيلي وابي المحاسن المفضل المغربي وابن الانباري . وقال انهُ جمع فيهِ تراجم البصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وتفاوت الازمان

اما التراجم التي وردت في هذا الجزء فعددها ١٢٥ تبتدئ بآدم بن احمد الهروي وتنتهي باحمد ابن المعمر . ومن المشاهير الذين وردت تراجمهم في هذا الجزء الزجَّاج والضبي والصولي وبديع الزمان الهمذاني وابي العلاء المعري وقد شغلت ترجمة المعري نحو ستين صفحة عدا ما حذفهُ منها الاستاذ مرغوليوث . والخطيب البغدادي ونفطويه والصابي

والكتاب مطبوع طبعاً حسناً في مطبعة هندية بمصر ومجلد تجليداً مذهباً وعلى جلده بيت عربي وبيت فارسي وبيتان تركيان والعربي هو البيت المشهور القائل

تلك آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا الى الآثارِ

والفارسي لجلال الدين الرومي ومعناه

اذا متنا فافئدة الانامِ لنا مثوى وليس صفا الرغامِ

والتركي لكمالي باشا زاده ومعناه

ان ذكاءه شمل العالم ظله وفي وقت قصير عمل اعمالاً كبيرة فهو كشمس المغيب طويلة الظل قصيرة الاجل

التقرير السنوي

لدار العلم السمثسونية عن سنة آخرها ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٦

في هذا الكتاب النفيس خلاصة اعمال المجلس الموكول اليه ادارة الاموال المخصصة لنشر العلوم والمعارف وهي المعروفة بهبة سمثسن وكانت هذه الاموال اولاً مئة الف جنيه ثم اضيفت اليها هبة من توما هدكنس تبلغ نحو خمسين الف جنيه فبلغت كلها مع الفوائد نحو مئتي الف جنيه ينفق ريعها على المباحث العلمية ونشر المقالات المفيدة وقد نشر في هذا الجزء ٢٨ مقالة لمشاهير العلماء من انكليز وفرنسويين والمانيين وايطاليين وغيرهم

حياة الزوجين

تأليف حضرة مصطفى افندي عبد اللطيف احد موظفي مصلحة البوسطة المصرية بالقاهرة

كتاب جامع لكثير من الفوائد التفت مؤلفهُ الى الآيات والاحاديث والسنن واقوال الكتّاب والمنشئين في كل عصر واختار منها ما يناسب موضوعهُ وهو لزوم الزواج وفوائدهُ والامور التي يعلو بها والامور التي يسفل بها فانتقى كثيراً من شذور المجلات المصرية سواء كانت من انشاء اصحابها او من مقتطفاتهم ومن بعض الكتب الادبية وعزا اكثر ما انتقاهُ الى مصادرهِ وعقد ذلك في فصول مختلفة مثل الزواج وفوائدهِ وماذا يجب في الخطبة وما يجب على المرأة نحو زوجها وماذا يجب على الرجل نحو زوجتهِ وتأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية وتربية البنات . ومما ذكرهُ في باب واجبات الزوج نحو زوجتهِ قولهُ

"انظر الى الاوربيين حتى الدرجة الوسطى والدنيا منهم تتمثل لعينك حالة العيلة الحقيقية اذ ترى هناك ما لا نرى لهُ اثراً عندنا من الائتلاف بين افراد العيلة من كبيرها

الى صغيرها ترى عندهم المشاركة في الحياة الاجتماعية على اجمل صورها وابهى هيئتها وترى التضامن العيلي على ابدع اشكاله واسمى انواعه. فاذا طرقت باباً لهم في ساعة تناول الطعام مثلاً وجدت العيلة حول المائدة تمثل تلك الهيئة الاجتماعية وقد قام في صدرها الاب (الرئيس) واحاط سائر اعضاء تلك الهيئة به ودار الحديث بين الكبار الذين يعرفون والصغار الذين يجهلون فاولئك يفيدون وهؤلاء يستفيدون والاب الرئيس يدير نظام ذلك الاجتماع. فما ابهى واجمل مثل هذا الائتئام؟ بل ما ابهى وما اجمل — على قول داود النبي والملك — "ان ترى اولادك حول مائدتك كاغراس الزيتون"

وطبع الكتاب غير حسن ولكن تجليده حسن وهو يقع في ٢٥٦ صفحة بقطع معتدل

فهرس كتب الكيمياء

A Select Bibliography of Chemistry 1492—1902.

اهدت الينا السيدة الفاضلة مسز بولتن زوجة المأسوف عليه الاستاذ هنري كارنتون بولتن هذا الجزء من الكتب التي الفها المرحوم زوجها جامعاً فيها تاريخ علم الكيمياء واسماء كل الكتب التي وضعت فيه من قديم الزمان الى الآن وكان قد طلب منا ان نرسل اليه اسماء كتب الكيمياء العربية التي وقفنا عليها. والمطلع على هذا الفهرس يعجب من كثرة الكتب التي أُلفت في هذا الفن ومن اشتغال اهالي اوربا بالكيمياء القديمة ووضعهم الكتب فيها حتى في هذا العصر فان اسماء الكتب التي وضعت في القرن التاسع عشر في الكيمياء القديمة وعنها ملأَت ١٩ صفحة

كتاب جواهر الحكماء

اهدت الينا ادارة مجلة المحيط هذا الكتاب وهو يشتمل على كتابين اولها كتاب الادب الكبير للكاتب البليغ عبد الله بن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة وثانيهما كتاب بهجة المجالس للحافظ الاندلسي وقد وجد حضرة صاحب المحيط هذين الكتابين في المكتبة الخديوية وهما لا يزالان خطاً فطبعهما واهداهما الى مشتركي مجلته فوقع الاول منهما في ٢٥ صفحة والثاني في ١٢٠ صفحة. والكتابان حافلان باسمى الفوائد وابلغ الحكم ويا حبذا لو ابقاها على اصلها فان في نشر الكتب القديمة المحفوظة خطاً كما هي تماماً فائدة علمية كما في ما تتضمنهُ حتى لقد تجد العلماء الآن ينشرون الكتب القديمة مصورةً بالفوتوغرافيا حتى تبقى على اصلها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرره سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) انقباض القزحية

خليج العجم بالبحرين . احد المشتركين . عندنا ولد كان يلعب يوماً بمكنسة فاصاب عود دقيق منها مُقلة عينهِ اليمنى في القزحيَّة تحت البؤبوء فجرحها قليلاً . فعولجت العين بوضع بعض الادوية فيها وكان البؤبوء يظهر اياماً بعد الحادثة وتحتهُ مادة صفراء كانها مِدَّة ثم زالت المادة تدريجاً وعند تمام زوالها لم يعد البؤبوء يظهر البتة وصار الولد لا يرى بالعين شيئاً وعندئذٍ أُخذ الى طبيب الماني فظنَّ الطبيب ان البؤبوء قد تغطى بطبقة فيدعو الامر الى عملية جراحية لازالة تلك الطبقة . فاجرى الطبيب العملية ولكن ظهر منظر العين بعد العملية مثلهُ قبلها فالبؤبوء غير ظاهر ولون القزحيَّة مكدر قليلاً والولد لا يرى بعينهِ شيئاً وان ظهر للناظر اليهِ عن بعد كأن لا ضرر في عينهِ وحكم الطبيب بعد العملية بيبوسة العصب البصريّ فهل من رجاءٍ بعد في شفاء عين الولد وما العلاج اللازم

ج يظهر من كلامكم ان العين اصيبت بالتهاب في القزحية انتهى بانقباضها والتصاقها بالعدسة فلم يعد يظهر البؤبوء والطبيب الذي اجرى العملية كان قصدهُ عمل حدقة اصطناعية وهو مصيب في ذلك وسبب عدم نجاحهِ على الغالب هو ان الالتهاب كان قد امتدَّ الى المشيمة والشبكية فالعصب البصري ففي هذه الحالة لا رجاء في شفاء العين وعلى كل حال يصعب كثيراً تشخيص الحالة عن بعد

(٢) المساكن المسكونة

الاسكندرية . الخواجه ارنست حسون . أصحيح ما يزعمهُ الناس وهو ان بعض المساكن يكون مسكوناً اي يوجد فيهِ عفاريت وما اشبه

ج كلا وكل ما يروى من هذا القبيل اوهام وخرافات لا صحة لها لانهُ لم يثبت منهُ شيء لدى التحقيق

(٣) علامات الاستفهام والتعجب

ام درمان عبد الله افندي العربي . أرى

الكتّاب في مصر يستعملون هاتين العلامتين الافرنجيتين ? و ! للاستفهام والتعجُّب فهل استعملها الكتّاب الشرقيون الاقدمون قبلاً وهل عندنا في العربية ما يقوم مقامها

ج لم يستعملها كتّاب العربية الأمنذ عهد قريب حيث يراد تأكيد الاستفهام والتعجُّب او يخشى اللبس. ومعلوم ان للاستفهام والتعجب في العربية ادوات خاصة ولكن قد لا تظهر او لا يتضح مدلولها كما اذا حذفت همزة الاستفهام قبل اداة التعريف وكما اذا لم يظهر الاعراب بعد ما التعجبية فتلتبس بالاستفهامية او بالنافية . ولا بأس باستعمال كل ما يزيد المعنى وضوحاً لان زيادة الخير خير

(٤) الجنسية الاجنبية

منتريال بكندا . الخواجه جرجس حنا جبور المارديني . هل تعتبر الدولة العثمانية المتجنسين بالجنسية الانكليزية وهم في الممالك العثمانية كاعتبارها للانكليز انفسهم

ج اذا كانوا اصلاً من رعاياها فلا تعتبرهم كالانكليز الا اذا صادقت على تجنسهم واذا كانوا اصلاً من غير رعاياها كالايرانيين والافغانيين ونحوهم اعتبرتهم كالانكليز تماماً.

(٥) التجنس في المستعمرات

ومنهُ . هل مَن يحصل على الجنسية الانكليزية من العثمانيين من احدى مستعمرات انكلترا كالهند وكندا واستراليا تعتبر جنسيتهُ هذه كما لو نالها في البلاد الانكليزية نفسها

ج نعم اي ان الدولة العلية تعتبرهُ متجنساً بالجنسية الانكليزية اذا صادقت على تجنسهِ والاَّ فلا وها كم نص القانون العثماني المتعلق بذلك

" ان الاشخاص الذين هم من تبعة السلطنة السنية و يدخلون في التابعية الاجنبيَّة برخصة الحكومة السنية يعتبرون و يعاملون بمنزلة تبعة اجنبية من تاريخ تبديل تابعيتهم ولكن مَن دخل في تابعيَّة اجنبيَّة بدون رخصة من جانب الحكومة السنية تعتبر تابعيتهُ الجديدة هذه كأنها لم تكن. . . وفي الاجمال لا يستطيع احد من التبعة العثمانية في اي حال ان يترك تابعيتهُ الاَّ بعد ان يستحصل الرخصة بموجب ارادة سنية (قانون التابعية العثمانية المادة الخامسة) وايضاً " ان اولاد الاشخاص الذين خرجوا من تابعية الدولة العلية او حُرِموها ولو كانوا قصَّراً لا يتبعون صفة تابعية آبائهم ويبقون في تبعية السلطنة السنيَّة " (المادة الثامنة)

(٦) حماية المتجنسين

ومنهُ . هل تحافظ الدولة الانكليزية على المتجنسين بجنسيتها من العثمانيين حيثما كانوا موجودين ولو خارج ممالكها ومستعمراتها وهل يلزمهم ان يأخذوا الباسبورت وقت السفر ويعرضوهُ على قنصل انكلترا

ج تحافظ عليهم وتعاملهم حسب ما بينها وبين الممالك التي هم فيها من المعاهدات

(٧) الاجانب في مصر والسودان

ومنهُ . ما هو مركز العثماني المتجنس بالجنسيَّة الانكليزية في مصر والسودان وهل يعامل مثل الانكليز

ج نعم اي انهُ يتمتع بالامتيازات الاجنبية في مصر فتنظر قضاياهُ المدنية في المحكمة المختلطة والجنائية في القنصلاتو الانكليزية واما في السودان فلا امتيازات للاجانب فيحاكم هو والانكليز في المحاكم السودانية مثل غيرهم من سكان السودان . وكل العثمانيين المتجنسين بجنسيات اجنبيَّة يكون اولادهم عثمانيين وتقسم مواريثهم حسب الشريعة العثمانية

(٨) النفس بعد الموت

ومنهُ . طالما لا وجود للنفس الاَّ باحياء المادة او باتحاد المادة مع الحياة الحيوانية فكيف يمكن ان تكون النفس عديمة الممات بعد انفصال المادة عن الحياة او بعد الموت. وهل تعلم النفس بعد الموت بوجودها الحاضر او الماضي حينما كانت متحدة بالجسد وهل النفس عديمة التألم بعد الموت

ج يظهر لنا انكم تطلبون منا ان نجيبكم عن هذه المسائل من باب علمي طبيعي اي من باب ما عُلم بالاستقراء والامتحان فعلوم الاستقراء والامتحان لا تنفي وجود النفس بل تثبت وجود قوة في الانسان غير جسمهِ المادي . وهي التي يسميها الروحيون نفساً . وتثبت ايضاً ان النفس توجد ولو لم تكن متصلة بالمادة لانها تنفي التلاشي . ولا تنفي علم النفس بحاضرها وماضيها . وان كانت النفس تعلم شيئاً وهي متصلة بالجسد فليس ما يوجب زوال هذا العلم منها اذا فارقت الجسد . واذا كان الشعور من صفات النفس فليس ما يمنع شعورها بالالم الادبي بعد مفارقتها للجسد

(٩) شعور العجماوات بالطرب

مصر . محمد افندي مغازي البرقوي .
هل للحيوان الاعجم شعور يدرك بهِ الغناء فيطرب لسماعهِ

ج روى الثقات انهم رأَوا بعض الحيوانات تطرب من سماع الغناء اما نحن فلم نرَ حتى الآن حيواناً يطرب حقيقة من سماع الغناء ولكننا نظن ان الجمال تُطرب من سماع حداء الحادي والظاهر ان تأثير الغناء في بعض الحيوانات شخصي لا نوعي فقد روي عن فارة انها كانت تطرب من سماع الاصوات الموسيقية فجربنا فعل الاصوات الموسيقية بفيران كثيرة فلم نرَ لها تأثيراً فيها . ورأينا الديوك الروميَّة تتأثر من بعض الاصوات تأثرًا شديدًا لكن يعسر الحكم في انهُ طرب او اشمئزاز . ونرى خيل الجنود تصغي الى نغم الموسيقى وتوقع خطواتها بحسبها ولكن يحتمل ان الفرسان يرشدونها الى ذلك

بحركاتهم ولو على غير انتباه منهم

(١٠) احراش سورية

مدرسة نيويورك الجامعة. متري افندي نجار. هل في سورية احراش وما نوع شجرها وكم اتساعها وهل الحكومة مهتمة بشأنها وبتوسيع نطاقها

ج لم نرَ حتى الآن بحثاً لاحد في هذا الموضوع ولذلك ذكرنا سؤالكم لكي يطلع عليهِ ابناء سورية المقيمون فيها عسى ان يجيب احد منهم الجواب الشافي عنهُ . والذي بقي في بالنا ان في لبنان احراشاً كثيرة اكثرها من الصنوبر كحرش بيروت واحراش المتن والعرقوب وبعضها من السنديان كحرش الشعرة في بلاد بعلبك او من الارز كارز لبنان وارز الباروك . او الشربين والملول وما اشبه. وفي شمال سورية وجنوبها احراش كثيرة من الارز والسنديان وقد جار الناس على الاحراش بالحرق لاستقطار القطران من الارز والاشجار التي من جنسهِ ولعمل الفحم من السنديان ونحوهِ من الاشجار واستمروا على ذلك الى زمن الحرب الاهلية سنة ١٨٦٠ ثم اهتمَّ فرنكو باشا متصرف جبل لبنان بزرع غابات الصنوبر فيهِ فزرعت في اماكن كثيرة واهتمَّ من بعدهُ بتصوين ارز لبنان ولولا قطعان المعزى الكثيرة في لبنان لكانت الاحراش فيهِ اكثر واوسع مما هي الآن . ولا يظهر ان الحكومة مهتمة اهتماماً كبيرًا بحفظ الاحراش في سورية ولكن الاهالي صاروا يهتمون بحفظها فالمملوك منها يهتم بهِ مالكوهُ والمشاع يهتم بهِ اهل البلد التابع لها ولا سيما بعد ان قسمت الاراضي المشاعة بين البلدان المجاورة حتى الاحراش المتنازع في ملكيتها ولو بالمشاع يهتم المتنازعون بمنع الاعتداء عليها . ولو زيدت العناية بغرس الاحراش وحفظها لكان منها ربح وافر للبلاد

(١١) ضرب الجنيه المصري

مصر . عبد المجيد افندي سليمان . لماذا لا يضرب الجنيه المصري الآن وما هي المصلحة التي روعيت في ابطالهِ أَوَ لا ترون ان في وجودهِ اماناً لمصر من الوقوع في ازمة مالية كالتي وقعت فيها في هذه الايام والتي لم ننظر فيها رأي المقتطف الذي عودنا الخوض في مثل هذا البحث وهو من الاهمية بمكان

ج لا نرى مانعاً يمنع من ضرب الجنيه المصري الاَّ قلة سبائك الذهب في هذا القطر ولكن اذا شاءت الحكومة ان تعود الى ضربهِ فلا يتعذَّر عليها ان تشتري سبائك الذهب من اوربا او ان تصك الجنيهات فيها واذا كثرت الجنيهات المصرية في هذا القطار فقد تؤَثر كثرتها في تقليل الضيقة المالية ولكنها لا تزيلها لان اغنياء القطر لا يهتمون بحركة النقود فتراهم يودعون اموالهم البنوك ولو بقيت فيها اعواماً كثيرة من غير ربح . ويقال ان في بنوك القاهرة الآن ثلاثة

ملايين من الجنيهات لاغنياء مصر مودعة من غير ربع او بربع قليل نحو ٢/١ ٢ في المئة . اما الضيقة الحاضرة فاسبابها كثيرة اهمها (١) خسائر الناس الكبيرة بالمضاربات (٢) خوف البنوك من مد عملائها بالاموال حسب العادة لئلا يضاربوا بها او يوفوا بها ديونًا عليهم (٣) غلاء النقود في اوربا على اثر الازمة المالية التي وقعت في اميركا (٤) كثرة اسراف القطن المترتب على نجاحهِ في السنين الاخيرة فان قيمة الواردات زادت زيادة فاحشة في العام الماضي والذي قبلهُ وقد دفع القطن ثمن الزيادة بخسرِ اكثر ما دفعهُ ولما رأى بائعو الكماليات والزخارف ان الناس في سعة جعلوا يغالون بثمن السلع فما يدفعون ثمنهُ في فرنسا جنيهين باعوهُ في مصر باربعة جنيهات او خمسة فكل ما ربحوهُ خسرهُ اهالي القطر . وجاء رخص ثمن القطن الآن ثالثة الاثافي . ولا تُصلح الحال وتعود المياه الى مجاريها الا بالامتناع عن المضاربة وتقليل النفقات والاهتمام بزيادة المكاسب التي نكسبها من الخارج . وشأن البلاد كلها في ذلك شأن كل بيت على حدتهِ فان رب البيت اذا رأى الخراب يتهددهُ لزمهُ ان يجتهد ليزيد ربحهُ ويقلل نفقتهُ وان يتجنب كل الاعمال التي يدلُّ الاختبار على انها غير مأمونة العاقبة

(١٢) نور كنيسة القيامة

الاسكندرية . احد المشتركين . هل النور الذي يشاهد في كنيسة القيامة بالقدس الشريف صباح يوم عيد الفصح حسب الطقس الشرقي قديم العهد ومتى ظهر اولاً

ج ذكر الدكتور ربنصن في كتابهِ المشهور عن فلسطين ان الراهب برنهارد الحكيم هو اول من ذكر هذا النور وذلك سنة ٨٦٧ للميلاد اي منذ الف واربعين سنة فقد قال انهُ بعد خدمة القداس ينزل ملاك وتنار المصابيح المعلقة فوق القبر فيعطي البطريرك هذه النار (النور) الى المطران والى سائر الشعب لكي ينير كلٌّ منهم بيتهُ

وقال الارشدبكن دولنج انهُ توجد اشارة الى هذا النور في تواريخ رودلفس غلابر سنة ١٠٤٨ وفي رحلة الراهب الروسي دانيال سنة ١١٠٦ الى ١١٠٧ حيث قال ان امام القبر قنديلاً مشتعلاً يطفأ من نفسهِ يوم الجمعة الحزينة ثم يضيء من نفسهِ في الساعة التي قام فيها الرب

ويقال الآن ان البطريرك الاورشليمي لا يدَّعي انهُ يصنع اعجوبةً بل يقول ان هذا النور رمز لانتشار التعليم المسيحي في الدنيا وان خدمة الدين الروسيين يودون ابطال ذلك ولا يسلمون يبقائهِ الا ارضاء للزوار الشرقيين



شجرة الصابون

قرأْنا في السينتفك اميركان وصفاً مسهباً لشجرة الصابون التي ذكرناها في العام الماضي في الصفحة ٢٦٣ من المقتطف . فقد جاء فيها ان المستر كدنر قنصل اميركا في الجزائر وصف هذه الشجرة في تقريرهِ فقال ان اصلها من بلاد الصين وهي جميلة المنظر ويبلغ ارتفاعها خمسين قدماً وتبتدئ تحمل ثمرًا حينما يصير عمرها ست سنوات . وخشبها محشوك الدقائق يصقل جيدًا ويصلح لعمل الاثاث . وتبلغ غلَّة الشجرة البالغة ٢٠٠ رطل (ليبرة) من الاثمار تباع بجنيهين الى اربعة جنيهات وفي كل ثمرة بزرة حولها قشر والمادة الصابونية في القشر وهي من ٣٠ الى ٤٠ في المئة منهُ . ويقطع القشر ويفرك بالماء فيرغي كالصابون تماماً وينظف مثل الصابون الجيد بل لا يوجد صابون صناعي اجود من هذا الصابون الطبيعي او يقاربهُ في جودتهِ ولا سيما لغسل اليدين والوجه . ويمكن سحق القشور وعمل اقراص من مسحوقها فتستعمل كالواح الصابون تماماً ويمكن نقعها بالماء واستعمال نقاعتها لغسل الشعر . وكيفما استعملت فهي اجود من الصابون وارخص

وفي البزرة نواة فيها زيت اجود من زيت الزيتون من كل وجه سواء استعمل في الطعام او في الصناعة . ومقدار الزيت فيها كثير جدًّا اكثر ما في حبوب الزيتون . واذا كثر البزر حتى صار يمكن استخدام الآلات لعصر الزيت منهُ صار ثمنهُ رخيصاً ارخص من زيت بزر القطن وطعمهُ نيئاً اطيب من طعم اي زيت آخر . ويبقى من البزر كسب تأكلهُ الفراخ والمواشي وهو علف جيد جدًّا لها . وورق الشجرة علف للمواشي لا مثيل لهُ

ويمكن استعمال الثمر دواء في منع فيضان اللعاب والصرع . ويستعمل ايضاً منفثاً . ويقال ان بزرهُ اذا سُحق وجُبل بالماء اوقف نوبات الصرع . ويوصف ربُّ الثمر دواء للمصابين بالمرض الاخضر او فقر الدم . انتهى

هذا ويليق بالجمعيَّة الزراعية الخديوية ان تجلب بزور هذه الشجرة من بلاد الجزائر وتزرعها في القطر المصري لانها اذا كانت لها كل هذه الخواص ووافقها هواء القطر المصري وتربتهُ كانت من اكبر النعم من حيث صابونها وزيتها وخشبها

الراديوم وحرارة الارض

لا يخفى ان حرارة الارض تزيد بالتعمق فيها كما ثبت بالامتحان وكان المظنون ان حرارة باطن الارض بقية من الحرارة القديمة التي كانت في الارض حينما كانت سائلة من شدة الحمو بعيد انفصالها عن الشمس او عن السديم الذي تكوّنت منهُ الشمس وسياراتها ولكن لما كشف الراديوم وثبت ان فيهِ حرارة ذاتية وانهُ موجود في الارض ذهب الاستاذ ردرفرد الى ان حرارة الارض متولدة من الراديوم الذي فيها وحسب ان الراديوم الذي في قشرة الارض يشع كل الحرارة التي فيها · لكن الاستاذ سترت حسب ان حرارة الراديوم تزيد على الحرارة التي في الارض ولذلك فهو غير موجود في باطنها كما هو موجود في قشرتها وسمك قشرتها هذه لا يزيد على ٤٥ ميلاً وتحتها مادة غير جامدة لا تقل حرارتها عن ١٥٠٠ درجة بميزان سنتغراد

بن هدد ملك ارام

قال المسيو بونيون قنصل فرنسا في ما بين النهرين انهُ كشفت كتابات ارامية من القرن الثامن قبل المسيح تشير الى بن هدد ابن حزائيل ملك دمشق الذي يشار اليهِ في سفر ارميا وعاموص والملوك الثاني من اسفار التوراة · ويقال في هذه الكتابة ان ملكاً من ملوك سورية اسمهُ زاكر تغلَّب على بن هدد واعوانهِ · وكانت المعركة في مكان اسمهُ هزرك · واسم الاله الذي يقول بن هدد انهُ اعانهُ بعل شميم او اله السماء · واسم بن هدد في الكتابة بار هدد

قاسم بك امين

فجع القضاء والاصلاح بوفاة قاسم بك امين فجأة في الحادي والعشرين من ابريل مساء وهو صاحب كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة · وسنوافي القراء بخلاصة ترجمتهِ في الجزء التالي

ترعة السويس

ترتيب الدول التجارية بحسب محمول سفنها التي في مرت في ترعة السويس في العام الماضي

(١)	انكلترا	١٢٩٨٥٢٤٥ طناً
(٢)	المانيا	٠٣١٧٠٤٤٣ "
(٣)	فرنسا	٠١١٩٨٧٣٦ "
(٤)	هولاندا	٠٠٨٨٠٨٧٧ "
(٥)	النمسا	٠٠٦٠٦٩٦٩ "
(٦)	اليابان	٠٠٣٣٧٣٠١ "
(٧)	روسيا	٠٠٣٢٣٨٦٣ "
(٨)	ايطاليا	٠٠٢٨٣٧٩٠ "
(٩)	الدنمارك	٠٠١٣٦٣٠١ "

(١٠)	اسبانيا	٠٠١٠٥٧٦٦ طنًّا
(١١)	تركيا	٠٠٠٩٣٣١٩ "
(١٢)	نروج	٠٠٠٧٢٣٨١ "
(١٣)	اليونان	٠٠٠٦ ٤١١ "

الموانى الكبيرة

ذكرنا في الجدولين التاليين الموانى التجارية الكبيرة التي اتى من كلٍّ منها في العام الماضي من السفن المارة بترعة السويس ما محمولهُ اكثر من نصف مليون طن وذهب اليها من السفن ما محمولهُ اكثر من نصف مليون طن

اسم المينا	محمول السفن الآتية منها
(١) لفربول بانكلترا	٢١٨٦٩٤٠
(٢) لندن "	١٨٢٦٧٣٤
(٣) كلكتا "	١٧٥١٣٣٢
(٤) بمباي بالهند	١٦٢١٤٠١
(٥) يوكاهاما باليابان	١١٢٣١٦٥
(٦) كراشي بالهند	١٠٠٤٩٥٧
(٧) سدني باستراليا	٠٩٧٣٠٦٨
(٨) رنغون بالهند	٠٦٤٦٦٠٨
(٩) مرسيليا بفرنسا	٠٦١٧٣٢٠
(١٠) بتافيا في جاوى	٠٥٥٤١٩٩

اسم المينا	محمول السفن الذاهبة اليها
(١) لندن بانكلترا	٢٧١٩٧١٦
(٢) كلكتا "	١٤٤٢٤٦٥
(٣) همبرج بالمانيا	١٣٧١٣٦٧
(٤) بمباي بالهند	١٢٩٣٩٦١
(٥) مرسيليا بفرنسا	١١٨٢٤١٢
(٦) يوكاهاما باليابان	٠٨٥١٨٩٦
(٧) بورت سعيد بمصر	٠٥٨٢٧٦١
(٨) لفربول	٠٥٣٧٧٢٢
(٩) قراشي بالهند	٠٥٠٠٩٢١

الاستاذ دَرَنبرج

نعي الينا من باريس الاستاذ درنبرج المستشرق الشهير . توفي فجأة صباح الاحد في الثاني عشر من ابريل . قال مكاتبنا " لقيتهُ يوم السبت وتحدثنا طويلاً فاشار الى ما ذكرتموهُ عنهُ في المقتطف الاخير (صفحة ٣٠٨) شاكرًا فضلكم . ولقد ذهب مأسوفًا عليهِ لانهُ كان من المستشرقين المعدودين في فرنسا واحد اعضاء اكادمية العلوم المشهورين فشيعت جنازتهُ بعد ظهر الثلاثاء باحتفال عظيم

الجوهر الفرد

ذكرنا في مقتطف مارس ان اول مَن قال بالجوهر الفرد رجل من اهالي صيداء اسمهُ موخوس على ما رواهُ بوسيدونيوس الفيلسوف السوري الذي نشأ قبل المسيح باكثر من مئة سنة . وقد كتب بعضهم الآن الى جريدة نايتشر يقول ان عالمًا انكليزيًّا اسمهُ رلف كدورث الَّف كتابًا في اواسط

القرن السابع عشر اشار فيهِ الى ما ذكرهُ بوسيدونيوس من ان القائل بالجوهر الفرد رجل من اهل صيداء اسمهُ موخوس ورجح ان موخوس هذا هو موسى الكليم نفسهُ فان جمبليكوس قال في سيرة فيثاغورس الفيلسوف انهُ اقام مدةً في مدينة صيداء وتذاكر مع الانبياء خلفاء موخوس الفيلسوف وتعلّم منهم وهم من كهنة الفينيقيين ولذلك وجب ان ينسب القول بالجوهر الفرد الى موسى لا الى ابيقورس ولا الى ديموقريطس" . وليس العبرة عندنا بمن قال بهذا القول اولاً ولا بكونهِ سوريًّا او يهوديًّا بل العبرة ان سلفاءنا كانوا يبحثون منذ خمسة وعشرين قرنًا في مواضيع لا يفهمها ابناؤُهم الآن ولا تخطر على بالهم

الاحتفال بحافظ

حافظ افندي ابرهيم شاعر مشهور دأْبهُ التنويه بفضل الفضلاء من السوريين والفضل يعرفهُ ذووهُ فاقام بعض السوريين حفلة لاكرامهِ في فندق شبرد وتلوا الخطب والقصائد في مدحهِ واهدوا اليهِ دواة من الفضة وقلمًا من الذهب فاجابهم بقصيدة عامرة الابيات قال فيها

لمصر ام لربوع الشام تنتسبُ
هنا العلى وهناك المجد والحسبُ

ركنان للشرق لا زالت ربوعهما
قلبُ الهلال عليها خافقٌ يجبُ

خدران (للضاد) لم تهتك ستورهما
ولا تحوَّل عن مغناهما الادبُ

أُم اللغات غداة الفخر أُمهما
وان سأَلت عن الآباء فالعربُ

ايرغبان عن الحسنى وبينهما
في رائعات المعالي ذلك النسبُ

ولا يمتّان بالقربى وبينهما
تلك القرابة لم يقطع لها سببُ

اذا أَلمت بوادي النيل نازلة
باتت لهُ راسيات الشام تضطربُ

وان دعا في ثرى الاهرام ذو أَلمٍ
اجابهُ في ذرى لبنان منتحبُ

لو اخلص النيل والأُردنُّ ودّهما
تصافحت منهما الامواه والعُشُبُ

بالواديين تمشى الفخر مشيتهُ
يحفُّ ناحيتيهِ الجود والدأْبُ

فسال هذا سخاء دونهُ ديمٌ
وسال ذاك مضاء دونهُ القضبُ

نسيمَ لبنان كم جادتك عاطرة
من الرياض وكم حياك منسكبُ

في الشرق والغرب انفاس مسعرةٌ
تهفو اليك واكباد بها لهبُ

لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلاً
من طيب رياك لكنَّ العلا تعبُ

كم غادةٍ بربوع الشام باكيةٍ
على اليفٍ لها يرمي بهِ الطلبُ

يمضي ولا حلية الاَّ عزيمتهُ
وينثني وحلاهُ المجد والذهبُ
بكرُ صرف الليالي عنهُ منقلباً
وعزمهُ ليس يدري كيف ينقلبُ
بارض (كولمب) ابطالٌ غطارفة
اسدٌ جياعٌ اذا ما وثبوا وثبوا
لم يجمهم علمٌ فيها ولا عددٌ
سوى مضاء تحامى وردهُ النوبُ
اسطولهم اهلٌ في البحر مرتحلٌ
وجيشهم عملٌ في البرّ مغتربُ
لهم بكلّ خضمّ مسربٌ نهجٌ
وفي ذرى كل طودٍ مسلك عجبُ
لم تبدُ بارقةٌ في أُفق منتجعٍ
الاَّ وكان لها بالشام مرتقبُ
ما عيبهم انهم في الارض قد نثروا
فالشهب منثورة مذ كانت الشهبُ
ولم يضرهم سراة في مناكبها
فكل حيٍّ لهُ في الكون مضطربُ
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
الى المجرّة ركباً صاعداً ركبوا
او قيل في الشمس للراجين منتجع
مدُّوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت
امُّ اللغات بذاك السعي تكتسبُ
فأين كان الشآميون كان لها
عيشٌ جديد وفضل ليس يحتجبُ
هذي يدي عن بني مصر تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العربُ
فما الكنانة الاَّ الشام عاج على
ربوعها من بنيها سادة نجبُ
لولا رجال تغالوا في سياستهم
منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم
فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا

ومن الخطب التي تليت حينئذٍ خطبة لسليمان افندي البستاني في الشعر والشعراء وخطبة لسليم بك باخس في اكرام الرجال للرجال ومن القصائد قصيدة لنقولا افندي رزق الله وقصيدة للامير شكيب ارسلان وقصيدة للافوكاتو امين افندي البستاني وقصيدة لاسعد افندي رستم وقصيدة للدكتور ابرهيم شدودي . وحبذا لو جمعت القصائد والخطب في مجموعة واحدة حرصاً على فوائدها وتذكاراً للمحتفل بهِ

وطن الفيل

انشأ المستر لَل مقالة في اصل الفيل ونشوئهِ نشرها في مجلة العلم الاميركية بيَّن فيها ان وطن الفيل الاصلي بلاد الفيوم في القطر المصري حيث وجدت آثار اسلافهِ وهي من عصر الايوسين من العصور الجيولوجيَّة ثم انتقلت اسلاف الافيال من افريقية الى اوربا على لسان من البر كان يصل تونس بصقلية وانتشرت في اوربا

وانتقلت منها الى اسيا وتغيرت هناك الى ان صارت افيالاً حقيقية ثم هاجرت من اسيا شرقاً وغرباً فالتي ذهبت شرقاً وصلت الى اميركا بطريق بوغاز بيرنغ والتي ذهبت غرباً وصلت الى افريقية هي والزرافة والأكابي والأيل فعاد الفيل الى وطنهِ الاصلي في قارة افريقية بعد ان تحوَّل في قارة اسيا . وسنلخص هذه المقالة في بعض الاجزاء التالية

ذهب الهند

بلغ الذهب المستخرج من مناجم ميسور ببلاد الهند ٢٣ مليوناً و ٣٨٤ الف جنيه وذلك من حين فتحت سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٩٠٥

تجارة المغيط

المغيط او اللستك او الصمغ الهندي مادة معروفة اضحت كثيرة الاستعمال لأطر المركبات على انواعها . وقد بلغ الوارد منهُ الى معامل اوربا واميركا في العام الماضي ٦٩ الف طن وكان الوارد في العام الذي قبلهُ ٦٥ الف طن واكثرهُ من البرازيل فان الوارد منها بلغ ٤١٥٠٠ طن وكان ٣٨٠٠٠ طن سنة ١٩٠٦ . وورد من غربي افريقية ١٧٠٠٠ طن كما ورد منها سنة ١٩٠٦ . والمجال واسع جدًّا لزرع الاشجار والانجم التي يستخرج منها المغيط لان تجارتهُ وصناعتهُ آخذتان في الاتساع

احذية لا تتعب الرجل

الحذاء الجديد يتعب لابسهُ في الغالب وان لم يتعبهُ جديداً اتسع متى قدم وتغير هندامهُ . وقد استنبط الفرنسويون طريقة لعمل احذية لا تتعب الاقدام وذلك بان يفرغوا الجبس في الحذاء القديم فيخرج الجبس قالباً مثل قدم الذي كان لابساً ذلك الحذاء ثم يصنعون قالباً من الخشب مثل قالب الجبس تماماً ويصنعون الحذاء عليهِ فيخرج كالحذاء القديم في شكلهِ الداخلي اي كقدم اللابس

غرائب حسابية

الغريبة الاولى . خذ الاعداد الوترية ١ و٣ و ٥ و ٧ الخ واجمع اي سلسلة اردت منها مبتدئاً من الواحد وربّع عدد الحلقات فالمربع يعدل مجموع الارقام في السلسلة . مثال ذلك السلسلة ١ و٣ و ٥ و ٧ و ٩ و ١١ . في هذه السلسلة ٦ حلقات ومربع الستة ٣٦ فمجموع الحلقات ٣٦

الغريبة الثانية . اذا كعّبت الاعداد الطبيعية ١ و ٢ و ٣ و ٤ الخ فمجموع مكعباتها يساوي مربع مجموعها . مثال ذلك ان مكعب ١ و ٢ و ٣ هو ١ و ٨ و ٢٧ = ٣٦ ومجموع ١ و ٢ و ٣ = ٦ مربعها ٣٦

الغريبة الثالثة اذا قسم واحد على صبعة

فالخارج من ذلك كسر عشري غير متناهٍ وهو الخ ١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ . بتكرير هذه الارقام كلها وهي ١٤٢٨٥٧

الغريبة الرابعة . اذا ضُربت هذه الارقام وهي ١٤٢٨٥٧ في ١ بقيت على حالها طبعاً واذا ضربت في ٢ حصل ٢٨٥٧١٤ اي الارقام نفسها بعد نقل الرقمين الاخيرين من اليسار الى اليمين . واذا ضُربت في ٣ حصل ٤٢٨٥٧١ باعادة الرقم ٤ الى اليسار . واذا ضربت في ٤ حصل ٥٧١٤٢٨ واذا ضربت في ٥ حصل ٧١٤٢٨٥ واذا ضربت في ٦ حصل ٨٥٧١٤٢ اي تبقى الارقام نفسها ويبقى ترتيبها ايضاً ولكن ينتقل بعضها من اليمين الى اليسار او من اليسار الى اليمين كأنها مكتوبة في دائرة فلا تتغير بل يتغير المكان الذي يحسب منزلة الآحاد

كتاب المصابيح للبغوي

وقعت لنا نسخة قديمة من هذا الكتاب كُتبت سنة ٦٩٦ للهجرة اي منذ ٦٣٠ سنة وقد جاء في آخرها ما نصهُ

"وقد وقع الفراغ من كتبتهِ يوم الخميس في اواخر شهر الله الاصم رجب من شهور سنة ست وتسعين وستمائة بحمد الله وحسن توفيقهِ . صاحبهُ وكاتبهُ العبد الضعيف اقل خلق الله واعجز عبادهِ الراجي الى رحمة الله وغفرانهِ علي بن محمد بن لزبك المتوطن بقرية يس اللهمَّ اغفر لكاتبهِ ولقارئهِ ولمن نظر ولمن قال آمين رب العالمين حامداً ومصلياً على محمد وعترتهِ الطاهرين الطيبين"

والكتاب الى هنا في ٢٤٠ ورقة وبعدها ملحق فيهِ سبع ورقات . وخط الكتاب على تمام الوضوح وبعضهُ مضبوط بالشكل وعلى هوامشهِ وبين سطورهِ حواشٍ كثيرة تفسيرية بخطوط مختلفة والمظنون ان نسختنا هذه اقدم نسخة من كتاب المصابيح

مانعة الغرق

ان المنطقة التي تكون في السفن ليلبسها الانسان اذا غرقت السفينة وينجو بها قلما تصلح للنجاة لانها لا تبقي رأسهُ فوق الماء دائماً وقد استنبط بعضهم منطقة جديدة فيها عوامتان وشرائط تشد على الصدر والظهر فتقع العوامتان عند اعلى الصدر وعند اعلى الظهر فيبقى رأس الانسان فوق الماء ولو اراد ان ينزلهُ تحت الماء ما استطاع . واضاف الى هذه المنطقة قبعة يلبسها على رأسهِ لها ذيل يغطي رقبتهُ ليقيها من الشمس

البارجة ايوامي اليابانية

البارجة ايوامي اليابانية هي البارجة اورل الروسية غنمها اليابانيون ولم يتركوها على ما كانت عليهِ مع انها كانت من اقوى البوارج بل اصلحوها حسبما استفادوا من

اختبارهم الحربي فقصروا كل مدخنة من مدخنتيها عشرين قدماً ونزعوا الابراج التي حول صاريتيها وخفضوا سطحها . اي انهم حوَّلوها من الاسلوب الفرنسوي الى الاسلوب الانكليزي فثبت من ذلك ان الاسلوب الانكليزي لبناء البوارج افضل من غيرهِ

ذوات الاذناب

يظهر هذه السنة اربعة من ذوات الاذناب الدورية احدها مذنب انكي الذي كشف اولاً سنة ١٨١٨ ثم ظهر ثانية سنة ١٨٢٢ ومن ثم تكرَّر ظهوره كل نحو ثلاث سنوات وثلث سنة ويبطئ سيره نحو ثلثي يوم في كل دورة من مقاومة المواد المنتشرة في الفضاء . وقد ظهر هذا المذنب الآن ولكنهُ لا يرى الاَّ بالتلسكوب والثاني مذنب تمبل الذي رُوقب اولاً سنة ١٨٦٩ ومدتهُ خمس سنوات ونصف سنة ولذلك ظهر سنة ١٨٨٥ و١٨٩١ و١٨٩٧ و١٩٠٣

والثالث مذنب بننج وقد شوهد اولاً سنة ١٨٨١ ومدتهُ ثمان سنوات

والرابع المذنب الذي اكتشفهُ جيوكوبيني سنة ١٩٠٠

عصارة الصبير للبعوض

ان الطريقة المستعملة الآن لاماتة دود البعوض من المستنقعات هي صب زيت البترول فيها . وقد كتب قنصل الولايات المتحدة في بالرمو بايطاليا يقول انهُ اذا قطعت قروط الصبير ومرثت في الماء حتى خرجت العصارة اللزجة منها وصبت هذه العصارة في المستنقعات التي فيها دود البعوض اماتتهُ حالاً بالاختناق وهي تفضل على زيت البترول في البلاد الحارة لان زيت البترول يتبخر فيها سريعاً اما عصارة الصبير فتبقى اسبوعين على حالها

منع البرد

يقع البرَد احياناً في بعض البلدان فيتلف زرعها وقد زعم البعض ان اطلاق المدافع في الجو يمنع وقوع البرَد واشار بعضهم الآن بعمل بلونات صغيرة يطلقها في الجو وفي كل منها قليل من الديناميت فيطلق في الجو حينما يصل البلون الى الغيوم التي يتكون فيها البرَد فيبددها ويمنع وقوع البرَد منها

سكان الكواكب

كتب الدكتور لويس روبنصن مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية ابان فيها بادلة بيولوجيَّة كثيرة انهُ يستحيل ان يكون الانسان موجوداً في غير الارض من الاجرام السموية لان العوامل الكثيرة التي فعلت في نشوئهِ لم تتوفر في غير الارض

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثالث والثلاثين

الفصل التاسع

كشف غامض

جاء في الدكتور عبد الله الجرّاح الشهير صباح اليوم وقال لي اكلنا امس حلوان شفائك فمتى تطعمنا حلوان الخطبة والزيجة

فقلتُ لا زيجة ولا خطبة فقد جاوزت السن الذي يرضي السيدات او تؤثر فيهِ عوامل الحب

فضحك وقال على مَن تخفي امرك ألا تدري اني وقفت على كل ما يخالج ضميرك ويكنّهُ قلبك

فقلت كيف ذلك وما معنى هذا الكلام

فقال قد لا يجوز لي ان اجاهر بما سمعتهُ منك لاحد غيرك لانني سمعتهُ وانت غائب عن الصواب تحت فعل البنج . ومن المرجح انك لو كنت واعياً لاخفيت ما ابديتهُ حينئذٍ ولكن لم اكن انا وحدي بل كان معي الدكتور يوسف اخو السيدة نزهة ولا بدَّ من ان يكون قد اطلع اختهُ على كل ما سمعهُ منك

فلما قال هذا القول اسودَّ الضياء في عينيَّ وتنازعتني افكار كثيرة ولكنني تجلَّدت وقلت في نفسي انهُ يجدر بي ان اعرف ما قلتُ قبل ان ابني عليهِ حكماً . فقلت لهُ بالله قصَّ عليَّ واقعة الحال واخبرني بكل ما جرى وكل ما قلتهُ

فقال لما اعطيناك البنج (الكلوروفورم) لكي نجبّر رجلك اخذتَ اولاً تنادي امك وتبكي والظاهر انك تصورتها اجابت نداءك واتت اليك من عالم الغيب فجعلتَ تشكو اليها ما تلاقيهِ من متاعب الحياة واخيرًا قلتَ لها انك وقعت في وهدة اليأس وليس لك احد يهمك امرهُ في هذه الدنيا الاَّ الفتاة التي رأيتها في الفيوم وعلى شاطىء بحيرة قارون وبحت باسمها حينئذ وقلت انهُ اسم على مسمًّى ثم قلت ولكن قد لا يهمها امري وان كان الحال كذلك فلا مأرب لي في الحياة فتعالي يا امي وخذيني اليكِ . وجعلت تبكي وتنتحب . وأكثرنا الكلوروفورم حينئذٍ فانقطعت عن الكلام وصبغ الحياء جبين الدكتور يوسف وكان ممسكاً نبضك فخفت ان تفلت يدك من يدهِ وربك الحميد انهُ لم يفهم كلامك غيري وغيرهُ لان الجراحيْن الآخرين لا يفهمان كلمةً من العربيةِ ومن المحتمل ان يكون الدكتور يوسف علم اني فهمتُ مَن تعني اما انا فلم اظهر لهُ اني فهمت ذلك

فقلت لهُ هل اخبرت احدًا بقصتي

فقال كلاّ ولا يجوز لي ذلك بوجه من الوجوه كما قلت آنفاً لاني احسب انهُ اعتراف سري لا يجوز افشاؤُهُ

فقلت احسنتَ . وهذه هي الشهامة وارجو ان يبقى الامر مكتوماً كل الكتمان لاني قد اكون بحت باكثر مما في نفسي

ولما قلت ذلك شعرت ان الدم صعد الى وجهي وكاد يحرقني

فنظر اليَّ وتبسم تبسماً ادركتُ مغزاهُ . فقلت لهُ اذًا انت الرجل الوحيد الذي اكتشفَ سري نعم والدكتور يوسف اخوها وهل تظن انهُ اخبر اختهُ

فقال لا اظن بل ارجح انهُ لم يخبرها لانهُ يعرف حقوق صناعتهِ حق المعرفة ومع ذلك فترددهم المستمر عليك واهتمامهم بامرك لا يفسَّر بسهولة اذا نفينا معرفتهم بما قلت . هل كانوا يعرفونك من قبل

فقلت كلاّ لا يعرفني الاّ يوسف وامين وقد عرَّفاني بابيهما واختهما منذ شهرين او ثلاثة قبلما اصابتني هذه المصيبة ولا احسب انهم اهتموا بامري الاّ لاني كنت ضيفاً عندهم وكنت آتياً مع ابنهم لما وقع بنا القطار

فقال معرفة مباركة وابرهيم بك من اكبر السراة واوجه الوجوه والسيدة نزهة مشهورة بجمالها كما هي مشهورة بعلمها وادبها والاقباط يعطون البنت كما يعطون الصبي والثروة واسعة

قال ذلك متبسماً . ولما رأى اني لم اشاركهُ في التبسم قال ان الذين يدَّعون انهم لا يسألون عن مال الزوجة هم اشد الناس مطالبةً بهِ حتى اني اعرف كثيرين من الشبان كانوا يدَّعون هذه الدعوى ثم ابطلوا الخطبة وامتنعوا عن الزيجة حينما لم يشأ والدا البنت ان يعطياها كل ما يخصها من الميراث وهما في قيد الحياة

فقلت أوَأنت تحسبني منهم

فقال كلاّ لست منهم ولكن كثرة الزهد توقع الشك . ثم تعال ننظر الى هذه المسألة من وجهها الاجتماعي . يكون الرجل غنياً وتشب ابنتهُ في نعمة وافرة تأكل ما تشتهي وتلبس ما تريد وعندها الخدم والحشم ثم يخطبها شاب لا يستطيع ان ينفق عليها كما ينفق ابوها فهل يجوز ان تتحمل شظف العيش لان زوجها ليس غنياً مثل ابيها ولا هو وارث لميراث وافر مثل اخيها

فقلت كلاّ ولكن هب ان ثروة ابيها محدودة ودخلهُ منها يكفي لنفقات بيتهِ فاذا تزوجت

وخرجت من البيت لا تقل النفقات بخروجها لان ما يكفي ستة انفس قلما يزيد عما يكفي خمسة . اما اذا كانت ثروة الوالد وافرة يزيد دخلها على نفقاتهِ فالواجب عليهِ ان يعطي بناتهِ قبل ابنائهِ كل ما يستطيع ان يعطيهنَّ اياهُ . ثم لا يخفى عليك يا دكتور ان الراحة العائلية لا تتوقف على المال الكثير . اليك قصةً كنت اقرأها اليوم وهي ان رجلاً اميركيًا جمع ثروة طائلة جدًّا بطرق مختلفة بعضها محلل وبعضها محرَّم وكان لهُ ابن وابنة وهما الوارثان لثروتهِ واتفق ان رأت ابنتهُ شابًا انكليزيًا جميل المنظر رضيَّ الاخلاق حسن التهذيب فاحبها واحبتهُ وتواعدا على الزيجة ومُرَّ ابو الفتاة بذلك ولم يبالِ بان الشاب لا يملك شيئًا لانهُ هو كان واسع الثروة جدًّا كما تقدم وكان يحب ابنتهُ حبًا مفرطًا ويرجو لها السعادة وقد اعجبهُ منظر الفتى وتوسم فيهِ سمات الخير وكان ابنهُ عليلاً لا يرجى لهُ العمر الطويل فرأى ان هذا الفتى سيكون الوارث لكل امواله ولم يأنف من ذلك

اما الفتى فقال للابنة ان اموال ابيكِ ليست مجموعة بطرق الحلال فلا اريد ان امس درهماً منها فان شئتِ ان تعيشي معي وتكتفي بما انفقهُ عليكِ مما اكتسبهُ بيدي (وكان مصورًا) وعلى قدر طاقتي فانا لكِ وانتِ لي والاَّ فلا بد من الفراق . وهمَّ على العودة الى وطنهِ فقالت لهُ انها تذهب معهُ اينما ذهب وتشاركهُ في السراء والضراء ولا تأخذ درهماً من اموال ابيها

فكتب كتابهُ عليها وعاد بها الى اوربا وكان معهُ نقود قليلة انفق منها الى ان وصل الى بلادهِ فاستأجر بيتًا صغيرًا ووضع فيهِ ما لا بدَّ منهُ من رخيص الاثاث . واتى الفتاة كتاب من ابيها يقول لها فيهِ انهُ اوصى البنك الذي يودعهُ امواله ان يعطيها كل ما تطلبهُ الى حد مليوني جنيه اما زوجها فقال كلا وهذا عهد الله بيني وبينك . فقالت وهو كذلك

ولا تسل عن المشقَّة التي عانتها ابنة تربَّت حيث الخدم والحشم والمركبات على انواعها حيث تنهض من فراشها في الصباح فتأتي وصيفاتها يغسلنها ويعقصن شعرها ويلبسنها ثيابها ثم تذهب الى غرفة المائدة فتجد عليها لذيذ الطعام وتخرج بعد ذلك للنزهة في مركبة من افخر المركبات وتعود فتقرأ قليلاً ثم تجلس للغداء وتخرج للنزهة او للزيارة وتلبس ثانية للعشاء وتذهب بعد ذلك الى اماكن التسلية والتمثيل وتمرُّ الايام وكل شيءٍ طوع امرها وقد لا تتكلَّف ان تأمر بشيءٍ بل يأتيها كل شيءٍ من نفسهِ لان خدم البيت يعرفون كل ما يطلب منهم فيفعلونهُ من تلقاء انفسهم

هذه الفتاة التي تربت في مهد الرفاهة والنعيم قامت في الصباح فلم ترَ في غرفتها ماء

تغسل بهِ وجهها ثم اتاها الخادم يقول لها ما تريدين ان اطبخ اليوم وعاد وهو يقول لا يوجد فحم في المطبخ ولا صابون ولا ملح ولا دهن . لكنها قالت في نفسها ان تسعة وتسعين في المئة من بنات جنسي عائشات في حالة ادنى من حالتي فلا بدَّ لي من ان ادرّب نفسي على هذه المعيشة حتى آلفها واتغلّب على ما اجدهُ فيها الآن من المشاق

ولبست في المساء اخر ثيابها واقامت تنتظر زوجها فحضر والادهان على يديهِ وثيابهِ وجلس معها للعشاء كأنهُ لم يرها ولا هو محتفل بها فاسقط في يدها ولكنها صبرت صبر الكرام

ومرَّت الايام والشهور وهي تحاول ان تعوّد نفسها ما لم تعتدهُ قط فيتعذَّر عليها الامر وباعت حلاها التي ورثتها من امها وانفقت على بيتها ثم ولدت طفلاً وذاقت مرارة المخاض والنفاس وكانت الى هذا الوقت راضية بحالتها ولو كرهاً فلما صار طفلها بين يديها وهي عاجزة عن ان تلبسهُ وتعتني بهِ كما تريد كبر عليها الامر وفرغ صبرها وكان اخوها قد توفي واصبحت هي الوارثة الوحيدة فحملت طفلها وعادت الى بيت ابيها وكانت قد ارسلت اليهِ تلغرافاً تخبرهُ بولادتها وعزمها على الرجوع اليهِ فهيأ قصرهُ لاستقبالها واعدَّ لحفيدهِ جانباً كبيراً منهُ ووضع فيهِ كل ما يمكن ان يشترى بالمال من وسائل الرفاهة والتسلية فكبر الولد وترعرع وهو كأنهُ في فردوس اما هي فلم تطب لها الاقامة في بيت ابيها بعيدةً عن زوجها وكانت امها قد تركت لها ميراثاً طفيفاً يبلغ ريعهُ جنيهين في الاسبوع فاخذتهُ وعادت بهِ وبطفلها الى انكلترا ولم تخبر زوجها بذلك واقامت في بيت من بيوت الضيافة (بنسيون) ولم تطل الايام حتى جاءها نعيُ ابيها وجاءها من المحامي ان اباها ترك لها كل ثروتهِ وهي تبلغ عشرة ملايين من الجنيهات فكتبت اليهِ ان يوزعها كلها على المستشفيات والمدارس والاماكن الخيرية وارسلت اليهِ قائمة بذلك حتى لا يبقى لها شيءٌ من تلك الثروة

وكان زوجها قد دأب على اتقان فن التصوير وصوَّر صورة كان لها شأن كبير في جمعية التصوير الملكية فباعها بالف جنيه وطُلب منهُ تصوير غيرها بمبالغ طائلة وبينما هو يفكر في زوجتهِ والبحث عنها لعلهُ يستطيع ان يردَّ اليها شيئاً مما خسرتهُ بخروجها من بيت ابيها سمع باعة الجرائد ينادون قائلين مات فلان الغني الاميركي ووهبت ابنتهُ كل اموالهِ للاماكن الخيرية . فتناول جريدة وقرأ فيها الخبر ثم بحث عن زوجتهِ فوجدها وعاشا بعد ذلك بالرفاه والهناء

هذه القصة شاذَّة وقد تكون موضوعة لا اصل لها ولكنها تمثل حقيقة راهنة وهي ان

الراحة والسعادة لا تتوقفان على كثرة المال . وكلُّ ما يحتاج اليهِ الزوجان لاجل الراحة والرفاهة انما هو الكفاف مع صحة العقل والجسد

ولما اتممت قصتي ضحك الدكتور عبد الله وقال اراك صرت من الوعّاظ . والقصة حسنة المغزى ولكن هذا المصور احمق فقد اتعب نفسهُ واتعب زوجتهُ على غير جدوى لانهُ سواء تعلمت زوجتهُ طبخ الطعام او لم تتعلمهُ فنوع الانسان لا يزيد نفعاً ولا ينقص نفعهُ لان طبخ الطعام ليس مطلوباً من كل احد . والاموال التي لم يشأ ان ينتفع بها هو وزوجتهُ وابنتهُ اعطيت لغيرهم لينفقوها وهم ليسوا احق منهم بها وستزاد بها اجور اطباء المستشفيات واساتذة المدارس ويبقى صاحبك المصور يشتغل من صباحهِ الى مسائهِ ليصنع صورة قد ترضي مَن صنعت لهُ فيعطيهِ اجرتها وقد لا ترضيهِ فيرفضها ولا يعطيهِ شيئاً وان كنت لا تطلب مالاً مع ابنة ابرهيم بك ولا تحتاج الى مال ابيها فدعها لمن يطلب المال ويحتاج اليهِ

فقلت ان كانت لك فهي مباركة عليك

فقال " بارول " هات يدك وهزَّ يدي وخرج وهو يقول " بونجور اوره فوار "

خرج الدكتور عبد الله وتركني وحدي اراجع افكاري وانظر في حديثهِ ومغازيهِ فقلت في نفسي انهُ يمزح في كلامهِ الاخير فلا يعبأ بهِ ولكن ان كنت قد بحت حقيقةً بحبي لهذه الفتاة وانا مبنّج وكان اخوها قد سمعني واخبر اباهُ واختهُ فعطفا عليَّ لهذا السبب فيكون عطفها ليس مجرداً عن كل غاية . وكيف يليق بفتاة ان تتردد على رجل مثلي وهي تعلم انهُ جاهر بحبها ولم يخطبها ولا كلم اهلها في امرها . فنفرت من هذا الفكر واشمأززت منهُ وقلت بل هي ارفع من ذلك ويستحيل ان يكون اخوها قد اطلعها على ما سمعهُ مني وما الدكتور عبد الله الاّ زارع خصومات ولعلَّ مرادهُ تنفيري من هذه العائلة وقد بلغ من حماقتي اني صدقت كلامهُ . الآن فهمت سبب ترددهِ اليها والى اخيها وكثرة ترددهِ عليَّ هذا هو المكر بعينهِ . والظاهر انهُ هو لا يعدهُ مكرًا بل مهارة

تشتتت افكاري وكاد يعتريني دوار . فاخذت اراجع الحوادث الماضية حادثةً حادثةً من حين لقيت هذه الفتاة على شاطىء بحيرة قارون الى الآن وافسّرها بهذين الفرضين الاول اني بحتُ بحبي لها وانا تحت فعل البنج والثاني ان الدكتور عبدالله يريد صرف افكاري عنها والاقتران بها فرأيت ان كل ما كان غريباً في تلك الحوادث تزول غرابتهُ مع هذين الفرضين فكبر الامر عليَّ وضاق نفَسي في صدري وكاد يغمى عليَّ ولكنني بقيت مرجحاً ان الفتاة لا تعلم شيئاً مما بحت بهِ وانما هي مدفوعة لزيارتي بعامل الصداقة ولو سمعت

انني بحث بحبها لمنعها الحياء من زيارتي ولاسيما امام الدكتور عبدالله . ولو كانت تحبني كما احبها لمنعها حبها لي عن زيارتي ايضاً لانها تشعر ان حبها ينمُّ عليها وتحسب ان كل الناس يعلمون بهِ كما تعلمهُ هي فلا بدَّ من ان قلبها خالٍ من كل فكر من هذا القبيل لم يبلغها ما قلتهُ ولا هي ناظرة اليَّ بغير عين الصداقة المحضة. فطوَّبتها على خلوِّ قلبها وزاد شغفي بها لبساطتها وسلامة نيتها . اما الوعد الذي وعدت الدكتور عبدالله بهِ فكلام بكلام واذا كان هذا الرجل مكاّراً غير خالص النيَّة فلا بدَّ من ان تكتشف السيدة نزهة ذلك لان النساء اشد فراسة من الرجال فيستحيل ان ترضى بهِ وهي على ما ظهر منها من حرية الفكر وسمو الادراك والترفُّع عن الدنايا . ولم ارَ قط انها كانت تنظر اليهِ بعين المودَّة بل كثيرًا ما كانت تقصر الكلام معهُ باجوبة سديدة مفحمة فاطمأنَّ بالي وجاء في الخادم حينئذٍ يدعوني الى الغداء

الفصل العاشر

مجلس القضاء

ما هذا الخبر يا امين هل اطلقوا سراح ابي سعدان وكيف جرى ذلك والرجل قتل مئة قتيل وغلب البلاد

قال ابرهيم بك ذلك وهو جالس في شرفة بيتهِ في العاصمة واولادهُ حولهُ وانا معهم وكنت لا ازال اتوكأ على عصاي لكي لا اتعب رجلي وقد دعوني يومئذٍ للغداء معهم وقالوا انهم صنعوا لي ملوخيَّة على طريقتهم

فقال لهُ امين حضرتُ المرافعة وهي من المضحكات المبكيات . اتوا بابي سعدان تخرج من السجن وقد اطلق لحيتهُ وطال شعرهُ واحدودب ظهرهُ واصفر وجههُ وغارت عيناهُ حتى تظنهُ حبيساً لزم صومعتهُ او شيخاً فانياً قارب الوفاة فوقف في باب المحكمة والتفت يمنةً ويسرةً وحيّى الحضور بالسلام عليكم وهو يتوكأ على عصاً قصيرة ويكاد رأسهُ يصل الى الارض ومشى مشياً بطيئاً يرسف بقيودهِ الى ان بلغ قفص المجرمين فوقع فيهِ مدعياً انهُ لا يستطيع الوقوف لوهن قدميهِ فسمحوا لهُ بالجلوس وسألهُ القاضي عن اسمهِ وبلدهِ وعملهِ فتصامَّ وظهر عليهِ انهُ لم يسمع شيئاً فجعل العسكري الواقف الى جانبهِ يصرخ في اذنهِ مردداً سؤال القضاة وهو يلتفت اليهِ كمن لم يسمع شيئاً او لم يفهم معنى ما سمعهُ الى ان بحَّ العسكري فاجاب عن اسمهِ وبلدهِ وسنهِ وعملهِ وقال ان عمرهُ نحو ثمانين سنة وانهُ كان فتيَّ في زمن

ابرهيم باشا . وشرح عضو النيابة الواقعة احسن شرح . ثم سئل المتهم عما يعلمهُ من امر القتيل مرمي فانكر انهُ يعرف شيئاً من امرهِ فسئل عن الرش (الخردق) الذي وجد في ظهرهِ فقال لقد قلت لكم مئة مرة ان ولدًا اصابني خطأً وهو يرمي الحمام فقد كنت جالساً في الغيط فلم اشعر الاَّ والرش اصابني وطرحني على الارض فنهضت والتفت فرأيت الحمام طائرًا وولدًا بيدهِ بندقية وهو يعدو راكضاً فعدوت وراءهُ ولم ادركهُ لانهُ كان قد ابعد عني كثيرًا

فسألوهُ الى اين ذهبت بعد ذلك

فاجاب بعد ان كرَّر العسكري السؤال في اذنهِ ذهبت الى بيتي

فقالوا لهُ ماذا قالت لك امرأتك

فقال لم تقل شيئاً

فقالوا وماذا قلت لها انت

فقال لم اقل شيئاً

فقالوا الم ترِ نفسك لطبيب

فقال كلاَّ . وكان يجيب بالنفي عن كل مسائلهم . واخيرًا شرحوا لهُ التهمة بالايجاز فانكر كل الانكار وبكى واشتكى وقال يا ناس خافوا ربنا رجل عاجز مثلي رجل ينتظر الموت ساعة بعد ساعة ليلاقي ربه . رجل في هذا السن لا يستطيع المشي على رجليه يهجم على مساكن الناس يقتل وينهب هل تصدقون ذلك يا قضاة هل تصدقون اني انا استطيع ان احمل البندقية وهل اطلق النار بهذه العصا ما هذا الجنون من اتهمني هذه التهمة يا ربي ولكن اولاد الحلال كثار . وجدوا القتيل وان كان معاون النقطة لا يكتشف القاتل وقع تحت لوم المأمور وان كان المأمور لا يكتشف القاتل وقع تحت لوم المدير وان كان المدير لا يكتشف القاتل وقع تحت لوم الداخلية اهو وجدوا رجل قالوا انهُ قاتل والسلام

ووقف المحامي عنهُ واستلفت الانظار الى شيخوختهِ وضعف جسمهِ وقال ان رجلاً مثلهُ لا يعقل انهُ يقدم على السطو وجرح شهادة الشهود وخطأ النيابة في استنتاجها وقال ان الوقائع التي ذكرتها ونسبتها الى ابي سعدان يحتمل ان تكون قد وقعت من رجل آخر بهذا الاسم ثم طلب لهُ البراءة لانهُ شيخ مريض فانٍ لا يستطيع ان يأتي العمل الذي نسب اليهِ ولم يقم دليل واحد على نسبتهِ اليهِ

وكنت اسمع القضاة يتكلمون همساً ويقولون كيف يعقل ان رجلاً مثل هذا يقدم على السطو والقتل واخيرًا خلوا للمداولة ولم تكن الاَّ دقيقة حتى عادوا ونطقوا بالبراءة

اما ابو سعدان فبقي شاخصاً اليهم لا يتكلم كأنهُ لم يسمع شيئاً مما قالوهُ ثم دنا عسكري منهُ وصرخ في اذنهِ قائلاً ادعُ لافندينا وللقضاة. فظهر كانهُ لم يسمع شيئاً فصرخ العسكري في اذنهِ ثانيةً وثالثةً واخيراً قال المتهم لا يمكن ان يحكم عليَّ هؤلاء القضاة العادلون فانهم عادلون عادلون الله يكون معهم الله يقويهم يا رب. ونزع عمامتهُ عن رأسهِ وبسط يديهِ واخذ يدعو لهم ثم قال للعسكري اي ساعة يصدر الحكم فقال لهُ العسكري قد صدر الحكم يا ابويَ ببراءتك فالتفت اليهِ كأنهُ لم يسمع شيئاً وبعد صياح واشارات ظهر انهُ فهم فبسط يديهِ ثانية وجعل يدعو للقضاة ونهض فاخرجوهُ من المحكمة ونزعوا القيود من رجليهِ. ورأيتهُ بعد ذلك في المحطة عائداً الى الفيوم مع اقاربهِ حتى اذا دخل المركبة انتصبت قامتهُ وابرقت اسرتهُ وجعل يتهكم على الحاكم والقضاة

فقطب ابرهيم بك حاجبيهِ وقال اذاً ذهب دم مرمي هدراً ولم يعد في الامكان ان نأمن على عزبنا في جهات سنهور وسنورس ولا بدَّ لنا من استخدام بعض الاشقياء لحفظ الامن . . .

واتى المستر مكنزي حينئذٍ فاخبرهُ امين افندي بخلاصة المحاكمة وتبرئة القاتل وعزم ابيهِ على استخدام الاشقياء لحفظ الامن في عزب اطيانهِ ثم قال هذه نتيجة قضاء ومحاكم لا سيطرة عليها من الامة فلو كان عندنا مجلس نوَّاب لسننا القوانين التي تناسب بلادنا لا القوانين التي تناسب فرنسا وانكلترا . اسأل كل اهالي البلاد التي منها هذا الشقي يقولوا لك كلهم انهُ من اكبر الاشقياء وانهُ قتل عشرات من الناس ومع ذلك لا تستطيع المحاكم ان تحكم عليهِ الاَّ بموجب القانون الفرنسوي ولا تستطيع الحكومة ان تبعدهُ عن بلادهِ لئلاَّ يقوم رجل من الاحرار في بلادكم ويسأل وزير الخارجية عن سبب ابعادهِ فيلوم وزير الخارجية نائب حكومتهِ في مصر على هذا العمل الاستبدادي فنبقى على ما نحن فيهِ من ضياع الحقوق وتقوُّض دعائم الامن وهذه حال لا تحتمل

فقال المستر مكنزي هل حاولتم ان تبدلوا قوانينكم بغيرها ومنعكم الانكليز من ذلك

فاجابهُ امين ما الفائدة من المحاولة ومجلس الشورى للاستشارة فقط والحكومة ان تعمل برأيهِ او لا تعمل والجمعيَّة العمومية تطلب مطالب كثيرة فلا تجاب اليها الاَّ في ما ندر والموظفون منكم لا يعملون الاَّ برأيهم وهم يجهلون لغة البلاد ويحتقرون اراء رجالها ولم ارَ في حياتي استبداداً مثل استبدادهم وهذا القول لا يصدق عليهم كلهم لان فيهم الصالح والطالح ولكن الضرر لا يزال من هذه الجهة اذا وجد النفع في جهة أخرى

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثالث والثلاثين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٢ جماد اول سنة ١٣٢٦

قاسم بك امين

من الرجال مَن لهم قيمة ذاتية تظهر بكتاباتهم وتعاليمهم وقلما تتغير بتغيُّر الازمنة والامكنة سواء عرف معاصروهم قدرهم او جهلوهُ وسواء كانت بلادهم محتاجة اليهم او مستغنية عنهم مثل سقراط وافلاطون وده كارت وباستور وسبنسر. ومنهم مَن قيمتهم قائمة بحاجة بلادهم اليهم او بالنفع الذي ينالها منهم وتظهر بما يأتونهُ من الافعال مثل بونابرت وونشنطون ومحمد علي . ومنهم مَن تكون لهم قيمة ذاتية ولكن لا يمدُّ لهم الاجل حتى تظهر مزاياهم او لا يوفقون الى نشر آرائهم وافكارهم او تكون بلادهم في خمول فلا تعرف قدرهم او لا تستفيد منهم ككثيرين من اذكياء العقول الذين قضوا في سن الشباب او وُجدوا في بلاد اهاليها سكارى بخمرة الجهل او نيام في ظلمات الإهمال . ومنهم مَن قوامهم عادية ولهم امتياز قليل على اترابهم ولكنهم يظهرون زمن شدَّة التنبه فيكبر شأنهم وينمو قدرهم كأنهم بزور القيت في ارض خصيبة . ومنهم من يتاجر باكرامهم ويُبالَغ في اعلاء قدرهم لغرض سياسي او ديني او لمصلحة اخرى فيعطون فوق ما يستحقون

وكيفما كانت الحال فقدر الرجال الحقيقي لا يعلم الأبعد مرور الازمان وتمحيص الاقوال والافعال بنار الامتحان. وقد تبقى الحقيقة طامسة طيَّ الخفاء . فكم من عالم حكيم تضمُّ هذه الغبراء وقد نسي اسمهُ ولا يعلم شيء من امره وكم من مزار بني على رفات احمق متنطع والناس يزورونهُ صباح مساء ويتبرَّكون بهِ . وكم في ميزان هذا الدهر من خفيف مرتفع وثقيل منخفض ولعلَّ الحقائق المجهولة اكثر من المعلومة

هذا ولا شيء مثل حرية القلم وحرية اللسان لاظهار اقدار الرجال ولاسيما اذا نشأت الاحزاب واخذ كل حزب يغالي بما عندهُ ففي هذه الحال قلما يضيع رجل لهُ قدْر ومريدون.

وقد يعطي الرجال حينئذٍ اكثر من حقهم وهو الغالب . ولكن اذا كان للمرء اقوال مكتوبة منشورة فهي ميزان فضلهِ وهي وحدها كفيلة بتخليد ذكرهِ اذا كان مما يستحق الخلود لانها لا بدَّ من ان تذيع عاجلاً او آجلاً فتقدرها العقول قدرها

منذ بضع عشرة سنة اهدى الينا قاسم بك امين نسخة كتابهِ الذي ردَّ بهِ على دوق دركور فرأينا انهُ من كبار الكتاب المتضلعين ولكنهُ جار على الدوق في بعض المواضع فانتقدناهُ في المقطم انتقاد عارف بقدرهِ . والظاهر ان انتقادهُ لكتاب دوق دركور اثَّر في نفسهِ تأثيراً شديداً على ما اثبتهُ صاحب المنار في تأبينهِ لهُ قال

"اخبرني قاسم انهُ كان يوم اطلع على ما كتبهُ الدوق دركور غاذلاً عن حال النساء بمصر فالمهُ ذلك النقد والتشنيع فاندفع الى الرد بوجدان الغيرة وبعد ان شفى غيظهُ وارضى غيرتهُ بذلك عاد الى نفسهِ وفكَّر في الامر فرأى ان كثيراً من العيوب التي عاب الدوقُ بها البيوت المصرية صحيح في نفسهِ فبعثهُ ذلك الى ان درس هذه المسألة قائلاً في نفسهِ انهُ لا ينفعنا اذا كان العيب فينا ان نردَّ على من يعيبنا ونبحث عن عيوب قومهِ وانما يجب علينا ان نبحث عن عيبنا فنعرفهُ ونسعى في ازالتهِ . وطفق يبحث ويسأل ويفكر في حال البيوت بمصر ويقرأ ما كتب الافرنج في شأن النساء وانتهى بهِ البحث والتنقيب الى تصنيف كتاب تحرير المرأة الذي هزَّ مصر هزة شديدة وشغل جرائدها في تقريظهِ ونقدهِ زمناً طويلاً وبعث همة غير واحد من حملة العمائم والطرابيش جميعاً الى التصنيف في الرد عليهِ وبذلك طار صيت قاسم بك امين في الآفاق وعُرف اسمهُ في الشرق والغرب وعُدَّ من المصلحين الاجتماعيين"

ولما صدر كتاب تحرير المرأة طالعناهُ وقرظناهُ في المقتطف وانتقدناهُ (انظر الصفحة ٥٢٧ وما بعدها من المجلد الثالث والعشرين الصادر سنة ١٨٩٩). وختمنا التقريظ والانتقاد بقولنا حبذا لو تصفح هذا الكتاب النفيس كل من يغار على وطنهِ وامتهِ وساعد مؤلفهُ في بث آرائهِ بين الجمهور". ونحن نكرر هذا القول الآن ونكررهُ دائماً لانهُ ان لم تتعلم النساء وتتهذب استحال على الامة ان تجاري الامم الراقية في هذا العصر

ثم زارنا بعد ظهور المقتطف وتذاكرنا في موضوع كتابهِ فاعربنا لهُ عن رأينا وهو ترك الشواهد الدينية في المباحث العلمية على قدر الامكان لانهُ لا يُطلَب من الباحث اثبات الحقائق العلمية والمذاهب الاجتماعية بالآيات الكتابية والاحاديث النبوية كما انهُ لا يُطلَب من المهندس والطبيب والزارع ان يثبتوا قواعد علم الهندسة وعلم الطب وعلم الزراعة بالادلة الدينية . ووجه الضرر من الطريقة التي جرى عليها ان الذين يخالفونهُ رأياً لا يتعذَّر عليهم ان

يأتوا بادلة دينية تناقض ادلتهُ وتنفي نتائجهُ كما وقع فعلاً . اما هو فكان جسورًا لا يخاف في الحق لومة لائم فلم يرجع عما قال وعزَّز كتابهُ الاول بكتاب ثانٍ موضوعهُ المرأة الجديدة وهو في رأْينا كالكتاب الاول او يفوقهُ في قوة الحجة ووضوح الدليل فاستقبلناهُ بالبشر وقرظناهُ ونقلنا منهُ فصلاً مسهباً في الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين موضوعهُ التربية والحجاب . ولو لم يكتب قاسم بك غير هذا الفصل لكفى وحدهُ لشهرتهِ ولقرن اسمهِ باسماء اشهر المصلحين . ولقد كان في كل كتبهِ وخطبهِ واحاديثهِ ينظر الى الزمن السعيد الذي تتعلَّم فيهِ المرأة الشرقية فيصير كل نساء المشرق مثل فضليات نساء المغرب من حيث العلم والتهذيب

الاَّ ان اجتماعنا بهِ كان قليلاً جدًّا فحكمنا عليهِ مبنيٌّ على ما قرأْناهُ من كتبهِ وخطبهِ وهذا لا يكفي لان كثيرًا مما يُكتَب ويتلى عادةً قد يكون منقولاً كلهُ او بعضهُ عن كتب الافرنج وخطبهم . لكنَّ الذين عاشروهُ طويلاً وعرفوهُ تمام المعرفة يقولون انهُ لم يكن كذلك . قال كاتب في "الجريدة" ولعلهُ مديرها نفسهُ "كان قاسم بك اجتماعيًا لا كبقية الاجتماعيين الذين يجعلون ادمغتهم محافظ لآراء الغير فاذا حضرتهم المناقشة او دعتهم الكتابة الى موضوع اجتماعي اخذوا يسردون عليك محفوظاتهم من المؤلفين السابقين من غير ان يكون لعقلهم في الموضوع نصيب من الرأي . لا . لم يكن كذلك ابدًا بل كان مفكرًا بالاصالة نقادًا لا يستغني عن افكار الغير ولكنهُ لا يعتنقها الاَّ اذا اعتقدها وصارت لهُ بما قام في نفسهِ عليها من الادلَّة اليقينيَّة"

ثم قال "يبحث قاسم بك في المسائل الاجتماعية على العموم فكان رأْيهُ فيها انها خاضعة دائمًا للقوانين الطبيعيَّة قوانين التحليل والتركيب والنمو التدريجي والانتقالي ويبحث في المسألة الاجتماعية لمصر على الخصوص فوجد ان حلها متوقف على نظام العائلة المصرية ووجد ان المرأة هي الاساس الاول لبناء العائلة"

فهذا شاهد صريح بان الفقيد كان من اهل الرأْي والنظر وان ما كان يذكرهُ في كتبهِ وخطبهِ واحاديثهِ إما من مبتكراتهِ او من آراء غيرهِ التي اعتنقها بعد ان اعتقدها بما قام في نفسهِ عليها من الادلَّة اليقينيَّة . ومما هو كالديباجة لكل ما رأَيناهُ مما كتب وخطب العلمُ الواسع والاخلاص التام والبعد عن الدعوى . ولقد كان من اكبر المهتمين بانشاء الجامعة المصرية ولما اوقف لما حسن باشا زائد اطياناً كبيرة الريع وذهب مع لجنة لاستلام الوقفية خطب فاثنى على عمد البلاد واعيان الاقاليم لكرمهم وودَّ ان يكون هذا الكرم في محلهِ دائمًا . قال "لو كان المحسنون يوجهون ارادتهم الى احياء امتهم وتعظيم وطنهم اكثر

من اهتمامهم بشراء الزهور وتشييد القبور واضاءة الاضرحة — لو كانوا يجودون للاعمال بنسبة الخير المنتظر منها لكانت الجامعة المصرية اليوم كامثالها في البلاد الاخرى اغني جمعيةٍ في هذا القطر ولكنها افقرها جميعاً " الى ان قال

" ايها السادة ان الوطنية الصحيحة لا تتكلم كثيرًا ولا تعلن عن نفسها · عاش آباؤنا وعملوا على قدر طاقتهم وخدموا بلادهم وحاربوا الامم وفتحوا البلاد ولم نسمع انهم كانوا يفتخرون بحب وطنهم فيحسن بنا ان نقتدي بهم ونهجر القول ونعتمد على العمل

" يجب علينا ان نفهم ان مسألتنا الاجتماعيَّة ليست شيئاً وجد بالصدفة او يتغير بمعجزة بل انها كسائر القضايا العلميَّة مسألة تحليل وتركيب وان لتكوين ونمو الجمعيات الانسانية اسباباً عديدة ترتبط بالدين والشرائع والاخلاق والاقليم والجنس واللغة وطرق التربية فتغيير الحال الاجتماعيَّة انما يكون بتغيير الاسباب التي اشتركت في تكوينها فكل ما يكتب ويعمل ويقال في هذا الموضوع هو خير مبارك منتج وما عداهُ فهو تعب ضائع

" ايها السادة : ان من اهمّ اسباب انحطاط الامم وارتقائها طرق التعليم والتربية. واذا نظرنا الى ما يجري عندنا وجدنا ان التعليم الموجود الآن لا يصلح الاَّ لاعداد موظفين او اصحاب فنٍ يحترفون بهِ للقيام بحاجات الحياة التي لا يستغنى عنها كالطب والهندسة والمحاماة وهذا التعليم يوزع في مدارسنا على الطلبة بمقدار معلوم لا يزيد عن الغاية التي وضع لاجلها

" تلك هي خطة الحكومة في التعليم وقد حذا حذوها اصحاب المدارس الخصوصيَّة والحكومة تعترف بان هذا القدر من التعليم غير كافٍ ولكنها اضطرت الى عدم التوسع فيهِ للاسباب التي شرحتها في تقاريرها العديدة واهمها كما تعلمون هي مسألة المال

" وفي الحقيقة انهُ لا توجد حكومة في العالم تستطيع ان تتولى بنفسها امر التعليم العام بفروعهِ ودرجاتهِ واذا نظرنا الى ما يجري في البلاد المتمدنة نجد ان القسم الاعظم من التعليم في يد جمعيات عليَّة هي المؤسسة والمديرة لنظامهِ وان عمل الحكومة فيها محصور في تعضيدها ومساعدتها على قدر الامكان

" هذا هو الذي حمل الحكومة المصرية على استنهاض همة الاهالي لنشر التعليم الابتدائي وهذا ما دعانا ايضاً الى ان نطلب من ابناء وطننا ان يفكروا في نشر التعليم العالي وان يبذلوا ما في وسعهم في سبيلهِ ليكمل نظام التعليم في بلادنا ويصبح وافياً بجميع حاجات الامة

" ايها السادة : نحن لا يمكننا ان نكتفي الآن بان يكون طلب العلم في مصر وسيلة لمزاولة صناعة او لالتحاق بوظيفة بل نطمع ان نرى بين ابناء وطننا طائفة تطلب العلم حباً

الحقيقة وشوقاً الى اكتشاف المجهول . فئة يكون مبدأها التعلم للتعلم . نود ان نرى من ابناء مصر كما نرى في البلاد الاخرى عالماً يحيط بكل العلم الانساني واخصائياً اتقن فرعاً مخصوصاً من العلم ووقف نفسهُ على الالمام بجميع ما يتعلق بهِ . وفيلسوفاً اكتسب شهرة عامة . وكاتباً ذاع صيتهُ في العالم . وعالماً يرجع اليهِ في حل المشكلات ويحتج برأيهِ . امثال هؤلاء هم قادة الرأي العام عند الامم الاخرى والمرشدون الى طرق نجاحها والمديرون لحركة تقدمها فاذا عدمتهم امة حل محلهم الناصحون الجاهلون والمرشدون الدجالون

" ايها السادة : اذا نظرنا الى طائفة المتعلمين في مصر وهم متخرجو المدارس العالية نجد انهم يعملون على مبدإ « اكسب كثيرًا واتعب قليلاً » ولا نجد فيهم العامل المحب لعلمهِ او فنهِ والعاشق الذي تحتل شهوة العمل في قلبهِ وتتمدد فيهِ وتملأهُ برمتهِ ولا تقبل منافساً او منازعاً او شريكاً او ضيفاً بجانبها . وانما نجد افرادًا قليلين جدًّا يصرفون وقتاً قصيرًا من حين الى حين لتكميل معارفهم ولكنهم مجردون عن تلك الحمية تلك النار التي تشعل القلب والشعور والتي بدونها لا تحث النفس عن تجديد العمل ولا تطلب الارتقاء الى المراتب السامية

" ألا يظهر لكم مثلي ان الارتقاء في الانسان تابع على الخصوص لاحساسهِ وان اكثر الناس استعدادًا للكمال هم اصحاب الاحساس الذين تهتز اعصابهم المتوترة بملامسة الحوادث وتبلغ منهم الانفعالات النفسية مبلغاً عظيماً فيظهر اثرها فيهم بكثرة وشدة . اولئك هم السعداء الاشقياء الذين يحتمون ويتألمون . اولئك هم السابقون في ميدان الحياة تراهم في الصف الاول مخاطرين بانفسهم يتنافسون في مصادمة كل صعوبة . من بينهم تنتخب القدرة الحكمية خيرهم وتوحي اليهِ اسرارها فيصير شاعرًا بليغاً او عالماً حكيماً او وليًّا طاهرًا او نبيًّا كريماً

" ايها السادة : ان عدم استعداد طلبة العلم لحب العلم لذاتهِ هو عيب عظيم فينا يجب ان نفكر في ازالتهِ وهو نتيجة من نتائج التربية المنزلية التي غفلت عن تربية احساسنا واهملت تربية قلوبنا وشعورنا فاصبحنا ماديين لا نهتم الاَّ بالنتائج في جميع امورنا حتى في الاشياء التي بطبيعتها يجب ان تكون بعيدة عن الفوائد كعلاقات الاقارب والاصحاب . وليس من المنتظر ان تتغير اخلاقنا من هذه الجهة تغيرًا محسوسًا الاَّ اذا تم اصلاح العائلة المصرية

" هل يجوز ان يؤخذ من اعترافنا هذا اننا نخشى ان الجامعة المصرية اذا فتحت ابوابها لا تجد طلاباً للعلم ؟ سمعت هذا الاعتراض واعتقادي التام انهُ وهم باطل . نحن اذا كنا نأسف لعدم بلوغ حب التعلم الدرجة التي نتمناها لهُ فليس معنى ذلك انهُ مفقود في بلادنا .

حب التعلم موجود ووجد في بلادنا من قديم الزمان ولا يزول عن ارضنا ابدًا : وتاريخ مصر الحديث يثبت باقوى البراهين ان حب التعلم كان ولا يزال ينمو في نفوس امتنا من عهد المرحوم محمد علي باشا الى الآن

"ولي امل عظيم ان انشاء الجامعة المصرية يكون سببًا في ظهور شبيبة هذا الجيل وما يليهِ على احسن مثال وما حالة القلق والاضطراب التي نلاحظها فيها الآن الاَّ انذار مطمئن يدلنا على انها مملوءة بقوة عظيمة تطلب ميدانًا تتصرف فيهِ لتتمتع بالتوازن الملازم لصحتها

"هذا هو البناء الفخيم الذي تحب ان الامة المصرية تشيدهُ بيدها ليبقى اثرًا خالدًا في هذا القطر وشاهدًا على حسن استعدادها للنمو العقلي والرقي الادبي فكل من وضع حجرًا في هذا البناء يخدم امتهُ اجل خدمة . فشكرًا للسابقين وشكرًا للاحقين في هذا العمل الصالح . واني ارى في الصف الاول من صفوف المحسنين المتبصرين الذين يعرفون كيف يصرفون اموالهم في سبيل الخير رجلين قاما بما يجب عليهما وهما حضرة احمد بك الشريف وصاحب هذه الدار الكريمة ". اه

والفقيد مثل كثيرين من ابناء مصر الذين نبغوا في هذا العصر غرباء اتوها هم او آباؤُهم او اجدادهم فقد نقلت الجريدة ان اباه " كردي جيء بهِ مصر في زمن اسمعيل باشا ودخل الجيش المصري ورقي فيهِ الى رتبة اميرالاي وتزوج بكريمة المرحوم احمد بك خطاب اخي ابرهيم باشا خطاب فكان الفقيد اكبر اولادها ". وقد يستغرب البعض ان كرديًّا يدخل مصر فيحسب نفسهُ من ابنائها ويحسبهُ اهلها منهم وشاميًّا يدخل مصر ويقيم فيها هو واولادهُ واولاد اولادهِ فلا يحسبها وطنًا لهُ وان حسبها هو وطنًا لم يحسبهُ اهلها منهم وقس على ذلك اليوناني والايطالي والفرنسوي ولكن لا وجه للغرابة في ذلك فان كل الذين جاءُوا مصر ولا وطن لهم اولا بلادَ لهم يفتخر بها يضطرون بطبيعة الحال ان يتخذوا مصر وطنًا ويُنسبوا اليها واما الذين لهم وطن آخر يفوق مصر او لا يقل عنها كفرنسا وايطاليا وسورية فلا يجدون ضعة بل رفعة في نسبتهم الى وطنهم الاصلي ولاسيما لان الزمن الماضي قبل الاحتلال كان يجعل للاجنبي من هؤُلاء مزية على الوطني - وحبذا الزمن الذي تصير فيهِ كل الامم التي استوطنت القطر المصري مصرية لفظًا ومعنى ويصير ابناء اعظم الدول الاوربيَّة يفتخرون بنسبتهم الى الديار المصرية اذ تتمتع مصر بكل الحقوق السياسيَّة والاجتماعية التي تتمتع بها ارقى الامم الارض ويُعرَف حينئذٍ قدر قاسم بك امين وكل المصلحين اضعاف ما يُعرف الآن

هذا وقد احتفل بدفن الفقيد احتفالاً يكاد يكون منقطع النظير في مهابتهِ واسف

المشتركين فيهِ فسار في موكب الجنازة نخبة رجال العاصمة من وطنيين واجانب يتقدمهم كبار العلماء ونظار الحكومة المصرية ومستشاروها ووكلاء نظارها ورجال القضاء وغيرهم من كبار الموظفين والاعيان وابنهُ عند دفنهِ نخبة اصدقائهِ يتقدمهم صاحبا السعادة سعد باشا زغلول ناظر المعارف وفتحي باشا زغلول وكيل الحقانية وأُبّن في اندية كثيرة من اندية القطر واجمعت الجرائد العربية والافرنجية على التنويه بفضلهِ والاسف عليهِ

آثار منف

على مقربة من القاهرة حيث البدرشين وميت رهينة وصقارة كانت مدينة منف عاصمة القطر المصري التي مصّرها الملك مينا قبل المسيح باربعة الآف او بخمسة الآف سنة وبقيت عاصمة لهذا القطر الى زمن الفتح الاسلامي بعد المسيح بستمائة واربعين سنة . وقد نشأت في القطر المصري عواصم اخرى في ازمنة مختلفة ولكن بقيت منف عاصمة العواصم ومركز تجارة البلاد وغناها الى زمن الفتح. وبعد الفتح توالى انحطاط البلاد فقل السكان ونضبت الخيرات فهجرت منف . وكانت مبانيها الفخيمة لا تزال كثيرة في زمن عبد اللطيف البغدادي كما يظهر من وصفهِ لها [1] ولكنها هُدمت بعد ذلك وصار النيل يغمرها ويغطيها بطميهِ حتى لم يبقَ منها اثر ظاهر. ويعلم الذين كانوا يذهبون الى صقارة بطريق البدرشين انهم لايرون من آثارها الا تمثالين كبيرين من تماثيل رعمسيس الثاني وبعض الحجارة المتفرقة . ولقد احجم الباحثون عن كشف آثارها الى الآن لان اكثرها مغطّى باراضٍ زراعية يصعب ابتياعها من اصحابها . ثم وجهوا همتهم اليها في الشتاء الماضي فبحثوا اولاً عن حرَم هيكل فتاح معبود اهل منف فعرفوا حدودهُ ووجدوا طولهُ ثلث ميل وعرضهُ ربع ميل اي ان سعتهُ كسعة هيكل الكرنك

(١) قال عبد اللطيف في كتابهِ الافادة والاعتبار بعد وصف ما شاهدهُ في منف من آثار المباني «واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير . واما اتقان اشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة فمن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدتهِ فكان نيفاً وثلاثين ذراعاً ٠٠٠٠ وهو حجر واحد من الصوان الاحمر ٠٠٠٠ وهذه الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام الا الاقل منها جذاذاً وغادرتها ارماماً ولقد شاهدت كبيراً منها وقد نحت من ضلعتهِ رحى قطرها ذراعان ولم يظهر في صورتهِ كبير تشويه »

وقد قصر الباحثون نقبهم حتى الآن على الاراضي التي تمتلكها الحكومة ولا يعلمون كيف يتفقون مع الاهالي على النقب في اطيانهم ولكن يليق بالحكومة ان تشتريها منهم او تعطيهم اطياناً زراعية بدلاً منها فانها اذا فعلت ذلك تكون قد خدمت التاريخ والعلم وافادت البلاد فائدة مالية تفوق ما تنفقهُ في هذا السبيل اضعافاً مضاعفة لان مدينة منف اشهر العواصم القديمة واهالي اوربا واميركا يتشوفون الى رؤية آثارها وتحقيق ما كتبهُ هيرودوتس ابو التاريخ عنها فلا عجب اذا وفدوا على القطر المصري بالالوف لمشاهدتها وقضوا في القاهرة اياماً كثيرة لهذه الغاية فتكتسب البلاد منهم كل سنة ما يربو على ما تنفقهُ الحكومة في هذا السبيل

اما الآثار التي كشفت في ما نقب حتى الآن فباب كبير من المرمر (الغرانيت) يظهر انهُ نقل الى هناك من هيكل الشمس في ابوصير في عهد الدولة الخامسة من الدول المصرية ومذبح من المرمر من عهد الدولة التاسعة وجزءٌ من امر ملكي من عهد الدولة الثانية عشرة وكثير من الالواح الحجرية المكتوبة في عهد الدولة الثامنة عشرة وفيها ما يدلُّ على اسلوب من اساليب العبادة لم يكن معروفاً حتى الآن فقد رسمت فيها آذان كثيرة وكتب تحتها ما يدلُّ على انها رسمت هناك لتسمع دعاء الداعين وتبلغهُ الى الاله المعبود . ويلزم لكشف آثار هذا الهيكل كلهِ سنون كثيرة لاتساعهِ الهائل .

وجرى البحث ايضاً في حي الغرباء نزلاء منف فوجدت آثار هيكل هاثور وهي التي سماها هيرودوتس بالزهرة ولم يكشف الآن الا جانب من الرواق المقدَّم وقد وجد فيهِ ما يدلُّ على انهُ كان مزداناً ابدع زينة كما قيل عنهُ . ووجد في اساسهِ تاج عمود صنع في الزمن الذي بنيت فيهِ الاهرام ووجد في حي الغرباء ايضاً رؤُوس تماثيل صغيرة تمثل اناساً من الفرس والقزاق واليونان والسوريين والهنود . وسيكون لما يكشف من الآثار في هذا الحي اكبر شأن في علم التاريخ لانهُ كان مباءة للتجار من كل امم الارض

ووجد في بقعة اخرى آثار بناء من عهد الملك سي آمن ولم يوجد شيءٌ قبل الآن من اثار هذا الملك وفي بقعة غيرها عمود كبير طولهُ ثلاث عشرة قدماً ولعلهُ جزءٌ من بناء كبير متصل بهِ . هذا عدا ما وجد من الادوات الصغيرة التي تدل على ان منف كانت داراً للصناعة كما كانت داراً للتجارة

ويا حبذا لو كلفت الحكومة مديري دار التحف بوصف كل ما يوجد من هذه الآثار باللغة العربية حتى يطلع عليها ابناء هذا القطر

الاعضاء الاثرية

والخلل في نظام التركيب الانساني

تتألف الاجسام الحيوانية والنباتية من اجهزة واعضاء لكل منها وظيفة معينة يعمل بها في كل ادوار حياتهِ عملاً خاصاً بهِ ويستمرّ عليهِ من حين يولد الى حين يموت . وتحتوي ايضاً على اجهزة واعضاء متقهقرة او ضامرة لا تعمل عملاً ولا تقضي وظيفة وتعرف بالاعضاء الاثرية وهي من اهم الظواهر البيولوجية التي اشكل فهمها على علماء التاريخ الطبيعي الاقدمين فذهبوا فيها المذاهب المضحكة وبقي سرُّها غامضاً حتى شاع مذهب دارون وثبت بهِ ناموس التحوُّل والارتقاء فثبت لعلماء هذه الايام انها اعضاء كانت عاملة في الاصل فامتنعت عن عملها بضرورة تطبيق المعيشة على الاحوال الخارجية وبتمادي القرون خسرت وظيفتها وضمرت ولكن وجودها رسخ في النسل بناموس الوراثة . وهي كثيرة في الحيوان والنبات الّا اننا نقتصر على بعض الامثلة لبيان اصلها

ففي النبات توجد الاعضاء الاثريَّة غالباً في الزهر فترى اكثر اجزائهِ على درجات متفاوتة من البلوغ والنمو والتلهوج والضمور كما في ازهار الفصيلة الشفوية التي منها النعناع والمردقوش والصعترفان من خصائصها ان يحتوي زهرها الشفوي على سداتين طويلتين واخريين قصيرتين ولكن كثيراً من تنوعات هذه الفصيلة كالقصعين وحصى اللبنى لا تحتوي الّا على زوج واحد تام النمو واما الزوج الثاني فضامر او مفقود وفي بعضها يكون الزوج الثاني موجوداً ولكن الكتلة التي تكون عادةً على رأس السداة تكون خالية من الغبار الذي يغشاها وعليهِ يتوقف التلقيح فتكون من هذا القبيل عديمة الفائدة . وقد توجد سداة خامسة اثرية لا فائدة لها ولا معنى لوجودها سوى الاستدلال على القرابة الطبيعية بين هذا النوع ونوع سابق هي فيهِ ذات فائدة

واما في الحيوان فالاعضاء الاثرية كثيرة جداً حتى انهُ لا يخلو حيوان منها ومن امثلتها ان ذوات الفقرات زوجين من الاطراف يتصلان بالجذع احدهما مقدم وهو اليدان والثاني خلفي وهو الرجلان وكثيراً ما يكون احد الزوجين ضامراً او يكون الاثنان معاً ضامرين كما في الحيات وبعض الاسماك واذا فحصنا البواء وغيرها من الافاعي الكبيرة وجدنا في القسم الخلفي من جسمها قطعاً عظمية لا فائدة منها ولا معنى لوجودها وانما هي بقايا رجليها

اللبين فقدتهما . ويشبهها الحيتان ذوات الثدي فان لها طرفين مقدمين اي عوامات صدرية وليس لها طرفان خلفيان بل يمثلها زوج من القطع العظمية مستتر تحت اللحم ليس لهُ اقل منفعة

وفي مقدم الفك العلوي عظم صغير يسمى العظم بين الفكين يصل بين الفك الايمن والفك الايسر فيكمل قبوة الحنك فالحيوانات المجترة كالبقر والغنم والمعزى يكون لاجنتها اسنان قواطع في العظم المذكور الاَّ انها لا تبرز منهُ فهي اذًا اثرية وعديمة الفائدة . والحيتان ذوات الثدي يكون لاجنتها اسنان مرصوفة في الفك العلوي ولا فائدة لها حينئذٍ لاستحالة المضغ على الجنين واما بعد الولادة فتتحول الى صفائح غضروفية فلا تفيد قبل الولادة ولا بعدها فوجودها دليل على انها اثرية اي انها اثر لاصل سابق

واغرب ما ترى من الاعضاء الاثرية العيون العمياء في الحيوانات التي تعيش في الاماكن المظلمة كالكهوف والسراديب التي تحت الارض فانها موجودة فيها وقد تكون كاملة النمو والتركيب الاَّ انها لا تبصر لانها مغطاة بغشاء يحول دون اشعة النور ان تخترق الى داخلها كما في الخلد والفار الاعمى وبعض الحيات والحراذين والاسماك والامفيبيا اي الحيوانات المائية الهوائية وفي كثير من عديمات الفقرات كالجعل والحيوانات الحرشفية والديدان الخ

ومن امثلتها في الانسان عضلات اذنهِ فان اذن الانسان لا تتحرك رغماً عن كونها مجهزة بجهاز عضلي يقضي بان تتحرك الى الاعلى والاسفل والامام والخلف الاَّ ان الانسان لما صار يحرك رأسهُ حركة رحوية اضاع حركة اذنيهِ وبقيت عضلاتها ارثًا عن اسلافهِ الذين كان لهم آذان كبيرة طويلة ذات حركات كثيرة وسريعة وهكذا يقال عن بعض طوائف الكلاب الداجنة التي استرخت اذانها بتأثير الدجن فيها

ومن اغرب الاعضاء الاثرية في الانسان البروز اللحمي في موق عينهِ قرب جذر انفهِ وهو ثنية من الجلد هلالي الشكل لا فائدة لهُ ولا معنى لوجودهِ بل كثيرًا ما يكون سبب اضرارٍ للعين فهو اثر لجفن ثالث نام جدًّا في الطيور والحشرات وبعض الاسماك ولا سيما كلب البحر حيث هو كثير النفع ويسمى جفن الغمض

وقد اهتم كثيرون من علماء تشريح المقابلة بهذه المسألة وقابلوا بين اعضاء الانسان وبين ما يقابلها في الحيوان ولا سيما القرود فوجدوا نموًا زائدًا في ١٥ عضوًا من اعضائهِ بالنسبة الى ما يقابلها من القرود كنمو الطرفين السفليين الموافق لوقوفهِ ومشيهِ منتصبًا ومل

يتبع ذلك من عرض الحوض والعجز في المرأة لحمل الجنين ونمو عضلات الساقين وتنوع بعض عضلات الوجه والانف وبعض عضلات المخ والنخاع الشوكي والفص المؤخري وزيادة انتشار الطبقة القشرية في الدماغ ومرونة عضلات الحنجرة وتكييفها لسهولة التكلم. ووجدوا سبعة عشر عضواً من اعضائهِ في حالة التقهقر الاّ انها لا تزال قادرة على قضاء وظيفتها الفيسيولوجية ولكن ببعض الضعف كعضلات الساق والعضد واصابع الرجلين ومئة وسبعة اعضاء لا تعمل اقل عمل فيسيولوجي موافق لوجودها كالعصعص وهو بقية الذنب والزوج الثالث عشر من الاضلاع والثديين في الرجل والزائدة الدودية والشعر المنتشر على سطح الجلد الخ

وقد ارتقى الانسان ارتقاء عظيماً بالنسبة الى القرود الشبيهة بهِ بل بالنسبة الى الطوائف الواطئة من نوعهِ كالهوتنتوت واهل استراليا الاصليين . ويخطئ من يقول ان الطبيعة تكون على اتم النظام والكمال حيثما لا يتعرض لها الانسان الذي يشوهها باعمالهِ لان الانسان فاق الطبيعة في احوال كثيرة فان المولعين بتربية الازهار والطيور ولّدوا من الغرائب ما يدهش العقول حتى لقد يجتمع الفريق منهم و يرسم شكلاً رائقاً للزهر الذي يريد ان يولدهُ فيفعل و ينجح ومثلهُ المولعون بتربية الطيور. ومن يشاهد معرض الازهار في القاهرة لا يسعهُ الاّ الاعتراف بذلك لما يرى من التفنن البديع في ايجاد تباينات متعددة للزهر الواحد مما يدل على اقتدار الانسان على خلق الاشكال

وقياساً على ذلك زعم قوم انهُ يمكن ايجاد صورة للانسان اتم واكمل من صورتهِ الحاضرة كأن يكون لهُ اجنحة ولكنهُ بلغ على ما يظهر حد الكمال الحيواني بحيث لا يمكن ان يكون لهُ صورة حيوانية اجمل من الصورة التي هو عليها الآن. على ان ذلك لا يطلق على التكوين الانساني عموماً لان الجمال انما يكون في دور الصبا والشباب وبعض الكهولة واما في الشيخوخة فيكون الرجل والمرأة على حالٍ من الشناعة كثرت او قلّت . وفي الهرم يزول كل اثر للجمال الرائع . وجمال الانسان انما هو في صورتهِ البشرية وبالخصوص في ملامحهِ واما في الاجهزة والاعضاء فلا جمال ولا كمال بل تشويش في التركيب وخلل في التكوين كما قلنا آنفاً ونريد ان نبسط الكلام فيهِ هنا .

– فمن الامثلة على ذلك الشعر الذي يتوزع على سطح الجلد فيكون اولاً في الجنين زغباً يغطي الجلد كلهُ ما عدا الانف والراحتين والاخمصين و ينزل على الكتفين والظهر على هيئة بنود مستطيلة ومنتظمة وبعد الولادة يقع و يتبدل بشعر يدوم مدة الحياة و ينمو في البلوغ والشيخوخة و يشبه ان يكون كساء لا شيء فيهِ من الجمال او الفائدة . ومما لا ريب فيهِ ان

هذا الشعر هو من الآثار التي ورثها الانسان عن اسلافهِ وهو ليس في شيء من كمال التكوين او جمالهِ بل هو خالٍ فيهِ لان الجلد كثير التعرض لملامسة الميكروبات المجولة بالغبار وبصلات الشعر مستودع مناسب لنموها وبعض الامراض الجلدية كالاكنة والدمامل تحدث من نمو المكروب في بصلات الشعر وقنواتهِ . فالشعر اذاً عيب في تكوين الانسان لانهُ استعاض بعقلهِ عن كثير من الصفات الحيوانية وعرف ان يتقي العوارض الخارجية بما اخترع من انواع الكساء حسب ما تقتضيهِ الحرارة المحيطة بهِ على ان ناموس الوراثة يضطرهُ الى احتمال الشعر الاثري وما يحدث عنهُ من العوارض السيئة

ومن الامثلة على ذلك ايضاً جهاز الاسنان فان فيها من العيب ما لا يتفق مع حاجات الانسان الاساسية لكنها وان امكن للانسان الاستغناء عنها عند الضرورة لا تعتبر مضرة كالشعر . وعددها في الانسان ٣٢ وهي في كل فك ٤ قواطع ونابان و ٤ اضراس صغيرة و ٦ اضراس كبيرة واما في القرود فهي ٣٦ اي لها زوج رابع من الاضراس في كل فك زيادة عما في الانسان . ومما يستحق النظر هو ان الاسنان في قرود العالم القديم مائلة الى النقص والضعف و يغلب ان يكون عددها ٣٢ وهي في ما يماثلها من قرود العالم الجديد ٣٦ فالزوج الرابع من الاضراس قد فقد من الانسان بسبب سهولة المضغ الحاصلة عن تحضير الاطعمة ومن ثم بسبب قصر الحنك . وقد يوجد الزوج المذكور في الانسان ويبلغ بهِ عدد الاسنان ٣٦ كما في القرود الَّا ان ذلك يكون خاصة في الشعوب الواطئة كالزنوج واهالي استراليا الاصليين واهالي كاليدونيا الجديدة فالصفة الخاصة بالانسان هي فقد الزوج الرابع من الاضراس . وفقد الزوج الثالث اى اضراس الحكمة او العقل هو الاعراق في الانسانية وهو كثير في النسل الابيض لان ١٠ في المائة من اهالي اوربا لا تظهر فيهم اضراس العقل ولا ينبت لهم سوى ٢٨ سناً فقط و يغلب فيهم نقصان الزوج الثالث من الفك العلوي . ففقد اضراس العقل يجب ان يعتبر صفة خاصة بالانسان لان وظيفتها الفسيولوجية محدودة وفعلها في المضغ ضعيف جدًّا وفقدها لا يؤثر فيهِ شيئًا واطباء الاسنان يحذفونها من الجهاز الصناعي. وقد علمنا بالاختبار والمشاهدة ما يتأتى عنها من العوارض السيئة والعلل المزعجة بسبب بطوء نموها وصعوبة بروزها من الغشاء المخاطي الذي يغطيها . وهي سريعة النخر والغشاء المخاطي الذي يغطيها معرض لكل نوع من العلل الصغيرة التي تجلب الفساد الى الاجزاء المجاورة فيحصل بسببها احتقانات وخراريج ونخر الفكين وتيبس اربطة الفك وانطباق الفم وامتناع فتحهِ واحياناً خراريج حول الفك يعقبها خراريج دماغية الى غير ذلك من العوارض القتالة

التي لا تقابلها وظيفة مفيدة . فاضراس العقل اذاً اصبحت في الانسان ضعيفة او اثرية ولا يمكن اعتبارها مكملة لنظام تركيبه بل مخلة فيه ومشوشة له وانما كانت مفيدة لاجدادنا البعيدين للزومها في مضغ اغذيتهم الصلبة

ومن الاعضاء الاثرية التي تستحق الالتفات من وجوه كثيرة الزائدة الدودية وهي قطعة صغيرة من المعى ليس لها اقل فائدة في الانسان لان استئصالها اصبح من العمليات الشائعة كثيرًا وقد استؤصلت في احوال مشبوهة اي لم يكن المرض فيها مؤكدًا وفي الحالين لم يحصل من استئصالها اقل اذى ولم تتأثر وظيفة الهضم المعوي اقل تأثير . ويغلب ان تنسدّ بعد سن الخمسين وقد تنسد في الاطفال والشباب ويمتنع استطراقها الى الامعاء واشتراكها معها في الهضم ويبقى الهضم على ما كان عليه بحال الاستطراق ولا يشعر باقل ضعف او خلل يطرأ عليه بعد السد وعليه تكون الزائدة الدودية عديمة الوظيفة وعديمة الفائدة

ووظيفتها في القرود محدودة ايضاً وتقتصر على فعل الغدد اليمفاوية واما في الدرجات الواطئة من سلم الحيوانات ففائدتها كبيرة ففي بعض الحيوانات التي تغتذي بالنبات كالارنب وبعض ذوات الكيس يكون المعى المعروف بالاعور ناميًا جدًا وينتهي بقطعة كثيرة الغدد اليمفاوية وشبيهة بالزائدة الدودية يقضي وظيفة مهمة في هضم المواد النباتية فهي في الاصل عضو مفيد ومتأصل في الجسم الحيواني وقد حفظ في الانسان بفعل الوراثة. وبما ان الاعضاء الاثرية تمتاز بضعفها الموروث فتكون كثيرة التعرض للامراض والزائدة الدودية تثبت ذلك لان التهابها كثير الحدوث ويشغل محلاً مهمًا في امراض القناة الهضمية ولاثبات ذلك يكفي ان نذكر الحوادث التي عولجت في مستشفى واحد من مستشفيات باريس ففي مدة خمس سنوات اي من ١٨٩٥ الى ١٨٩٩ عالجوا في مستشفى تروسو فقط ٤٣٣ حادثة وبما ان استطراقها يكون تامًا في الاحداث والشبان فيصابون بها اكثر من سواهم ويقال ان ٣٦ في المائة من الاصابات يكون تحت سن العشرين واما الشيوخ فيصابون بها نادرًا .

وسبب التهابها ضعف حركتها وسهولة انحشار المواد الغريبة فيها فقد وجدوا فيها بعد الاستئصال مواد متنوعة كالمواد البرازية والبزور والشوك والشعر ووجدوا احيانًا دبابيس ومسامير وهذه المواد تؤذي جدار الزائدة وتلقحهُ بالمكروبات فيحصل التسمم المكروبي والالتهاب . وقد تدخل ديدان الامعاء الى جوف الزائدة وتلقحها بالجراثيم المرضية وتسبب مرضًا يختلف شدةً ووطأةً باختلاف جرثومته . فالزائدة الدودية اذًا من اوضح الادلة على خلل التركيب الطبيعي والانفع للانسان ان لا توجد في امعائهِ فيسلم من ضرر كثير

والاعور نفسهُ الذي تنتوُّ منهُ الزائدة الدودية متقهقر في الانسان وقليل النفع او عديمهُ وهو كثير النفع في الحيوانات التي تغتذي بالنبات حيث يقضي وظيفة هضم حقيقية

ولا يستغرب القارئ اذا قلنا ان قسماً كبيراً من القناة الهضمية يمتاز بنموهِ واتساع سطحهِ هو ايضاً اثر موروث عن الاصل الحيواني وغير مفيد للانسان ونعني بذلك الامعاء الغلاظ بكاملها لانها بالحقيقة عضو فضولي في جسم الانسان لا فائدة لها في الهضم ولا قوة فيها على امتصاص الغذاء الاَّ ما قلَّ وقد استؤصلت كلها او بعضها بدون ضرر ولا تعطيل في الصحة او في البنية . ومن الادلة الواضحة على ذلك ان امرأة اصابها ناسور فصارت تتغوط منهُ وعاشت بهِ ٣٦ سنة وتزوجت وولدت اولاداً وكانت دائماً متمتعة بصحة جيدة وقصد احد الجراحين ان يشفيها من الناسور وبعد مباشرة العمل وجد الامعاء الغلاظ مسدودة على طولها وضامرة فاضطر ان يوقف العملية

والامعاء الغلاظ نامية جدًّا في الحيوانات التي تغتذي بالنبات لانها تفيدها في هضم المواد النباتية اذ لا فائدة لها تذكر في هضم المواد الحيوانية . وهي تتضمن في الحيوانات المذكورة عدداً كبيراً من المكروبات التي تساعد على هضم الياف النبات التي يصعب هضمها جدًّا لولا وجود المكروبات . فالامعاء الغلاظ ضرورية لحياة الحيوانات التي تغتذي بالنبات كالحصان والارنب والبقر وغيرها من ذوات الثدي

ويظهر لنا من درس التاريخ الطبيعي ان المعى الغليظ لا يبلغ حدهُ من النمو الاَّ في ذوات الثدي لانها تعيش على الارض وهي سريعة الحركة وتضطر الى السرعة اما للانقضاض على فريستها او للهرب من اعدائها وفي كلا الحالين لا يوافقها ان تقف في سيرها المدة اللازمة لتفريغ امعائها لان ذلك يذهب بالفائدة المطلوبة لحياتها ويكون وقوف المبرزات في حوض كبير كالمعى الغليظ في غاية الموافقة لتنازع البقاء فالمعى الغليظ بمثابة حوض تجتمع فيهِ فواضل الهضم كما يجتمع البول في المثانة

اما الطيور التي تعيش على نوعٍ ما في الهواء فلا تحتاج الى الوقوف لطرد فواضل الهضم ولهذا ليس لها معى غليظ . والحشرات والحيوانات البرية مائية وان كانت تعيش على الارض ليس لها معى غليظ اذ لا حاجة لها بهِ لان دمها بارد واكلها قليل وعيشتها هادئة وحركتها بطيئة وسيرها قليل وغير متواصل

يظهر مما تقدم اننا ورثنا عن الحيوانات اعضاء اثرية غير مفيدة او مضرة واعضاء نامية غير مفيدة ايضاً ومضرة احياناً كثيرة لان المعى الغليظ حوض تجتمع فيهِ فضلات الطعام

وتخزن وتفسد ويحصل من فسادها اضرار جمة لان المواد البرازية اذا طال مكثها في المعى مدة طويلة كما يحصل في القبض امتصت بعض المواد الداخلة في تركيبها وامتزجت بالدم واحدثت تسممًا شديدًا وكلٌّ يعلم ان القبض يسبب حمى ويحدث بثورًا كبثور الاكنة وغيرها من الامراض الجلدية عدا عن انهُ مركز امراض كثيرة وخطيرة كالدوسنطاريا ولا سيما في البلاد الحارة والاورام الخبيثة ولا سيما السرطان وكثير غيرها مما هو ثابت من تعداد الحوادث ومراقبتها في المستشفيات

لا غرو ان تُعدد في القناة المضمية الاعضاء او الاجزاء المضرة او اللالزوم لها لان اجداد الانسان كانوا يغتذون بالاغذية الغليظة كالنباتات البرية واللحوم النيئة واما الانسان فقد عرف ان ينتخب من النبات ما كان سهل الهضم وان يحضر من الغذاء ما كان سهل التمثيل فاصبحت الاعضاء التي كانت موافقة لاسلافهِ غير موافقة لهُ . وكل حيوان يتمكن من الحصول على اغذية سهلة التمثيل غير جانبًا كبيرًا او صغيرًا من قناتهِ المضميَّة كالدودة الوحيدة التي تعيش في معى الانسان فانها تعوم في سائل مهيَّإٍ لتغذيتها ولا تحتاج الى عمل هضمي ففقدت قناتها الهضمية . اما الانسان فلم يتوفر لهُ ذلك فحفظ من المعى الغليظ ما ليس لهُ فيهِ سوى الضرر وقضى عليهِ قانون صحتهِ ان يدخل دائمًا في طعامهِ المواد النباتية مراعاة لتركيب قناتهِ المضمية

والخلاصة انهُ بعد بيان ما ذكر من سوء نظام الجهاز المضمي وخلل تركيبهِ لم يبقَ مجال للقول بان الاجهزة العضوية تعمل عملها الفسيولوجي طبقًا لغاية مرسومة لها وانها مخلوقة على نظام بديع وكامل لا يقبل التغيير والتبديل لان ما الفائدة من آلات لا عمل لها ومن اجهزة عضوية وجدت لغاية وهي لا تستطيع ان تصل اليها . فالاعضاء الاثرية قد كانت بالحقيقة اكثر كل الظواهر البيولوجية غموضًا واصعبها تفسيرًا وقد حاول علماء الطبيعة المتقدمون حلها وارتأوا فيها الآراء الغريبة والمضحكة كقولهم ان الخالق بعد ما بنى الهيكل الانساني ورتَّب فيهِ الاجهزة والاعضاء على نظام متناسب ومتناسق رأى من الحكمة ان يبقي لهُ تلك الاعضاء ولو كانت عديمة الفائدة ليكمل بها النظام والترتيب على نحو ما يفعل اصحاب الرتب الذين يلبسون البدلة الرسمية ويتقلدون السيف بدون ان يجردوهُ . واما المتأخرون فقد هان عليهم حلها والتعليل عن سبب وجودها بناموس الارتقاء لان ضرورة تطبيق العمل على الاحوال الخارجية يقضي بان الاعضاء التي تزيد عملاً تزيد نموًا ونشاطًا والتي يقل عملها يقل نموها ونشاطها حتى اذا انقطعت عنهُ لاستغنائها عما يلزمها من فائدتهِ

ضمرت وخسرت وظيفتها الاَّ ان الوراثة تسلمها من جيل الى آخر وبتوالي الاجيال تختفي او يبقى لها اثر طفيف

فالعوامل الحقيقية اذًا في عالم الحياة ليست الاَّ عوامل طبيعيَّة وترجع في اسبابها الى الطبيعة كما ان العوامل الحقيقية في عالم الجماد هي عوامل طبيعية وراجعة في اسبابها الى الطبيعة . فاذا عرفنا ذلك انجلى لنا الغامض من الكون وادركنا سرَّ تكوينهِ الميكانيكي وتحققنا ان الطبيعة لا تجري مجراها طبقًا لغاية موضوعة لها لاننا اذا انعمنا النظر في العلاقة المشتركة بين الحيوان والنبات بدون ان نستثني الانسان رأينا ما يفسد هذا الزعم اي اننا لا نجد تلك العاطفة بين الكائنات الحية التي يتغزل بها شعراء المحافظين على الاعتقادات التقليدية بل نجد حربًا دموية تستعر نارها على الدوام من الكل ضد الكل . فمجرى الحياة اذًا هو الهوى وحب الذات سواءٌ كان ذلك عن تعقل اوعن غير تعقل ووجود الاعضاء الاثرية قد قضى على تلك الاعتقادات الفارغة لا سيما وانها مع عدم فائدتها قد تكون سبباً لامراض واسقام كثيرة والجسم الانساني لا يحسب كاملاً او مرتقيًا تمام الارتقاء الاَّ بزوال الاعضاء المضرة منهُ والخلة بينائهِ ونظامهِ . على ان الوهم اذا رسخ عُدَّ حقيقةً والاعتقاد اذا تأصل حُسب كل بحثٍ خارج عن حدودهِ كفرًا ولكن العلم لا يقف عند حد الشك ولا يرضى الاَّ بالحقيقة فيبحث عنها اينما كانت وحيثما وجدت . فالتديُّن من صفات الانسان التي يمتاز بها عن الحيوان اذًا لا يستطيع الاَّ ان يدين بدين ولكنهُ يستطيع ان يتوسع في تأويل الدين بحيث لا ينفصل عن العلم كل الانفصال فاذا اعتقد ان الخالق وضع للكون نظامًا عامًا احد نواميسهِ ناموس الارتقاء كان لهُ متسع للبحث والتأويل ونزَّه معبودهُ من صفات النقص التي ليست في الحقيقة الاَّ في عقلهِ وادراكهِ

وخير للدين وللعلم ان يجري كلٌّ منهما في خطتهِ مستقلاً عن الآخر فكما لا يعارض الدين علم الزراعة ولم يعارض علم الطب ولا هذان العلمان يعارضانهِ كذلك يجب ان لا يتعارض هو وعلم الحياة

وقد اقتصرنا فيما تقدم على البحث في بعض الاعضاء الأثرية وخصوصاً ما كان منها في الجهاز الهضمي وبقيت اعضاء اخرى ما لا تقل عنها اهمية وفائدة ولا سيما ما يختص منها بالغرائز والحس وحفظ النوع وسنأتي على ذلك في فرصة ثانية ان شاء الله

الدكتور امين ابو خاطر

تحفة الظرفاء

في تواريخ الملوك والخلفاء

نظم حماد بن محمد بن احمد الباعوني الشامي الدمشقي الشافعي

هذه الارجوزة من عتائق المخطوطات القديمة ولم يذكر تاريخ نسخها ولكن يظهر من شكل كتابتها وورقها انها قديمة العهد ولم اجد لها نظيرًا في المكتبة الخديوية بل رأيت في مجموعة ٢٠ من المكتبة كراسة فيها قصيدة جلال الدين السيوطي مسماة هناك تحفة الظرفاء باسماء الخلفاء وهي معروفة ومطبوعة في ذيل كتابهِ تاريخ الخلفاء وعنوانها فيهِ قصيدة في اسماء الخلفاء ووفياتهم

اما ارجوزة الباعوني فتختلف عن قصيدة السيوطي اختلافًا كليًّا . وقد وجدت ترجمة الباعوني في كتاب ديوان الاسلام للشيخ الامام شمس الدين ابي المعالي محمد بن عبد الرحمن الشافعي الدمشقي العامري المعروف بابن الغزي (وهو خط في المكتبة الخديوية) . قال في قسم الالقاب : " الباعوني : محمد بن احمد بن ناصر الامام الفاضل الاديب شمس الدين الدمشقي الشافعي لهُ مؤلفات منها نظم سيرة مغلطاي وارجوزة في الخلفاء العباسيين وينابيع الاحزان توفي بدمشق سنة ٨٧١ " اما السيوطي فتوفي سنة ٩١١ هـ

ولا اعلم لماذا خص الارجوزة بتاريخ الخلفاء العباسيين مع انها تحوى تواريخ الامويين ايضًا والدولة الفاطمية ودولة بني ايوب

وقد اقتصرت على الايات المختصة بالتاريخ وعلقت عليها شرحًا وجيزًا في الحاشية اتمامًا للفائدة وذكرت اسماء الخلفاء بين الايات وهي غير موجودة كذلك في الاصل والارجوزة بعد الفاتحة كما ترى

يوسف اليان سركيس

وبعدُ .فالتاريخُ علمٌ شرَفُهْ عاليةٌ بين الانام غُرَفُهْ
وفيهِ ما فيهِ من المنافعِ حتى لقد قال الامامُ الشافعي
في خبرٍ قد صحَّ عنهُ نقلُهُ مَنْ حفظ التاريخ زاد عقلُهُ
وهو كلام ظاهرٌ لا شكَّ في صحتهِ وسرّهُ غيرُ خفي

وهـذه ارجوزة لطيفهْ الفاظهـا رشيقة ظريفهْ

فيها تواريخ جميع الخلفا من بعد خير العالمين المصطفى
من حين بايعوا الامام البرّا خلّ النبيّ وهلمّ جرّا
الى زمان المستعين بالله بلّغهُ الله المرادَ كلّه
وبعدهُ الى زمان الاشرفِ عاملهُ الله بلطفهِ الخفيّ

(ابو بكر الصديق)

بعد النبيّ بايع الناس ابا بكرٍ امام المسلمين المجتبي
فتم عامين وثلث عام[1] وعمّ بالفضل وبالانعامِ
وقام في قتال اهل الردّه مجتهدًا في كشف تلك الشدّه
مجرّدًا مرْهفهُ اليماني حتى اعادهم الى الايمانِ

(عمر بن الخطاب)

ثم مضى الى سبيلهِ ومر فبايع الناس ابا حفصٍ عمرْ
من بعدهِ بعهدهِ فقاما بهِ منارُ العدلِ واستقاما
واحسن السيرة والسلوكا وارهبت هيبتهُ الملوكا
وشاد اركان الهدى والحقّ وقام في قمع شرار الخلقِ
وبعث البعوث والامدادا لغزوهم وجنّد الاجنادا
واخذ البلاد منهم قسرا وهدّ ركن قيصر وكسرى[2]
اقام عشر حجج تليها ستة اشهر يسير فيها
سيرة عدلٍ وصلاحٍ وهدى وحاز في الآخر اجر الشهدا

(عثمان بن عفان)

من بعدهِ قد اشرق الزمانُ لما ولي من بعدهِ عثمانُ
اقام عشر حجج تلتها ثنتان للمدّة اكملتها

---

(1) بويع ابو بكر يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة (٦٣٢ م) وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة (٦٣٤ م) وله ثلاث وستون سنة

(2) ولي عمر الخلافة بعهد من ابي بكر في جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة (وقال النووي استخلف عمر يوم توفي ابو بكر) ومات يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (٦٤٤ م). وكثرت الفتوح في ايامهِ ففتحت الشام كلها وفلسطين ومصر والجزيرة والعراق حتى بلاد خراسان وفارس وطرابلس المغرب

وماتَ بعد عصرهِ شهيدا وكان طول عمرهِ سعيدا (١)

(عليّ بن ابي طالب)

فبايعوا من بعدهِ عليًا فاصبح الحق بهِ جليًا
وكيف لا وهو ابن عم الهادي وسيدِ العبادِ والزهّادِ
فسار فيها سيرةً جميلهْ وتمَّ فيها مدةً قليلهْ
عدَّتها من السنين اربعْ وتسعة من الشهور تتبعْ (٢)
من بعدما ابدى بها اجتهادهْ وفاز في المحراب بالشهادهْ

(الحسن بن علي)

فبايعوا من بعدهِ ابنهُ الحسنْ سبط رسول الله ذا الوجهِ الحسنْ
فسار فيها مبدئًا عفافهْ وكمَّل الله بهِ الخلافهْ
من بعد ما اقام نصف عام (٣) وصحَّ قول سيد الانامِ
تكون من بعدي ثلاثين سنهْ خلافةً على السداد حسنهْ
وبعدها ملكاً عضوضاً وصدقْ وكلما قال النبيُّ فهو حقْ

(معاوية بن ابي سفيان)

وسلَّم الامر الى معاويهْ ولم يكن في شرف مساويهْ
لكنهُ آثر كشفَ الغمَّهْ بالصلح صونًا لدماء الامهْ
وقد جرت بذلك الاقدارُ والله فعَّالٌ لما يختارُ
ثم استمرَّ بعدهُ معاويهْ يردي بسيف عزمهِ مناويهْ
اقام عشرةً من الاعوام وتسعةً يحكم في الانامِ
وزال ملكهُ وولّى وانقضى وراح عنهُ مثل امسٍ قد مضى (٤)

---

(١) بويع عثمان بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليالٍ وقتل يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ (٦٥٦ م) ولهُ من العمر اثنتان وثمانون سنة (٢) بويع عليٌّ بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة وتوفي سنة ٤٠ (٦٦١ م) ولهُ ثلاث وستون سنة وقيل كان لهُ تسع عشرة سرية (٣) ولي الحسن الخلافة بعد قتل ابيهِ بمبايعة اهل الكوفة فاقام فيها ستة اشهر واياماً · ثم سار اليهِ معاوية فارسل اليهِ الحسن يبذل لهُ تسليم الامر اليهِ على ان تكون لهُ الخلافة من بعدهِ وعلى ان لا يطالب احدًا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان ايام ابيهِ وعلى ان يقضي ديونهُ · فاجابهُ معاوية الى ما طلب فاصطلحا على ذلك ··· ونزل لهُ عن الخلافة ··· وكان نزولهُ عنها في سنة احدى واربعين (٦٦١ م) (تاريخ الخلفاء للسيوطي)

(٤) مات معاوية في رجب سنة ٦٠ (٦٨٠ م) ودُفن في باب الجابية وباب الصغير (في دمشق) وقيل انهُ عاش سبعًا وسبعين سنة وكان يضرب بحلمهِ المثل

(يزيد بن معاوية)

ثم تولاها ابنهُ يزيدُ واللهُ فعالٌ لما يريدُ
اقام فيها نافذ الاحكامِ اربعةً تعدُّ في الاعوامِ
تزيد اياماً وجاء اجلهْ فبان مما قد جناهُ خجلهْ

(معاوية بن يزيد)

واصبحت منهُ البيوت خاويهْ فبايعوا لنجلهِ معاويهْ (١)
فتمَّ فيها اربعين يوماً وعام في بحر المنون عوماً

(عبد الله بن الزبير)

وبالحجاز والعراق بايعوا لابن الزبير بعدهُ وشايعوا
وكان سيداً رزين العقلِ سيرتهُ سيرة اهل العدلِ
عشر سنين ثم جا الحجاج في عسكرٍ جمٍ لهُ عجاجُ
حاربهُ بمكةٍ وقتلهُ ونقض الجبل الذي قد فتلهْ (٢)

(مروان بن الحكم)

فبايعوا من بعدهِ مروانا بالشام اذ اضحوا لهُ اعوانا
فتمَّ فيها تسعةً من الشهورْ وباد فيمن قد ابادتهُ الدهورْ

(عبد الملك بن مروان)

ثم تولاها ابنهُ عبد الملك وسار في طرق الهلاك وسلك(٣)

---

(١) استخلف معاوية ابنهُ بعهد من ابيهِ في ربيع الاول سنة اربع وستين (٦٨٤ م) .. ولما استخلف كان مريضاً فاستمر مريضاً الى ان مات ... وكانت مدة خلافتهِ اربعين يوماً وقيل شهرين وقيل ثلاثة اشهر ومات ولهُ احدى وعشرون سنة ولما احتضر قيل لهُ الا تستخلف قال ما اصبتُ من حلاوتها فلمَ اتحمل مرارتها (تاريخ الخلفاء للسيوطي) (٢) استمر ابن الزبير بمكة خليفة الى ان تغلب عبد الملك فجهز لقتالهِ الحجاج في اربعين الفاً فحاصرهُ بمكة اشهراً ورمى عليهِ بالمنجنيق وخذل ابن الزبير اصحابهُ وتسللوا الى الحجاج فظفر بهِ وقتلهُ وصلبهُ وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الاولى وقيل الاخرة سنة ثلاث وسبعين (٣) لا يعد مروان في امراء المؤمنين لانهُ خرج على ابن الزبير وقد غلب على الشام ثم مصر واستمر الى ان مات سنة ٦٥ (٦٨٤ م)

فتمَّ في الملك الذي قد انقضى　　عشرين عاماً ثم خلّى ومضى (١)

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

ثم تولاّها ابنهُ الوليدُ　　وهو مليك بأسهُ شديدُ

اقام تسعةً من الاعوام　　سحائب العزِّ لهُ هوامي

وتسعة من الشهور بعدها　　وانجزت لهُ المنون عهدها (٢)

(سليمان بن عبد الملك)

فقام بالامر سليمان اخوهْ　　وتمَّ في الملك على ما ورَّخوهْ

عامين كاملين ثم نصف عامْ　　وبعدها في لجة المنون عامْ

(عمر بن عبد العزيز)

ثم اقام الله منزل الزمر　　فيها الاشج العادل البرَّ عمر

ذا الطلعة البهيَّة الوضيَّهْ　　فسار فيها السيرة المرضيَّهْ

وتمَّ عامين بها ونصفا　　وطاب نعتاً في الورى ووصفا (٣)

(يزيد بن عبد الملك)

ثم مضى وذكرهُ حميدُ　　فقام فيها بعدهُ يزيدُ

فتمَّ عامين وعامين ومرْ　　وزال عنهُ ملكهُ وما استمرْ

(هشام بن عبد الملك)

ثم تولى بعدهُ هشامُ　　فابتهجت مصر بهِ والشامُ

---

(١) اما عبد الملك بن مروان وان كان بويع بعهد من ابيهِ في خلافة ابن الزبير (سنة ٦٥) فلم تصح خلافتهُ الى ان قتل ابن الزبير سنة ٧٣ ومات سنة ٨٦ (٧٠٥ م) وهو اول من ضرب الدنانير وكتب عليها بالحرف الكوفي : لا اله الاَّ الله وحدهُ لا شريك له

بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة كذا وفي سنة كذا

الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوًا احد

محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون

واقدم دينار معروف للامويين ضرب بدمشق سنة ٧٩ هجرية

(٢) ولي الوليد الخلافة بعهد من ابيهِ في شوال سنة ٨٦ (٧٠٥ م) ومات في سنة ٩٦ (٧١٤ م) وهو الذي بنى جامع دمشق الشهير وفي ايامهِ فتحت الفتوحات العظيمة كايام عمر بن الخطاب

(٣) ولد عمر بحلوان قرية بمصر وكان بوجههِ شجة ضربة دابة في جبهتهِ وهو غلام . بويع بالخلافة بعهد من سليمان في صفر سنة ٩٩ (٧١٧) فمكث فيها سنتين وخمسة اشهر وقد عدل وردَّ المظالم وسنَّ السنن الحسنة

فتمَّ فيها نحو عشرين سنه   وذهبت كأَنها كانت سنه[١]

(الوليد بن يزيد بن عبد الملك)

وقام بعــد موته الوليدُ   ابن يزيد الظالمُ العنيدُ
فظهرت منهُ امورٌ شاعت   عنهُ بكل بلدةٍ وذاعت
فنقموا عليهِ قبح فعلهِ   وبادروا حينئذٍ بقتلهِ[٢]

(يزيد بن الوليد)

ثم تولى بعدهُ ابن عمهِ   وصرَّحوا قاطبةً بذمهِ
وهو يزيد بن الوليد الناقصُ   وكان في ارزاقهم يحاصصُ
شحًّا فسموهُ بهذا الاسمِ   وصار في الالقاب مثل الوسمِ
فتمَّ فيها آمرًا وناهيا   خمسة اشهرٍ وولى فانيا

(ابراهيم بن الوليد)

فقام ابراهيمُ فيها بعدَهُ   وهو اخوهُ ثمَّ حلَّ لحدَهُ
قتلاً بحدّ الصارم المهنَّد   صارم مروانَ فتى محمَّد
فيا لهُ من ملك سقوهُ   كأس الردى ظلمًا وما ابقوهُ

(مروان بن محمد)

وقام مروان بها من بعدهِ   وغاب عند ذاك نجم سعدهِ
فتمَّ خمس حجج وشهرا   وثلث شهر ثم ولى قهرا
ومات مقتولاً بسيف السفَّاح   وشمَّ كافور الحمام النفَّاح[٣]

وذهبت دولتهم وزالت   واي حالٍ في الورى ماحالت
دانت لهم احدى وتسعين سنه   ثم انقضت كانها كانت سنه

---

(١) مات هشام في ربيع الاخر سنة ١٢٥ (٧٤٣ م)   (٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن الحكم ولد سنة ٩٠ فلما احتضر ابوهُ لم يمكنهُ ان يستخلفهُ لانهُ صبي فعقد لاخيهِ هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام . فتسلم الامر عند موت هشام في ربيع الاخر سنة ١٢٥ وقتل في جمادى الاخرة سنة ١٢٦ (٧٤٤ م)   (٣) لما خرج على مروان بنو العباس وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح سار لحربهم فالتقى الجمعان بقرب الموصل فانكسر مروان فرجع الى الشام فتبعهُ عبد الله ففر مروان الى مصر فتبعهُ صالح اخو عبد الله فالتقيا بقرية بوصير فقتل مروان بها في ذي الحجة من سنة ١٢٧ (٧٤٤ م)

نوادر من لباب الآداب

في كتاب لباب الآداب امور كثيرة مذكورة في كتب الادب وفيهِ امور اخرى وقعت للمؤلف او حدثت في زمانهِ والغالب انهُ لم يذكرها احد غيره كقصة بطريرك الاقباط التي نقلناها عنهُ في مقتطف ابريل . وها نحن موردون الآن حوادث اخرى حدثت في زمانهِ لا لقصد الفكاهة بل للاستدلال على شيء من احوال الناس في عصرهِ اي منذ نحو ثمانمئة سنة . وقد ذكر قبل الحادثة الاولى اسطورة مروية عن الاسكندر المقدوني قال

قال القاضي ابو القسم علي بن عبد المحسن بن علي التنوخي رحمهُ الله حدثني ابو الفرج الاصبهاني من حفظهِ قال قرأت في بعض اخبار الاوائل ان الاسكندر لما انتهى الى الصين ونازل ملكها اتاهُ حاجبهُ وقد مضى من الليل شطرهُ فقال لهُ رسول ملك الصين بالباب يستأذن عليك فقال ائذن لهُ . فلما دخل وقف بين يديهِ وسلم وقال ان رأى الملك ان يخليني فليفعل . فامر الاسكندر من بحضرتهِ بالانصراف وبقي حاجبهُ . فقال لهُ الرسول ان الذي جئت لهُ لا يحتمل ان يسمعهُ غيرك . فامر بتفتيشهِ ففتش فلم يوجد معهُ شيء من السلاح فوضع الاسكندر بين يديهِ سيفاً مجرَّداً وقال لهُ قف مكانك وقل ما شئت ثم اخرج كل من كان عندهُ . فلما خلا المكان قال لهُ الرسول اني انا ملك الصين لا رسولهُ وقد حضرت اسألك عما تريدهُ فان كان مما يمكن الانقياد اليهِ على اصعب الوجوه اجبت اليهِ وغنيت انا وانت عن الحرب . فقال لهُ الاسكندر ما امَّنك مني . فقال علمي بانك رجل عاقل وانهُ ليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل وانك تعلم ان اهل الصين متى قتلتني لا يسلّمون اليك ملكهم ولم يمنعهم عدمهم اياي ان ينصبوا لانفسهم ملكاً غيري ثم تنسب انت الى غير الجميل وضد الحزم

فاطرق الاسكندر مفكرًا في مقالتهِ وعلم انهُ رجل عاقل ثم قال لهُ الذي اريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاعهِ في كل سنة . قال هل غير ذلك قال لا . قال اجبتك . قال فكيف يكون حالك حينئذٍ . قال اكون قتيل اول محارب واكلة اول مفترس . قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك قال اصلح اذا لزمت مما تقدم ذكرهُ قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة . قال يكون ذلك مذهباً لجميع لذاتي . قال فان اقتصرت منك على السدس . قال يكون السدس موفَّرًا والباقي لجيشي واسباب الملك . قال قد اقتصرت على هذا . فشكرهُ وانصرف

فلما اصبح وطلعت الشمس اقبل جيش الصين حتى طبَّق الارض واحاط بجيش الاسكندر حتى خافوا الهلكة وتواثب اصحابهُ فركبوا واستعدُّوا للحرب فبينا هم كذلك اذ ظهر ملك الصين وعليهِ التاج فلما رأى الاسكندر ترجَّل فقال لهُ الاسكندر اغدرت قال لا والله قال فما هذا الجيش قال اردت ان اعلمك اني لم اطعك عن قلة ولا من ضعف ولبن ترى الجيش وما غاب عنك اكثر ولكني رأيت العالم الاثير مقبلاً عليك ممكناً لك فعلمتُ انهُ من حارب العالم الاثير غُلب فاردت طاعتهُ بطاعتك والذلة لامرهِ بالذلة لك. فقال الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منهُ شيء فما رأيت بيني وبينك احداً يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردتهُ منك وانا منصرف عنك . فقال ملك الصين اما اذا فعلت ذاك فلست تخسر . فلما انصرف الاسكندر اتبعهُ ملك الصين من الهدايا والالطاف بضعف ما كان قرَّر معهُ

هذه الاسطورة موضوعة كما لا يخفى وهي ليست من التاريخ في شيء وقد ذكرها المؤلف تمهيداً للقصة التالية . ويظهر لنا ان القصة التالية صحيحة ولو على وجه الاجمال وتستحق ان تحسب حادثة تاريخية الاَّ اذا قامت ادلة تنفيها وهي

جرى في مدتي ما يشاكل حديث الاسكندر وانا موردهُ وذلك ان الافرنج خذلهم الله لما خرجوا في سنة تسعين واربع مائة وفتحوا انطاكية وقهروا اهل الشام تداخلهم الطمع وحدثتهم نفوسهم بملك بغداد و بلاد الشرق فحشدوا وجمعوا وساروا يريدون البلاد وصاحب الموصل في ذلك الوقت جكرمش فجمع امراء التركمان الأُرتقية ومن قدر عليهِ ولقيهم على الخابور فكسرهم واسر من تقدمهم الملك بغدوين الرويس وجوسلين وسيَّرهم الى قلعة جعبر الى عند الامير شهاب الدين مالك بن سالم واودعهم عندهُ وعاد من بقي من الافرنج الى بلادهم ومقدمهم ميمون صاحب انطاكية فركب في البحر وسار الى بلادهِ يستنجد بالافرنج ويحشد ويرجع فمات قبل ذلك ومات جكرمش صاحب الموصل واقطع السلطان الموصل جاولي سقاوي لعزم على الغزاة وتوجَّه الى الشام فوصل قلعة جعبر وطلب اسارى الافرنج الذين عند صاحبها فقال هم بحكمك قال اقطع عليهم مالاً يشترون بهِ انفسهم فتحدث معهم شهاب الدين وقرَّر عليهم مائة الف دينار وعرف جاولي بذلك فقال انفذلي جوسلين فلما حضر عندهُ قال قطعتم على انفسكم مائة الف دينار . قال نعم . قال تشتهي اهب لك عشرة آلاف دينار قال ما ينكر لمثلك ان يهب عشرة آلاف دينار . قال تشتهي ان اهب لك عشرين الف دينار قال الصلح لملك مثلك ان يتلاهى بمثلي قال والله ما تلاهيت بك ولو اردت ان آخذ منك المال

ما ابصرتك ولا تحدثت معك . وانا اطلقكم واخلي لكم المال كلهُ بل لي حاجة تقضوها لي قال ما هي . قال صاحب انطاكية وصاحب حلب اعداي اريدكم تعينوني على قتالهم . وكان صاحب انطاكية دنكري وصاحب حلب الملك رضوان . فقال جوسلين نمضي ونجتمع فارسنا وراجلنا ونصلك نقاتل معك كل من قاتلك

فاطلقهم فمضوا وحشدوا وجمعوا ووصلوا الى خدمتهِ وسار هو وهم الى لقاء عسكر حلب وعسكر انطاكية حتى التقوا . فحدثني من حضر حربهم قال كان وقع السيوف بينهم يعني الافرنج كوقع الفوس في الحطب فكسرهم صاحب انطاكية فاما المسلمون فطار من سلم منهم واما الافرنج فاسر من فرسانهم جماعة كبيرة فجاؤُوا الى عند دنكري صاحب انطاكية ثاني يوم اسرهم وقالوا لهُ اي شيء تريد تعمل بنا . قال احملكم الى انطاكية احبسكم . قالوا والله ما فينا من يتبعك ولا يجيء معك نحن عراة ما معنا ثياب ولا نفقة ولا فرش تنام فيها ولا معنا غلمان يخدموننا . قال واي شيء تعملون . قالوا تخلينا نمضي الى بيوتنا نعمل شغلنا ونجيء الى الحبس . قال امضوا فمضوا واحضروا غلمانهم ونفقاتهم وفرشهم ووصلوا الى عندهِ الى انطاكية فحبسهم الى حين تسهّل خلاصهم

ومن النوادر التي قال اسامة انها حدثت في زمانهِ ما يأتي

كان بيننا وبين الاسمعيلية قتال في قلعة شيزر في سنة سبع وعشرين وخمس مائة لعملة عملوها علينا ملكوا بها حصن شيزر وجماعتنا في ظاهر البلد ركاب والشيخ العالم ابو عبد الله محمد بن يوسف بن المنيرة رحمهُ الله في دار والدي يعلّم اخوتي رحمهم الله فلما وقع الصياح في الحصن تراكضنا وصعدنا في الجبال والشيخ ابو عبد الله قد مضى الى دارهِ الى الجامع وكانت دارهُ في الجامع فوصل عمي فخر الدين ابو كامل شافع بن علي رحمهُ الله الى تحت الجامع والشيخ ابو عبد الله مشرف عليهِ فقال لهُ صاحب لعمي يا شيخ ابا عبد الله دلّ لنا حبلاً قال ما عندي حبل قال فدلّ عمامتك فابطأ عليهِ فتجاوزهُ وطلع من مكان آخر فقيل للشيخ ابي عبد الله كنت عريان وعلى رأسك عمامة قال لا ما كان عليّ عمامة ثم افكر فقال بلى والله قد قال لي وهب بن التنوخي وهو مع الامير فخر الدين ابي كامل شافع دلّ لنا حبلاً قلت ما عندي حبل فقال دلّ لنا عمامتك ولو لم يكن قد رأى عليّ عمامة ما قال ذلك . فكان رحمهُ الله عريان وعليهِ عمامة ولا يدري بالحال التي هو عليها لرعبهِ وضعف قلبهِ

ومنها كان عندنا بشيزر رجل يقال لهُ محمد البشيبش كان يخدم جدي سديد الملك ابا الحسن علي بن نصر بن منقذ الكناني رحمهُ الله وكيلاً على ضيعهِ ببلد كفر طاب يقال لها

ارجه ادركتهُ وهو شيخ كبير وكان ابدًا شجاعاً . قال جئت يوماً في الحر الى ركية ارجه لا شرب فرأيت رجلاً عليهِ معرقة امرأة وعلى كتفهِ كارة ثياب فداخلني الطمع فيهِ فقلت حط الكارة فاظهر لي خوفاً وقال ها يا مولاي وحطها عن كتفهِ فقدمت اليها لاخذها فمد يدهُ فقبض على ركبتي ورفعني عن الارض ثم ضرب بي الارض وبرك عليَّ واخرج من وسطهِ سكيناً كشعلة النار ليقتلني فعلت الصنيعة فنهض عني وخلاَّني وقال لا تحتقر الرجال ثم فتح الكارة فاخرج منها قميصاً دفعهُ اليَّ

ومنها وشاهدت رجلاً من اجنادنا الاكراد ينعت بزهر الدولة بختيار القبرصي سمي بذلك لصغر خلقهِ وكان رحمهُ الله من خيار المسلمين في الشجاعة والدين وقد ظهر عندنا اسد فحمل عليهِ فاستقبلهُ الاسد فخاض بهِ الحصان فرماهُ فجاءهُ الاسد فرفع رجلهُ لقمها الاسد وبادرناهُ فقتلنا الاسد فقلنا لهُ يازهر الدولة ما معنى دفع رجلك الى الاسد قال رأيتها اكسى ما فيَّ في الران والساق والخف فقلت ان امسك اضلاعي كسرها وان مسك رأسي نخشهُ ليشتغل برجلي الى ان يفرج الله . فعجبنا من حضور فكرهِ في ذلك الوقت

وختم المؤلف باب الفراسة بقولهِ: قد اوردت في كتابي المترجم بكتاب الاعتبار عجائب ما باشرتهُ وحضرتهُ وشهدتهُ من الحروب والمضاقات والوقائع منذ كنت ابن خمس عشرة سنة الى ان تجاوزت التسعين وما نالني منها من الجراح والمكاره وانا القائل

الوم الردى كم خضتهُ متعرّضاً ... لهُ وَهوَ عني معرضٌ يتجنّبُ
وكم اخذت مني السيوف مآخذ ... الحمام ولكن القضاء مغيّبُ
الى ان تجاوزت الثمانين وانقضت ... تلهنية العيش الذي فيهِ نرغبُ
فكروه ما تخشى النفوس من الردى ... الذّ واحلى من حياتي واطيبُ

نقف الآن عند هذا الحد وفي النوادر التي نقلناها امور كثيرة حرية بالنظر من ذلك ذكرهُ كلمة الافرنج بهذا اللفظ الشائع الآن في مصر والشام فاستعمالها كذلك قديم ولا داعي للعدول عنهُ الى كلمة فرنج او فرنجة . ولم نرَ في ما لدينا من التواريخ اشارة الى قصة بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب تل باشر لكن ابا الفرج قال في تاريخهِ ان بغدوين مات في القدس ووصى ببلادهِ للقمص صاحب الرها وهو الذي كان اسرهُ جكرميش واطلقهُ سقاوو جاولي . وعليهِ فاسم الموصول راجع الى بغدوين لا الى القمص اذا كان مراد ابي الفرج الاشارة الى اسر بغدوين مع جوسلين واطلاق جاولي سقاوي لهما . وجاء في

تاريخ الصليبيين للسر جورج كوكس ان جوسلين اعان بلدوين البرجي حتى خلف الملك بلدوين الثاني فجعلهُ بلدوين البرجي اميرًا على الرها لكن جوسلين هذا أُسر اخيرًا سنة ٥٤٦ ومات اسيرًا فهل هو جوسلين عينهُ الذي أُسر اولاً سنة ٤٩٠ او ان اسامة لم يكن يدقق في ذكر السنين كما يظهر مما نقلناهُ عنهُ في الجزء الماضي حيث قال انهُ كان في مصر سنة ٥٤٧ في عهد الملك العادل مع ان الملك العادل خلف الملك الصالح سنة ٦٥٥

وكيفما كانت الحال فالقصة محتملة الصدق ولا بدَّ من انها كانت تروى في عهدهِ حتى تمثل بها وهي تماثل ما يرى عن اخلاق فرسان الصليبيين وشهامتهم وحفظهم للذمام وما كان جاريًا في ذلك العهد من استعانة امراء المسلمين بامراء الصليبيين وامراء الصليبيين بامراء المسلمين

ومنها اهتمام امراء المسلمين بتعليم اولادهم فقد كان ابو اسامة مستخدمًا شيخًا من كبار العلماء لتعليم اولادهِ وظهرت نتيجة تعليمهِ في تفوق اسامة في الانشاء نثرًا ونظمًا

ومنها ان ذلك الزمان كان زمان حروب متتابعة ولذلك كانوا يضطرون ان يقيموا في الحصون ويصعدوا اليها بالحبال

ومنها ان الاسود كانت لا تزال كثيرة في بلاد الشام او في اطرافها فذُكر هذا الاسد من غير استغراب وقد انقرضت الاسود منها الآن. وكتاب الاعتبار لاسامة طبع في لندن وباريس. وواضح مما ذكرهُ هنا انهُ الف كتاب لباب الاداب وعمرهُ اكثر من تسعين سنة فهو ثمرة يانعة من ثمار عقلهِ بعد ان حنكتهُ التجارب وراضتهُ الايام. وفي الكتاب ادلة كثيرة على انهُ لم يقرأهُ بنفسهِ بل قُرئ لهُ لانهُ وقعت في كتابتهِ اغلاط صرفية لا تقع في كتابة مَن كان مثلهُ او لا تقع تحت نظرهِ من غير ان يصلحها كبقاء آخر الناقص مجزومًا وذكر همزة التعدية حيث لا داعي لها وعدم ذكرها حيث هي لازمة كأنَّ الكاتب قرأ ما كتبهُ صحيحًا فلم ينتبه اسامة الى ما بهِ من الخطإ. وفي الكتاب ادلَّة على ان الكاتب بيَّض مسودات كانت عند اسامة وخطها غير جلي لانهُ ترك بعض الاعلام الاعجمية ثم كتبها بقلم آخر وهو يقرأ الكتاب على المؤلف او اخطأ في كتابتها ثم اصلحها لما قرأ الكتاب. اما دعاء اسامة على الافرنج بقولهِ خذلهم الله فاقل مما كان يستعملهُ غيرهُ من كتاب عصرهِ

الشيخ ابرهيم اليازجي اللبناني

ولم يحمدوا من عالمٍ غير عاملٍ خلافاً ولا من عاملٍ غير عالمٍ

ان بني اليازجي من اسرة حمصية الاصل نشأ من قدمائها كثير من الادباء استكتبهم ولاة عهدهم ولقبوهم باليازجي (كلمة تركية بمعنى الكاتب) وقد اظفرني الحظ ببعض مخطوطات ودواوين ورد فيها ذكر بعض متقدميهم مما نشرتهُ ملخصاً في كتابي (دواني القطوف) الذي كاد طبعهُ ينجز وسيقف عليهِ محبو المطالعة وزبدة ما هنالك ان هذه الاسرة عرفت بثلاثة بطون بنو اليازجي في حصن الاكراد ولبنان وبعض الجهات الأُخر وبنو فياض وباز في بيروت ومن اشهرهم في المعارف بيت العلامة الشيخ ناصيف اليازجي الذي نشأ من افرادهِ صاحب هذه الترجمة

هو ابرهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي الحمصي ولد في بيروت في ٢ اذار سنة ١٨٤٧ م في بيت كان عمادهُ اليازجي الاكبر نجعة الطلاب وشرعة الآداب مكباً على التأليف والتصنيف ونظم القصائد والتواريخ الشعرية واجابة مراسليهِ من كبار ادباء عصرهِ في الشام والعراق ومصر وبعض مستشرقي الاوربيين وكثيراً ما كان ذلك البيت مجمعاً لكبار مرسلي الافرنج وادباء بيروت ولبنان يختلفون اليهِ لاقتباس المعارف وتصحيح ما يكتبون من منظوم ومنثور الى غير ذلك مما انشأ في البنين رغبة في العلم والتحصيل فنشأ المترجم على آمال والدهِ وتلقى عليهِ اللغة العربية وعكف على المطالعة فبرع فيها على حد قول ابن شقيقتهِ الشيخ نجيب الحداد

ورث العلوم وزادها من عندهِ كالمال زيد عليهِ من أرباحهِ

فنبغ في المنثور والمنظوم والآداب وهو بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من سنيهِ ونظم بعض القصائد وكان يختلف الى مطبعة الاميركان في بيروت ايام كان والدهُ يصحح مطبوعاتها فولع بمعرفة تركيب آلاتها والوقوف على حروفها ونقوشها ونحو ذلك فثبت فيهِ رغبة في الصناعة وكان شقيقهُ المرحوم الشيخ نصار متقناً لصناعة الصياغة وكثيراً ما يساعدهُ في بعض النقوش فمال الى اتقان الحفر وصنع الحروف وتأنق في اجادة الرسم والخط فاصبحت حياتهُ اشبه بمثلث ملأَت اعمالهُ فراغهُ وكادت اضلاعهُ تكون متساوية لحرصهِ على اتقان كل ما يرغب فيهِ ونقطهُ الثلاث هي النظم والنثر والتفنن (معرفة الفنون الجميلة) فمن هذه النقط

الثلاث اشتهر المترجم بانهُ ناظم وناثر ومتفنن (Artiste) وعليها نبني الآن ترجمة المثلثة الدعائم

نشأ المترجم شاعرًا لان والدهُ كان من كبار الشعراء وكثيرًا ما قرأ مدائح شعراء عصرهِ لهُ وشاهد شقيقهُ المرحوم الشيخ حبيب وشقيقتهُ الشاعرة الناثرة السيدة وردة ولعين بهِ يعرضان قصائدهما على عماد البيت وبجمع اشعتهِ العلمية فنظم في صباهُ منظومات رشيقة اهمها قصيدة بقيت في زوايا الكتمان نظمها على ما نظن في اوائل سنة ١٨٦٩ م وتلاها في احد المنتديات ننشرها برمتها لندرتها

برأيك لذ إذا عزَّ النصيرُ ولا يبعث بهمتك الفتورُ
وأسهر في ظلام الليل جفنًا لهُ من فكرهِ قمرٌ منيرُ
ولا تكل الامور الى بنان تكون لغيرها تلك الامورُ
فأصدق من سعى لك انت في ما تحاولهُ وانت بهِ جديرُ
وقد تُلقى الامورُ الى غيورٍ ولكن ربما سئم الغيورُ
أتمَّ مناك ما تسعى اليهِ بنفسك عامدًا لا تستعيرُ
تناولت البدورُ ضياء شمسٍ فلم تسلم من الظلم البدورُ
بولسنا الجاحدين لفضل قومٍ لهم ما بيننا فضلٌ شهيرُ
رجالٌ احسنوا صنعًا ولكن بما في البيت صاحبهُ خبيرُ
اذا مضت الحياة على رقادٍ تشابهت المضاجع والقبورُ
اذا سهل الطريق امام ماشٍ فليس يصدهُ الاَّ القصورُ
اذا صدقت بما تبغي النوايا فليس لاهلها باعٌ قصيرُ
فقم بالامر عن قلبٍ سليمٍ يعاضد صدقهُ العزمُ الجسورُ
ولا تذهب بك الاهواء يومًا فراكب سبلها غاوٍ عثورُ
ارانا باللسان قد اشتبهنا وما يجدي اذا اختلف الضميرُ
لكل الطير اجنحة وريشٌ ولكن بينها ما لا يطيرُ
وان الحق بين الناس شمسٌ على أفق العقول لها ظهورُ
فمنهُ لأكبد الجهلاء نارٌ ومنهُ لاعين العقلاء نورُ
ألسنا في رعاية من تحلت بذكرهم الصحائف والعصورُ
وابدوا في المعارف كل شمسٍ يزان بحسن بهجتها الاثيرُ
أينثني من تقدمنا المعالي فان بلغت ايادينا تبورُ

كأني بالبلاد تنوح حزناً وقد أُودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارز في لبنان شجواً وتندب بعد ذاك العزّ صورُ
وتدمرُ في دمارٍ مستمرٍ وما سكانها الاَّ النسورُ
واضحت بعلبك وليس فيها سوى خربٍ لعظمتها تشيرُ
فلو درت البلاد بما عراها لكادت من تلهفها تمورُ
بكم وبسعيكم تبنى المعالي وينمو روضها الزاهي النضيرُ
فانكمْ لها اهلٌ وإلاَّ فليس لها بغيركمْ نصيرُ
فجدوا واصبروا في كل خطبٍ فليس بفائزٍ الاَّ الصبورُ
وظلُّ الدولة العظمى علينا تقارنهُ السعادة والسرورُ
فذلك فوق دوح العدل غيثٌ وذاك حول روض العلم سورُ

ومن قديم منظومهِ مرثية الشيخ عبد الباقي العمري(١) شاعر العراق الشهير التي قال في مطلعها

ارى الموت صاح لا يزيغ لهُ فكرُ ونحن نشاوى قد تملكنا السكرُ
سكرنا بدنيانا التي تسكر النهى بكاسٍ لها سكرٌ وليس لها خمرُ

ومنهُ في مدح المغفور لهُ نصري فرنكو باشا لما تقلد منصب المتصرفية اللبنانية سنة ١٨٦٨ م بقصيدة مشهورة مطلعها

نسائم نجد هل تحملتِ من نجدِ اليَّ سوى حرّ الصبابة والوجدِ

ومن رشيق غزلياتهِ قولهُ من قصيدة

ما مرَّ ذكركِ خاطراً في خاطري الاَّ استباح الشوق هتك سرائري
وتصبَّبت وجداً عليك نواظرٌ باتت بليلٍ من جفائك ساهرِ

ومن بديع ابياتها قولهُ

كن كيف شئت تجد محبك مثلما تهوى على الحالين غير مغايرِ
صبري عليك بما اردت مطاوعٌ أبداً ولكن عنك لست بصابرِ

---

(١) لما انتهت هذه المرثية الى بغداد مع مرثية والد المترجم في الشيخ عبد الباقي التي مطلعها :

ارى فتنة الدنيا هي الآية الكبرى يضلُّ بها المادي فيلهو عن الاخرى

كتب اليهما ولد المرثي هذين البيتين :

أبيتما لا ابيتما سيداً نحن الى تأبينه نحنو
لو لم تكن قدسية روحهُ لما رثاهُ الآب والابن

ومن قصيدة اخرى في الوداع

وداعٌ وما يغني الوداع من الوجدِ ولكنهُ زادُ المشوق على البعدِ (١)

وما هي الاَّ وقفة عند فائتٍ تمازج فيها مظعما الصاب والشهدِ

ومن رشيق ابياتها قولهُ

تمتَّع قُبَيل الظعن من روضها الندي ومن عرفها الشافي ومن مائها العدّ

فما قليلٍ انت في متن سابحٍ توقَّلُ في هضبٍ وتهبط في وهدِ

ورب يسير يحسب الحظ كلهُ اذا لم تجد فيهِ سبيلاً الى الردّ

ومن زهرياتهِ ما انشدهُ في المدرسة البطريركية الكاثوليكية بحفلة سنة ١٨٧٠ م من قصيدة

قام الهزار على الأَراكة خاطبا لجنا الزهور مفارقًا ومناكبا

ودعا يسبح باسم خالقنا الذي جعل المياه لهنَّ قوتًا لازبا

وهو الذي بعث المياه مسخرًا هوج الرياح لكي تثير سحائبا

فاذا انتضى ماء الغمام بجوّهِ أجرى لهنَّ من الجماد مشاربا

زجر الصخور برعدهِ فتصدعت رهبًا فاخرجت الجبين الذائبا

حتى سُقينَ بهِ فعاد زمردًا بجمال نضرتهِ كسينَ جلاببا

سبحان من شمل الجميع بجودهِ كرمًا فلم يترك لديهِ خائبا

ومن قصيدة في مدح السلطان عبد العزيز

على مثل هذا المجد ينعقد الفخرُ فما كلُّ بادٍ تحت ذيل الدجى بدرُ

وختمها بقولهِ

يحق على الافلاك جمع نجومها فيكتبُ منها في مدائحهِ سفرُ

وقال يرثي الطبيب يوسف الجلخ سنة ١٨٦٩ من قصيدة وكان صديقًا حميماً لهُ

جهد الحزين اذا صرف القضا نزلا ان يجتزي من حشاهُ بالذي فعلا

ويبتلي مقلتيهِ بالبكا وكفى بمن بكى قبلنا ناءٍ لو امتثلا

هلا المحبون بعد اليأس فاتخذوا تلك الشجون الى سلوانهم سبلا

قد اوجد الفقد حزنًا للفتى فبكى واوجب الحزن صبرًا بعدهُ فسلا

استغفر الله ما دمعي بممتسكٍ ولا فؤادي عن الاشجان مشتغلا

(١) عارض بهذا البيت قول والدهِ من قصيدة :

سلام وما يغني السلامُ على البعدِ ولكنهُ اولى بتذكرة العهدِ

ولا يطاوعني صبري فآلفهُ على الذي بي ولو طاوعتهُ عدلا

الى ان قال:

في ذمة الله من عندي لهُ ذمم في الحب ليس بفيها مدمع هطلا
لقد ترحل عن عيني واودعها شخصاً يلوح خيالاً ليس مرتحلا
فظلَّ يوسعها شجواً وتوسعهُ غسلاً بعارض دمعٍ فوقهُ انهملا

ومن قصائده المستطيرة الشهرة وصفهُ للزهرة في معظم تألقها وذلك في اثناء شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٨٣ بمنظومة طويلة استرسل فيها الى المقابلة بينها وبين الارض ونشر مقتطفها في الضياء ١ : ٢٣٢ مطلعها

قف بي نحيي رباها ايها الحادي فتلك ابياتها في عدوة الوادي
قد خيَّمت بالوى الغربيِّ ضاربة عليهِ اطنابها من غير اوتادِ
تمشي الهوينى كما مرَّ النسيم ضحًى في هودج من شعاع النور وقَّادِ
يحجب البعدُ سياها فان قرُبت صدَّت دلالاً فزادت غلَّة الصادي
يسارق الطرف عين الشمس منظرها فالشمس من دونها حلَّت بمرصادِ
حتى اذا هجعت في ليلها ظفرت منها العيونُ بلمح الميسم البادي

ومنها:

يا ليت شعريَ هل تدرين موضعنا وهل لديكِ رجال اهل ارصادِ
وهل رأوا ركبنا النوريَّ منطلقًا في ليلهم بين تصويبٍ واصعادِ
وهل اقاموا لنا مثل الذي رفعت آباؤنا لكِ من تكريم عبَّادِ
فذي هياكلكِ الشماء قد شخصت هاماتها في الذرى امثال اطوادِ

ومن ذلك قولهُ يهنئُ سعادتلو نسيب بك جنبلاط بالرتبة الاولى سنة ١٨٨٤ م من قصيدة رشيقة قال فيها:

رعى الله مغنًى بالعُذَيب ومعهدا غنمنا بهِ الاوطار مثنًى وموحدا
مراتع آرامٍ وردنا بها المنى على حين لم يطرق لنا الدهر موردا
نغازل من غزلانها كل آنسٍ ونهصر من اغصانها كلَّ أملدا
ونرشف للافواه جاماً ممسَّكاً ونلثم للجامات ثغرًا منضَّدا
أويقات أعطاف الشبيبة غضة على نسمات اللهو مالت تأوُّدا
وقد غفلت عنا الخطوب بليلها وقدماً عهدنا حادث الدهر أرودا
أأحبابنا هل اورق الرند بعدنا وهل افرشتكم روضة البان مقعدا

وهل مرَّ لمشتاق ذكرٌ بحيكم ... فما زال ذكر الحيّ عندي مردَّدا
ليهنكمُ أن طاعكم بعدنا الكرى ... فمذ بينكم لم نوطئ الجنب مرقدا
ولا زارنا الصبر الجميلُ فليتكم ... أمام النوى شاطرتمونا التجلُّدا

الى ان قال :

وما يعدم الانسان في الارض صحبة ... ولكنَّ بعض الصحب ادنى الى العدى
فما اكثر الأُلّافَ في كل بلدةٍ ... واكثر قول الزور ممن تودَّدا

ومن مديحها قولهُ :

كريم تبدَّى من كرام مناصبٍ ... لذاك تسمَّى بالنسيب فما اعتدى
جميل الثنا يستغرق المدح وصفهُ ... كما استغرق الالفاظ احرف أبجدا
تناول ارث المجد قبل رضاعهِ ... وصاحب تِرْب المجد طفلاً وامردا

ومن اواخر منظوماتهِ في سوريَّة قصيدة مدح بها صاحب السعادة المركيز موسى افندي فريج بتوجيه الرتبة الاولى السنيَّة اليهِ سنة ١٨٩٣ م قال منها :

أأحبابنا هل لذاك العهد تذكارُ ... يدني اليكم اذا لم تدننا الدارُ

ومن محاسنها تخلصهُ بقولهِ :

ايام نعشو الى ضوء الشمول وقد ... بدا لها تحت جنح الليل اسفارُ
صهباء تكسو الندامى من اشعَّتها ... كوجه موسى وقد ضاءت لهُ النارُ
مبارك الوجه صافي السر قد هبطت ... عليهِ من أُفق الرضوان أنوارُ
في طاعة الله ممساهُ ومصبحهُ ... ومنهُ للخير اعلان واسرارُ

ومن لطيف حكمها قولهُ

الفقر اجمل ثوب للئيم وان ... عاب الكريم وبعض الفقر ستَّارُ
وشرُّ ما امتاز قدر الاغنياء بهِ ... اذا غلت منهمُ بالفلس اسعارُ

ومن اوائل قصائده بعد انتقالهِ الى القطر المصري قولهُ في مدح سمو الخديوي الحالي عباس باشا من قصيدة :

زمان الحمى هل من معادٍ فنطمعا ... ونمسك اكباداً تذوب واضلعا
ويا منزل الاحباب هل فيك وقفة ... تجدّد تذكاري وان كان موجعا
ويا نسمات المنحنى كيف اهلهُ ... وهل طاب بعدي ذلك الحيُّ مرتعا

ثم انتقل الى الشكوى من الوطن وانقلاب حالتهِ العلمية وتخلص الى مدح الخديوي بقولهِ

تدرَّعتُ فيك الصبر حتى اذا عفا تخذت حمى العباس حصناً ومفزعا
همامٍ تولى الامرَ وهو على شفا فشيَّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلَّد اعباء الرئاسة امردًا وقد عرفتهُ قبل ذلك مرضعا
فكانت لهُ أُمًّا وكان لها أبًا غذتهُ وربَّاها وقد نشأا معا

ومن مقاطيعهِ البليغة قولهُ :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجبٌ من حالنا ان تأخرا
فمذ اصبحت اذنابنا وهي أرؤُسٌ غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وقال في صدر مقالة (البرد) في مجلة الطبيب :

والنجم قد عمَّ المشيب رؤُوسهُ جزعًا وخرَّ على الصعيد طريحا
واقام لا يدري أبات مكفَّنًا فوق الثرى ام كان ذاك ضريحا

وقال في مقالة اخرى يصف الغمام الماطر

فحكي مآزر رطبةً نشرت على متن العواصف وهي ترشح بالندى
وكأَن ذاك القطر ذوب لآلئ سالت فاضحت في الغصون زمرُّدا

وقال في صورة شمسية :

ومصوَّر بالشمس وهو نظيرها اهدتهُ صورتها برسم مثالهِ
ولو ان شمسًا صوَّرت بضيائها ما صوَّروهُ بغير نور جمالهِ

وقال وقد كتبهما على رسمهِ مضمنًا :

هذا مثال من انطوت منهُ على الودّ الضمائرِ
يبدي لديك ظواهري "والله اعلم بالسرائر"

وقال يصف الحسن :

وقائل صف لنا ما الحسن قلتُ لهُ هذا الذي ليس للتعريف فيهِ يدُ
لا يجهل الحسن ما بين الورى احدٌ وليس يعلم منهم كنههُ احدُ
سرٌّ يلوح وراء الحسّ مرتسماً في النفس وهو عن الادراك منفردُ
لكن ترى العين منهُ شكل حاملهِ وانما حظها مما ترى الجسدُ

وكتب على احدى حنايا قلعة بعلبك بخطهِ الدقيق لما زارها

يا بعلبكُّ غريبة الازمانِ والعهد والصنَّاع والبنيانِ

لم تبلك الايام في حدثانها | الاّ لتظهر قدرة الرحمانِ (١)

وقال في الساعة الدقّاقة :

ومحصيةٍ اعمارنا كلّما انقضت | لنا ساعةٌ دقّت لها جرس الحزنِ
فيا بنت هذا الدهر سرت مسيرهُ | فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

وقال في كريستوف كولمب مكتشف اميركا وقد نقشت بخطهِ الجميل في اول التقاريظ الآسوية وذلك في كتاب جمع التقاريظ بمعظم اللغات المشهورة طبع في ميلانو بايطالية :

ابقى خريستوف الشهير لنفسهِ | ذكرًا على الايام ليس يبيدُ
رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ | ولهُ من الهمم الجسام جنودُ
قد زادهذي الارض ارضًا مثلها | ليديهِ ألقي كنزها المرصودُ
برزت اليهِ من الغيوب كأنها | خلقٌ سوى الخلق القديم جديدُ
فكأنهُ اذ حلّ فيها آدمٌ | وكأنها فردوسهُ المعهودُ

وقال وقد نقشا على عود طرب وفيهما استخدامان بديعيان :

وعود صفا الندمانُ قدمًا بظلّهِ | وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ
تعشّقهُ طيرُ الأراكة أخضرًا | وحنّ عليهِ ربشهُ وهو يابسُ (٢)

ولهُ كثير من التواريخ الشعرية من اقدمها قولهُ في كتاب مفتاح المصباح للعلاّمة بطرس البستاني سنة ١٨٦٢

هذا كتاب عظيم النفع قد قضيت | في الصرف والنحو منهُ حاجة العربِ

---

(١) ومن لطيف المعارضات ما قالهُ الاستاذ ابرهيم افندي الحوراني لما وقف على هذين البيتين :

يا هيكلاً فيهِ العقول تحيّرت | يا معقلاً لتفرّق الاديانِ
لم تبقك الايام في حدثانها | الاّ لتظهر قدرة الانسانِ

ووفق بينهما المرحوم سليم بك نقلا بقولهِ :

يا بعلبك غريبة البلدانِ | بعجائب البنيان والاتقانِ
قد انشأوكِ غريبة كي يعربوا | عن قدرة الرحمان بالانسانِ

(٢) نظم في مثل هذا المعنى ابن سعيد القيرواني هذين البيتين :

سقى الله ارضًا انبتت عودك الذي | زكت منهُ اغصانٌ وطابت مغارسُ
تغنى عليها الطير وهي رطيبةٌ | وغنت عليها الناس والعود يابسُ

وتابعهُ شاعر آخر بقولهِ : وعود لهُ نوعان من لذة الغنا | فبورك جانٍ يجتنيهِ وغارسُ
تغنت عليهِ وهو رطبٌ حمامةٌ | وغنت عليهِ قينةٌ وهو يابسُ

ولكن اليازجي زاد عليها معنى الظل والريش والصفاء والحنين وزادهُ حسنًا استخدامهُ البديعي في كل منها فضلاً عن رشاقة اللفظ ما يشهد بهِ كل ذي ذوق سليم

جلّت كما قال تاريخي مقاصدهُ فذاك مفتاح كنز العلم والأدبِ

وقولهِ في اجراءِ سبيل ماءٍ اوصى بهِ يوحنا الجمال قبل وفاتهِ سنة ١٨٧٦ :

من مال يوحنا بن جمال جرى هذا السبيل فصحَّ فيهِ ثوابهُ
فغدا لأصداف النواظر بهجةً أرّخ وللظامين راق شرابهُ

ولهُ قصيدة تاريخية تحدَّى فيها طريقة شاكر الخلاوي وهي في مدح ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان وزع على اوائلها بيتين ضمنهما ثمانية تواريخ لسنة ١٢٨٤ﻫ (١٨٦٨م) وضمَّن في كل بيت من القصيدة تاريخين مجربين لهذه السنة ومن نسيبها قولهُ

افدي الدُّمى في مصون الحجب قد كسرت الحاظها كلَّ قلبٍ من محبيها
كواعب ظلعت حورًا بجنتها تفدى بنفسي فما ابهى تجليها

وقولهُ مؤرخًا ضريح المرحوم والدهِ المتوفى سنة ١٨٧١ من ابيات

لو انصفتك النائبات لغيَّرت عاداتها ووقتك حادثة الرَّدى
تتنزَّلُ الاملاك حولك بالرضى ويجود فوقك باكيًا قطر الندى
بوجيل حظك في الاعالي رحمة أرخ وذكر في الصحائف خُلّدا

وقولهُ يؤرخ ضريح المرحوم مراد مسلّم من زحلة المتوفى سنة ١٨٨١ من ابيات :

وبكى ذوو الحاجات خير ذخيرةٍ دفنت بها الايام اكرم جوهرِ
في تربة كتب المؤرخ فوقها يا رمس قد حزت المراد فأبشرِ

وقولهُ يؤرخ ضريح الصحفي الشهير سليم بك نقلا اللبناني المتوفى سنة ١٨٩٢ من ابيات

ولقد مضى نحو البقاء فضمهُ بجوار خالقهِ رضىً ونعيمُ
فاتيت بالتاريخ ألفظ قائلاً قد حلَّ في دار السلام سليمُ

الى غير ذلك مما يدل على انهُ شاعر عصري جمع بين طريقتي المتقدمين والمتأخرين مع مراعاة الشاعرية العربية المحضة وتحدي اساليب البلغاء فعرف شعرهُ "بنباهة اغراضهِ وسموّ معانيهِ والاكثار فيهِ من الصور الخيالية والتفنن في اساليب المجاز مع توخي الالفاظ الفصيحة والتراكيب البليغة التي لم تألفها العامَّة ولم تبتذل في استعمال الخاصة" وكأني بهِ انقطع عنهُ لكساد بضاعتهِ عندنا وتفرَّغًا الى ما هو اجدى نفعًا عملاً بقول المرحوم والدهِ :

وقد شقَّ نظم الشعر عندي لعلَّة يشقُّ على قلبي الصبور جحودُها
من الشعر مدحٌ قلَّ من يستحقهُ وصنعة هجوٍ لستُ ممن يريدها

(ستأتي البقية) عيسى اسكندر المعلوف

الاشباه والنظائر

الضفدع معروفة لونها الغالب رمادي ضارب الى الخضرة كوحل المستنقعات التي تكون فيها ولكنها قد تكون خضراء زاهية اللون كالحشيش الاخضر الذي تكون بينهُ . ويظهر باقل نظر انها تستفيد من اتخاذها اللون المماثل لما حولها حتى لا يهتدي اليها اعداؤُها . هذا هو التعليل الذي جرى عليهِ علماء الطبيعة حتى الآن وتراهم يطلون بهِ كل الاشباه والنظائر اي ان اشكال الحيوان تختلف وتتنوع من وقت الى آخر فالشكل الذي تكون منهُ فائدة إما بوقاية الحيوان او بتسهيل الاغتذاء عليهِ يكون ابقى من غيرهِ لان الحيوان المتصف بهِ لا يتعرَّض للهلكة مثل سواه فيصير اقوى على البقاء واخلاف النسل الى ان ترسخ تلك الصفة في نسلهِ بالوراثة . وبهذه القاعدة يفسَّر كثير من الظواهر الطبيعيَّة في الحيوان والنبات ولاسيما تمثُّل الحيوان بالنبات وتمثُّل النبات بالحيوان وتمثُّل غير السام من الحيوانات بالسام وتمثُّل السام بغير السام

دخلنا دار التاريخ الطبيعي ذات يوم في مدرسة جنيفا الجامعة فرأينا فيها غصن شجرة كبيرة بفروعهِ الكثيرة فظننا في اول الامر انهُ من الاشجار الغريبة ولذلك وضع في تلك الدار وجعلنا ننظر فيهِ لنرى وجه غرابتهِ فتجلَّى لنا ما يدهش الابصار . فاننا رأيناهُ مملوءًا بالفراش والديدان المختلفة في اشكال الاغصان والاوراق والازهار والاثمار ولا تفرقها عنها إلَّا بعد تدقيق النظر وكلها ميتة ومصبَّرة

والذين يصطادون الحجل والسماني والقطا الكدري يعلمون انها كلها تختفي عن عين الصياد لمشابهتها ما حولها من الاتربة والحجارة والاعشاب اليابسة . هذا كلهُ مذكور في كتب العلم ومسلَّم بهِ ولكن يرى الباحث في الطبيعة مشابهات اخرى غريبة في بابها ولا يرى لها تعليلاً ولا تفسيرًا فزيز دود الحرير وزيز كثير من الديدان يشبه الموميا المصرية المحنطة حتى يكاد المرء يظن ان قدماء المصريين لفوا اجسام موتاهم وحنطوها حتى تشبه في شكلها الظاهر زيز الدود تفاؤلاً برجوع الحياة اليها وتقمصها كما يتقمص الزيز فراشةً . فان كانت المشابهة بين الزيز والمومياء حادثة من قبل الانسان لا من قبل الديدان فقد ظهر سببها ولكن زيزان الديدان قد تتشكل بشكل رأس الانسان لا بشكل المومياء فيكون لها ما يشبه العينين والحاجبين والانف والفم وقد صوَّر بعضهم زيز دودة وهو مثل رأس القرد المعروف بالشمبانزي تمامًا في شكلهِ وغضون وجههِ كما ترى في الشكل الاول على الصفحة التالية

واغرب من ذلك زيز نوع من الفراش فانهُ يشبه في شكلهِ وجه انسان شيخ افني الانف



الشكل الاول

طويل الحاجبين مكحول العينين رقيق الشفتين كما ترى في الشكل الثاني · ومن هذا القبيل



الشكل الثاني

نوع من السرطان يكثر في سواحل بلاد اليابان وعلى ظهرهِ شكل مثل شكل وجه الانسان

ويقول اليابانيون انهُ حدثت حرب بحرية دموية سنة ١١٨٤ للميلاد في المكان الذي يكثر فيهِ هذا السرطان قتل فيها خلق كثير منهم فتقمصت ارواحهم في اجسام السراطين ومن ثم صارت السراطين تولد وعلى ظهر كلٍ منها وجه انسان · ولا يخفى فساد هذه الخرافة ولكن ظهور صورة الانسان على ظهر السرطان من الغرائب التي لا تعلَّل · وقد قال الاستاذ باشفورد دين من اساتذة مدرسة كولمبيا الجامعة ان شكل هذا الوجه مثل شكل وجوه المشارقة وهو اشبه بوجوه الصينيين والكوريين منهُ بوجوه اليابانيين الحاليين او هو مثل وجه شاب غرقى فورم انفهُ وانفتح شدقهُ اما نحن فاننا رأينا صورة هذا الوجه فلم نرَ فيها مشابهة كبيرة لصورة وجه الانسان ولعلها قريبة من صورة الهر

ووجدت في اغرا ببلاد الهند جمجمة معزاة تشبه في شكلها وجه القرد الهندي الذي يكثر في تلك البلاد مع ما حولهُ من الشعر · ولا يخفى انهُ يظهر على بزور البطيخ واللوبياء احياناً كثيرة خطوط سوداء وبيضاء كأنها كتابة عربية او هيروغليفية والمشابهة بينها وبين الكتابة قريبة جدًّا حتى كنا نحاول احياناً قراءتها فما هو سببها وكيف تكوَّنت ولماذا اتخذت هذه الاشكال دون غيرها · هذه المسائل وامثالها من الغوامض التي يتعذَّر حلها بما لدينا من القواعد العلميَّة

ووجدت عظمة من عظام اذن الحوت ملقاةً على الساحل في بلاد نروج وهي تشبه وجه الانسان اذا نُظر اليهِ عن جانب وانفهُ اخنس وذقنهُ قصيرة مرتدة الى الوراء

وكثيرًا ما ترى سمكةً نهريًّا رأسهُ يشبه رأس الهر او ترى فراشاً على جناحيهِ صور عيون وحواجب كأنها عيون الانسان او غيرهِ من الحيوان · ومشابهة جذر اللفَّاح لساقي الانسان وجذعهِ معروفة · ولا يُنكر ان المحتالين يهذبون هذا الجذر حتى تزيد مشابهتهُ ولكنهُ قد لا يخلو من المشابهة قبل التهذيب · ومشابهة بعض الحيوانات البحرية للنباتات ومشابهة النباتات للحيوانات معروفة مشهورة وامثلتها تفوق الاحصاء

وخلاصة المقال ان تمثُّل الحيوانات بعضها ببعض وبالنباتات وتمثل النباتات بعضها ببعض وبالحيوانات نافع لها وقد رسخ فيها بسبب نفعهِ لها ولكن ما كل تماثل نافع والامثلة التي ذكرناها لا يعرف سببها ولا نفعها

الولايات المتحدة واليابان

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

لما كان رجال الخيال يهتمون بعقد مؤتمر السلم قصد ابطال الحرب كان رجال الحقيقة يبنون البوارج ويسبكون المدافع قصد ابطال الحرب ايضاً

وكلٌّ يدّعي وجدًا بليلى وليلى لا تقرُّ لهُ بذاكا

وانفضَّ المؤتمر بعد ان وضع قواعد الحرب لا قواعد السلم وعادت مجالس النواب في انكلترا والمانيا وفرنسا وروسيا واميركا تتبارى في النفقات الحربيَّة ناظرة من طرف خفي الى تلك الدولة الشرقية التي بزغت من الشرق الاقصى كما تبزغ الشمس فبهر نورها عيون الاوربيين والاميركيين

لما قارب العام الماضي الختام كانت الاشاعات قد ملأَت الاقطار عن حرب يهتز لها الثقلان تنشب بين اميركا واليابان . وكُذبت الاشاعات وحُققت مرارًا وسار الاسطول الاميركي الى الشرق الاقصى ليراهُ اليابانيون ويعتبروا فلا يغترّوا بانفسهم او ليختبر سير البحر فلا يغتر بهِ اصحابهُ قبل ان يجربوهُ . ذهب وعاد ولم تنتفِ المخاوف بل زادت رسوخًا وجاء الآن رجل من رجال البحرية الاميركية بمقالة ضافية في مجلة الكوسمو بولتن الاميركية وهو من الثقات الذين يؤخذ بقولهم ويعوَّل على رأيهم فبيَّن استعداد اليابان لهذه الحرب ورجَّح وقوعها في القريب العاجل وهاك خلاصة ما قالهُ في هذا الصدد

ان ذهاب الاسطول الاميركي من الاوقيانوس الاتلنتيكي الى الاوقيانوس الباسيفيكي اي من شرقي الولايات المتحدة الى غربيها اذهل ممالك العالم لان هذه هي اول مرة وقف فيها الشعب الابيض والشعب الاصفر احدهما حيال الآخر ونظرا الى امر لهُ الشأن الاكبر في مصالح الامم كيف لا وقد اضطرت اميركا ان تترك سواحلها الشرقية عرضة لهجوم الدول الاوربيَّة وتجمع قواها الحربيَّة على سواحلها الغربيَّة خوفًا من تلك الدولة الشرقية المقابلة لها على الجهة الاخرى من الاوقيانوس الباسيفيكي فان علائقنا مع الدول الاوربيَّة لم تتغير قط ولكن علاقتنا مع الدولة الاسيوية اي دولة اليابان ليست على ما يرام . لم تزد مخاطرنا في الاوقيانوس الشرقي عما كانت عليهِ ولكن مخاوفنا في الاوقيانوس الغربي قد زادت كثيرًا ولذلك اضطر رئيسنا ورجال حكومتنا ان يراعوا مقتضيات الحال وينقلوا اسطولنا من الشرق الى الغرب .

مضى على اليابان عشرون سنة وهي تبذل اقصى جهدها في الانتفاع بكل مكتشفات الامم الغربية ولذلك فهي قابضة الآن على نتائج العلم والعرفان وقد فاقت بذلك كل دولة من دول اوربا واميركا . فان الدولة من هذه الدول بنت اساطيلها وعبأت جنودها على حسب ما دلها علمها واختبارها جامعة بين الغث والسمين والفاضل والمفضول واما اليابان فاختارت الاصلح من كل شيء . خرجت من فيافي الهمجية ودخلت رياض العمران من باب الحرب. خرجت من معامع الحروب الاهلية التي خرجت منها اوربا في القرون الوسطى ولم يدخلها الشعب الاميركي قط فرجالها رجال حرب محنكون لم ينسوا ما شبُّوا عليه وشابوا وجاءتهم العلوم الحديثة فزادتهم خبرةً ودربةً ثم نشبت الحرب بينهم وبين الروس فقرنوا العلم بالعمل وزادوا جرأةً وحنكةً واذا لم تقاومهم دولة اقوى منهم تكبح جماحهم وتزيل برقع الخيلاء عن عيونهم فلا يعلم الاّ الله ما تكون عاقبة امرهم. وهذه الدولة هي الولايات المتحدة فعليها ان تسبر غور اليابان وتعلم مقدار قوتها وتقابلها بقوة اعظم منها والاّ فلا شيء يضمن حفظ السلم واستتباب الامن والعدل في الدنيا

واليابانيون امة عظيمة كانت تعدُّ من الامم الهمجية فاثبتت قوتها في ساحة القتال وخرجت منها ظافرة باكبر دولة برية من دول اوربا ولم تكد تفتح عينيها وترانا حتى وجدت اننا غير قادرين على حفظ حقوقنا وهي مجاورة لنا وقد تقضي عليها مصالحها ان تكون معنا على صداقة تامة او على عداء تام

ان قوة الامة حاصلة من مجموع قوات رجالها القادرين على النزول الى ساحة القتال ومن مقدار ما عندهم من الاهبة لذلك وما لديهم من وسائل الهجوم والدفاع .

وسكان اليابان خمسون مليوناً من النفوس فهم اكثر من سكان انكلترا اوفرنسا او النمسا ولا يفوقهم عدًّا الاَّ سكان روسيا وسكان المانيا واميركا . ويستطيع اليابانيون ان يعتمدوا على الصينيين ويستعينوا بهم وهم اربع مئة وخمسون مليوناً من النفوس فهم وسكان الصين اكثر من كل سكان اوربا واميركا معاً وفوق ذلك فاليابانيون اميل الى الحروب من سكان اوربا واميركا لقرب عهدهم بها ولانهم خرجوا منها ظافرين . وهم اقبل من اهالي اوربا لحمل الصوائب الثقيلة من غير تذمر ونساؤهم يعملن كل الاعمال ما دام رجالهم في ساحة القتال ونفقات جنودهم اقل من نفقات الجنود الاوربية والاميركية .

وقد اصطلح الناس على مقياس تقاس به مقدرة الانسان الحربية . وبموجب هذا المقياس يكون الجندي الياباني اقدر على الحرب من الجندي الاوربي والاميركي وهو مثل

افضل الجنود الاوربية شجاعة ومهارة ويفوقهم في تجشُّم المشاق والخضوع لاوامر القواد

ودرجة الاستعداد للحرب واطئة في اميركا وعالية في الممالك الاوربية الراقية واعلى منها في اليابان فانها تبتدئ هناك في المدارس وتدوم مدى العمر · ولقد اظهر اليابانيون من الاستعداد التام للحرب في معاركهم مع الروس ما ادهش العالم كلهُ فان اخلاق الياباني وصبرهُ وتدقيقهُ وثباتهُ وتجملهُ اتم آلة حيَّة للقتال وقد ثبت الآن ان الرجل الاصفر يفوق الابيض في البر ويماثلهُ في البحر وثبت لي بالاختبار ان الجندي الصيني اصلح من الجندي الياباني فانهُ مثلهُ عقلاً واقوى منهُ جسماً واكثر شجاعةً وصبراً ولا يخاف الردى · ويجب ان لا نغفل عن ذلك طرفة عين لان اليابانيين قد اخذوا يعلّمون الصينيين فنون القتال واذا نشبت حرب مع اليابان فلا بدَّ من استنجادها بجنود الصين

واليابانيون امهر الناس في تجسُّس الاخبار وعلم ما عند غيرهم من المعدات الحربيَّة كما انهم من امهر الناس في اخفاء مقاصدهم وما عندهم من الاستعداد للحرب . ولقد عرفوا كل ما هو جارٍ في اميركا ولم يسمحوا لاحد ان يعرف شيئاً عمَّا هو جارٍ في بلادهم · فكل ما عرف عن استعدادهم الذي استعدوهُ منذ سنتين ونصف سنة الى الآن ليس نصف استعدادهم الحقيقي ولو من ذلك كاف لان يحملنا نقف وقفة الخوف والدهشة وننهض نهضة واحدة للقيام بما يجب علينا نحو انفسنا ونشر مبادئ الحرية التي ندافع عنها

لما وضعت الحرب اوزارها وتغلبت اليابان على الاسطول الذي كنت تخشاهُ وضمت جانباً كبيراً منهُ الى اسطولها ودعت الحال الى الاقتصاد التام بعد ان انفقت نفقات الحرب الباهظة وحُرمت من الغرامة الحربية كان المنتظر ان تستكنَّ برهةً ريثما تنتعش قواها قبل ان تقدم على نفقات جديدة ولكنها لم تستكن بل امرت بعمل بوارج جديدة لا تقل نفقاتها عن مئة مليون ريال مثل البارجة الانكليزية الكبرى المسماة دردنوت وطرادات مدرعة واخذت تبنيها بسرعة في بلادها وفي البلاد الانكليزيَّة

وبين اليابان وانكلترا معاهدة حربيَّة كما لا يخفى فهي لم تزد عمارتها البحرية خوفاً من المانيا او فرنسا او ايطاليا فلا يفسَّر عملها الاَّ بانها تريد التفوُّق على اميركا واميركا مستغرقة في سباتها · فعلت اليابان ذلك دفعةً واحدة ومجلسا النواب في اميركا ظلاَّ سنتين يبحثان ويتناظران ويتشاحنان قبل ان اقرا على بناء بارجة واحدة وزادت جمعيات السلم صياحها وصخبها

هذا وعندنا الآن ثماني عشرة بارجة وثمانية طرادات مدرعة والجملة ٢٦ سفينة حربية مدرعة وعند اليابانيين في الاوقيانوس الباسيفيكي الآن احدى عشرة بارجة واحد عشر

طرادًا مدرعًا والجملة ٢٢ من السفن الحربيَّة المدرعة ولكن في خمسة من الطرادات اليابانية مدافع كبيرة مما عياره ١٢ بوصة فهي اكبر من المدافع التي في طراداتنا ‑ وطراداتهم هذه مثل بوارجنا وزد على ذلك فان اليابانيين يزيدون عمارتهم زيادة كبيرة كل سنة ففي سنة ١٩١٠ لا نكون قد زدنا عمارتنا سوى بارجتين واما اليابانيون فيكونون قد زادوا عمارتهم ثماني بوارج وثلاث طرادات مدرعة والبارجة من بوارجهم بمقام ثلاث بوارج من بوارجنا القديمة فلا تأتي سنة ١٩١٠ الاَّ ونسبة عمارتنا في الباسيفيكي الى عمارة اليابان كنسبة ٣٢ الى ٥٥ ولا نبلغ مبلغ اليابان الاَّ اذا بنينا حالاً ثماني بوارج كبيرة محمول كلٍّ منها عشرون طنًّا . ثم اننا اذا ساوينا اليابان لا نكون قد فعلنا شيئًا يذكر ولا نكون قد ضمنا سلامتنا بل لا بدَّ لنا من ان نفوقها حتى تضمن السلامة لنا واذا اقتصرنا على ذلك نكون قد تركنا سواحلنا الشرقية طعمة لكل طامع بنا

وفوق هذا فان اليابان زادت عدد جنودها وهي قادرة الآن ان ترسل الى ميدان القتال مليونًا ونصف مليون من الجنود المنتظمين المدربين وزادت ايضًا معداتها الحربيَّة فمعاملها تشتغل نهارًا وليلاً في صنع البنادق والمدافع وسائر الاسلحة وعمل البارود والطربيد وقد انشأت دورًا جديدة لبناء السفن الحربيَّة وعمل كل آلاتها وادواتها هذا فضلاً عما اوصت عليهِ في معامل اوربا . اما الولايات المتحدة فليس عندها سوى ٦٩ الفًا من الجيش المنتظم المتمرن و ١٤٠ الفًا من الذين يذهبون الى الحرب اذا دعت الضرورة واكثر الجيش المنتظم موجود الآن في كوبا وجزائر فيلبين ولا يوجد منهُ داخل الولايات المتحدة سوى تسعة آلاف لا غير

و يظهر لي ان اليابان تستطيع ان تعبئ خمس مئة الف جندي وتوصلهم الى سواحل اميركا الغربيَّة في اربعة اشهر ومليونًا من الجنود في عشرة اشهر ونحن لا نستطيع ان نقاومهم باكثر من مئتي الف رجل من الرجال الذين تعلموا شيئًا من الفنون الحربية فيستحيل علينا والحالة هذه ان نقاوم اليابان برًّا ولا سبيل لنا الاَّ في مقاومتها بحرًا

وعند حكومة اليابان الآن اكثر من ستين مليون جنيه ذهبًا اكثرها مودع في بنوك اوربا تحت امرها وهي تكفي جنودها في ساحة القتال سنة من الزمان ولو بلغ عددهم مليون نفس فهي والحالة هذه مستعدة لطوارق الحدثان ومتحفزة للهجوم قبل الدفاع وقد صار من شعبها في جزائر هواي ثلاثون الفًا وتلك الجزائر في منتصف الطريق بين الولايات المتحدة وبلاد اليابان وبهم يشتد ازر بلادهم اذا المَّت الملمات

انتهى ما اردنا اثباتهُ من كلام الكاتب ومنهُ يظهر ان قوة اليابان الحربية لا تقل عن

قوة اعظم دولة من دول اوربا وان الصين سائرة في خطواتها واذا نجت من سموم الثورات الداخلية عشرين سنة صار الغرب يخشي سطوة الشرق كما يخشى الشرق الآن سطوة الغرب

اسباب الاحتلال البريطاني

(٣)

ان تمرُّد الجنود الذي مرَّ ذكرهُ في الجزء الماضي كان فاتحة الثورة العرابية . قال لورد كرومر ولو اكتفى اسمعيل باشا بما حازهُ من الفوز على وزارة نوبار باشا وعرف كيف يغتنم الفرص لبقي على سرير الخديوية المصرية الى حين وفاتهِ ولكنهُ كان يحسن التدبير في الامور الصغيرة ويخطئ في الامور الكبيرة لانهُ لم يكن بعيد النظر في العواقب فكان يصيب في الجزئيات ويخطئ في الكليات ولاسيما ما يتعلق منها بالسياسة الاوربية لانهُ كان يجهل بواطنها ولا يعرف منها غير القشور . فكان يعرف مثلاً ان عند الاوربيين مجالس يجتمع فيها نوابهم ويقرروا اموراً يضطر ملوكهم ان يخضعوا لها ويعملوا بها فرأى ان ينشئ مجلس نواب مثلها ليقاوم الافرنج قائلاً ان هذه هي ارادة شعبي . ثم حسب ان الفرنسويين لا يهمهم الاَّ المسألة المالية فاذا ابتزَّ من الفلاحين مقداراً كافياً من المال ارضى الفرنسويين بهِ اما الانكليز فلهم شأن آخر . وهنا وصف لورد كرومر قومهُ وصف المنتقد المجرّح وقال انهم حاربوا نصف اوربا انتصاراً لاقوام حسبوهم مظلومين وهم يعتقدون ان مجالس النواب ومجالس القضاء التي يحكم فيها المحلَّفون وما اشبه هي الدواء الوحيد لكل الادواء التي تشكو منها الممالك في كل انحاء المسكونة وقد صرَّح وزيرهم الاكبر بامرستون لسفير اليونان انهُ يحق لكل امَّة ان تعصي ملكها ان لم يمنحها مجلس نواب . وكانوا ينقادون بسهولة الى مثل هذه الكلمات "ارادة الشعب" "الحكومة الدستورية" وما اشبه ولكنهم غلاظ الرقاب لا ينقادون بسهولة الى رجال حكومتهم ولا يصدقون المقيمين منهم في بلاد اجنبية . والظاهر ان اسمعيل باشا كان يعلم ذلك كلهُ فقال في نفسهِ انهُ يمكن ان يسترضي الشعب الانكليزي بانشاء مجلس نواب في بلادهِ مثل مجلس نوابهم فمتى اجتمع هذا المجلس وجاهر اعضاؤُهُ بولائهم لهُ ورضائهم بحكومتهِ ورفضوا نسبة بلادهم الى الافلاس واستنبطوا طريقة لجمع المال وايفاء ربا الدين اثبتوا استغناءهم عن الوزراء الاوربيين واقنعوا انكلترا وفرنسا بكفاءتهم وبانهُ لا

سبيل لتعرُّض اوربا لامورهم. ومتى اتموا ما يطلبهُ منهم حلَّ المجلس لانهُ يصير في غنىً عنهُ فتعود السلطة اليهِ كما كانت قبلاً

ولا شبهة ان الرأي الذي ارتآهُ اسمعيل باشا رأي حكيم ولكن الاوربيين كانوا يعلمون اخلاقهُ و يعلمون ان الحكومة الدستورية على ضد طبعهِ فعلموا ان فعلهُ حيلة لا تجوز عليهم او ارتابوا في اخلاصهِ على الاقل واخبرهُ معتمد انكلترا ومعتمد فرنسا من قبل دولتيهما انهما لا يسمحان لهُ ان يحدث اقل تغيير في اصول الحكومة السياسية والمالية التي قُرّرت اخيرًا وصادق هو عليها فاجابهما انهُ مقيم على كل العهود التي تعهَّد بها

وارادت انكلترا وفرنسا ان يعود نوبار باشا الى رئاسة النظار فقال الخديوي انهُ يخضع لارادتهما لانهُ لا يستطيع مقاومتهما ولكنهُ لا يتحمَّل مسؤولية ما ينتج عن ذلك من الخلل والاضطراب. فاجابتهُ الحكومة الانكليزية انها لا تبرئهُ مما حدث قبلاً وانهُ اذا حدث امر آخر يماثلهُ فالعاقبة وخيمة عليهِ واذ قد تقرَّر ذلك فهو حر يختار للوزارة من يشاء

وحينئذٍ جرى البحث في نسبة الخديوي الى مجلس النظار وبعد اخذ وعطاء بين اسمعيل باشا ومعتمدي انكلترا وفرنسا قرَّ القرار على ما يأتي

(١) ان لا يحضر الخديوي جلسات مجلس النظار (٢) ان يعيَّن البرنس توفيق رئيسًا لمجلس النظار وكان وليًّا للعهد (٣) ان يكون للناظر الانكليزي والناظر الفرنسوي الحق ليرفضا اي امر استحسنا رفضهُ

وعرض هذا القرار على الخديوي فوافق عليهِ وشكر معتمدي انكلترا وفرنسا لانهما قبلا طلبهُ وهو عدم اعادة نوبار باشا الى الوزارة. وفي العاشر من شهر مارس سنة ١٨٧٩ عين البرنس توفيق رئيسًا للنظار واريد انتخاب بقية النظار فوقع الخلاف فقد كان رياض باشا ناظرًا للداخلية في وزارة نوبار باشا فاراد الخديوي ان ينقلهُ حينئذٍ الى نظارة الخارجية والحقانية فلم يوافقهُ الناظران الاوربيان على ذلك لانهما قالا ان غرض الخديوي من ذلك ان يعيد سلطتهُ على البلاد وهو لا يستطيع ان يعيدها ما دام رياض باشا ناظرًا للداخلية . ورأى معتمدا انكلترا وفرنسا انهُ ليس من العدل ان يكون الخديوي مسئولاً عما يجري في بلادهِ ولا تطلق يدهُ في اختيار نظارهِ. الّا ان الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية عضدتا الناظرين الاوربيين وطلبتا من الخديوي ان يبقي رياض باشا ناظرًا للداخلية فرفض ذلك في اول الامر واصرَّ على رفضهِ شهرًا من الزمان واخيرًا رضي بتعيين رياض باشا ناظرًا للداخلية والحقانية

ولم تكن انكلترا ترغب في امتلاك مصر ولكنها لم تكن تسلّم بان تمتلكها دولة اخرى من الدول الاوربيَّة . وهذا كان شأنها بالنسبة الى مصر منذ عهد طويل ففي سنة ١٨٥٧ ارتأى الامبراطور نبوليون الثالث ان تأخذ فرنسا مراكش وانكلترا مصر وسردينيا تونس ولما عُرض رأيهُ على لورد بامرستون اجاب عليهِ كتابة بقولهِ " من المرجح ان بلدانًا كثيرة يمكن ان تسومها فرنسا وانكلترا وسردينيا احسن مما هي مسوسة الآن . . اما نحن فلا نريد القطر المصري ولا نريد لهُ الاَّ ان يبقى جزءًا من السلطنة العثمانية حتى لا يقع في يد دولة اوربيَّة . اننا نريد ان نتاجر مع القطر المصري ونمر فيهِ ولكننا لا نريد ان نتحمل اعباء حكومتهِ ". وبقيت سياسة انكلترا سنة ١٨٧٩ على ما كانت عليهِ حينما كتب لورد بامرستون هذه السطور ولكن تغيُّر الاحوال دعا الى تنويع سياستنا لانهُ لم يعد في الامكان ان نقف بعيدًا وننفضي عن امور مصر الداخلية . والدولة الوحيدة التي تطمع في مصر من دول اوربا هي فرنسا وقد حاولت امتلاكها مرةً وكان يحتمل ان يدعوها اختلال الحكومة المصرية الى محاولة ذلك مرةً اخرى ولاسيما بعد ان زادت مصالحها المالية في القطر المصري وظهر منها انها ميَّالة لعضد اصحاب الديون . وهب انها لم تكن تنوي ضم مصر الى املاكها لكن الرأي العام فيها كان قادرًا ان يمنعها عن سياسة العزلة فاذا لم ترد الحكومة الانكليزية ان تشارك الحكومة الفرنسوية فالحكومة الفرنسوية تستقلُّ بالعمل وحدها ولكن يستحيل ان يتم لها ما تريد وترضى انكلترا بهِ . وفرنسا ايضًا لم تكن ترضى ان تستقل انكلترا في شؤُون مصر ولا كانت ترضى ان تزيد سلطة تركيا فيها لان ذلك يخالف السياسة التي جرت عليها من قديم الزمان ولذلك كان من مصلحة الدولتين انكلترا وفرنسا ان لا تتفاقم الخطوب في مصر فتدعو الى تخاصمهما والسبيل الى عدم تفاقم الخطوب اشتراك الدولتين في اصلاح البلاد ولو بما يكفي لمنع ما يكره وقوعهُ بينهما حتى لا تصير المسأَلة المصرية مسأَلة اوربيَّة . هذه هي السياسة التي أُريدَ اتباعها ولكن الدولتين لم تكونا على وفاق تام في السبل المؤَدية اليها فان اكثرهمْ فرنسا كان مصروفًا الى مصلحة المداينين واكثرهمْ انكلترا كان مصروفًا الى مصلحة الفلاحين غير ان هذا الخلاف لم يمنع الاتفاق على الغرض المقصود

واتفق رأي الجميع حينئذٍ على ان سبب سوء الادارة رجل واحد وهو الخديوي اسمعيل باشا ولكنهم اختلفوا في كيفية اصلاحها فاشار بعضهم بنزع السلطة من يدهِ حتى يصير صفرًا وقال البعض انهُ يستحيل ان تصلح ادارة البلاد من غير مساعدتهِ ما دام في كرسي الخديويَّة ولذلك يجب الاستعانة بهِ بعد وضع قيود دستورية لهُ تجعلهُ يجري في الطريق

المطلوب من غير عنف ولا اكراه . وكان كل فريق من هذين الفريقين يظن انهُ على هدًى والفريق الآخر على ضلال . وكان الناظر الانكليزي السر رفرس ولسن من الفريق الاول والمعتمد الانكليزي لورد ڤيفيان من الفريق الثاني

قال لورد كرومر وكنت ارى هذا الاختلاف واسمع حجج الفريقين وانا اعتقد ان الاسلوبين لا يأتيان بالغرض المطلوب لان مواعيد اسمعيل باشا كانت كلاماً في كلام وهو لا يستطيع ان يغير ما طُبع عليهِ ولكن رأي لورد ڤيفيان اصلح لاسمعيل باشا لان فيهِ متسعاً لهُ للعمل بمواعيده . اما رأي السر رفرس ولسن فكان العمل بهِ ضرباً من المحال في تلك الاحوال

وهذا الاختلاف في الرأي بين لورد ڤيفيان والسر رفرس ولسن ضلل الحكومة الانكليزية فلم تدرِ ايهما تصوّب والظاهر ان رأي السر رفرس ولسن تغلَّب اخيرًا فاستدعت لورد ڤيفيان وارسلت بدلاً منهُ السر فرنك لاسلس وامرتهُ ان يجري بالاتفاق مع السر رفرس ولسن

ولما تولى البرنس توفيق رئاسة مجلس النظار كان عمرهُ ٢٧ سنة وكان شديد الرغبة في اصلاح الاحوال وظهر حينئذٍ كأن الخديوي عزم على مشاركة وزارتهِ في التغلب على المصاعب ولكنهُ لما رأى ان الغرض نزع كل سلطة من يدهِ استصعب ذلك لانهُ كان على ضد طبعهِ وحدث حينئذٍ ما ازاح الستار عن وجه الحقيقة فان قسط الدين المعقود سنة ١٨٦٤ ومبلغهُ ٢٤٠٠٠٠ جنيه كان ميعادهُ في اول ابريل سنة ١٨٧٩ ولم يكن في صندوق الدين في ٢٨ مارس سوى ١٩٦٠٠٠ جنيه . وكانت لجنة التحقيق مهتمة حينئذٍ بوضع نظام لتسوية الحالة المالية من مقتضاهُ الغاء قانون المقابلة والغاء ذلك القانون كان على غير رغبة كبار الممولين فرأى النظار واعضاء لجنة التحقيق ان يؤخروا ايفاء القسط المستحق من اول ابريل الى اول مايو وكتبوا صورة امرٍ عالٍ وقدموهُ للخديوي ليوقعهُ فابى توقيعهُ حاسباً انهُ بمثابة اعلان الافلاس فغيروا لهُ بعض الكلمات واقنعوهُ بتوقيعهِ . ووجه الغرابة في ذلك انهُ كان يعلم عدم مقدرة حكومتهِ على ايفاء ما يطلب منها من ربا الديون فكيف يأنف من توقيع امرٍ مقتضاهُ تأخير ايفائها

ويتضح مما اوردهُ لورد كرومر ان اسمعيل باشا اراد ان يتخلص من الناظر الانكليزي والناظر الفرنسوي ومن رياض باشا. فاقنع اعيان البلاد ان الوزارة تقصد الغاء قانون المقابلة فيقع الحيف عليهم لانهم يملكون اكثر الاطيان العشورية التي تستفيد من ذلك

القانون . وقيل لرياض باشا ان حياتهُ في خطر حتى يلجأ الى الاستعفاء . واخيرًا جمع الخديوي قناصل الدول الجنرالية واخبرهم ان البلاد في حالة اضطراب شديد وان اعيانها رفعوا اليهِ عريضة موقعة من كل طوائف الناس يعرضون فيها تدبيرًا جديدًا لحل المشاكل المالية ويطلبون ان يكون نظار الحكومة كلهم من الوطنيين المسئولين لمجلس النواب. فاستعفى البرنس توفيق اطاعة لارادة الامة وقال لهم شريف باشا انهُ يستحيل على الخديوي ان يقاوم ارادة الامة

فقال لهُ قنصل النمسا الجنرال هل يرهن هؤُلاء الاعيان اطيانهم ضمانًا للتدبير المالي الذي اقترحوهُ. فاجابهُ الخديوي انهُ يستحيل ان توجد ضمانة اقوى من ان البلاد كلها من الخديوي فنازلاً ترضى ان تُحمل اية خسارة كانت ولا تسلّم باهانة الافلاس

وأُعطي القناصل ثلاث لوائح الاولى من مجلس الاعيان فيها اعتراضات على اعمال مجلس النظار والثانية من نواب العلماء وكبار الموظفين للخديوي يعترضون فيها على المشروع الذي وضعهُ السر رفرس ولسن ويقولون ان دخل البلاد كاف لايفاء ديونها ويقدمون بدلاً منهُ مشروعًا آخر ويطلبون ان يكون مجلس النظار مستقلاً عن الخديوي ومسؤُولاً لمجلس النواب. والثالثة اسلوب وضعوهُ لتسوية الحالة المالية. فارسل القناصل هذه اللوائح الى دولهم وارسلوا معها نسخًا من تقرير لجنة التحقيق لكن البوسطة اوقفت هذه النسخ حتى لا تصل مع اللوائح . وكتب الخديوي الى السر رفرس ولسن والمسيو ده بلنير انهُ كلّف شريف باشا بتأليف وزارة جديدة جريًا على رغبة الامة . وصدر الامر الى شريف باشا بتأليف وزارة اعضاؤُها كلهم مصريون حقيقيون (véritablement Egyptiens) فتألفت الوزارة وكان من اعضائها شاهين باشا وعمر باشا لطفي وقاوم اسمعيل دولتين من اعظم دول اوربا وطرد رجالهما من حكومتهِ ووقف في وجهها وكأن البلاد كلها معهُ ولو استطاع ان يوفي اقساط الديون في اوقاتها لما بقي لاحد سبيل عليهِ ولكن الاسلوب المالي الذي وضعهُ كان مختلا ولا يمكن ان يفي بالمراد فسقط وسقط هو معهُ . ومن اكبر عيوب ذلك الاسلوب انهُ جعل ايراد الحكومة ٩٨٣٧٠٠٠ جنيه وهذا المبلغ لم يكن في الامكان تحصيلهُ وايضًا لم يفرض راتبًا خاصًا للخديوي وعائلتهِ فيضطر ان يعود الى ابتزاز الاموال باية واسطة كانت

وجعل رجال الحكومة يبتزون الاموال من الفلاحين قوة واقتدارًا فاضطر هؤُلاء ان يستدينوا المئة باربعة او بخمسة في الشهر خوفًا من الكرباج وكنتُ قبل ذلك راغبًا في ترك القطر المصري ولكن الرغبة في اصلاح احوالهِ المالية حملتني على البقاء فيهِ فلما يئست من

اصلاحها استعفيت وغادرت البلاد في ٢٤ مايو سنة ١٨٧٩ وعُيّن السر اوكلند كلفن في قومسيون الدين بدلاً مني . والحوادث التالية لاستعفائي الى ان رجعت مراقباً عاماً لم اشاهدها بنفسي بل اعتمدت فيها على ما ذكرهُ غيري

لما رأت انكلترا ان اسمعيل باشا عاد الى سابق عهدهِ من ابتزاز الاموال من الفلاحين وهي تعلم ان ذلك يفضي الى خراب البلاد بعث لورد سلسبري الى السر فرنك لاسلس يقول له "ان الخديوي يعلم ان الاسباب التي جعلت الحكومة الانكليزية تهتم بامور القطر المصري قضت عليها بان تهتم بترقيتهِ واصلاح حكومتهِ . ولقد كانت تحسب حتى الآن ان استقلال الخديوي وتأييد العائلة الخديوية ضروريان للوصول الى هذه الغاية وهي تعلم ان هذا هو غرض الحكومة الفرنسوية ايضاً ولذلك تميل الى حسبان ما فعلهُ الخديوي متسرّعاً من جهة مستقبل الاصلاح ومن جهة قيامهِ في وجه الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية انهُ فعلهُ وهو ينوي الرجوع عنهُ . وتفضل ان ترى في ما سيعملهُ تفسيرًا مرضياً للسياسة التي اتّبعها اخيرًا ولكنهُ اذا استمرَّ على تجاهلهِ القيود التي ارتبط بها باعمالهِ السابقة وعهودهِ واصرَّ على رفض مساعدة النظّار الاوربيين الذين تقدمهما فرنسا وانكلترا لهُ اضطررنا ان نستنتج من ذلك ان عدم مراعاتهِ لعهودهِ الذي دلّت عليهِ اعمالهُ الاخيرة هو نتيجة خطّة مقرَّرة يريد الجري عليها دائماً وانهُ يرفض صداقتهما عن قصد وتعمُّد وحينئذٍ فالحكومتان تحفظان لنفسيهما الحرية التامّة لتقدرا عملهُ قدرهُ وتحميا مصالحهما في مصر وتدبرا التدابير التي تحسبانها خير ما يمكن تدبيرهُ لنجاح القطر المصري وحسن ادارتهِ"

ولا بد من ان الخديوي كان يعلم خطارة الخطة التي جرى عليها حينما اخرج الناظرين الاوربيين فدعا كبار القواد ليحلفوا لهُ يمين الطاعة ويتعهدوا بالدفاع عن البلاد وعنهُ وعن عائلتهِ. وزيد عدد الجيش ولكن لم يكن ذلك ليمنع شكوى الجنود من سوء الاحوال فلما اخبرهُ السر فرنك لاسلس برسالة لورد سلسبري انكر انهُ يقصد ان يقف في وجه انكلترا وفرنسا ولكنهُ لم يُعد الناظرين الى منصبيهما . واتضح حينئذٍ انهُ لا يمكن اصلاح الاحوال والخديوي اسمعيل على كرسي الخديوية وكانت المانيا اول دولة ضربتهُ الضربة القاضية فانها امرت قنصلها الجنرال في القاهرة ان يخبرهُ ان الحكومة الامبراطورية (الالمانية) تعدُّ الدكرتو الخديوي الذي صدر في ٢٢ ابريل وخوّل الحكومة المصرية الحق بتدبير امر الدين اعتداء صريحاً على الحقوق الدولية التي ارتبطت بها مصر وقت انشاء المحاكم المختلطة يقصد بهِ ابطال حقوق موجودة ومعترف بها ولذلك فهي تحسب ذلك الدكرتو لاغياً من حيث سلطة المحاكم المختلطة

ومن حيث حقوق رعايا الامبراطورية الالمانية وتعدُّ الخديوي مسؤُولاً عن كل النتائج التي تنتج عن اعمالهِ المخالفة للقانون". واشتركت دول اخرى من الدول الكبرى في هذا الاحتجاج

وفي ١٩ يونيو بلّغ السر فرنك لاسلس الخديوي ما يأتي متبعاً في ذلك تعليمات لورد سلسبري وهو" ان الحكومة الفرنسوية والحكومة الانكليزية اتفقتا على ان تنصحا سموك رسميًّا لتعتزل وتخرج من القطر المصري فاذا انتصحت بنصحنا فنحن نهتم بان يعيَّن لك راتب مناسب وتبقى الخديوية في بيتك فيخلفك ابنك البرنس توفيق. واذا ابيت ان تعتزل واضطررت الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية الى مخاطبة السلطان في ذلك رأساً فلا يمكنك ان تعتمد على مساعدتهما لا في تعيين الراتب لك ولا في اعطاء الخديوية لابنك "

وبعث لورد سلسبري حينئذٍ رسالة مسهبة الى السر فرنك لاسلس بيَّن فيها الاسباب التي دعت الحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسوية الى الاهتمام بالمسائل المصرية

ولما بلّغ معتمدا انكلترا وفرنسا الخديوي قرار دولتيهما طلب ان يُمهَل ريثما ينظر في طلبهما ثم اخبرهما في ٢١ يونيو انهُ رفع الامر الى السلطان . وكان قد ارسل رسولاً الى الاستانة ومعهُ الاموال اللازمة . وقيل للسلطان ان غرض انكلترا وفرنسا التطاول على سلطتهِ في مصر. واتفقت المانيا والنمسا وروسيا وايطاليا على نصح الخديوي ليعتزل . وفي ٢٤ يونيو جاء للمسيو تريكو قنصل فرنسا الجنرال ان الباب العالي اعتمد على عزل اسمعيل باشا وتنصيب حليم باشا بدلاً منهُ وكان الوقت بعد نصف الليل فقام السر فرنك لاسلس والمسيو تريكو والبارون سورما قنصل المانيا الجنرال واتوا الى سراي الخديوي ومعهم شريف باشا ونقلوا اليهِ الخبر وطلبوا منهُ ان يعتزل فابى

وفي اليوم التالي أُعدَّ امرٌ خديوي من مقتضاهُ جعل الجيش المصري مئة وخمسين الفاً. وجرى البحث في تغريق البلاد كلها حول الاسكندرية ولكن الخديوي نفسهُ كان يعلم ان الحيَل قد فرغت وانهُ لا بدَّ من الرحيل وقد ارسل كثيرًا من امتعتهِ الثمينة الى يختهِ في الاسكندرية . ثم اتفقت دول اوربا على تنصيب البرنس توفيق لا البرنس حليم وفي ٢٦ يونيو جاء تلغراف من الاستانة معنون "الى الخديوي السابق اسمعيل باشا" وفيهِ الفقرة التالية

" لقد ثبت ان بقاءكم في منصب الخديوية لا يمكن ان تكون لهُ نتيجة غير تكثير المشاكل وتعظيمها وعليهِ فجلالة السلطان بعد ان قرَّ قرار مجلس وكلائهِ قد قرر تعيين دولة محمد توفيق باشا في منصب الخديوية وقد صدرت الارادة السلطانية بذلك وهذا القرار السامي قد ابلغ الى دولتهِ برسالة برقية اخرى فاطلب منكم اعتزال اشغال الحكومة طبقاً لامر جلالة السلطان"

وجاء تلغراف الى البرنس توفيق بتعيينهِ خديويًّا على مصر

فرأى اسمعيل باشا حينئذٍ ان الامر قد قضي فبعث الى ابنهِ وسلم السلطة اليهِ امام نظار حكومتهِ . وفي الساعة السادسة ونصف من ذلك اليوم عينهِ (قبيل الغروب) أُطلقت المدافع من القلعة اعلامًا بتنصيب البرنس توفيق خديويًّا على القطر المصري واستقبل سموهُ فيها استقبالاً رسميًّا حضرهُ معتمدو الدول ونظار الحكومة وكبار الموظفين وجمهور كبير من الاهالي

وفي الثلاثين من يونيو قبل الظهر بنصف ساعة خرج اسمعيل باشا من القاهرة قاصدًا الاسكندرية وكان قد اظهر انهُ لا يريد ان يكون وداعهُ رسميًّا فلم يحضر احد من وكلاء الدول لوداعهِ ولكن حضر كثيرون من غيرهم . ولما ودَّع الخديوي توفيق اباهُ واخوتهُ لم تبقَ عين لم تدمع . ولما وصل اسمعيل باشا الى الاسكندرية نزل في يختهِ المحروسة ونزل لوداعهِ كثيرون من الموظفين والنزلاء الاوربيين فصافح الجميع وباسطهم في الكلام فابدوا لهُ عواطف الحب والاحترام

قيدار وممالك حاصور

استلفات نظر اصحاب الانسكلوبيديات ومعاجم الكتاب

في اثناء بحثي عن اصل الانباط في البتراء راجعت ما كتب في سفر ارميا النبي عن غزوات نبوخذنصر (او بختنصر) وهي كتابة يعتمد عليها لان النبيَّ كان من معاصري نبوخذنصر ومن ثمَّ فالوارد عنهُ في سفرهِ هو من اصح واثبت ما جاء عن هذا الملك لا يدانيهِ في الصحة شيء الاَّ ما ورد في الآجرّ البابلي مما كتبهُ بختنصر نفسهُ او احد معاصريهِ فوجدت ان من جملة الامم التي حاربها بختنصر القيداريين وممالك حاصور . اما القيداريون فمن وصفهم لا يشك محقق انهُ يعني بهم العرب العدنانيون في الحجاز وشمالي العربية . واما ممالك حاصور فلا يزال فيها رأي لباحث

— راجعت الانسكلوبيديا البريطانية فلم ارَ فيها ادنى اشارة الى هذه الممالك ومثلها الانسكلوبيديا الاميركانية فقلت دعني انظر في تفسير الكتاب للعلاَّمة بوتلر وهو من احدث كتب التفاسير ومن اشهرها فنظرت فلم اجد فيهِ ما يشفي فانقلبت الى معاجم الكتاب فراجعت احدثها عهدًا واشهرها فلم ارَ فيها ما يزيد عما في غيرها مما اطلعت عليهِ . الاَّ ان العلاَّمة

هيستن في معجمهِ الشهير المطبوع سنة ١٨٩٨ — ١٩٠٢ اشار الى رأي العلاَّمة كونور فقال في آخر ما ذكرهُ عن لفظ حاصور نقلاً عن العلاَّمة المومى اليهِ انها مكان غير معروف في بلاد العرب يذكر مع قيدار وان نبوخذنصر حارب اهلهُ . والاشارة في غاية الاختصار لا تزيد عن السطرين وقد ذكرت معناها على ما بقي في ذهني لا ترجمتها الحرفية فمن شاء فليراجع معجم هذا العلامة في باب حاصور

كان في ذهني من قبلُ انَّ بلاد اليمن من جملة البلدان التي حاربها نبوخذنصر فحدست ان ممالك حاصور هذه هي بلاد اليمن او قسم منها لان اشارة ارميا النبي — اهربوا انهزموا جدًّا تعمقوا في السكن يا سكان حاصور الخ — لا تنطبق على حاصور مدينة يابين بقرب بحيرة الحولة فانقلبت الى كتب التاريخ العربية ابحث عما يقوم دليلاً على صحة ما حدستهُ فراجعت العلامة ابن خلدون والمسعودي فرأيتهما في حروب نبوخذنصر في بلاد العرب يقرنان ذكر بني حضورا بالعرب العدنانيين كما يقرن ارميا النبي ممالك حاصور بالقيداريين والمستنتج من ذلك لا يكاد يشك بهِ على ما ارى اي ان بني حضورا وممالك حاصور هما اسمان لمسمًّى واحدٍ كما ان قيدار والعرب العدنانيين اسمان ايضاً والمسمى واحد ولاسيما اذا اعتبرت المشابهة اللفظية الواضحة بين حاصور وحضور . فبقي عليَّ تحقيق موقع حضور او حضورا في اي نقطة هو من البلاد العربية

فقلت اراجع الهمداني صاحب وصف جزيرة العرب فلعلهُ يذكر شيئاً عن ذلك فراجعتهُ فاذا بهِ يذكر ما أحبُّ ان يذكرهُ . واليك النقول الآتية عن كلٍّ من هؤلاء الائمة الاعلام

عن العلامة ابن خلدون

قال هذا العلامة في الجزء الثاني من تاريخهِ المشهور طبعة بولاق صفحة ١٦٠ وبختنصر هذا الذي غزا العرب وقاتلهم واستباحهم . قال هشام بن محمد اوحى الله الى ارميا النبي يأمر بختنصر ان يفرّق العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ويستبيحهم بالقتل . قال فوثب بختنصر على من وجدهُ ببلادهِ من العرب للميرة فحبسهم ونادي بالغزو وجاءت منهم طوائف مستسلمين فقبلهم وانزلهم بالانبار والحيرة . وقال غير هشام ان بختنصر غزا العرب بالجزيرة وما بين ايلة والابلة وملأَها عليهم خيلاً ورجالاً ولقيهُ بنو عدنان فهزمهم الى حضورا واستلحمهم اجمعين . وقال وجه ٢٣٧ من الجزء المذكور . يقال في مبداء كونهم هناك ان بختنصر لما سلطهُ الله على العرب — قتل اهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيب بن ذي مهدم — فاوحى الله الى ارميا بن حزقيا وبرخيا ان يسيّرا بختنصر الى العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم وان يقتل

ولا يستحيي ويستلحمهم اجمعين ولا يبقي منهم اثرًا — وسار الى العرب وقد نظم ما بين ايلة والابلّة خيلاً ورجلاً وتسامع العرب باقطار جزيرتهم واجتمعوا للقائهِ فهزم عدنان اولاً ثم استلحم الباقين ورجع الى بابل وجمع السبايا فانزلهم بالانبار ثم خالطهم بعد ذلك النبطة

وقال ايضاً وجه ٢٣٩ من الجزء المار ذكرهُ . وغزا بختنصر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً. قال السهيلي وكان رجوع معدّ الى الحجاز بعد ما دفع الله بأسهُ عن العرب ورجعت بقايام التي كانت بالشواهق الى مجالاتهم بعد ان دوّخ بختنصر بلادهم وخرب معمورهم واستأصل حضورا واهل الرسّ التي كانت سطوة الله بالعرب من اجلهم

وقال وجه ٢٤٣ من الجزء المذكور . ومن كعب بن زيد الجمهور ويلقّب كعب الظلم ابناه سبإِ الاصغر بن كعب واليهِ ينتهي نسب ملوكهم التبابعة ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدي بن مالك بن زيد وقد مرّ ذكرهم ونقول اليمن ان منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبيّ الذي قتلهُ قومهُ فغزاهم بختنصر فقتلهم . وقيل هو حضور بن قحطان الذي اسمهُ في التوراة يقطان ومنهم ايضاً بنو ميتم وبنو احالة ابني سعد بن عوف بن عدي بن مالك اخي ذي رعين وعوف هذا اخو حضور واخوهُ احاظة وميتم بنو حراز بن سعد

عن العلامة المسعودي

وقال العلامة المسعودي في كتابهِ مروج الذهب الجزء الاول وجه ٢٢٦ وكانت (اي بنو حضورا) امةً عظيمة ذات بطش وشدّة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من الحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل في انسابهم غير ما ذكر من الوجوه . وقد كان بعث الله عزّ وجل اليهم شعيب بن ذي مهدم بن حضورا نبيًّا ناهياً عما كانوا عليهِ وهذا غير شعيب بن نوفل ولما بعث الى حضورا واشتدّ كفرهم جدّ نبيهم شعيب بن ذي مهدم في دعائهم وخوّفهم وتوعّدهم فقتلوهُ فاوحى الله الى نبيّ كان في عصرهِ وهو برخيا وكان من سبط يهوذا — ان يأتي بختنصر وكان بالشام — فيأمرهُ ان يغزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم فلما اتى برخيا ذلك الملك قال لهُ الملك صدقت لي سبع ليالٍ أُومر في نومي بما ذكرت واُنادى بجيشك اليَّ وأبشر ويقال لي ما امرتني بهِ وانا انتصر للنبي المقتول المظلوم. فسار اليهم في جنودهِ وغشي ديارهم في عساكرهِ وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربهِ من حيث عمّ الصوت جميعهم . فلما سمعوا ذلك علموا ان الامر قد نزل بهم فانفضّت جنودهم وتفرّقت جموعهم وولّت كتائبهم واخذهم السيف فحصدوا اجمعين

عن العلامة الهمداني

جاء لهذا العلامة في كتابهِ وصف جزيرة العرب طبع ليدن سنة ١٨٨٤ وجه ١٠٦ ما نصهُ قال —

مخلاف حضور وهو حضور بن عدي بن مالك من ولدهِ شعيب النبي بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدّم بن حضور عليهِ السلام وهو الذي قتلهُ قومهُ ويقال قتلهُ اهل حضورى وعربايا وكان بُعث اليهم . فسافلة حضور بناغ وشمّ وماضخ وصابح والاغيوم وبرَيش ومنهم يحزا وعلسان فهذه سافلة حضور . وبحضور الصيد وهم يتهمدنون ويقال انهم من حمير وهم غير صيَد همدان . وعالية حضور واضع والملان وحقل مهمان . انتهى

ترى مما ذكرهُ الهمداني صراحةً ان هذا المخلاف هو في منتصف بلاد اليمن على مقربةٍ من صنعاء وانهُ نُسب الى حضور بن عدي بن مالك وابن خلدون يصرّح ان حضور هو من نسل زيد الجمهور الذي ينتهي اليهِ نسب التبابعة وعليهِ فبنو حضور كانوا التبابعة في ايام نبوخذنصر وكان لهم ملك اليمن وتهامة معاً. وهذا مما تناسبهُ عبارة المسعودي — اي انهم كانوا امة ذات بطش وشدة وقد غلبت على كثير من الممالك

ثم اذا صدّقنا قول اهل اليمن عن انفسهم في تواريخهم او تقاليدهم علمنا ان شعيب بن ذي مهدم كان من امراء آل حضور فان هذه الاضافة — اي ذي مهدم — تشعر بذلك ولها نظائر عندهم كذي الكلاع وذي يزن وذي شحر الخ فانها كلها اسماء امكنة أُضيف اليها كما صرَّح المسعودي بذلك . وشبيه بها عبارة مؤرخي المولدين في قولهم مثلاً صاحب صور وصاحب طرابلس وصاحب الشوبك وصاحب شيزر وامثال ذلك كثيرة ولعلهم اتبعوا اصطلاح من سبقهم انما ابدلوا ذي بمعناها اعني صاحب . وعليهِ فمهدم اسم البلد التي كان ابوهُ اميرًا عليها . والمهدم ولا شك يراد بها مدينة المهجم الحالية وهي من امهات مدن تهامة اما المشابهة اللفظية فواضحة فان الجيم والدال يقرب لفظ احدهما من الآخر بل كثيرون لا يلفظون الجيم الاَّ دالاً فاذا قلت لهم قولوا مهجم قالوا مهدم . واما المشابهة في الصفة فابن خلدون يقول كما نقلنا عنهُ ان اهل الوبر في ناحية عدن اليمن قتلوا نبيهم شعيب ابن ذي مهدم واهل تهامة كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة اهل وبر والمهجم من امهات مدنهم وربما كانت ايضاً عاصمتهم في ذلك الحين فالوصف الذي ذكرهُ ابن خلدون منطبق عليها

دعنا الآن نذكر محصل ما جاء عن نبوخذنصر في سفري ارميا وحزقيال وسفر الملوك الثاني اما النبيان فكانا معاصرين لنبوخذنصر واما صاحب سفر الملوك فكان بعدهُ بقليل

وربما عاصره مدة على الراجح . ثم محصل ما جاء عنهُ في تواريخ العرب وتقاليدهم على ما رأيت في النقول التي نقلنا وبعد ذلك ننظر في مقابلة المحصلين احدها بصاحبهِ فان في الواحد ما يُفسّر بعض ما في الاخر من الابهام كما سترى : —

في اواخر ملك يوشيا ملك يهوذا صعد فرعون نخو بجيوشهِ يقصد كركميش على الفرات شمالي حلب فاعترضهُ يوشيا ملك يهوذا في بقعة مجدو فاصابهُ الرماة بسهم فجرح جرحاً مميتاً ونقلهُ عبيدهُ من المركبة التي كان يحارب فيها متنكرًا الى مركبتهِ الثانية ورجعوا بهِ الى اورشليم فمات هناك ودفن في قبور آبائهِ وملّك اليهود ابنهُ يهواحاز بدلاً منهُ . الاّ ان فرعون نخو عاد من كركميش بعد ثلاثة اشهر ومرّ باورشليم فعزل يهواحاز واخذهُ اسيرًا الى مصر ونصب مكانهُ اخاهُ الياقيم بعد ان ضمن لهُ ما غرّم بهِ الارض من وزنات الفضة والذهب وسماهُ يهوياقيم

وبعد اربع سنوات من موت يوشيا كانت موقعة كركميش التقت فيها جيوش نبوخذنصر بجيوش المصريين فكانت حرباً هائلة دارت فيها الدائرة على جيوش نخو وفاز البابليون على المصريين فوزًا كبيرًا فارتد هولاء الى بلادهم مهزومين وتعقبهم نبوخذنصر حتى جاء الى اورشليم فلم يكن من يهوياقيم ادنى مقاومة فقيّدهُ نبوخذنصر ليذهب بهِ الى بابل الاّ انهُ عاد فاستبقاهُ عاملاً لهُ وما زال يهوياقيم عبدًا لنبوخذنصر ثلاث سنوات ثم عصى عليهِ وعاد الى موالاة المصريين الى ان مات في السنة الحادية عشرة من ملكهِ وملك ابنهُ يهوياكين بدلاً منهُ

وفي اواخر ملك يهوياقيم جاءت جيوش البابليين الى اليهودية وبعد ثلاثة اشهر من ملك يهوياكين شدد نبوخذنصر الحصار على اورشليم فلم يعد يهوياكين يقوى على المدافعة فاستسلم هو وامهُ وعبيدهُ ورؤساؤهُ وخصيانهُ لنبوخذنصر فاخذهم الى بابل وسبى معهم سبعة الاف من اقوياء الارض واصحاب البأس فيها فضلاً عن الابطال اهل الحرب وفضلاً عن الصناع من النجارين والحدادين

ولم يذكر في سفر ارميا ولا في سفر حزقيال ولا في سفر الملوك ما السبب في عصيان يهوياقيم على ملك بابل بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنوات . على ان ارميا النبي يشير الى اسم القبائل العربيّة ددان وتيماء وبوز وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البريّة وكل ملوك زمري وان هذه الامم كلها كانت عند موقعة كركميش او بعدها بقليل حرباً لنبوخذنصر ومن جملتهم قيدار وممالك حاصور وان نبوخذنصر كان يُعد لحرب هولاء عن آخرهم . وهذه عبارتهُ في شأن ممالك حاصور قال " اهربوا انهزموا جدًا تعمقوا في السكن ياسكان حاصور يقول الرب لان نبوخذنصر ملك بابل قد اشار عليكم مشورةً وفكر عليكم فكرًا "

وجاء في سفر الملوك انهُ لما عصي يهوياقيم على نبوخذنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين ارسل الرب عليهِ غزاة الكلدانيين وغزاة الاراميين والعمونيين والموابيين لم يذكر نبوخذنصر ولا جيوشهُ حينئذٍ وانما ذكرهُ في ابتداء ملك يهوياكين فلماذا لم يأتِ نبوخذنصر او على الاقل لماذا لم يرسل جيوشهُ لحرب من عصى عليهِ بعد ان واثقهُ على الطاعة ولماذا اخَّر غزوهُ والانتصاص منهُ اربع سنوات تقريباً. ثم لما تحرَّك نبوخذنصر وسار بجيوشهِ على اورشليم يقول صاحب سفر الملوك هذه العبارة يعترض بها اعتراضاً — "ولم يعد ملك مصر يخرج من ارضهِ لانَّ ملك بابل اخذ من نهر مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر" كل هذا مما يحتاج الى تفسير ولا يفسرهُ الا حروب ملك بابل في حاصور على ما ارى فلنتقدم اذن لذكر محصَّل ما يفهم من النقول التي نقلناها آنفاً عن ابن خلدون والمسعودي والهمداني

يتحصل منها انَّ بني حضورا وهم ممالك حاصور كانوا ملوك اليمن في ذلك الحين وان عاصمتهم كانت صنعاء او مدينة اخرى بقرب صنعاء ولعلها مدينة حاز في مخلاف حضور فان الهمداني يذكر انها مدينة قديمة وفيها آثار جاهلية وكانت تهامة تابعةً لهم. ويتحصل ايضاً ان شعيب نبيَّ بني حضورا وابن صاحب المعجم كان من اشياع نبوخذنصر وحكمهُ في قومهِ كحكم ارميا في اليهود فلما قتلهُ قومهُ من اهل الوبر في تهامة استنجد اهلهُ او حزبهُ بختنصر وكان حينئذٍ في اليهودية وجهاتها يفكر في غزو العرب وبلاد اليمن ليلحقها باملاكهِ كما فعل من سبقهُ من ملوك اشور وقوادها العظام فسار اليهم ليثأر منهم بدم النبيّ المقتول. وكان مسيرهُ بعد ان مرَّ باورشليم في الرابعة من ملك يهوياقيم. وهنا نقول انهُ لاقى من الصعوبات في غزو هذه البلاد اشدَّ مما لقيهُ الرومان في اوائل التاريخ المسيحي في ايام اوكتافيوس قيصر ذلك لان هؤلاء لم يحتاجوا الى قطع الصحراء الشمالية لانهم ساروا بالسفن من مصر حتى بلغوا الحوراء فنزلوا عليها ومن هناك دخلوا تهامة واليمن واما هو فاضطرَّ الى قطع الصحراء ومحاربة المدنانيين او قيدار اولاً وبعد ان استلحمهم استمرَّ على غزوتهِ خلفهم الى تهامة وحضورا. وعليهِ فقد لاقى من المشقات اضعاف ما لاقاهُ الرومان ولاسيما ان المصريين كانوا عليهِ لامعهُ ومن اشدّ خصومهِ ايضاً ولا يبعد انهم انجدوا اهل حضورا وامدّوهم بالمال والرجال. ولا يبعد ايضاً بل هو مما يجوز لنا ترجيحهُ ان قد توجهت عليهِ غلبة او غلبات احياناً فأُشيع خبر انغلابهِ في سوريا وفلسطين اشاع ذلك خصومهُ المصريون فارتد بذلك كثيرون من الشعوب عن طاعتهِ ومن جملتهم اليهود. وهذا مما يفسر لنا سبب عصيان يهوياقيم على بختنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين على ضعف سياستهِ وتفرُّق قلوب اهل

مملكتهِ عنهُ . ويفسر لنا ايضاً ما جاء بهِ صاحب سفر الملوك من انهُ لما عاد يهوياقيم فتمرد على بختنصر ارسل عليهِ الرب غزاة الكلدانيين والاراميين ولم يقل جيش الكلدانيين ولا بختنصر ملكهم لانهُ لم يكن حينئذٍ يستطيع ان يحضر بنفسهِ ولا ان يرسل اليهم جانباً كبيراً من جنودهِ لانهُ كان منهمكاً بحروبهِ في اليمن وتهامة وكانت الحرب شديدة لا تؤذن لهُ ان يوجه جيشاً كبيراً منظماً ليقتص من اليهود فارسل من ثمَّ شراذم غزاةً فالتفَّ عليهم قوم من الاراميين والموابيين والعمونيين اعداء اليهود وكان من همّ هؤلاء الغزاة مضايقة اليهود واعناتهم بالغزو على اطراف بلادهم وقطع السابلة على تجارهم وقوافلهم الى ان يكون فرغ بختنصر من حرب العرب . ومما يستوجب الفكرة أن لم يكن بين هؤلاء الغزاة على يهوياقيم احد من الادوميين ولعلَّ ضلعهم كان مع اليمنيين على بختنصر كما كان ضلع من خلفهم من الانباط مع اهل اليمن على الرومانيين

وقد استمرَّت هذه الحرب على ما يظهر نحوًا من ثلاث سنين خرج منها بختنصر مظفرًا غالبًا ودانت لهُ عند نهايتها البلاد كلها من نهر مصر الى نهر الفرات وفرغ حينئذٍ لحرب اليهود فلم يلبث ان استسلم اليهِ يهوياكين ملكهم بعد ثلاثة اشهر من الحصار كما ذكرنا

هذا ما خطر لي في التحقيق عن ممالك حاصور ولا اشكّ ان من يقابل كما قابلت ويراجع ما راجعتهُ يتبين لهُ كما تبين لي وخلاصتهُ ان قيدار هم العرب العدنانيون وان ممالك حاصور هم بنو حضورا تبابعة اليمن في ذلك الحين وان حروب بختنصر معهم استمرَّت نحوًا من اربع سنوات من السنة السابعة ليهوياقيم الى السنة الحادية عشرة من ملكهِ وهي السنة التي مات فيها . ويظهر لهُ ايضاً ان التبابعة بني حضورا كانوا منقسمين الى حزبين حزب مع المصريين وآخر وهو حزب شعيب بن ذي مهدم مع البابليين وان هذا الانقسام والتحزُّب لنبوخذنصر هو الذي مكَّن هذا الملك البابلي من اجتياح بلادهم وايقاعهِ بهم حتى كاد يفنيهم مما لم يسبق لملك قبلهُ ولم يتأتَّ مثلهُ لمن بعدهُ . وقد بقي خبر هذه الغزوة لشدتها محفوظاً في تقاليد اليمن لحد هذه الساعة دون غيرها من غزوات المصريين والاشوريين والرومانيين . ومما يؤيد صحة هذه الغزوة على ما ذكرنا ايضاً وجود الانباط وهم سكان بابل في حقل جهران وحقل قتاب في قلب اليمن قال الشاعر على لسان احد التبابعة

فسكَّنتُ العراق خيار قومي وسكَّنت النبيط قرى قتاب

انظر الهمداني وصف جزيرة العرب وجه ١٠٤ . وفوق كل ذي علمٍ عليم

بيروت المدرسة الكلية جبر ضومط

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تسخين الطعام

ترى في الصورتين المقابلتين سيدة باحسن ثيابها وزينتها تطبخ طعامها بيدها ولا يمنعها ذلك من ان تجلس على كرسيها تقرأ جريدة او تخيط ثوباً . وترى امامها قنديلاً من قناديل السبيرتو وهي مملاءة من ابريق السبيرتو وفوقهُ مقلاة لطبخ الطعام او لتسخينهِ والمقلاة موضوعة على كانون مزخرف من الحديد لهُ ثلاث قوائم وكل ذلك موضوع على مائدة مغطاة بملاءة بيضاء نقية لا تخجل اية سيدة كانت من وضعها في غرفة المائدة او في غرفة الجلوس . وترى هذه السيدة نفسها في الصورة الثانية ترفع الغطاء عن المقلاة وتنظر الى ما فيها من طعام لترى هل سلق او قلي او قل ماؤهُ وهي ممسكة الغطاء بيدها ولا تحترق لان مسكتهُ من الخشب او الابنوس الذي لا تمتد الحرارة فيهِ

ان طبخ الطعام او تسخينهُ على هذه الكيفية صناعة قديمة جدًّا كان نساء تروادة يستعملنها منذ ثلاثة آلاف سنة كما يستدلُّ من الآنية التي اكتشفها شليمن في خرائب تلك المدينة . وكانت المقالي والقدور تصنع حينئذٍ من الذهب والفضة كما كانت تصنع من الفخار دلالة على ان نساء الاغنياء كن يطبخن بايديهنَّ كما يطبخ اخواتهنَّ الفقيرات . وقد كشفت مقالي وقدور مثل هذه في المدافن المصرية القديمة ومعها كوانين يوضع فيها الجمر لطبخ الطعام او لتسخينهِ . وتغنى احد شعراء اليونان بمدح طبَّاخ قلى السمك بمقلاة على الكانون

وكان الرومانيون يصنعون المقالي من الفضة والنحاس و يصفُّونها حول المائدة على كوانينها حتى يبقى الطعام فيها سخنًا لذيذًا على ما قالهُ سنيكا الحكيم . وقال شيشرون الخطيب ان بعض تلك المقالي كان ثمينًا جدًّا حتى ان واحدًا سمع مرةً صوت الدلال ينادي على مقلاة ويذكر ثمنها فظن انهُ يبيع ابعديَّة

وكان طبخ الطعام على هذه الصورة شائعًا في فرنسا فقد كان عند الملكة ماري انطوانت مقلاة تسخن الطعام فيها بقنديل السبيرتو في زمن عزها وهي في قصر بتي تريانون . واستعمال

قنديل السبيرتو كان بدعة جديدة بعد ان كان الطعام يطبخ ويسخن على كوانين الجمر

وقد يظن لاول وهلة ان هذا النوع من الطبخ او التسخين لا يستعمل الاّ في اعداد الفطور صباحاً والطعام الخفيف الذي يؤكل عصر النهار. ولكن النساء الاميركيات يستعملنهُ الآن لاعداد كل انواع الاطعمة لان اجور الخدم كبيرة فاحشة في اميركا فقلما تستطيع المرأة التي حالة زوجها متوسطة ان تستأجر طباخاً فتضطر ان تطبخ طعام بيتها بيدها وتختار لذلك قناديل السبيرتو الكبيرة التي يشتعل القنديل منها ساعةً ولا يحتاج ان يوضع فيهِ سبيرتو جديد ولهُ مفتاح يرفع بهِ ويخفض حتى تزيد حرارتهُ او تقلُّ حسب مقتضى الحال ويكون الكانون حولهُ جميل الشكل تزدان بهِ المائدة التي يوضع عليها ويكون للمقالي مسكات طويلة من خشب الابنوس حتى لا تسخن وتحرق اليد ويكون مع القنديل ابريق للسبيرتو طويل العنق حتى يسهل على المرأة ان تملأ منهُ القنديل ولا تتسخ يدها كما ترى في الصورة الاولى ويكون للمقالي اغطية محكمة حتى يبقى البخار مع الطعام فيسهل نضجهُ ولا يجف

والاطعمة التي تطبخ على هذه الكيفية كثيرة ولاسيما بعد ان صارت اطعمة مختلفة تباع في علب من الصفيح ولا تدعو الحال الاّ الى تسخينها ولكن اذا لم تكن هذه الاطعمة موجودة فلا يتعذَّر على المرأة ان تقلي السمك وتحمّر اللحم وتفلفل الرز وتصنع الشوربا بل قد لا يتعذَّر عليها ان تطبخ اليخاني على انواعها ولاسيما اذا جرت على الاساليب الاوربية

ولهذا النوع من الطبخ مزايا كثيرة فان المرأة التي تطبخ طعام بيتها بيدها على هذه الصورة لا تفرّط في شيء ولا تتلف شيئاً وتوفّر اجرة الطباخ وطعامهُ ولا نبالغ اذا قلنا انها توفر نصف مصروف الاكل اذا كانت عائلتها مؤلفة من زوجها وولدين او ثلاثة ثم ان طبخ طعامها على هذه الصورة لا يتعبها لانها تطبخ وهي جالسة على كرسيها وقلما تضطر الى الوقوف ولا يضيع وقتها بل تتسلّى

واذا كانت المرأة في سعة وعندها الخدم والحشم فتعلُّمها الطبخ على هذه الكيفية لا يضرها بل ينفعها لانها قد تضطر اليهِ اذا كانت في سفر او اذا خرجت مع اصحابها للنزهة

الاولاد وجنائن الحيوانات

لا شيءَ يسلي الاولاد ويعلمهم ويفيدهم مثل مشاهدة المعارض وجنائن الحيوانات اما المعارض فمدن القطر المصري محرومة منها ما عدا دار التحف المصرية في القاهرة ودار التحف اليونانية والرومانية في الاسكندرية والدخول اليهما قلما يكون مباحاً للاولاد واما جنائن

الحيوانات ففي القاهرة اثنتان منها الآن جنائن الحيوانات في حديقة الجيزة واحواض الاسماك في الجزيرة والدخول اليهما مباح باجرة طفيفة وقد صار الوصول الى جنائن الجيزة سهلاً بعد امتداد خط الترامواي على كبري الجيزة فيليق بالوالدين ان لا يدعوا فرصة تضيع من غير ان يأخذوا اولادهم لمشاهدة ما في تلك الجنائن من الحيوانات على انواعها فقد رأينا اطفالاً لا يزيد عمر الطفل منهم على ثلاث سنوات وهم يمشون ساعات في تلك الجنائن يشاهدون ما فيها من الحيوانات المختلفة ولا يشكون تعباً فيستفيدون من رياضة ابدانهم واستنشاق الهواء النقي ويلاحظون اموراً ترسخ في اذهانهم وتوسع معارفهم

وحبذا لو وجد في قلب المدينة معرض طبيعي تعرض فيهِ الحيوانات مصبَّرة على اشكالها وانواعها او لو ابيح لكل احد الدخول الى معرض التاريخ الطبيعي في مدرسة قصر العيني او لو نقل ذلك المعرض الى بناء خاص بهِ وفتحت ابوابهُ في بعض ايام الاسبوع للجمهور فيكون بمثابة مدرسة لهم

مكتبة المرأة

ما اقل كتبنا التي نشير على النساء بمطالعتها وحفظها في بيوتهنَّ للرجوع اليها وقت الحاجة ولكنها على قلتها مفيدة جدًّا ككتاب كفاية العوام للدكتور ورتبات وكتاب تدبير الصحة لهُ ايضاً وكتاب تمريض المرضى لابنتهِ وكتاب سر النجاح ومجلدات المقتطف كلها وكتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة وهما للمرحوم قاسم بك امين والروايات التي نشرناها في المقتطف ونحو ذلك من الكتب التي لا تخجل الفتاة المتهذبة ان تقرأها على مسمع ابيها وامها واخوتها فان هذه الكتب كلها مفيدة جدًّا ولا يحسن ان تخلو منها مكتبة ربة بيت لانها تكون لها ولاولادها خزانة فوائد ومدرسة تعليم وبستان تسلية

الحذر من الخضر

دخل الصيف ولم ينتشر في القطر وباء بفضل التحوطات الصحيَّة . ولكن كثر انتشار الحمى التيفوئيدية . وعدوى هذه الحمى الخبيثة تكون في مبرزات المصابين بها فاذا تلوث الماء بمبرزات المصابين وشرب الناس هذا الماء او غسلوا بهِ الآنية التي يوضع فيها اللبن او غسلوا بهِ البقول التي تؤكل من غير طبخ كالخس والفجل والجرجير فان العدوى تنتقل الى الذين يشربون ذلك اللبن او يأكلون تلك البقول

لما فشت الحمى التيفويدية في مدينة بيروت منذ سنوات قليلة وجد الباحثون انها فشت فيها على اثر مطر جارف وقع في الجبل · والقناة التي يجري فيها الماء الى بيروت من نهر الكلب مكشوفة في بعض الجهات فلا يندر ان يكون انسان مصاباً بالتيفويد وتلقى مبرزاتهُ حيث تجرفها المياه الى تلك القناة فتنتشر جراثيم التيفويد في الماء وتصل الى الذين يشربونهُ. والظاهر انهُ حدث شيء من ذلك فوصلت المياه الى بيروت ملوثة بجراثيم التيفويد ولكن الجراثيم لا تملأها ولا هي منتشرة فيها على السواء بل متفرقة فيها جماعات جماعات (كولونيات) كما تكون جراثيم الامراض في السوائل التي تنمو فيها فاذا اتفق ان شرب شخص شربةً فيها جماعة من تلك الجراثيم وكان جسمهُ مستعداً للعدوى عدي بها · ويقال انهُ اصيب بالتيفويد حينئذٍ نحو اربعة آلاف نفس

ولا يخفى ان البقول كالفجل والخس والثوم والكراث تزرع في ضواحي المدن المصرية وتروى احياناً كثيرة بآنية قذرة فاذا اصيب صاحب البستان او احد اولاده بالتيفويد فلا يبعد ان تتصل مبرزاتهُ بالمياه التي تروى منها تلك البقول فتتلوث بها · وكثيراً ما ترى النساء يغسلن الخس والفجل في المياه الراكدة على جوانب الترع · وترى كثيرين يتغوطون على جوانب الترع ايضاً فاذا اتفق ان تلوث الماء بمبرزات مصاب بالتيفويد فكل ما يغسل في ذلك الماء يتلوَّث بها · اذا اتضح ذلك فالسبيل لاتقاء عدوى التيفويد يقوم بالامتناع عن شرب الماء الذي يمكن ان تتصل بهِ جراثيم هذا المرض وعن شرب اللبن الا بعد اغلائهِ لكي تموت كل الجراثيم التي يمكن ان يلوَّث بها وعن اكل البقول على انواعها الا بعد غسلها جيداً بماء نقي · وقس على البقول انواع الفاكهة فانها قد تغسل بماء غير نقي قبل بيعها فيجب غسلها بماء نقي قبل اكلها

الحجاب في الهند

كتب احد الهنود في المجلة الهندستانية مدعياً ان الحجاب لم يدخل بلاد الهند الا بعد دخول الاسلام اليها فشاعت عادة تحجب النساء حينئذٍ وبقيت الى هذا الزمن فاضعفت عقولهنَّ وضعفت بضعفها عقول الامم الهندية · ومن رأي الكاتب ان لا بدَّ من ابطال عادة تزويج البنات قبل ان يبلغن السن المناسب للزواج والقيام باعبائهِ ولا بدَّ ايضاً من جعل الزواج بالاختيار اي ان يختار الزوج زوجتهُ والزوجة زوجها بارادتهِ وارادتها وابطال العادة المتبعة الآن وهي اختيار الزوج والزوجة بالتنجيم ومعرفة الطالع فاذا جرى الهنود حسب

مشورة هذا الكاتب الهندي سبقونا في مضمار العمران وجاروا اخوانهم اهالي اليابان

تعليم البنات

قلما تقرأ جزءا من المقتطف الا وتجد فيهِ كلاماً عن تعليم البنات . فتحنا الآن المجلد الثالث والعشرين فانفتح عند الصفحة ٥٤٠ وهي من جزء شهر يوليو سنة ١٨٩٩ الذي صدر منذ عشر سنوات فرأينا اننا كتبنا فيها كلاماً مسهباً عن تعليم البنات لا نسترجع منهُ الآن حرفاً واحداً بل نؤيد كل كلمة وردت فيهِ . ومما اشرنا بهِ هناك ان تنشأ مدارس كبيرة لتعليم المعلمات وان يرغبن في التعليم بكل واسطة ممكنة ولو جُعلت اجورهنَّ مثل اجور المعلمين ثم ختمنا تلك المقالة بقولنا " ان نشر التعليم الى هذا الحد امر كبير جدًّا ولكن حياة الامة متوقفة عليهِ فاما ان تأخذ فيهِ من الآن او تهملهُ لما ترى دونهُ من العقبات المالية والاجتماعية وما ترى عليهِ من الاعتراضات المتلبسة بلباس الدين . فان اخذت فيهِ بالجد وذللت الصعاب تمَّ لها الغرض المطلوب بعد سنين قليلة والاَّ فلا مفرَّ لها من توالي الضعف فيستمرُّ الاجنبي عليها ولا يبقى لها سبيل الى مجاراتهِ "

ظلم الازياء

كان الناس يضربون المثل ببساطة الانكليزيات في ملابسهنَّ اما الآن فقد زالت تلك البساطة وتمكن تجار الازياء (الموضة) من حمل النساء الانكليزيات على متابعتها ولو كنَّ من المتعلمات المهذبات اللواتي قلما كنَّ يهتممنَ بالزينة الخارجيَّة . وقد بلغنا من اللواتي يزرنَ السيدات المصريات المحجبات انهنَّ يجارين الازياء الحديثة في ملابسهنَّ وعقص شعورهنَّ ويتبعنَ احدثها ويلبسنَ اغلى الثياب ولو لم يرهنَّ احد . ولا يخفى ان نفقات ملابس النساء تبلغ مبلغاً طائلاً جدًّا اذا اتبعنَ الازياء الاخيرة لان ما يساوي جنيهاً اذا كانت موضتهُ قديمة لا يمكنك ان تشتريهُ بجنيهين او ثلاثة اذا كانت موضتهُ جديدة . اما الانكليزيات فلا ضرر من مجاراتهنَّ الازياء لان الانكليز من اغنى امم الارض واما المصريات فلا يمكنهن ان يجارين الازياء لان سكان القطر المصري افقر من افقر سكان اوربا اذا اعتُبرت الثروة العموميَّة . وهنا مجال واسع للحث والانذار فعلى الذين يعلّمون بنات الاغنياء والاوساط ان يرسّخوا في اذهانهنَّ انهنَّ لا يستطعن ان يجارين الازياء الجديدة الاَّ بخسارة كبيرة على ذويهنَّ وبلادهنَّ



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

لا سكان في المريخ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأْت ما كتبهُ حضرة الفاضل الاستاذ جرداق في الجزء الاخير من المقتطف ردًّا عليَّ فرأَيتهُ يتضمَّن امرين جوهريين الاول انكارهُ عليَّ اعتمادي على رأْي الاستاذ ولس واتخاذي قولهُ حجة تفوق حجة من يتخذ قول لول اذا خالفهُ . والثاني انكارهُ عليَّ وعلى المقتطف حسباننا الخطوط التي تظهر على سطح المريخ "من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا" بناء على ان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلَّم بها

فاسمحوا لي ان ابدي لكم ما عندي من الايضاح في هذين الامرين

الاول . نعم ان الدكتور ولس ليس من علماء الفلك مثل الاستاذ لول ولا هو من علماء الرياضيات مثلهُ ولكن مسأَلة وجود الناس او المخلوقات العاقلة التي تحفر ترع المريخ لا تحل بالرياضيات ولا بالفلك بل ان كان لعلم من علوم البشر سبيل الى حلها فذلك العلم هو علم الحياة الذين برَّز فيهِ ولس على الاقران ولهذا يعتمد رأْيهُ ويفضَّل على رأْي غيرهِ في هذه المسأَلة . ولم يخطر ببالي ان هذا الامر يخفى على الاستاذ جرداق او انهُ ينسبني الى الجهل المطبق حتى افضل ولس على لول في علم الرياضات والفلك واحسب ان هذه المسأَلة تحل بمعرفة الزوايا والجيوب او بالتلسكوب والسبكتروسكوب . نعم ان الاستاذ ولس بنى حكمهُ على ما يعلم من طبائع المريخ وفي جملتهِ عدم وجود الماء فيهِ وقلة الحرارة اللازمة لحياة الحيوان وان شئت فقل لحياة المخلوقات العاقلة التي تحفر ترعاً اطول من النيل واعرض من المسسبي . وقد ثبت الآن وجود البخار المائي ولكن تأَخر اكتشافهِ دليل على قلتهِ وهب انهُ ليس قليلاً فوجودهُ

وحده لا يكفي لحياة الحيوان بل لو وجد البخار المائي والمطر ايضاً وكانت الحرارة معتدلة لما كفى ذلك وحده لوجود المخلوقات العاقلة كالانسان لان وجود هذه المخلوقات يقتضي سلاسل من التغيرات البطيئة في نمو الاحياء ونشوئها يعلمها ويحكم بها عالم مثل ولس لا عالم مثل لول . فعلماء الفلك وعلماء الطبيعة عموماً يستطيعون ان يعرفوا صفات المريخ الطبيعية من حيث شكله وثقله النوعي وحرارته والعناصر الطبيعية الموجودة فيه وقد يعرفون بعض المركبات الكيماوية ايضاً ولكن علماء الجيولوجيا يقابلون ذلك بحالة الارض ويحكمون ان المريخ يشبهها في الدور الفلاني من ادوارها الجيولوجية السالفة او التالية وعلماء الحياة يحكمون حينئذٍ هل هو صالح لوجود الاحياء فيهِ او غير صالح وان كان صالحاً فلاي نوع من الاحياء هو صالح وهذا الحكم الاخير لا شأن لعلماء الفلك فيهِ اي لا يؤخذ بقولهم فيهِ اكثر مما يؤخذ بقول غيرهم من جمهور العلماء فان قال عالم مثل ولس ان الشروط اللازمة لحياة الحيوان الارضي غير موجودة كلها في المريخ فلا حيوان فيهِ وخالفهُ لول فالقول ما قال ولس لا ما قال لول

ثم اني ارى في الطبيعة دليلاً آخر على عدم وجود المخلوقات العاقلة في الاجرام السموية وهو من قبيل الدليل الذي يستدلُّ بهِ بعض العلماء على وجود المخلوقات العاقلة فيها فانهم يقولون ان الارض من اصغر اجرام السماء وهي مسكونة بمخلوقات عاقلة فلا يعقل ان خالق هذا الكون يحصر المخلوقات العاقلة في الارض وحدها ويترك سائر اجرام السماء خاوية خالية وبينها ما هو اكبر من الارض جدًّا وما هو اقدم من الارض جدًّا بل الارض ليست شيئاً مذكورًا بالنسبة اليها حتى يضطر علماء الفلك ان يحسبوها نقطة في قياس ابعاد الثوابت واقدارها

لكننا اذا سلمنا بقولهم هذا خلصنا من مشكلة ووقعنا في ما هو اشد اشكالاً منها فاذا كانت الاجرام السموية مسكونة بمخلوقات عاقلة لانها اكبر من الارض واقدم وجب ان تكون مخلوقاتها العاقلة ارقى من مخلوقات الارض بالنسبة الى كبرها وقدمها لان الارتقاء مع الزمن سنة طبيعية وينتظر ان يكون جارياً في سائر عوالم الله كما هو جارٍ في ارضنا وعليهِ ينتظر ان يكون في الشعرى مثلاً مخلوقات اقدم من الناس واعقل واقدر بنسبة ما الشعرى اكبر من الارض واقدم وقس على ذلك سائر اجرام السماء. ونحن البشر على صغر ارضنا وحداثتها عرفنا عناصر الكواكب وكدنا نجعلها تشعر بوجودنا فاذا كان سكانها اقدر منا واعقل حسب ناموس الارتقاء على نسبة كبرها وقدمها فمن اغرب الغرائب انهم لم يجعلونا نشعر

بوجودهم حتى الآن بطريقة محسوسة لا ريب فيها . ويظهر لي ان فرض وجود هذه المخلوقات مع عدم تأثيرها فينا كما هو الواقع ابعد عن الاحتمال من فرض خلو الاجرام السموية من المخلوقات العاقلة . لان وجود المخلوقات العاقلة اي ارتقاء الاحياء من ابسط انواعها الى ان تصير اناساً عاقلين يقتضي من الفواعل والمؤثرات ما لا يجتمع كله مرتين في مليون مليون مرة . ولذلك لا يعقل من كل حيوانات الارض ونباتاتها غير الانسان فاذا لم تجتمع هذه الفواعل والمؤثرات الا مرة واحدة من كل ازمنة الدهر وفي جرم واحد من كل اجرام السماء فلا عجب لان عدم اجتماعها كذلك منطبق على قواعد المرجحات (probabilities) وهو معقول اكثر من اجتماعها مرارًا عديدة وفي اجرام كثيرة . فاذا لم نجد فيلاً في الزهرة ولا في عطارد ولا في المريخ ولا في زحل ولا في المشتري ولا في الشعرى ولا في العيوق ولا في الدبران ولا في غيرهن من اجرام السماء فذلك ليس اغرب من وجود الفيل في واحد من هذه الاجرام لان وجوده ونشوءه من حيوان ارضي صغير مثل الوبر اقتضى الف شرط وشرط من الشروط التي احتمال وجودها كلها في عالم آخر لا يبلغ واحداً في مليون مليون مرة

وما دام البحث قد امتد الى ما هو وراء الطبيعة يسمح لي الاستاذ جرداق ان اذكره بان فرض وجود المخلوقات العاقلة في غير الارض وارتقائها فيها على نسبة اجرامها واعمارها يبطل الاديان كلها ولاسيما الدين المسيحي المبني على نزول ابن الله لافتداء البشر لاننا لا نقدر ان نتصوَّر ان الله يطالبنا بغير ما تدركه عقولنا وعقولنا لا تدرك غير ما يقع تحت اختبارها او ما يقاس عليه . ولا نستطيع ان نتصوَّر ان لله مخلوقات نسبة الانسان اليها كنسبة حبة الرمل الى الارض كلها او قطرة الماء الى البحر كله وهو مع ذلك يهتم به ويخاطبه كانه افضل مخلوقاته وغايتها او كأن ليس في ملكوته غيره . وقس على الدين المسيحي سائر الاديان التي تجعل الانسان سيد المخلوقات في نظر الخالق فان فرض وجود المخلوقات العاقلة في الاجرام السموية التزاماً يقضي على الاديان كلها ويخرجنا من مشكل ليوقعنا في ما هو اشد إشكالاً منهُ . نعم ان العلم لا يرحم بل يصل الى نتائجهِ المترتبة على مقدماتهِ اردنا او لم نرد ولكن هذه النتائج ليست من المحتومات بل من المرجحات (probabilities) وعلينا ان نتمسك بالراجح لا بالمرجوح منها

هذا من حيث الامر الاول اما الامر الثاني وهو تفسير الخطوط التي تظهر على سطح المريخ بانها من الحوادث الطبيعيَّة التي لم تفسَّر حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا فقد اتاني فيهِ بالاخبار من لم ازودِ لاني قرأت لبعضهم الآن رسالة نشرتها جريدة تانشر في ٧ مارس

الماضي مفادها انهُ ان وجدت الاحياء في المريخ فلا تكون الاَّ من نوع النبات الكبير الذي تمتد عروقهُ مثل اذرع الاخطبوط وتكتنف ذلك السيار فيمتص بها الماء من ثلج القطبين وتظهر لنا كالاقنية . وهذا الفرض معقول وادلة الكاتب عليهِ قوية فاذا ثبت كان منطبقاً على ما قلتهُ اي ان هذه الخطوط من الحوادث او الظواهر الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن اي الى وقت كتابتي الماضية . وفرض وجود نبات تمتد عروقهُ الوفاً من الاميال غريب في ذاتهِ ولكنهُ ليس محالاً وغاية ما فيهِ انهُ يجعل نسبة نبات المريخ الى بعض النباتات البحرية كنسبة هذه الى الزوفا او كنسبة ثروة ركفلر الى ثروة كاتب هذه السطور

وخلاصة القول اولاً انهُ ينتظر من علماء الفلك الذين مثل لول ان يكشفوا احوال المريخ الطبيعيةَ ومن علماء البيولوجيا مثل ولس ان يحكموا هل هذه الاحوال صالحة لوجود المخلوقات الحية والاحياء العاقلة فيهِ وهذا ما اردتهُ في استشهادي بولس . وثانياً انهُ اذا رجح علماء البيولوجيا عدم وجود مخلوقات عاقلة في المريخ تستطيع ان تحفر فيهِ ترعاً كبيرة وهي الخطوط التي تشاهد على سطحهِ فلتلك الخطوط سبب طبيعي آخر او تعليل آخر والتعليل الذي نقلتهُ عن جريدة نانشر لا يبعد عن التصور ولا يناقض شيئاً من معلوماتنا ومعتقداتنا

مصر احد القراء

العزلة

طالعت المقالة النثرية الشعرية التي دبجتها يراعة الشاعر السوري الاميركي امين افندي ريحاني في العزلة ولم اكد آتي على آخرها حتى تصوَّرت نفسي بين امة كبيرة كالامة الاميركية او الفرنسوية وقد قرأت مقالتهُ وانتصحت بنصحهِ ولجأت الى العزلة فترك المتمدنون معاولهم ومجارفهم وقالوا ما لنا ولقلع حجارة الفحم والحديد والفضة والذهب وهرعوا الى وادٍ مثل وادي الفريكة ليسامروا الطبيعة ويناجوا نفوسهم واقتفى خطواتهم ربابين السفن وساقة المركبات وصنَّاع المعامل وحاكة الثياب وتجار الحبوب وكل صاحب صناعة او حرفة كل هؤلاء تركوا مشاغل الحياة وهمومها وخرجوا بنسائهم واولادهم ولجأوا الى الكهوف والاودية وجلسوا في ظلال الاشجار وسمعوا حديث الصنوبرة مع بنتها والسنديانة مع اختها لانهم "سئموا ملاذ هذا المجتمع وموبقاتهِ وشرورهُ فعادوا الى امهم الطبيعة لتداويهم بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحينها" . رأيتهم كذلك جلوساً متكئين في افياء الاشجار وظلال الصخور فجلست في

مكان يشرف عليهم وراقبتهم في حركاتهم وسكناتهم رجالاً ونساء ابناء وبنات كباراً وصغاراً حتى اذا تكبدت الشمس السماء وحان وقت الغداء رأيتهم يتحركون ويتململون وجعل الصغار يبكون وينتحبون وامهاتهم يعللنهم بما معهنَّ من فتات الخبز وبما يقتلعنهُ من نبات الارض. ثم آذنت الشمس بالمغيب فكثرت الحركة والضوضاء وعلا صياح الاطفال وانتشر الشبان والعذارى يفتشون عن البقول والجذور ولم تطل مدة الشفق لان الوقت كان صيفاً فاظلم الليل وبرد الهواء وجعل النساء يفتشن عن الكهوف ليلجأنَ اليها باطفالهنَّ ووقفت الذئاب على رؤُوس الشواهق وعيونهنَّ تخترق حجب الليل وآذانهن تلتقط ركز الاقدام وانوفهنَّ تستروح عرق الجباه لعلهنَّ يستفردن واحداً يفترسنهُ

مضى الليل وبزغ الفجر والوجوه كاسفة والهمم فاترة والاقدام لا تحمل الاجسام وتلك الجماهير تهرول راجعة الى معترك الحياة وامامها عصابة من الفتيان تنشد بصوت رخيم قائلة

لا يبطل السعي ذو نفسٍ ولو ملكاً وليس في الارض حيٌّ عادم الحركهْ
ما قال ربك نمْ في الظل متكلاً بل اعملِ الارض واسعَ تكثُرِ البركهْ

كاره الكسل

التعريب

حضرات الفضلاء محرري المقتطف

ضمني مجلس مع جمهور من الادباء الذين قرأُوا مقالات التعريب المدرجة في المقتطف فاستغربنا كيف نشرتموها كلها من غير ان تعقبوا عليها او تبدوا رأْيكم فيها وانتم اكثر الناس اشتغالاً بهذا الموضوع فقد اشتغلتم بهِ منذ خمس وثلاثين سنة الى الآن شغلاً متصلاً سنة بعد سنة وشهراً بعد شهر ويوماً بعد آخر وفزتم فيهِ اكبر فوز فلماذا لا تذكرون لنا القواعد التي استنبطتموها وجريتم عليها في التعريب فجعلت كتاباتكم المترجمة كأنها مكتوبة بالعربية وليس عليها لمحة من اصلها الافرنجي ولم يتعذر عليكم ترجمة المقالات العلمية والفصول الادبية والخطب السياسية ولا الكتابة في اي موضوع من المواضيع فتكتبون في الحساب والجبر والهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا والبيولوجيا والفلسفة العقلية وعلم الاجتماع وعلم الاخلاق وحقوق الدول وحفظ الصحة وتمريض المرضى وتربية الاطفال وحرث الارض وغرس الاشجار وصبغ الثياب وسبك المعادن كأنكم تكتبون في الصرف والنحو والبيان ونحو ذلك من العلوم العربية وتجدون في العربية متسعاً للتعبير عن كل العلوم والفنون

والافكار. فانا وغيري من قراء مجلتكم نود ان تكتبوا لنا عن القواعد التي تتبعونها في ترجمة ما تترجمون وفي التعبير عن المعاني الجديدة التي لم تكن معروفة عند العرب لاننا نرى انها هي الاساليب التي يجب العمل بها بعد ان جربت فوفت بالمراد والسلام عليكم ورحمة الله

احمد المغربي

[المقتطف] اننا نشكركم على حسن ظنكم بنا ونؤكد لكم ان اسلوبنا بسيط ونحن لم نتقنهُ حتى الآن فلا يحق لنا ان نجعلهُ قاعدة واجبة الاتباع لاسيما واننا لا نزال آخذين في تهذيبهِ متعلمين من اختبارنا واختبار غيرنا ومع ذلك لا يبعد ان نلبي طلبكم ونكتب عن الطرق التي نجري عليها في التعريب ولو لم تبلغ ما نريدهُ لها من الاتقان

باب الزراعة

الاراضي الزراعية
وفقر القطر المصري

ابنا في الجزء الثاني من اجزاء هذه السنة ان مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري كلهِ ٥٥٣٩٦٣٨ فدانًا ومساحة الاطيان القابلة للزراعة وهي لم تزرع حتى الآن لعدم وجود الماء اللازم لريها ١٠٤٧٤٦٢ فدانًا والجملة ٦٣٨٧١٠٠ وحيث ان عدد السكان في القطر المصري نحو اثني عشر مليونًا من النفوس فاذا وزعت اطيانهُ على سكانهِ خصَّ النفس الواحد منهم نحو نصف فدان لا غير

فانظر الآن كيف الحال في بعض البلدان من حيث ما فيها من الاطيان الزراعية وعدد سكانها وهي في استراليا وزيلندا الجديدة وناتال

اسم البلاد	عدد سكانها	الاراضي المباعة لم يبعًا تامًا	الاراضي المباعة لم يبعًا مشروطًا	الاراضي التي لم تبع حتى الآن
نيوسوث ويلس	١٥٣٣٠٠٠	٣٢٤٨٦٠٨٦	١٧٤٨٤٢٤٩	١٤٨٦٦٤٥٤٥
فكتوريا	١٢٣٨٠٠٠	٢٢٩٦٤٩٢٩	٠٣٨٧١١١٤	٠٢٩٤٠٩٧١٧
استراليا الجنوبية	٠٣٨٣٨٣٠	٠٨١٨٧٦٢١	٠٥٤٨٤١٩٠	٢٢٩٥٧٢٩٨٩

استراليا الغربية	٠٢٦١٧٥٠	٠٣٧٨١٦١٣	٠٨٧٩٤٢٨٩	٦١٢٠١٢٨٩٨
كوينسلند	٠٥٣٥١٠٠	١٤٥٨٥٥٦٠	٠٣٧٣٧٠٨٣	٤١٠٧٩٧٣٥٧
زيلندا الجديدة	٠٩٠٠٩٢٠	٢٦٠٥٩٥٣٤	٠٠٠٣٠٩٦٦	٠٤٠٧٧٠٩٤٠
ناتال	١١٥١٩١٠	٠٨٧٣٥٦٦٦	٠١٨٥٥٤٠٨	٠٠٠٩٦٢٥٣٣

ففي هذه البلدان لا يزيد عدد السكان على ستة ملايين من النفوس ولكن الاراضي الزراعية التي يمتلكونها امتلاكاً تاماً تبلغ مساحتها نحو ١١٧ مليوناً من الافدنة فيخص النفس منهم نحو عشرين فداناً هذا عدا الاطيان المباعة لهم على شرط احيائها والاطيان التي لا تزال في حوزة الحكومة ومساحتها نحو ١٥٣٠ مليوناً من الافدنة وهي لو وزعت على السكان الحاليين لخص النفس منهم ٢٥٥ فداناً ولو تركت حتى يكثر السكان ويصير للنفس منهم عشرون فداناً فقط لوجب ان يبلغ عددهم حينئذٍ اكثر من سبعين مليوناً من النفوس واذا اكتفى النفس بفدانين فتلك الاراضي تكفي سبعمائة او ثمانمائة مليون من النفوس

وقد يظن لاول وهلة ان الفدان من اطيان القطر المصري يساوي عشرين فداناً من تلك الاطيان ولكن هذا الظن خطأ. نعم ان محصول الفدان في القطر المصري اوفر من محصول الفدان في تلك البلدان ولكنهُ لا يزيد على محصول ثلاثة افدنة او اربعة فالنفس الذي يمتلك هناك عشرين فداناً كأنهُ يمتلك عندنا خمسة افدنة او اكثر وحيث ان متوسط ما يمتلكهُ النفس عندنا هو نصف فدان فقط فمتوسط كسب النفس من الزراعة هناك اكثر من متوسط كسب النفس عندنا عشرة اضعاف او اكثر. فهذا هو الواقع فان عدد سكان استراليا اربعة ملايين ونحو نصف مليون من النفوس ولكن دخل حكومتهم منهم نحو ٣٦ مليوناً من الجنيهات وتبلغ قيمة صادراتهم سبعين مليوناً من الجنيهات فدخل الحكومة من كل نفس من السكان ثمانية جنيهات وهو نحو جنيه وربع في القطر المصري. وقيمة الصادر لكل نفس من السكان هناك اكثر من ١٥ جنيهاً وهي نحو جنيهين ونصف في القطر المصري

وما قيل عن استراليا يقال عن زيلندا الجديدة فان عدد سكانها نحو تسعمائة الف نفس ودخل الحكومة منهم ثمانية ملايين ونصف مليون من الجنيهات اي نحو عشرة جنيهات من كل نفس وقيمة صادراتهم ١٨ مليوناً من الجنيهات فالنفس الواحد يصدر ما ثمنهُ اكثر من ثمانية عشر جنيهاً من محصولهِ وهو لا يستطيع ان يصدر من محصولهِ في القطر المصري اكثر من جنيهين ونصف

وهذه الاحصاءات كلها مأخوذة من الاحصاء الاخير فالذين يبالغون في غنى القطر المصري يموّهون على المقول لان غاية ما يمتاز بهِ القطر المصري على غيرهِ ان محصول الفدان فيهِ يفوق محصول الفدان في غيرهِ ولكن قلة عدد الافدنة بالنسبة الى كثرة عدد السكان تزيل هذه المزية وتجعل القطر من افقر البلدان الزراعية٠ واذا قابلناهُ بالبلدان القديمة التي جمعت بين الزراعة والصناعة والتجارة كانكلترا وفرنسا والمانيا وجدنا ثروتهُ دون ثروتها كثيراً فسكان انكلترا ٤٤ مليوناً من النفوس ودخل الحكومة منهم ١٤٥ مليوناً من الجنيهات وقيمة صادراتهم ٥٨٦ مليوناً من الجنيهات فكأَن متوسط ما يدفعهُ النفس للحكومة ثلاثة جنيهات وثلث ومتوسط قيمة ما يصدرهُ اكثر من ١٣ جنيهاً

وعدد سكان فرنسا ٣٩ مليوناً ودخل الحكومة منهم ١٤٥ مليوناً من الجنيهات وقيمة صادراتهم نحو ٢٧٠ مليوناً من الجنيهات

وعدد سكان المانيا نحو ٦١ مليوناً من النفوس ودخل حكومتهم منهم نحو ١٠٨ ملايين من الجنيهات وقيمة صادراتهم نحو ٣٣٦ مليوناً من الجنيهات

وعدد سكان الولايات المتحدة الاميركية نحو ٨٥ مليوناً من النفوس ودخل حكومتهم نحو ١٥٢ مليوناً من الجنيهات فقط لقلة النفقات الحربية وقد كانت قيمة صادراتهم في العام الماضي ٣٩٦ مليوناً لان اكثر تجارتهم داخلي اما ثروة السكان فتبلغ ١٣٠٠٠ مليون جنيه فيخص النفس منهم ١٥٣ جنيهاً وثروة القطر المصري تقدر بنحو ٥٠٠ مليون جنيه يخرج منها نحو ١٥٠ مليوناً قيمة الدين الذي لاوربا على الاطيان والاملاك سواء كان من دين الحكومة او دين الاهالي فيبقى من ثروة القطر لابنائهِ ٣٥٠ مليوناً من الجنيهات فيخص النفس منهم نحو ٢٧ جنيهاً اي اقل من سدس ما يخص النفس في الولايات المتحدة من الثروة العمومية

ويجب ان ترسخ هذه الحقائق في اذهان السكان حتى يقلعوا عن الاسراف والافراط في النفقات

شجرة الصابون

كتب المستر رتشرد غنثر قنصل اميركا الجنرال في فرنكفورت بالمانيا ان المستر لانج طاف في بلاد الجزائر بناء على طلب الحكومة الالمانية والتقى فيها المسيو برتران وهو من اكبر اصحاب الاطيان في بلاد الجزائر ورئيس الجمعية الزراعية في اربا قرب مدينة الجزائر وعندهُ من الاطيان ما تبلغ مساحتهُ الوفاً كثيرة من الافدنة وهي مزروعة كرماً وبرتقالاً وزيتوناً

وفيها كثير من شجر الصابون . ويستغل كل سنة الوفاً من الاطنان من بزر شجر الصابون هذا . وشجر الصابون مثل شجر التفاح جرماً وثمره اخضر اللون وفي قلبهِ مادة دبقة ضاربة الى الصفرة وهو من اصلح المواد لغسل المنسوجات من كل الانواع سواء كانت بيضاء او مصبوغة

غلة القمح في بعض البلدان

تبلغ مساحة الارض التي تزرع قمحاً في بلاد الهند الانكليزية نحو ٣٠ مليون فدان وغلتها السنوية نحو ٣٢ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان منها نحو عشرة ابشال وثلثين اي نحو اردبين . ومساحة الارض التي تزرع قمحاً في استراليا نحو ستة ملايين فدان وغلتها نحو ٦٦ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان نحو اردبين ايضاً . ومساحة الارض التي تزرع قمحاً في كندا نحو ستة ملايين فدان وغلتها نحو ١٣٠ مليون بشل فمتوسط غلة الفدان نحو ٢٢ بشلاً او نحو اربعة ارادب

زراعة الخرشوف

تنشر شركة الترانزكشنس المصرية نشرة اسبوعية يكون فيها مقالة زراعية بقلم رجل خبير بالزراعة وقد نشرت في عددها الاخير مقالة وجيزة في زرع الخرشوف (الارضي شوكي) قالت فيها ما خلاصتهُ

(١) يزرع الخرشوف من البراعم او الفسائل الصغيرة التي تنبت حول النبات وهذه الفسائل تباع في القاهرة كل ١٥ فسيلة بغرش وجنسها مثل جنس النبات الذي تنزع منهُ

(٢) احسن الاوقات لزرع الخرشوف من اواخر يوليو الى اوائل اغسطس

(٣) يجب حرث الارض جيداً مرتين وتسميدها بكثرة بعد الحرثة الاولى ويجب ابعاد الخطوط بعضها عن بعض ٩٠ سنتيمترًا اي يجب ان لا يزيد عدد الخطوط عن اربعة في كل قصبة وتبعد الشجيرة عن الاخرى ٧٥ سنتيمترًا الى ٩٠ سنتيمترًا

(٤) يزرع الخرشوف في احد جانبي الخط وتزرع الفاصوليا (اللوبياء) في الجانب الآخر ثم تروى الارض ولا يجوز ريها قبل الزرع

(٥) يبتدئ حمل الخرشوف في شهر نوفمبر ويستمر حتى شهر مايو فيجب المثابرة على ريهِ طول هذه المدة كل عشرة ايام ثم يترك بدون ري في فصل الصيف الى ان يأتي وقت الزرع

فينزع النبات القديم من الارض حينئذٍ وتنزع منهُ الفسائل وتزرع بدلاً منهُ · ويدوم نبات الخرشوف في اوربا سنتين او ثلاث سنوات او اكثر (وكذلك في سورية) ولكن ظهر بالاختبار في القطر المصري ان النبات لا يبقى جيداً فيهِ بعد السنة الاولى فيفضل قلعهُ وزرع نبات جديد بدلاً منهُ

(٦) لا بدَّ من ان تكون الارض التي يزرع الخرشوف فيها جيدة جداً وغير ثقيلة والخرشوف يفقر الارض لانهُ يأخذ الغذاء منها بكثرة فيجب ان يسمَّد جيداً · ومن الاسمدة المناسبة لهُ السباخ البلدي (الزبل) خمسون متراً مكعباً و ١٠٠ كيلو من اعلى فصفات الصودا لكل فدان ثم تعزق الارض بعد زرع الفسائل بشهر وتسبخ الفاصوليا بالسباخ الكفري وتخنق وتترك الى ان تجنى وتقلع ثم يسبخ الخرشوف بالسباخ الكفري وتعزق الارض ثانية وتمهد الخطوط حتى يصير الخرشوف في وسطها ويمكن ابدال السباخ الكفري بسباخ نترات الصودا ٣٠ كيلوغراماً للفدان · ومما يفيد الخرشوف ايضاً السباخ المصنوع من عزالة المرتفقات

(٧) ان اقل متوسط غلة الفدان المعتنى بزرعهِ ٨٠٠٠٠ خرشوفة ولكن لا بدَّ من ان يكون الزرع متقناً وان ترقع الارض في مكان الفسائل التي تيبس

(٨) في القطر المصري صنفان من الخرشوف الصنف العادي وهو اخضر اللون والصنف الخاص وهو قرمزي اللون ولا يوجد الاَّ في بعض الجنائن الخاصة ويجود الخرشوف عموماً ويحسن قطفهُ قبلما تظهر فيهِ علامات تفتحهِ للازهار

(٩) يختلف سعر الخرشوف بالجمل من غرش الخرشوفة الواحدة عند اول ظهورهِ الى ستة غروش المئة في شهر ابريل · والغالب ان غلة الفدان في ارضهِ تباع باربعين جنيهاً يضاف اليها عشرة جنيهات ثمن غلة اللوبياء

(١٠) اذا حسبنا اكلاف ري الفدان ٦ جنيهات فاكلاف الزراعة كلها ما عدا القطف نحو ١٥ جنيهاً

(١١) اذا زرع الخرشوف للتصدير وجب قطفهُ قبيل تصديرهِ ويقسم حينئذٍ الى ثلاثة اقدار الكبير والمتوسط والصغير ولا بدَّ من ان يبقى مع كل خرشوفة عنق طولها عشرة سنتيمترات · ويرصف الخرشوف حينئذٍ في الاقفاص طبقات وتوضع اوراقهُ في اسفل القفص واعلاهُ

تحسين القطن المصري

نشرت الجمعيَّة الزراعية الخديوية المذكرة التالية لتحسين نوع القطن المصري واستئصال نوع الهندي منهُ وهي

قد اظهر جميع المزارعين في السنوات الاخيرة اهتماماً عظيماً بزيادة محصول القطن ولكنهم لم يهتموا مطلقاً بامر تحسينهِ اعني انهم يفكرون دواماً في كمية المحصل وليس في جودتهِ

ولا شك انهُ اذا استمر الحال على هذا المنوال تكون العاقبة وخيمة جدًّا وذلك لان جميع البلدان وجهت عنايتها في السنوات الاخيرة الى زراعة القطن وبعضها تبذل قصارى الجهد في انتاج قطن يفوق باوصافهِ وجودة نوعهِ الاجناس الموجودة في الوقت الحاضر

ولما كان القطن المصري زراعيًّا محضاً ولا يختلف اثنان في ان محصول القطن هو اس الثروة وجب على كل مزارع مصري ان يلاحظ هذه المسابقة ويفيق من رقدتهِ

ومن المعلوم ان كمية القطن المصري قليلة بالنسبة لما تنتجهُ البلاد الاخرى مثل الولايات المتحدة باميركا والهند الخ ولكن الجودة الطبيعية التي تمتاز بها اقطاننا هي سبب اضطرار المعامل الى طلبهِ ولو ضاعت من اقطاننا هذه الصفة الحسنة التي تميزها عن محصول باقي البلاد لقلت اهميتها لدى المعامل وهبطت اسعارها فيخسر بسبب هذا الاهمال مزارعو القطر خسائر جمة لا سبيل لتعويضها من طريق آخر

ومن المعلوم الآن ان رداءة القطن المصري سببها اختلاط انواعهِ المختلفة بالقطن الهندي (الافرنكي) وهذا الاختلاط يزداد سنويًّا الى درجة انهُ لا يمكن الآن ايجاد اي عينة قطن عفيفي مثلاً خالية من النوع الهندي وقد اكد اكبر التجار انهُ اذا استمر الحال على هذا المنوال بضع سنوات يتغلب النوع الهندي على العفيفي وربما حل محلهُ رغم ارادتنا في معظم مزارعنا

فيجب علينا ان نسعى في الخلاص من هذا الخطر الذي يتهدد ثروة القطن المصري فنستأصل النوع الهندي ونعدمهُ بالمرة

وتوجد طريقتان لعلاج هذا الداء اولها انتقاء البذور قبل الزرع واستبعاد البذرة الهندية من التقاوي وهو امر تشتغل بهِ الجمعية الزراعية منذ ثلاثة اعوام بمساعدة مصلحة

الاراضي الاميرية ولا شك ان هذه الطريقة ستأتي بفوائد جمة ولكنها لا تكفي وحدها لابادة النوع المندي . وهناك طريقة اخرى وهي تقليع اشجار المندي اثناء نمو الزراعة . والعادة المتبعة عند بعض المزارعين المتنورين هي تقليع هذه النباتات بعد ان تكبر وهذا فيهِ جملة مضار منها تقليل محصول الغيط ومنها ان تقليعها بعد التزهير لا فائدة فيهِ لان التلقيح الذي يولّد الاختلاط يحصل بمجرد تكوين الزهرة

اما صغار المزارعين فكانوا يمتنعون بالمرة عن تقليع هذه الاشجار لعدم انقاص كمية المحصل ولكن بعد طول البحث والتنقيب وصلت الجمعية الزراعية الى طريقة تميز بها القطن المندي من انواع القطن المصري المختلفة عند بدء الزراعة فيجب حينئذٍ على كل مزارع بدون استثناء ان يلاحظ هذه الطريقة عند خل (خف) القطن فيقلع الشجيرات المندية ويترك الشجيرات المصرية ولا شك ان هذه الطريقة هي احسن ما يمكن عملهُ للوصول للغاية المطلوبة ويمكننا ان نؤكد انهُ متى اهتم بتنفيذ ذلك جميع المزارعين توصلنا بعد مضي سنتين او ثلاث لاستئصال النوع المندي من مزارعنا كلية بشرط الاستمرار في انتقاء البذور

بقي علينا ان نعرّف المزارع كيف يميز الشجرة المندية من الشجرة المصرية فنقول انهُ بعد ظهور شجرة القطن على سطح الارض بيومين او ثلاثة تظهر على اوراقها بقعة حمراء وذلك في نقطة اتصال الورقة بالعنق الرفيع المتشعب من الساق ويمتد هذا الاحمرار تدريجيًّا في العنق وفي عروق الورقة وكلما كبرت الشجرة تنحصر هذه البقعة الحمراء في نقطة اتصال الورقة بالعنق وعلى كل حال فانها تكون ظاهرة تمامًا ويسهل جدًّا على الاولاد الصغار ان يروها فيكفي تفهيم الانفار عند استئجارهم لخل القطن ان يقلعوا الشجيرات التي توجد فيها هذه العلامة

ولما كان يصعب علينا ان نعتقد ان جميع مزارعي القطر سيتبعون هذه التعليمات من اول وهلة وجب علينا ان ننصح من سيتبعها ان يلاحظ مسألة الحليج فلا يسمح بحلج قطنهِ الاَّ بعد ان يتأكد بنفسهِ انهُ صار تنظيف عدد الحليج والغرابيل من بقايا القطن الذي كان جاريًا حلجهُ من قبل حتى لا تختلط بذرة القطن المنتقى بتنقيتهِ ببذرة أُخرى مخلوطة

سماد الذرة

نشرت الجمعية الزراعية الخديويَّة النشرة التالية

قد دلت التجارب العديدة التي اجرتها الجمعية الزراعية في السنين الماضية على فائدة سماد الذرة الكيماوي وقد تأكد عموم المزارعين هذه الفائدة في السنة الماضية فانهُ قد أعطى محصولاً جيداً مع زيادة في الكمية توازي اضعاف الثمن حتى ان الطلبات التي وردت في السنة الماضية كانت كثيرة جداً

نوع السماد والمقدار اللازم

هذا السماد يتركب من نوعين يسمَّى احدهما نيترات الصودا والآخر كبريتات النوشادر وقد دلت التجارب على ان استعمال مخلوط مركب من ١٢٠ الى ١٣٠ كيلو من نيترات الصودا وكبريتات النوشادر يأتي بنتيجة حسنة ولا مانع من ازدياد هذه الكمية اي المخلوط فانهُ كلما ازداد زادت فائدتهُ

كيفية الاستعمال

بسيطة جداً وهي :

(١) يدق نيترات الصودا حتى ينعم تماماً ويضاف اليهِ كبريتات النوشادر ويخلط معهُ خلطاً تاماً

(٢) ويمزج هذا المخلوط مع ثلاثة امثالهِ من التراب الناعم وطريقة المزج بسيطة وهو ان يؤتى بهذا التراب ويجعل على هيئة كوم ويوضع فوقهُ مخلوط نيترات الصودا وكبريتات النوشادر بطبقة متساوية ثم جميع سطح التراب ويصير قطعهُ بالفوس الى احدى الجهات ثم يرد بالفوس الى الاتجاه المقابل لهُ ثم الى الاتجاهين الآخرين بمعنى انهُ يلزم خلطهُ جيداً حتى اننا لو اخذنا قبضة من هذا المخلوط لا يمكن تمييز التراب من السماد

وقت الاستعمال

يستعمل على دفعتين فنصف المخلوط ينثر باليد بعد خل الذرة وقبل السقية الاولى والنصف الثاني يوضع بعد خمسة عشر يوماً او عشرين يوماً تقريباً اي قبل السقية الثانية وعملية النثر لا يصح ان تكون في اتجاه واحد في الدفعتين فاذا نثرنا النصف الاول مثلاً في اتجاه من الشرق الى الغرب يجب نثر النصف الآخر من البحري الى القبلي او بالعكس

وقت طلب الاسمدة

نظرًا لما ظهر من فائدتها العظيمة فقد ازدادت الطلبات كثيرًا في السنة الماضية حتى ان الجمعية لم تتمكن من اجابة الطلبات التي وردت بعد الميعاد الذي حددتهُ اذ لا يخفى انها تستحضرها من الخارج و يلزم لها على الاقل شهران لاحضارها ولذا فتعلن الجمعية من الآن انها حددت يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٠٨ آخر ميعاد لقبول الطلبات وتنصح عموم المزارعين بانتهاز هذه الفرصة من الآن حتى لا يحصل تشكيات ممن قدموا طلباتهم بعد هذا الميعاد ولم تجب

كيفية تقديم الطلب

تقدم الطلبات لفروع الجمعية الزراعية بمديريات الغربية والبحيرة والدقهلية والمنوفية والشرقية والقليوبية والمنيا والفيوم بعنوان سكرتير الجمعية الزراعية ويبين في هذا الطلب عدد الافدنة اللازم لها السماد

كيفية استلام السماد ودفع الثمن

الطلبات التي عن سبعين فدانًا فاكثر سترسل مباشرة للطالبين من الاسكندرية الى المحطة المطلوب السماد لها ويدفع الطالب الثمن عند تصدير السماد اليهِ . واما الطلبات التي تقل عن ذلك فستسلم للطالبين من مخازن الجمعية بدمنهور واتياي البارود وكوم حماده وطنطا والمحلة الكبرى ودسوق وتلا وشبين الكوم والمنصورة وميت غمر والزقازيق وابو كبير وقليوب وبنها والفيوم والمنيا وفي هذه الحالة يدفع الثمن عند الاستلام من المخزن

ثمن السماد

سماد الفدان يكلف ١٦٥ قرشًا صاغًا لاعضاء الجمعية و ١٧٠ قرشًا صاغًا لغير الاعضاء بشرط ان يكون العضو قد سدد قيمة اشتراكهِ عن السنة الحالية , يلزم بيان ذلك في الطلب المقدم منهُ ولابد من سداد الثمن مقدمًا سواء كان عند تقديم الطلب او عند شحن السماد لان الجمعية قررت نهائيًا عدم تأخير الثمن

ملحوظات

(١) يجب مراعاة المواعيد وتقديم الطلبات حالاً وكل طلب يرد بعد يوم ٣٠ مايو لا يمكن قبولهُ

(٢) يتوضح في الطلب هل الطالب مشترك في الجمعية وسدد قيمة اشتراكهِ ام لا . ثم من اي مخزن يريد استلام سمادهِ

(٣) يلاحظ عدم مزج نيترات الصودا وكبريتات النوشادر الاَّ في يوم الاستعمال او قبلهُ بيوم واحد

باب التقريظ والانتقاد

انجيل برنابا

وصفنا هذا الانجيل في السنة الماضية وقد ترجم الآن عن الانكليزية بقلم حضرة الدكتور خليل سعاده وطبع على نفقة مطبعة المنار لصاحبها الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار

جغرافية شبه جزيرة سينا وجيولوجيتها

الجزء الغربي

The Topography and Geology of the Peninsula of Sinai

اهدت الينا مصلحة المساحة هذا الكتاب النفيس وهو من اوضاع المرحوم المستر بارون جمع فيهِ زبدة بحثهِ في تخطيط تلك البلاد وجيولوجيتها من اكتوبر سنة ١٨٩٨ الى مارس سنة ١٨٩٩ ويظهر من المقدمة ان البلاد كثيرة الامطار شتاء ويقع فيها الثلج ايضاً ولذلك لا يستغرب اهتمام المرحوم عباس باشا بجعلها مصيفاً وبنائهِ قصرًا فيها ليقيم فيهِ زمن الصيف فقد جاء في هذا التقرير ان السماء امطرت عشرين يوماً في الخمسة الاشهر المشار اليها آنفاً واثلجت يوماً واحدًا وتكوَّن الصقيع في ستة ايام وكثرت الصواعق الكهربائية في اكتوبر ونوفمبر ومارس وغامت السماء غيماً مطبقاً ٣٥ يوماً . والريح الغالبة شمالية او شمالية غربية وتهب في اوائل السنة جنوب شديدة الحر . وقد بلغنا من الذين اقاموا في شبه جزيرة سينا فصل الصيف كلهُ ان الحرَّ معتدل في جبالها جدًّا ويبرد ليلاً فيصير كهواء الجبال في البلدان المعتدلة

— وفي تلك الجهات ينابيع حارَّة قد تصلح للتداوي فان حرارتها ٧١ درجة بميزان سنتغراد وفي الجالون منها ١٢١١ قمحة من المواد الجامدة وفي كل مئة من هذه المواد الجامدة نحو ٧٣ من كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) و ٧ من كبريتات الجير و ٢٠ من كبريتات المغنيسيا وتسمَّى تلك الينابيع حمامات فرعون الملعون

وفي الاودية بين الجبال كثير من الغدران او البرك ولكن الماء ليس عذباً دائماً بل قد يكون ملحاً او اجاجاً خبيث الطعم والرائحة

وفي هذا القسم من الكتاب فوائد كثيرة لكن كأن المقصود بها ان تكون دليلاً لرجال الحربية حتى يعرفوا كيف تسير جيوشهم. وفي القسم الثاني المختص بجيولوجية البلاد كلام مسهب عن صخورها ومعادنها ومكوناتها الجيولوجية ويلحق بالكتاب خرائط في غاية الاتقان صورت بالوان مختلفة يظهر منها نوع كل من الصخور والمكونات الجيولوجية فشمالي الطور صخور من الغرانيت الاحمر ومن حجر النوبة الرملي ثم يكثر الغرانيت الاحمر والمرتبلند الى الشرق الشمالي من الطور وراء سهل القاعة . ويظن البعض ان اعمدة الغرانيت الازرق والاحمر المنتشرة في خرائب سورية وبابل اخذت من سينا . وما كان ميسوراً للمصريين واليونانيين والرومانيين يجب ان يكون ميسوراً للناس في هذا العصر

الاعمال والمصالح

في اصول الاديان وشرائع العمران

وهي مقالات نشرت تباعاً في جريدة طرابلس الشام من تأليف العالم الفاضل عز الدين زاده صاحب الفضيلة محمد امين افندي الطرابلسي

كان كتَّاب العرب في الصدر الاول يبحثون ويكتبون كما يبحث ويكتب علماء اوربا الآن ناظرين الى الموضوع نفسهِ من غير علاقتهِ بدين من الاديان حتى اذا قرأ كتبهم مجوسي او يهودي او مسيحي او مسلم لم يرَ فيها دليلاً او كلاماً يخالف معتقدهُ ثم جعلوا يتوكأون على النصوص الدينيَّة ولو كان بحثهم في حفر الترع وحرث الارض ومعالجة الاسقام وتطرَّف بعضهم حتى صاروا اذا تكلموا عن احد فراعنة مصر الاقدمين حاولوا اثبات اقوالهم بادلة من الكتاب والسنَّة

والمواضيع التي طرقها مؤلف هذا الكتاب يمكن البحث فيها من وجه ديني محض او من وجهٍ علمي محض. او من الوجهين معاً وقد اختار الاسلوب الاخير فحرَّم الربا لان النبي لعن آكلهُ وموكّلهُ وشاهدهُ وكاتبهُ ومحللهُ ثم بيَّن سبب لعن الله لهم بقولهِ ان الجزاء انما يكون من جنس العمل في قدر الله تعالى وشرعهِ ولذلك عوقب السارق بقطع اليد والمحارب بقطع اليد والرجل . . . ومسخت بعض ام قردةً لما تحيلوا على فعل ما حرمهُ الله عليهم

وقد رأينا جماعة من العلماء يفضلون الاكتفاء بالادلة الدينية لاثبات ما يريدون اثباته من هذه الاوامر والنواهي حاسبين ان تأييد الادلة الدينية بالادلة الاجتماعية او الطبيعية يدل على وجود الريب في نفس من يقيم الادلة الدينية فاذا كنتُ اومن بالله وكتابهِ ونبيهِ ورأيتُ في الآيات الكتابية او الاحاديث النبوية نصًّا صريحًا على ان الربا محرَّم او اكل لحم الخنزير محرَّم او شرب الخمر محرَّم فيكون تفتيشي عن الاسباب الطبيعية او الاجتماعية بمثابة الريب في هذا التحريم مثال ذلك اذا سألتَ رجلاً ثقةً عن الطريق القويم من بلد الى آخر فدلك عليهِ ثم اخذت تبحث وتفتش عن اتجاه الطريق لترى هل يصل بين البلدين فاقلُّ ما يدلُّ عليهِ بحثك ان في نفسك ريبًا تريد ازالتهُ

لكن الجمهور لا يوافقهم على هذا القول بل ترى علماء الاديان في كل زمان يفتشون عن تأييد الاقوال الكتابية بالادلة الطبيعيَّة او الاجتماعية وقد جرى حضرة مؤلف الكتاب هذا المجرى وجمع فيهِ كثيرًا من الحقائق العمرانية مع الشروح الدينية فلهُ مزيد الشكر

دروس القراءة

اهدى الينا حضرة الفاضل محيي الدين افندي الخياط القسم الاول والثاني من هذا الكتاب وفي كلٍّ منهما دروس في الهجاء والاخلاق والفكاهة والحكم والدين ويراد بها تعليم الاطفال القراءة وغرس مبادىء الدين والفضائل في عقولهم

الشرق الادنى

The Near East.

مجلة سياسية مالية ادبية تصدر باللغة الانكليزيَّة في مدينة لندن الغرض منها الدفاع عن السلطنة العثمانية وتوثيق عرى الصداقة بين الانكليز والعثمانيين. والمجلة مطبوعة طبعًا متقنًا على ورق جيد ومزدانة بكثير من الصور ففي العدد الاول منها صورة الاستانة العلية . وصورة الجنود ذاهبة الى يلدز وصورة جامع ايا صوفيا من داخلهِ وغرفة المائدة السلطانية ومدخل قصر طلة بغشه وصورة جامع السلطان احمد وكأن كتابها من الانكليز انفسهم او من الشرقيين الذين اتقنوا اللغة الانكليزية حتى صاروا يكتبونها مثل ابنائها . وثمن كل جزء نصف شلن



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) العداوة في الاهل

مصر · جبرائيل افندي ميخائيل · يقال ان العداوة في الاهل والظاهر ان ذلك صحيح فما سببهُ

ج لا نرى ان العداوة في الاهل اشد منها في غير الاهل بل هي اضعف ولكنها تظهر جليًّا لانها تأتي على خلاف المنتظر

(٢) فوائد الحشرات

ومنهُ · يقولون ان كل كائن على الارض لهُ فائدة ما فان كان الامر كذلك فما هي فائدة الذباب والبراغيث والبق والعنكبوت

ج ان القول الاول لا يؤْخذ على اطلاقهِ لا سيما وانهُ يعين الفائدة لمن تكون والظاهر من درس احوال المخلوقات انها مرتبطة بعضها ببعض فتفيد وتستفيد · فالنحل يمتص الاري من الازهار ويغتذي بهِ ويقع عليهِ لقاح الازهار فينقلهُ من زهرة الى اخرى ويلقحها بهِ فيستفيد ويفيد ولكنهُ لا يفعل ذلك عن قصد وروية · والذباب يلتقط فضلات الطعام ويأكلها ويمنع فسادها فيستفيد ويفيد وتأكلهُ العناكب فتستفيد منهُ وتسمن فتلتقطها الزنابير وتجمعها غذاء لصغارها · ولا نعلم ما هي فائدة البراغيث والبق لغيرهما من انواع الحيوان وقد لا تكون منهما فائدة لان وجودهما الآن ليس مترتبًا على وجود الفائدة منهما بل يحتمل انهما من بقايا حشرات كان لها فائدة في سالف الزمن كما كان للزائدة الدودية فائدة في الاحشاء وليس منها الآن الا الضرر · انظروا مقالة في هذا الموضوع في هذا الجزء

(٣) الجامعة المصرية

ومنهُ . ما قولكم في الجامعة المصرية هل وضعت قواعدها على اساس متين يضمن نجاحها او ما الذي تختارونهُ لنجاح مشروعها

ج جاء نظام الجامعة على غير ما كنا ننتظرهُ ونشير بهِ فقد كنا ننتظر ان تكون مثل جامعة اكسفرد او كمبردج ببلاد الانكليز او جامعة طوكيو او كيوتو ببلاد اليابان او مثل جامعة اثينا ببلاد اليونان اي يكون فيها مدارس كلية للطب والحقوق

والهندسة والزراعة وعلوم الادب ودار جامعة للفلسفة والتفوّق في العلوم ولكن يظهر ان لجنتها رأت ان مدرسة الطب الحالية ومدرسة الحقوق ومدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة تكفي البلاد فاقتصرت على دار جامعة للفلسفة · ومن المرجح انهُ يصعب على الحكومة ان تجمع مدارسها الكلية ضمن مدرسة واحدة وتضيف اليها جامعة فلسفية لانهُ يصعب او يستحيل تعليم الفلسفة وما يتعلق بها من غير تعرُّض للمسائل الدينيَّة· وسنرى ما يكون من امر الجامعة المصرية في هذه المشكلة الكثيرة العثرات · والمال الذي جمع للجامعة المصرية والذي ينتظر جمعهُ لها والهبة السنوية من الاوقاف الخيرية كافية لنفقاتها ونجاح مشروعها ولذلك نرى انها وضعت على اساس متين يكفل نجاحها

---

(٤) تسمية كنيسة اجيا صوفيا

مسوري باميركا · الخواجا داود سليمان ابو حيدر · من بني كنيسة اجيا صوفيا بالاستانة وما سبب تسميتها كذلك ومتى تحولت جامعاً

ج بناها اولاً قسطنطين الكبير ثم اعاد بناءها الامبراطور ثيودوسيوس سنة ٤١٥ للبلاد والامبراطور يوستنيانوس بين سنة ٥٣٨ و ٥٦٨ ولما بناها قسطنطين الكبير سماها اجيا صوفيا اي الحكمة الازلية وجعلت جامعاً بعد فتح محمد الفاتح للقسطنطينيَّة سنة ١٤٥٣

(٥) الامطار والعواصف في اميركا

ومنهُ · لماذا نرى الامطار والعواصف والصواعق في هذه البلاد (اميركا) اكثر منها في بلادنا الشرقية

ج تكثر الامطار والعواصف والصواعق في البلدان الكثيرة الجبال والاودية المجاورة لبحر كبير او التي تأتيها الرياح محملة بخاراً مائيًّا من بحر كبير ولا فرق في ذلك بين البلدان الشرقية والغربية ففي جبال لبنان تكثر العواصف والامطار كما تكثر في جبال اوربا · وتكثر في بعض الجهات الاميركية اكثر مما تكثر في غيرها وتجري في البلاد الواحدة على اسلوب واحد تقريباً عاماً بعد عام حسب شكلها وموقعها

---

(٦) فائدة وجود الشعر

مصر · فهيم افندي عبد الملك · ما فائدة وجود الشعر في لحية الرجل وشاربيهِ

ج يظهر من بعض الادلة الطبيعيَّة ان الشعر كان يغطي جسم الانسان كلهُ ثم زال من اكثرهِ او ضعف لاسباب لا تعلم تماماً حتى الآن فدارون يقول ان اكبرها الزينة والاختيار الجنسي فشرعت فيهِ النساء واتصل الى الرجال بالارث ثم عاد الرجال فاعتنوا بشعر لحاهم وشواربهم لمجرَّد الزينة

فثبت وقوي · ويظهر لدى امعان النظر ان لشعر الشوارب واللحى فائدة كبيرة في منع دقائق الغبار من دخول الانف والفم وفي منع الهواء البارد من تبريد الحلق · روي ان النوتية الذين ذهبوا للتفتيش عن الرحالة فرنكلين في جهات القطب الشمالي اشتدَّ عليهم البرد القارس ولكنهم لم يصابوا بمكروه لان الشعر كان يغطي وجوههم فيدرأُ عنها البرد ثم لما عادوا الى انكلترا حلقوا هذا الشعر فلم يمضِ اسبوع حتى مرضوا كلهم · هذا ما يذكر من الادلة على فائدة الشعر ولكننا نظن ان اولئك النوتية لم يمرضوا لما كانوا في الاصقاع القطبيَّة لنقاوة الهواء هناك ولان طعامهم كان معتدلاً فلما عادوا الى المدن وفي هوائها كثير من جراثيم الامراض افرطوا في الاكل والشرب والتعرُّض لتلك الجراثيم فرضوا

(٧) الشعر ووجه المرأة

ومنهُ · لماذا ينبت الشعر في وجه الرجل ولا ينبت في وجه المرأة · ولماذا لا ينبت في وجوه الخصيان وما علاقتهُ بسن البلوغ

ج اذا صحَّ رأْي دارون وهو ان النساء نتفن الشعر من ابدانهنَّ للزينة اي تحبباً الى الرجال لم يبعد ان تنشأ من ذلك علاقة بين الشعر والبلوغ فتتهيج بصلات الشعر حينئذٍ في الذكور كأَنها تذكر التهيج الذي كان يحلُّ بها حينما ينتف شعرها اما تهيجها الآن فيجعل الدم يرد اليها ويغذي الشعر فيزيد نموهُ . ولا تزال المسائل المتعلقة بالشعر غامضة لم تنجلِ حتى الآن

---

(٨) جمس نولس

اشمون. محمد افندي زكي صالح · المطلع على سني المقتطف الماضية يرى انهُ كان معجباً بالسر جمس نولس محرر مجلة القرن التاسع عشر وقد توفي في اوائل فبراير الماضي فلماذا لم تنشر ترجمتهُ

ج كنا نظن ان مجلتهُ نفسها تنشر ترجمة مسهبة لهُ فنترجمها عنها ولكنها لم تنشر شيئاً بل بعث اليها بعض الكتَّاب اصدقائهِ بمقالات وجيزة ذكروا فيها بعض مزاياهُ · وكان نولس من الكتَّاب المبرزين ولكنهُ لم يكن من العلماء الاختصاصين ولذلك لم تذكر ترجمتهُ في المجلات العلمية · وكان واسع الثروة كريماً يهتمُّ بالمسائل العمومية ويرغّب كبار القوم في الكتابة ويدفع اليهم الاجور الكبيرة رغبة في نشر الحقائق علمية كانت او ادبية او اجتماعية وسنلخص في الجزء التالي ما قالهُ عنهُ اصدقاؤُهُ ومريدوهُ

(٩) كتاب الاسلام

ومنهُ · هل اطلعتم على كتاب الاسلام للسيد امير علي احد محامي انكلترا الآن وان كان فما محل بيعهِ وكم ثمنهُ

ج للسيد امير علي كتب كثيرة باللغة

الانكليزية وهي (١) بحث مدقق في سيرة محمد وتعاليمهِ (٢) روح الاسلام (٣) فضائل الاسلام (٤) مختصر تاريخ العرب (٥) الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية (٦) الشريعة الاسلامية مجلدان (٧) كتاب التعليم في الشريعة الاسلامية . ونظن انكم تريدون منها كتاب روح الاسلام Spirit of Islam فهذا الكتاب لم نطلع عليهِ ويمكن الحصول عليهِ من كل باعة الكتب ولا نعلم كم ثمنهُ

(١٠) الثورة الفرنسوية

ومنهُ . ما هو احسن كتاب كتب باللغة الانكليزية في تاريخ الثورة الفرنسوية وان كان لا يمكن المفاضلة فاذكروا لنا بعض هاتيك الكتب

ج (١) ترجمة كتاب تاين Taine Origines de la France Contemporaine

(٢) كتاب كارليل Carlyle's French Revolution ونحن وجدنا تفاصيل مفيدة وافية في تاريخ السن وتاريخ اوربا العام وكتاب ملكات الهيئة الاجتماعية Queens of Society وكتاب سير ملوك اوربا وملكاتها الذي نشر حديثاً Private lives of the Kings and Queens of Europe

وكل باعة الكتب يقدمون ما يطلب منهم الاّ الكتاب الاخير فان عدد النسخ التي طبعت منهُ محدود ونظن انها نفدت كلها

(١١) اشتراك ناشر

ومنهُ . ما قيمة اشتراك مجلة ناتشر وما عنوانها

ج اشتراكها في مصر جنيه وعشرة شلنات وست بنسات والعنوان

Macmillan & Co.
St. Martin's St., London, W.C.

---

(١٢) استخدام الجان

بنسلفانيا باميركا . الخواجه حنا يوسف . اخبرني كثيرون انهُ يوجد اشخاص يستخدمون الجان فيتصدم الناس ويستعلمون منهم عما جرى لهم وعما سيجري فيخبرونهم بذلك ويصدقون في كل ما يقولونهُ لهم لان الجان تكون طوع ارادة من يستخدمها فتعملهُ بما يفوق ادراك الانسان فهل ذلك صحيح

ج ان كل ما يقال عن استخدام الجن والاخبار عن الغيب بواسطتها ظاهر البطلان ولذلك لا يعتمد عليهِ عاقل الآن حتى السذج صاروا يعلمون انهُ كلهُ من قبيل التخريف والتدجيل . وغاية ما فيهِ مما يفسر علمياً ان المستخبر يقع في شيء من الذهول الذاتي فيسمع ويرى ما هو راسخ في ذهنهِ فاذا قال لهُ المشعوذ ان الذي سرقك رجل لا طويل ولا قصير ولا اسمر ولا ابيض وكان ذهنهُ متوجهاً الى اخيهِ او جارهِ او خادمهِ تصوَّر

صورتهُ ولم يسمع من كلام المشعوذ الا ما ينطبق على الصورة التي في ذهنهِ. وقد يكون حزرهُ مصيباً لانهُ يكون مستنتجاً من معلومات كثيرة فيحسب ان المشعوذ هو الذي ارشدهُ الى السارق

(١٣) اسماء الاشهر

ومنهُ. لماذا تكتبون في المقتطف بعض الاشهر حسب اللفظ الفرنسوي وليس حسب اللفظ الانكليزية والانكليزية اكثر شيوعاً من الفرنسوية

ج انَّا لا نكتبها حسب اللفظ الفرنسوي بل حسب اللفظ الذي رأيناهُ شائعاً في هذا القطر لما انيناهُ وهو رومي قديم فيها وقد كان شائعاً منذ اكثر من الف سنة كما يظهر من التواريخ العربيَّة القديمة

(١٤) احسن القواميس

ومنهُ . اي كتاب من هذه الكتب افيد واسهل استعمالاً وهي القاموس ومحيط المحيط ولسان العرب وتاج العروس

ج ان تاج العروس اكثرها مادةً ومحيط المحيط اسهلها استعمالاً ولو نُقح وطبعت المواد والمشتقات التي فيهِ بحرف غليظ او وضعت بين قوسين غليظين حتى تستدل عليها العين بسهولة لصار افضل كتب اللغة

باب الاخبار العلمية

النجم والهلال

ان النجم والهلال اللذان هما شعار الدولة العثمانية اصلهما شعار الدولة البزنطية اي دولة الروم التي عاصمتها القسطنطينية والشائع ان اصل هذا الشعار هو ان فيلبس المكدوني ابا الاسكندر الكبير كان يحصر مدينة بزنطيوم التي دعيت بعدئذٍ باسم القسطنطينية وكان عازماً ان يبيتها فظهر في السماء منظر غريب الزهرة في الهلال فلما رآهُ السكان هبوا الى سلاحهم ورآهُ فيلبس فقال في نفسهِ انهُ لا يقوى على قوم تساعدهم الآلهة بالآيات فرحل عنهم ومن ثم جعل البزنطيون رسم النجم والهلال شعاراً لهم تذكاراً لتلك الحادثة . لكن علماء الآثار رأوا رسم النجم والهلال في آثار الرومانيين واليونانيين والفرس والمكدونيين بل رأوهما في آثار البابليين التي تاريخها قبل الاسكندر بنحو الفي سنة وهو عندهم من نوع الكتابة ومعناهُ التعزيم لطرد الارواح الشريرة فان القمر كان معبود البابليين الاكبر والهلال رمز لهُ فكانوا يتبركون بصورتهِ وصورة

نجم فيهِ ويستعملونها في التعزيم لطرد الارواح الشريرة ثم لما استولى الفرس على بابل نقشوا رسم الهلال والنجم على نقودهم والظاهر ان الروم اقتبسوا هذا الرمز من الفرس ثم اقتبسهُ منهم الاتراك لما تغلبوا على مملكتهم فهو بابلي الاصل

استخراج الاسفنج بالغواصات

ان طريقة استخراج الاسفنج الشائعة في سواحل سورية ومصر وتونس فيها الخطر على النفوس والتلف للاسفنج · وقد خطر للاب راول من نزلاء قرطاجنة بتونس ان يستعمل الغواصات لاقتلاع الاسفنج من اماكنهِ وتألفت شركة لهذا العمل وبنت غواصة قرب طولون طولها ١٦ قدماً ينزل فيها رجلان الى قاع البحر ويحركان ذراعاً بارزاً من اسفلها فيقلعان الاسفنج ويلقيانهِ في سلة كبيرة من الحديد متصلة بالغواصة وفي الذراع مصباح كهربائي ينير البحر ليرى ما فيهِ من الاسفنج · وفي الغواصة آلات كهربائيَّة مختلفة لتغريقها وتعويمها وتحريكها وانارتها

التعليم الثانوي باميركا

كان عدد التلامذة الذين يتلقون التعليم الثانوي في الولايات المتحدة الاميركية ٣٦٧٠٠٠ سنة ١٨٩٠ اي ٥٩٠٠ من كل مليون من السكان فبلغ عددهم ٩٢٤٤٠٠ سنة ١٩٠٦ اي ١١٠٠٠ من كل مليون من السكان او اكثر من واحد في المئة

غرائب حسابية

(١) اذا جمعت سلسلة من الاعداد الشفعية التي اولها ٢ مثل ٢ و٤ و٦ و٨ و١٠ الخ فمجموعها يعدل مربع عدد الحلقات مع عدد الحلقات · ففي هذا المثال عدد الحلقات ٥ مربعها ٢٥ اضف اليها ٥ فيصير المجموع ٣٠ وهو مجموع الحلقات

(٢) اذا جمعت سلسلة من الاعداد الطبيعية التي اولها واحد وكانت منتهية بعدد وتر مثل ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ فمجموعها يعدل الحلقة الاخيرة مضروبة في عدد الحلقات الوتريَّة · فالحلقة الاخيرة في هذه السلسلة ٧ وعدد الحلقات الوتريَّة ٤ فمجموع السلسلة ٧ × ٤ = ٢٨

٣ اذا جمعت سلسلة من الاعداد الطبيعيَّة التي اولها واحد وكانت منتهية بعدد شفع مثل ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ فمجموعها يعدل عدد الحلقات مع واحد مضروباً في نصف الحلقة الاخيرة ففي هذه السلسلة عدد الحلقات ٦ فاضف اليهِ ١ واضربهُ في ٣ يحصل ٢١ وهو المطلوب فما تعليل ذلك كلهِ

فوائد قطران الفحم الحجري

عدَّد بعضهم فوائد قطران الفحم الحجري

في جمعية الصنائع الكيماوية فقال انهُ يستخرج منهُ كل الاصباغ على اختلاف الوانها وبهائها وعدد عديد من الادوية المستعملة الآن في علاج الحمى والارق والالم وداء النوم ومن المرجح ان منها دواء يشفي من السرطان. ويستخرج منها السكرين الذي هو احلى من السكر ٥٥٠ ضعفاً وزيت يشبه زيت اللوز المرومادة تشبه المسك وعطور تشبه عطر البنفسج والورد والياسمين. وبهِ تظهر الصور الفوتوغرافية وتصوَّر الصور الملوَّنة ومنهُ يصنع البارود الذي لا دخان لهُ وبهِ توقى الاشجار من الحشرات

قمر المشتري الثامن

ذهب المستر جورج فوربس في جريدة نانشر الى ان النجم الذي كشف حديثاً وظُن انهُ قمر ثامن من اقمار المشتري انما هو مذنب لكسل الذي شوهد سنة ١٧٧٠ وقد جذبهُ المشتري اليهِ. ولم يثبت ذلك بل ذكرهُ من باب الظن لبعد هذا الجرم عن المشتري

الاب لافونت

جاء في جريدة نانشر ما خلاصتهُ :— نعت اخبار الهند الاب اوجين لافونت العالم الطبيعي وهو في الحادية والسبعين من عمرهِ كان استاذاً للعلوم الطبيعيَّة في مدرسة سنت زفير الكلية بكلكتا ثم جُعل رئيساً لها وبسعيهِ جمعت تلك المدرسة احسن الآلات التي تُوضّح بها الحقائق العلمية. ولقد كان من اشهر الاساتذة في التعليم ونشر الحقائق العلميَّة وبقي ثلاثين سنة عضواً في مدرسة كلكتا الجامعة وكان لهُ المقام الارفع في الدوائر العلمية وفي عيون اعيان الهند وبسعيهِ تمكن الدكتور ماهندرا لال سركار من انشاء المجمع الهندي لترقية العلوم. وسيبقى اسمهُ مقروناً بالتعظيم والتبجيل كاول روَّاد التعليم العلمي في بلاد بنغالا وفقدهُ خسارة كبيرة على تلك البلاد ولاسيما في هذا الزمن الذي يراد ان يوضع فيهِ التعليم هناك على اسس علميَّة

الروماتزم ولسع النحل

قال الدكتور نيوتن فرند ان رجلاً اصيب بالروماتزم في ظهرهِ فالمهُ جدًّا فعرَّى ذراعهُ وعرضها للنحل فاجتمع عليها ولسعهُ في اماكن كثيرة ولم تكد ذراعهُ تشفى من لسع النحل حتى شفي ظهرهُ من الروماتزم

مدرسة الهند

بينما القطر المصري يهتم بانشاء مدرسة جامعة ويجد الصعاب في جمع المال الكافي لها توفق الهنود الى انشاء مدرسة عالية او دار علميَّة بكرم اثنين من رجالهم وكرم حكومتهم فان في بلاد الهند خمس جامعات

وهي جامعة كلكتا وجامعة مدراس وجامعة بمباي وجامعة بنجاب وجامعة الله اباد . وهذه الجامعات كلها بمثابة دور لامتحان الطلبة الذين اتموا دروسهم في المدارس الكلية .
أما المدرسة المشار اليها آنفاً فمدرسة حقيقية او دار علمية لاجل الدرس والبحث العلمي ونشر الحقائق العلمية مبدأها هبة سنية وهبها المثري الفارسي تاتا المشهور ويبلغ ريعها السنوي ٨٣٣٣ جنيهاً ثم تلاه مهرجا ميسور فوهب هذه المدرسة ارضاً مساحتها نحو ٣٣ فدانا لكي تبني فيها ووهبها ايضاً ٥٠٠٠٠ ربية اي ٣٣٣٣ جنيهاً يدفعها اليها سنوياً وتلته الحكومة الهندية فوهبتها مبلغاً سنوياً يعدل ٨٧٥٠٠ ربية او ٥٨٣٣ جنيهاً فصار دخل المدرسة السنوي ١٨٠٠٠ جنيه ثم عاد مهرجا ميسور فوهبها ٥٠٠٠٠٠ ربية ووهبتها الحكومة ٢٥٠٠٠٠ ربية والجملة ٧٥٠٠٠٠ ربية واذا أضيف الى ذلك ربا الاموال الموهوبة قبلاً من حين وهبت الى الآن بلغ المجموع مليون ربية او ٦٦٦٦٦ جنيهاً وقد خصص هذا المال للبناء

أما العلوم التي يشتغل بها التلامذة في هذه المدرسة فهي ما يفيد بلاد الهند في زراعتها وصناعتها وينحصر اشتغالهم الآن في الكيمياء النظرية والعملية . والكيمياء الآلية . وعلم البكتيريا . وعلم الاختبار . وعلم الصنائع الكهربائية . ومن المحتمل ان يضاف اليها علم المعادن او التعدين

والخلاصة ان اثنين فقط من اهالي الهند دفعا بمساعدة الحكومة كل الاموال اللازمة لبناء مدرسة عالية ولنفقاتها السنوية وحصرت علومها في ما يلزم لزيادة ثروة البلاد

بيَر بيشان

فقدت فرنسا اكبر كيماوييها سناً وهو الاستاذ بيرجاك بيشان توفي في ١٥ ابريل عن ٩٢ سنة وكان اكثر اشغاله في الكيمياء البيولوجية لكنهُ لم يترك فرعاً من فروع الكيمياء الأ اشتغل بهِ وزاده بمباحثهِ وهو الذي استنبط طريقة عمل الانيلين ثم صنع الفخسين ونحوهُ من المواد الملونة وكان مخالفاً لباستور في الآراء العلمية مع انهُ كان يشتغل مثلهُ . ومباحثهُ في الاختمار والدم والفبرين واللبن والبروتيين من اقوى دعائم علم البكتيريا

المسيو شمبرلان

توفي المسيو شمبرلان مدير مستوصف باستور وهو الذي صنع شمعة الخزف التي توضع في آلة الترشيح المنسوبة اليهِ والى استاذهِ باستور ولهُ الفضل في انهُ اثبت ان ميكروبات الهواء لا تضر في الاعمال الجراحية اذا كانت الآلات والاربطة والجلد نظيفة

فهرس الجزء السادس من المجلد الثالث والثلاثين

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف

